This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.

+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.

+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.

+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at `http://books.google.com/`

32101 077795753

Restored through a grant from

The Cartwright Foundation

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

THE

ALIF LAILA

OR

BOOK OF THE THOUSAND NIGHTS

AND

ONE NIGHT,

Commonly known as 'The Arabian Nights' Entertainments;'

NOW, FOR THE FIRST TIME, PUBLISHED COMPLETE IN

THE ORIGINAL ARABIC,

FROM AN EGYPTIAN MANUSCRIPT

BROUGHT TO INDIA BY THE LATE MAJOR TURNER MACAN, EDITOR OF

THE SHAH-NAMEH.

EDITED BY

W. H. MACNAGHTEN, Esq.

Bengal Civil Service.

IN FOUR VOLUMES.

VOL. II.

CALCUTTA:

W. THACKER AND CO. ST. ANDREW'S LIBRARY.

LONDON:

WM. H. ALLEN AND CO. 7, LEADENHALL ST.

Booksellers to the East-India Company.

1839.

Digitized by Google

(RECAP)
2263
.1839
V.2

CALCUTTA:

PRINTED AT THE BAPTIST MISSION PRESS.

1839.

Digitized by Google

A.2

Digitized by Google

الخمس الباقية من الكتب التي غرقت في البحر و قالت له ما خلف ابوك شيأ من الكتب الاّ الورقات الخمس التي في هذا الصندوق ففتح الصندوق واخذ منه الورقات الخمس و قرأها و قال لها يا امي ان هذه الاوراق من جملة كتاب واين بقيته فقالت له ان اباك قد سافر بجميع كتبه في البحر فانكسرت به المركب و غرقت كتبه و انجاه الله تعالى من الغرق ولم يبق من كتبه الاّ هذه الورقات الخمس ولما جاء ابوك من السفر كنت حاملا بك فقال لي ربما تلدين ذكرا فخذي هذه الاوراق و احفظيها عندك فاذا كبر الغلام و سأل عن تركتي فاعطيه اياها و قولي له ان اباك لم يخلف غيرها وهذه اياها ثم ان حاسب كريم الدين تعلّم جميع العلوم ثم بعد ذلك تعدد في اكل و شرب و اطيب معيشة و ارغد عيش الى ان اتاه هادم اللذات و مفرق الجماعات

وهذا آخر ما انتهى الينا من حديث حاسب بن دانيال

رحمه الله تعالى و الله اعلم بالصواب

قد تم بعون الله المنّان طبع هذا الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث وبالله التوفيق

Digitized by Google

فقد اكرمني و من اطاعه فقد اطاعني فقال له الجميع سمعا و طاعة ثم قاموا كلهم و قبلوا يد حاسب كريم الدين و سلموا عليه و هنوه بالوزارة ثم بعد ذلك خلع عليه الملك خلعة سنية منسوجة بالذهب الاحمر مرصعة بالدر و الجوهر اقلّ جوهرة فيها تساوي خمسة آلاف دينار و اعطاه ثلثمائة مملوك و ثلثمائة سرية تضيء مثل الاقمار و ثلثمائة جارية من الحبش وخمسمائة بغلة محملة من المال و اعطاه من المواشي و الغنم و الجواميس و البقر ما يكلّ عنه الوصف و بعد هذا كله امر وزراءه وامراءه وارباب دولته و اكابر مملكته و مماليكه و عموم رعيته ان يهادوه ثم ركب حاسب كريم الدين و ركبت خلفه الوزراء و الامراء و ارباب الدولة و جميع العساكر و ساروا الى بيته الذي اخلاه له الملك ثم جلس على كرسي وتقدمت اليه الامراء و الوزراء و قبلوا يده و هنوه بالوزارة و صاروا كلهم في خدمته وفرحت امه بذلك فرحا شديدا و هنته بالوزارة و جاءه اهله و هنوه بالسلامة و الوزارة و فرحوا به فرحا شديدا ثم بعد ذلك اقبل عليه اصحابه الحطابون و هنوه بالوزارة و بعد ذلك ركب و سار حتى وصل الى قصر الوزير شمهور فختم على بيته و وضع يده على ما فيه وضبطه ثم نقله الى بيته و بعد ان كان لا يعرف شيأ من العلوم و لا قراءة الخط صار عالما بجميع العلوم بقدرة الله تعالى و انتشر علمه و شاعت حكمته في جميع البلاد و اشتهر بالتبحر في علم الطب و الهيئة و الهندسة و التنجيم و الكيمياء و السيمياء و الروحاني و غير ذلك من العلوم ثم انه قال لامه يوما من الايام يا والدتي ان ابي دانيال كان عالما فاضلا فاخبريني بما خلفه من الكتب و غيرها فلما سمعت امه كلامه اتته بالصندوق الذي كان ابوه قد وضع فيه الورقات

Digitized by Google

ثم بعد ذلك ايقظه و سقاه شيأ من الشراب و امره بالنوم فنام الليل الى وقت الصبح و لما طلع النهار فعل معه مثل ما فعل بالامس حتى اطعمه القطع الثلث على ثلثة ايام فقبّ جلد الملك و انقشر جميعه فعند ذلك عرق الملك حتى جرى العرق من رأسه الى قدمه و تعافى و ما بقي في جسده شيٌ من الامراض و بعد ذلك قال له حاسب لابد من دخول الحمام ثم ادخله الحمام و غسل جسده و اخرجه فصار جسمه مثل قضيب الفضة و عاد لما كان عليه من الصحة وردّت له العافية احسن ما كانت اولا ثم انه لبس احسن ملبوسه و جلس على التخت و اذن لحاسب كريم الدين في ان يجلس معه فجلس بجانبه ثم امر الملك بمد السماط فمد فاكلا و غسلا ايديهما و بعد ذلك امر ان يأتوا بالمشروب فاتوا بما طلب فشربا ثم بعد ذلك اتى جميع الامراء و الوزراء والعسكر و اكابر الدولة و عظماء رعيته و هنّوه بالعافية والسلامة و دقوا الطبول و زينوا المدينة من اجل سلامة الملك و لما اجتمعوا عنده للتهنية قال لهم الملك يا معشر الوزراء و الامراء و ارباب الدولة هذا حاسب كريم الدين الذي داواني من مرضي اعلموا انني قد جعلته وزيرا اعظم مكان الوزير شمهور و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك قال لوزرائه و اكابر دولته ان الذي داواني من مرضي هو حاسب كريم الدين و قد جعلته وزيرا اعظم مكان الوزير شمهور فمن احبّه فقد احبني و من اكرمه

Digitized by Google

ذلك و رأى النجوم السيارة و الثوابت و علم كيفية مسير الكواكب و شاهد هيئة البر و البحر و استنبط من ذلك علم الهندسة و علم التنجيم و علم الهيئة و علم الفلك و علم الحساب و ما يتعلق بذلك كله و عرف ما يترتب على الكسوف و الخسوف و غير ذلك ثم نظر الى الارض فعرف ما فيها من المعادن و النباتات و الاشجار و علم جميع مالها من الخواص و المنافع و استنبط من ذلك علم الطب و علم السيمياء و علم الكيمياء و عرف صنعة الذهب و الفضة ولم يزل سائرا بذلك اللحم حتى وصل الى قصر الملك كرزدان و دخل عليه و قبل الارض بين يديه و قال له تسلم رأسك في وزيرك شمهور فاغتاظ الملك غيظا شديدا بسبب موت وزيره و بكى بكاء شديدا و بكت عليه الوزراء و الامراء و اكابر الدولة ثم بعد ذلك قال الملك كرزدان ان الوزير شمهور كان عندي في هذا الوقت و هو في غاية الصحة ثم ذهب ليأتيني باللحم ان كان طاب طبخه فما سبب موته في هذه الساعه و اي شيء عرض له من العوارض فحكى حاسب للملك جميع ماجرى لوزيره من انه شرب القنينة و تورم و انتفخ بطنه و مات فحزن عليه الملك حزنا شديدا ثم قال لحاسب كيف حالي بعد شمهور فقال حاسب لا تحمل همّا يا ملك الزمان فانا اداويك في ثلثة ايام و لا اترك في جسمك شيأ من الامراض فانشرح صدر الملك كرزدان و قال لحاسب انا مرادي ان اعافي من هذا البلاء ولو بعد مدة من السنين فقام حاسب و اتى بالقدر و حطه قدام الملك فاخذ قطعة من لحم ملكة الحيات و اطعمها للملك كرزدان و غطاه و نشر على وجهه منديلا و قعد عنده و امره بالنوم فنام من وقت الظهر الى وقت المغرب حتى دارت قطعة اللحم في بطنه

Digitized by Google

عند الملك واقربها لان في صلبي وجعا حسنا يبرأ اذا شربتها ثم توجه الى الملك بعد ان أكل على حاسب في تلك الوصية فصار حاسب يوقد النار تحت القدر حتى طلعت الرغوة الاولى فكشطها وحطها في قنينة من الاثنين ووضعها عنده ولم يزل يوقد النار تحت القدر حتى طلعت الرغوة الثانية فكشطها وحطها في القنينة الاخرى وحفظها عنده ولما استوى اللحم انزل القدر من فوق النار وقعد ينتظر الوزير فلما اقبل الوزير من عند الملك قال لحاسب ايّ شيء فعلت فقال له حاسب قد انقضى الشغل فقال له الوزير ما فعلت في القنينة الاولى قال له شربت ما فيها في هذا الوقت فقال له الوزير اري جسدك لم يتغير منه شيء فقال له حاسب ان جسدي من فرقي الى قدمي لحس منه بانه يشتعل مثل النار فكتم الماكر الوزير شمهور الامر عن حاسب خداعا ثم انه قال له هات القنينة الباقية لاشرب ما فيها لعلّي اشفى وابرؤ من هذا المرض الذي في صلبي ثم انه شرب ما في القنينة الاولى وهو يظن انها الثانية فلم يتمّ شربها حتى سقطت من يده وتورم من ساعته وصح فيه قول صاحب المثل مَنْ حَفَرَ بِئْراً لاَخِيْهِ وَقَعَ فِيْهِ فلما رأى حاسب ذلك الامر تعجب منه وصار خائفا من شرب القنينة الثانية ثم تفكّر وصية الحية وقال في نفسه لو كان ما في القنينة الثانية مضرّا لما كان الوزير استخارها لنفسه ثم انه قال توكّلت على الله وشرب ما فيها ولما شربه فجر الله تعالى في قلبه ينابيع الحكمة وفتح له عين العلم وحصل له الفرج والسرور واخذ اللحم الذي كان في القدر ووضعه في صينية من نحاس وخرج به من بيت الوزير ورفع رأسه الى السماء فرأى السموات السبع وما فيهن الى سدرة المنتهى ورأى كيفية دوران الفلك وكشف الله له عن جميع

Digitized by Google

و انظر ما يجري له ثم بعد ذلك اضرب انت الثانية فاذا ضربتها يصير قلبك بيت الحكمة ثم بعد ذلك اطلع اللحم و حطه في صينية من النحاس واعط الملك اياه ليأكله فاذا اكله واستقر في بطنه استر وجهه بمنديل و اصبر عليه الى وقت الظهر حتى تبرد بطنه وبعد ذلك اسقه شيأ من الشراب فانه يعود صحيحا كما كان و يبرأ من مرضه بقوة الله تعالى واسمع هذه الوصية التي وصيتك بها وحافظ عليها كل المحافظة وما زالوا سائرين حتى اقبلوا على بيت الوزير فقال الوزير لحاسب ادخل البيت معي فلما دخل الوزير وحاسب وتفرق العساكر وراح كل منهم الى حال سبيله و ضع حاسب الصينية التي فيها ملكة الحيات من فوق رأسه ثم قال له الوزير اذبح ملكة الحيات فقال له حاسب انا لا اعرف الذبح وعمري ما ذبحت شيأ فان كان لك غرض في ذبحها فاذبحها انت بيدك فقام الوزير شمهور واخذ ملكة الحيات من الصينية التي هي فيها و ذبحها فلما رأه حاسب ذلك بكى بكاء شديدا فضحك شمهور منه وقال له يا ذاهب العقل كيف تبكي من اجل ذبح حية و بعد ان ذبحها الوزير قطعها ثلث قطع ووضعها في قدر من النحاس ووضع القدر على النار وجلس ينتظر نضج لحمها فبينما هو جالس اذا بمملوك اقبل عليه من عند الملك وقال له ان الملك يطلبك في هذه الساعة فقال له الوزير سمعا وطاعة ثم قام واحضر قنينتين لحاسب وقال له اوقد النار على هذا القدر حتى تخرج رغوة اللحم الاولى فاذا خرجت فاكشطها من فوق اللحم و حطها في احدى هاتين القنينتين واصبر عليها حتى تبرد واضربها انت فاذا شربتها صح جسمك ولا يبقى في جسدك وجع ولا مرض واذا طلعت الرغوة الثانية فضعها في القنينة الأخرى واحفظها عندك حتى ارجع من

Digitized by Google

في اليمين وفعلت هذه الافعال لان ذلك مقدور من الازل فقال لها سمعا وطاعة ما الذي تامريننى به يا ملكة الحيات فقالت له اذا وصلت الى بيت الوزير فانه يقول لك اذبح ملكة الحيات وقطّعها ثلث قطع فامتنع من ذلك ولا تفعل وقل له انا ما اعرف الذبح لاجل ان يد بحني هو بيده ويعمل فيّ ما يريد فاذ اذ بحني وقطعني يأتيه رسول من عند الملك كرزدان ويطلبه الى الحضور عنده فيضع لحمي في قدر من النحاس ويضع القدر فوق الكانون قبل الذهاب الى الملك ويقول لك اوقد النار على هذا القدر حتى تطلع رغوة اللحم فاذا طلعت الرغوة فخذها وحطها فى قنينة واصبر عليها حتى تبرد واشربها انت فاذا شربتها لايبقى فى بدنك وجع فاذا طلعت الرغوة الثانية فحطها عندك فى قنينة ثانية حتى اجيء من عند الملك واشربها من اجل مرض فى صلبي ثم انه يعطيك القنينتين ويروح الى الملك فاذا راح اليه اوقد النار على القدر حتى تطلع الرغوة الاولى فخذها وحطها في قنينة واحفظها عندك واياك ان تشربها فان شربتها لم يحصل لك خير واذا طلعت الرغوة الثانية فحطها فى القنينة الثانية واصبر حتى تبرد واحفظها عندك حتى تشربها فاذا جاء من عند الملك وطلب منك القنينة الثانية فاعطه الاولى وانظر ما يجري له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملكة الحيات اوصت لحاسب بعدم الشرب من الرغوة الاولى والمحافظة على الرغوة الثانية وقالت له اذا رجع الوزير من عند الملك وطلب منك القنينة الثانية فاعطه الاولى

Digitized by Google

من عزيمته الاولى قرأ عزيمة ثانية وعزيمة ثالثة وكلما فرغ البخور وضع غيره على النار ثم قال اخرجي يا ملكة الحيات فاذا البئر قد غاض ماؤه وانفتح باب عظيم وخرج منه صراخ عظيم مثل الرعد حتى ظنوا ان ذلك البئر قد انهدم ووقع جميع الحاضرين في الارض مغشيا عليهم ومات بعضهم وخرج من ذلك البئر حية عظيمة مثل الفيل يطير من عينيها ومن فيها الشرر مثل الجمر وعلى ظهرها طبق من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وفي وسط ذلك الطبق حية تضيء المكان ووجهها كوجه انسان وتتكلم بافصح لسان وهي ملكة الحيات والتفت يمينا وشمالا فوقع بصرها على حاسب فقالت له اين العهد الذي عاهدتني به واليمين الذي حلفته لي من انك لا تدخل الحمام ولكن لا تنفع حيلة من قدر والذي على الجبين مكتوب ما منه مهروب وقد جعل الله أخر عمري على يديك وبهذا حكم الله وارادان اقتل انا والملك كرزدان يشفى من مرضه ثم ان ملكة الحيات بكت بكاء شديدا وبكى حاسب لبكائها ولما رأى الوزير شمهور الملعون ملكة الحيات مدّيده اليها ليمسك فقالت له امنع يدك يا ملعون والّا نفخت عليك وصيرتك كوم رماد اسود ثم صاحت على حاسب وقال له تعال عندي وخذني بيدك وحطني في هذه الصينية التي معكم واحملها على رأسك فان موتي على يدك مقدور من الازل ولا حيلة لك في دفعه فاخذها وحملها على رأسه وعادت البئر كما كانت ثم ساروا وحاسب حامل الصينية التي هي فيها على رأسه فبينما هم في اثناء الطريق اذ قالت ملكة الحيات لحاسب سرّا يا حاسب اسمع ما اقوله لك من النصيحة ولو كنت نقضت العهد وحنثت

Digitized by Google

ولدتني امي فقال له الوزير انا كنت وكّلت على كل حمام ثلثة مماليك لاجل ان يتعهدوا كل من يدخل الحمام و ينظروا الى بطنه و يعلموني به فلما دخلت انت الحمام نظروا الى بطنك فوجدوها سوداء فارسلوا اليّ خبرا بذلك و ما صدقنا اننا نجتمع بك في هذا اليوم و ما لنا عندك حاجة الّا ان تريدنا الموضع الذي طلعت منه و تروح الى حال سبيلك و نحن نقدر على امساكك ملكة الحيات وعندنا من يأتيها فلما سمع حاسب هذا الكلام ندم على دخول الحمام ندما عظيما حيث لا ينفعه الندم و صار الامراء و الوزراء يتدخّلون على حاسب في ان يخبرهم بملكة الحيات حتى عجزوا و هو يقول لا رأيت هذا الامر و لا سمعت به فعند ذلك طلب الوزير الجلاد فاتوه فامره ان ينزع ثياب حاسب عنه و يضربه ضربا شديدا ففعل ذلك حتى عاين الموت من شدة العذاب و بعد ذلك قال له الوزير ان عندنا دليلا علي انك تعرف مكان ملكة الحيات فلاي شيء انت تنكره ارنا الموضع الذي خرجت منه و ابعد عنا و عندنا الذي يمسكها و لا ضرر عليك ثم لاطفه و اقامه و احرله بخلعة مزركشة بالذهب الاحمر و المعادن فامتثل حاسب امر الوزير و قال له انا اريكم الموضع الذي خرجت منه فلما سمع الوزير كلامه فرح فرحا شديدا و ركب هو و الامراء جميعا و ركب حاسب و سار قدام العساكر و ما زالوا سائرين حتى وصلوا الى الجبل ثم انه دخل بهم الى المغارة و بكى و تحسر و نزلت الامراء و الوزراء و تمشوا وراء حاسب حتى وصلوا الى البئر الذي طلع منه ثم تقدم الوزير و جلس واطلق البخور واقسم و تلا العزائم و نفث و همهم فانه كان ساحرا ماكرا كاهنا يعرف علم الروحاني و غيره و لما فرغ

Digitized by Google

و لو طلبت نصف الملك اعطيتكه اياه لان شفاء الملك على يديك ثم اخذه من يده و ذهب به الى الملك فكشف حاسب عن وجه الملك و نظر اليه فرآه في غاية المرض فتعجب من ذلك ثم ان الوزير نزل على يد حاسب و قبلها و قال له نريد منك ان تداوي هذا الملك و الذي تطلبه نعطيك اياه و هذه حاجتنا عندك فقال حاسب نعم الي ابن دانيال نبيّ الله لكنني ما اعرف شيأ من العلم فانهم و ضعوني في صنعة الطب ثلثين يوما و لم اتعلم شيأ من تلك الصنعة و كنت اودّلو عرفت شيأ من العلم و اداوي هذا الملك فقال الوزير لا تطل علينا الكلام فلو جمعنا حكماء المشرق و المغرب ما يداوى الملك الّا انت فقال له حاسب كيف اداويه و انا ما اعرف دآءه و لا دوآءه فقال الوزير ان دواء الملك عندك قال له حاسب لوكنت اعرف دواءه لداويته فقال له الوزير انت تعرف دواءه معرفة جيدة فان دواءه ملكة الحيات و انت تعرف مكانها و رأيتها و كنت عندها فلما سمع حاسب هذا الكلام عرف ان سبب ذلك دخول الحمام و صار يتندّم حيث لا ينفعه الندم و قال لهم كيف ملكة الحيات و انا لا اعرفها و لا سمعت طول عمري بهذا الإسم فقال الوزير لا تنكر معرفتها فان عندي دليلا على انك تعرفها و اقمت عندها سنتين فقال حاسب انا لا اعرفها ولارأيتها و لا سمعت بهذا الخبر الّا في هذا الوقت منكم فاحضر الوزير كتابا و فتحه و صار يتحسّب ثم قال ان ملكة الحيات تجتمع بزجل ويمكث عندها سنتين و يرجع من عندها و يطلع على وجه الارض فاذا دخل الحمام تسوّد بطنه ثم قال لحاسب انظر الى بطنك فنظر اليها فرآها سودا فقال له حاسب ان بطني سوداء من يوم

Digitized by Google

معه و نزل حاسب و جلسوا فى القصر و اتوا بالسماط فاكلوا و شربوا ثم غسلوا ايديهم و خلع عليه الوزير خلعتين كل واحدة تساوي خمسة آلاف دينار و قال له اعلم ان الله قد منّ علينا بك و رحمنا بمجيئك فان السلطان كان اشرف على الموت من الجذام الذي به و قد دلّت عندنا الكتب على ان حيوته على يديك فتعجب حاسب من امرهم ثم تمشى الوزير و حاسب و خواص الدولة من ابواب القصر السبعة الى ان دخلوا علي الملك و كان يقال له الملك كرزد ان ملك العجم و قد ملك الاقاليم السبعة و كان في خدمته مائة سلطان يجلسون على كراسي من الذهب الاحمر و عشرة آلاف بهلوان كل بهلوان تحت يده مائة نائب و مائة جلّاد و بايديهم السيوف و الاطبار فوجدوا ذلك الملك نائما و وجهه ملفوف في منديل و هو يئنّ من شدة الامراض فلما رأى حاسب هذا الترتيب دهش عقله من هيبة الملك كرزدان و قبل الارض بين يديه و دعا له ثم اقبل عليه و زيره الاعظم و كان يقال له الوزير شمهور و رحب به و اجلسه على كرسي عظيم عن يمين الملك كرزدان و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير شمهور اقبل على حاسب و اجلسه على كرسي عن يمين الملك كرزدان و احضروا السماط فاكلوا و شربوا و غسلوا ايديهم ثم بعد ذلك قام الوزير شمهور و قام لاجله كل من فى المجلس هيبة له و تمشى الى نحو حاسب كريم الدين و قال له نحن في خدمتك و كلما طلبت نعطيك

Digitized by Google

لهم سمعا و طاعة ثم قام و راح معهم الى بيوتهم و صار كل واحد منهم يضيفه ليلة و لم يزالوا على هذه الحالة مدة سبع ليال و قد صار صاحب اموال و املاك و دكاكين و اجتمعت به تجار المدينة و اخبرهم بجميع ماجرى له و صار من اعيان التجار و مكث على هذا الحال مدة من الزمان فاتفق انه خرج يوما من الايام يتمشى فى المدينة واذا بصاحب له وكان حماميا فرآه وهو جائز على باب الحمام ووقعت العين فى العين فسلم عليه و عانقه و قال له تفضّل علّي بدخول الحمام وتكيّس حتى اعمل لك ضيافة فقال له انه صدر مني يمين انني لا ادخل الحمام مدة عمري فحلف الحمامي و قال له نسائي الثلث طالقات ثلثا ان لم تدخل معي الحمام و تغتسل فيه فتحير حاسب كريم الدين في نفسه و قال له اتريد يا اخي انك تيتم اولادي و تخرب بيتي وتجعل الخطيئة في رقبتي فارتمى الحمامي على رِجل حاسب كريم الدين و قبلها و قال انا في جيرتك ان تدخل معي الحمام وتكون الخطيئة في رقبتي انا * واجتمع عملة الحمام وكل من فيه على حاسب كريم الدين و تداخلوا عليه و نزعوا عنه ثيابه و ادخلوه الحمام فبمجرد ما دخل الحمام و قعد بجانب الحائط و سكب على راسه من الماء اقبل عليه عشرون رجلا و قالوا له قم يا ايها الرجل من عندنا فانك غريم السلطان و ارسلوا واحدا منهم الى وزير السلطان فراح الرجل واعلم الوزير فركب الوزير و ركب معه ستون مملوكا و ساروا حتى اتوا الحمام و اجتمعوا بحاسب كريم الدين و سلم عليه الوزير و رحب به و اعطى الحمامي مائة دينار و امر ان يقدموا لحاسب حصانا ليركبه ثم ركب الوزير و حاسب وكذلك جماعة الوزير و اخذوه معهم وساروا به حتى وصلوا الى قصر السلطان فنزل الوزير ومن

Digitized by Google

و قبلت يديه و فرح بعضهم ببعض فرحا عظيما و دخلوا البيت فلما استقرّ بهم الجلوس و قعد بين اهله سأل عن الحطابين الذين كانوا يحطبون معه و راحوا و خلّوه في الجب فقالت له امه انهم اتوني و قالوا لي ان ابنك اكله الذئب في الوادي و قد صاروا تجارا و اصحاب املاك و دكاكين و اتسعت عليهم الدنيا و هم في كل يوم يجيئوننا بالاكل و الشرب و هذا دأبهم الى الآن فقال لامه في غد روحي اليهم وقولي لهم قد جاء حاسب كريم الدين من سفره فتعالَوْا و قابلوه و سلّموا عليه فلما اصبح الصباح راحت امه الى بيوت الحطابين و قالت لهم ما اوصاها به ابنها فلما سمع الحطابون ذلك الكلام تغيّرت الوانهم و قالوا لها سمعا وطاعة و قد اعطاها كل واحد منهم بدلة من الحرير مطرزة بالذهب و قالوا لها اعط ولدك هذه ليلبسها وقولي له انهم في غد يأتون عندك فقالت لهم سمعا وطاعة ثم رجعت من عندهم الى ابنها و اعلمته بذاك و اعطته الذي اعطوها اياه هذا ما كان من امر حاسب كريم الدين و امّه ٭ و اما ما كان من امر الحطابين فانهم جمعوا جماعة من التجار و اعلموهم بما حصل منهم في حق حاسب كريم الدين و قالوا لهم كيف نصنع معه الآن فقال لهم التجار ينبغي لكل منكم ان يعطيه نصف ماله و مما اليكه فاتفق الجميع على هذا الرأي وكل واحد اخذ نصف ماله معه و ذهبوا اليه جميعا و سلموا عليه و قبلوا يديه و اعطوه ذلك و قالوا له هذا من احسانك و قد صرنا بين يديك فقبله منهم و قال لهم قد راح الذي راح و هذا مقدور من الله و المقدور يغلب المحذور فقالوا له قم هنا نتفرج في المدينة وندخل الحمام فقال لهم انا حلفت عليّ يمين انني لا ادخل الحمام طول عمري فقالوا له قم بنا لبيوتنا حتى نضيفك فقال

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما اوصله الخضر عليه السلام الى باب منزله فتح عينيه ليودعه فلم يجده فدخل بيته فلما رأته امه صاحت صيحة عظيمة و وقعت مغشية عليها من شدة الفرح فرشوا وجهها بالماء حتى افاقت فلما افاقت عانقته و بكت بكاء شديدا و صار بلوقيا تارة يبكي و تارة يضحك واتاه اهله وجماعته و جميع اصحابه وصاروا يهنّونه بالسلامة و شاعت الاخبار فى البلاد و جاءته الهدايا من جميع الاقطار ودقت الطبول و زمرت الزمور و فرحوا فرحا شديدا ثم بعد ذلك حكى لهم بلوقيا حكايته و اخبرهم بجميع ماجرى له وكيف اتى به الخضر و اوصله الى باب منزله فتعجبوا من ذلك و بكوا حتى ملوا من البكاء وكل هذا تحكيه ملكة الحيات لحاسب كريم الدين فتعجب حاسب كريم الدين من ذلك و بكى بكاء شديدا * ثم قال لملكة الحيات اني اريد الذهاب الى بلادي فقالت له ملكة الحيات اني اخاف ياحاسب اذا وصلت الى بلادك ان تنقض العهد و تحنث في اليمين الذي حلفته و تدخل الحمام فحلف ايمانا اخرى و ثيقة انه لن يدخل الحمام طول عمره فامرت حية وقالت لها اخرجي حاسب كريم الدين الى وجه الارض فاخذته الحية و سارت به من مكان الى مكان حتى اخرجته على وجه من سطح جُب مهجور ثم مشى حتى وصل الى المدينة و توجه الى منزله وكان ذلك آخر النهار وقت اصفرار الشمس ثم طرق الباب فخرجت امه وفتحت الباب فرأت ابنها واقفا فلما رأته صاحت من شدة فرحتها و القت نفسها عليه و بكت فلما سمعت زوجته بكاءها خرجت اليها فرأت زوجها فسلمت عليه

Digitized by Google

سحت في جميع الارض الى ان منّ الله تعالى علي بهذا المكان فمكثت فيه و انه في كل ليلة جمعة و يومها تأتي الاولياء والاقطاب الذين في الدنيا هذا المكان و يزورونه و يأكلون من هذا الطعام و هو ضيافة الله تعالى لهم يضيفهم بها في كل ليلة جمعة و يومها ثم بعد ذلك يرتفع السماط الى الجنة لا ينقص ابدا ولا يتغير فاكل بلوقيا و لما فرغ من الاكل و حمد الله تعالى فاذا الخضر عليه السلام قد اقبل فقام بلوقيا اليه و سلم عليه و اراد ان يذهب فقال له الطير اجلس يا بلوقيا في حضرة الخضر عليه السلام فجلس بلوقيا فقال له الخضر اخبرني بشأنك و احك لي حكايتك فاخبره بلوقيا من الاول الى الآخر الى ان اتاه و وصل الى المكان الذي هو جالس فيه بين يدي الخضر ثم قال له ياسيدي ما مقدار الطريق من هنا الى مصر فقال له مسيرة خمسة و تسعين عاما فلما سمع بلوقيا هذا الكلام بكى ثم وقع على يد الخضر و قبلها و قال له انقذني من هذه الغربة و اجرك على الله لاني قد اشرفت على الهلاك و ما بقيت لي حيلة فقال له الخضر ادع الله تعالى ان يأذن لي في ان اوصلك الى مصر قبل ان تهلك فبكى بلوقيا و تضرّع الى الله تعالى فتقبل الله دعاءه و الهم الخضر عليه السلام ان يوصله الى اهله فقال الخضر عليه السلام لبلوقيا ارفع رأسك فقد تقبل الله دعاءك والهمني ان اوصلك الى مصر فتعلق بي و اقبض عليّ بيديك و اغمض عينيك فتعلق بلوقيا بالخضر عليه السلام و قبض عليه بيديه و اغمض عينيه و خطا الخضر عليه السلام خَطْوة ثم قال لبلوقيا افتح عينيك ففتح عينيه فرأى نفسه واقفا على باب منزله ثم انه التفت ليودع الخضر عليه السلام فلم يجد له اثرا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

و هذا الذي اخبرني بهذا الخبر يا حاسب فقال حاسب يا ملكة الحيات اخبريني بما جرى لبلوقيا حيث عاد الى مصر* فقالت له اعلم يا حاسب ان بلوقيا لما فارق جانشاه سار ليالي و اياما حتى وصل الى بحر عظيم ثم انه دهن قدميه من الماء الذي معه و مشى على وجه الماء حتى وصل الى جزيرة ذات اشجار و انهار و اثمار كأنّه الجنة و دار في تلك الجزيرة فرأى شجرة عظيمة ورقها مثل قلوع المراكب فقرب من تلك الشجرة فرأى تحتها سماطا ممدودا وفيه جميع الالوان الفاخرة من الطعام و رأى على تلك الشجرة طيرا عظيما من اللؤلؤ و الزمرد الاخضر و رجلاه من الفضة و منقاره من الياقوت الاحمر و ريشه من نفيس المعادن و هو يسبّح الله تعالى و يصلّي على محمد صلى الله عليه وسلم و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما طلع الجزيرة و وجدها كالجنة تمشى في جوانبها و رأى ما فيها من العجائب و من جملتها الطير الذي هو من اللؤلؤ و الزمرد الاخضر و ريشه من نفيس المعادن على تلك الحالة و هو يسبّح الله تعالى و يصلّي على محمد صلى الله عليه و سلم فلما رأى بلوقيا ذلك الطائر العظيم قال له من انت و ما شأنك فقال له انا من طيور الجنة* واعلم يا اخي ان الله تعالى اخرج آدم من الجنة و اخرج معه اربع و رقات تستر بها فسقطن في الارض فواحدة منهن اكلها الدود فصار منها الحرير* والثانية اكلها الغزلان فصار منها المسك* و الثالثة اكلها النحل فصار منها العسل* و الرابعة وقعت في الهند فصار منها البهار* و اما انا فاني

Digitized by Google

فقال لها اريد ان اروح معك الى ملكة الحيات لان لي عندها حاجة فقالت له سمعا و طاعة ثم اخذته و سارت به الى بنتها و سلمت عليها ثم ودعتها و خرجت من عندها و قالت له اغمض عينيك فاغمض عينيه و فتحهما فاذا هو فى الجبل الذي انا فيه فسارت به الى الحية التي اعطتها الكتاب و سلمت عليها و قالت لها هل اوصلت الكتاب الى بلوقيا قال نعم اوصلته اليه و قد جاء معي و ها هو فتقدم بلوقيا و سلم على تلك الحية و سألها عن ملكة الحيات فقالت له انها راحت الى جبل قاف بجنودها وعساكرها و انها حين يأتي الصيف تعود الى هذه الارض و كلما ذهبت الى جبل قاف وضعتني في موضعها حتى تأتي فان كان لك حاجة فانا اقضيها لك فقال لها بلوقيا اريد منك ان تجيء بالنبات الذي كل من ذقه و شرب ماءه لا يضعف و لا يشيب و لا يموت فقالت له تلك الحية ما اجيء به حتى تخبرني بماجرى لك بعد مفارقتها حيث رحت انت و عفان الى مدفن السيد سليمان فاخبرها بلوقيا بقصته من اولها الى آخرها واعلمها بماجرى لجانشاه وحكى لها حكايته ثم قال لها اقضي لي حاجتي حتى اروح الى بلادي فقالت الحية و حق السيد سليمان ما اعرف طريق ذلك العشب ثم انها امرت الحية التي جاءت به و قالت لها اوصله الى بلاده فقالت لها سمعا و طاعة ثم قالت له اغمض عينيك فاغمض عينيه و فتحهما فرأى نفسه فى الجبل المقطم فسار حتى اتى منزله ثم ان ملكة الحيات لما عادت من جبل قاف توجهت اليها الحية التي اقامتها مقامها و سلمت عليها و قالت لها ان بلوقيا يسلم عليك و حكت لها جميع ما اخبرها به بلوقيا مما رأه في سياحته و من اجتماعه بجانشاه ثم قالت ملكة الحيات لحاسب كريم الدين

Digitized by Google

الاعوان بذلك ففعل لي ما اردته ثم راحوا من عندي و خلوني هنا
انوح وابكي عليها و هذه قصتي و سبب تعودي بين هذين القبرين
ثم انشد هذين البيتين

مَا الدَّارُ مُذْ غِبْتُمُوا يَا سَادَتِي دَارُ كَلَّا وَلَا ذَلِكَ الْجَارُ الرِّضِي جَارُ
وَلَا الْأَنِيسُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَعْهَدُهُ فِيهَا أَنِيسٌ وَلَا الْأَنْوَارُ أَنْوَارُ

فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من جانشاه تعجب و ادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما سمع هذا الكلام من
جانشاه تعجب وقال والله اني كنت اظن انني سحت و درت طائفا في
الارض والله اني نسيت الذي رأيته بما سمعته من قصتك ثم انه قال
لجانشاه اريد من فضلك و احسانك يا اخي انك تدلني على طريق
السلامة فدلّه على الطريق ثم و دّعه وسار وكل هذا لكلام تحكيه
ملكة الحيات لحاسب كريم الدين فقال لها حاسب كريم الدين كيف
عرفت هذه الاخبار فقالت له اعلم يا حاسب اني كنت ارسلت الى
بلاد مصر حية عظيمة من مدة خمسة و عشرين عاما و ارسلت
معها كتابا بالسلام على بلوقيا لتوصله اليه فراحت تلك الحية و اوصلته
الى بنت شموخ وكان لها بنت في ارض مصر فاخذت ذلك الكتاب
و سارت حتى وصلت الى مصر و سألت الناس عن بلوقيا فدلوها
عليه فلما اتت و رأته سلمت عليه و اعطته ذلك الكتاب فقرأه و فهم
معناه ثم قال للحية هل انت اتيت من عند ملكة الحيات قالت نعم

Digitized by Google

بكائك فردّ عليه جانشاه و قال له اعلم يا بلوقيا اننا كنا في اللذ عيش و اهناه واطيب سرور و اوفاه وكنا نقيم ببلادنا سنة و بقلعة جوهرتكنى سنة و لا نسير الاّ و نحن جالسون فوق التخت و الاعوان تحملـه و تطير به بين السماء و الارض فقال له بلوقيا يا اخي يا جانشـاه ما كان طول المسافة التي بين تلك القلعة و بين بلادكم فردّ عليه جانشاه و قال له كنا نقطع في كل يوم مسافة ثلثين شهرا وكنا نصل الى القلعة في عشرة ايام و لم نزل على هذه الحالة مدة من السنين فاتفق اننا سافرنا على عادتنا حتى وصلنا الى هذا المكان فنزلنا فيه بالتخت لنتفرج على هذه الجزيرة فجلسنا على شاطئ النهر و اكلنا و شربنا فقالت السيدة شمسة التي اريدان اغتسل في هذا النهر ثم نزعت ثيابها و نزع الجواري ثيابهن و نزلن في النهر و سبحن فيه ثم اني تمشيت على شاطئ النهر وتركت الجواري يلعبن فيه مع السيدة شمسة فاذا بقرش عظيم من دواب البحر ضربها في رجلها من دون الجواري فصرخت ووقعت ميتة من وقتها و ساعتها فطلعت الجواري من النهر هاربات الى الخيمة من ذلك القرش ثم ان بعض الجواري حملهـا و اتي بها الخيمة وهي ميتة فلمـا رأيتهـا ميتة وقعت مغشيا عليّ فرشوا وجهي بالماء فلما افقت بكيت عليها و امرت الاعوان ان يأخذوا التخت و يروحوا به الى اهلها و يعلموهم بماجرى لهـا فراحوا الى اهلها و اعلمـوهم بماجرى لها فلـم يغب اهلها الاّ قليـلا حتى اتوا هذا المكان فغسلوها وكفنوها و في هذا المكان دفنـوها و عملوا عزاءها و طلبوا ان يأخذوني معهم الى بلادهم فقلت لابيها اريد منك ان تحفر لي حفرة بجانب قبرها و اجعل تلك الحفرة قبرا لي لعلّي اذا مت ادفن فيها بجانبها فامر الملك شهلان عونا من

Digitized by Google

على هذا الحال والناس يأتونهم بالهدايا والتحف العظيمة مدة من الزمان ثم ان الملك عمل عرسا عظيما للسيدة شمسة مرة ثانية وامر بزينة المدينة وجلاها على جانشاه بالحلي والحلل الفاخرة ودخل جانشاه عليها واعطاها مائة جارية من السراري الحسان لخدمتها ثم بعد ذلك بايام توجهت السيدة شمسة الى الملك طيغموس وتشفعت عنده في الملك كفيد وقالت له اطلقه ليرجع الى بلاده وان حصل منه شر امرت احد الاعوان ان يخطفه ويأتيك به فقال لها سمعا وطاعة ثم ارسل الى شموال ان يحضر اليه بالملك كفيد فاتى به في السلاسل والاغلال فلما قدم عليه وقبل الارض بين يديه امر الملك ان يحلوه من تلك الاغلال فحلوه منها ثم اركبه على فرس عرجاء وقال له ان الملكة شمسة قد تشفعت فيك فاذهب الى بلادك وان عدت لما كنت عليه فانها ترسل اليك عونا من الاعوان فيأتي بك فسار الملك كفيد الى بلاده وهو في اسوء حال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك كفيد سار الى بلده وهو في اسوء حال ثم ان جانشاه قعد هو وابوه والسيدة شمسة في اللذ عيش واهناه واطيب سرور واوفاه * وكل هذا يحكيه الشاب الجالس بين القبرين لبلوقيا ثم قال له وها انا جانشاه الذي رأيت هذا كله يا اخي يا بلوقيا فتعجب بلوقيا من حكايته * ثم ان بلوقيا السائح في حب محمد صلى الله عليه وسلم قال لجانشاه يا اخي وما شان هذين القبرين وما سبب جلوسك بينهما وما سبب

Digitized by Google

فيتقطعون قطعا هذا و جانشاه و والده و السيدة شمسة ينظرون اليهم و يتفرجون على القتال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان طيغموس هو وابنه جانشاه و زوجته السيدة شمسة ارتقوا الى اعلى القصر و صاروا يتفرجون على قتال الاعوان مع عسكر الملك كفيد و صار الملك كفيد ينظر اليهم و هو فوق التخت و يبكي و ما زال القتل في عسكره مدة يومين حتى قطعوا عن آخرهم ثم ان جانشاه امر الاعوان ان يأتوا بالتخت وينزلوا به الى الارض في وسط قلعة الملك طيغموس فاتوا به و فعلوا ما امرهم به سيدهم الملك جانشاه ثم ان الملك طيغموس امر عونا من الاعوان يقال له شموال ان يأخذ الملك كفيد و يجعله في السلاسل و الاغلال و يسجنه في البرج الاسود ففعل شموال ما امره به ثم ان الملك طيغموس امر بضرب الكاسات و ارسل المبشرين الى ام جانشاه فذهبوا واعلموها بان ابنها اتى و فعل هذه الافعال ففرحت بذلك وركبت و اتت فلما رأها جانشاه ضمها الى صدره فوقعت مغشية عليها من شدة الفرح فرشوا وجهها بماء الورد فلما افاقت عانقته و بكت من فرط السرور و لما علمت السيدة شمسة بقدومها قامت تتمشى حتى وصلت اليها و سلمت عليها و عانق بعضهما بعضا ساعة من الزمان ثم جلستا تتحدثان وفتح الملك طيغموس ابواب المدينة وارسل المبشرين الى جميع البلاد فنشروا البشائر فيها ووردت عليه الهدايا والتحف العظيمة و صار الامراء و العساكر و الملوك الذين في البلدان يأتون ليسلموا عليه و يهنوه بتلك النصرة و بسلامة ابنه و مازالوا

Digitized by Google

و نصبوا الخيمة على التخت و صبروا الى نصف الليل ثم هجموا على الملك كفيد و عساكره و صاروا يقتلونهم و صار الواحد يأخذ عشرة او ثمانية و هم على ظهر الفيل و يطير بهم الى الجو ثم يلقيهم فيتمزقون فى الهواء وكان بعض الاعوان يضرب العساكر بالعمد الحديد ثم ان العون الذي اسمه قراطش ذهب من وقته الى خيمة الملك كفيد فهجم عليه و هو جالس فوق السرير و اخذه و طار به الى الجو فزعق من هيبة ذلك العون ولم يزل طائرا به حتى وضعه على التخت قدام جانشاه فامر الاعوان الاربعة ان يقتلعوا بالتخت وينصبوه فى الهواء فلم ينتبه الملك كفيد الا و قد رأى نفسه ما بين السماء و الارض فصار يلطم وجهه و يتعجب من ذلك هذا ما كان من امر الملك كفيد * و اما ما كان من امر الملك طيغموس فانه لما رأى ابنه كاد يموت من شدة الفرح و صاح صيحة عظيمة و وقع مغشيا عليه فرشّوا وجهه بماء الورد فلما افاق تعانق هو و ابنه و بكيا بكاء شديدا و لم يعلم الملك طيغموس بان الاعوان في قتال الملك كفيد و بعد ذلك قامت السيدة شمسة وتمشت حتى وصلت الى الملك طيغموس اب جانشاه و قبلت يديه و قالت له يا سيدي اصعد الى اعلى القصر و تفرّج على قتال اعوان ابي فصعد الملك الى اعلى القصر و جلس هو و السيدة شمسة يتفرجان على حرب الاعوان و ذلك انهم صاروا يضربون في العساكر طولا و عرضا و كان منهم من يأخذ العمود الحديد و يضرب به الفيل فينهرس الفيل و الذي على ظهره حتى صارت الفيلة لا تتميز من الآدميين و منهم من يجيء جماعة و هم هاربون فيصيح في وجوههم فيسقطون ميتين و منهم من يقبض على نحو العشرين فارسا و يقتلع بهم الى الجو و يلقيهم الى الارض

Digitized by Google

تلك المدينة مدينة الملك طيغموس فنزلوا عليها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان الاعوان نزلوا على مدينـــة الملك طيغموس و معهم جانشاه و السيدة شمسة وكان الملك طيغموس قد انهزم من الاعداء وهرب في مدينته و صار في حصر عظيـــم و ضيّق عليه الملك كفيد و طلب الامان من الملك كفيد فلم يؤمنه فلما علم الملك طيغموس انه لم يبق له حيلة فى الخـــلاص من الملك كفيد اراد ان يخنق روحه حتى يموت و يستـــريح من ذلك الهم و الحزن و قام و ودع الوزراء و الامراء و دخـــل بيته ليودع الحريم و صارت اهل مملكته في بكاء و نواح و عزاء و صياح فبينما هو في ذلك الامر اذا بالاعوان قد اقبلوا على القصر الذي في داخل القلعة و امرهم جانشاه ان ينزلوا بالتخت في وسط الديوان ففعلوا ما امرهم به جانشاه و نزلت السيدة شمسة مع جانشاه و الجواري و المماليك فرأوا جميع اهل المدينة في حصر و ضيق و كرب عظيم فقال جانشاه للسيدة شمسة يا حبيبة قلبي و قرة عيني انظري الى ابي كيف هو في اسوأ حال فلما رأت السيدة شمسة اباه و اهل مملكته في ذلك الحال امرت الاعوان ان يضربوا العسكر الذين حاصروهـــم ضربا شديدا و يقتلوهـــم و قالت للاعوان لا تبقوا منهم احدا ثم ان جانشاه او ما الى عون من الاعوان شديد البأس اسمه قَراطَش و امره ان يجيء بالملك كفيد مقيدا ثم ان الاعوان ساروا اليه و اخـــذوا ذلك التخت معهم و ما زالوا سائرين حتى حطوا التخت فوق الارض

Digitized by Google

شمسة سمعا وطاعة ولما امسى المساء دخلت على ابيها وذكرت له ما قاله جانشاه لها فقال لها سمعا وطاعة ولكن اصبر الى اول الشهر حتى نجهز لكما الاعوان فاخبرت جانشاه بما قاله ابوها وصبر المدة التي عيّنها وبعد ذلك اذن الملك شهلان للاعوان ان يخرجوا في خدمة السيدة شمسة وجانشاه حتى يوصلوهما الى بلاد جانشاه وقد جهز لهما تختا عظيما من الذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر فوقه خيمة من الحرير الاخضر منقوشة بسائر الالوان مرصعة بنفيس الجواهر يحار في حسنها النواظر فطلع جانشاه هو والسيدة شمسة فوق ذلك التخت ثم انتخب من الاعوان اربعة ليحملوا ذلك التخت فحملوه وصار كل واحد منهم في جهة من جهاته وجانشاه والسيدة شمسة فوقه ثم ان السيدة شمسة ودعت امها وابا ها واخواتها واهلها وقد ركب ابوها وسار مع جانشاه وسارت الاعوان بذلك التخت ولم يزل الملك شهلان سائرا معهم الى وسط النهار ثم حطت الاعوان ذلك التخت ونزلوا وودعوا بعضهم بعضا وصار الملك شهلان يوصي جانشاه على السيدة شمسة ويوصي الاعوان عليهما ثم امر الاعوان بان يحملوا التخت فودعت السيدة شمسة اباها وكذلك ودعه جانشاه وسارا ورجع ابوها وكان ابوها قد اعطاها ثلثمائة جارية من السراري الحسان واعطى جانشاه ثلثمائة مملوك من اولاد الجان ثم انهم ساروا من ذلك الوقت بعد ان طلعوا باجمعهم على ذلك التخت والاعوان الاربعة قد حملته وطارت به بين السماء والارض وصاروا يسيرون في كل يوم مسيرة ثلثين شهرا ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة مدة عشرة ايام وكان في الاعوان عون يعرف بلاد كابل فلما رأها امرهم ان ينزلوا على المدينة الكبيرة في تلك البلاد وكانت

Digitized by Google

عاصون على جميع الملوك وما احد عرف طريق هذا المكان ولا سمع به فاخبرها بجميع ماجرى له وكيف اتى واعلمهم بما جرى لابيه مع الملك كفيد واخبرهم بما قاسـاه في الطريق ومارأه من الاهوال والعجائب وقال لها كل هذا كان من اجلك ياسيدتي شمسة فقالت له امها قد بلغت المراد والسيدة شمسة جارية نهديها اليك فلما سمع ذلك جانشاه فرح فرحا شديدا فقالت له بعد ذلك ان شاء الله تعالى في الشهر القابل ننصب الفرح ونعمل العرس ونزوجك بها ثم تذهب بها الى بلادك ونعطيك الف مارد من الاعوان لو اذنت لاقلّ من فيهم في ان يقتل الملك كفيد هو وقومه لفعل ذلك في لحظة وفي كل عام نرسل اليك قوما اذا امرت واحدا منهم باهلاك اعدائك جميعا اهلكهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان ام السيدة شمسة قالت له وفي كل عام نرسل اليك قوما اذا امرت واحدا منهم باهلاك اعدائك جميعا اهلكهم عن آخرهم ثم ان الملك شهـلان جلس فوق التخت وامر ارباب الدولة ان يعملوا فرحا عظيما ويزينوا المدينة سبعة ايام ولياليها فقالوا له سمعا وطاعة ثم ذهبوا في ذلك الوقت واخذوا في تجهيز الاهبة للفرح ومكثوا في التجهيز مدة شهرين وبعد ذلك عملوا عرسـا للسيدة شمسة حتى صار فرحا عظيما لم يكن مثله ثم ادخلوا جانشـاه على السيدة شمسة واستمرّ معهـا مدة سنتين في اللّذ عيش واهنـاه واكل وشرب ثم بعد ذلك قال للسيدة شمسة ان اباك قد وعـدنا بالذهاب الى بلادي وان نقعد هناك سنة وهنا سنة فقالت السيدة

Digitized by Google

والزبرجد و الزمرد فمرصع في الارض فصار يتعجب من ذلك ويبكي و الملك وام السيدة شمسة يمسحان دموعه و يقولان له قلّل من البكاء ولاتحمل هما واعلم انك قد وصلت الى مرادك ثم انه لما وصل الى وسط المكان لاقته الجواري الحسان و العبيد و الغلمان و اجلسوه في احسن مكان ووقفوا في خدمته وهو متحير في حسن ذلك المكان و حيطانه التي بنيت من جميع المعادن ونفيس الجواهر وانصرف الملك شهلان الى محل جلوسه وامر الجواري و الغلمان ان يأتوه بجانشاه ليجلس عنده فاخذوه ودخلوا به عليه فقام الملك اليه واجلسه على تخته بجانبه ثم انهم اتوا بالسماط فاكلوا وشربوا ثم غسلوا ايديهم وبعد ذلك اقبلت عليه ام السيدة شمسة فسلمت عليه ورحبت به و قالت له قد بلغت المقصود بعد التعب و نامت عينك بعد السهر والحمد لله على سلامتك ثم ذهبت من وقتها الى بنتها السيدة شمسة فاتت بها جانشاه فلما اقبلت عليه السيدة شمسة سلمت عليه و قبلت يديه و اطرقت برأسها خجلا منه و من امها وابيها واتت اخواتها اللاتي كن معها في القصر وقبلن يديه وسلمن عليه ثم ان ام السيدة شمسة قالت له مرحبا بك يا ولدي و لكن بنتي شمسة قد اخطأت في حقك ولا تؤاخذها بما فعلت معك لاجلنا * فلما سمع جانشاه منها ذلك الكلام صاح و وقع مغشيا عليه فتعجب الملك منه ثم انهم رشّوا و جهه بماء الورد الممزوج بالمسك و الزباد فافاق و نظر الى السيدة شمسة و قال الحمد لله الذي بلغني مرادي واطفأ ناري حتى لم يبق في قلبي نار فقالت له السيدة شمسة سلامتك من النار و لكن يا جانشاه اريدان تحكي لي على ما جرى لك بعد فراقي وكيف اتيت هذا المكان مع ان اكثر الجان لا يعرفون قلعة جوهر تكنى وفحن

Digitized by Google

تعلقت بحسنها و جمالها و كنت احبها محبة عظيمة ثم انها هربت مني بعد دخولها في قصر والدي و حكى له جميع ما جرى له معها و صار جانشاه يكلم المارد و يبكي فلما نظر العون الى جانشاه و هو يبكي احرق قلبه و قال له لا تبكِ فانك قد وصلت الى مرادك و اعلم انها تحبك محبة عظيمة و قد اعلمتْ ابا ها و امها بمحبتك لها و كل من في القلعة يحبك لاجلها فطب نفسا و قرّ عينا ثم ان المارد حمله على كاهليه و سار به حتى وصل الى قلعة جوهر تكنى و ذهب المبشرون الى الملك شهلان و الى السيدة شمسة و الى امها يبشرونهم بمجيءُ جانشاه و لما جاءتهم البشائر بذلك فرحوا فرحا عظيما ثم ان الملك شهلان امر جميع الاعوان ان يلاقوا جانشاه وركب هو و جميع الاعوان و العفاريت و المردة الى ملاقاة جانشاه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك ركب هو و جميع الاعوان و العفاريت و المردة الى ملاقاة جانشاه فلما اقبل الملك شهلان ابو السيدة شمسة على جانشاه عانقه ثم ان جانشاه قبل يدي الملك شهلان و امر له الملك بخلعة عظيمة من الحرير مختلفة الالوان مطرزة بالذهب مرصعة بالجوهر ثم البسه التاج الذي ما رأى مثله احد من ملوك الانس ثم امر بفرس عظيمة من خيل ملوك الجان فاركبها ثم ركب و الاعوان عن يمينه و شماله و سار هو والملك في موكب عظيم حتى اتوا باب القصر فنزل جانشاه في ذلك القصر فرأه قصرا عظيما حيطانه مبنية بالجواهر واليواقيت و نفيس المعادن و اما البلور

Digitized by Google

اعرف و راء هذا المكان ارضا فغلب على جانشاه النوم فنام في رأس ذلك الجبل فلما افاق من النوم رأى بريقا على بعد يملأ نوره الجو فصار متحيرا في نفسه من ذلك اللمعان و البريق و لم يدر انه لمعان القلعة التي هو يفتش عنها و كان بينه و بينها مسيرة شهرين و هي مبنية من الياقوت الاحمر و بيوتها من الذهب الاصفر و لها الف برج مبنية من المعادن النفيسة التي تخرج من بحر الظلمات و لهذا سميت بالقلعة جوهر تكنى لانها من نفيس الجواهر و المعادن وكانت قلعة عظيمة و اسم ملكها شهلان و هو ابو البنات الثلث هذا ما كان من امر جانشاه * و اما ما كان من امر السيدة شمسة فانها لما هربت من عند جانشاه وراحت عند ابيها و امها و اهلها اخبرت بماجرى لها مع جانشاه وحكت لهم حكايته و اعلمتهم انه ساح في الارض ورأى العجائب و عرفتهم بمحبته لها و محبتها له و بما وقع بينهما فلما سمع ابو ها و امها منها هذا الكلام قالا لها ما يحل لك من الله ان تفعلي معه هذا الامر ثم ان ابا ها حكى هذه المسألة لاعوانه من مردة الجان و قال لهم كل من رأى انسيا فليأتني به وكانت السيدة شمسة اخبرت امها ان جانشاه مغرم بها و قالت لها لابد من انه يأتينا لاني لما طرت من فوق قصر ابيه قلت له ان كنت تحبني فتعال في قلعة جوهر تكنى ثم ان جانشاه لما رأى ذلك البريق و اللمعان قصد نحوه ليعرف ما هو وكانت السيدة شمسة قد ارسلت عونا من الاعوان في شغل بناحية جبل قرموس فبينما ذلك العون سائر اذا هو ينظر من بعيد الى شخص انسي فلما رأه اقبل نحوه و سلم عليه فخاف جانشاه من ذلك العون و لكنه رد عليه السلام فقال له العون ما اسمك فقال له اسمي جانشاه وكنت قبضت على جنية اسمها السيدة شمسة لاني

Digitized by Google

انهما سرحا يوما من الايام و غابا عنا سبعة ايام فاشتد علينا الجوع ثم اتيا في اليوم الثامن و هما يبكيان فقلنا لهما ما سبب بكما عنا فقالا انه خرج علينا مارد فخطفنا و ذهب بنا الى قلعة جوهر تكنى و اوصلنا الي الملك شهلان فلما رأنا الملك شهلان اراد قتلنا فقلنا له ان وراءنا فراخا صغارا فاعتقنا من القتل و لو كان ابي وامي في قيد الحيوة لكانا اخبراكم عن القلعة فلما سمع جانشاه هذا الكلام بكى بكاء شديدا و قال للراهب اريد منك ان تأمر هذا الطير ان يوصلني الى نحو وكر ابيه و امه في جبل البلور خلف جبل قاف فقال الراهب للطير ايها الطير اريد منك ان تطيع هذا الولد في جميع ما يأمرك به فقال الطير للراهب سمعا وطاعة لما تقول ثم ان ذلك الطير اركب جانشاه على ظهره و طار و لم يزل طائرا به اياما و ليالي حتى اقبل على جبل البلور ثم نزل به هناك و مكث برهة من الزمان ثم اركبه على ظهره و طار و لم يزل طائرا به مدة يومين حتى وصل الى الارض التي فيها الوكر و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الطير لم يزل طائرا بجانشاه مدة يومين حتى وصل به الى الارض التي فيها الوكر و نزل به هناك ثم قال له ياجانشاه هذا الوكر الذي كنا فيه فبكى جانشاه بكاء شديدا وقال للطير اريد منك ان تحملني و توصلني الى الناحية التي كان ابوك و امك يذهبان اليها و يجيئان منها بالرزق فقال له الطير سمعا و طاعة يا جانشاه ثم حمله و طار به و لم يزل طائرا سبع ليال و ثمانية ايام حتى وصل به الى جبل عال ثم انزله من فوق ظهره و قال له ما بقيت

Digitized by Google

على ظهر ذلك الطير امرة الملك شماخ ان يوصله الى الراهب يغموس فاخذه على ظهره و سار به ليالي و اياما حتى وصل الى جبل القلع و ديرالماس فنزل جانشاه عند ذلك الدير فرأى يغموس الراهب داخل الكنيسة و هو يتعبّد فيها فتقدم جانشاه اليه و قبل الارض و وقف بين يديه فلما رأه راهب قال له مرحبـــابك يا ولدي يا غريب الديار و بعيد المزار اخبرني ما سبب مجيئك هذا المكان فبكى جانشاه و حكى له حكايته من الاول الى الأخر فلما سمع الراهب الحكاية تعجب غاية العجب و قال له والله يا ولدي عمري ما سمعت بهذه القلعة و لا رأيت من سمع بها او رأها مع اني كنت موجودا على عهد نوح بني الله عليه السلام و حكمت من عهد نوح الى زمن السيد سليمان بن داؤد على الوحوش و الطيور و الجن و ما اظن ان سليمان سمع بهذه القلعة و لكن اصبر يا ولدي حتى تأتي الطيور و الوحوش و اعوان الجان و اسألهم لعل احد منهم يخبرنا بها و يأتينا بخبر عنها و يعون الله تعالى عليك فقعد جانشاه مدة من الزمان عند الراهب فبينما هو قاعد اذا قبلت عليه الطيور و الوحوش و الجان اجمعون و صار جانشاه و الراهب يسألونهم عن قلعة جوهر تكني فما احد منهم قال انا رأيتها او سمعت بها بل كان كل منهم يقول لا رأيت هذه القلعة و لا سمعت بها فصار جانشاه يبكي و ينوح و يتضرّع الى الله تعالى و بينما هو كذلك اذا بطير قد اقبل آخر الطيور و هو اسود اللون عظيم الخلقة ولما نزل من اعلى البوجاء و قبل يدى الراهب فسأله عن قلعة جوهر تكني فقال له الطير ايها الراهب اننا كنا ساكنين خلف جبل قاف بجبل البلور في بر عظيم و كنت انا و اخوتي فراخا صغارا و ابي و امي كانا يسرحان في كل يوم و يجيئان برزقنا فاتفق

Digitized by Google

السيد سليمان فهو اسرني عنده و ما غلبني سوى هذا الراهب من شدة مكره و اتسامه و سحره و قد بقيت في خدمته و اعلم انه ساح في جميع البلاد و الاقاليم و عرف جميع الطرق و الجهات و الاماكن و القلاع و المدائن و ما اظن انه يخفى عليه مكان فانا ارسلك اليه لعلّه يدلّك على هذه القلعة و ان لم يدلّك هو عليها فما يدلّك عليها احد لانه قد اطاعته الطيور و الوحوش و الجبال و كلهم يأتونه و من شدة سحره قد اصطنع له عُكّازة ثلث قطع فيغرزها فى الارض و يتلو القَسَم على القطعة الاولى من العكازة فيخرج منها لحم و يخرج منها دم و يتلو القَسَم على القطعة الثانية فيخرج منها لبن حليب و يتلوا القسم على القطعة الثالثة فيخرج منها قمح و شعير وبعد ذلك يخرج العكازة من الارض ثم يذهب الى ديره وديره يسمى ديرالماس و هذا الراهب انكاهن يخرج من يده اختراع كل صنعة غريبة وهو ساحر كاهن ماكر مخادع خبيث و اسمه يَغْموس و قد حوى جميع الاتسام و العزائم و لا بد من ان ارسلك اليه مع طير عظيم له اربعة اجنحة و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك شماخ قال لجانشاه و لابد من ان ارسلك الى الراهب مع طير عظيم ثم اركبه على ظهر طير عظيم له اربعة اجنحة طول كل جناح منها ثلثون ذراعا بالهاشمي وله ارجل مثل ارجل الفيل لكنه لا يطير فى السنة الّا مرتين وكان عند الملك شماخ عون يقال له طَمْشون كل يوم يخطف لهذا الطير بختيتين من بلاد العراق و يفسخهما له ليأكلهما فلما ركب جانشاه

Digitized by Google

احفظ ما في هذه الالواح واذا جاءت الوحوش نسألها عن تلك القلعة فما مضى غير ساعة حتى اقبلت الوحوش نوعا بعد نوع وصاروا يسلمون على الملك شاه بدري ثم انه سألها عن قلعة جوهر تكنى فقالوا له جميعا ما نعرف هذه القلعة ولا سمعنا بها فبكى جانشاه وتأسف على عدم ذهابه مع الطير الذى اتي به من عند الشيخ نصر فقال له ملك الوحوش يا ولدي لاتحمل همّا ان لي اخا اكبر مني يقال له الملك شَمّاخ وكان اسيرا عند السيد سليمان لانه كان عاصيا عليه وليس احد من الجن اكبر منه هو والشيخ نصر فلعله يعرف هذه القلعة وهو يحكم على الجان الذين في هذه البلاد ثم اركبه ملك الوحوش على ظهر وحش منها وارسل معه كتابا الى اخيه بالوصية عليه ثم ان ذلك الوحش سار من وقته وساعته ولم يزل سائرا بجانشاه ايا ما وليا لي حتى وصل الى الملك شماخ فوقف ذلك الوحش في مكان وحده بعيدا من الملك ثم نزل جانشاه من فوق ظهره و صار يتمشى حتى وصل الى حضرة الملك شماخ فقبل يديه و ناوله الكتاب فقرأه و عرف معناه و رحب به و قال له والله يا ولدي ان هذه القلعة عمري ما سمعت بها و لا رأيتها فبكى جانشاه وتحسّر فقال الملك شماخ احك لي حكايتك واخبرني من انت و من اين اتيت و الى اين تذهب فاخبره بجميع ماجرى له من الاول الى الآخر فتعجب شماخ من ذلك و قال له يا ولدي ما اظن ان السيد سليمان في عمره سمع بهذه القلعة و لا رآها و لكن يا ولدي انا اعرف راهبا في الجبل و هو كبير في العمر وقد اطاعته جميع الطيور والوحوش و الجان من كثرة اقسامه لانه ما زال يتلو الاقسام على ملوك الجن حتى اطاعوه قهرا عنهم من شدة تلك الاقسام و السحر الذي عنده و جميع الطيور و الوحوش تسير الى خدمته و ها انا قد كنت عصيت

Digitized by Google

السيد سليمان فهو اسرني عنده و ما غلبني سوى هذا الراهب من شدة مكره و اتسامه و سحره و قد بقيت في خدمته و اعلم انه ساح في جميع البلاد و الاقاليم و عرف جميع الطرق و الجهات و الاماكن و القلاع و المدائن و ما اظن انه يخفى عليه مكان فانا ارسلك اليه لعلّه يدلّك على هذه القلعة و ان لم يدلّك هو عليها فما يدلّك عليها احد لانه قد اطاعته الطيور و الوحوش و الجبال و كلهم يأتونه و من شدة سحره قد اصطنع له عُكّازة ثلث قطع فيغرزها فى الارض و يتلو القَسَم على القطعة الاولى من العكازة فيخرج منها لحم و يخرج منها دم و يتلو القَسَم على القطعة الثانية فيخرج منها لبن حليب و يتلوا القسم على القطعة الثالثة فيخرج منها قمح و شعير وبعد ذلك يخرج العكازة من الارض ثم يذهب الى ديره وديره يسمى ديرالماس و هذا الراهب انكاهن يخرج من يده اختراع كل صنعة غريبة وهو ساحر كاهن ماكر مخادع خبيث و اسمه يَغْموس و قد حوى جميع الاتسام و العزائم و لا بد من ان ارسلك اليه مع طير عظيم له اربعة اجنحة و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك شماع قال لجانشاه و لابد من ان ارسلك الى الراهب مع طير عظيم ثم اركبه على ظهر طير عظيم له اربعة اجنحة طول كل جناح منها ثلثون ذراعا بالهاشمي وله ارجل مثل ارجل الفيل لكنه لا يطير فى السنة الّا مرتين وكان عند الملك شماع عون يقال له طَمْشون كل يوم يخطف لهذا الطير بختيتين من بلاد العراق و يفسخهما له ليأكلهما فلما ركب جانشاه

Digitized by Google

احفظ ما في هذه الالواح واذا جاءت الوحوش نسألها عن تلك القلعة فما مضى غير ساعة حتى اقبلت الوحوش نوعا بعد نوع وصاروا يسلمون على الملك شاه بدري ثم انه سألها عن قلعة جوهر تكنى فقالوا له جميعا ما نعرف هذه القلعة ولا سمعنا بها فبكى جانشاه وتأسف على عدم ذهابه مع الطير الذى اتي به من عند الشيخ نصر فقال له ملك الوحوش يا ولدي لاتحمل همّا ان لي اخا اكبر مني يقال له الملك شَمّاخ وكان اسيرا عند السيد سليمان لانه كان عاصيا عليه وليس احد من الجن اكبر منه هو والشيخ نصر فلعله يعرف هذه القلعة وهو يحكم على الجان الذين في هذه البلاد ثم اركبه ملك الوحوش على ظهر وحش منها وارسل معه كتابا الى اخيه بالوصية عليه ثم ان ذلك الوحش سار من وقته وساعته ولم يزل سائرا بجانشاه ايا ما وليا لي حتى وصل الى الملك شماخ فوقف ذلك الوحش في مكان وحده بعيدا من الملك ثم نزل جانشاه من فوق ظهره و صار يتمشى حتى وصل الى حضرة الملك شماخ فقبل يديه و ناوله الكتاب فقرأه و عرف معناه و رحب به و قال له والله يا ولدي ان هذه القلعة عمري ما سمعت بها و لا رأيتها فبكى جانشاه وتحسّر فقال الملك شماخ احك لي حكايتك واخبرني من انت و من اين اتيت و الى اين تذهب فاخبره بجميع ماجرى له من الاول الى الآخر فتعجب شماخ من ذلك و قال له يا ولدي ما اظن ان السيد سليمان في عمره سمع بهذه القلعة و لا رآها و لكن يا ولدي انا اعرف راهبا في الجبل و هو كبير في العمر وقد اطاعته جميع الطيور والوحوش و الجان من كثرة اقسامه لانه ما زال يتلو الاقسام على ملوك الجن حتى اطاعوه قهرا عنهم من شدة تلك الاقسام و السحر الذي عنده و جميع الطيور و الوحوش تسير الى خدمته و ها انا قد كنت عصيت

Digitized by Google

واقبل على الطيور فجاءت الطيور و سلمت على الشيخ نصر نوعا بعد نوع ثم سألها عن قلعة جوهر تكنى فقال كل منها ما سمعت بهذه القعلة طول عمري فبكى جانشاه وتحسّر ووقع مغشيا عليه فطلب الشيخ نصر طيرا عظيما وقال له اوصل هذا الشاب الى بلاد كابل ووصف له البلاد و طريقها فقال له سمعا و طاعة ثم ركب جانشـــاه على ظهره و قال له احترس على نفسك و اياك ان تميل فتقطع فى الهواء و سـدّا ذنيك من الريح لئلا يضرّك جري الافلاك ودوي المحار فقبل جانشاه ما قاله الشيخ نصر ثم اقتلع به الطير وعلا الى الجوّ و سار به يوما وليلة ثم نزل به عند ملك الوحوش واسمه شاه بدري فقال الطير لجـانشاه قد تهنا عن البلاد التي وصفها الشيخ نصر و اراهان ياخذ جانشاه ويطير به فقال له جانشاه اذهب الى حال سبيلك واتركني في هذه الارض حتى اموت فيها او اصل الى قلعة جوهر تكنى ولا اروح الى بلادي فتركه الطير عند ملك الوحوش شاه بدري و ذهب الى حال سبيله ثم ان شاه بدري سأل له وقال له يا ولدي من انت و من اين اقبلت مع هذا الطير العظيم فحكى له جميع ماجرى له من الاول الى الأخر فتعجب ملك الوحوش من حكايته فقال له وحق السيد سليمان اني ما اعرف هذه القلعة و كل من دلّنا عليها نكرمه ونرسلك اليها فبكى جانشاه بكاء شديدا وصبر مدة قليلة وبعـد ها اتاه ملك الوحوش و هو شاه بدري و قال له قم يا ولدي وخذ هذه الالواح واحفظ الذى فيها و اذا اتت الوحوش نسألها عن تلك القلعة و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شاه بدري ملك الوحوش قال لجانشاه

Digitized by Google

بي الى هذا المكان و اردت هلاكي و الله لا ارمي لك بشيء ثم ان جانشاه سار و قصد الطريق التي توصل الى الشيخ نصر ملك الطيور و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جانشاه سار و قصد الطريق التي توصل الى الشيخ نصر ملك الطيور ولم يزل سائرا ايامًا ولياليَ وهو باكي العين حزين القلب واذا جاع يأكل من نبات الارض و اذا عطش يشرب من انهارها حتى وصل الى قصر السيد سليمان فرأى الشيخ نصر جالسًا على باب القصر فاقبل عليه و قبل يديه فرحب به الشيخ نصر و سلم عليه ثم قال له يا ولدي ما خبرك حتى جئت هذا المكان وكنت قد توجهت من هنا مع السيدة شمسة وانت قرير العين منشرح الصدر فبكى جانشاه وحكى له ما جرى من السيدة شمسة لما طارت و قالت له ان كنت تحبني تعال عندي في قلعة جوهر تكني فتعجب الشيخ نصر من ذلك و قال والله يا ولدي ما اعرفها وحق السيد سليمان ولا سمعت بهذا الاسم طول عمري فقال جانشاه كيف اعمل وقد مُتُّ من العشق و الغرام فقال له الشيخ نصر اصبر حتى تأتي الطيور و نسألهم عن قلعة جوهر تكني لعل احد منهم يعرفها فاطمأنّ قلب جانشاه ودخل القصر وذهب الى المقصورة المشتملة على البحيرة التي رأى فيها البنات الثلث ومكث عند الشيخ نصر مدة من الزمان فبينما هو جالس على عادته اذ قال له الشيخ نصر يا ولدي انه قد قرب مجيء الطير ففرح جانشاه بذلك الخبر ولم يمض الايام قلائل حتى اقبلت الطيور فجاء الشيخ نصر جانشاه و قال له يا ولدي تعلم هذه الاسماء

Digitized by Google

ويعمل عند ناشغل نصف يوم فقال جانشاه انا اعمل هذا الشغل فقال له المنادي اتبعني فتبعه حتى وصل الى بيت اليهودي التاجر الذي وصل اليه اول مرة ثم قال المنادي لصاحب البيت ان هذا الولد يعمل الشغل الذى تريد فرحب به التاجر وقال له مرحبابك واخذه ودخل به الى الحريم واتاه بالاكل والشرب فاكل جانشاه وشرب ثم ان التاجر قدم له الدنانير والجارية الحسنة وبات معها تلك الليلة ولما اصبح الصباح اخذ الدنانير والجارية وسلّمهما لليهودي الذي بات في بيته اول مرة ثم رجع الى التاجر صاحب الشغل فركب معه وساراحتى وصلا الى جبل عال شاهق في العلو ثم ان التاجر اخرج حبلا وسكّينا وقال لجانشاه ارم هذا الفرس على الارض فرماها وكتفها بالحبل وسلخها وقطع قوائمها وراسها وشق بطنها كما امره التاجر ثم قال التاجر لجانشاه ادخل بطن هذه الفرس حتى اخيطه عليك ومهمارأيته فيه فقل لي عليه فهذا الشغل الذي اخذت اجرته فدخل جانشاه بطن الفرس وخاطه عليه التاجر ثم ذهب الى محل بعيد عن الفرس واختفى فيه وبعد ساعة اقبل طير عظيم ونزل من الجوّ وخطف الفرس وارتفع بها الى عنان السماء ثم نزل على رأس الجبل فلما استقرّ على رأس الجبل اراد ان ياكل الفرس فلما احس به جانشاه شق بطن الفرس وخرج فجفل الطير منه وطار الى حال سبيله فطلع جانشاه ونظر الى التاجر فرآه واقفا تحت الجبل مثل العصفور فقال له ما تريد ايها التاجر فقال له ارم لي بشيء من هذه الحجارة التي حواليك حتى ادلك على الطريق التي تنزل منها فقال له جانشاه انت الذي فعلت بي كيت وكيت من مدة خمس سنين وقد قاسيت جوعا وعطشا وحصل لي تعب عظيم وشركنيروها انت عدت

Digitized by Google

ماكان من امر جانشاه فانه لم يزل سائرا يقطع البر راي والقفار وكلما وصل الى بلد من البلاد سأل عن قلعة جوهر تكنى فلم يخبره احد بها وانما يقولون له اننا لم نسمع بهذا الاسم اصلا ثم انه سأل عن مدينة اليهود فاخبره رجل من التجار انها في اطراف بلاد المشرق وقال له في هذا الشهر سرمعنا الى مدينة مزرقان وهي فى الهند ومن تلك المدينة نذهب الى خراسان ثم نسافر من هناك الى مدينة شمعون ومنها الى خوارزم وتبقى مدينة اليهود قريبة من خوارزم فان بينها وبينها مسافة سنة وثلثة اشهر فصبر جانشاه حتى سافرت القافلة وسافر معها الى ان وصل الى مدينة مزرقان ولما دخل تلك المدينة صار يسأل عن قلعة جوهر تكنى فلم يخبره بها احد وسافرت القافلة وسافر معها الى الهند ودخل المدينة وسأل عن قلعة جوهر تكنى فلم يخبره بها احد وقالوا ما سمعنا بهذا الاسم اصلا وقاسى فى الطريق شدة عظيمة واهوالا صعبة وجوعا وعطشا ثم سافر من الهند ولم يزل مسافرا حتى وصل الى بلاد خراسان وانتهى الى مدينة شمعون ودخلها وسأل عن مدينة اليهود فاخبروه عنها ووصفوا له طريقها فسافر اياما وليالي حتى وصل الى المكان الذي هرب فيه من القردة ثم مشى اياما وليالي حتى وصل الى النهر الذي بجانب مدينة اليهود وجلس على شاطئه وصبر الى يوم السبت حتى نشف بقدرة الله تعالى فعدى منه وذهب الى بيت اليهودي الذي كان فيه اول مرة فسلم عليه هو واهل بيته وفرحوا به واتوه بالاكل والشرب ثم قالوا له اين كانت غيبتك فقال لهم في ملك الله تعالى ثم بات تلك الليلة عندهم ولما كان الغدد ار فى المدينة يتفرج فراى مناديا ينادي ويقول يا معشر الناس من يأخذ الف دينار وجارية حسنة

Digitized by Google

بغداد اسير مع القافلة حتى اصل الى مدينة اليهود و صممت نفسه على ذلك و سار الى حال سبيله فلما استيقظ العساكر من نومهم و لم يروا جانشاه ولا جواده ركبوا وساروا يفتشون على جانشاه يمينا و شمالا فلم يجدوا له خبرا فرجعوا الى ابيه واعلموه بما فعل ابنه فغضب غضبا شديدا وكاد الشرار يطلع من فيه ورمى بتاجه من فوق رأسه وقال لا حول و لا قوة الا بالله قد فقدت ولدي و العدو قبالتي فقال له الملوك و الوزراء اصبر يا ملك الزمان فما بعد الصبر الا الخير ثم ان جانشاه صار من اجل ابيه و فراق محبوبته حزينا مهموما جريح القلب قريح العين سهران الليل والنهار * و اما ابوه فانه لما علم بفقد جميع عساكره وجيوشه رجع عن حرب عدوه وتوجه الى مدينته و دخلها و غلق ابوابها و حصن اسوارها و صارها ربا من الملك كفيد و صار كفيد في كل شهر يجيء المدينة طالبا القتال و الخصام ويقعد عليها سبع ليالي و ثمانية ايام وبعد ذلك يأخذ عسكره و يرجع بهم الى الخيام ليد اوا المجر وحبين من الرجال * فاما اهل مدينة الملك طيغموس فانهم عند انصراف العدو عنهم يشتغلون باصلاح السلاح وتحصين الاسوار و تهيئة المنجنيقات ومكث الملك طيغموس و الملك كفيد على هذه الحالة سبع سنين والحرب مستمرة بينهما و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك طيغموس مكث هو و الملك كفيد على هذه الحالة سبع سنين هذا ما كان من امرهما * واما

Digitized by Google

الخبرة فقالوا سمعا و طاعة ثم ذهبوا و رجعوا و قالوا ايها الملك قد رأينا الخبرة و بعد ساعة ضربها الهواء و قطعها و بان من تحتها سبعة بيارق تحت كل بيرق ثلثه آلاف فارس و ساروا الى ناحية الملك كفيد و لما وصل الملك فاقون الكلب الى الملك كفيد سلم عليه و قال له ما خبرك و ما هذا القتال الذي انت فيه فقال الملك كفيد اما تعلم ان الملك طيغموس عدوّي و قاتل اخوتي و ابي و انا قد جئته لاقاتله و آخذ بثأري منه فقال الملك فاقون باركت الشمس فيك ثم ان الملك كفيد اخذ الملك فاقون الكلب و ذهب به الى خيمة وفرح فرحا شديدا هذا ما كان من امر الملك طيغموس و الملك كفيد * و اما ما كان من امر الملك جانشاه فانه استمرّ شهرين و هو لم ينظر اباه و لم يأذن بالدخول عليه لاحد من الجواري اللاتي كن في خدمته فحصل له بذلك قلق عظيم فقال لبعض اتباعه ما خبر ابي حتى انه لم يأتني فاخبروه بما جرى لابيه مع الملك كفيد فقال ائتوني بجوادي حتى اذهب الى ابي فقالوا سمعا و طاعة و اتوه بالجواد فلما حضر جواده قال في نفسه انا مشغول بنفسي فالرأي ان آخذ فرسي و اسير الى مدينة اليهود و اذا وصلت اليها يهون الله عليّ بذلك التاجر الذي استاجرني للعمل لعلّه يفعل بي مثل ما فعل اول مرة و ما يدري احد اين تكون الخبرة ثم انه ركب و اخذ معه الف فارس و سار حتى صار الناس يقولون ان جانشاه ذاهب الى ابيه ليقاتل معه و ما زالوا سائرين الى وقت المساء ثم نزلوا في مرج عظيم وباتوا بذلك المرج فلما ناموا و علم جانشاه ان عسكره ناموا كلهم قام في خفية و شدّ وسطه و ركب جواده و سار الى طريق بغداد لانه كان سمع من اليهود انه تأتيهم في كل سنتين قافلة من بغداد وقال في نفسه اذا وصلت الى

Digitized by Google

صاح على عسكره و قال لهم انزلوا الميـــدان و قاتلوا الفرسان و نزل الملك طيغمـــوس بعسكره و جيوشه و قاتلوا قتـــالا شديدا و قد صهلت الخيل على الخيل و صاحت الرجال على الرجال و تجـردت السيوف و تقدم كل فارس موصوف و حملت الفرسان على الفرســان و فرّ الجبان من موقف الطعان و دقت الكاسات و نفخ فى البوقات فما تسمع الناس الاّ صيحة صياح و قعقعة سلاح وهلك فى ذلك الوقت من الابطال من هلك و ما زالوا على هذا الحال الى ان صارت الشمس فى قبّة الفلك ثم ان الملك طيغموس انفرق بعسكره و جيوشه و عاد لخيامه و كذلك الملك كفيد ثم ان الملك طيغموس تفقّد رجاله فوجد هم قد قتل منهم خمسة آلاف فارس وانكسرت منهم اربعة بيارق فلمـا علم الملك طيغموس ذلك غضب غضبا شديدا * و اما الملك كفيد فانه تفقد عسكره فوجد هم قد قتل منهم ستمائة فارس من خواص شجعانه و انكسرت منهم تسعة بيارق ثم ارتفع القتال من بينهم مدة ثلثة ايام و بعد ذلك كتب الملك كفيد كتابا و ارسله مع رسول من عسكره الى الملك يقال له فاقون الكلب فذهب الرسول اليه و كان كفيـد يدعي انه قريبه من جهة امه فلما علم الملك فاقون بذلك جمع عسكره و جيوشه و توجه الى الملك كفيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك فاقون جمع عساكره و جيوشه و توجه الى الملك كفيد فبينما الملك طيغموس جالس في حظه اذ اتاه شخص و قال له اني رأيت غبرة ثائرة على بعد قد ارتفعت الى الجوّ فامر الملك طيغموس جماعة من عسكره ان يكشفوا عن خبر تلك

Digitized by Google

فارس من خواص شجعانه فلما رأى ذلك غضب غضبا شديدا ثم ان الملك كفيد برز الى الميدان ثانيا وفعل كما فعل اول مرة وكل واحد منهما يطلب النصر لنفسه وصاح الملك كفيد على عسكره وقال لهم هل فيكم من يبرز الى الميدان ويفتح لنا باب الحرب والطعان فاذا بطل يقال له بركيك قدا قبل راكبا على فيل وكان بهلوانا عظيما ثم تقدم ونزل من فوق ظهر الفيل وقبل الارض بين يدي الملك كفيد واستأذنه فى البراز ثم ركب الفيل وساقه الى الميدان وصاح وقال هل من مبارز هل من مناجز هل من مقاتل فلما سمع ذلك الملك طيغموس التفت الى عسكره وقال لهم من يبرز الى هذا البطل منكم فاذا فارس قد برز من بين الصفوف راكبا على جواد عظيم الخلقة وسار حتى اقبل على الملك طيغموس وقبل الارض قدامه واستأذنه فى المبارزة ثم توجه الى بركيك فلما اقبل عليه قال له من تكون انت حتى تستهزأ بي وتبرز اليّ وحدك وما اسمك فقال له اسمي غضنفر بن كمخيل فقال له بركيك كنت اسمع بك وانا في بلادي فدونك والقتال بين صفوف الابطال فلما سمع غضنفر كلامه سحب العود الحديد من تحت فخذه وقد اخذ بركيك السيف في يده وتقاتلا قتالا شديدا ثم ان بركيك ضرب غضنفر بالسيف فاتت الضربة فى خوذته ولم يصبه منها ضرر فلما رأى ذلك غضنفر ضربه بالعود فاستوى لحمه بلحم الفيل فاتاه شخص وقال له من انت حتى تقتل اخي ثم اخذ نبلة في يده وضرب بها غضنفر فاصابت فخذه فسمرت الدرع فيه فلما رأى ذلك غضنفر جرد السيف في يده وضربه فقسمه نصفين فنزل الى الارض يخور فى دمه ثم ان غضنفر ولّى هاربا نحو الملك طيغموس فلما راى ذلك الملك كفيد

Digitized by Google

عن أخزنا فلما سمع الملك كفيد هذا الكلام قال لا باركت فيكم الشمس بل غضبت عليكم غضبا شديدا ثم ان الوزير عين زار رجع الى الملك طيغموس واخبره بذلك فهنّاه الملك طيغموس بالسلامة وفرح فرحا شديدا وامر بدق الكاسات والنفخ فى البوقات ثم تفقد عسكره فاذا هم قد قُتل منهم مائتا فارس من الشجعان الشداد ثم ان الملك كفيد هيّأ عسكره وجنوده وجيوشه واتى الميدان واصطفوا صفا بعد صف فكملوا خمسة عشر صفا في كل صف عشرة آلاف فارس وكان معه ثلثمائة بهلوان يركبون على الافيال وقد انتخب الابطال وصناديد الرجال ونصب البيارق والترايات ودقت الكاسات ونفخ فى البوقات وبرز الابطال طالبين القتال * واما الملك طيغموس فانه صفّ عسكره صفا بعد صف فاذا هم عشرة صفوف في كل صف عشرة آلاف فارس وكان معه مائة بهلوان يركبون عن يمينه وشماله ولما اصطفت الصفوف تقدم كل فارس موصوف وتصادمت الجيوش وضاق رحب الارض عن الخيل وضربت الطبول وزمرت الزمور ودقت الكاسات ونفخ فى البوقات وصاح النفير وصمت الاذان من صهيل الخيل في الميدان وصاحت الرجال باصواتهم وانعقد الغبار على رؤسهم واقتتلوا قتالا شديدا من اول النهار الى ان اقبل الظلام ثم افترقوا وذهبت العساكر الى منازلهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشرة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العساكر افترقوا وذهبوا الى منازلهم فتفقد الملك كفيد عسكره فاذا هم قتل منهم خمسة آلاف فغضب غضبا شديدا وتفقد الملك طيغموس عسكره فاذا هم قتل منهم ثلثة آلاف

Digitized by Google

يا ملك الزمان انى رأيت فرسانا وابطالا ورجالا لايحصى لهم عدد ولا ينقطع لهم مدد فلما قرأ الكتاب وفهم معناه غضب غضبا شديدا وامر وزيره عين زار ان يركب ومعه الف فارس ويهجم على عسكر الملك كفيد في نصف الليل وان يخوضوا فيهم ويقتلوهم فقال له الوزير عين زار سمعا وطاعة ثم ركب وركبت معه العساكر والجيوش وساروا نحو الملك كفيد وكان للملك كفيد وزير يقال له غطرفان فامره ان يركب ويأخذه معه خمسة آلاف فارس ويذهب بهم الى عسكر الملك طيغموس ويهجموا عليهم ويقتلوهم فركب الوزير غطرفان وفعل ما امره به الملك كفيد وسار بالعسكر نحو الملك طيغموس وما زالوا سائرين الى نصف الليل حتى قطعوا نصف الطريق فاذا الوزير غطرفان وقع في الوزير عين زار فصاحت الرجال على الرجال ووقع بينهم شديد القتال ومازال يقاتل بعضهم بعضا الى وقت الصباح فلما اصبح الصباح انهزمت عساكر الملك كفيد وولّوا هاربين اليه فلما راى ذلك غضب غضبا شديدا وقال لهم يا ويلكم ما الذي اصابكم حتى فقدتم ابطالكم فقالوا له يا ملك الزمان انه لما ركب الوزير غطرفان وسرنا نحو الملك طيغموس لم نزل سائرين الى ان نصفنا الليل وقطعنا نصف الطريق فقابلنا عين زار وزير الملك طيغموس واقبل علينا ومعه جيوش وابطال وكانت المقابلة بجنب وادي زهران فما نشعر الّا ونحن في وسط العسكر ووقعت العين في العين وقاتلنا قتالا شديدا من نصف الليل الى الصباح وقد قُتِل خلق كثير وصار الوزير عين زار يصيح في وجه الفيل ويضربه فيجفل الفيل من شدة الضربة ويدوس الفرسان ويولّي هاربا وما بقي احد ينظر احدا من كثرة ما يطير من الغبار وصار الدم يجري كالتيّار ولولا اننا اتينا هاربين لكنا قُتِلنا

Digitized by Google

فبها و نِعْمَتْ وان لم ترجع فابرز اليّ في حومة الميدان و تجلّد لديّ في موقف الحرب و الطعان ثم انه ختم الكتاب و سلّمه لرجل عامل من عسكره و ارسل معه جواسيس يتجسّسون له على الاخبار ثم ان الرجل اخذ الكتاب و ساربه حتى وصل الى الملك كفيد فلما قرب من مكانه رأى خيامًا منصوبة على بُعْد وهي مصنوعة من الحرير الاطلس و رأى رايات من الحرير الازرق و رأى بين الخيام خيمة عظيمة من الحرير الاحمر و حول تلك الخيمة عسكر عظيم و ما زال سائرًا حتى وصل الى تلك الخيمة فسأل عنها فقيل له انها خيمة الملك كفيد فنظر الرجل الى وسط الخيمة فرأى الملك كفيد جالسًا على كرسي مرصع بالجواهر و عنده الوزراء و الامراء و ارباب الدولة فلما رأى ذلك اظهر الكتاب في يده فذهب اليه جماعة من عسكر الملك كفيد و اخذوا الكتاب منه و اتوابه الملك فاخذه الملك فلما قرأه و عرف معناه كتب له جوابًا مضمونه * اما بعد فالذي نعلم به الملك طيغموس انّه لابدّ من اننا نأخذ الثأر ونكشف العار و نخرب الديار و نهتك الاستار و نقتل الكبار و نأسر الصغار و في غد ابرز الى القتال في الميدان حتى اريك الحرب و الطعان ثم ختم الكتاب وسلّمه لرسول الملك طيغموس فاخذه و سار و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشرة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك كفيد سلّم جواب الكتاب الذي ارسله اليه الملك طيغموس لرسوله فاخذه ورجع فلما وصل اليه قبّل الارض بين يديه ثم اعطاه الكتاب واخبره بما رأه و قال له

Digitized by Google

و نفخوا فى البوقات ونصبوا البيـــارق و الرايات ثم ان الملك كفيد خرج بالعســاكر والجيــوش وسار حتى وصل الى اطراف بلاد كابل وهي بلاد الملك طيغموس ولمـــا وصلوا الى تلك البـــلاد نهبوها و فسقوا فى الرعية وذبحوا الكبار واسـروا الصغار فوصل الخبر الى الملك طيغموس فلما سمع بذلك الخبر اغتاظ غيظا شديدا وجمع اكابر دولته و وزراءه وامراء مملكته وقال لهم اعلمـــوا ان كفيد قد اتى ديارنا ونزل بلادنا و يريد قتالنـــا و معه جيوش وابطـــال و عساكر لايعلمهم الاّ الله تعالى فما الرأي عنـــدكم فقالوا له يا ملك الزمان الرأي عندنا اننا نخرج اليه ونقاتله ونردّه عن بلادنا فقال لهم الملك طيغموس تجهزوا الى القتـــال ثم اخرج لهم من الزَرَد والدروع و الخوذ و السيوف وجميع آلات الحـرب ما يردع الابطال و يتلف صناديد الرجال فاجتمعت العساكر والجيوش والابطال وتجهزوا للقتال ونصبوا الرايات ودقت الكاسات ونفخ فى البوقات وضربت الطبول وزمرت الزمور وسار الملك طيغموس بعساكره الى ملاقاة الملك كفيد ومازال الملك طيغموس سائرا بالعساكر والجيوش حتى قربوا من الملك كفيـــد ثم نزل الملك طيغموس على وادي يقال له وادي زَهْران و هو في اطراف بلاد كابل ثم ان الملك طيغموس كتب كتابا وارسله مع رسول من عسكره الى الملك كفيد مضمونه * اما بعد فالذي نعلم به الملك كفيد انك ما فعلتَ الاّ فعل الاَوْباش ولو كنتَ ملكا ابن ملك ما فعلت هذه الفعـــال ولا كنت تجيء بلادي و تنهب اموال الناس و تفسق في رعيتي اما علمتَ ان هذا كله جور منك ولو علمتُ بانك تتجارى على مملكتي لكنتُ اتيتك قبل مجيئـــك بمدة ومنعتك عن بلادي ولكن ان رجعتَ وتركتَ الشر بيننا وبينك

Digitized by Google

القبائل تشتمل على اربعة ألاف فارس وكان عنده اربعة وزراء وتحته ملوك واكابر وامراء وجيوش كثيرة وكان يحكم على الف مدينة لكل مدينة الف قلعة وكان ملكا عظيما شديد البأس وعساكره قد ملأت جميع الارض فلما علم الملك كفيد ملك الهند ان الملك طيغموس اشتغل بحب ابنه وترك الحكم والملك وقلّت من عنده العساكر وصار في همّ ونكد بسبب اشتغاله بحب ابنه جمع الوزراء والامراء وارباب الدولة وقال لهم اَمَا تعلمون ان الملك طيغموس قد هجم على بلادنا وقتل ابي واخوتي ونهب اموالنا وما منكم احد الّا وقد قتل له قريبا واخذ له مالا ونهب رزقه واسر اهله واني سمعت اليوم انه مشغول بحب ابنه جانشاه وقد قلّت من عنده العساكر وهذا وقت اخذ ثأرنا منه فتأهبوا للسفر اليه وجهزوا ألات الحرب للهجوم عليه ولا تتهاونوا في هذا الامر بل نسير اليه ونهجم عليه ونقتله هو وابنه ونملك بلاده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك كفيد ملك الهند امر جيوشه وعساكره ان يركبوا على بلاد الملك طيغموس وقال لهم تأهبوا للسفر اليه وجهزوا ألات الحرب للهجوم عليه ولا تتهاونوا في هذا الامر بل نسير اليه ونهجم عليه ونقتله هو وابنه ونملك بلاده * فلما سمعوا منه ذلك الكلام قالوا له سمعا وطاعة واخذ كل واحد منهم في تجهيز عدّته واستمروا في تجهيز العدد والسلاح وجمع العساكر ثلثة اشهر ولما تكاملت العساكر والجيوش والابطال دقوا الكاسات

Digitized by Google

واسألوهم عن قلعة جوهر تكني وكل من عرفها ودلّ عليها فاني اعطيه خمسين الف دينار فلما سمع الوزراء ذلك الكلام قالوا له سمعا وطاعة ثم ذهبوا من وقتهم وساعتهم وفعلوا ما امر به الملك وصاروا يسألون التجار السياحين في البلاد عن قلعة جوهر تكني فما اخبرهم بها احد فاتوا للملك واخبروه بذلك فلما سمع الملك كلامهم قام من وقته وساعته وامر ان يأتوا ابنه جانشاه من السراي الحسان والجواري ربات الآلات والمحاظي المطربات بما لا يوجد مثله الّا عند الملوك لعله يتسلى عن حب السيدة شمسة فاتوه بما طلبه ثم بعد ذلك ارسل الملك رُوّادا وجواسيس الى جميع البلاد والجزائر والاقاليم ليسألوا عن قلعة جوهر تكني فسألوا عنها مدة شهرين فما اخبرهم بها احد فرجعوا الى الملك واعلموه بذلك فبكى بكاء شديدا وذهب الى ابنه فوجده جانشاه بين السراري والمحاظي وربّات الآلات الطرب من الجنك والسنطير وغيرهما وهو لا يتسلى بهن عن السيدة شمسة فقال له يا ولدي ما وجدت من يعرف هذه القلعة وقد اتيتك باجمل منها فلما سمع جانشاه من ابيه ذلك الكلام بكى وافاض دمع العين وانشد هذين البيتين

تَرَحَّلَ صَبْرِي وَالْغَرَامُ مُقِيمُ ... وَجِسْمِي مِنْ فَرْطِ الْغَرَامِ سَقِيمُ
مَتَى تَجْمَعُ الْأَيَّامُ شَمْلِي بِشَمْسَةٍ ... وَعَظْمِي مِنْ حَرِّ الْفِرَاقِ رَمِيمُ

ثم ان الملك طيغموس كان بينه وبين ملك الهند عداوة عظيمة فان الملك طيغموس كان عدا عليه وقتل رجاله وسلب اموالهم وكان ملك الهند يقال له الملك كفيدوله جيوش وعساكر وابطال وكان له الف بهلوان كل بهلوان منهم يحكم على الف قبيلة وكل قبيلة من قلب

Digitized by Google

يا حبيبي و قرّة عيني و ثمرة فؤادي و الله اني احبك محبة عظيمة و قد فرحت فرحا شديدا حيث اوصلتك الى ارضك و بلادك و رأيت امك و اباك فان كنت تحبّني كما احبك فتعال عندي الى قلعة جوهر تكنى ثم طارت من وقتها و ساعتها و مضت الى اهلها فلما سمع جانشاه كلام السيدة شمسه و هي فوق سطح القصر كاد يموت من الجزع و وقع مغشيا عليه فمضوا الى ابيه و اعلموه بذلك فركب ابوه و توجّه الى القصر و دخل على ولده فرأه مطروحا على الارض فبكى الملك طيغموس و علم ان ابنه مغرم بحبّ السيدة شمسة فرشّ على وجهه ماورد فافاق فرأى اباه عند رأسه فبكى من فراق زوجته فقال له ابوه ما الذي جرى لك يا ولدي فقال اعلم يا ابي ان السيدة شمسة من بنات الجان و انا احبّها و مغرم بها و قد عشقت جمالها و كان عندي ثوب لها و هي ما تقدر ان تطير بدونه و قد كنت اخذت ذلك الثوب و اخفيته في عمود على هيئة الصندوق و سبكتُ عليه الرصاص و وضعتُه فى اساس القصر فحفرتْ ذلك الاساس واخذته و لبسته و طارت ثم نزلت على سطح القصر و قالت اني احبك و قد اوصلتك الى ارضك و بلادك واجتمعت بابيك و امك فان كنت انت تحبني فتعال عندي في قلعة جوهر تكنى ثم طارت من سطح القصر و راحت الى حال سبيلها فقال الملك طيغموس يا ولدي لا تحمل همّا فاننا نجمع ارباب التجارة و السياحين فى البلاد و نستخبر هم من تلك القلعة فاذا عرفنا ها نسير اليها و نذهب الى اهل السيدة شمسة و نرجو من الله تعالى ان يعطوك ايا ها و تتزوج بها ثم خرج الملك من وقته وساعته واحضر وزراءه الاربعة و قال لهم اجمعوا لي كل من فى المدينة من التجار و المسافرين

Digitized by Google

بالسمع و الطاعة و شرعوا في تجهيز ذلك القصر ثم انهم اتمّوه على احسن حال وحين علم جانشاه بصدور الامر ببناء القصر امر الصنّاع ان يأتوا بعمود من الرخام الابيض و ان ينقروه و يجوفوه و يجعلوه على صورة صندوق ففعلوا ما امر هم به ثم ان جانشاه اخذ ثوب السيدة شمسة الذي تطير به و حطّه في ذلك العامود ودفنه في اساس القصر و امر البنّائين ان يبنوا فوقه القناطر التي عليها القصر و لما تمّ القصر فرشوه و صار قصرا عظيما في وسط ذلك البستان و الانهار تجري من تحته ثم ان الملك طيغموس بعد ذلك عمل عرس جانشاه في تلك المدة و صار فرحا عظيما لم يبق له نظير و زفّوا السيدة شمسة الى ذلك القصر و ذهب كل واحد منهم الى حال سبيله ولما دخلت السيدة شمسة في ذلك القصر شمّت رائحة ثوبها الريش و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشرة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السيدة شمسة لما دخلت ذلك القصر شمّت رائحة ثوبها الريش الذي تطير به و عرفت مكانه و ارادت اخذه فصبرت الى نصف الليل حتى استغرق جانشاه في النوم ثم قامت و توجهت الى العمود الذي عليه القناطر و حفرت بجانبه حتى وصلت الى العمود الذي فيه الثياب و ازالت الرصاص الذي كان مسبوكا عليه و اخرجت الثوب منه و لبسته و طارت من وقتها و جلست على اعلى القصر و قالت لهم اريد منكم ان تحضروا لي جانشاه حتى اودّعه فاخبروا جانشاه بذلك فذهب اليها فرأها فوق سطح القصر و هي لابسة ثوبها الريش فقال لها كيف فعلتِ هذه الفعال فقالت له

Digitized by Google

هَجَمَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى انَّهُ مِنْ فَرْطِ مَاقَدْ سَرَّنِي ابْكَانِي
يَا عَيْنُ صَارَ الدَّمْعُ مِنْكِ سَجِيَّةً تَبْكِينَ مِنْ فَرَحٍ وَ مِنْ اَحْزَانِ

ثم شكيا لبعضهما ما قاسياه من البعد والم الشوق ثم انتقل والده الى خيمته وانتقل جانشاه هو وامه الى خيمته وجلسا يتحدّثان مع بعضهما فبينما هما جالسان اذ اقبلت المبشرون بقدوم السيدة شمسة وقالوا لامّ جانشاه ان شمسة اتت اليك وهي ما شية تريدان تسلم عليك فلما سمعت ام جانشاه ذلك الكلام قامت على قدميها و قابلتها و سلّمت عليها و قعدتا ساعة من الزمان ثم قامت ام جانشاه مع السيدة شمسة و سارت هي و ايا ها و نساء الامراء و ارباب الدولة و ما زلن سائرات حتى وصلن الى خيمة السيدة شمسة قد خلتها و جلسن فيها ثم ان الملك طيغموس اجزل العطايا و اكرم الرعايا و فرح بابنه فرحا شديدا و مكثوا في ذلك المكان مدة عشرة ايام و هم في اكل و شرب و اهنى عيش و بعد ذلك امر الملك عساكره ان يرحلوا و يتوجهوا الى المدينة ثم ركب الملك وركبت حوله العسكر و الجيوش وصارت الوزراء و الحجاب عن يمينه و عن شماله و ما زالوا سائرين حتى دخلوا المدينة و ذهبت ام جانشاه هي و السيدة شمسة الى منزلهم و تزينت المدينة باحسن زينة و دقت البشائر و الكاسات و زوّقوا المدينة بالحلي والحلل و فرشوا نفيس الديباج تحت سنابك الخيل و فرحت ارباب الدولة و اظهروا التحف وانبهرت المتفرّجون واطعموا الفقراء و المساكين وعملوا فرحا عظيما مدة عشرة ايام وفرحت السيدة شمسة فرحا شديدا لما رأت ذلك ثم ان الملك طيغموس ارسل الى البنّائين و المهندسين و ارباب المعرفة و امرهم ان يعملوا له قصرا في ذلك البستان فاجابوه

Digitized by Google

ان يأتوا بخيمة من الحرير الاحمر وينصبوها للسيدة شمسة ففعلوا ما امرهم به و قامت السيدة شمسة و قلعت ثوبها الريش و تمشّت حتى وصلت الى تلك الخيمة و جلست فيها فبينما هي جالسة و اذا بالملك طيغموس وابنه جانشاه بجانبه اقبلا عليها فلما رأت السيدة شمسة الملك طيغموس قامت على قدميها و قبلت الارض بين يديه ثم جلس الملك و اخذ ولده جانشاه عن يمينه والسيدة شمسة عن شماله و رحّب بالسيدة شمسة و سأل ابنه جانشاه و قال له اخبرني بالذي وقع لك في هذه الغيبة فحكى له جميع ماجرى له من الاول الى الآخر فلما سمع الملك من ابنه هذا الكلام تعجب عجبا شديدا و التفت الى السيدة شمسة و قال الحمد لله والذي وفّقكِ حتى جمعتِ بيني و بين ابني إنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْعَظِيْمُ و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك طيغموس قال للسيدة شمسة الحمد لله الذي وفّقكِ حتى جمعتِ بيني و بين ولدي إنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْعَظِيْمُ و لكن اريد منك ان تتمنى عليّ ما تشتهينه حتى افعله اكراما لك فقالت له السيدة شمسة تمنّيت عليك عمارة قصر في وسط بستان و الماء يجري من تحته فقال سمعا و طاعة فبينما هما في الكلام و اذا بام جانشاه اقبلت و معها جميع نساء الامراء و الوزراء و نساء اكابر المدينة جميعا فلما رأها ولدها جانشاه خرج من الخيمة وقابلها وتعانقا ساعة من الزمان ثم ان امّه من فرط الفرح اجريت دمع العين و انشدت هذين البيتين

Digitized by Google

الفرح فلما افاق امر وزيره ان يخلع على المملوكين كل واحد خلعة نفيسة و يعطي كل واحد منهما قدرا من المال فقال له الوزير سمعا و طاعة ثم قام من وقته و اعطى المملوكين ما امره به الملك و قال لهما خذا هذا المال فى نظير البشارة التي اتيتما بها سواء كذبتما او صدقتما فقال المملوكان نحن ما نكذب وكنا في هذا الوقت قاعدين عنده و سلمنا عليه و قبلنا يديه و امرنا ان نأتي له بالخيام و هو يقعد فى مرج الكراني سبعة ايام حتى تذهب الوزراء و الامراء و اكابر الدولة لملاقاته ثم ان الملك قال لهما كيف حال ولدي فقالا له ان ولدك معه حورية كأنّه خرج بها من الجنة فلما سمع الملك ذلك الكلام امر بدقّ الكاسات و البوقات فدقت البشائر و ارسل الملك طيغموس المبشرين في جهات المدينة ليبشروا ام جانشاه و نساء الامراء و الوزراء و اكابر الدولة فانتشر المبشرون فى المدينة و اعلموا اهلها بقدوم جانشاه ثم تجهز الملك طيغموس بالعساكر و الجيوش و توجه الى مرج الكراني فبينما جانشاه جالس والسيدة شمسة بجانبه واذا بالعساكر قد اقبلت عليهما فقام جانشاه على قدميه وتمشى حتى قرب منهم فلما رأته العساكر عرفوا و نزلوا عن خيلهم وترجّلوا اليه و سلموا عليه و قبلوا يديه و مازال جانشاه سائرا و العسكر قدامه واحدا بعد واحد حتى وصل الى ابيه فلما نظر الملك طيغموس ولده رمى نفسه عن ظهر الفرس و حضنه و بكى بكاء شديدا ثم ركب و ركب ابنه و العساكر عن يمينه و شماله و مازالوا سائرين حتى اتوا الى جانب النهر فنزلت العساكر و الجيوش و نصبوا الخيام و الصواوين و البيارق و دقت الطبول و زمرت الزمور و ضربت الكاسات و زعقت البوقات ثم ان الملك طيغموس امر الفراشين

Digitized by Google

الامارات نزلت من اعلى الجو الى مرج فسيح ذي زرع مليح فيه غزلان راتعة و عيون نابعة و اثمار يانعة و انهار واسعة فلما نزلت في ذلك المرج نزل جانشاه من فوق ظهرها و قبلها بين عينيها فقالت له يا حبيبي وقرة عيني اتدري المسافة التي سرنا ها قال لا قالت مسافة ثلثين شهرا فقال لها جانشاه الحمد لله على السلامة ثم جلس وجلست بجانبه و قعدا في اكل و شرب و لعب و ضحك فبينما هما في هذا الامر اذ اقبل عليهما مملوكان احدهما الذي كان عند الخيل لما نزل جانشاه في مركب الصياد والثاني من المماليك الذين كانوا معه في الصيد والقنص فلما رأيا جانشاه عرفاه و سلما عليه و قالا له عن اذنك نتوجه الى والدك ونبشره بقدومك فقال لهما جانشاه اذهبا الى ابي واعلماه بذلك و أتيانا بالخيام ونحن نقعد في هذا المكان سبعة ايام لاجل الراحة حتى يجيء الموكب لملاقاتنا و ندخل في موكب عظيم و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك ان جانشاه قال للمملوكين اذهبا الى ابي و اعلماه بي وأتياني بالخيام و نحن نقعد في هذا المكان سبعة ايام لاجل الراحة حتى يجيء الموكب لملاقاتنا وندخل في موكب عظيم فركب المملوكان الخيل و ذهبا الى ابيه و قالا له البشارة يا ملك الزمان فلما سمع الملك طيغموس كلام المملوكين قال لهما باي شيء تبشراني هل قدم ابني جانشاه فقالا نعم ان ابنك جانشاه اتى من غيبته و هو بالقرب منك في مرج الكراني فلما سمع الملك كلام المملوكين فرح فرحا شديدا ووقع مغشيا على الارض من شدة

Digitized by Google

لها فاخذته منه ولبسته وقالت له يا جانشاه اركب فوق ظهري وغمّض عينيك وسدّا ذنيك حتى لاتسمع دَوِيّ الفلك الدوار وامسك في ثوبي الريش وانت على ظهري بيديك واحترس على نفسك من الوقوع فلما سمع جانشاه كلامها ركب على ظهرها ولما ارادت الطيران قال لها الشيخ نصر قفي حتى اصف لك بلاد كابل خوفا عليكما ان تغلطا في الطريق فوقفت حتى وصف لها البلاد واوصاها بجانشاه ثم ودّعهما وودّعت السيدة شمسة اختيها وقالت لهما روحا الى اهليكما واعلماهم بما جرى لي مع جانشاه ثم انها طارت من وقتها وساعتها وسارت في الجوّ مثل هبوب الريح والبرق اللائح وبعد ذلك طارت اختاها وذهبتا الى اهلهما واعلمتاهم بما جرى للسيدة شمسة مع جانشاه ومن حين طارت السيدة شمسة لم تنزل طائرة من وقت الضحى الى وقت العصر وجانشاه راكب على ظهرها وفي وقت العصر لاح لها على بعد واد ذو اشجار وانهار فقالت لجانشاه قصدي ان ننزل في هذا الوادي لنتفرج على ما فيه من الاشجار والنباتات هذه الليلة فقال لها افعلي ما تريدين فنزلت من الجوّ وحطت في ذلك الوادي ونزل جانشاه من فوق ظهرها وقبلها بين عينيها ثم جلسا بجانب نهر ساعة من الزمان وبعد ذلك قاما على قدميهما وصارا دائرين في الوادي يتفرجان على ما فيه ويأكلان من تلك الاثمار ولم يزل يتفرجان في الوادي الى وقت المساء ثم اتيا الى شجرة ونام عندها الى الصباح ثم قامت السيدة شمسة وامرت جانشاه ان يركب على ظهرها فقال جانشاه سمعا وطاعة ثم ركب على ظهرها وطارت به من وقتها وساعتها ولم تزل طائرة من الصبح الى وقت الظهر فبينما هما سائران اذ نظرا الامارات التي اخبرهما بها الشيخ نصر فلما رأت السيدة شمسة تلك

Digitized by Google

شمسة ان هذا الشاب يحبّك محبة عظيمه فبالا عليك ان تتوصى به فانه من اكابر الناس و من ابناء الملوك و ابوه يحكم على بلاد كابل و قد حوى ملكا عظيما فلما سمعت السيدة شمسة كلام الشيخ نصر قالت له سمعا و طاعة لامرك ثم انها قبلت يدى الشيخ نصر و وقفت قدامه فقال لها الشيخ نصر ان كنت صادقا في قولك فاحلفي لي بالله انك لا تخونينه مادمت في قيد الحيوة فحلفت يمينا عظيما انها لا تخونه ابدا ولا بد ان اتزوج به و بعد ان حلفت قالت اعلم يا شيخ نصر انيلا افارقه ابدا فلما حلفت السيدة شمسة للشيخ نصر صدق يمينها وقال لجانشاه الحمد لله الذي وفق بينك وبينها ففرح جانشاه بذلك فرحا شديدا ثم تعد جانشاه هو والسيدة شمسة عند الشيخ نصر مدة ثلثة اشهر في اكل وشرب ولعب وضحك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان جانشاه هو والسيدة شمسة تعدا عند الشيخ نصر ثلثة اشهر في اكل وشرب ولعب وحظ عظيم وبعد الثلثة اشهر قالت السيدة شمسة لجانشاه اني اريد ان نروح الى بلادك و تتزوج بي و نقيم فيها فقال لها سمعا وطاعة ثم ان جانشاه شاور الشيخ نصر و قال له اننا اريد ان نروح الى بلادي واخبره بما قالته السيدة شمسة فقال له الشيخ نصر اذهبا الى بلادك وتوصّ بها فقال جانشاه سمعا وطاعة ثم انها طلبت ثوبها وقالت يا شيخ نصر أُمره ان يعطيني ثوبي حتى البسه فقال له يا جانشاه اعطها ثيابها فقال سمعا وطاعة ثم قام بسرعة و دخل القصر واتى بثوبها و اعطاها

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان السيدة شمسة قالت لجانشاه احك لي ما جرى لك فحكى لها جميع ماجرى له فلما سمعت السيدة شمسة منه ذلك الكلام تنهدت وقالت له ياسيدي اذاكنت مغرمابي فاعطني ثيابي حتى البسها واروح انا واخواتي الى اهلي واعلمهم بما جرى لك في محبتي ثم ارجع اليك واحملك الى بلادك فلما سمعت جانشاه منها ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال لها ايَحِلُّ لك من الله ان تقتلني ظلما فقالت له يا سيدي بايّ سبب اقتلك ظلما فقال لها لانك متى لبست ثيابك ورحت من عندي فاني اموت من وقتي فلما سمعت السيدة شمسة كلامه ضحكت وضحك اخواتها ثم قالت له طب نفسا وقرّ عينا فلا بد ان اتزوّج بك ومالت عليه واعتنقته وضمته الى صدرها وقبلته بين عينيه وفي خده وتعانقت هي واياه ساعة من الزمان ثم افترقا وجلسا فوق ذلك التخت فقامت اختها الكبيرة وخرجت من القصر الى البستان فاخذت شيأ من الفواكه والمشمّوم واتت به اليهم فاكلوا وشربوا وتلذّذوا وطربوا وضحكوا ولعبوا وكان جانشاه بديع الحسن والجمال رشيق القد والاعتدال فقالت له السيدة شمسة ياحبيبي والله اني احبّك محبة عظيمة وما بقيت افارقك ابدا فلما سمع جانشاه كلامها انشرح صدره وضحك سنّه واستمروا يضحكون ويلعبون فبينما هم في حظ وسرور واذا بالشيخ نصر قد اتى من ملاقاة الطيور فلما اقبل عليهم نهض الجميع اليه قائمين على اقدامهم وسلموا عليه وقبلوا يديه فرحب بهم الشيخ نصر وقال لهم اجلسوا فجلسوا ثم ان الشيخ نصر قال للسيدة

Digitized by Google

واخذت ثياب السيدة شمسة فقال لهن تعالين عندي حتى احكي لكن ما جرى لي فقالت السيدة شمسة ما خبرك ولاي شيء اخذت ثيابي وكيف عرفتني من دون اخواتي فقال لها جانشاه يا نور عيني اطلعي من الماء حتى احكي لكِ حكايتي واخبركِ بما جرى لي واعلمكِ بسبب معرفتي بكِ فقالت له يا سيدي و قرة عيني وثمرة فؤادي اعطني ثيابي حتى البسها واستتر بها و اطلع عندك فقال لها جانشاه يا سيدة الملاح ما يمكن اني اعطيك ثيابك و اقتل نفسي من الغرام فلا اعطيك ثيابك الّا اذا اتى الشيخ نصر ملك الطيور فلما سمعت السيدة شمسة كلام جانشاه قالت له ان كنت لا تعطيني ثيابي فتأخّر عنا قليلا حتى يطلع اخواتي الى البر ويلبسن ثيابهن و يعطينني شيأ استتر به فقال لها جانشاه سمعا وطاعة ثم تمشى من عندهن الى القصر و دخله فطلعت السيدة شمسة هي واخواتها الى البر ولبسن ثيابهن ثم ان اخت السيدة شمسة الكبيرة اعطتها ثوبا من ثيابها لا يمكنها الطيران به و البستها اياه ثم قامت السيدة شمسة وهي كالبدر الطالع والغزال الراتع وتمشت حتى و صلت الى جانشاه فرأته جالسا فوق التخت فسلمت عليه و جلست قريبا منه و قالت له يا مليح الوجه انت الذي قتلتني وقتلت نفسك ولكن اخبرنا بما جرى لك حتى ننظر ما خبرك فلما سمع جانشاه كلام السيدة شمسة بكى حتى بلّ ثيابه من دموعه فلما علمت انه مغرم بحبها قامت على قدميها واخذته من يده و اجلسته بجانبها و مسحت دموعها بكمها وقالت له يا مليح الوجه دع عنك هذا البكاء واحك لي ما جرى لك فحكى لها جانشاه ما جرى له و اخبرها بما رأه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

البنات فانني ذاهب الى ملاقاة الطيور فقال جانشاه سمعا وطاعة لامرك يا والدي ثم ذهب الشيخ نصر الى ملاقاة الطيور وبعد ذهابه قام جانشاه وتمشى حتى دخل البستان واختفى تحت شجرة بجمث لايراه احد وتعد اول يوم وثاني يوم وثالث يوم فلم تأت اليه البنات فقلق وصار في بكاء وانين ناشئ عن قلب حزين ولم يزل يبكي حتى اغمي عليه ثم بعد ساعة افاق وجعل ينظر تارة الى السماء وتارة ينظر الى الارض وتارة ينظر الى البحيرة وتارة ينظر الى البر وقلبه يرتجف من شدة العشق فبينما هو على هذه الحالة اذا قبل عليه من الجو ثلث طيور في صفة الحمام ولكن كل حمامة قدر النسر ثم انهن نزلن بجانب البحيرة وتلفتن يمينا وشمالا فلم يرين احدا من الانس ولا من الجن فنزعن ثيابهن ونزلن البحيرة وصرن يلعبن ويضحكن وينشرحن وهن عريا كسبائك الفضة ثم ان الكبيرة فيهن قالت لهن اخشى يا اخواتي ان يكون احد مختفيا لنا في هذا القصر فقالت الوسطى منهن يا اختي ان هذا القصر من عهد سليمان ما دخله انس ولا جان فقالت الصغيرة منهن وهي تضحك والله يا اخواتي انكان احد مختفيا في هذا المكان فانه لا يأخذ الا انا ثم انهن لعبن وضحكن وقلب جانشاه يرتجف من فرط الغرام وهو مختف تحت الشجرة ينظرهن وهن لاينظرنه ثم انهن سَبَحْنَ في الماء حتى وصلن الى وسط البحيرة وبَعُدْن عن ثيابهن فقام جانشاه على قدميه وهو يجري كالبرق الخاطف واخذ ثياب المنت الصغيرة وهي التي تعلق قلبه بها وكان اسمها شمسة فلما التفتت رأت جانشاه فارتجفت قلوبهن واستترن منه بالماء واتين الى قرب البر ثم نظرن الى وجه جانشاه فرأينه كأنه البدر في ليلة تمامه فقلن له من انت وكيف اتيت الى هذا المكان

Digitized by Google

و قال له ارحمني يرحمك الله و اعنّي على بلوتي يعينك الله فقال له الشيخ نصر يا ولدي و الله لا اعرف هذه البنات و لا ادري اين بلادهن و لكن يا ولدي حيث تولعت باحد لهن فاقعد عندي الى مثل هذا العام لانهن يأتين في السنة القابلة مثل هذا اليوم فاذا قربت الايام التي يأتين فيها فكن مستخفيا في البستان تحت شجرة و لما ينزلن البحيرة ويسبحن فيها و يلعبن و يبعدن عن ثيابهن فخذ ثياب التي تريدها منهن فاذا نظرنك يطلعن الى البر ليلبسن ثيابهن و تقول لك التي اخذت ثيابها بعذوبة كلام وحسن ابتسام اعطني ثيابي يا اخي حتى البسها و استتر بها و متى قبلتَ كلامها و اعطيتها ثيابها فانك لا تبلغ مرادك منها ابدا بل تلبس ثيابها و تروح الى اهلها و لا تنظر ها بعد ذلك ابدا فاذا ظفرت بثيابها فاحفظها و حطها تحت ابطيك و لا تعطها ايا ها حتى ارجع من ملاقاة الطيور و اوفّق بينك و بينها و ارسلك الى بلادك و هي معك و هذا الذي اقدر عليه يا ولدي لا غير و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ نصر قال لجانشاه احفظ ثياب التي تريدها ولا تعطها ايا ها حتى ارجع من ملاقاة الطيور و هذا الذي اقدر عليه يا ولدي لا غير فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر اطمأنّ قلبه وقعد عنده الى ثاني عام وصار يعدّ الماضي من الايام التي تأتي الطيور عقبها فلما جاء ميعاد مجيء الطيور اتى الشيخ نصر الى جانشاه و قال له اعمل بالوصية التي اوصيتك بها من امر ثياب

Digitized by Google

لَقَدْ رَقَّتِ الْاَعْطَافُ مِنْهَا وَقَلْبُهَا ... عَلَى صَبِّهَا اَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ
وَتُرْسِلُ سَهْمَ اللَّحْظِ مِنْ قَوْسِ حَاجِبٍ ... يُصِيبُ وَلَمْ يُخْطِئْ وَلَوْ كَانَ مِنْ بُعْدِ
فَيَا حُسْنَهَا قَدْ فَاقَ كُلَّ مَلَاحَةٍ ... وَلَيْسَ لَهَا بَيْنَ الْبَرِيَّةِ مِنْ نِدِّ

فلما سمع الشيخ نصر من جانشاه هذه الاشعار قال له يا ولدي اما قلت لك لا تفتح هذه المقصورة ولا تدخلها و لكن اخبرني يا ولدي بما رأيتَ فيها و احك لي حكايتك و عرفني ماجرى لك فحكى له جانشاه حكايته و اخبره بماجرى له مع الثلث بنات و هو جالس فلما سمع الشيخ نصر كلامه قال له اعلم يا ولدي ان هذه البنات من بنات الجان و في كل سنة يأتين الى هذا المكان فيلعبن و ينشرحن الى وقت العصر ثم يذهبن الى بلادهن فقال له جانشاه و اين بلادهن فقال له الشيخ نصر و الله يا ولدي ما اعلم اين بلادهن ثم ان الشيخ نصر قال له قم معي و قوّ نفسك حتى ارسلك الى بلادك مع الطيور و خلّ عنك هذا العشق فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر صرخ صرخة عظيمة و وقع مغشيا عليه فلما افاق قال له يا والدي انا لا اريد الرواح الى بلادي حتى اجتمع بهذه البنات و اعلم يا والدي اني ما بقيت اذكر اهلي و لو اموت بين يديك ثم بكى و قال انا رضيت بان انظر وجه من عشقتها و لو في السنة مرة واحدة ثم صعد الزفرات و انشد هذه الابيات

لَيْتَ الْخَيَالُ عَلَى الْاَحْبَابِ مَا طَرَقَا ... وَلَيْتَ هَذَا الْهَوَى لِلنَّاسِ مَا خُلِقَا
لَوْلَا حَرَارَةُ قَلْبِي مِنْ تَذَكُّرِكُمْ ... مَا سَالَ دَمْعِي عَلَى خَدِّي وَلَا اندَفَقَا
اُصْبِرُ الْقَلْبَ فِي يَوْمِي وَلَيْلَتِهِ ... وَصَارَ جِسْمِي بِنَارِ الْحُبِّ مُحْتَرِقَا

ثم ان جانشاه وقع على رجلي الشيخ نصر و قبّلهما و بكى بكاء شديدا

Digitized by Google

و نمن مع جانشاه تلك الليلة الى الصباح فلما اصبح الصباح لبسن البنات ثيابهن الريش و صرن في هيئة الحمام و طرن ذاهبات الى حال سبيلهن فلما رأهن جانشاه طائرات و قد غبن عن عيونه كاد عقله ان يطير معهن و زعق زعقة عظيمة و وقع مغشيا عليه و مكث في غشيته طول ذلك اليوم فبينما هو طريح على الارض واذا بالشيخ نصر قد اتى من ملاقاة الطيور و فتّش على جانشاه ليرسله مع الطيور و يروح الى بلاده فلم يره فعلم الشيخ نصر انه دخل المقصورة و قد كان الشيخ نصر قال للطيوران عندي ولدا صغيرا جاءت به المقادير من بلاد بعيدة الى هذه الارض و اريد منكم ان تحملوه و توصلوه الى بلاده فقالوا له سمعا و طاعة و لم يزل الشيخ نصر يفتّش على جانشاه حتى اتى الى باب المقصورة التي نهاه عن فتحها فوجده مفتوحا فدخل فرأى جانشاه مرميا تحت شجرة و هو مغشي عليه فاتاه بشيء من المياه العطرية و رشّه على وجهه فافاق من غشيته و صار يلتفت و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ نصر لما رأى جانشاه مرميا تحت شجرة اتاه بشيء من المياه العطريه و رشّه على وجهه فافاق من غشيته و صار يلتفت يمينا و شمالا فلم يرعنده احدا سوى الشيخ نصر فزادت به الحسرات و انشد هذه الابيات

تَبَدَّتْ كَبَدْرِ التِّمِّ فِي لَيْلَةِ السَّعْدِ ... مُنَعَّمَةُ الْأَطْرَافِ مَمْشُوقَةُ الْقَدِّ
لَهَا مُقْلَةٌ تُسْبِي الْعُقُولَ بِسِحْرِهَا ... وَثَغْرٌ حَلَى الْيَاقُوتَ فِي حُمْرَةِ الْوَرْدِ
تُحَدِّرُ فَوْقَ الرِّدْفِ أَسْوَدَ شَعْرِهَا ... فَيَا لَكَ إِيَّاكَ الْحِبَابَ مِنَ الْجَعْدِ

Digitized by Google

ثم افاق و قام يتمشى حتى خرج من باب القصر و جلس على كرسي قدام باب القصر و هو يتعجب من حسن ذلك المكان فبينما هو جالس اذا قبل عليه من الجوّ ثلثة طيور في صفة الحمام ثم ان الطيور حطوا بجانب البحيرة و لعبوا ساعة و بعد ذلك نزعوا ما عليهم من الريش فصاروا ثلث بنات كأنهن الاقمار ليس لهن في الدنيا شبيه ثم نزلن البحيرة و سبحن فيها و لعبن و ضحكن فلما رأهن جانشاه تعجب من حسنهن و جمالهن و اعتدال قدودهن ثم طلعن الى البر و دُرْن يتفرجن فى البستان فلما رأهن جانشاه طلعن الى البر كاد عقله ان يذهب و قام على قدميه و تمشى حتى وصل اليهن فلما قرب منهن سلّم عليهن فردن عليه السلام ثم انه سأل لهن و قال لهن من انتن ايها السيدات الفاخرات و من اين اقبلتن فقالت له الصغيرة نحن اتينا من ملكوت الله تعالى لنتفرّج في هذا المكان فتعجب من حسنهن ثم قال للصغيرة ارحميني و تعطّفي علىّ و ارثي لحالي و ماجرى لي فى عمري فقالت له دع عنك هذا الكلام و اذهب الى حال سبيلك فلما سمع جانشاه منها هذا الكلام بكى بكاء شديدا و اشتدت به الزفرات و انشد هذه الابيات

بَدَتْ لِي فِي الْبُسْتَانِ بِالْحُلَلِ الْخُضْرِ ... مُفَكَّكَةَ الْأَزْرَارِ مَحْلُولَةَ الشَّعْرِ
فَقُلْتُ لَهَا مَا الْإِسْمُ قَالَتْ أَنَا الَّتِي ... كَوَيْتُ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ عَلَى الْجَمْرِ
شَكَوْتُ إِلَيْهَا مَا لَقِيتُ مِنَ الْهَوَى ... فَقَالَتْ إِلَى صَخْرٍ شَكَوْتَ وَلَمْ تَدْرِ
فَقُلْتُ لَهَا إِنْ كَانَ قَلْبُكِ صَخْرَةً ... فَقَدْ أَنْبَعَ اللَّهُ الزُّلَالَ مِنَ الصَّخْرِ

فلما سمع البنات هذا الشعر من جانشاه ضحكن و لعبن و غنين و طربن ثم ان جانشاه اتى اليهن بشيء من الفواكه فاكلن و شربن

Digitized by Google

والزمرد والجواهر مرصعة في الارض على هيئة الرخام وفي وسط ذلك القصر فسقية من الذهب ملآنة بالماء وحول تلك الفسقية وحوش وطيور مصنوعة من الذهب والفضة يخرج من بطونها الماء واذا هبّ النسيم يدخل في اذانها فتصفر كل صورة بلغتها وبجانب الفسقية ليوان عظيم عليه تخت عظيم من الياقوت مرصع بالدر والجواهر وعلى ذلك التخت خيمة منصوبة من الحرير الاخضر مزركشة بالفصوص والمعادن الفاخرة ومقدار سعتها خمسون ذراعا وداخل تلك الخيمة مخدع فيه البساط الذي كان للسيد سليمان عليه السلام ورأى جانشاه حول ذلك القصر بستانا عظيما وفيه اشجار واثمار وانهاروفي دائر القصر مزارع من الورد والريحان والنسرين ومن كل مشموم واذا هبّت الرياح على الاشجار تمايلت تلك الاغصان ورأى جانشاه في ذلك البستان من جميع الاشجار رطبا ويابساوكل ذلك في تلك المقصورة فلما رأى جانشاه هذا الامر تعجب منه غاية العجب وصار يتفرج في ذلك البستان وفي ذلك القصر وعلى ما فيهما من العجائب والغرائب ونظر الى البحيرة فرآى حصاها من الفصوص النفيسة والجواهر الثمينة والمعادن الفاخرة ورأى في تلك المقصورة شيأ كثيرا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان جانشاه راى في تلك المقصورة شيأ كثيرا فتعجب منه ثم تمشّى حتى دخل القصر الذي في تلك المقصورة وطلع على التخت المنصوب على الليوان بجانب الفسقية ودخل الخيمة المنصوبة فوقه ونام في تلك الخيمة مدة من الزمان

Digitized by Google

اعلم يا ولدي انك بالقرب من جبل قاف و ليس لك زواج من هذا المكان الّا اذا اتت الطيور و اوصي عليك واحدا منها فيوصلك الى بلادك فاقعد عندي في هذا القصر وكُلْ و اشرب و تفرج في هذه المقاصير حتى تأتي الطيور فقعد جانشاه عند الشيخ و صار يدور في الوادي و يأكل من تلك الفواكه و يتفرج ويضحك ويلعب ولم يزل مقيما في اللّذ عيش مدة من الزمان حتى قرب مجيء الطيور من اماكنها لزيارة الشيخ نصر فلما علم الشيخ نصر بمجيء الطيور قام على قدميه و قال لجانشاه يا جانشاه خذ هذه المفاتيح و افتح المقاصير التي في هذا القصر و تفرّج على ما فيها الّا المقصورة الفلانية فاحذر ان تفتحها و متى خالفتني وفتحتها و دخلتها لا يحصل لك خير ابدا و وصّى جانشاه بهذه الوصية و اكّد عليه فيها و سار من عنده لملاقاة الطيور فلما نظرت الطيور الشيخ نصر اقبلت عليه و قبلت يديه جنسا بعد جنس هذا ماكان من امر الشيخ نصر • واما ماكان من امر جانشاه فانه قام على قدميه و صار دائرا يتفرج على القصر يمينا و شمالا وفتح جميع المقاصير التي في القصر حتى وصل الى المقصورة التي حذّره الشيخ نصر من فتحها فنظر الى باب تلك المقصورة فاعجبه ورأى عليه قفلا من الذهب فقال في نفسه ان هذه المقصورة احسن من جميع المقاصير التي في القصر ياترى مايكون في هذه المقصورة حتى منعني الشيخ نصر من الدخول فيها فلابدّ لي من ان ادخل هذه المقصورة و انظر الذي فيها وماكان مقدّرا على العبد لا بدّ ان يستوفيه ثم مدّ يده وفتح المقصورة ودخلها فرأى فيها بُحيرة عظيمة وبجانب البحيرة قصر صغير وهو مبني من الذهب والفضة والبلور وشبابيكه من الياقوت ورخامه من الزبرجد الاخضر والبلخش

Digitized by Google

جانشاه حتى قرب منه و سلم عليه فرد عليه السلام و رحب به و قال له اجلس يا ولدي فجلس جانشاه على باب ذلك القصر ثم ان الشيخ سأله و قال له من اين اتيت الى هذه الارض و ابن آدم ما داسها قط والى اين رائح فلما سمع جانشاه كلام الشيخ بكى بكاء شديدا من كثرة ما قاساه و خنقه البكاء فقال له الشيخ يا ولدي اترك البكاء فقد اوجعت قلبي ثم قام الشيخ و اتى اليه بشيء من الاكل و حطه قدامه و قال له كل من هذا فاكل جانشاه و حمد الله تعالى ثم ان الشيخ بعد ذلك سأل جانشاه و قال له يا ولدي اريد منك ان تحكي لي حكايتك و تخبرني بماجرى لك فحكى له حكايته واخبره بجميع ماجرى له من اول الامر الى ان وصل اليه فلما سمع كلامه تعجب منه عجبا شديدا فقال جانشاه للشيخ اريد منك ان تخبرني بصاحب هذا الوادي و لمن هذا القصر العظيم فقال الشيخ لجانشاه اعلم يا ولدي ان هذا الوادي و ما فيه و ذلك القصر و ما حواه للسيد سليمان بن داود عليهما السلام وانا اسمي الشيخ نصر ملك الطيور و اعلم ان السيد سليمان و كلني بهذا القصر و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ نصر ملك الطيور قال لجانشاه واعلم ان السيد سليمان وكلني بهذا القصر و علمني منطق الطير و جعلني حاكما علي جميع الطير الذي في الدنيا وفي كل سنة تأتي الطير الى هذا القصر و ننظرهم ويروحون و هذا سبب تعودي في هذا المكان فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر بكى بكاء شديدا و قال له يا والدي كيف تكون حيلتي حتى اروح الى بلادي فقال له الشيخ

Digitized by Google

على البغلة طائر عظيم فاختطفها و طار ثم حطّ بها على اعلا الجبل واراد ان يأكلها فحس جانشاه بالطائر فشق بطن البغلة و خرج منها فجفل الطائر لما رأى جانشاه و طار و راح الى حال سبيله فقام جانشاه على قدميه فصار ينظر يمينا و شمالا فلم ير احدا الاّ رجالا ميتة يابسة من الشمس فلما رأى ذلك قال في نفسه لاحول و لا قوة الاّ بالله العلي العظيم ثم انه نظر الى اسفل الجبل فراى التاجر واقفا تحت الجبل ينظر الى جانشاه فلما رآه قال له ارم لي من الحجارة التي حولك حتى ادلّك على طريق تنزل منها فرمى جانشاه من تلك الحجارة نحو مائتي حجر وكانت تلك الحجارة من الياقوت و الزبرجد و الجواهر الثمينة ثم ان جانشاه قال للتاجر دلّني على الطريق و انا ارمي لك مرة اخرى فلمّ التاجر تلك الحجارة وحملها على البغلة التي كان راكبها و سار و لم يردّ له جوابا و بقي جانشاه فوق الجبل وحده فصار يحتفيث و يبكي ثم مكث في الجبل ثلثة ايام و بعد الثلثة ايام قام و سار في عرض الجبل مدة شهرين وهو يأكل من اعشاب الجبل وما زال سائرا حتى وصل في سيره الى طرف الجبل فلما وصل الى ذيل الجبل رأى واديا على بُعد و فيه اشجار و اثمار و اطيار تسبح الله الواحد القهار فلما رأى جانشاه ذلك الوادي فرح فرحا شديدا فقصده و لم يزل ما شيا ساعة من الزمان حتى وصل الى شرم في الجبل ينزل منه السيل فنزل منه و سار حتى وصل الى الوادي الذي رآه و هو على الجبل فنزل الوادي و صار يتفرج فيه يمينا و شمالا و ما زال يمشي و يتفرج حتى وصل الى قصر عال شاهق في الهواء فتقرب جانشاه من ذلك القصر حتى وصل الى بابه فرأى شيخا مليح الهيئة يلمع النور من وجهه و بيده عكاز من الياقوت و هو واقف على باب القصر فتمشى

Digitized by Google

و لما اصبح الصباح راح الى الحمام فامر التاجر عبيده ان يأتوا اليه ببدلة من الحرير فاتوا له ببدلة نفيسة من الحرير و صبروا حتى خرج من الحمام و البسوه البدلة و اتوا به الى البيت فامر التاجر عبيده ان يأتوا بالجنك و العود و المشروب فاتوا اليهما بذلك فشربا و لعبا و ضحكا الى ان مضى من الليل نصفه و بعد ذلك ذهب التاجر الى حريمه و نام جانشاه مع الجارية الى وقت الصباح ثم راح الى الحمام فلما رجع من الحمام جاء اليه التاجر وقال اني اريدان تعمل لنا الشغل فقال جانشاه سمعا و طاعة فامر التاجر عبيده ان يأتوا ببغلتين فاتوه ببغلتين فركب بغلة وأمر جانشاه ان يركب البغلة الثانية فركبها ثم ان جانشاه و التاجر سارا من وقت الصباح الى وقت الظهر حتى وصلا الى جبل عال ماله حد فى العلو فنزل التاجر من فوق ظهر البغلة و امر جانشاه ان ينزل فنزل جانشاه ثم ان التاجر ناول جانشاه سكّينا و حبلا و قال له اريد منك ان تذبح هذه البغلة فشمّر جانشاه ثيابه و اتى الى البغلة و وضع الحبل في اربعتها و رماها على الارض و اخذ السكين و ذبحها و سلخها و قطع اربعتها و رأسها و صارت كوم لحم فقال له التاجر امرتك ان تشق بطنها و تدخل فيه و اَخِيْط عليك و تقعد هناك ساعة من الزمان و مهما تراه في بطنها فاخبرني به فشقّ جانشاه بطن البغلة و دخله و خاطه عليه التاجر ثم تركه و بَعُد عنه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة السابعة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر لما خاط بطن البغلة على جانشاه و تركه و بَعُد عنه و استخفى في ذيل الجبل و بعد ساعة نزل

Digitized by Google

شديدا و حزن على نفسه و على مماليكه و على فراق امه و ابيه وعلى ماجرى له في سفره فقال له اليهودي لاتبك يا شاب واقعد عندنا حتى تأتى القافلة و نحن نرسلك معها الى بلادك فلما سمع جانشاه ذلك الكلام قعد عند اليهودي مدة شهرين و صار في كل يوم يخرج الى ازقة المدينة و يتفرج فيها فاتفق انه خرج على عادته يوما من الايام و دار في شوارع المدينة يمينا و شمالا فسمع رجلا ينادي و يقول من يأخذ الف دينار و جارية حسناء بديعة الحسن والجمال ويعمل لي شغلا من وقت الصبح الى وقت الظهر فلم يجبه احد فلما سمع جانشاه كلام المنادي قال في نفسه لولا ان هذا الشغل خطر ماكان صاحبه يعطي الف دينار و جارية حسناء في شغل من الصبح الى الظهر ثم ان جانشاه تمشى الى المنادي و قال له انا اعمل هذا الشغل فلما سمع المنادي من جانشاه هذا الكلام اخذه و اتى به الى بيت عال فدخل هو و جانشاه ذلك البيت فوجده بيتا عظيما و وجد هناك رجلا يهوديا تاجرا جالسا على كرسي من الأبنوس فوقف المنادي قدامه وقال له ايها التاجر ان لي ثلثة شهور وانا انادي في المدينة فلم يجنبي احد الا هذا الشاب فلما سمع التاجر كلام المنادي رحّب بجانشاه واخذه و دخل به الى مكان نفيس و اشار الى عبيده ان ياتوا له بالطعام فمدوا السماط و اتوا بانواع الاطعمة فاكل التاجر و جانشاه و غسلا ايديهما و اتوا بالمشروب فشربا ثم ان التاجر قام و اتى لجانشاه بكيس فيه الف دينار و اتى له بجارية بديعة الجمال و قال له خذ هذه الجارية و هذا المال فى الشغل الذي تعمله فاخذ جانشاه الجارية والمال و اجلس الجارية بجانبه و قال له التاجر في غد اعمل لنا الشغل ثم ذهب التاجر من عنده و نام جانشاه هو و الجارية في تلك الليلة

Digitized by Google

خوفا شديدا و استوحش لفقد مماليكه ثم نام في تلك المغارة الى الصباح ثم سار و لم يزل سائرا ليالي و اياما و هو يأكل من الاعشاب حتى وصل الى الجبل الذي يتوقد مثل النار فلما اتى اليه سار فيه حتى وصل الى النهر الذي ينشف في كل يوم سبت فلما وصل الى ذلك النهر رأه نهرا عظيما و بجانبه مدينة عظيمة و هي مدينة اليهود التي رأها مكتوبة في اللوح فاقام هناك الى ان اتى يوم السبت و نشف النهر ثم مشى من النهر حتى وصل الى مدينة اليهود فلم يرفيها احدا فمشى فيها حتى وصل الى باب بيت ففتحه و دخله فرأى اهله ساكتين لا يتكلمون ابدا فقال لهم اني رجل غريب جائع فقالوا له بالاشارة كل و اشرب و لا تتكلم فقعد عندهم واكل و شرب و نام تلك الليلة فلما اصبح الصباح سلم عليه صاحب البيت ورحّب به و قال له من اين اتيت و الى اين رائح فلما سمع جانشاه كلام ذلك اليهودي بكى بكاء شديدا و حكى له قصته و اخبره بمدينة ابيه فتعجب اليهودي من ذلك و قال له ما سمعنا بهذه المدينة قط غير اننا كنا نسمع من قوافل التجار ان هناك بلاد تسمى بلاد اليمن فقال جانشاه لليهودي هذه البلاد التي تخبر بها التجار لا تبعد عن هذا المكان فقال له اليهودي ان تجّار تلك القوافل يزعمون ان مدة سفرهم من بلادهم الى هنا سنتان وثلثة اشهر فقال جانشاه لليهودي ومتى تأتي القافلة فقال له تأتي في السنة القابلة وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان جانشاه لما سأل اليهودي عن مجيء القافلة قال له تأتي في السنة القابلة فلما سمع جانشاه كلامه بكى بكاء

Digitized by Google

وقت المساء و لما امسى الوقت هرب جانشاه هو و المماليك فى بطن الوادي وادرک شهر زاد الصباح فسکتت عن الکلام المباح

فلما کانت اللیلة الخامسة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملک السعيد انه لما اقبل المساء هرب جانشاه هو و مماليکه في بطن الوادي الى الصباح فلما اصبح الصباح اقبل القرود على جانشاه فلما رأهم زعق على مماليکه وقال لهم اضربوهم بالسيوف فسحب المماليک سيوفهم و جعلوا يضربون القرود يمينا وشمالا فتقدم قرد عليهم له انياب مثل انياب الفيل واتى الى واحد من المماليک وضربه فقسمه نصفين و تکاثرت القرود على جانشاه فهرب الى اسفل الوادي و رأى هناک نهرا عظيما و بجانبه نمل عظيم فلما راى النمل جانشاه مقبلا عليه احاط به و اذا بمملوک ضرب النمل بسيف فقسمها نصفين فلما رأت عساکر النمل ذلک تکاثروا على المملوک و قتلوه فبينما هم في هذا الامر و اذا بالقرود قد اقبلوا من فرق الجبل و تکاثروا على جانشاه فلما راى جانشاه اندفاعهم عليه نزع ثيابه و نزل النهر و نزل معه المملوک الذي بقي و عاما فى الماء الى وسط النهر ثم ان جانشاه رأى شجرة في شاطئ النهر من الجهة الاخرى فمدّ يده الى غصن من اغصانها و تناوله و تعلق به و طلع الى البر و اما المملوک فانه غلب عليه التيّار فاخذه و قطعه فى الجبل و صار جانشاه واقفا في البر وحده يعصر ثيابه و ينشفها فى الشمس و وقع بين القرود و النمل قتال عظيم ثم رجع القرود الى بلادهم هذا ما کان من امر القرود و النمل ● و اما ما کان من امر جانشاه فانه صار يبکي الى وقت المساء ثم دخل مغارة و استکنّ فيها و قد خاف

Digitized by Google

و مماليكه و ساروا في البراري والقفار ولم يزالوا سائرين من مكان الى مكان حتى عرف وادى النمل و رأى الامارة المكتوبة في اللوح المرمز فلما رأى ذلك امرهم ان ينزلوا في ذلك المكان فنزلوا و نزلت عساكر القرود و مكثوا في اكل و شرب مدة عشرة ايام ثم اختلى جانشاه بمماليكه من الليالي و قال لهم اني اريدان نهرب و نروح الى وادى النمل و نسير الى مدينة اليهود لعل الله ينجينا من هؤلاء القرود ونروح الى حال سبيله فقالوا له سمعا و طاعة ثم انه صبر حتى مضى من الليل شيء قليل وقام و قامت معه المماليك و تسلحوا باسلحتهم و حزموا اوساطهم بالسيوف و الخناجر وما اشبه ذلك من آلات الحرب وخرج جانشاه هو و مماليكه و ساروا من اول الليل الى وقت الصباح فلما انتبه القرود من نومهم لم يروا جانشاه و لا مماليكه فعلموا انهم هربوا منهم فقامت جماعة من القرود و ركبوا و ساروا الى ناحية الدرب الشرقي و جماعة ركبوا و ساروا الى وادى النمل فبينما القرود سائرون اذ نظروا جانشاه و المماليك معه و هم مقبلون على وادي النمل فلما راوهم اسرعوا وراءهم فلما نظرهم جانشاه هرب و هربت معه المماليك و دخلوا وادي النمل فما مضت ساعة من الزمان الا و القرود قد هجمت عليهم و ارادوا ان يقتلوا جانشاه هو و مماليكه و اذا هم بنمل قد خرج من تحت الارض مثل الجراد المنتشر كل نملة منه قدر الكلب فلما راى النمل القرود هجم عليهم و اكل منهم جماعة و قتل من النمل جماعة كثيرة لكن حصل النصر للنمل و صارت النملة تأتي الى القرود و تضربه فتقسمه نصفين و صار العشرة قرود يركبون النملة الواحدة و يمسكونها و يقسمونها نصفين و وقع بينهم حرب عظيم الى

Digitized by Google

مكتوبا فيه * اعلم يامن دخل هذه الارض انك تصير سلطانا على هؤلاء القرود و ما يتأتي لك رواح من عند هم الّا ان رحت من الدرب الشرقي بناحية الجبل و طوله ثلثة اشهر و انت سائر بين الوحوش و الغيلان و المردة و العفاريت و بعد ذلك تنتهي الى البحر المحيط بالدنيا * او رحت من الدرب الغربي و طوله اربعة اشهر و في رأسه وادى النمل فاذا وصلت الى وادى النمل و دخلت فيه فاحترز على نفسك من هذا النمل حتى تنتهي الى جبل عال و ذلك الجبل يتوقّد مثل النار و مسيرته عشرة ايام فلما رأى جانشاه ذلك اللوح و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جانشاه لما رأى ذلك اللوح قرأه و رأى فيه ما ذكرناه و رأى في آخر الكلام ثم تنتهي الى نهر عظيم و هو يجري و جريانه يخطف البصر من شدة عزمه و ذلك النهر في كل سبت يبيبس و بجانبه مدينة اهلها كلهم يهود ولد يمين محمد جحود ما فيهم مسلم ابدا و ما في هذه الارض الّا هذه المدينة و ما دمت مقيما عند القرود هم منصورون على الغيلان * و اعلم ان هذا اللوح كتبه السيد سليمان ابن داوُد عليهما السلام فلما قرأ جانشاه بكى بكاء شديدا ثم التفت الى مماليكه و اعلمهم بما هو مكتوب على اللوح و بعد ذلك ركب و ركب حوله عساكر القرود و صاروا فرحانين بالنصر على اعدائهم و رجعوا الى قلعتهم و مكث جانشاه سلطانا في القلعة على القرود سنة و نصفا ثم بعد ذلك امر جانشاه عساكر القرود ان يركبوا للصيد و القنص فركبوا و ركب معهم جانشاه

Digitized by Google

رأي جانشاه المركب التي كان راكبا فيها قد خسفت التفت الى وزرائه من القرود و قال لهم اين المركب التي كان هنا فقالوا له اعلم ايها الملك انكم لما اتيتم الى جزيرتنا علمنا انك تكون سلطانا علينا و خفنا ان تهربوا منا اذا اتينا من عندكم وتنزلوا المركب فمن اجل ذلك خسفناها فلما سمع جانشاه هذا الكلام التفت الى المماليك و قال لهم ما بقي لنا حيلة في الرواح من عند هؤلاء القرود ولكن نصبر لما قدره الله تعالى ثم ساروا ومازالوا سائرين حتى وصلوا الى شاطئ نهر و في جانب ذلك النهر جبل عال فنظر جانشاه الى ذلك الجبل فرأى فيه غيلانا كثيرة فالتفت الى القرود و قال لهم ما شان هؤلاء الغيلان فقال له القرود اعلم ايها الملك ان هؤلاء الغيلان اعداؤنا و نحن اتينا لنقاتلهم فتعجب جانشاه من هؤلاء الغيلان و من عظم خلقتهم وهم راكبون على الخيل وروس بعضهم على صورة روس البقر و بعضهم على صورة الجمال فلما رأى الغيلان عسكر القرود هجموا عليهم و وقفوا على شاطئ النهر و صاروا يرجمونهم بشيء من الحجارة في صورة العواميد و حصل بينهم حرب عظيم فلما رأى جانشاه الغيلان غلبوا على القرود زعق على المماليك و قال لهم اطلعوا القسي و النشاب و ارموا عليهم بالنبال حتى تقتلوهم و تردوهم عنا ففعل المماليك ما امرهم به جانشاه حتى حصل للغيلان كرب عظيم و قتل منهم خلق كثير و انهزموا و ولوا هاربين فلما رأى القرود من جانشاه هذا الامر نزلوا في النهر وعدوه و جانشاه معهم و طردوا الغيلان حتى غابوا عن اعينهم و انهزموا و قتل منهم كثير و لم يزل جانشاه و القرود سائرين حتى وصلوا الى جبل عال فنظر جانشاه الى ذلك الجبل فوجد فيه لوحا من المرمر

Digitized by Google

الطعام و اتوا بفاكهة فاكلوا منها وحمدوا الله تعالى * ثم ان جانشاه اشار الى اكابر القرود وقال لهم ما شانكم ولمن هذا المكان فقال له القرود بالاشارة اعلم ان هذا المكان كان لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وكان يأتي اليه في كل سنة مرة يتفرج فيه ويروح من عندنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان جانشاه اخبره القرود عن القلعة وقالوا له ان هذا المكان كان لسيدنا سليمان بن داود وكان يأتي اليه في كل سنة يتفرج فيه و يروح من عندنا ثم قال له القرود اعلم ايها الملك انك بقيت علينا سلطانا و نحن في خدمتك وكُل و اشرب وكل ما امرتنا به نفعله ثم قام القرود وقبلوا الارض بين يديه وانصرف كل واحد منهم الى حال سبيله ونام جانشاه فوق التخت ونام المماليك حوله على الكراسي الى وقت الصباح ثم دخل عليه الاربعة وزراء الرؤساء على القرود و عساكرهم حتى امتلأ ذلك المكان و صاروا حوله صفا بعد صف واتت الوزراء و اشاروا الى جانشاه ان يحكم بينهم بالصواب ثم صاح القرود على بعضهم وانصرفوا وبقي منهم جانب قدام الملك جانشاه من اجل الخدمة ثم بعد ذلك اقبل قرود معهم كلاب في صورة الخيل وفي رأس كل كلب منهم سلسلة فتعجب من هؤلاء الكلاب و من عظم خلقتها ثم ان وزراء القرود اشاروا لجانشاه ان يركب ويسير معهم فركب جانشاه والثلثة مماليك وركب معهم عسكر القرود وصاروا مثل الجراد المنتشر و بعضهم راكب و بعضهم ماش فتعجب من امورهم ولم يزالوا سائرين الى شاطئ البحر فلما

Digitized by Google

المماليك و ساروا حتى اتوا القلعة و دخلوا فيها فتعجب جانشاه من حسن ذلك المكان ثم داروا يتفرجون في البستان و يأكلون من تلك الفواكه ولم يزالوا دائرين الى وقت المساء و لما امسى عليهم المساء اتوا الى الكراسي المنصوبة وجلس جانشاه على التخت المنصوب في الوسط و صارت الكراسي منصوبة عن يمينه و شماله ثم ان جانشاه لما جلس على ذلك التخت صار يتفكر و يبكي على فراق تخت و الده و على فراق بلاده و اهله و اقاربه و بكت حوله الثلثة المماليك فبينما هم في ذلك الامر اذا بصيحة عظيمة من جانب البحر فالتفتوا الى جهة تلك الصيحة فاذا هم قردة كالجراد المنتشر و كانت تلك القلعة والجزيرة للقردة ثم ان هؤلاء القردة لما رأوا المركب التي اتى فيها جانشاه خسفوها على شاطئ البحر واتوا جانشاه و هو جالس في القلعة * ثم قالت ملكة الحيات كل هذا يا حاسب مما يحكيه الشاب الجالس بين القبرين لبلوقيا فقال لها حاسب وما فعل جانشاه مع القردة بعد ذلك قالت له ملكة الحيات لما طلع جانشاه وجلس على التخت والمماليك عن يمينه و شماله اقبل عليهم القردة فانزعوهم واخافوهم خوفا عظيما ثم دخلت جماعة من القردة و تقدموا الى ان قربوا من التخت الجالس عليه جانشاه وقبلوا الارض قدامه ووضعوا ايديهم على صدورهم ووقفوا قدامه ساعة و بعد ذلك اقبلت جماعة منهم و معهم غزلان فذبحوها و اتوا بها الى القلعة وسلخوها وقطعوا لحمها وشووها حتى طابت للاكل وحطوها في صوان من الذهب و الفضة ومدوا السماط واشاروا الى جانشاه و جماعته ان ياكلوا فنزل جانشاه من فوق التخت واكل واكلت معه القرود و المماليك حتى اكتفوا من الاكل ثم ان القرود رفعوا سماط

Digitized by Google

من جميع الفواكه والانهار تجري من تحت تلك الاشجار وهي كأنّها الجنة فلما رأى جانشاه تلك الجزيرة اعجبته وقال للمماليك مَنْ فيكم يطلع هذه الجزيرة وينظر لنا خبرها فقال مملوك منهم انا اطلع واكشف لكم عن خبرها وارجع اليكم فقال جانشاه هذا امر لا يكون وانما تطلعون انتم الثلثة وتكشفون لنا عن خبر هذه الجزيرة وانا قاعد لكم في المركب حتى ترجعوا ثم ان جانشاه انزل الثلثة المماليك ليكشفوا عن خبر الجزيرة فطلع المماليك الى الجزيرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المماليك لما طلعوا الى الجزيرة داروا فيها شرقا وغربا فلم يجدوا فيها احدا ثم مشوا فيها الى وسطها فرأوا على بُعد قلعة من الرخام الابيض وبيوتها من البلور الصافي وفي وسط تلك القلعة بستان فيه من جميع الفواكه اليابسة والرطبة ما يكلّ عنه الوصف وفيه جميع المشموم ورأوا في تلك القلعة اشجارا واثمارا واطيارا تناغي على تلك الاشجار وفيها بُحَيْرة عظيمة وبجانب البحيرة ايوان عظيم وعلى ذلك الايوان كراسي منصوبة وفي وسط تلك الكراسي تخت منصوب من الذهب الاحمر مرصع بانواع الجواهر واليواقيت فلما رأى المماليك حسن تلك القلعة وذلك البستان داروا في تلك القلعة يمينا وشمالا فما رأوا فيها احدا ثم طلعوا من القلعة وراحوا الى جانشاه واعلموه بما رأوه فلما سمع جانشاه ابن الملك منهم ذلك الخبر قال لهم اني لا بدلي من ان اتفرج في هذه القلعة ثم ان جانشاه طلع من المركب وطلعت معه

Digitized by Google

جانشاه ثم ان الملك اخذ بقية العساكر و الجيوش و رجع الى المدينة و صار في نكد شديد و لما علمت والدة جانشاه بذلك لطمت وجهها و اقامت عزاه هذا ما كان من امرهم * واما ما كان من امر جانشاه و المماليك الذين معه فانهم لم يزالوا تايهين فى البحـــر و لم يزل الروّاد دائرين يفتشون عنهم في البحر مدة عشرة ايام فما وجدوهم فرجعوا الى الملك و اعلموه بذلك ثم ان جانشاه و المماليك الذين معه هبّ عليهم ريح عاصف و ساق المركب التي هم فيها حتى اوصلها الى جزيرة و طلع جانشاه و الستة المماليك من المركب و تمشوا في تلك الجزيرة حتى وصلوا الى عين ماء جارية في وسط تلك الجـــزيرة فرأوا رجلا جالسا على بعد قريبا من العيـــن فاتوه و سلمـــوا عليه فرد عليهم السلام ثم ان الرجل كلّمهم بكلام مثل صفير الطير فلما سمع جانشاه كلام ذلك الرجل تعجب ثم ان الرجل التفت يمينا و شمـــالا و بينما هم يتعجبون من ذلك الرجل اذا هو قد انقسم نصفين و راح كل نصف في ناحية و بينما هم كذلك اذا قبل عليهم اصنـــاف رجال لا تحصى و لا تعد و اتوا من جانب الجبل و ساروا حتى وصلـــوا الى العين و صار كل واحد منهم منقسما نصفين * ثم انهم اتوا جانشاه و المماليك ليأكلوهم فلما رأهم جانشاه يريدون اكلهم هرب منهم و هربت معه المماليك فتبعهم هؤلاء الرجال فاكلوا من المماليك ثلثة و بقى ثلثة مع جانشاه ثم ان جانشاه نزل الى المركب و معه الثلثة المماليك و دفعوا المركب الى وسط البحر و ساروا ليلا و نهارا و هم لا يعرفون اين تذهب بهم المركب ثم انهم ذبحوا الغزالة وصاروا يقتاتون منها فضربتهم الرياح فالقتهم الى جزيرة اخرى فنظروا الى تلك الجزيرة فراوا فيها اشجارا و انهارا و اثمارا و بســـاتين و فيها

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الحادية بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جانشاه هو و مماليكه لما هجموا على الغزالة ليمسكوها قنصا فرّت منهم و رمت نفسها فى البحر وكان في ذلك البحر مركب صياد فنطت فيها الغزالة فنزل جانشاه و مماليكه من خيلهم الى المركب و قنصوا الغزالة و ارادوا ان يرجعوا الى البر و اذا بجانشاه ينظر الى جزيرة عظيمة فقال للمماليك الذين معه اني اريد ان نذهب الى الجزيرة فقالوا له سمعا وطاعة وساروا بالمركب الى ناحية الجزيرة حتى وصلوا اليها فلما وصلوا اليها طلعوا فيها و صاروا يتفرجون عليها ثم بعد ذلك عادوا الى المركب و نزلوا فيها و ساروا و الغزالة معهم قاصدين البر الذي اتوا منه فامسى عليهم المساء و تاهوا فى البحر فهبت عليهم الريح واجرت المركب في وسط البحر و ناموا الى وقت الصباح ثم انتبهوا و هم لا يعرفون الطريق و لم يزالوا سائرين فى البحر هذا ما كان من امرهم * و اما ما كان من امر الملك طيغموس والد جانشاه فانه تفقّد ابنه فلم يره فامر العسكر ان يروح كل جماعة منهم الى طريق فصاروا دائرين يفتشون عن ابن الملك طيغموس وذهب جماعة منهم الى البحر فرأوا المملوك الذي خلوه عند الخيل فاتوه و سألوه عن سيده وعن الستة المماليك فاخبرهم المملوك بماجرى لهم فاخذوا المملوك و الخيل و رجعوا الى الملك و اخبروه بذلك الخبر * فلما سمع الملك بذلك الكلام بكى بكاء شديدا و رمى التاج من فوق رأسه و عضّ يديه ندما و قام من وقته وكتب كتبا و ارسلها الى الجزائر التي فى البحر و جمع مائة مركب و انزل فيها عساكر و امرهم ان يدوروا فى البحر و يفتشوا عن ولده

Digitized by Google

لهم اريد منكم ان تنظروا طالع هذا المولود و ناظره من الكواكب و تخبروني بما يلقاه في عمره فحسب الحكماء و المنجمون طالعه و ناظره فرأوا الولد سعيدا ولكنه يحصل له في اول عمره تعب و ذلك عند بلوغه خمس عشرة سنة فان عاش بعد ها رأى خيرا كثيرا و صار مَلِكا عظيما اعظم من ابيه و عظم سعده وهلك ضده وعاش عيشا هنيأ ان مات فلا سبيل الى ما فات والله اعلم * فلما سمع الملك ذلك الخبر فرح فرحا شديدا و سماه جَانْشَاه وسلمه للمراضع و الدايات و احسن تربيته فلما بلغ من العمر خمس سنين علّمه ابوه القراءة و صار يقرأ في الانجيل و علمه الحرب و الطعن والضرب في اقلّ من سبع سنين وجعل يركب للصيد و القنص و صار بهلوانا عظيما كاملا في جميع آلات الفروسية و صار ابوه كلما سمع بفروسيته في جميع آلات الحرب فرح فرحا شديدا * فاتفق في يوم من الايام انّ الملك طيغموس امر عسكره ان يركبوا للصيد و القنص فطلعت العسكر و الجيوش وركب الملك طيغموس هو وابنه جانشاه و ساروا الى البراري والقفار واشتغلوا بالصيد و القنص الى عصر اليوم الثالث فسنحت لجانشاه غزالة عجيبة اللون و شردت قدامه فلما نظر جانشاه الى تلك الغزالة وهي شاردة قدامه تبعها واسرع في الجري وراءها و هي هاربة فانتبذ سبعة مماليك من مماليك طيغموس و ذهبوا في اثر جانشاه فلما نظروا الى صيدهم و هو مسرع و راء الغزالة راحوا مسرعين وراءه و هم على خيل سوابق و ما زالوا سائرين حتى وصلوا الى بحر فتها جم الجميع على الغزالة ليمسكوها قنصا ففرّت منهم الغزالة والقت نفسها في البحر و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

و قال له ابشر بما تريد و لوطلب الملك طيغموس روحي لاعطيته
ايا ها و ذهب الملك بهروان من وقته الى بنته و امها و اقاربه
و اعلمهم بذلك الامر و استشارهم فيه فقالوا له افعل ما شئت وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك بهروان استشار البنت
و امها و اقاربها فقالوا له افعل ما تريد ثم ان الملك بهروان رجع
الى الوزير عين زار و اعلمه بقضاء حاجته و مكث الوزير عند
الملك بهروان مدة شهرين ثم بعد ذلك قال الوزير للملك اننا
نريد منك ان تنعم علينا بما اتيناك فيه و نروح الى بلادنا فقال
الملك للوزير سمعا و طاعة ثم امر باقامة العرس و تجهيز الجهاز
ففعلوا ما امر هم به و بعد ذلك امر باحضار و زرائه و جميع الامراء
من اكابر دولته فحضروا جميعا ثم امر باحضار الرهبان و القسيسين
فحضروا و عقدوا عقد البنت للملك طيغموس و هيأ الملك بهروان
آلة السفر و اعطى بنته من الهدايا و التحف و المعادن ما يكل عنه
الوصف و امر بفرش ازقة المدينة و زينها باحسن زينة و سافر الوزير
عين زار ببنت الملك بهروان الى بلاده فلما وصل الخبر الى الملك
طيغموس امر باقامة الفرح وزينة المدينة ثم ان الملك طيغموس دخل
على بنت الملك بهروان و ازال بكارتها فما مضت عليها ايام قلائل
حتى علقت منه ولما تمت اشهرها وضعت ولدا ذكرا مثل البدر في
ليلة تمامه * فلما علم الملك طيغموس ان زوجته وضعت ولدا ذكرا مليحا
فرح فرحا شديدا و طلب الحكماء و المنجمين و ارباب التقاويم و قال

Digitized by Google

بهروان و اعلم اننا قد جمعنا المنجمين و الحكماء و ارباب التقاويم فاخبرونا اننا نرزق ولدا ذكرا و لا يكون ذلك الولد الاّ من بنتك و ها انا قد جهزت لك الوزير عين زار و معه اشياء كثيرة من آلة العرس و اني قد اقمت وزيري مقامي في هذه المسألة و وكّلته في قبول العقد و اريد من فضلك ان تقضي للوزير حاجته فانها حاجتي و لا تبدي في ذلك اهمالا و لا امهالا وما فعلتَه من الجميل فهو مقبول منك و الحذر من المخالفة في ذلك و اعلم يا ملك بهروان ان الله قد منّ عليّ بمملكة كابل و ملكني على بني شهلان واعطاني ملكا عظيما و اذا تزوجت بنتك اكون انا و انت في الملك شيأ واحدا و ارسل اليك في كل سنة ما يكفيك من المال و هذا قصدي منك * ثم ان الملك طيغموس ختم الكتاب و ناوله لوزيره عين زار و امره بالسفر الى بلاد خراسان فسافر الوزير حتى وصل الى قرب مدينة الملك بهروان فاعلموه بقدوم وزير الملك طيغموس فلما سمع الملك بهروان بذلك الكلام جهز امراء دولته للملاقاة و جهز معهم اكلا و شربا و غير ذلك و اعطاهم عليقا لاجل الخيل و امرهم بالسير الى ملاقاة الوزير عين زار فحملوا الاحمال وساروا حتى اقبلوا على الوزير و حطوا الاحمال و نزلت الجيوش و العساكر و سلم بعضهم على بعض و مكثوا في ذلك المكان مدة عشرة ايام وهم في اكل و شرب ثم بعد ذلك ركبوا و توجهوا الى المدينة و طلع الملك بهروان الى مقابلة وزير الملك طيغموس و عانقه و سلم عليه و اخذه و توجه به الى القلعة ثم ان الوزير قدم الاحمال والتحف و جميع الاموال للملك بهروان و اعطاه الكتاب فاخذه الملك بهروان وقرأه و عرف ما فيه و فهم معناه و فرح فرحا شديدا و رحّب بالوزير

Digitized by Google

بني شهلان و هم عشرة الاف بهلوان كل بهلوان منهم يحكم على مائة مدينة و مائة قلعة باسوارها وكان يحكم على سبعة سلاطين ويحمل له المال من المشرق الى المغرب وكان عادلا في حكمه وقد اعطاه الله تعالى كل هذا و منّ عليه بذلك الملك العظيم ولم يكن له ولد وكان مرامه في عمره ان يرزقه الله ولدا ذكرا ليخلفه في ملكه بعد موته فاتفق انه طلب العلماء والمنجمين وارباب المعرفة والتقويم يوما من الايام و قال لهم انظروا طالعي وهل يرزقني الله في عمري ولدا ذكرا فيخلفني في ملكي ففتح المنجمون الكتب وحسبوا طالعه وناظروه من الكواكب ثم قالوا له اعلم ايها الملك انك ترزق ولدا ذكرا ولايكون ذلك الولد الّا من بنت ملك خراسان فلما سمع طيغموس ذلك منهم فرح فرحا شديدا واعطى المنجمين والحكماء مالا كثيرا لا يعد ولا يحصى و ذهبوا الى حال سبيلهم وكان عند الملك طيغموس وزير كبير وكان بهلوانا عظيما مقوّما بالف فارس وكان اسمه عين زار فقال له يا وزير اريد منك ان تتجهز للسفر الى بلاد خراسان وتخطب لي بنت الملك بَهْرَوان ملك خراسان وحكي الملك طيغموس لوزيره عين زار ما اخبره به المنجمون * فلما سمع الوزير ذلك الكلام من الملك طيغموس ذهب من وقته و ساعته وتجهز للسفر ثم برز الى خارج المدينة بالعساكر و الابطال و الجيوش هذا ما كان من امر الوزير * و اما ما كان من امر الملك طيغموس فانه جهز الفا و خمسمائة حمل من الحرير و الجواهر و اللؤلؤ و الياقوت و الذهب و الفضة و المعادن وجهز شيأ كثيرا من آلة العرس وحملها على الجمال و البغال و سلمها الى وزيره عين زار وكتب له كتابا مضمونه * اما بعد فالسلام على الملك

Digitized by Google

وقصتي غريبة واريد منك ان تقعد عندي حتى احكي لك حكايتي واخبرك بسبب قعودي هنا فلما سمع حاسب هذا الكلام من الحية تعجب وقال يا ملكة الحيات بالله عليك ان تعتقيني وتأمري احد خدمك ان يخرجني الى وجه الارض واحلف لك يمينا انني لا ادخل الحمام طول عمري فقالت له ان هذا امر لايكون ولا اصدقك في يمينك فلما سمع منها ذلك بكى وبكت الحيات جميعا لاجله وصارت تستشفع له عند الملكة وتقول لها نريد منك ان تأمري احدنا ان تخرجه الى وجه الارض ويحلف لك يمينا انه لن يدخل الحمام طول عمره وكانت ملكة الحيات اسمها يمليخا فلما سمعت يمليخا منهن ذلك الكلام اقبلت على حاسب وحلفته فحلف لها ثم امرت حية ان تخرجه الى وجه الارض فاتته واردت ان تخرجه فلما اتت تلك الحية لتخرجه قال لملكة الحيات اريد منك ان تحكي لي حكاية الشاب الذي قعد عنده بلوقيا ورآه جالسا بين القبرين * فقالت اعلم يا حاسب ان بلوقيا جلس عند الشاب وحكى له حكايته من اولها الى آخرها لاجل ان يحكي له الآخر قصته ويخبره بما جرى له في عمره ويعرفه بسبب قعوده بين القبرين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما حكى للشاب حكايته قال له الشاب واي شيء رأيت من العجائب يا مسكين انا رأيت السيد سليمان في زمانه ورأيت عجائب لاتعد ولا تحصى واعلم يا اخي ان ابي كان ملكا يقال له الملك طيغموس وكان يحكم على بلاد كابل وعلى

Digitized by Google

و سار على عادته ليلا ونهارا حتى وصل الى جزيرة فطلع عليها و تمشى فيها ساعة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان بلوقيا طلع الى الجزيرة و تمشّى فيها ساعة فرأى شابا مليحا والنور يلوح من وجهه فلما قرب منه بلوقيا رأه جالسا بين قبرين مبنيين و هو ينوح و يبكي فاتى اليه بلوقيا و سلم عليه فردّ عليه السلام ثم ان بلوقيا سأل الشاب و قال له ما شانك و ما اسمك و ما هذان القبران المبنيان اللذان انت جالس بينهما وما هذا البكاء الذي انت فيه فالتفت الشاب الى بلوقيا وبكى بكاء شديدا حتى بلّ ثيابه من دموعه * وقال لبلوقيا اعلم يا اخي ان حكايتي عجيبة وقصتي غريبة واحبّ ان تجلس عندي حتى تحكي لي ما رأيتَ في عمرك وما سبب مجيئك الى هذا المكان وما اسمك والى اين رائح واحكي لك انا الأخر حكايتي فجلس بلوقيا عند الشاب و اخبره بجميع ما وقع له في سياحته من الاول الى الأخر واخبره كيف مات والده وخلفه وكيف فتح الخلوة ورأى فيها الصندوق وكيف راى الكتاب الذي فيه صفة محمد صلى الله عليه سلم و كيف تعلق قلبه به وطلع سائحا في حبه و اخبره بجميع ما وقع له الى ان وصل اليه ثم قال له وهذه حكايتي بتمامها والله اعلم وما ادري بالذي يجري عليّ بعد ذلك * فلما سمع الشاب كلامه تنهد و قال له يا مسكين اي شيء رأيت في عمرك * اعلم يا باوقيا اني رأيت السيد سليمان في زمانه ورأيت شيأ لايعدّ ولايحصى وحكايتي عجيبة

Digitized by Google

بلوقيا وسار فيه ثم ان جبريل قفل الباب وارتفع الى السما ورأى بلوقيا في داخل الباب بحرا عظيما نصفه مالح ونصفه حلو وحول ذلك البحر جبلان وهذان الجبلان من الياقوت الاحمر وسار بلوقيا حتى اقبل على هذين الجبلين فرأى فيهما ملائكة مشغولين بالتسبيح والتقديس فلما رأهم بلوقيا سلم عليهم فردوا عليه السلام فسألهم بلوقيا عن البحر وعن هذين الجبلين فقال له الملائكة ان هذا مكان تحت العرش وان هذا البحر يمد كل بحر في الدنيا ونحن نقسم هذا الماء ونسوقه الى الاراضي المالح للارض المالحة والحلو للارض الحلوة وهذان الجبلان خلقهما الله ليحفظا هذا الماء وهذا امرنا الى يوم القيمة ثم انهم سألوه وقالوا له من اين اقبلت والى اين رائح فحكى لهم بلوقيا حكايته من الاول الى الآخر ثم ان بلوقيا سألهم عن الطريق فقالوا له اطلع هنا على ظهر هذا البحر فاخذ بلوقيا من الماء الذي معه ودهن قدميه ودعهم وسار على ظهر البحر ليلا ونهارا فبينما هو سائر واذا هو ينظر شابا مليحا سائرا على ظهر البحر فاتى اليه وسلم عليه فرد عليه السلام ثم ان بلوقيا لما فارق الشاب رأى اربعة ملائكة سائرين على وجه البحر وسيرهم مثل البرق الخاطف فتقدم بلوقيا ووقف في طريقهم فلما وصلوا اليه سلم عليهم بلوقيا وقال لهم اريدان اسألكم بحق العزيز الجليل ما اسمكم ومن اين اتيتم والى اين تذهبون فقال واحد منهم انا اسمي جبريل والثاني اسمه اسرافيل والثالث اسمه ميكائيل والرابع اسمه عزرائيل وقد ظهر في المشرق ثعبان عظيم وذلك الثعبان خرب الف مدينة واكل اهلها وقد امرنا الله تعالى ان نروح اليه ونمسكه ونرميه في جهنم فتعجب منهم بلوقيا ومن عظمهم

Digitized by Google

ذلك ففتحت فاها فادخل الله جهنم في بطنها وقال لها احفظي جهنم الى يوم القيمة فاذا جاء يوم القيمة يأمر الله ملائكته ان يأتوا ومعهم سلاسل يقودون بها جهنم الى المحشر و يأمر الله تعالى جهنم ان تفتح ابوابها فتفتحها و يطير منها شرر كبار اكثر من الجبال * فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام من الملك بكى بكاء شديدا ثم انه ودع الملك و سار الى ناحية الغرب حتى اقبل على شخصين فرأهما جالسين وعندهما باب عظيم مقفول فلما قرب منهما رأى احدهما صورته صورة اسد والآخر صورته صورة ثور فسلم عليهما بلوقيا فردّا عليه السلام ثم انهما سألاه وقالا له ايّ شيء انت ومن اين اتيت والى اين رائح فقال لها بلوقيا انا من بني آدم وانا سائح في حب محمد صلى الله عليه وسلم ولكن تهت عن طريقي ثم ان بلوقيا سألهما وقال لهما ايّ شي انتما وما هذا الباب الذي عندكما فقالا له نحن حراس هذا الباب الذي تراه وما لنا شغل سوى التسبيح والتقديس والصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمع بلوقيا هذا الكلام تعجب وقال لهما ايّ شيء داخل هذا الباب فقالا لا ندري فقال لهما بحق ربكما الجليل ان تفتحالي هذا الباب حتى انظر ايّ شيء داخله فقالا له ما نقدر ان نفتح هذا الباب ولا يقدر على فتحه احد من المخلوقين الّا الامين جبريل عليه السلام * فلما سمع بلوقيا ذلك تضرّع الى الله تعالى وقال يارب ائتني بالامين جبريل ليفتح لي هذا الباب حتى انظر ما داخله فاستجاب الله دعاءه وامر الامين جبريل ان ينزل الى الارض و يفتح باب مجمع البحرين حتى ينظره بلوقيا فنزل جبريل الى بلوقيا وسلم عليه واتى الى ذلك الباب وفتحه ثم ان جبريل قال لبلوقيا ادخل الى هذا الباب فان الله امرني ان افتحه لك فدخل

Digitized by Google

به الى البحر الذي فيه الحوت وقال له انظر يا عيسى الي الحوت فنظر عيسى الى الحوت فلم يره فمرّ الحوت على عيسى مثل البرق فلما رأى ذلك عيسى وقع مغشيا عليه فلما افاق اوحى الله الى عيسى وقال له يا عيسى هل رأيت الحوت وهل علمت طوله وعرضه فقال عيسى وعزتك وجلالك يارب ما رأيته ولكن مرّ عليّ ثور عظيم قدره مسافة ثلثة ايام ولم اعرف ما شأن ذلك الثور فقال الله له يا عيسى ذلك الذي مرّ عليك وقدره مسافة ثلثة ايام انما هو رأس الثور * واعلم يا عيسى انني في كل يوم اخلق اربعين حوتا مثل ذلك الحوت فلما سمع ذلك الكلام تعجب من قدرة الله تعالى ثم ان بلوقيا سأل الملك وقال له اي شيء خلق الله تحت البحر الذي فيه الحوت فقال له الملك خلق الله تحت البحر هواء عظيما وخلق الله تحت الهواء نارا وخلق الله تحت النار حية عظيمة اسمها فلق ولولا خوف تلك الحية من الله تعالى لابتلعت جميع ما فوقها من الهواء والنار والملك وما حمله ولم تحسّ بذلك الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك قال لبلوقيا في وصف الحية ولولا خوفها من الله لابتلعت جميع ما فوقها من الهواء والنار والملك وما حمله ولم تحسّ بذلك ولما خلق الله تعالى تلك الحية اوحى اليها اني اريد منك ان اودع عندك امانة فاحفظيها فقالت الحية افعل ما تريد فقال الله لتلك الحية افتحي

Digitized by Google

ذلك ففتحت فاها فادخل الله جهنم في بطنها وقال لها احفظي جهنم الى يوم القيمة فاذا جاء يوم القيمة يأمر الله ملائكته ان يأتوا ومعهم سلاسل يقودون بها جهنم الى المحشر ويأمر الله تعالى جهنم ان تفتح ابوابها فتفتحها ويطير منها شررٌ كبار اكثر من الجبال * فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام من الملك بكى بكاء شديدا ثم انه ودع الملك وسار الى ناحية الغرب حتى اقبل على شخصين فرأهما جالسين وعندهما باب عظيم مقفول فلما قرب منهما رأى احدهما صورته صورة اسد والآخر صورته صورة ثور فسلم عليهما بلوقيا فردّا عليه السلام ثم انهما سألاه وقالا له ايّ شيءٍ انت ومن اين اتيت والى اين رائح فقال لها بلوقيا انا من بني آدم وانا سائح في حب محمد صلى الله عليه وسلم ولكن تهت عن طريقي ثم ان بلوقيا سألهما وقال لهما ايّ شيء انتما وما هذا الباب الذي عندكما فقالا له نحن حراس هذا الباب الذي تراه ومالنا شغل سوى التسبيح والتقديس والصلوٰة على محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمع بلوقيا هذا الكلام تعجب وقال لهما ايّ شيءٍ داخل هذا الباب فقالا لا ندري فقال لهما بحق ربكما الجليل ان تفتحالي هذا الباب حتى انظر ايّ شيءٍ داخله فقالا له ما نقدر ان نفتح هذا الباب ولا يقدر على فتحه احد من المخلوقين الّا الامين جبريل عليه السلام * فلما سمع بلوقيا ذلك تضرّع الى الله تعالى وقال يارب ائتني بالامين جبريل ليفتح لي هذا الباب حتى انظر ما داخله فاستجاب الله دعاءه وامر الامين جبريل ان ينزل الى الارض ويفتح باب مجمع البحرين حتى ينظره بلوقيا فنزل جبريل الى بلوقيا وسلم عليه واتى الى ذلك الباب وفتحه ثم ان جبريل قال لبلوقيا ادخل الى هذا الباب فان الله امرني ان افتحه لك فدخل

Digitized by Google

به الى البحر الذي فيه الحوت وقال له انظر يا عيسى الي الحوت فنظر عيسى الى الحوت فلم يره فمرّ الحوت على عيسى مثل البرق فلما رأى ذلك عيسى و قع مغشيا عليه فلما افاق اوحى الله الى عيسى وقال له يا عيسى هل رأيت الحوت وهل علمت طوله و عرضه فقال عيسى و عزتك و جلالك يارب ما رأيته و لكن مرّ عليّ ثور عظيم قدره مسافة ثلثة ايام و لم اعرف ما شأن ذلك الثور فقال الله له يا عيسى ذلك الذي مرّ عليك و قدره مسافة ثلثة ايام انما هو رأس الثور * و اعلم يا عيسى انني في كل يوم اخلق اربعين حوتا مثل ذلك الحوت فلما سمع ذلك الكلام تعجب من قدرة الله تعالى ثم ان بلوقيا سأل الملك وقال له ايّ شيء خلق الله تحت البحر الذي فيه الحوت فقال له الملك خلق الله تحت البحر هواء عظيما وخلق الله تحت الهواء نارا وخلق الله تحت النار حية عظيمة اسمها فلق ولو لا خوف تلك الحية من الله تعالى لابتلعت جميع ما فوقها من الهواء و النار و الملك و ما حمله ولم تحسّ بذلك الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك قال لبلوقيا في وصف الحية ولو لا خوفها من الله لابتلعت جميع ما فوقها من الهواء والنار و الملك و ما حمله ولم تحسّ بذلك ولما خلق الله تعالى تلك الحية اوحي اليها اني اريد منك ان اودّع عندك امانة فاحفظيها فقالت الحية افعل ما تريد فقال الله لتلك الحية افتحي

Digitized by Google

اكلهم و شربهم التسبيح و التقديس والاكثار من الصلوٰة على محمد صلى الله عليه و سلم و في كل ليلة جمعة يأتون الى هذا الجبل و يجتمعون و يدعون الله تعالى طول الليل الى وقت الصباح و يهدون ثواب ذلك التسبيح و التقديس و العبادات للمذنبين من امة محمد صلى الله عليه و سلم و لكل من اغتسل غسل الجمعة و هذا حالهم الى يوم القيمة * ثم ان بلوقيا سأل الملك وقال له هل خلق الله جبلا خلف جبل قاف فقال الملك نعم خلف جبل قاف جبل قدره مسيرة خمسمائة عام و هو من الثلج و البرد و هو الذي رد حرّ جهنم عن الدنيا ولولا ذلك الجبل لاحترقت الدنيا من حرنار جهنم وخلف جبل قاف اربعون ارضا كل ارض منها قدر الدنيا اربعين مرة منها ماهو من الذهب ومنها ما هو من الفضة و منها ما هو من الياقوت ولكل ارض من تلك الاراضي لون و اسكن الله في تلك الاراضي ملائكة لا شغل لهم سوى التسبيح والتقديس و التهليل والتكبير ويدعون الله تعالى الى امة محمد صلى الله عليه وسلم ولايعرفون حواء ولا آدم ولا ليلا ولا نهارا * واعلم يا بلوقيا ان الاراضي سبع طباق فوق بعض وخلق الله ملكا من الملائكة لايعلم اوصافه ولا قدره الاّ الله عزوجل وهو حامل السبع اراضي على كاهله و خلق الله تعالى تحت ذلك الملك صخرة و خلق الله تعالى تحت تلك الصخرة ثورا وخلق الله تعالى تحت ذلك الثور حوتا و خلق الله تحت ذلك الحوت بحرا عظيما وقد اعلم الله تعالى عيسى عليه السلام بذلك الحوت فقال له يارب ارني ذلك الحوت حتى انظر اليه فامر الله تعالى ملكا من الملائكة ان يأخذ عيسى ويروح به الى الحوت حتى ينظره فاتى ذلك الملك الى عيسى عليه السلام واخذه واتى

Digitized by Google

و يقول كل منهم الهي وسيدي ومولائي بحقك وبجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ان تغفرلكل مخلوق خلقته على صورتي وتسامحه انك على كل شيء قدير * فلما سمع بلوقيا منهم ذلك الكلام تعجب و سار من عندهم ليلا و نهارا حتى وصل الى جبل قاف فطلع فوقه فرأى هناك مَلَكا عظيما و هو جالس يسبح الله تعالى و يقدّسه و يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ورأى ذلك الملك في قبض وبسط وطيّ ونشر فبينما هو في هذا الامر اذ قبل عليه بلوقيا وسلم عليه فرد الملك عليه السلام و قال له ايّ شيء انت و من اين اتيت والى اين رائح و ما اسمك فقال بلوقيا انا من بني اسرائيل من بني آدم و اسمي بلوقيا وانا سائح في حب محمد صلى الله عليه و سلم و لكن تهت في طريقي وحكى له جميع ما جرى له * فلما فرغ بلوقيا من حكايته سأل الملكَ و قال له من انت و ما هذا الجبل وما هذا الشغل الذي انت فيه فقال له الملك اعلم يا بلوقيا ان هذا جبل قاف المحيط بالدنيا و كل ارض خلقها الله في الدنيا قبضتها في يدي فاذا اراد الله تعالى بتلك الارض شيأ من زلزلة او قحط اوخصب اوقتال او صلح امرني ان افعله فا فعله و انا في مكاني واعلم ان يدي قابضة بعروق الارض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك قال لبلوقيا واعلم ان يدي قابضة بعروق الارض فقال بلوقيا للملك هل خلق الله في جبل قاف ارضا غير هذه الارض التي انت فيها قال الملك نعم خلق ارضا بيضاء مثل الفضة وما يعلم قدر اتساعها الاّ الله تعالى و اسكنها ملائكة

Digitized by Google

عند الملك براخيا فقالت له اعلم يا حاسب ان بلوقيا بعد قعوده عند الملك براخيا ودّعه وسار في البراري ليلا و نهـــارا حتى وصل الى جبل عال فطلع ذلك الجبل فرأى فوقه مَلَكًا عظيما جالسـا على ذلك الجبل وهو يذكر الله تعالى و يصلي على محمد وبين يدي ذلك الملك لوح مكتوب فيه شيءٌ ابيض و شيءٌ اسود وهو ينظر في اللوح وله جناحان احدهما ممدود بالمشرق و الأخر ممدود بالمغرب فاقبل عليه بلوقيا و سلّم عليه فرد عليه السلام ثم ان المَلَك سـأل بلوقيا و قال له من انت ومن اين اتيت والى اين رائح و ما اسـمك فقال بلوقيا انا من بني آدم من قوم بني اسرائيل وانا سائح في حب محمد صلى الله عليه وسـلم واسمي بلوقيا فقال ما الذي جرى لك في مجيئك الى هذه الارض فحكى له بلوقيا جميع ما جرى له وما رأى في سياحته فلما سمع المَلَك من بلوقيا ذلك الكلام تعجب منه ثم ان بلوقيـا سأل الملك و قال له اخبرني انت الأخر بهذا اللوح واي شيءٌ مكتوب فيه و ما هذا الامر الذي انت فيه و ما اسمك فقال له الملك انا اسمي مخاييل و انا موكل بتصريف الليل و النهـــار و هذا شغلي الى يوم القيمة فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام تعجب منه و من صورة ذلك الملك ومن هيبته وعظم خلقته ثم ان بلوقيا ودّع ذلك الملك و سار ليلا و نهارا حتى وصل الى مرج عظيم فتمشى في ذلك المرج فرأى فيه سبعة انهر ورأى اشجارا كثيرة فتعجب بلوقيا من ذلك المرج العظيم و سار في جوانبه فرأى فيه شجرة عظيمة وتحت تلك الشجرة اربعة ملائكة فتقدم اليهم بلوقيا ونظر الى خلقتهم فرأى واحدا منهم صورته صورة بني آدم والثاني صورته صورة وحش والثالث صورته صورة طير والرابع صورته صورة ثور وهم مشغولون بذكر الله تعالى

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد الار بعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك براخيا قال لبلوقيا انك سافرت في هذين اليومين مسيرة سبعين شهرا و لكنك لما ركبت الفرس قزعت منك و علمت انك ابن آدم واردت ان ترميك عن ظهرها فاثقلوها بهذين الجملين فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام من الملك براخيا تعجب و حمد الله تعالى على السلامة ثم ان الملك براخيا قال لبلوقيا اخبرني بماجرى لك وكيف اتيت الى هذه البلاد فحكى له بلوقيا جميع ماجرى له وكيف سافر واتى الى هذه البلاد فلما سمع الملك كلامه تعجب منه و مكث بلوقيا عنده مدة شهرين * فلما سمع حاسب كلام ملكة الحيات تعجب منه غاية العجب ثم قال لها اريد من فضلك و احسانك ان تأمري احدا من اعوانك ان يخرجني الى وجه الارض حتى اروح الى اهلي فقالت له ملكة الحيات يا حاسب كريم الدين اعلم انك متى خرجت الى وجه الارض تروح الى اهلك ثم تدخل الحمام و تغتسل و بمجرد ما تفرغ من غسلك اموت انا لان ذلك يكون سببا لموتي فقال حاسب انا احلف لك ما ادخل الحمام طول عمري واذا وجب عليّ الغسل اغتسل في بيتي فقالت له ملكة الحيات لو حلفت لي مائة يمين ما اصدقك فان هذا امر لا يكون و اعلم انك ابن آدم مالك عهد لان اباك آدم قد عاهد الله ونقض عهده وكان الله تعالى خمّر طينته اربعين صباحا واسجد له ملائكته وبعد ذلك نكث العهد ونسيه و خالف امر ربه * فلما سمع حاسب ذلك الكلام سكت و بكي و مكث يبكي مدة عشرة ايام ثم قال لها حاسب اخبريني بالذي جرى لبلوقيا بعد تعوده شهرين

Digitized by Google

و رُحْ الى حال سبيلك فقال له بلوقيا سمعا و طاعة ثم ركب الفرس وسار فى الخيام مدة طويلة و لم يمرّ فى سيره الّا على مطبخ الملك صخر فنظر بلوقيا الى قدور معلّقة في كل قِدْر خمسون جملا و النار قلتهب من تحتها فلما رأى بلوقيا تلك القدور وكبرها تأملها و تعجب منها و اكثر التعجب و التأمل فيها فنظر اليه الملك فرأه متعجبا من المطبخ فظنّ الملك في نفسه انه جائع فامر ان يجيئوا له بجملين مشويين فجاؤا له بجملين مشويين و ربطوهما خلفه على ظهر الفرس ثم انه ودّعهم و سار حتى وصل الى آخر حكم الملك صخر فوقف الفرس فنزل عنها بلوقيا ينفض قراب السفر من ثيابه واذا بوجال اتوا اليه و نظروا الفرس فعرفوها فاخذوها و ساروا و بلوقيا معهم حتى وصلوا الى الملك براخيا فلما دخل بلوقيا على الملك براخيا سلم عليه فرد عليه السلام ثم ان بلوقيا نظر الى الملك فرأه جالسا فى صيوان عظيم وحوله عساكر وابطال و ملوك الجان على يمينه و شماله ثم ان الملك امر بلوقيا ان يدنو منه فتقدم بلوقيا اليه فاجلسه الملك بجانبه و امر ان يأتوا بالسماط فنظر بلوقيا الى حال الملك براخيا فرأه مثل حال الملك صخر ولما حضرت الاطعمة اكلوا و اكل بلوقيا حتى اكتفى و حمد الله تعالى ثم انهم رفعوا الاطعمة و اتوا بالفاكهة فاكلوا ثم ان الملك براخيا سأل بلوقيا و قال له متى فارقت الملك صخر فقال له من مدة يومين فقال الملك براخيا لبلوقيا اتدري مسافة كم يوم سافرت في هذين اليومين قال لا قال مسيرة سبعين شهرا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

فلما كبروا تزوج الاناث بالذكور واطاعوا والدهم الا واحدا منهم عصى والده فصار دودة وتلك الدودة هي ابليس لعنه الله تعالى وكان من المقربين فانه عبد الله تعالى حتى ارتفع الى السماء وتقرب من الرحمن وصار رئيس المقربين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابليس كان عبد الله تعالى وصار رئيس المقربين ولما خلق الله تعالى آدم عليه السلام امر ابليس بالسجود له فامتنع من ذلك فطرده الله تعالى ولعنه فلما تناسل جاءت منه الشياطين واما الستة الذكور الذين قبله فهم الجان المؤمنون ونحن من نسلهم وهذا اصلنا يا بلوقيا فتعجب بلوقيا من كلام الملك صخر ثم انه قال يا ملك اريد منك ان تأمر واحدا من اعوانك ليوصلني الى بلادي فقال له الملك صخر ما نقدر ان نفعل شيأ من ذلك الآن امرنا الله تعالى ولكن يا بلوقيا ان شئت الذهاب من عندنا فاني احضر لك فرسا من خيلي واركبك على ظهرها وأمرها ان تسير بك الى آخر حكمي فاذا وصلت الى آخر حكمي يلاقيك جماعة ملك اسمه براخيا فينظرون الفرس فيعرفونها وينزلونك من فوقها ويرسلونها الينا وهذا الذي نقدر عليه لا غير فلما سمع بلوقيا هذا الكلام بكى وقال للملك افعل ما تريد فامر الملك ان يأتوا له بالفرس فاتوا له بالفرس واركبوه على ظهرها وقالوا له احذر ان تنزل من فوق ظهرها او تضربها او تصيح في وجهها فان فعلت ذلك اهلكتك بل استمر راكبا عليها مع السكون حتى تقف بك فانزل عن ظهرها

Digitized by Google

اهون عذابا من الجميع لانها هي الطبقة الفوقانية قال الملك صخر نعم هي اهون الجميع عذابا ومع ذلك فيها الف جبل من النار وفي كل جبل سبعون الف واد من النار وفي كل واد سبعون الف مدينة من النار وفي كل مدينة سبعون الف قلعة من النار وفي كل قلعة سبعون الف بيت من النار وفي كل بيت سبعون الف تخت من النار وفي كل تخت سبعون الف نوع من العذاب وما في جميع طبقات النار يا بلوقيا اهون عذابا من عذابها لانها هي الطبقة الاولى واما الباقي فلا يعلم عدد ما فيه من انواع العذاب الا الله تعالى فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الملك صخر وقع مغشيا عليه فلما افاق من غشيته بكى وقال يا ملك كيف يكون حالنا فقال له الملك صخر يا بلوقيا لا تخف واعلم ان كل من كان يحب محمدا لم تحرقه النار وهو معتوق لاجل محمد صلى الله عليه وسلم وكل من كان على ملته تهرب منه النار واما نحن فخلقنا الله تعالى من النار واول ما خلق الله المخلوقات في جهنم خلق شخصين من جنوده احدهما اسمه خليت والآخر اسمه مليت وجعل خليت على صورة اسد ومليت على صورة ذئب وكان ذنب مليت على صورة الانثى ولونها ابلق وذنب خليت على صورة ذكر وهو في هيئة سلحفاة وطول ذنب خليت مسيرة عشرين سنة ثم امر الله تعالى ذنبيهما ان يجتمعا مع بعضهما ويتناكحا فتوالد منهما حيات وعقارب ومسكنها في النار ليعذب الله بها من يدخلها ثم ان تلك الحيات والعقارب تناسلوا وتكاثروا ثم بعد ذلك امر الله تعالى ذنبي خليت ومليت ان يجتمعا ويتناكحا ثانية مرة فاجتمعا وتناكحا فحمل ذنب مليت من ذنب خليت فلما وضعت ولدت سبعة ذكور وسبع اناث فتربوا حتى كبروا

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان بلوقيا لما اخبر الملك صخر بجميع ما جرى له في سياحته من الاول الى الآخر تعجب من ذلك ثم امر الفراشين ان يأتوا بسماط فأتوا بسماط ومدوه ثم انهم اتوا بصوان من الذهب الاحمر وصوان من الفضة وصوان من النحاس وبعض الصواني فيها خمسون جملا مسلوقة وبعضها فيه عشرون جملا وبعضها فيه خمسون رأسا من الغنم وعدد الصواني الف وخمسمائة صينية فلما رأى بلوقيا ذلك تعجب منه غاية العجب ثم انهم اكلوا واكل بلوقيا معهم حتى اكتفى وحمد الله تعالى وبعد ذلك رفعوا الطعام واتوا بفواكه فاكلوا ثم بعد ذلك سبحوا الله تعالى وصلوا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمع بلوقيا ذكر محمد تعجب وقال للملك صخر اريد ان اسألك بعض مسائل فقال له الملك صخر سل ما تريد فقال له بلوقيا يا ملك اي شيء انتم ومن اين اصلكم ومن اين تعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم حتى تصلوا عليه وتحبوه فقال له الملك صخر يا بلوقيا ان الله تعالى خلق النار سبع طبقات بعضها فوق بعض وبين كل طبقة مسيرة الف عام * وجعل اسم الطبقة الاولى جهنم واعدها لعصاة المؤمنين الذين يموتون من غير توبة * واسم الطبقة الثانية لظى واعدها للكفار * واسم الطبقة الثالثة الجحيم واعدها ليأجوج وماجوج * واسم الرابعة السعير واعدها لقوم ابليس * واسم الخامسة سقر واعدها لتارك الصلوة * واسم السادسة الحطمة واعدها لليهود والنصارى * واسم السابعة الهاوية واعدها للمنافقين فهذه السبع طبقات فقال له بلوقيا لعل جهنم

Digitized by Google

الكافرين فقال له بلوقيا واين الارض البيضاء فقال له الفارس خلف جبل قاف بمسيرة خمسة وسبعين سنة و هذه الارض يقال لها ارض شداد بن عاد ونحن اتينا اليها لنغازي فيها ومالنا شغل سوى التسبيح والتقديس ولنا ملك يقال له الملك صخر وما يمكن الّا ان تروح معنا اليه حتى ينظرك ويتفرج عليك ثم انهم ساروا وبلوقيا معهم حتى اتوا منزلهم فنظر بلوقيا خياما عظيمة من الحرير الاخضر لايعلم عددها الّا الله تعالى ورأى بينها خيمة منصوبة من الحرير الاحمر واتساعها مقدار الف ذراع واطنابها من الحرير الازرق واوتادها من الذهب والفضة فتعجب بلوقيا من تلك الخيمة ثم انهم سار وابه حتى اقبلوا على الخيمة فاذا هي خيمة الملك صخر ثم دخلوا به حتى اتوا قدام الملك صخر فنظر بلوقيا الى الملك فرآه جالسا على تخت عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر و على يمينه ملوك الجان و على يساره الحكماء و الامراء وارباب الدولة وغيرهم فلما رآه الملك صخر امران يدخلوا به عنده فدخلوا به عند الملك فتقدم بلوقيا وسلم عليه وقبل الارض بين يديه فردّ عليه الملك صخر السلام ثم قال له ادن مني ايها الرجل فدنا منه بلوقيا حتى صار بين يديه فعند ذلك امر الملك صخر ان ينصبوا له كرسيا بجانبه فنصبوا له كرسيا بجانب الملك ثم امره الملك صخر ان يجلس على ذلك الكرسي فجلس بلوقيا عليه ثم ان الملك صخر سأل بلوقيا و قال له اي شيء انت فقال له انا من بني آدم من بني اسرائيل فقال له الملك صخر احك لي حكايتك واخبرني بما جرى لك وكيف اتيت الى هذه الارض فحكى له بلوقيا جميع ما جرى له في سياحته من الاول الى الآخر فتعجب الملك صخر من كلامه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

في الجو فقصد بلوقيا صوب تلك الغبرة فسمع صياحا وضربا وهرجا عظيما فمشى بلوقيا نحو تلك الغبرة حتى وصل الى واد عظيم طوله مسيرة شهرين ثم تأمل بلوقيا في جهة ذلك الصياح فرأى ناسا راكبين على خيل وهم يقتتلون مع بعضهم وقد جرى الدم بينهم حتى صار مثل النهر ولهم اصوات مثل الرعد وفي ايديهم رماح وسيوف واعمدة من الحديد وقسى ونبال وهم في قتال عظيم فاخذه خوف شديد وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان بلوقيا لما رأى هؤلاء الناس بايديهم السلاح وهم في قتال عظيم اخذه خوف شديد وتحير في امره فبينما هو كذلك واذا هم رأوه فلما رأوه امتنعوا عن بعضهم وتركوا الحرب ثم اتت اليه طائفة منهم فلما قربوا منه تعجبوا من خلقته ثم تقدم اليه فارس منهم وقال له ايّ شيء انت ومن اين اتيت والى اين رائح ومن دلّك على هذا الطريق حتى وصلت الى بلادنا فقال له بلوقيا انا من بني آدم وجئت هائما في حب محمد صلى الله عليه وسلم ولكني تهت عن الطريق فقال له الفارس نحن ما رأينا ابن آدم قط ولا اتى الى هذه الارض وصاروا يتعجبون منه ومن كلامه ثم ان بلوقيا سألهم وقال لهم ايّ شيء انتم ايتها الخليقة فقال له الفارس نحن من الجان فقال له بلوقيا يا ايها الفارس ما سبب القتال الذي بينكم واين مسكنكم وما اسم هذا الوادي وهذه الاراضي فقال له الفارس نحن مسكننا الارض البيضاء وفي كل عام يأمرنا الله تعالى ان نأتي الى هذه الارض ونغازي الجان

Digitized by Google

ليتفرج عليهن وهن في هذه الحالة ولم يزلن في لعب الى الصباح فلما اصبح الصباح نزلن البحر فتعجب منهن بلوقيا ونزل من فوق الشجرة ودهن قدميه من الماء الذي معه ونزل البحر السابع وسار ولم يزل سائرا مدة شهرين وهو لا ينظر جبلا ولا جزيرة ولا برا ولا واديا ولا ساحلا حتى قطع ذلك البحر وقاسى فيه جوعا عظيما حتى صار يخطف السمك من البحر ويأكله نيأ من شدة جوعه ولم يزل سائرا على هذه الحالة حتى انتهى الى جزيرة اشجارها كثيرة وانهارها غزيرة فطلع الى تلك الجزيرة وصار يمشي فيها ويتفرج يمينا وشمالا وكان ذلك فى وقت الضحى وما زال يتمشى حتى اقبل على شجرة تفاح فمدّ يده ليأكل من تلك الشجرة واذا بشخص صاح عليه من تلك الشجرة وقال له ان تقربت الى هذه الشجرة واكلت منها شيأ تسمتك نصفين فنظر بلوقيا الى ذلك الشخص فرأه طويلا طوله اربعون ذراعا بذراع اهل ذلك الزمان فلما رأه بلوقيا خاف منه خوفا شديدا وامتنع عن تلك الشجرة ثم قال له بلوقيا لاىّ شيء تمنعني من الاكل من هذه الشجرة فقال له لانك ابن أدم وابوك أدم نسي عهد الله فعصاه واكل من الشجرة فقال له بلوقيا اىّ شيء انت ولمن هذه الجزيرة وهذه الاشجار وما اسمك فقال له الشخص انا اسمي شراهيا وهذه الاشجار والجزيرة للملك صَخْر وانا من اعوانه وقد وكلني على هذه الجزيرة ثم ان شراهيا سأل بلوقيا وقال له مَنْ انت ومن اين اتيت الى هذه البلاد فحكى له بلوقيا حكايته من الاول الى الآخر فقال له شراهيا لا تخف ثم جاء له بشيء من الاكل فاكل بلوقيا حتى اكتفى ثم ودعه وسار ولم يزل سائرا مدة عشرة ايام فبينما هو سائر في جبال ورمال اذ نظر عمرة عاقدة

Digitized by Google

وهي معششة في ذلك الرمل فلما رأى ذلك دهن قدميه ونزل البحر الخامس و سار فوق الماء و ما زال سائرا ليلا و نهارا حتى اقبل على جزيرة صغيرة ارضها و جبالها مثل البلور و فيها العروق التي يصنع منها الذهب و فيها اشجار غريبة ما رأى مثلها في سياحته وازهارها كلون الذهب فطلع بلوقيا الى تلك الجزيرة و صار يتفرج فيها الى وقت المساء فلما جن عليه الظلام صارت الازهار تضيء في تلك الجزيرة كالنجوم فتعجب بلوقيا من هذه الجزيرة و قال ان الازهار التي في هذه الجزيرة هي التي تيبس من الشمس و تسقط على الارض فتضربها الرياح فتجتمع تحت الحجارة و تصير كسيرا فيأخذونها و يصنعون منها الذهب ثم ان بلوقيا نام في تلك الجزيرة الى وقت الصباح وعند طلوع الشمس دهن قدميه من الماء الذي معه و نزل البحر السادس و سار ليالي و اياما حتى اقبل على جزيرة فطلع عليها و تمشى فيها ساعة فرأى فيها جبلين و عليهما اشجار كثيرة و اثمار تلك الاشجار كرؤس الآدميين وهي معلقة من شعورها و رأى فيها اشجارا اخرى اثمارها طيور خضر معلقة من ارجلها و فيها اشجار تتوقد مثل النار و لها فواكه مثل الصبر و كل من سقطت عليه نقطة من تلك الفواكه احترق بها و رأى بها فواكه تبكي وفواكه تضحك و رأى بلوقيا في تلك الجزيرة عجائب كثيرة ثم انه تمشى الى شاطئ البحر فرأى شجرة عظيمة فجلس تحتها الى وقت العشاء فلما اظلم الظلام طلع فوق تلك الشجرة و صار يتفكر في مصنوعات الله فبينما هو كذلك، و اذا بالبحر قد اختبط و طلع منه بنات البحر وفي يد كل واحدة منهن جوهرة تضيء مثل الصباح و سرن حتى اقمن تحت تلك الشجرة و جلسن و لعبن و رقصن و طربن فصار بلوقيا

Digitized by Google

و صار الى شاطئ البحر و دهن قدميه من الماء الذي معه و نزل البحر الثاني وسار على وجه الماء ليالي و ايا ما حتى وصل الى جبل عظيم و تحت ذلك الجبل وادي ما له آخر و ذلك الوادي حجارته من المغناطيس و وحوشه سباع و ارانب ونمور فطلع بلوقيا الى ذلك الجبل وساح فيه من مكان الى مكان حتى امسى عليه المساء فجلس تحت قنة من قنن ذلك الجبل بجانب البحر وصار يأكل من السمك الناشف الذي يقذفه البحر فبينما هو جالس يأكل من ذلك السمك واذا بنمر عظيم اقبل على بلوقيا واراد ان يفترسه فالتفت بلوقيا الى ذلك النمر فرأه خاطما عليه ليفترسه فدهن قدميه من الماء الذي معه و نزل البحر الثالث هربا من ذلك النمر وسار على وجه الماء في الظلام وكانت ليلة سوداء ذات ريح عظيم ومازال سائرا حتى اقبل على جزيرة فطلع عليها فرأى فيها اشجارا رطبة و يابسة فاخذ بلوقيا من ثمر تلك الاشجار واكل وحمد الله تعالى ودار فيها يتفرج الى وقت المساء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان بلوقيا داريتفرج في تلك الجزيرة ولم يزل دائرا يتفرج فيها الى وقت المساء فنام في تلك الجزيرة ولما اصبح الصباح صار يتأمل في جهاتها ولم يزل يتفرج فيها مدة عشرة ايام وبعد ذلك توجه الى شاطئ البحر و دهن قدميه ونزل في البحر الرابع ومشى على وجه الماء ليلا و نهارا حتى وصل الى جزيرة فرأى ارضها من الرمل الناعم الابيض و ليس فيها شيء من الشجر و لا من الزرع فتمشى فيها ساعة فوجد وحشها الصقور

Digitized by Google

القماري والعود القاقلي وبوصها قصب السكر وحولها الورد والنرجش والعبهر والقرنفل والاقحوان والسوسن والبنفسج وكل ذلك فيها اشكال والوان واطيارها تناغي على تلك الاشجار وهي مليحة الصفات واسعة الجهات كثيرة الخيرات قد حوت جميع الحسن والمعاني وتفريد اطيارها الطف من رنّات المثاني واشجارها باسقة واطيارها ناطقة وانهارها دافقة وعيونها جارية ومياهها حالية وفيها الغزلان تمرح والجآذر تسنح والاطيار تناغي على تلك الاغصان وتسلي العاشق الولهان فتعجب بلوقيا من هذه الجزيرة وعلم انه قد تاه عن الطريق التي قد اتى منها اول مرة حين كان معه عفان فساح في تلك الجزيرة وتفرج فيها الى وقت المساء فلما امسى عليه الليل طلع على شجرة عالية لينام فوقها وصار يتفكّر في حسن تلك الجزيرة فبينما هو فوق الشجرة على تلك الحالة واذا بالبحر قد اختبط وطلع منه حيوان عظيم وصاح صياحا عظيما حتى انزعجت حيوانات تلك الجزيرة من صياحه فنظر اليه بلوقيا وهو جالس على الشجرة فرأه حيوانا عظيما فصار يتعجب منه فلم يشعر بعد ساعة الّا وطلع خلفه من البحر وحوش مختلفة الالوان وفي يد كل وحش منها جوهرة تضيء مثل السراج حتى صارت الجزيرة مثل النهار من ضياء الجواهر وبعد ساعة اقبلت من الجزيرة وحوش لا يعلم عددها الّا الله تعالى فنظر اليها بلوقيا فرأها وحوش الفلاة من سباع ونمور وفهود وغير ذلك من حيوانات البرّ ولم تزل وحوش البرّ مقبلة حتى اجتمعت مع وحوش البحر في جانب الجزيرة وصاروا يتحدثون الى الصباح فلما اصبح الصباح افترقوا من بعضهم ومضى كل واحد منهم الى حال سبيله فلما رأهم بلوقيا خاف. ونزل من فوق الشجرة

Digitized by Google

بلوقيا مغشيا عليه و رأى عفان احترق من نفخة الحية فاتى جبريل الى بلوقيا وايقظه من غشيته فلما افاق سلم عليه جبريل وقال له من اين اتيتم الى هذا المكان فحكى له بلوقيا جميع حكايته من الاول الى الآخر ثم قال له اعلم انني ما اتيت الى هذا المكان الّا بسبب محمد صلى الله عليه وسلم فان عفان اخبرني انه يبعث في آخر الزمان ولا يجتمع به الّا من يعيش الى ذلك الوقت ولا يعيش الى ذلك الوقت الّا من شرب من ماء الحيوة ولا يمكن ذلك الّا بحصول خاتم سليمان عليه السلام فصحبته الى هذا المكان وحصل له ماحصل وها هو قد احترق وانا لم احترق و مرادي ان تخبرني بمحمد اين يكون فقال له جبريل يا بلوقيا اذهب الى حال سبيلك فان زمان محمد بعيد ثم ارتفع جبريل الى السماء من وقته واما بلوقيا فانه صار يبكي بكاء شديدا وندم على ما فعل و تفكر قول ملكة الحيات هيهات ان يقدر احد على اخذ الخاتم وتحير بلوقيا في نفسه وبكى ثم انه نزل من الجبل وسار ولم يزل سائرا حتى قرب من شاطئ البحر و قعد هناك ساعة يتعجب من تلك الجبال والبحار والجزائر ثم بات تلك الليلة في ذلك الموضع ولما اصبح الصباح دهن قدميه من الماء الذي كانا اخذاه من العشب ونزل البحر و سار ما شيا فيه ايا ما وليالي وهو يتعجب من اهوال البحر وعجائبه وغرائبه وما زال سائرا على وجه الماء حتى وصل الى جزيرة كانها الجنة فطلع بلوقيا الى تلك الجزيرة وصار يتعجب منها ومن حسنها وساح فيها فرأها جزيرة عظيمة ترابها الزعفران و حصاها من الياقوت والمعادن الفاخرة وسياجها الياسمين وزرعها من احسن الاشجار وابهج الرياحين واطيبها وفيها عيون جارية و حطبها من العود

Digitized by Google

فيها تختا منصوبا من الذهب مرصعا بانواع الجواهر وحوله كراسي منصوبة لا يحصى لها عددا الّا الله تعالى و رأيا السيد سليمان نائما فوق ذلك التخت و عليه حلة من الحرير الاخضر مزركشة بالذهب مرصعة بنفيس المعادن من الجواهر و يده اليمنى على صدره و الخاتم في اصبعه و نور الخاتم يغلب على نور تلك الجواهر التي في ذلك المكان ثم ان عفان علّم بلوقيا اقساما وعزائم وقال له اقرأه هذه الاقسام و لا تترك قراءتها حتى أخذ الخاتم ثم تقدم عفان الى التخت حتى قرب منه و اذا بحية عظيمة طلعت من تحت التخت و زعقت زعقة عظيمة فارتعد ذلك المكان من زعقتها وصار الشرر يطير من فمها ثم ان الحية قالت لعفان ان لم ترجع هلكت فاشتغل عفان بالاقسام و لم ينزعج من تلك الحية فنفخت عليه الحية نفخة عظيمة كادت ان تحرق ذلك المكان و قالت يا ويلك ان لم ترجع احرقتك فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الحية طلع من المغارة و اما عفان فانه لم ينزعج من ذلك بل تقدم الى السيد سليمان و مدّ يده ولمس الخاتم و اراد ان يسحبه من اصبع السيد سليمان و اذا بالحية نفخت على عفان فاحرقته فصار كوم رماد هذا ما كان من امره * و اما ماكان من امر بلوقيا فانه وقع مغشيا عليه من هذا الامر و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما رأى عفان احترق و صار كوم رماد وقع مغشيا عليه و امر الرب جل جلاله جبريل ان يهبط الى الارض قبل ان تنفخ الحية على بلوقيا فهبط الى الارض بسرعة فرأى

Digitized by Google

مات فلما رأى الحيات ملكتهم بينهم فرحوا والتمّوا حولها و قالوا لها ما خبرك و اين كنت فحكت لهم جميع ماجرى لها مع عفان و بلوقيا ثم بعد ذلك جمعت جنودها و توجهت بهم الى جبل قاف لانها كانت تشتّى فيه و تصيف فى المكان الذي رأها فيه حاسب كريم الدين ثم ان الحية قالت يا حاسب هذه حكايتي و ماجرى لي فتعجب حاسب من كلام الحية ثم قال لها اريد من فضلك ان تأمري احدا من اعوانك ان يخرجني الى وجه الارض و اروح الى اهلي فقالت له ملكة الحيات يا حاسب ليس لك رواح من عندنا حتى يدخل الشتاء وتروح معنا الى جبل قاف و تتفرج فيه على تلال و رمل و اشجار و اطيار تسبّح الواحد القهار و تتفرج على مردة و عفاريت و جان ما يعلم عدد هم الاّ الله تعالى فلما سمع حاسب كريم الدين كلام ملكة الحيات صار مهموما مغموما ثم قال لها اعلميني بعفان و بلوقيا لما فارقاك و سارا هل عديا السبعة بحور و وصلا الى مدفن سيدنا سليمان اولا واذا كان وصلا الى مدفن سيدنا سليمان هل قدرا على اخذ الخاتم اولا * فقالت له اعلم ان عفان و بلوقيان لما فارقاني و سارا دهّنا اقدامهما من ذلك الماء و مشيا على وجه البحر و سارا يتفرجان على عجائب البحر وما زالا سائرين من بحر الى بحر حتى عديا السبعة ابحر فلما عديا تلك البحار وجدا جبلا عظيما شاهقا فى الهواء وهو من الزمرد الاخضر و فيه عين تجري و ترابه كله من المسك فلما وصلا الى ذلك المكان فرحا وقالا قد بلغنا مقصودنا ثم سارا حتى وصلا الى جبل عال فمشيا فيه فرايا مغارة من بعيد في ذلك الجبل و عليها قبة عظيمة و النوّر يلوح منها فلما رأيا تلك المغارة قصدا ها حتى وصلا اليها فدخلا فرايا

Digitized by Google

و جاز علي اي بحر خلقه الله تعالى لم تبتل قدماه فلما سمع عفان كلام العشب حط القفص من فوق رأسه و اخذا من ذلك العشب ما يكفيهما ودقاه وعصراه و اخذا ماءه و جعلاه في قزازتين و حفظاهما و الذي فضل منهما دهنا به اقدامهما ثم ان بلوقيا و عفان اخذا ملكة الحيات وسارا بها ليالي و اياما حتى وصلا الى الجزيرة التي كانت فيها ففتح عفان باب القفص و خرجت منه ملكة الحيات فلما خرجت قالت لهما فما تصنعان بهذا الماء فقالا لها مرادنا ان ندهن به اقدامنا حتى نتجاوز السبعة البحر و نصل الى مدفن سيدنا سليمان و نأخذ الخاتم من اصبعه فقالت ملكة الحيات هيهات ان تقدرا على اخذ الخاتم فقالا لها لاي شيء فقالت لهما لان الله تعالى منّ على سليمان باعطاء ذلك الخاتم و خصّه بذلك لانه قال رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ فما لكما و ذلك الخاتم ثم قالت لها لو اخذتما من العشب الذي كُلّ من اكل منه لايموت الى النفخة الاولى و هو بين تلك الاعشاب لكان انفع لكما من هذا الذي اخذتماه فانه لا يحصل لكما منه مقصود كما فلما سمعا كلامها ندما ندما عظيما و سارا الى حال سبيلهما و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بلوقيا و عفان لما سمعا كلام ملكة الحيات ندما ندما عظيما و سارا الى حال سبيلهما هذا ما كان من امرهما * و اما ما كان من امر ملكة الحيات فانها اتت الى عساكرها فرأتهم قد ضاعت مصالحهم و ضعف قويّهم و ضعيفهم

Digitized by Google

واريك مكانهـــا فقام عفان وصنع له قفصا من حديد واخذ معه قدحين وملأ احدهما خمرا وملأ الأخر لبنا وسار عفـــان هو وبلوقيا ايا ما وليالي حتى وصلا الى الجزيرة التي فيها ملكة الحيات فطلع عفان وبلوقيا الى الجزيرة وتمشيا فيهـــا وبعد ذلك وضع عفان القفص ونصب فيها فخا ووضع فيه القدحين المملوئين خمرا ولبنا ثم تباعدا عن القفص واستخفيا ســـاعة فاقبلت ملكة الحيات على القفص حتى قربت من القدحين فتأملت فيها ساعة فلما شمّت رائحة اللبن نزلت من فوق ظهر الحية التي هي فوقهـــا وطلعت من الطبق ودخلت القفص واتت الى القدح الذي فيه الخمر وشربت منه فلما شربت من ذلك القدح داخت رأسها ونامت فلما رأى ذلك عفان تقدم الى القفص وقفله على ملكة الحيات ثم اخذها هو وبلوقيا وسارا فلما افاقت رأت روحها في قفص من حديد والقفص على رأس رجل وبجانبه بلوقيا فلما رأت ملكة الحيات بلوقيا قالت له هذا جزاء من لايؤذي بني أدم فردّ عليها بلوقيا وقال لها لا تخافي منا يا ملكة الحيات فاننا لا نؤذيك ابدا ولكن نريد منك ان تدلينا على عشب بين الاعشاب كل من اخذه ودقه واستخرج ماءه ودهّن به قدميه ومشى على ايّ بحر خلقه الله تعالى لاتبتل قدماه فاذا وجـدنا ذلك العشـــب اخذناه ونرجـــع بك الى مكانك ونطلقـــك الى حال سبيلك ثم ان عفان وبلوقيا سارا بملكة الحيات نحو الجبـــال التي فيها الاعشاب ودارا بها على جميع الاعشاب فصـــار كل عشب ينطق ويخبر بمنفعته باذن الله تعالى فبينما هما في هذا الامر والاعشاب تنطق يمينا وشمالا وتخبر بمنافعها واذا بعشب نطـــق وقال انا العشب الذي كلّ من اخذني ودقني واخذ مائي ودهن به قدميه

Digitized by Google

وهو جالس يعبد الله تعالى فتقدم اليه وقال له ايها الرجل ما اسمك ومن اين اتيت والى اين تذهب فقال له اسمي بلوقيا وانا من مدينه مصر وخرجت سائحا في طلب محمد صلى الله عليه وسلم فقال عفان لبلوقيا قم معي الى منزلي حتى اضيفك فقال سمعا وطاعة فأخذ عفان بيد بلوقيا وذهب به الى منزله واكرمه غاية الاكرام وبعد ذلك قال له اخبرني يا اخي بخبرك ومن اين عرفت محمدا صلى الله عليه وسلم حتى تعلق قلبك بحبه وذهبت في طلبه ومن دلّك على هذا الطريق فحكى له بلوقيا حكايته من الاول الى الآخر فلما سمع عفان كلامه كاد ان يذهب عقله وتعجب من ذلك غاية العجب ثم ان عفان قال لبلوقيا اجمعني على ملكة الحيات وانا اجمعك على محمد صلى الله عليه وسلم لان زمان مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بعيد واذا ظفرنا بملكة الحيات نحطها في قفص ونروح بها الى الاعشاب التي في الجبال وكل عشب جزنا عليه وهي معنا ينطق ويخبر بمنفعته بقدرة الله تعالى فاني قد وجدت عندي في الكتب ان في الاعشاب عشبا كل من اخذه ودقّه واخذ ماءه ودهّن به قدميه ومشي على اي بحر خلقه الله تعالى لم يبتلّ له قدم فاذا اخذنا ملكة الحيات تدلّنا على ذلك العشب واذا وجدناه نأخذه وندقّه ونأخذ ماءه ثم نطلقها الى حال سبيلها وندهن بذلك الماء اقدامنا ونعدي السبعة ابحر ونصل الى مدفن سيدنا سليمان ونأخذ الخاتم من اصبعه ونحكم كما حكم سيدنا سليمان ونصل الى مقصودنا وبعد ذلك ندخل بحر الظلمات ونشرب من ماء الحيوة فيمهلنا الله الى آخر الزمان ونجتمع بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من عفان قال له يا عفان انا اجمعك بملكة الحيات

Digitized by Google

ثم ان بلوقيا ودّعني ونزل في المركب وسار حتى وصل الى بيت المُقَدَّس وكان في بيت المقدس رجل تمكن من جميع العلوم وكان متقنا في علم الهندسة وعلم الفلك والحساب والسيمياء والروحاني وكان يقرأ التورية والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وكان يقال له عفّان وقد وجد في كتاب عنده ان كل من لبس خاتم سيدنا سليمان انقادت له الانس والجن والطير والوحش وجميع المخلوقات ورأى في بعض الكتب انه لما توفي سيدنا سليمان حطوه في تابوت وعدوا به سبعة ابحر وكان الخاتم في اصبعه ولا يقدر احد من الانس ولا من الجن ان يأخذ ذلك الخاتم ولا يقدر احد من اصحاب المراكب ان يروح بمركبه الى ذلك المكان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عفّان وجد في بعض الكتب انه لا يقدر احد من الانس ولا من الجن ان يأخذ الخاتم من اصبع سيدنا سليمان ولا يقدر احد من اصحاب المراكب ان يسافر بمركبه في السبعة ابحر التي عدوها بتابوته ووجد في بعض الكتب ايضا ان بين الاعشاب عشبا كلّ من اخذ منه شيأ وعصره واخذ ماءه ودهّن به قدميه فانه يمشي على اي بحر خلقة الله تعالى ولم تبتلّ قدماه ولا يقدر احد على تحصيل ذلك العشب الّا اذا كانت معه ملكة الحيات ثم ان بلوقيا لما دخل بيت المُقَدَّس جلس في مكان يعبد الله تعالى فبينما هو جالس يعبد الله اذ اقبل عليه عفان وسلم عليه فردّ عليه السلام ثم ان عفان نظر الى بلوقيا فرأه يقرأ في التورية

Digitized by Google

ما نخرج الّا مع تنفسها لصغرنا فان في جهنم كل حية لو عبر اكبر ما فينا الى انفها لم تحسّ به فقال لهم بلوقيا انتم تذكرون الله و تصلّون على محمد و من اين تعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا يابلوقيا ان اسم محمد مكتوب على باب الجنة و لولاه ماخلق الله المخلوقات و لاجنة و لانارا و لاسماء و لا ارضالان الله لم يخلق جميع الموجودات الّا من اجل محمد صلى الله عليه و سلم وقرن اسمه باسمه في كل مكان و لاجل هذا نحن نحبّ محمدا صلى الله عليه وسلم فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الحيات زاد غرامه في حب محمد صلى الله عليه وسلم وعظم اشتياقه اليه ثم ان بلوقيا ودعهم وسار حتى وصل الى شاطئ البحر فرأى مركبا راسية في جنب الجزيرة فنزل فيها مع ركابها و سارت بهم و ما زالوا سائرين حتى وصلوا الى جزيرة اخرى فطلع عليها و تمشى ساعة فرأى فيها حيات كبارا وصغارا لايعلم عددها الّا الله تعالى وبينها حية بيضاء ابيض من البلور وهي جالسة في طبق من الذهب و ذلك الطبق على ظهر حية مثل الفيل و تلك الحية ملكة الحيات وهي انا يا حاسب ثم ان حاسب سأل ملكة الحيات وقال لها ايّ شيء جوابك مع بلوقيا فقالت الحية يا حاسب اعلم اني لما نظرت الى بلوقيا سلمت عليه فرد عليّ السلام و قلت له من انت و ما شأنك ومن اين اقبلت والي اين تذهب و ما اسمك فقال انا من بني اسرائيل و اسمي بلوقيا و انا سائح في حب محمد صلى الله عليه وسلم وفي طلبه فاني رأيت صفاته في الكتب المنزلة ثم ان بلوقيا سألني وقال لي ايّ شيء انت و ما شأنك و ما هذه الحيات التي حولك فقلت له يا بلوقيا انا ملكة الحيات واذا اجتمعت بمحمد صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام

Digitized by Google

نحو الشام و لم يدر به احد من قومه و سار حتى وصل الى ساحل البحر فرأى مركبا فنزل فيها مع الركاب و سارت بهم الى ان اقبلوا على جزيرة فطلع الركاب من المركب الى تلك الجزيرة و طلع معهم ثم انفرد عنهم فى الجزيرة و قعد تحت شجرة فغلب عليه النوم فنام ثم انه افاق من نومه و قام الى المركب لينزل فيها فرأى المركب قد اقلعت و رأى في تلك الجزيرة حيات مثل الجمال و مثل النخل و هم يذكرون الله عز و جل و يصلّون على محمد صلى الله عليه و سلم و يصيحون بالتهليل و التسبيح فلما رأى ذلك بلوقيا تعجب غاية العجب و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما رأى الحيات يسبحون و يهللون تعجب من ذلك غاية العجب ثم ان الحيات لما رأت بلوقيا اجتمعت عليه و قالت له حية منهم من تكون انت و من اين اتيت و ما اسمك والى اين رائح فقال لها اسمي بلوقيا و انا من بني اسرائيل و خرجت هائما في حب محمد صلى الله عليه و سلم و في طلبه فما تكونون انتم ايتها الخليقة الشريفة فقال له الحيات نحن من سكّان جهنم و قد خلقنا الله تعالى نقمة على الكافرين فقال لهم بلوقيا و ما الذى جاء بكم الى هذا المكان فقال له الحيات اعلم يا بلوقيا ان جهنّم من كثرة غليانها تتنفّس فى السنة مرتين مرة في الشتاء و مرة فى الصيف * و اعلم ان كثرة الحرّ من شدة فَحْمها و لمّا تخرج نفسها ترمينا من بطنها و لمّا تسحب نفسها تردّنا اليها فقال لهم بلوقيا هل في جهنم اكبر منكم فقال له الحيات انا

Digitized by Google

الناس في زمانه فاتفق في بعض الايام انه فتح خزائن ابيه ليتفرج فيها ففتح خزانة من تلك الخزائن فوجد فيها صورة باب ففتحه و دخل فاذا هي خلوة صغيرة وفيها عمود من الرخام الابيض وفوقه صندوق من الأبنوس فاخذه بلوقيا وفتحه فوجد فيه صندوقا آخر من الذهب ففتحه فرأى فيه كتابا ففتح الكتاب و قرأه فراى فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم و انه يبعث في آخر الزمان و هو سيد الأولين و الآخرين فلما قرأ بلوقيا هذا الكتاب و عرف صفات سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم تعلّق قلبه بحبه ثم ان بلوقيا جمع اكابر بني اسرائيل من الكهان و الاحبار و الرهبان و اطلعهم على ذلك الكتاب و قرأه عليهم و قال يا قوم ينبغي ان اخرج ابي من قبره و احرقه فقال له قومه لاي شيء تحرقه فقال لهم بلوقيا لانه اخفى عني هذا الكتاب ولم يظهره لي و قد كان استخرجه من التورية ومن صحف ابراهيم و وضع هذا الكتاب في خزانة من خزائنه و لم يطلع عليه احدا من الناس فقالوا له يا ملكنا ان اباك قد مات و هو الآن في التراب و امره مفوّض الى ربه و لا تخرجه من قبره فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من اكابر بني اسرائيل عرف انهم لا يمكنونه من ابيه فتركهم و دخل الى امه و قال لها يا امي اني رأيت في خزائن ابي كتابا فيه صفة محمد صلى الله عليه و سلم و هو نبيّ يبعث في آخر الزمان و قد تعلّق قلبي بحبه و انا اريد ان اسيح في البلاد حتى اجتمع به فانني ان لم اجتمع به مت غراما في حبه ثم نزع ثيابه و لبس عباءة و زربونا و قال لا تنسيني يا امي من الدعاء فبكت عليه امه و قالت له كيف يكون حالنا بعدك قال بلوقيا ما بقي لي صبر ابدا و قد فوضت امري و امرك الى الله تعالى ثم خرج سائحا

Digitized by Google

وكيف اشترت امه له الحمار وصار حطّابا وكيف لقي الجُبّ العسل وكيف تركه رفقاؤه الحطـابون فى الجب وراحوا وكيف نزل عليه العقرب وقتله وكيف وسّع الشق الذي نزل منه العقرب وطلع في الجب واتى الى الباب الحديد وفتحه حتى وصل الى ملكة الحيات التي يكلمها ثم قال لها وهذه حكايتي من اولها الى آخرها والله اعلم بما يحصل لي بعد هذا كله * فلما سمعت ملكة الحيات حكاية حاسب كريم الدين من اولها الى أخرها قالت له ما يحصل لك الاّ كل خير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــاح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملكة الحيات لما سمعت حكاية حاسب كريم الدين من اولها الى آخرها قالت له ما يحصل لك الاّ كل خير ولكن اريد منك يا حاسب ان تقعد عنـدي مدة من الزمان حتى احكي لك حكايتي واخبرك بماجرى لي من العجائب فقال لها سمعا وطاعة فيما تأمريننى به * فقالت له اعلم يا حاسب انه كان بمدينة مصر ملك من بني اسرائيل وكان له ولد اسمـه بلوقيا وكان هذا الملك عالما عابدا مكبّا على قراءة كتب العلم فلما ضعف واشرف على الموت طلعت له اكابر دولته ليسلمـوا عليه فلما جلسوا عنده وسلموا عليه قال لهم يا قوم اعلموا انه قد دنا رحيلي من الدنيا الى الأخرة وما لي عندكم شيء اوصيكم به الاّ ابني بلوقيا فاستوصوا به ثم قال اشهد ان لا اله الاّ الله وشهق شهقة ففـارق الدنيا رحمة الله عليه فجهزوه وغسلوه ودفنوه واخرجوه خرجة عظيمة وجعلوا ولده بلوقيا سلطانا عليهم وكان ولده عادلا فى الرعية واستراحت

Digitized by Google

خوفه وينّس من الحيوة وخاف خوفا عظيما ورأى عين كل حيّة تتوقّف مثل الجمروهنّ فوق الكراسي والتفت الى البُحيرة فرأى فيها حيات صغارا لا يعلم عددها الّا الله تعالى وبعد ساعة اقبلت عليه حية عظيمة مثل البغل وعلى ظهر تلك الحية طبق من الذهب وفي وسط ذلك الطبق حية تضيء مثل البلوروووجهها وجه انسان وهي تتكلم بلسان فصيح فلما قربت من حاسب كريم الدين سلّمت عليه فردّ عليها السلام ثم اقبلت حية من تلك الحيات التي فوق الكراسي الى ذلك الطبق وحملت الحية التي فوقه وحطتها على كرسي من تلك الكراسي ثم ان تلك الحية زعقت على تلك الحيات بلغاتها فخرّت جميع الحيات من فوق كراسيها ودعين لها واشارت اليهن بالجلوس فجلسن ثم ان الحية قالت لحاسب كريم الدين لاتخف منا يا ايها الشاب فاني انا ملكة الحيات وسلطانتهم فلما سمع حاسب كريم الدين ذلك الكلام من الحية اطمأنّ قلبه ثم ان الحية اشارت الى تلك الحيات ان يأتوا بشيء من الاكل فاتوا بتفّاح وعنب ورمان وفستق وبندق وجوز ولوزوموز وحطوه قدام حاسب كريم الدين ثم قالت له ملكة الحيات مرحبا بك يا شاب ما اسمك فقال لها اسمى حاسب كريم الدين فقالت له يا حاسب كُلْ من هذه الفواكه فما عندنا طعام غيرها ولا تخف منا ابدا فلما سمع حاسب هذا الكلام من الحية اكل حتى اكتفى وحمد الله تعالى فلما اكتفى من الاكل رفعوا السماط من قدامه ثم بعد ذلك قالت له ملكة الحيات اخبرني يا حاسب من اين انت ومن اين اتيت الى هذا المكان وما جرى لك فحكى لها حاسب جميع ما جرى لابيه وكيف ولدته امه وحطته فى المكتب وهو ابن خمس سنين ولم يتعلّم شيأ من العلم وكيف حطته فى الصنعة

Digitized by Google

منه العقرب وصار يلتفت يمينا وشمالا في الجب فرأى المكان الذي وقع منه العقرب يلوح منه النور فاخرج سكينا كانت معه ووسّع ذلك المكان حتى صار قدر الطاقة وخرج منه وتمشّى ساعة في داخله فرأى دهليزا عظيما فمشى فيه فرأى بابا عظيما من الحديد الاسود وعليه قفل من الفضة وعلى ذلك القفل مفتاح من الذهب فتقدم الى ذلك الباب ونظر من خلاله فرأى نورا عظيما يلوح من داخله فاخذ المفتاح وفتح الباب وعبر الى داخله وتمشى ساعة حتى وصل الى بُحَيرة عظيمة فرأى في تلك البُحَيرة شيأ يلمع مثل الماء فلم يزل يمشي حتى وصل اليه فرأى تلًّا عاليا من الزبرجد الاخضر وعليه تخت منصوب من الذهب مرصّع بانواع الجواهر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان حاسبا كريم لما وصل الى التلّ وجده من الزبرجد الاخضر وعليه تخت منصوب من الذهب مرصع بانواع الجواهر وحول ذلك التخت كراسي منصوبة بعضها من الذهب وبعضها من الفضة وبعضها من الزمرد الاخضر فلما اتى الى تلك الكراسي تنهد ثم عدّها فرأها اثنى عشر الف كرسي فطلع على ذلك التخت المنصوب في وسط تلك الكراسي وقعد عليه وصار يتعجب من تلك البُحَيرة وتلك الكراسي المنصوبة ولم يزل متعجبا حتى غلب عليه النوم فنام ساعة واذا هو يسمع نفخا وصفيرا وهرجا عظيما ففتح عينه وقعد فرأى على الكراسي حيات عظيمة طول كل حية منها مائة ذراع فحصل له من ذلك فزع عظيم ونشف ريقه من شدة

Digitized by Google

من العسل و يقول انا الذي لقيته و مالنا خلاص من ذلك الا ان ننزله في الجب ليعبى العسل الذي بقي فيه و نتركه هنا كذا فيموت كمدا ولا يدري به احد فاتفق الجميع على هذا الامر ثم ساروا وما زالوا سائرين حتى اتوا الى الجُبّ فقالوا له يا حاسب انزل الجب وعبّ لنا العسل الذي بقي فيه فنزل حاسب في الجب وعبى لهم العسل الذي بقي فيه وقال لهم اسحبوني فما بقي فيه شيٌ فلم يرد عليه احد منهم جوابا وحملوا حميرهم وساروا الى المدينة وتركوه في الجب وحده وصار يستغيث ويبكي ويقول لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قَدُمت كمدا هذا ما كان من امر حاسب كريم * واما ما كان من امر الحطابين فانهم لما وصلوا الى المدينة باعوا العسل وراحوا الى امّ حاسب وهم يبكون وقالوا لها تعيش رأسك في ابنك حاسب فقالت لهم ما سبب موته فقالوا لها انا كنا قاعدين فوق الجبل فامطرت علينا السماء مطرا عظيما فأوينا الى مغارة لنتداري فيها من ذلك المطر فلم نشعر الا وحمارا بنك هرب في الوادي فذهب خلفه ليردّه من الوادي وكان فيه ذئب عظيم فافترس ابنك واكل الحمار فلما سمعت امه كلام الحطابين لطمت على وجهها وحثت التراب على رأسها واقامت عزاءه وصار الحطابون يجيئون لها بالاكل والشرب في كل يوم هذا ما كان من امرامه * واما ما كان من امر الحطابين فانهم فتحوا لهم دكاكين وصاروا تجارا ولم يزالوا في اكل وشرب وضحك ولعب * واما ما كان من امر حاسب كريم الدين فانه صار يبكي وينتحب فبينما هو قاعد في الجبّ على هذه الحالة واذا بعقرب كبير وقع عليه فقام وقتله ثم تفكر في نفسه وقال ان الجب كان ملآنا عسلا فمن اين اتى هذا العقرب فقام يفتش المكان الذي وقع

Digitized by Google

عليهم مطرة عظيمة فهربوا الى مغارة عظيمة ليداروا انفسهم فيها من ذلك المطرة فقام من عند هم حاسب كريم الدين وجلس وحده في مكان من تلك المغارة و صار يضرب الارض بالفاس فسمع حسّ الارض خالية من تحت الفاس فلما عرف انها خالية مكث يحفر ساعة فرأى بلاطة مدورة و فيها حلقة فلما رأى ذلك فرح و نادى لجماعته الحطّابين و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حاسب كريم الدين لما رأى البلاطة التي فيها الحلقة فرح و نادى لجماعته الحطابين فحضروا اليه فرأوا تلك البلاطة فتسارعوا اليها و قلعوها فوجدوا تحتها بابا ففتحوا الباب الذي تحت البلاطة فاذا هو جُبّ ملآن عسلَ نحل فقال الحطابون لبعضهم هذا جُبّ ملآن عسلا و مالنا الّا ان نروح المدينة و نأتي بظروف و نعبّي هذا العسل فيها و نبيعه و نقتسم حقه و واحد منا يقعد عنده ليحفظه من غيرنا فقال حاسب انا اقعد و احرسه حتى تروحوا و تأتوا بالظروف فتركوا حاسبا كريم الدين يحرس لهم الجُبّ و ذهبوا الى المدينة و اتوا بظروف و عبّوها من ذلك العسل و حملوا حمير هم و رجعوا الى المدينة و باعوا ذلك العسل ثم عادوا الى الجُبّ ثاني مرة و ما زالوا على هذه الحالة مدة من الزمان و هم يبيتون في المدينة و يرجعون الى الجُبّ يعبّون من ذلك العسل و حاسب كريم الدين قاعد يحرس لهم الجُبّ فقالوا لبعضهم يوما من الايام ان الذي لقي جب العسل حاسب كريم الدين وفي غد ينزل الى المدينة و يدّعي علينا و يأخذ

Digitized by Google

و اصحابه ثم غسلوه و اخرجوه خرجة عظيمة و دفنوه و رجعوا ثم ان زوجته بعد ايام قلائل وضعت ولدا مليحا فسمته حاسبا كريم الدين كما اوصاها به و لما ولدته احضرت له المنجمون فحسبوا طالعه و ناظره من الكواكب ثم قالوا لها اعلمي ايتها المرأة ان هذا المولود يعيش اياما كثيرة و لكن بعد شدة تحصل له في مبدأ عمره فاذا نجا منها فانه يعطى بعد ذلك علم الحكمة ثم مضت المنجمون الى حال سبيلهم فارضعته اللبن سنتين و فطمته فلما بلغ خمس سنين حطته في المكتب ليتعلّم شيأ من العلم فلم يتعلّم فاخرجته من المكتب وحطته في الصنعة فلم يتعلّم شيأ من الصنعة ولم يطلع من يده شيء من الشغل فبكت امه من اجل ذلك فقال لها الناس زوّجيه لعله يحمل همّ زوجته ويتخذ له صنعة فقامت وخطبت بنتا و زوجته بها ومكث على ذلك الحال مدة من الزمان وهولم يتخذ له صنعة ابدا ثم انهم كان لهم جيران حطّابون فاتوا الى امه و قالوا لها اشتري لابنك حمارا و حبلا وفاسا ويروح معنا الى الجبل فنحتطب نحن واياه و يكون ثمن الحطب له و لنا وينفق عليكم مما يخصّه فلما سمعت امه ذلك من الحطّابين فرحت فرحا شديدا و اشترت لابنها حمارا و حبلا و فاسا و اخذته و توجهت به الى الحطّابين و سلمته اليهم و اوصتهم عليه فقالوا لها لا تحملي همّ هذا الولد ربنا يرزقه هذا ابن شيخنا ثم اخذوه معهم و توجهوا الى الجبل فقطعوا الحطب و حملوا حمير هم و اتوا الى المدينة و باعوا الحطب وانفقوا على عيالهم ثم انهم شدوا حمير هم و رجعوا الى الاحتطاب في ثاني يوم و ثالث يوم و لم يزالوا على هذه الحالة مدة من الزمان فاتفق انهم ذهبوا الى الاحتطاب في بعض الايام فنزلت

Digitized by Google

و كانت حكماء اليونان يدعون لامره و يعوّلون على علومه و مع هذا لم يرزق ولدا ذكرا فبينما هو ذات ليلة من الليالي يتفكر في نفسه و يبكي على عدم ولد يرثه في علومه من بعده اذ خطر بباله ان الله سبحانه و تعالى يجيب دعوة مَن اليه اناب و انه ليس على باب فضله بوّاب و يرزق من يشاء بغير حساب و لا يرد سائلا اذا سأله بل يجزل الخير و الاحسان له فسأل الله تعالى الكريم ان يرزقه ولدا يخلفه من بعده ويجزل له الاحسان من عنده ثم رجع الى بيته و واقع زوجته فحملت منه تلك الليلة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحكيم اليوناني رجع الى بيته وواقع زوجته فحملت منه تلك الليلة ثم بعد ايام سافر الى مكان في مركب فانكسرت به المركب و راحت كتبه في البحر و طلع هو على لوح من تلك السفينة و كان معه خمس ورقات بقيت من الكتب التي وقعت منه في البحر فلما رجع الى بيته وضع تلك الاوراق في صندوق و قفل عليها وكانت زوجته قد ظهر حملها فقال لها اعلمي انه قد دنت وفاتي و قرب انتقالي من دار الفناء الى دار البقاء و انت حامل قريبا تلدين بعد موتي صبيا ذكرا فاذا وضعته فسميه حاسبا كريم الدين وربّيه احسن التربية فاذا كبر وقال لك ما خلف لي ابي من الميراث فاعطيه هذه الخمس ورقات فاذا قرأها و عرف معناها يصير اعلم اهل زمانه ثم انه ودّعها و شهق شهقة ففارق الدنيا و ما فيها رحمة الله تعالى عليه فبكى عليه اهله

Digitized by Google

كما اجلب فى الاثنتين قبلها انه كريم مفضال ورحم الله من قال

زِيُّ الْفَقِيرِ تَبَتُّلٌ وَوَقَارُ ... وَلِبَاسُهُ الْخَلَقَانُ وَالْاَطْمَارُ

وَالْاَصْفِرَارُ يُزَيِّنُهُ وَتُرَبِّمَا ... بِسِرَارِهَا تَتَزَيَّنُ الْاَقْمَارُ

قَدْ شَفَّهُ طُولُ الْقِيَامِ بِلَيْلِهِ ... وَدُمُوعُهُ مِنْ جَفْنِهِ مِدْرَارُ

فَانِيهِ فِي دَارٍ تَذِلُّ كَرَامَةً ... وَجَلِيسُهُ فِي لَيْلِهِ الْجَبَّارُ

اِنَّ الْفَقِيرَ بِهِ يُغَاثُ الْمُلْتَجِي ... وَكَذَلِكَ الْاَنْعَامُ وَالْاَطْيَارُ

وَلِاَجْلِهِ يَجْرِي الْاِلٰهُ بَلَاءَهُ ... وَبِفَضْلِهِ تَتَنَزَّلُ الْاَمْطَارُ

وَاِذَا دَعَا يَوْمًا بِكَشْفِ مُلِمَّةٍ ... هَلَكَ الظَّلُومُ وَعُطِّلَ الْجَبَّارُ

فَالْخَلْقُ اَجْمَعُهُمْ مَرِيضٌ مُدْنِفٌ ... وَهُوَ الطَّبِيبُ الْمُشْفِقُ الْمِدْرَارُ

سِيمَاهُ تُبْدِي اِنْ نَظَرْتَ لِوَجْهِهِ ... صِفَةَ الْقُلُوبِ وَلَاحَتِ الْاَنْوَارُ

يَا رَاغِبًا عَنْهُمْ وَلَمْ تَرَ فَضْلَهُمْ ... هَجَبَتْكَ وَيْحَكَ عَنْهُمُ الْاَوْزَارُ

تَرْجُو لِحَاقَهُمُ وَاَنْتَ مُقَيَّدٌ ... قَدْ اَخَّرَتْكَ عَنِ الْمُنَى اَوْزَارُ

لَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ قَدْرَهُمْ لَاَجَبْتَهُمْ ... وَجَرَتْ لَهُمْ مِنْ جَفْنِكَ الْاَنْهَارُ

اَنَّى اِلَى الْمَرْكُومِ شَمِّ الرَّاهِرِ ... اَلثَّوْبُ يَعْرِفُ قَدْرَهُ السِّمْسَارُ

فَاسْرَعْ اِلَى مَوْلَاكَ وَاسْأَلْ وَصْلَهُ ... فَعَسَى تُسَاعِدُ سَعْيَكَ الْاَقْدَارُ

وَتَرَاجِ مِنْ فَرْطِ التَّبَاعُدِ وَالْقِلَى ... وَتَنَالُ مَا تَهْوَى وَمَا تَخْتَارُ

فَجَنَابُهُ رَحْبٌ لِكُلِّ مُؤَمِّلٍ ... وَهُوَ الْاِلٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

ومما يحكى

انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان حكيم من حكماء اليونان وكان ذلك الحكيم يسمى فانيال وكان له تلامذة وجنود

Digitized by Google

لَئِنْ كُنْتُ فِي رَأْيِ الْعُيُونِ كَمَا تَرَى ... وَبِالْجِسْمِ مِنْ فَرْطِ الزَّمَانَةِ مَا يُبْدُو
وَلَيْسَ مَعِي زَادٌ يُبَلِّغُنِي إِلَى ... مَحَلٍّ بِهِ يَأْتِي إِلَى سَيِّدِي الْوَفْدُ
فَلِي خَالِقُ الطَّافُهُ بِي خَفِيَّةٌ ... وَلَيْسَ لَهُ نِدٌّ وَلَا مِنْهُ لِي بُدُّ
فَيَسَّرَ لَمَّا عَنَّنِي وَدَعَنِي وَغُرْبَتِي ... فَإِنَّ الْغَرِيبَ الْفَرْدَ يُؤْنِسُهُ الْفَرْدُ

فانصرفت من عنده وكنت بعد ذلك لا أتي منهلا الا وجدته قد سبقني فلما وصلت الى المدينة غاب عني اثره وعمي عليّ خبره فلقيت ابا يزيد البسطامي وابا بكر الشبلي وطوائف الشيوخ واخبرتهم بقصتي وشكوت اليهم قضيتي فقالوا هيهات ان تنال بعد ذلك صحبته هذا ابو جعفر المجذوم بحرمته تستسقى الانواء وببركته يستجاب الدعاء فلما سمعت منهم هذا الكلام زاد شوقي الى لقائه وسألت الله ان يجمعني عليه فبينما انا واقف بعرفات اذا بجاذب يجذبني من خلفي فالتفت اليه فاذا هو ذلك الرجل فلما رأيته صحت صيحة عظيمة ووقعت مغشيا عليّ فلما افقت ما وجدته فزاد وجدي لذلك وضاقت عليّ المسالك وسألت الله تعالى رؤيته فلم يكن إلّا ايام قلائل واذا به يجذبني من خلفي فالتفت اليه فقال عزمت عليك ان تأتيني وتسأل حاجتك فسألته ان يدعو لي ثلث دعوات * الاولى ان يحبّب الله اليّ الفقر * والثانية لن لا ابيت على رزق معلوم * الثالثة ان يرزقني النظر الى وجهه الكريم فدعا لي هذه الدعوات وغاب عني وقد استجاب الله دعاءه لي * اما الاولى فان الله حبب اليّ الفقر فوالله ما في الدنيا شيء هو احب اليّ منه * واما الثانية فاني منذ كذا سنة ما بت على رزق معلوم ومع ذلك لا يحوجني الله الى شيء واني لارجو ان يمنّ الله عليّ بالثالثة ويكون قد اجاب فيها

Digitized by Google

المسجد فرايت رجلا مجذوما قاعدا في المحراب فلما رأني قال يا ابا الحسن اسألك الصحبة الى مكة فقلت في نفسي اني فررت من الاصحاب وكيف اصحب المجذومين ثم قلت له اني لا اصحب احدا فسكت عني فلما اصبح الصباح مشيت فى الطريق وحدي ولم ازل منفردا حتى وصلت الى العقبة ودخلت المسجد فلما دخلته وجدت الرجل المجذوم فى المحراب فقلت في نفسي سبحان الله كيف سبقني هذا الى ها هنا فرفع رأسه اليّ وتبسّم وقال يا ابا الحسن يصنع للضعيف ما يتعجب منه القوي فبت تلك الليلة متحيرا مما رأيت فلما اصبحت سلكت الطريق وحدي فلما وصلت الى عرفات وقصدت المسجد اذا الرجل قاعد فى المحراب فترامیت عليه وقلت له يا سيدي اسألك الصحبة وجعلت اقبل قدميه فقال ليس لي الى ذلك سبيل فجعلت ابكي وانتحب لما حرمت من صحبته فقال لي هوّن عليك فانه لا ينفعك البكاء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان ابا الحسن قال لما رأيت الرجل المجذوم قاعدا فى المحراب ترامیت عليه وقلت له يا سيدي اسألك الصحبة وجعلت اقبل قدميه فقال ليس لي الى ذلك سبيل فجعلت ابكي وانتحب لما حرمته من صحبته فقال لي هوّن عليك فانه لا ينفعك البكاء واجراء العبرات ثم انشد هذه الابيات

أَتَبْكِي عَلَى بُعْدِي وَمِنْكَ جَرَى الْبُعْدُ ... وَتَطْلُبُ رَدًّا حِينَ لَا يُمْكِنُ الرَّدُّ
فَطَرْتُ إِلَى ضَعْفِي وَظَاهِرِ عِلَّتِي ... وَقُلْتُ سَقِيمٌ لَا يَرُوحُ وَلَا يَغْدُو
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ ... يَمُنُّ بِلُطْفٍ مَا تَخَيَّلَهُ الْعَبْدُ

Digitized by Google

شيأ فاعاد اكلامهما و اذا الملك قد قام من فوق سريره و صاح صيحة عظيمة و ترامى عليهما و اعتنقهما و قال والله انتما ولد اخي حقا فكشفت المرأة عن وجهها و قالت انا والله امهما فاجتمعوا جميعا و صاروا فى اللذ عيش و اهناه الى ان ابادهم الموت فسبحان من اذا قصده العبد نجاه و لم يخيب ما امله فيه و رجاه و ما احسن ما قيل فى المعنى

لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْاَشْيَاءِ مِيقَاتُ ... وَالْاَمْرُ فِيهِ اَخِي مَحْوٌ وَاِثْبَاتُ
لَاتَجْزَعَنَّ لِاَمْرٍ قَدْ دُهِيتَ بِهِ ... فَقَدْ اَتَانَا بِيُسْرِ الْعُسْرِ اُيَاتُ
وَرُبَّ ذِي كُرْبَةٍ بَاتَتْ مَضَرَّتُهَا ... تَبْدُو وَبَاطِنُهَا فِيهِ الْمَسَرَّاتُ
وَكَمْ مُهَانٍ عُيُونُ النَّاسِ تَشْنَؤُهُ ... مِنَ الْهَوَانِ تَغَشَّتْهُ الْكَرَامَاتُ
هَذَا الَّذِي نَالَهُ كَرْبٌ وَكَابَدَهُ ... ضُرٌّ وَحَلَّتْ بِهِ فِي الْوَقْتِ اُفَاتُ
وَفَرَّقَ الدَّهْرُ مِنْهُ شَمْلَ الْفَتِهِ ... فَكُلُّهُمْ بَعْدَ طُولِ الْجَمْعِ اَشْتَاتُ
اَعْطَاهُ مَوْلَاهُ خَيْرًا ثُمَّ جَاءَ بِهِمْ ... وَفِي الْجَمِيعِ اِلَى الْمَوْلَى اِشَارَاتُ
سُبْحَانَ مَنْ عَمَّتِ الْاَكْوَانَ قُدْرَتُهُ ... وَاَخْبَرَتْ بِتَدَانِيهِ اللَّا لَاتُ
فَهُوَ الْقَرِيبُ وَلَكِنْ لَا يُكَيِّفُهُ ... عَقْلٌ وَلَيْسَتْ تُدَانِيهِ الْمَمَا فَاتُ

ومما يحكى

ان ابا الحسن الدراج قال كنت كثيرا ما آتى مكة زادها الله شرفا وكان الناس يتبعونني لمعرفتي بالطريق وحفظ المناهل فاتفق في عام من الاعوام اني اردت الوصول الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلوة والسلام و قلت في نفسي انا اعرف بالطريق فاذهب وحدي ومشيت حتى وصلت الى القادسية فدخلتها واتيت

Digitized by Google

كل مالديها قال فاجابه لذلك و بقي عند الملك و وجّه الملك كاتبه و وكيله اليهما و قال لهما اذهبا فاحرسا سفينة هذا الرجل الليلة ان شاء الله تعالى قال فسارا و صعدا الى السفينة و قعد هذا على مؤخرها و هذا على مقدمها وذكرا الله عز وجل برهة من الليل * ثم قال احدهما للآخر يا فلان ان الملك قد امرنا بالحراسة و نحاف النوم فتعال نتحدث باخبار الزمان و ما رأيناه من الخير و الامتحان * فقال الآخر يا اخي اما انا فمن امتحاني ان فرّق الدهر بيني و بين ابي و امي و اخ لي كان اسمه كاسمك و السبب في ذلك انه ركب والدنا البحر من بلد كذا و كذا فهاجت علينا الرياح و اختلفت فكسرت السفينة و فرق الله شملنا فلما سمع الآخر بذلك قال و كيف كان اسم والدتك يا اخي قال فلانة قال وما اسم والدك قال فلان فتراهى الاخ على اخيه و قال له انت اخي والله حقا و جعل كل واحد منهما يحدث اخاه بما جرى عليه في صغره و الامّ تسمع الكلام و لكنها كتمت امرها وصبرت نفسها فلما طلع الفجر قال احدهما للآخر سر يا اخي فتحدث في منزلي قال نعم فسارا واتى الرجل فوجد المرأة في كرب شديد فقال لها ما دهاك و ما اصابك قالت بعثت اليّ الليلة من اراداني بالسوء و كنت منهما في كرب عظيم فغضب التاجر و توجه للملك و اخبره بما فعل الاميناں فاحضرهما الملك بسرعة و كان يحبّهما لما تحقق فيهما من الامانة و الديانه ثم امر باحضار المرأة حتى تذكر ما كان منهما مشافهة فجيء بها و احضرت و قال لها ايتها المرأة ما ذا رأيت من هذين الاميننين فقالت ايها الملك اسألك بالله العظيم رب العرش الكريم الاّ ما امرتهما ان يعيد الكلام بينهما الذي تكلما به البارحة فقال لهما الملك قولا ما قلتماه و لا تكتما منه

Digitized by Google

والعرض * وكان ولده الاكبر قد وقع عند رجل علّمه وادّبه * والآخر قد وقع عند رجل ربّاه و احسن تربيته و علّمه طرق التجارة * والمرأة قد وقعت عند رجل من التجار أئتمنها على ماله و عاهدها على ان لا يخونها و ان يعينها على طاعة الله عزّ و جل و كان يسافر بها فى السفينة الى البلاد و يستصحبها في ايّ موضع اراد فسمع الولد الكبير بصيت ذلك الملك فقصده و هو لا يعلم مَنْ هو فلما دخل عليه اخذه و ائتمنه على سرّه و جعله كاتبا له و سمع الولد الآخر بذلك الملك العادل الصالح فقصده و صار اليه و هو لا يعلم مَنْ هو ايضا فلما دخل عليه وكّله على النظر في اموره و بقيا مدة من الدهر في خدمته وكل واحد منهم لا يعلم بصاحبه و سمع الرجل التاجر الذي عنده المرأة بذلك الملك و بِرّه للناس و احسانه اليهم فاخذ جانبا من الثيـــاب الفاخرة ومما يستظرف من تحف البلاد و اتى بسفينة والمرأة معه حتى وصـل الى شاطئ الجـــزيرة و نزل الى الملك و قدم له هديته فنظر ها الملك و سرّ بها سرورا كثيرا و امر للرجل بجائزة سنية وكان فى الهدية عقاتير اراد الملك من التاجر ان يعرفها له باسمائها و يخبره بمصالحها فقال الملك للتاجر اقـــم الليلة عندنا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــاح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر لما قال له الملك اقم الليلة عندنا قال ان لي فى السفينة وديعة عاهدتها ان لا اَكِلَ امرها الي غيري و هي امرأة صالحة تيمّنتُ بدعائها وظهرت لي البركة في آرائها فقال الملك سأبعث اليها امناء يبيتون عليها ويحـــرسون

Digitized by Google

على بلدة و حصل احد الولدين على بلدة اخرى و التقط الولد الآخر اهل سفينة في البحر واما الرجل فقذفته الامواج الى جزيرة منقطعة و خرج اليها فتوضأ من البحر و أذّن و اقام الصلوٰة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرجل لما خرج الى الجزيرة توضأ من البحر وأذّن و اقام الصلوٰة فاذا قد خرج من البحر اشخاص بالوان مختلفة فصلوا معه و لما فرغ قام الى شجرة في الجزيرة فاكل من ثمرها فزال عنه جوعه ثم وجد عين ماء فشرب منها و حمد الله عز و جل و بقي ثلثة ايام يصلي و تخرج اقوام يصلون مثل صلوٰته وبعد مضي الايام الثلثة سمع مناديا يناديه ان يا ايها الرجل الصالح البارّ بابيه المجلّ قدر ربه لا تحزن ان الله عز و جل مخلف عليك ما خرج من يدك فان في هذه الجزيرة كنوزا و اموالا و منافع يريد الله ان تكون لها وارثا وهي في موضع كذا وكذا من هذه الجزيرة فاكشف عنها و انا لنسوق اليك السفن فاحسن الى الناس و ادعهم اليك فان الله عز و جل يميل قلوبهم اليك فقصد ذلك الموضع من الجزيرة وكشف الله له عن تلك الكنوز و صارت اهل السفن تردّد عليه فيحسن اليهم احسانا عظيما و يقول لهم لعلكم تدلون عليّ الناس فاني اعطيهم كذا وكذا و اجعل لهم كذا وكذا فصار الناس يأتونه من الاقطار و الاماكن و ما مضت عليه عشر سنين الّا و الجزيرة قد عمرت و الرجل قد صار ملكها لايأوي اليه احد الّا احسن اليه و شاع ذكره في الارض بالطول

Digitized by Google

فَاهْجُرْ وَصُدْ وَصِلِ فَذَلِكَ وَاحِدٌ لَيْسَ الْوُقُوفُ مَعَ الْحُظُوظِ يُلَامُ
مَا الْقَصْدُ فِي حُبِّي إِلَيْكَ سِوَى الرِّضَى فَإِذَا رَأَيْتَ الْبُعْدَ فَهُوَ قَوَامُ

ومما يحكي

ان رجلا من خيار بني اسرائيل كان كثير المال و له ولد صالح مبارك فحضرت الرجل الوفاة فقعد ولده عند رأسه و قال يا سيدي اوصني فقال يا بُنيّ لا تحلف بالله بارّا ولا فاجرا ثم مات الرجل و بقي الولد بعد ابيه فتسامع به فُسّاق بني اسرائيل فكان الرجل يأتيه فيقول لي عندك والدك كذا وكذا و انت تعلم بذلك اعطني ما في ذمته و الّا فاحلف فيقف الولد مع الوصية و يعطيه جميع ما طلبه فما زالوا به حتى فنى ماله و اشتد اقلاله و كان للولد زوجة صالحة مباركة و له منها ولدان صغيران فقال لها ان الناس قد اكثروا طلبي و مادام معي ما ادفع به عن نفسي بذلته و الآن لم يبق لنا شيء فان طالبني مطالب امتحنت انا وانت فالاولى ان نفوز بانفسنا و نذهب الى موضع لا يعرفنا فيه احد و نتعيش بين اظهر الناس قال فركب بها البحر و بولديه و هو لا يعرف اين يتوجه وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ولسان الحال يقول

يَا خَارِجًا خَوْفَ الْعِدَى مِنْ دَارِهِ وَ الْيُسْرُ قَدْ وَافَاهُ عِنْدَ فِرَارِهِ
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْبِعَادِ فَرُبَّمَا عَزَّ الْغَرِيبُ بِطُولِ بُعْدِ مَزَارِهِ
لَوْ قَدْ أَقَامَ الدُّرُّ فِي أَصْدَافِهِ مَا كَانَ تَاجُ الْمُلْكِ بَيْتَ قَرَارِهِ

قال فانكسرت السفينة و خرج الرجل على لوح و خرجت المرأة على لوح و خرج كل ولد على لوح و فرّقتهم الامواج فحصلت المرأة

Digitized by Google

فوجدته تحت الشجرة ميتا و وجدت كفنا جديدا عند راسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته و كفنته و صليت عليه و حفرت له قبرا و دفنته ثم عبرت النيل و جئت الجانب الغربي ليلا و معي المرقعة و الركوة و العصا فلما لاح الصباح و فتح باب البلد بصرت بشاب اصله شاطر كنت اعرفه عليه ثياب رقيقة و في يده اثر حناء فاتى حتى وصل اليّ فقال انت فلان قلت نعم قال هات الامانة قلت و ما هي قال المرقعة و الركوة و العصا فقلت و من دلّك بهن قال لا ادري غير اني بت البارحة في عرس فلان و سهرت اغني الى ان جاء وقت الصبح فنمت لاستريح فاذا شخص قد وقف عليّ و قال لي ان الله تعالى قد قبض روح فلان الولي و اقامك مقامه فسر الى فلان المعدي و خذ منه مرقعته و ركوته و عصاه فانه قد وضعها لك عنده قال فاخرجتها و دفعتها له فنضا ثيابه ثم لبسها و سار و تركني فبكيت لما حرمت من ذلك فلما جنّ الليل عليّ نمت فرأيت رب العزة تبارك و تعالى في المنام فقال يا عبدي أثقل عليك اني مننت على عبد من عبادي بالرجوع اليّ انما هو فضلي اوتيه من اشاء و انا على كل شيء قدير فانشدت هذه الابيات

مَا لِلْمُحِبِّ مَعَ الْحَبِيبِ مَرَامُ ... كُلُّ اخْتِيَارِكَ لَوْ عَرَفْتَ حَرَامُ
اِنْ شَاءَ وَصْلَكَ مِنَّةً وَ تَعَطُّفًا ... اَوْ صَدَّ عَنْكَ فَمَا عَلَيْهِ مَلَامُ
اِنْ لَمْ تَكُنْ بِصُدُودِهِ مُتَلَذِّذًا ... فَادْرُجْ فَمَا لَكَ فِي الْمَقَامِ مَقَامُ
اَوْ لَمْ تَمِيزْ قُرْبَهُ مِنْ بُعْدِهِ ... فَلَأَنْتَ خَلْفٌ وَالْهَوَى قُدَّامُ
اِنْ كَانَ مَلَّكَ الْغَرَامُ حُشَاشَتِي ... اَوْ قَادَنِي لِلْقَتْلِ فِيكَ زِمَامُ

Digitized by Google

الغيوب وانشد بعضهم في هذا المعنى شعـــــــــــــــرا

رَأَى النَّبِيُّ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْبَصَرِ ... فَصَارَ يَسْأَلُ عَمَّا كَانَ مِنْ خَبَرِ
اذْ شَاهَدَتْ عَيْنُهُ مَا لَيْسَ يَفْهَمُهُ ... فَقَالَ يَارَبِّ مَاذَا وَالْقَتِيلُ بَرِي
هَذَا اَصَابَ الْغِنَى مِنْ دُونِ مَاتَعِبَا ... وَكَانَ لَمَّـــا بَدَا فِي زِيِّ مُفْتَقِرِ
وَذَاكَ قَدْ صَارَ مَيْتًا بَعْدَ عِيشَتِهِ ... مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَى يَا خَالِقَ الْبَشَرِ
اِنَّ الدَّرَاهِمَ كَانَتْ مَالَ وَالِدِ مَنْ ... رَأَيْتَـــهُ قَدْ اَتَى اِرْثًا بِـــلَا كَدَرِ
وَكَانَ قَدْ قَتَلَ الْحَطَّابُ وَالِدَ ذَا ... فَاقْتَصَّ مِنْهُ ابْنُـــهُ اِذْ فَازَ بِالظَّفَرِ
دَعْ عَنْكَ يَا عَبْدَنَا هَذَا فَاِنَّ لَنَا ... فِي الْخَلْقِ سِرًّا خَفِي عَنْ حِدَّةِ النَّظَرِ
سَلِّمْ لِاَحْكَامِنَا وَاخْضَعْ لِعِزَّتِنَـــا ... فَحُكْمُنَا قَدْ جَرَى بِالنَّفْعِ وَالضَّرَرِ

ومما يحكى

ان رجلا من الصالحين قال كنت ملاّحا بنيل مصر اعبر من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فبينمـــا انا ذات يوم من الايام قاعد في الزورق اذا بشيخ ذي وجه مشرق قد وقف عليّ وسلم فرددت عليه السلام فقال تحملني لله تعالى قلت نعم قال وتطعمني لله قلت نعم فصعد الزورق وعبرت به الى الجانب الشرقي وكان عليه مرقعة وبيده رَكْوَة وعصا فلما اراد النزول قال لي اني اريدان احملـــك امانة قلت وما هي قال اذا كان الغد والهمت ان تأتيني وقت الظهر واتيت ووجدتني تحت تلك الشجرة ميتا فغسلني وكفني في الكفن الذي تجده تحت رأسي وادفني بعد الصلوٰة عليّ في هذا الرمل وامسك المرقعة والركوة والعصا فاذا جاءك من يطلبهن فادفعهن له قال فتعجبت من قوله وبت ليلتي تلك ثم اصبحت انتظر الوقت الذي ذكره لي فلما جاء وقت الظهر نسيت كما قال ثم الهمت قريب العصر فسرت بسرعـــة

Digitized by Google

وحكي

ان نبيا من الانبياء كان يتعبّد في جبل مرتفع وتحته عين ماء تجري فكان بالنهار يقعد في اعلى الجبل من حيث لا تراه الناس وهو يذكر الله تعالى وينظر الى من يرد العين من الناس فبينما هو ذات يوم قاعد ينظر الى العين اذ بصر بفارس قد اقبل ونزل عن فرسه ووضع جرابا كان في عنقه واستراح وشرب من الماء ثم راح وترك الجراب وكان فيه دنانير واذا رجل قد اقبل وارد العين فاخذ الجراب بالمال وشرب من الماء وانصرف سالما فجاء بعده رجل حطّاب وهو حامل حزمة حطب ثقيلة على ظهره وقعد على العين يشرب من الماء فاذا الفارس الاول قد اقبل لَهْفان وقال للحطّاب اين الجراب الذي كان هنا فقال لا ادري له خبرا فجذب الفارس سيفه وضرب الحطاب قتله وفتش في ثيابه فلم يجد شيأ فتركه وسار الى حال سبيله فقال ذلك النبي يارب واحد اخذ الف دينار وآخر قُتل مظلوما فاوحى الله اليه ان اشتغل بعبادتك فان تدبير المملكة ليس من شأنك ان والد هذا الفارس كان قد غصب الف دينار من مال والد هذا الرجل فمكّنت الولد من مال ابيه وان الحطّاب كان قد قتل والد هذا الفارس فمكّنت الولد من القصاص فقال ذلك النبي لا اله الا انت سبحانك انت علّام الغيوب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان النبي لما اوحى الله اليه ان اشتغل بعبادتك واخبره بحقيقة الامر قال لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنْتَ سُبْحَانَكَ انت علام

Digitized by Google

وظنوا بي الظنون ونسبوني الى الجنون فما دخل عليّ طبيب منهم الّا اوحشني ولا زائر الّا ادهشني فقلت ومن دلّك على ما وصلت اليه قالت براهينه الواضحة وآياته اللائحة واذا وضح لك السبيل شاهدت المدلول والدليل قال فبينما انا اكلّمها اذ جاء الشيخ الموكل بها وقال لها ما فعل طبيبك قالت عرف العلة واصاب الدواء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ الموكل بها لما دخل عليها قال لها ما فعل طبيبك قالت عرف العلة واصاب الدواء فظهر لي منه البشر والسرور وقابلني بالبر والحبور وسار الى الملك واخبره فحضه الملك على اكرامي فبقيت اختلف اليها سبعة ايام فقالت يا ابا اسحق متى تكون الهجرة الى دار الاسلام فقلت كيف يكون خروجك ومن يتجاسر عليه فقالت الذي ادخلك عليّ وساقك اليّ فقلت نعم ما قلت فلما كان الغد خرجنا على باب الحصن وحجب عنا العيون مَنْ اَمْرُهُ اِذَا اَرَادَ شَيْئاً اَنْ يَقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنَ قال فما رأيت اصبر منها على الصيام والقيام فجاورت بيت الله الحرام سبعة اعوام ثم قضت نحبها وكانت ارض مكة تربها انزل الله عليها الرحمات ورحم من قال هذه الابيات

وَلَمَّا اَتَوْنِي بِالطَّبِيْبِ وَقَدْ بَدَتْ ... دَلَائِلُ مِنْ دَمْعٍ سَفُوْحٍ وَمِنْ سُقْمِ

فَغَطَّى الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِي فَلَمْ يَرَ تَحْتَهُ ... سِوَى نَفْسٍ مِنْ غَيْرِ رُوْحٍ وَلَا جِسْمِ

فَقَالَ لَهُمْ ذَا قَدْ تَعَذَّرَ بُرْؤُهُ ... وَلِلْحُبِّ سِرٌّ لَيْسَ يُدْرَكُ بِالْوَهْمِ

فَقَالُوْا اِذَا لَمْ تَعْلَمِ النَّاسُ مَا بِهِ ... وَلَمْ يَكُ تَعْرِيْفٌ بِحَدٍّ وَلَا رَسْمِ

فَكَيْفَ يَكُوْنُ الطِّبُّ فِيْهِ مُؤَثِّراً ... دَعُوْنِي فَاِنِّي لَسْتُ اَحْكُمُ بِالْوَهْمِ

Digitized by Google

عليها واحتملوني الى بابها فلما وصلت قرعوه فاذا هي تنادي من داخل الدار ادخلوا عليّ الطبيب صاحب السرّ العجيب وانشدت تقول

اِفْتَحُوْا الْبَابَ فَقَدْ جَاءَ الطَّبِيْب ... وَانْظُرُوْا نَحْوِيْ فَلِيْ سِرٌّ عَجِيْب
فَلَكُمْ مُقْتَرِبٌ مُبْتَعِدٌ ... وَلَكُمْ مُبْتَعِدٌ وَهْوَ قَرِيْب
كُنْتُ فِيْمَا بَيْنَكُمْ فِيْ غُرْبَةٍ ... فَأَرَادَ الْحَقُّ اُنْسِيْ بِقَرِيْب
جَمَعَتْنَا نِسْبَةٌ دِيْنِيَّةٌ ... فَتَرَا أَيْنَا مُحِبٌّ وَحَبِيْب
وَدَعَانِيْ لِلتَّلَاقِيْ اِذْ دَعَا ... حَجَبَ الْعَاذِلُ عَنَّا وَالرَّقِيْب
فَاتْرُكُوْا عَذْلِيْ وَخَلُّوْا لَوْمَكُمْ ... اِنَّنِيْ يَا وَيْحَكُمْ لَسْتُ اُجِيْب
لَسْتُ اَلْوِيْ نَحْوَ فَانِيْ غَائِبٍ ... اِنَّمَا قَصْدِيَ بَاقٍ لَا يَغِيْب

قال فاذا شيخ كبير قد فتح الباب بسرعة وقال ادخل فدخلت فاذا بيت مبسوط بانواع الرياحين وستر مضروب في زاوية ومن خلفه انين ضعيف يخرج من هيكل نحيف فجلست بازاء الستر واردت ان اسلّم فتذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لَا تَبْدَؤُا الْيَهُوْدَ وَلَا النَّصَارٰى بِالسَّلَامِ وَاِذَا لَقِيْتُمُوْهُمْ فِيْ طَرِيْقٍ فَاضْطَرُّوْهُمْ اِلٰى اَضْيَقِهِ فامسكت فنادت من داخل الستر اين سلام التوحيد والاخلاص يا خوّاص قال فتعجبت من ذلك وقلت من اين عرفتني فقالت اذا صفت القلوب والخواطر اَعْرَبَت الالسن عن مخبآت الضمائر وقد سألته البارحة ان يبعث اليّ وليّا من اوليائه يكون لي على يديه الخلاص فنوديت من زوايا بيتي لا تحزني انا سنرسل اليك ابراهيم الخواص فقلت لها ما خبرك فقالت لي انا منذ اربع سنين قد لاح لي الحق المبين فهو المحدث والانيس والمقرب والجليس فرمقني قومي بالعيون

Digitized by Google

أَرَاكَ عَلَى الْأَبْوَابِ تَبْكِي وَتَشْتَكِي ... وَمَالَكَ دُونَ الطَّالِبِيْنَ جَوَابُ
أَصَابَتْكَ عَيْنٌ أَمْ دَهَتْكَ مُلِمَّةٌ ... فَصَدَّكَ عَنْ بَابِ الْحَبِيْبِ حِجَابُ
صَحِ الْيَوْمَ يَا مِسْكِيْنُ وَالْهَجْ بِذِكْرِهِ ... وَتُبْ مِثْلَ مَا تَابَ الْوَرَى وَأَنَابُوا
عَسَى مَطَرُ الْغُفْرَانِ يَغْسِلُ مَا مَضَى ... وَيَهْمِي بِأَرْبَابِ الذُّنُوبِ ثَوَابُ
فَقَدْ يَفْلِتُ الْمَأْسُورُ وَهُوَ مُقَيَّدٌ ... وَيَعْتِقُ مِنْ سِجْنِ الْعِقَابِ رِقَابُ

و ما زالوا في ارغد عيش و اتمّ سرور الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات

ومما يحكى

ان سيدي ابراهيم بن الخوّاص رحمة الله عليه قال طالبتني نفسي في وقت من الاوقات بالخروج الى بلاد الكفار فكففتها فلم تكفّ وتكتف وعملت على نفي هذا الخاطر فلم ينتف فخرجت اخترق ديارها واجول اقطارها و العناية تكنفني و الرعاية تلحفني لا القى نصرانيا الّا غض ناظره عني وتباعد مني الى ان اتيت مصرا من الامصار فوجدت عند بابها جماعة من العبيد عليهم الاسلحة و بايديهم مقامع الحديد فلما رأوني قاموا على القدم وقالوا لي أطبيب انت قلت نعم فقالوا اجب الملك و احتملوني اليه فاذا هو ملك عظيم ذو وجه وسيم فلما دخلت عليه نظر اليّ و قال أطبيب انت قلت نعم فقال احملوه اليها وعرفوه بالشرط قبل دخوله عليها فاخرجوني و قالوا لي ان للملك ابنة قد اصابها اعلال شديد وقد عيي الاطباء علاجها وما من طبيب دخل عليها وعالجها و لم يفد طبّه الّا قتله الملك فانظر ماذا ترى فقلت لهم ان الملك ساقني اليها فادخلوني

Digitized by Google

واجتهدت ثم رفعت الملائكة اصواتها بالسلام عليه وعلى زوجته وقالوا ان الله تعالى زوجها منك قبل ان يخلق اباكما آدم عليه السلام بالفي عام قال فغشيهما البشر والسرور والامن والحبور وزاد اليقين وثبتت هداية المتقين ولما طلع الفجر وصليا الصبح وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يغلس بصلوة الصبح وربما دخل المحراب وخلفه رجلان فيبتدي بسورة الانعام او بسورة النساء فينتبه الراقد ويتوضأ المتوضي ويأتي البعيد فما يتم الركعة الاولى الا والمسجد قد امتلأ من الناس فيصلي الركعة الثانية بسورة خفيفة يوجز فيها فلما كان ذلك اليوم صلى في اول ركعة بسورة خفيفة اوجز فيها وفي الثانية كذلك فلما سلم نظر الى اصحابه وقال اخرجوا بنا لنلقي العروسين فتعجب اصحابه ولم يفهموا كلامه فتقدم وهم خلفه حتى خرج الى باب المدينة وكان الشاب عند ما ظهر له النور ورأى اعلام المدينة اقبل نحو الباب وزوجته خلفه فلقيه عمر والمسلمون فسلموا عليه فلما دخلوا المدينة امر عمر رضي الله عنه ان تصنع وليمة فحضر المسلمون واكلوا ودخل الشاب بعروسه ورزقه الله تعالى منها الاولاد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان عمر بن الخطاب رضي الله عنه امر ان تصنع وليمة فحضر المسلمون واكلوا ودخل الشاب بعروسه ورزقه الله منها اولادا يقاتلون في سبيل الله ويحفظون انسابهم لفخرهم وما احسن ما قيل في هذا المعنى

Digitized by Google

ركب جوادا سابقا و اردفها خلفه فما زال يقطع الارض حتى قرب الصباح فمال بها عن الطريق و انزلها و توضئا و صليا الصبح فبينما هما كذلك اذ سمعا قعقعة السلاح و صلصلة اللجم وكلام الرجال و حوافر الخيل فقال لها يا فلانة هذا تبع النصاري قد ادركنا فما تكون الحيلة و الفرس قد كلّ و ملّ حتى لا يقدر ان يخطوباعا فقالت له و يحك انزعت و خفت قال نعم قالت فاين ما كنت تحدّثني به من قدرة ربك و غياثته للمستغيثين تعال نتضرّع اليه و ندعه لعله يغيثنا بغياثه و يتداركنا بلطفه سبحانه و تعالى فقال نعم والله ماعلمت فاخذا فى التضرع الى الله تعالى و جعل ينشد و يقول هذه الابيات

اِنِّي اِلَيْكَ مُدَى السَّاعَاتِ مُحْتَاجُ	لَوْ كَانَ فِي مَفْرِقِي الْاِكْلِيلُ وَالتَّاجُ
وَاَنْتَ حَاجَتِيَ الْكُبْرَى فَلَوْ ظَفِرَتْ	بِمَا اَرَدْتُ يَدِي لَمْ يَبْقَ لِي حَاجُ
وَلَيْسَ عَنْكَ شَيْءٌ اَنْتَ مَانِعُهُ	بَلْ سَيْلُ جُودِكَ سَيَّالٌ وَثَجَّاجُ
لَكِنَّنِي اَنَا مَحْجُوبٌ بِمَعْصِيَتِي	وَنُورُ عَفْوِكَ يَا ذَا الْحِلْمِ وَهَّاجُ
يَا فَارِجَ الْهَمِّ فَرِّجْ مَا بُلِيتُ بِهِ	فَمَنْ سِوَاكَ لِهَذَا الْهَمِّ فَرَّاجُ

قال فبينما هو يدعو و الجارية تؤمّن على دعائه و وجيف الخيل يقرب منهما اذ سمع الفتى كلام اخيه الشهيد المقتول و هو يقول يا اخي لاتخف و لاتحزن فالوفد وفد الله وملائكته ارسلهم اليكما ليشهدوا عليكما فى التزويج و ان الله تعالى قد باهى بكما ملائكته واعطاكما اجر السعداء والشهداء وطوبى لكما الارض و انك تصبح بجبال المدينة فاذا اجتمعت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فاقرأ عليه السلام مني وقل له جزاك الله عن الاسلام خيرا فلقد نصحت

Digitized by Google

ومهر و ولي و انا لا اجد الشاهدين و لا الولي و لا المهر فلو تحيلت في خروجنا من هذا الموضع لرجوت الوصول الى دار الاسلام و اعاهدك على ان لا يكون لي زوجة فى الاسلام غيرك فقالت انا احتال لذلك ثم دعت اباها و امها و قالت لهما ان هذا المسلم قد لان قلبه و رغب فى الدخول الى الدين و انا اوصله الى ما يريد من نفسي فقال ان هذا لايتّفق لي في بلد قتل فيه اخي فلو خرجت منه ليتسلى قلبي فعلت ما هو المراد مني ولا باس ان تخرجا ني معه الى بلد اخرى فانى ضامنة لكما و للملك ما تريدونه قال فمشى والدها الى امير هم و عرفه فسرّ بذلك سرورا كبيرا وامر باخراجها معه الى القرية التى ذكرت فخرجا فلما وصلا الى القرية وبقيا يومهما و جن الليل عليهما اخذا فى الرحيل و قطع السبيل كما قال بعضهم شعرا

وَقَالُوا قَدْ دَنَا مِنَّا رَحِيلُ ... فَقُلْتُ وَكَمْ أُهَدَّدُ بِالرَّحِيلِ
وَمَا لِي غَيْرَ جَوْبِ الْقَفْرِ شُغْلٌ ... وَقَطْعِ الْأَرْضِ مِيلًا بَعْدَ مِيلِ
لَئِنْ ظَعَنَ الْأَحِبَّةُ نَحْوَ أَرْضٍ ... رَجَعْتُ بِهَا مِنْ أَبْنَاءِ السَّبِيلِ
وَأَجْعَلُ نَحْوَهُمْ شَوْقِي دَلِيلًا ... فَتَهْدِينِي الطَّرِيقَ بِلَا دَلِيلِ

و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المسلم الاسير و الصبية اقاما بتلك القرية التي دخلا ها بقية يومهما ولما جن عليهما الليل اخذا فى الرحيل و قطع السبيل و سارا ليلتهما تلك وكان الشاب قد

Digitized by Google

الى المسلمين لكريهة و وددت لو يدخل في دين النصرانية عونا و عضدا فقال بطريق من بطارقته ايها الامير انا افتنه حتى يرتد عن دينه و ذلك ان العرب تكثر الصبوة الى النساء و لي بنت لها جمال و كمال فلو رأها لفتن بها فقال هو مسلّم اليك فاحمله فحمله الى منزله و البس الصبية من الثياب ما زاد في زينتها و جمالها و جاء بالرجل و ادخله المنزل و احضر الطعام و وقفت الصبية النصرانية بين يديه كالخادمة المطيعة لسيدها تنتظر ان يامرها بامر تمتثله فلما رأى المسلم ما نزل به اعتصم بالله تعالى و غضّ بصره و اشتغل بعبادة ربه و قراءة القرآن و كان له صوت حسن و قريحة موثرة في النفس فاحبّه الصبية النصرانية حبا شديدا و كلفت به كلفا عظيما وما زال كذلك سبعة ايام حتى صارت تقول ليته يرضى بدخولي في الاسلام و لسان حالها ينشد هذه الابيات

أَتُعْرِضُ عَنِّي وَ الْفُؤَادُ لَكُمْ يَصْبُو ... فِدَاؤُكُمُو نَفْسِي وَ مَثْوَاكُمُ الْقَلْبُ
وَ إِنِّي لَأَرْضَى أَنْ أُفَارِقَ فِرْقَتِي ... وَ أَتْرُكَ دِينًا دُونَهُ الصَّارِمُ الْعَضْبُ
وَ أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ... بِذَا ثَبَتَ الْبُرْهَانُ وَ ارْتَفَعَ الرَّيْبُ
عَسَى أَنَّهُ يَقْضِي بِوَصْلَةِ مُعْرِضٍ ... وَ يُبْرِدُ قَلْبًا شَفَّهُ الشَّوْقُ وَ الْحُبُّ
فَقَدْ تُفْتَحُ الْأَبْوَابُ بَعْدَ تَغَلُّقٍ ... وَ يُعْطَى الْأَمَانِيَّ مَنْ تَدَاوَلَهُ الْكُرْبُ

فلما عيل صبرها و ضاق صدرها ترامت بين يديه و قالت اسألك بدينك الّا ما سمعت كلامي فقال و ما كلامك قالت اعرض عليّ الاسلام فعرضه عليها و اسلمت ثم تطهّرت و علمها كيف تصلي فلما فعلت ذلك قالت يا اخي انما كان دخولي في الاسلام بسببك و ابتغاء قربك فقال لها ان الاسلام يمنع من النكاح الّا بشاهدين عدلين

Digitized by Google

سحابته قال و أمّنت المرأة فاذا السحابة قد نشأت فى السماء فقال لي البشارة فودعتهما و انصرفت و السحابة تسير معي كما كانت فانا بعد ذلك لا اسأل الله تعالى بحرمتهما شيأ الّا اجابنى و انشأت اقول هذه الابيات

وَإِنَّ لِرَبِّي صَفْوَةً مِنْ عَبِيدِهِ ... قُلُوبُهُمُو فِي رَوْضِ حِكْمَتِهِ تَجْرِي
وَ اَبْدَانُهُمْ قَدْ اَسْكَنَتْ حَرَكَاتُهَا ... اِيمَانِي صُدُورِ الْقَوْمِ مِنْ خَالِصِ السِّرِّ
تَرَاهُمْ صُمُوتًا خَاشِعِينَ لِرَبِّهِمْ ... بِحَيْثُ يَرَوْنَ الْغَيْبَ بِالْغَيْبِ كَالْجَهْرِ

وحكي

ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جهز جيشا من المسلمين تجاه العدوّ قبل الشام فحاصروا حصنا من حصونهم حصارا شديدا و كان فى المسلمين رجلان اخوان قد اتاهم الله حدة و جرأة على العدوّ و كان امير ذلك الحصن يقول لا قيالة و من بين يديه من ابطاله لو ان هذين المسلمين خطلا او قتلا لكفيتكم من سواهما من المسلمين قال فما زالوا ينصبون لهما المصايد و يحتالون عليهما بالمكايد و يجعلون المكامن و يكثرون الكوامن الى ان اخذ احدهما اسيرا وقتل الأخر شهيدا فاحتمل المسلم الاسير الى امير ذلك الحصن فلما نظر اليه قال ان قتل هذا لمصيبة و ان رجوعه الى المسلمين لكريهة وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العدو لما حملوا المسلم الاسير الى امير ذلك الحصن و نظر اليه قال ان قتل هذا لمصيبة ورجوعه

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك لما نادى زوجته خرجت ووجهها يتلألأ كالهلال وعليها جبة خشنة من صوف وقناع فقال الملك يا اخي اتريدان تعرف خبرنا اوند عولك وتنصرف قال بل اريد اسمع خبركما فانه الاشوق اليّ فقال له انه كان أبائي واجدادي يتدا ولون المملكة ويتوارثونها كابرا عن كابر الى ان ماتوا ووصل الامر اليّ فبغّض الله ذلك لي فاردت ان اسيح في الارض واترك امر الناس لانفسهم ثم اني خفت عليهم من دخول الفتنة وتضييع الشرائع وتشتيت شمل الدين فتركت الامر على ما كان عليه وجعلت لكل رأس منهم جراية بالمعروف ولبست ثياب الملك واقعدت العبيد على الابواب إرهابًا لاهل الشر وذبًّا عن اهل الخير واقامة للحدود فاذا فرغت من ذلك كله دخلت منزلي وازلت هذه الثياب ولبست ما ترى وهذه ابنة عمي وافقتني على الزهادة وساعدتني على العبادة فنعمل من هذا الخوص بالنهار ما نفطر به عند الليل وقد مضى علينا ونحن على هذه الحالة نحو اربعين سنة فاقم معنا يرحمك الله حتى نبيع خوصنا وتفطر معنا وتبيت عندنا ثم تنصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى قال فلما كان آخر النهار اتى غلام خماسي ودخل فاخذ ما عملاه من الخوص وسار به الى السوق فباعه بقيراط واشترى به خبزا وفولا واتى بهما فافطرت معهما ونمت عندهما نقاما من نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان السحر قال الملك اللهم إنّ هذا عبدك يطلب منك ان ترد سحابته عليه وانت على ذلك قدير اللهم ارد اجابته واردد عليه

Digitized by Google

هذا الحال وذهب ينتظر اليوم الذي قيل له عليه فلما كان ذلك اليوم الذي ذكره البواب دخلتُ فوجدتُ عند الباب اناساً ينتظرون الاذن لهم في الدخول فوقفت معهم الى ان خرج وزير عليه ثياب هائلة وبين يديه خدم وعبيد فقال لتدخل ارباب المسائل فدخلوا ودخلت في الجملة فاذا الملك قاعد وبين يديه ارباب مملكته على قدر مقاديرهم ومراتبهم فوقف الوزير وجعل يقدم واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة اليّ فلما قدمني الوزير نظر الملك اليّ وقال مرحبا بصاحب السحابة اقعد حتى افرغ لك فتحيرت من قوله واعترفت بمرتبته وفضله فلما قضى بين الناس وفرغ منهم قام وقام الوزير وارباب المملكة ثم اخذ الملك بيدي وادخلني الى قصره فوجدت على باب القصر عبدا اسود وعليه ثياب هائلة وفوق رأسه اسلحة وعن يمينه وشماله دروع وقسي فقام الى الملك وسارع لامره وقضاء حوائجه ثم فتح باب القصر فدخل الملك ويدي في يده فاذا بين يديه باب قصير ففتحه الملك بنفسه ودخل الى خربة وبناء هائل ثم دخل الى بيت ليس فيه الّا سجادة وقدح للوضوء وشيءٌ من الخوص ثم جرّد ثيابه التي كانت عليه ولبس جبة خشنة من الصوف الابيض وجعل على رأسه قلنسوة من لبد ثم قعد واقعدني ونادى ان يا فلانة لزوجته فقالت له لبيك قال لها اتدرين من ضيفنا في هذا اليوم قالت نعم هو صاحب السحابة فقال لها اخرجي لاعليك منه قال فاذا هي امرأة كأنّها الخيال ووجهها يتلألأ كالهلال وعليها جبة صوف وقناع وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

وتعالى قد سخّر له سحابة تسير معه حيث يسير وتسكب عليه ماء منهمرا فيتوضأ منه ويشرب فمازال على ذلك الى ان اعتراه فتور في بعض الاوقات فازال الله عنه سحابته وحجب عنه اجابته فكثر لذلك حزنه وطال كمده ومازال يشتاق الى زمن الكرامة الممنون بها عليه ويتحسّر ويتأسف ويتلهف فنام ليلة من الليالي فقيل له في نومه ان شئت ان يردّ الله عليك سحابتك فاقصد المَلِك الفلاني في بلد كذا وكذا واسأله ان يدعولك فان الله سبحانه وتعالى يردّها عليك ويسوقها اليك ببركة دعواته الصالحات وانشد يقول هذه الابيات

اُقْصُدْ اِلَى الصَّالِحِ الاَمِيْرِ ... فِيْ خَطْبِكَ الْوَاقِعِ الْكَبِيْرِ
فَاِنْ دَعَا اللّٰهَ جَاءَ مَا قَدْ ... سَأَلْتَ مِنْ وَابِلٍ هَمِيْرِ
لَقَدْ سَمَا فِي الْمُلُوْكِ قَدْرًا ... وَجَلَّ فِيْهِمْ عَنِ النَّظِيْرِ
وَسَوْفَ تَلْقَى لَدَيْهِ اَمْرًا ... يُؤْذِنُ بِالْبَشْرِ وَالسُّرُوْرِ
فَاقْطَعْ لَهُ الْبَيْدَ وَالْفَيَافِيْ ... وَوَاصِلِ السَّيْرَ بِالْمَسِيْرِ

قال فسار الرجل يقطع الارض حتى دخل البلدة التي ذكرت له في المنام فسأل عن الملك فدل عليه فسار الى قصره فاذا عند باب القصر غلام قاعد على كرسي عظيم وعليه كسوة هائلة فوقف الرجل وسلّم فرد عليه السلام وقال ما حاجتك قال انا رجل مظلوم وقد جئت الملك ارفع قصتي اليه قال لا سبيل لك اليوم عليه لانه قد جعل لا هل المسائل في الاسبوع يوما يدخلون عليه فيه وهو يوم كذا وكذا فسرّ رجلا شديدا حتى يأتي ذلك اليوم فانكر الرجل عليه تحجّبه عن الناس وقال كيف يكون هذا وليّا من اولياء الله عزوجل وهو على مثل

Digitized by Google

جدير قال فتركتها و قمت لازيل النار من الكانون و كان الوقت وقت فصل الشتاء و البرد فوقعت جمرة على بدني فلم اجد لها الما بقدرة الله عز و جل فوقع في نفسي ان دعوتها اجيبت فاخذت الجمرة بكفي فلم تحرقني فدخلت عليها و قلت ابشري فان الله قد اجاب دعوتك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الحدّاد قال دخلت عليها وقلت لها ابشري فان الله قد اجاب دعوتك فالقت اللقمة من يدها و قالت اللهم كما اريتني مرادي فيه واجبت دعوتي له فاقبض روحي انك على كل شيء قدير فقبض الله روحها تلك الساعة رحمة الله عليها وانشد لسان الحال في هذا المعنى وقال

دَعَتْ فَاجَابَ مَوْلَاهَا دُعَاهَا ... وَتَابَ عَلَى غَوِيٍّ قَدْ دَعَاهَا
أَرَاهَا سُؤْلَهَا فِيهِ امْتِنَانًا ... وَأَتَاهَا كَمَا شَاءَتْ مُنَاهَا
أَتَتْهُ لِبَابِهِ تَرْجُو نَوَالًا ... وَتَقْصُدُهُ لِكَرْبٍ قَدْ عَرَاهَا
فَمَالَ إِلَى غَوَايَتِهِ وَاهْوَى ... لِشَهْوَتِهِ وَاَمَّلَ مُنْتَهَاهَا
وَلَمْ يَعْلَمْ مُرَادَ اللَّهِ فِيهِ ... وَتُوبَتُهُ اتَتْهُ وَمَا نَوَاهَا
قَضَا يَا اللَّهُ اَرْزَاقَ فَمَنْ لَا ... تَتَاحُ لَهُ وَتَأْتِيهِ اَتَاهَا

وحكي

انه كان في بني اسرائيل رجل من العباد المشهورين بالعبادة المعصومين الموصوفين بالزهادة وكان اذا دعا به اجابه واذا سأل اعطاه وأتاه مناه وكان سياحا في الجبال قوّام الليل وكان الله سبحانه

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المرأة قالت للرجل عليي اتاها بالطعام اطعمني لله عز وجل فقال لا الّا ان تمكنهني من نفسك فقالت الموت و لا عذاب الله ثم قامت و تركت الطعام و خرجت ولم تأكل شيأ وجعلت تقول هذه الابيات

أَيَا وَاحِدًا اِحْسَانُهُ شَمَلَ الْخَلْقَا ... بِسَمْعِكَ مَا اَشْكُو بِعَيْنِكَ مَا الْقَى
فَقَدْ صَدَمَتْنِي شِدَّةٌ وَخَصَاصَةٌ ... وَنَازَلَنِي مَا بَعْضُهُ يَمْنَعُ النُّطْقَا
كَأَنِّي ظَمْآنٌ تَرَى الْمَاءَ عَيْنُهُ ... فَلَا عَيْنُهُ تَرْوَى وَلَا شِرْبَةً تُسْقَى
تُنَازِعُنِي نَفْسِي اِلَى نَيْلِ اُكْلَةٍ ... لَذَاذَتُهَا تَفْنَى وَعِصْيَانُهَا يَبْقَى

ثم انها غابت يومين و اتت تقرع الباب فخرجت فاذا الجوع قد قطع صوتها فقالت لي يا اخي قد اعيتني الحيل و لا اقدر على ابداء وجهي لاحد من الناس غيرك فهل تطعمني لله تعالى فقلت لا الّا ان تمكنيني من نفسك فدخلت و قعدت في البيت و لم يكن عندي طعام حاضر فلما نضج الطعام و جعلته في القصعة تداركني الله تعالى بلطفه و قلت لنفسي و يحك هذه امرأة ناقصة عقل و دين تمتنع من الطعام و لا قدرة لها على الصبر دونه لما نالها من الجوع و هي ترد المرة بعد الاخرى و انت لا تنثني عن معصية الله تعالى فقلت اللهم اني اتوب اليك مما خطر بنفسي فقمت بالطعام و دخلت عليها و قلت لها كلي و لا بأس عليك فانه لله عز و جل فرفعت عينيها الى السماء و قالت اللهم ان كان هذا صادقا فحرّم عليه النار في الدنيا و الأخرة انك على كل شيء قدير و بالاجابة

Digitized by Google

النار فقصد الرجل تلك البلدة يسأل عن الحداد فدل عليه فلما نظره و تأمله رأه يصنع ما قد وصف له فامهله حتى فرغ من عمله و اتاه و سلم عليه و قال له اني اريدان اكون الليلة ضيفك فقال حبا و كرامة فاحتمله الى منزله و تعشى معه و ناما جميعا فلم ير له اثر قيام و لا عبادة فقال في نفسه لعله يستتر مني فبات عنده ثانية و ثالثة فرأه لا يزيد على الفرض الا السنن و لا يقوم من الليل الا القليل فقال له يا اخي اني سمعت عما اكرمك الله به و رأيته باديا عليك ثم نظرت الى اجتهادك فلم ار منك عملا من تظهر عليه الكرامات فمن اين لك هذا قال اني احدثك بسببه و ذلك اني كنت تولعت بجارية و كنت بها كلفا فراودتها عن نفسها كثيرا فلم اقدر عليها لاعتصامها بالورع فجاءت سنة قحط و جوع و شدة فعدم الطعام و عظم الجوع فبينما انا قاعد اذ قرع الباب قارع فخرجت فاذا هي واقفة فقالت يا اخي اصابني جوع شديد وقد رفعت اليك رأسي لتطعمني لله فقلت لها اما تعلمين ما كان من حبك و ما قاسيته من اجلك فانا لا اطعمك شيأ حتى تمكنيني من نفسك فقالت الموت و لا معصية الله ثم رجعت و عادت بعد يومين فقالت لي مثل مقالتها الاولى و قلت مثل جوابي الاول فدخلت وتعدت في البيت و قد اشرفت على الهلاك فلما جعلت الطعام بين يديها ذرفت عينا ها و قالت اطعمني لله عز و جل فقلت لا والله الا ان تمكنيني من نفسك فقالت الموت خير لي من عذاب الله تعالى و قامت و تركت الطعام و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

سَجَنُونِي وَبِالغُوانِي امْتِحَانِي وَيْحَ نَفْسِي لِغُرْبَتِي وَانْفِرَادِي
اِنْ اَكُنْ مُفْرَدًا فَذِكْرُكَ اُنْسِي وَسَمِيرِي اِذَا مُنِعْتُ رُقَادِي
اَوْ تَكُنْ رَاضِيًا فَلَسْتُ اُبَالِي اَنْتَ تَدْرِي بِمَا تَرَى فِي فُؤَادِي

فلما جن الليل ابقى السجان حرسه عنده و ذهب الى بيته و لما اصبح جاء و تفقّد الرجل فاذا القيد مطروح و الرجل ليس له خبر فخاف السجان و ايقن بالموت فسار الى منزله و ودّع اهله و اخذ كفنه وحنوطه في كمه و دخل على الحجاج فلما وقف بين يديه شمّ الحجاج رايحة الحنوط فقال ما هذا قال يا مولاي انا جئت به قال وما حملك على هذا فاخبره بخبر الرجل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السجّان لما اخبر الحجاج بخبر الرجل قال للرجل ويحك هل سمعته يقول شيأ قال نعم كان اذا ضرب الحدّاد بالمطرقة ينظر الى السماء و يقول اَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ فقال الحجاج او ما علمت ان الذي ذكره و انت حاضر سرحه وانت عنه غائب و قد انشد لسان الحال في هذا المعنى وقـــــــال

يَا رَبِّ كَمْ مِنْ بَلَاءٍ قَدْ ذَهَبْتَ بِهِ عَنِّي وَلَوْلَاكَ لَمْ اَقْعُدْ وَلَمْ اَقُمِ
فَكَمْ وَكَمْ مِنْ اُمُورٍ لَسْتُ اَحْصُرُهَا نَجَّيْتَنِي مِنْ بَلَاهَا كَمْ وَكَمْ وَكَمِ

وحكي

ان رجلا من الصالحين بلغه ان بمدينة كذا وكذا حدّادا يدخل يده في النار و يأخذ الحديدة المحماة منها بها فلا تعد و عليه

Digitized by Google

المنابر وما هذه الكراسي فقيل لها هذه منابر الانبياء و هذه كراسي الصديقين و الصالحين فقالت واين كرسي زوجي فلان فقيل لها هذا فنظرت اليه فاذا في جانبه ثَلَم فقالت وما هذا الثَلَم فقيل لها هو ثلم الياقوتة النازلة عليكما من سقف بيتكما فانتبهت من منامها وهي باكية حزينة على نقصان كرسي زوجها بين كراسي الصديقين فقالت ايها الرجل ادع ربك ان يردّ هذه الياقوتة الى موضعها فمكابدة الجوع والمسكنة في الايام القلائل اهون من ثَلَم كرسيك بين اصحاب الفضائل فدعا الرجل ربّه فاذا الياقوتة قد طارت صاعدة الى السقف وهما ينظران اليها وما زالا على فقرهما وعبادتهما حتى لقيا الله عزّ وجل

ومما يحكى

ان الحجاج بن يوسف الثقفي كان يتطلب رجلا من الاكابر فلما حضر بين يديه قال اي عدو الله قد امكن الله منك ثم قال احملوه الى السجن وقيدوه بقيد ضيق ثقيل و ابنوا عليه بيتا لايخرج منه ولا يدخل اليه فيه احد فامر بالرجل الى السجن واحضر الحدّاد والقيد وكان الحداد اذا ضرب بمطرقة يرفع الرجل رأسه وينظر الى السماء ويقول اَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ فلما فرغ منه بنى السجان عليه البيت وتركه فيه وحيدا فريدا فداخله الوجد والذهول ولسان حاله ينشد ويقول

يَا مُرَادَ الْمُرِيدِ اَنْتَ مُرَادِي ... وَعَلَى فَضْلِكَ الْعَمِيمِ اعْتِمَادِي
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ مَا اَنَا فِيهِ ... لَحْظَةً مِنْكَ بِغْيَتِي وَاقْتِصَادِي

Digitized by Google

لله تعالى فقامت الى التنّور وملأته حطبا واضرمته لتغالط به الجارات وانشدت تقول هذه الابيـــــــــــــــــــات

سَأَكْتُمُ مَابِي مِنْ غَرَامِي وَاشْجَانِي ... وَأُضْرِمُ نَارِي كَيْ أُغَالِطَ جِيرَانِي
وَأَرْضَى بِمَا أَمْضَى مِنَ الْحُكْمِ سَيِّدِي ... عَسَاهُ يَرَى ذُلِّي إِلَيْهِ فَيَرْضَانِي

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان المرأة لما اضرمت النار تغالط الجيران نهضت هي وزوجها وتوضئا وقاما الى الصـــلوة فاذا امرأة من جاراتها تستأذن في ان توقد من تنّورهمـــا فقالا لها شأنك والتنور فلما دنت المرأة من التنور لتـــأخذ النار نادت يا فلانة ادركي خبزك قبل ان يحترق فقالت امرأة الرجل لزوجهـــا أسمعت ما تقـــول هذه المرأة فقال قومي وانظري فقامت وتوجهت للتنور فاذا هو قد امتلأ من خبز نقي ابيض فاخذت المرأة الارغفة ودخلت على زوجها وهي تشكر الله عزوجل على ما اولى من الخير العميم والمنّ الجسيم فاكلا من الخبز وشربا من الماء وحمدا الله تعالى ثم قالت المرأة لزوجها تعال ندع الله تعـالى عساه ان يمنّ علينـــا بشيء يغنينـــا عن كدّ المعيشة وتعب العمل ويعيننا به على عبادته والقيام بطاعته قال لهـــا نعم فدعا الرجل وبه وأمّنت المرأة على دعائه فاذا السقف قد انفرج ونزلت ياقوتة اضـــاء البيت من نورها فزادا شكرا وثناء ومرّا بتلك الياقوتة سرورا كثيرا وصليا ما شاء الله تعالى فلما كانا آخر الليل نا ما فرأت المرأة في منامها كأنهـــا دخلت الجنة وشاهدت منابر كثيرة مصفوفة وكراسي منصوبة فقالت ما هذه

Digitized by Google

و نزلت فتوضأ الرجل و صلى ركعتين و نظر الى الارض ليلقى نفسه فرأها بعيدة فخاف ان لا يصل اليها الّا و قد تمزّق ثم تفكر في معصية الله و عقابه فهان عليه بذل نفسه و سفك دمه فقال الهي و سيدي ترى ما نزل بي و لا يخفى عليك حالي انك على كل شيء قدير و لسان الحال ينشد و يقول في المعنى

اَشَارَ الْقَلْبُ نَحْوَكَ وَ الضَّمِيْرُ ... وَ سِرُّ السِّرِ اَنْتَ بِهِ خَبِيْرُ
وَ اِنِّي اِنْ نَطَقْتُ بِكُمْ اُنَادِي ... وَ فِي وَقْتِ السُّكُوْتِ لَكُمْ اَشِيْرُ
اَيَا مَنْ لَا يُضَافُ اِلَيْهِ ثَانٍ ... اَتَاكَ الْوَاهِبُ الصَّبُّ الْفَقِيْرُ
وَ لِيْ اَمَلٌ تُحَقِّقُهُ ظُنُوْنِي ... وَ لِيْ قَلْبٌ كَمَا تَدْرِي يَطِيْرُ
وَ بَذْلُ النَّفْسِ اَصْعَبُ مَا يُلَاقِي ... فَاِنْ قَدَّرْتَهُ فَهُوَ الْيَسِيْرُ
وَ اِنْ تَمْنُنْ وَ تَمْنَحْنِي خَلَاصِي ... فَاَنْتَ عَلَيْهِ يَا اَمَلِي قَدِيْرُ

ثم ان الرجل القى نفسه من اعلى المنظرة فبعث الله اليه ملكا احتمله على جناحه و انزله الى الارض سالما دون ان يناله ما يؤذيه فلما استقر بالارض حمد الله عز وجل على ما ولاه من عصمته و ما انا له من رحمته و صار دون شيء الى زوجته و كان قد ابطأ عنها فدخل و ليس معه شيء فسألته عن سبب بطئه و عن ما خرج به في يده و ما فعل به و كيف رجع بدون شيء فاخبرها بما عرض له من الفتنة و انه القى نفسه من ذلك الموضع فنجاه الله فقالت زوجته الحمد لله الذي صرف عنك الفتنة و حال بينك و بين المحنة ثم قالت يا رجل ان الجيران قد تعوّدوا منا ان نوقد تنّورنا في كل ليلة فان رأونا الليلة دون نار علموا اننا بلاشيء و من شكر الله كتم ما نحن فيه من الخصاصة و وصال صوم هذه الليلة باليوم الماضي و قيامها

منه ما بيده و ردّته من طريقه و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادمة خرجت الى الرجل ودعته و قالت ادخل فان سيدتي تريد ان تشتري من هذا الذي بيدك شيأ بعد ان تختبره و تنظر اليه فتخيّل الرجل انها صادقة في قولها و لم يرَ في ذلك بأسا فدخل و قعد كما امرته فاغلقت الباب عليه و خرجت سيدتها من بيتها و امسكت بجلابيبه و جذبته و ادخلته و قالت له كم ذا اطلب خلوة منك و قد عيل صبري من اجلك و هذا البيت مبخر و الطعام محضر و صاحب الدار غائب في هذه الليلة و انا قد وهبت لك نفسي ولطا لما طلبتني الملوك والرؤساء و اصحاب الدنيا و لم التفت لاحد منهم و طال امرها في القول و الرجل لا يرفع رأسه من الارض حياء من الله تعالى و خوفا من اليم عقابه كما قال الشاعر

وَرُبَّ كَبِيرَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي ... وَ بَيْنَ رُكُوبِهَا إِلَّا الْحَيَاءُ
وَكَانَ هُوَ الدَّوَاءُ لَهَا وَ لَكِنْ ... إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ فَلَا دَوَاءُ

قال و طمع الرجل في ان يخلص نفسه منها فلم يقدر فقال اريد منك شيأ قالت و ما هو قال اريد ماء طاهرا اصعد به الى اعلى موضع في دارك لاقضي به امرا و اغسل به دَرَنا مما لا يمكنني ان اطلعك عليه فقالت الدار متسعة و لها خبايا و زوايا وبيت الطُهرة معدّ قال ما غرضي الّا الارتفاع فقالت لخادمتها اصعدي به الى المنظرة العليا من الدار فصعدت به الى اعلى موضع فيها و دفعت له أنية الماء

Digitized by Google

تهلّلا فبينما نحن نتعجب من امره اذا بشاب قد اقبل من الباب و قال السلام عليكم عظم الله اجرنا وايّاكم في اخينا ميمون هاك الكفن فكفنوه فيه فناولني ثوبين ما رايت مثلهما قط فكفناه فيهما قال مالك فقبره الأن يستسقى به و تطلب الحوائج من الله عز وجل لديه وما احلى ما قال بعضهم في هذا المعنى

مَجَالُ قُلُوبِ الْعَارِفِينَ بِرَوْضَةٍ ... سَمَاوِيَّةٍ مِنْ دُونِهَا حُجُبُ الرَّبِّ
إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الرَّحِيقَ مِزَاجُهُ ... بِتَسْنِيمِ رَاحِ الْأُنْسِ بِاللَّهِ مِنْ قُرْبِ
سَرِيٌّ سِرُّهُمْ بَيْنَ الْحَبِيبِ وَبَيْنَهُمْ ... فَأَضْحَى مَصُونًا عَنْ سِوَى ذَلِكَ الْقَلْبِ

ومما يحكى

انه كان في بني اسرائيل رجل من خيارهم وقد اجتهد في عبادة ربه وزهد في دنياه و ازالها عن قلبه و كانت له زوجة مساعدة له على شأنه مطيعة له في كل زمانه وكانا يعيشان من عمل الاطباق و المراوح يعملان النهار كله فاذا كان آخر النهار خرج الرجل بما عملاه في يده و مشى به يمرّ على الازقة والطرق يلتمس مشتريا يبيع له ذلك وكانا يديمان الصوم فاصبحا في يوم من الايام و هما صائمان وقد عملا يومهما ذلك فلما كان آخر النهار خرج الرجل على عادته و بيده ما عملاه يطلب من يشتريه منه فمرّ بباب احد ابناء الدنيا و اهل الرفاهية و الجاه وكان الرجل وضيء الوجه جميل الصورة فرأته امرأة صاحب الدار فعشقته و مال قلبها اليه ميلا شديدا وكان زوجها غائبا فدعت خادمتها و قالت لها لعلك تتحيّلين على ذلك الرجل لتأتي به عندنا فخرجت الخادمة اليه و دعته لتشتري

Digitized by Google

اني مملوك و عليّ فرض من طاعة مالكي الصغير قال فجعلنا نقفو اثره على البُعد حتى دخل دار نَخّاس و قد مضي من الليل نصفه فطال علينا النصف الثاني فذهبنا فلما كان الصباح اتينا النَخّاس و قلنا له أ عندك غلام تبيعه لنا لاجل الخدمة قال نعم عندي نحو مائة غلام كلهم للبيع قال وجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض سبعين غلاما ولم ارضا حبي فيهم فقال ما عندي غير هؤلاء فلمّا اردنا الخروج دخلنا حجرة خربة خلف داره فاذا الاسود قائم فقلت هو وربّ الكعبة فرجعت الى النَخّاس وقلت بِعْني هذا الغلام قال يا ابا يحيى انه غلام مشئوم نَكَد ليس له في الليل همة الّا البكاء و في النهار الّا الندم فقلت لذلك اريده قال فدعاه فخرج و هو يتنا عس فقال لي خذه بما شئت بعد ان تبريني من عيوبه كلها قال و اشتريته بعشرين دينارا و قلت ما اسمه قال ميمون فاخذت بيده و انطلقنا نريد به المنزل فالتفت اليّ و قال لي يا مولاي الصغير لما ذا اشتريتني فانا والله لا اصلح لخدمة المخلوقين فقلت له انما اشتريتك لا خدمك بنفسي و على رأسي فقال لي و لِمَ ذلك فقلت اَلَسْتَ صاحبنا البارحة بالمصلى فقال و هل اطلعت عليّ قلت انا الذي اعترضتك البارحة في الكلام قال فجعل يمشي حتى دخل مسجدا فصلى ركعتين ثم قال الٰهي وسيدي و مولائي سرّ كان بيني و بينك اطلعتَ عليه المخلوقين و فضحتني فيه بين العالمين فكيف يطيب الآن عيشي و قد وقف على ما كان بيني و بينك غيرك اقسمت عليك الّا ما قبضت روحي الساعة ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فحرّكته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه فمددت يديه و رجليه و نظرت اليه فاذا هو ضاحك و قد غلب البياض على السواد و وجهه يستنير و يبدو

Digitized by Google

البناني و نُجَيّ البكّاء و محمد بن واسع و ايوب السَّخْتِيَاني و حبيب الفارسي و حسان ابن ابي سنان و عُتْبة الغُلام و صالح المُزَني حتى صرنا الي المصلى و خرجت الصبيان من المكاتب و استقينا فلم نر اثر الاجابة فانتصف النهار و انصرف الناس و بقيت انا و ثابت البناني بالمصلى فلما اظلم الليل بصرنا باسود مليح الوجه رقيق الساقين عظيم البطن قد اقبل عليه مِئْزر من صوف اذا قوّم جميع ما كان عليه لايساوي درهمين فجاء بماء فتوضأ ثم اتى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين كان قيامه و ركوعه و سجوده فيهما سواء ثم رفع طرفه الى السماء و قال الٰهي وسيدي و مولائي الى كم تردّ عبادك فيما لا ينقص ملكك أنفد ما عندك ام فنيت خزائن ملكك اقسمت عليك بحبّك لي الّا سقيتنا غيثك الساعة قال فما تمّ الكلام حتى تغيّمت السماء و جاءت بمطر كافواه القرب و لم نخرج من المصلى الّا و نحن نخوض في الماء للرُّكَب و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه قال فما تمّ كلامه حتى تغيّمت السماء و جاءت بمطر كافواه القرب و لم نخرج من المصلى الّا ونحن نخوض في الماء للرُّكَب و بقينا نتعجب من الاسود قال مالك فتعرضت له و قلت ويحك يا اسود اما تستحي مما قلتَ فالتفت اليّ وقال ماذا قلت فقلت له قولك بحبّك لي و ما يدريك انه يحبّك قال فقال لي تنحّ عني يا من اشتغل عن نفسه فاين كنت انا حين ايّدني بالتوحيد و خصّني بمعرفته أفتَراه ايدني بذلك الّا لمحبته لي ثم قال محبته لي على قدر محبتي له فقلت له قف عليّ قليلا يرحمك الله فقال

Digitized by Google

فبقيت على تلك الحالة يوما وليلة فلما كان الصباح بصرت بقلاع سفينة تلوح من بُعْد فما زالت الامواج تقذفني والرياح تسوقني حتى وصلت الى تلك السفينة التي كنت ارى قلاعها فاخذني اهل السفينة ووضعوني فيها فنظرت فاذا ولدي بينهم فترامیت عليه وقلت يا قوم هذا ولدي فمن اين كان لكم قالوا بينما نحن نسير في البحر اذ حبست السفينة فاذا دابة كانها المدينة العظيمة وهذا الصبي على ظهرها يمصّ ابهامه فاخذناه فلما سمعت منهم ذلك حدثتهم بقصتي وما جرى لي وشكرت لربي على ما انالني وعاهدته على ان لا ابرح بيته ولا انثني عن خدمته وما سألته بعد ذلك شيأ الّا اعطانيه فمددت يدي الى كيس النفقة واردت ان اعطيها فقالت اليك عني يا بطّال أفاحدثك بافضاله وكرم نعاله وآخذ الرفد على يد غيره فلم اقدر على ان تقبل مني شيأ فتركتها وانصرفت من عندها وانا انشد واقول هذه الابيات

وَكَمْ لِلّٰهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ ... يَدِقُّ خِفَاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِيِّ
وَكَمْ يُسْرًا تَرَى مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ ... وَفَرَّجَ لَوْعَةَ الْقَلْبِ الشَّجِيِّ
وَكَمْ هَمٍّ تُعَانِيهِ صَبَاحًا ... فَتَعْقُبُهُ الْمَسَرَّةُ بِالْعَشِيِّ
اِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْاَسْبَابُ يَوْمًا ... فَثِقْ بِالْوَاحِدِ الصَّمَدِ الْعَلِيِّ
تَشَفَّعْ بِالنَّبِيِّ فَكُلُّ عَبْدٍ ... يَنَالُ اِذَا تَشَفَّعَ بِالنَّبِيِّ

وما زالت في عبادة ربها ملازمة بيته الى ان ادركها الموت

ومما يحكى

ان مالك بن دينار رحمه الله قال انحبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستقي مرارا فلم نر اثر الاجابة فخرجت انا وعطاء السلمي وثابت

Digitized by Google

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لما انكسرت السفينة تجوت على لوح منها و وضعت هذا الصبي و انا على ذلك اللوح فبينما هو في حِجْري و الامواج تضربني اذ وصل اليّ رجل من ملاحي السفينة وحصل معي و قال لي والله لقد كنتُ اهواكِ و انت في السفينة و الآن قد حصلت معك فمكّنيني من نفسك و الّا قذفتك في هذا البحر فقلت و يحك اما كان لك مما رأيت تذكرة و عبرة فقال اني رأيت مثل ذلك مرارا ونجوت وانالا ابا لي فقلت يا هذا نحن في بلية نرجو السلامة منها بالطاعة لا بالمعصية فالّح عليّ فخفت منه و اردت ان اخادعه فقلت له مهلا حتى ينام هذا الطفل فاخذه من حجري وقذفه في البحر فلما رأيت جرأته و ما فعل بالصبي طار قلبي و زاد كربي فرفعت رأسي الى السماء و قلت يا من يَحُول بين المرء و قلبه حُلْ بيني و بين هذا الاسد انك على كل شيءٍ قدير فو الله ما فرغت من كلامي الّا و دابة قد طلعت من البحر فاختطفته من فوق اللوح و بقيت وحدي و زاد كربي و حزني اشفاقا على ولدي فانشـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــدت وقلت

قُـــرَّةُ الْعَيْنِ حَبِيْبِي وَلَدِي ... ضَاعَ حَيْثُ الْوَجْدُ اَوْ هِيَ جَلَدِي
وَ اَرَى جِسْمِي غَرِيْقًا وَ غَدَتْ ... بِالْتِهَاعِ الْوَجْدِ تَشْوِي كَبِـــدِي
لَيْسَ لِي فِي كُرْبَتِي مِنْ فَرَجٍ ... غَيْرُ اَلْطَافِكَ يَا مُعْتَمَـــدِي
اَنْتَ يَا رَبِّي تَرَى مَا حَـلَّ بِي ... مِنْ غَـــرَامِي بِفِـــرَاقِي وَلَدِي
فَاجْمَعِ الشَّمْلَ وَكُنْ لِي رَاحِمًا ... فَرَجَـــائِي فِيْكَ اَقْوَى عُـــدَدِي

Digitized by Google

اريتَهم ذلّ المعصية فارهم عزّ الطاعة انك على كل شيءٍ قدير فشفاهم الله عز وجل وجعل القاضي ينظر اليها ويتأمّلها فسألته عن سبب النظر فقال كانت لي زوجة ولولا انها ماتت لقلت انها انت فعرّفته بنفسها وجعلا يحمدان الله عزّوجل على ما منّ عليهما به من جمع شملهما ثم طفق كل من اج القاضي واللص والمرأة يسألونها المسامحة فسامحت الجميع وعبدوا الله في ذلك المكان مع لزوم خدمتها الى ان فرق الموت بينهم

ومما يحكى

ان بعض السادة قال بينما انا اطوف بالكعبة في ليلة مظلمة اذ سمعت صوت ذي حنين ينطق عن قلب حزين وهو يقول يا كريم لُطفك القديم فان قلبي على العهد مقيم فتطاير قلبي لسماع ذلك الصوت تطايرا اشرفت منه على الموت فقصدت نحوه فاذا صاحبته امرأة فقلت السلام عليك يا امة الله فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقلت اسألك بالله العظيم ما العهد الذي قلبك عليه مقيم فقالت لولا تسمك بالجبّار ما اطلعتك على الاسرار انظر ما بين يدي فنظرت فاذا بين يديها صبي نائم يخط في نومه فقالت خرجت وانا حامل بهذا الصبي لِأَحجّ هذا البيت فركبت في سفينة فهالت علينا الامواج واختلفت علينا الرياح وانكسرت بنا السفينة فنجوت على لوح منها ووضعت هذا الصبي وانا على ذلك اللوح فبينما هو في حِجري والامواج تضربني وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

من اطراف الارض ذات الطول والعرض فقال القاضي لاخيه يا اخي هلّا تصدقت هذه المرأة الصالحة لعلّ الله يجعل لك على يديها شفاء قال يا اخي احملني اليها وسمع زوج المرأة التي نزل بها البرص فساربها اليها وسمع اهل الشاطر المُقْعَد بخبرها فساروابه اليها ايضا واجتمع الجميع عند باب صومعتها وكانت ترى جميع من يأتي صومعتها من حيث لا يراها احد فانتظروا خادمها حتى جاء ورغبوا اليه في ان يستأذن لهم في الدخول عليها ففعل فتنقّبتْ و استترت ووقفت عند الباب تنظر زوجها واخاه واللصّ والمرأة وعرفتهم وهم لايعرفونها فقالت لهم يا هؤلاء انكم ما تستريحون مما بكم حتى تعترفوا بذنوبكم فان العبد اذا اعترف بذنبه تاب الله عليه واعطاه ما هو متوجّه فيه اليه فقال القاضي لاخيه يا اخي تب الى الله ولاتصرّ على عصيانك فانه انفع لخلاصك ولسان الحال يقول هذا المقال

اَلْيَوْمَ يُجْمَعُ مَظْلُوْمٌ وَمَنْ ظَلَمَا ... وَيَظْهَرُ اللّٰهُ سِرًّا كَانَ قَدْ كَتَمَا
هٰذَا مَقَامٌ تَذِلُّ الْمُذْنِبُوْنَ لَهُ ... وَيَرْفَعُ اللّٰهُ مَنْ طَاعَاتُهُ لِزَمَا
وَيَظْهَرُ الْحَقُّ مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا ... هٰذَا وَاِنْ سَخِطَ الْعَاصِيْ وَاِنْ رَغِمَا
يَا وَيْحَ مَنْ جَاهَرَ الْمَوْلٰى وَاَسْخَطَهُ ... كَاَنَّهُ بِعِقَابِ اللّٰهِ مَا عَلِمَا
يَا طَالِبَ الْعِزِّ اِنَّ الْعِزَّ وَيْحَكَ فِيْ ... تَقْوَى الْاِلٰهِ فَكُنْ بِاللّٰهِ مُعْتَصِمَا

قال فعند ذلك قال اخ القاضي الآن اقول الحق فعلت بزوجتك ما هو كذا وكذا وهذا ذنبي فقالت البرصاء وانا كانت عندي امرأة فنسبت اليها ما لم اعلمه وضربتها عمدا وهذا ذنبي فقال المُقْعَد وانا دخلت على امرأة لاقتلها بعد مراودتها عن نفسها وامتناعها من الزنا وفذبحتُ صبيا كان بين يديها وهذا ذنبي فقالت المرأة اللهمّ كما

Digitized by Google

تكفله و يبيت معها في بيت ثان فرأها احد الشطار فطمع فيها و ارسل يراودها عن نفسها فامتنعت فعزم على قتلها فجاءها بالليل و دخل عليها البيت و هي نائمة ثم هوى بالسكين اليها فوافق الصبي فذبحه فلما علم انه ذبح الصبي ادركه الخوف فخرج من البيت و عصمها الله منه ولما اصبحت وجدت الصبي عندها مذبوحا وجاءت امه وقالت انت التي ذبحته ثم ضربتها ضربا موجعا وارادت ذبحها فجاء زوجها وانقذها منها وقال والله لم تفعل ذلك فخرجت المرأة فارة بنفسها لاتدري اين تتوجه وكان معها بعض دراهم فمرت بقرية و الناس مجتمعون و رجل مصلوب على جذع الا انه في قيد الحيوة فقالت ياقوم ما له قالوا لها اصاب ذنبا لا يكفره الا قتله او صدقة كذا وكذا من الدراهم فقالت خذوا الدراهم واطلقوه فتاب على يديها ونذر على نفسه ان يخدمها لله تعالى حتى يتوفاه الموت ثم بنى لها صومعة اسكنها فيها وصار يحتطب ويأتيها بقوتها واجتهدت المرأة في العبادة حتى كان لا يأتيها مريض او مصاب فتدعو له الا شفي من وقته و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المرأة لما صارت مقصودة للناس وهي مقبلة على عبادتها في الصومعة كان من قضاء الله تعالى انه نزل باخ زوجها الذي رجمها عاهة في وجهه واصاب المرأة التي ضربتها برص وابتلى الشاطر بوجع اقعده وقد جاء القاضي زوجها من حجه وسأل اخاه عنها فاخبره انها ماتت فاسف عليها واحتسبها عند الله ثم تسامعت الناس بالمرأة حتى كانوا يقصدون صومعتها

Digitized by Google

اعمر كانت الرغبة اوفر لانهم كانوا يعلمون الذي قالته العلماء و نطقت به الحكماء صحيح لا ريب فيه حيث قالوا ان الدين بالمَلِك و المَلِك بالجند والجند بالمال و المال بعمارة البلاد وعمارة البلاد بالعدل في العباد. فما كانوا يوافقون احدا على الجور والظلم ولا يرضون لحشمهم بالتعدي علما منهم ان الرعية لا تثبت على الجور و ان البلاد و الاماكن تخرب اذا استولى عليها الظالمون وتتفرق اهلها و يهربون الى ولايات غيرها و يقع النقص في المُلك و يقلّ في البلاد الدخل و تخلوا الخزائن من الاموال و يتكدّر عيش الرعايا لانهم لا يحبسون جائرا ولا يزال دعاؤهم عليه متواترا فلا يتمتع الملك بمملكته و تسرع اليه دواعي مهلكته

و مما يحكى

انه كان في بني اسرائيل قاض من قضاتهم وكان له زوجة بديعة الجمال كثيرة الصون و الصبر والاحتمال فاراد ذلك القاضي النهوض الى زيارة بيت المُقدّس فاستخلف اخاه على القضاء واوصاه بزوجته و كان اخوه قد سمع بحسنها وجمالها فكلف بها فلما سار القاضي توجّه اليها وراودها عن نفسها فامتنعت واعتصمت بالورع فاكثر الطلب عليها وهي تمتنع فلما يئس منها خاف ان تخبر اخاه بصنيعه اذا رجع فاستدعى بشهود زور يشهدون عليها بالزنا ثم رفع مسألتها الى ملك ذلك الزمان فامر برجمها فحفروا لها حفرة واقعدوها فيها ورجمت حتى غطتها الحجارة وقال تكون الحفرة قبرها فلما جنّ الليل صارت تئنّ من شدة ما نالها فمرّ بها رجل يريد قرية فلما سمع انينها قصدها فاخرجها من الحفرة واحتملها الى زوجته وامرها بمداواتها فداوتها حتى شفيت وكان للمرأة ولد فذهبت اليها فصارت

Digitized by Google

اعطيته و جميعهم اصدقائي فى الحقيقة بسبب القناعة و الصعلكة لانني ليس لي ملك ولا طمع فى الدنيا ولا لي اليها طلب ولا فيها ارب وليس لي الّا القناعة حسبُ فضمّه اسكندر الى صدره وقبّله بين عينيه وانصرف

ومما يحكى

ان الملك العادل انوشروان اظهر يوما من الايام انه مريض و انفذ ثقاته و امناه و امرهم ان يطوفوا اقطار مملكته و اكناف ولايته وان يتطلبوا له لَبِنة عتيقة من قرية خربة ليتداوى بها وذكر لاصحابه ان الاطباء وصفوا له ذلك فطافوا اقطار مملكته وجميع ولايته و عادوا اليه فقالوا له ما وجدنا في جميع المملكة مكانا خربا ولا لَبِنة عتيقة ففرح انوشروان بهذا وشكر الله وقال انما اردت ان اجرب ولايتي واختبر مملكتي لاعلم هل بقي فيها موضع خرب لاعمره وحيث انه الأن لم يبق فيها مكان الّاوهو عامر فقد تمت امور المملكة و انتظمت الاحوال ووصلت العمارة الى درجة الكمال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك لما رجع اليه ارباب دولته وقالوا له ما وجدنا فى جميع المملكة مكانا خربا شكر الله وقال الأن قد تمّت امور المملكة و انتظمت الأحوال ووصلت العمارة الى درجة الكمال فاعلم ايها الملك ان اولئك الملوك القدماء ما كانت همّتهم و اجتهادهم في عمارة ولايتهم الّا لعلمهم انه كلما كانت الولاية

Digitized by Google

وكانوا في كل وقت يتعهّدون تلك القبور و يكنسون التراب منها و ينظفونها و يزورونها و يعبدون الله تعالى فيها و ليس لهم طعام الّا الحشيش و نبات الارض فبعث اليهم اسكندر ذو القرنين رجلا يستدعي ملكهم اليه فلم يجبه و قال ما لي اليه حاجة فسار ذوالقرنين اليه و قال كيف حالكم و ما انتم عليه فاني لا ارى لكم شيأ من ذهب ولا فضة و لا اجد عندكم شيأ من نعيم الدنيا فقال له ان نعيم الدنيا لا يشبع منه احد فقال له اسكندر لِمَ حفرتم القبور على ابوابكم فقال لتكون نصب اعيننا فننظر اليها و نجدّد ذكر الموت و لا ننسى الآخرة و يذهب حب الدنيا من قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا تعالى فقال اسكندر كيف تأكلون الحشيش قال لانّا نكره ان نجعل في بطوننا قبور الحيوانات و لان لذة الطعام لا تتجاوز الحلق ثم مدّ يده فاخرج قِحْفا من رأس آدمي فوضعه بين يدي اسكندر و قال له يا ذا القرنين أتعلم من كان صاحب هذا قال لا قال كان صاحبه ملكا من ملوك الدنيا فكان يظلم رعيته و يجور عليهم وعلى الضعفاء و يستفرغ زمانه في جمع حطام الدنيا فقبض الله روحه و جعل النار مقره و هذا رأسه ثم مدّ يده و وضع قِحْفا أخر بين يديه و قال له أتعرف هذا قال لا قال هذا كان ملكا من ملوك الارض و كان عادلا في رعيته شفوقا على اهل ولايته و ملكه فقبض الله روحه و اسكنه جنته و رفع درجته و وضع يده على رأس ذي القرنين و قال ترى انت ايّ هذين الرأسين فبكى ذو القرنين بكاء شديدا و ضمّه الى صدره و قال له ان انت رغبت في صحبتي سلمت اليك وزارتي و قاسمتك في مملكتي فقال الرجل هيهات هيهات مالي رغبة في هذا فقال له اسكندر و لِمَ ذلك قال لان الخلق كلهم اعداؤك بسبب المال و الملك الذي

Digitized by Google

هادم اللذات و مفرق الجماعات فلما سمع الملك هذا الكلام خرّ على وجهه و دبّت الرعدة في بدنه ووقع مغشيا عليه فلما افاق قال انت ملك الموت قال نعم قال اقسمت عليك با لله الّا ما امهلتني يوما و احدا لاستغفر من ذنبي و اطلب العذر من ربي و اردّ الاموال التي في خزائني الى اربابهـــا و لا اتحمّل مَشَقّة حسابهـــا و ويل عقابها فقال ملك الموت هيهات هيهات لا سبيل لك الى ذلك و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــبـــــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك الموت قال للملك هيهات هيهات لا سبيل لك الى ذلك و كيف امهلك و ايام عمرك محسوبة و انفاسك معدودة و اوقاتك مثبوتة مكتوبة فقال امهلني ساعة فقال ان الساعة في الحساب و قد مضت و انت غافل و انقضت و انت ذاهل و قد استوفيت انفاسك و لم يبق لك الّا نفس واحد فقال من يكون عندي اذا نُقلتُ الى لَحْـــدي قال لا يكون عندك الّا عملك فقال مالي عمل قال لاجَرَمَ انه يكون مقيلك فى النار و مصيرك الى غضب الجبار ثم قبض روحه فخرّ ساقطا عن سريره و وقع الى الارض فحصل الضجيج في اهل مملكته وارتفعت الاصوات و علا الصياح والبكاء ولو علموا ما يصير اليه من سُخْط ربه لكان بكاؤهم عليه اكثر وعويلهم اشدّ و اوفر

ومما يحكى

ان اسكندر ذا القرنين اجتاز في سفره بقوم ضعفاء لا يملكون شيأ من اسباب الدنيا و قد حفـــروا قبور موتاهم على ابواب دورهم

Digitized by Google

اتيت الّا من اجلك لأفرّق بينك و بين النعم التي جمعتها والاموال التي حويتها وخزنتها فعند ذلك تنفّس الصعداء وبكى وقال لعن الله المال الذي غرّني واضرّ ني ومنعني عن عبادة ربي وكنت اظنّ انه ينفعني فبقي اليوم حسرة عليّ ووبالا لديّ وها انا اخرج صفر اليدين منه و يبقى لا عدائي قال فانطق الله المال وقال لايّ سبب تلعنني العنْ نفسك فان الله تعالى خلقني و ايّاك من تراب وجعلني في يدك لتتزوّد مني لاُخرتك و تتصدّق بي على الفقراء والمساكين والضعفاء ولتعمُر بي الرُبُط والمساجد والجسور والقناطر لاكون عونالك فى الدار الاُخرة و انت جمعتني و خزنتني وفي هواك انفقتني ولم تشكر لحقي بل كفرتني فالأن تركتني لاعدائك وانت بحسرتك وندامتك فايّ ذنب لي حتى تَسُبني ثم ان ملك الموت قبض روحه وهو على سريره قبل ان يأكل الطعام فخرّ ميتا ساقطا من فوق سريره قال الله تعالى حَتّىٰ اِذَا فَرِحُوْا بِمَا اُوْتُوْا اَخَذْنَا هُمْ بَغْتَةً فَاِذَا هُمْ مُبْلِسُوْنَ

ومما يحكى

ان ملكا جبّارا من ملوك بني اسرائيل كان فى بعض الايام جالسا على سرير مملكته فرأى رجلا قد دخل عليه من باب الدار وله صورة منكرة و هيئة هائلة فاشمأزّ من هجومه عليه وفزع من هيئته فوثب في وجهه وقال مَنْ انت ايها الرجل ومَنْ اذن لك فى الدخول عليّ و امرك بالمجيء الى داري فقال امرني صاحب الدار و انا لا يحجبني حاجب ولا احتاج في دخول الملوك الى اذن ولا ارهب سياسة سلطان ولا كثرة اعوان انا الذي لا يقرعني جبار ولا لاحد من قبضتي فرار انا

Digitized by Google

اهله وحشمه واصحابه و خدمه ليأكلوا عنده و ينالوا رفده وجلس على سرير مملكته وسيادته واتكأ على وسادته وخاطب نفسه وقال يا نفس قد جمعت لك نعم الدنيا باسرها فالآن تفرّغي وكلي من هذه النعم مُهنّاة بالعمر الطويل و الحظ الجزيل وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك لما حدث نفسه وقال لها كلي من هذه النعم مُهنّاة بالعمر الطويل والحظ الجزيل لم يفرغ مما حدث به نفسه حتى اتاه رجل من ظاهر القصر عليه ثياب رثّة وفي عنقه مِخْلاة معلقة على هيئة سائل لينال الطعام فجاء وطرق حلقة باب القصر طرقة عظيمة هائلة كادت تزلزل القصر وتزعج السرير فخاف الغلمان فوثبوا الى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا له ويحك ما هذه الفعلة وسوء الادب اصبر حتى يأكل الملك ونعطيك مما يفضل فقال للغلمان قولوا لصاحبكم يخرج اليّ حتى يكلمني فلي اليه حاجة وشغل مهمّ وامر ملمّ فقالوا تنحّ ايها الضعيف مَنْ انت حتى نأمر صاحبنا بالخروج اليك فقال لهم عرّفوه ذلك فجاؤا اليه وعرفوه فقال هلا زجرتموه وجردتم عليه ونهرتموه ثم طرق الباب اعظم من الطرقة الاولى فنهض الغلمان اليه بالعصي والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا اماكنكم فانا ملك الموت فرعبت قلوبهم وذهبت عقولهم وطاشت حلومهم وارتعدت فرائصهم وبطلت من الحركة جوارحهم فقال لهم الملك قولوا له يأخذ بدلا مني وعوضا عني فقال ملك الموت لا آخذ بدلا ولا

Digitized by Google

اهلي و اولادي و جيراني و زوجتي فقال كلّا لا تعود ولن تراهم ابدا فانه قد مضى اجلُ عمرك فاخذ روحه وهو على ظهر فرسه فخرّ ميتا ومضى ملك الموت من هناك فاتى رجلا صالحا قد رضي الله تعالى عنه فسلّم عليه فرد عليه فقال ملك الموت ايّها الرجل الصالح ان لي اليك حاجة و هي سرّ فقال له الرجل الصالح اذكر حاجتك فى اذني فقال انا ملك الموت فقال الرجل مرحبا بك الحمد لله على مجيئك فاني كنت كثير ا اترقّب و صولك اليّ ولقد طالت غيبتك عن المشتاق الى قدومك فقال له ملك الموت ان كان لك شغل فا قضه فقال له ليس لي شغل اهمّ عندي من لقاء ربي عزّوجل فقال كيف تحبّ ان اقبض روحك فاني اُمرتُ ان اقبضها كيف اردت و اخترتَ فقال امهلني حتى اتوضأ واصلي فاذا سجدت فا قبض روحي وانا ساجد فقال ملك الموت ان ربي عزّوجل امرني ان لا اقبض روحك الّا باختيارك كيف اردتَ وانا افعل ما قلتَ فقام الرجل و توضأ وصلى فقبض ملك الموت روحه و هو ساجد و نقله الله تعالى الى محل الرحمة والرضوان و المغف——————رة

و حكي

ان ملكا من الملوك كان قد جمع ما لاعظيما لا يحصى عدده و احتوى على اشياء كثيرة من كل نوع خلقه الله تعالى فى الدنيا ليرفّه نفسه حتى اذا اراد ان يتفرغ لما جمعه من النعم الطائلة بنى له قصرا عاليا مرتفعا شاهقا يصلح للملوك و يكون بهم لائقا ثم ركّب عليه بابين محكمين ورتّب له الغلمان و الاجناد والبوابين كما اراد وامر الطباخ في بعض الايام ان يصنع له شيأ من اطيب الطعام وجمع

Digitized by Google

حيث اعطى سيدها هذا المال وقال لها تمنّي عليّ فتمنّت عليه ان ان يردها الى سيدها فردها اليه واعطاها خمسة آلاف دينار لنفسها وجعل سيدها نديمـا له فاين يوجد هذا الكرم بعد الخلفاء العباسيين رحمة الله تعالى عليهم اجمعين

ومما يحكى

ايها الملك السعيد ان ملكا من الملوك المتقدمين اراد ان يركب يوما في جملة اهل مملكته وارباب دولته ويظهر للخلائق عجائب زينته فامر اصحابه وامراءه وكبراء دولته ان يأخذوا اهبة الخروج معه وامر خازن الثياب بان يحضر له من افخر الثياب ما يصلح للملك في زينته وامر باحضار خيله الموصوفة العتاق المعروفة ففعلوا ذلك ثم انه اختار من الثياب ما اعجبه ومن الخيل ما استحسنه ثم لبس الثياب وركب الجواد وسار بالموكب والطوق المرصّع بالجواهر واصناف الدر واليواقيت وجعل يركض الحصان في عسكره ويفتخر بتيهه وتجبّره فاتاه ابليس فوضع يده على منخره ونفخ في انفه نفخة الكبر والعُجْب فزها وقال في نفسه مَنْ في العالم مثلي وطفق يتيه بالعُجْب والكبر ويظهر الأُبَهَة ويزهو بالخيلاء ولا ينظر الى احد من تيهه وكبره وعجبه وفخره فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثّة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فقبض على عنان فرسه فقال له الملك ارفع يدك فانك لا تدري بعنان مَنْ قد امسكت فقال له ان لي اليك حاجة فقال اصبر حتى انزل واذكُرْ حاجتك فقال انها سرّ ولا اقولها الّا في اذنك فمال بسمعه اليه فقال له انا ملك الموت واريد قبض روحك فقال امهلني بقدر ما اعود الى بيتي واودّع

Digitized by Google

فجيءُ بعود في كيس من الاطلس الاحمر له شراية من الحرير المزعفر فحلت الكيس واخرجت العود فاذاهو عليه منقـــــــــوش

وَغُصْنٍ رَطِيبٍ عَادَ عُودًا لِقَيْنَةٍ ... تَحِنُّ إِلَى أَتْرَابِهَا فِي الْمَحَافِلِ
تُغَنِّي فَيَتْلُو لَحْنَهَا وَكَأَنَّهُ ... يُلَقِّنُهَا إِعْرَابَ لَحْنِ الْبَلَابِلِ

فوضعته في حجرها وارخت عليه نهدها وانحنت انحناء والدة ترضع ولدها وضربت عليه اثنى عشر نغمـــا حتى ماج المجلس من الطرب وانشـــدت تقـــــــــــــــــــــــــــــــول

اُنْصُرُوا هَجْرَكُمْ وَتَلُّوا جَفَاكُمْ ... فَفُؤَادِي وَحَقِّكُمْ مَا سَلَاكُمْ
وَارْحَمُوا بَاكِيًا حَزِينًا كَئِيبًا ... ذَا غَرَامٍ مُتَيَّمًا فِي هَوَاكُمْ

فطرب امير المؤمنين وقال بارك الله فيك ورحم من علّمك فقامت وقبلت الارض بين يديه ثم ان امير المؤمنين امر باحضار المـــال ووضع لمولاها مائة الف دينار وقال لهـــا يا تودد تمنّي عليّ قالت تمنيت عليك ان تردّني الى سيدي الذي باعني فقال لها نعم فردّها اليه واعطاها خمسة آلاف دينار لنفسها وجعل سيدها نديمـا له على طول الزمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة اعطى الجارية خمسة آلاف دينار وردها الي مولاها وجعله نديما له على طول الزمان واطلق له في كل شهر الف دينار وتعد مع جارية تودد في ارغد عيش فاعجب ايها الملك من فصاحة هذه الجاريـــة ومن غزارة علمها وفهمها وفضلها في كامل العلوم وانظر الى مروة امير المؤمنين هارون الرشيد

Digitized by Google

و فهمها فضحكت و قالت له يا معلم انا ارا هنك في هذه المرة الثالثة على ان ارفع لك الفرزان ورخ الميمنة وفرس الميسرة وان غلبتني فخذ ثيابي و ان غلبتك اخذت ثيابك قال رضيت بهذا الشرط ثم صفّا الصفين ورفعت الفرزان والرخ والفرس وقالت له انقل يا معلم فنقل وقال مالي لا اغلبها بعد هذه الحطيطة وعقد عقدا واذا هي نقلت نقلا قليلا الى ان صيرت له فرزانا ودنت منه وقربت البياذق والقطع وشغلته واطعمته قطعة فقطعها فقالت الكيل كيل وافي والرزز صا في فَكُلْ حتى تزيد على الشبع ما يقتلك يا ابن آدم الّا الطمع اما تعلم اني اطعمك لاخدعك انظر فهذا الشاه مات ثم قالت له انزع ثيابك فقال لها اتركي لي السرا ويل واجوك علي الله وحلف بالله ان لا ينـاظر احدا ما دامت تودد بمملكة بغداد ثم نزع ثيابه وسلمهم لها وانصرف فجيء بلاعب النرد فقالت له ان غلبتك في هذا اليوم فماذا تعطيني قال اعطيك عشرة ثياب من الديباج القسطنطيني المطرز بالذهب وعشرة ثياب من المخمل والف دينار وان غلبتك فما اريد منك الّا ان تكتبي لي درجا باني غلبتك قالت له دونك وما عولت عليه فلعب فاذا هو قد خسر وقام وهو يرطن بالافرنجية ويقول ونعمة امير المؤمنين انها لم يوجد مثلها في سائر البلاد ثم ان امير المؤمنين دعا بارباب آلات الطرب فحضروا فقال لها امير المؤمنين هل تعرفين شيأ من آلات الطرب قالت نعم فامر باحضار عود محكوك مدعوك مجرود صاحبه بالهجران مكدود قال فيه بعض واصفيه

سَقَى اللّٰهُ اَرْضًا اَنْبَتَتْ عُوْدَ مُطْرِبٍ ... زَكَتْ مِنْهُ اَغْصَانٌ وَطَابَتْ مَغَارِسُ

تَغَنَّتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَالْعُوْدَا خْضَرُ ... وَغَنَّتْ عَلَيْهِ الْغِيْدُ وَالْعُوْدُ يَابِسُ

Digitized by Google

المطيعة لزوجها وقيل اللحم حين ينزل على القلب فانه يفرح بذلك واما كيد النفس فهو العبد العاصي • واما موت الحيوة فهو الفقر • واما الداء الذي لايداوى فهو سوء الخلق • واما العار الذي لا ينجلي فهو البنت السوء • واما الدابة التي لا تأوي الى العمران وتسكن الخراب وتبغض بني أدم وخلق فيها خلق من سبعة جبابرة فانها الجرادة رأسها كرأس الفرس وعنقها كعنق الثور وجناح النسر ورجلها رجل الجمل وذنبها ذنب الحية وبطنها بطن العقرب وقرنها قرن الغزال فتعجب الخليفة هارون الرشيد من حذقها وفهمها ثم قال للنظام انزع ثيابك فقام وقال اشهد علي جميع من حضر هذا المجلس انها اعلم مني ومن كل عالم ونزع ثيابه وقال لها خذيهم لا بارك الله لك فيهم فامر له امير المؤمنين بثياب يلبسها ثم قال امير المؤمنين يا تودد بقي عليك شيء مما وعدت به وهو شطرنج وامر باحضار معلمي الشطرنج والكنجفة والنرد فحضروا وجلس الشطرنجي معها وصفّت بينهما الصفوف ونقل ونقلت فما نقل شيأ الّا افسدته عن قليل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما لعبت الشطرنج مع المعلم بحضرة امير المؤمنين هارون الرشيد صارت كلما نقل نقلا افسدته حتى غلبته ورأى الشاه مات فقال انا اردت ان اطمعك حتى تظنّي انك عارفة لكن صفّي حتى اريك فلما صفّت الثاني قال في نفسه افتح عينك والّا غلبتك وصار مايخرج قطعة الّا بحساب ومازال يلعب حتى قالت له الشاه مات فلما رأى ذلك منها دهش من حذقها

Digitized by Google

من عذر عند امير المؤمنين فا طرقت ساعة وهي تارة تحمرّ وتارة تصفرّ ثم قالت تسألني عن اثنين فا ضلين لكل واحد منهما فضل فا رجع بنا الى ماكنا فيه فلما سمعها الخليفة هارون الرشيد استوى قائما على قدميه وقال لها احسنت وربّ الكعبة يا تَوَدُّد * فعند ذلك قال لها ابراهيم النظام اخبرني عن قول الشاعر حيث قـــــال

مُهَفْهَفَةُ الْاَذْيَالِ عَذْبٌ مَذَاقُهَا ... تُحَاكِي الْقَنَا لٰكِنْ بِغَيْرِ سِنَانِ
وَيَأْخُذُ كُلُّ النَّاسِ مِنْهَا مَنَافِعاً ... وَتُؤْكَلُ بَعْدَ الْعَصْرِ فِي رَمَضَانِ

قالت قصب السكر * قال فا خبرني عن مسائل كثيرة قالت وما هي قال ما احلى من العسل وما احدّ من السيف وما اسرع من السّم وما لذة ساعة وما سرور ثلثة ايام وما اطيب يوم وما فرحة جمعة وما الحق الذي لا ينكره صاحب الباطل وما سجن القبر وما فرحة القلب وما كيد النفس وما موت الحيوة وما الداء الذي لا يداوي وما العار الذي لا ينجلي وما الدابة التي لا تأوي الى العُمران وتسكن الخراب وتبغض بني أدم وخلق فيها خلق من سبعة جبابرة قالت له اسمـــع جواب ما قلـــت ثم انزع ثيابك حتى افسرلك ذلك قال لها امير المؤمنين تسّري وهو ينزع ثيابـــه قالت اما ما هو احلى من العسل فهو حب الاولاد البارين بوالديهم * واما ما هو احد من السيف فهو اللسان * واما ما هوا سرع من السم فهـــو عين المِعْيان * واما لذة ساعة فهو الجماع واما سرور ثلثة ايام فهو النورة للنساء واما ما هوا طيب يوم فهو يوم الربح في التجارة * واما فرحـــة جمعة فهو العروس * واما الحق الذي لا ينكره صاحب الباطل فهو الموت * واما سجن القبر فهو الولد السوء * واما فرحة القلب فهي المرأة

Digitized by Google

هُمَا يَحْفَظَانِ الْاَهْلَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَعِنْدَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ يَفْتَرِقَانِ

قالت هما مصراعا الباب * قال فاخبريني عن ابواب جهنم قالت سبعة وهم ضمن بيتين من الشعر

جَهَنَّمُ وَلَظَى ثُمَّ الْحُطَيْمُ كَذَا عُدِّ السَّعِيْرَ وَكُلُّ الْقَوْلِ فِيْ سَقَرِ
وَبَعْدَ ذَاكَ جَحِيْمٌ ثُمَّ هَاوِيَةٌ فَذَاكَ عِدَّتُهُمْ فِيْ قَوْلِ مُخْتَصِرِ

قال فاخبريني عن قول الشاعر حيث قال

وَذَاتُ ذَوَائِبٍ تَنْجَرُّ طُوْلاً وَرَاهَانِي الْمَجِيْءُ وَفِي الذِّهَابِ
بِعَيْنٍ لَمْ تَذُقْ لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَا ذَرَفَتْ لِدَمْعٍ ذِي انْسِكَابِ
وَلَا لَبِسَتْ مُدَى الْاَيَّامِ ثَوْباً وَتَكْسُو النَّاسَ اَنْوَاعَ الثِّيَابِ

قالت هي الابرة * قال فاخبريني عن الصراط ما هو وما طوله وما عرضه قالت اما طوله فثلثمائة الاف عام الف هبوط والف صعود والف استواء وهو احدّ من السيف وادقّ من الشعر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما وصفت له الصراط * قال اخبريني كم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من شفاعة قالت له ثلث شفاعات * قال لها هل كان ابوبكر اول من اسلم قالت نعم قال لها فعليا اسلم قبل ابي بكر قالت ان عليا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع سنين فاعطاه الله الهداية على صغر سنه فما سجد لصنم قط * قال فاخبريني اعلمي الافضل ام العباس قال النظام فعلمت ان هذه مكيدة لها فان قالت علمي افضل من العباس فما لها

Digitized by Google

وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ وَلَيْسَ لَهُ رِيشٌ وَلَيْسَ لَهُ زَغَبُ
وَيُؤْكَلُ مَطْبُوخًا وَيُؤْكَلُ بَارِدًا وَيُؤْكَلُ مَشْوِيًّا اِذَا دَسَّ فِي اللَّهَبِ
وَيَبْدُو لَهُ لَوْنَانِ لَوْنٌ كَفِضَّةٍ وَلَوْنٌ ظَرِيفٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ الذَّهَبُ
وَلَيْسَ يُرَى حَيًّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ اَلَا اَخْبِرُونِي اِنَّ هٰذَا مِنَ الْعَجَبِ

قالت لقد اطلت السؤال في بيضة قيمتها فلس * قال اخبريني كم كلمة كلّم الله موسى قالت روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كلّم الله موسى الف كلمة و خمس مائة و خمس عشرة كلمة * قال اخبريني عن اربعة عشر كلّموا رب العالمين قالت السموات السبع و الارضون السبع لما قَالَتَا اَتَيْنَا طَائِعِينَ و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما قالت له الجواب * قال لها اخبريني عن أُدم و اول خلقته قالت خلق الله أُدم من طين و الطين من زبد و الزبد من بحر و البحر من ظلمة و الظلمة من نور و النور من حوت و الحوت من صخرة و الصخرة من ياقوتة و الياقوتة من ماء و الماء من القدرة لقوله تعالى اِنَّمَا اَمْرُهُ اِذَا اَرَادَ شَيْئًا اَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * قال فاخبريني عن قول الشاعر حيث قال

وَ أُكْلَةٍ بِغَيْرِ فَمٍ وَ بَطْنٍ لَهَا الْاَشْجَارُ وَ الْحَيَوَانُ قُوتُ
فَاِنْ اَطْعَمْتَهَا انْتَعَشَتْ وَعَاشَتْ وَ لَوْ اَسْقَيْتَهَا مَاءً تَمُوتُ

قالت هي النار * قال فاخبريني عن قول الشاعر حيث قال

خَلِيلَانِ مَمْنُوعَانِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ يَبِيتَانِ طُولَ اللَّيْلِ يَعْتَنِقَانِ

Digitized by Google

حين القاها فى الوادي فاذا هي حيّة تسعى باذن الله تعالى * قال فاخبريني عن قوله تعالى وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قالت كان يغرسها فى الارض فتزهر و تثمر و تظله من الحر و البرد و تحمله اذا عيي وتحرس له الغنم اذا نام من السباع * قال فاخبريني عن انثى من ذكر و ذكر من انثى قالت حواء من أدم و عيسى من مريم * قال فاخبريني عن اربع نيران نار تأكل و تشرب و نار تأكل و لا تشرب و نار تشرب و لا تأكل و نار لا تأكل و لا تشرب قالت اما النار التي تأكل و لا تشرب فهي نار الدنيا و اما النار التي تأكل و تشرب فهي نار جهنم و اما النار التي تشرب و لا تأكل فهي نار الشمس و اما النار التي لا تأكل و لا تشرب فهي نار القمر * قال اخبريني عن المفتوح و عن المغلق قال يا نظام المفتوح هو المسنون و المغلق هو المفروض * قال اخبريني عن قول الشاعر

وَسَاكِنِ رَمْسٍ طَعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ ... اِذَا ذَاقَ مِنْ ذَاكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَا
يَقُومُ وَيَمْشِي صَامِتًا مُتَكَلِّمَا ... وَيَرْجِعُ فِي الْقَبْرِ الَّذِي مِنْهُ قُوِّمَا
وَلَيْسَ بِحَيٍّ يَسْتَحِقُّ كَرَامَةً ... وَلَيْسَ بِمَيْتٍ يَسْتَحِقُّ التَّرَحُّمَا

قالت له هو القلم * قال فاخبريني عن قول الشاعر حيث قال

مُلْمَلَةُ الْجَبِينِ مَوْرُودَةُ اللَّمِ ... مُخَمَّرَةُ الْأُذُنَيْنِ مَفْتُوحَةُ الْفَمِ
لَهَا صَنَمٌ كَالدِّيكِ يَنْقُرُ جَوْفَهَا ... تُسَاوِي اِذَا قَوَّمْتَهَا نِصْفَ دِرْهَمِ

قالت هي الدواة * قال فاخبريني عن قول الشاعر حيث قال

اَلَا قُلْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالْأَدَبِ ... وَكُلِّ فَقِيهٍ سَادَ فِي الْفَهْمِ وَالرُّتَبِ
اَلَا اَنْبِئُونِي أَيُّ شَيْءٍ رَأَيْتُمُوا ... مِنَ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ

Digitized by Google

اثنتى عشرة حمامة فوقع منهن فوق الشجرة سبع و تحتها خمس فاذا طلعت واحدة صار الذي فوق قدر الذي تحت مرتين و لو نزلت واحدة صار الذي تحت مساويا للذي فوق والله اعلم فتجرد الفيلسوف من ثيابه و خرج هاربا * و اما حكايتها مع النظام فان الجارية التفتت الى العلماء الحاضرين و قالت ايكم المتكلم في كل فن و علم فقام اليها النظام و قال لها لا تحسبيني كغيري فقالت له الاصح عندي انك مغلوب لانك مدعى و الله ينصرني عليك حتى اجردك من ثيابك فلو ارسلت من يأتيك بشيء تلبسه لكان خيرا لك فقال والله لا غلبنكِ و اجعلنكِ حديثا يتحدث بكِ الناس جيلا بعد جيل فقالت الجارية كفّر عن يمينك * قال اخبريني عن خمسة اشياء خلقها الله تعالى قبل خلق الخلق قالت له الماء و التراب والنور و الظلمة و الثمار * قال اخبريني عن شيء خلقه الله بيد القدرة قالت العرش و شجرة طوبى و آدم و جنة عدن فهؤلاء خلقهم الله بيد قدرته وسائر المخلوقات قال لهم الله كونوا فكانوا * قال اخبريني عن ابيك في الاسلام قالت محمد صلى الله عليه وسلم * قال فمن ابو محمد قالت ابراهيم خليل الله * قال فما دين الاسلام قالت شهادة ان لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله * قال فاخبريني ما اولك وما آخرك قالت اولي نطفه مذرة و آخري جيفة قذرة و اولي من التراب و آخري التراب قال الشـــــــــــــــــــــــاعر

خُلِقْتُ مِنَ التُّرَابِ فَصِرْتُ شَخْصًا ... فَصِيحًا فِي السُّؤَالِ وَفِي الْجَوَابِ
وَعُدْتُ إِلَى التُّرَابِ فَصِرْتُ فِيهِ ... لِأَنِّي قَدْ خُلِقْتُ مِنَ التُّـــرَابِ

قال فاخبريني عن شيء اوله عود وآخره روح قالت هي عصا موسى

Digitized by Google

عن رجل صلى صلوة لا فى الارض ولا فى السماء قالت هو سليمان حين صلى على بساطه وهو على الريح * قال اخبريني عن من صلى صلوة الصبح فنظر الى امة فحرمت عليه فلما كان الظهر حلت له فلما كان العصر حرمت عليه فلما كان المغرب حلت له فلما كان العشاء حرمت عليه فلما كان الصبح حلت له قالت هذا رجل نظر الى امة غيره عند الصبح وهي حرام عليه فلما كان الظهر اشتراها فحلت له فلما كان العصر اعتقها فحرمت عليه فلما كان المغرب تزوجها فحلت له فلما كان العشاء طلقها فحرمت عليه فلما كان الصبح راجعها فحلت له * قال اخبريني عن قبر مشى بصاحبه قالت هو حوت يونس بن متى حين ابتلعه * قال اخبريني عن بقعة واحدة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولا تطلع عليها بعد الى يوم القيمة قالت البحر حين ضربه موسى بعصاه فانفلق اثنى عشر فرقا على عدد الاسباط وطلعت عليه الشمس ولم تعد له الى يوم القيمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الفيلسوف قال بعد ذلك للجارية اخبريني عن اول ذيل سحب علي وجه الارض قالت ذيل هاجر حياء من سارة فصارت سنة فى العرب * قال اخبريني عن شيء يتنفس بلاروح قالت قوله تعالى وَ الصُّبْحِ اِذَا تَنَفَّسَ * قال اخبريني عن حمام طائر اقبل على شجرة عالية فوقع بعضه فوقها و بعضه تحتها فقالت التي فوق الشجرة للتي تحتها ان طلعت منكن واحدة صرتن ثلثنا و ان نزلت منا واحدة كنا مثلكن فى العدد قالت الجارية كان الحمام

Digitized by Google

والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وجعلها على اربع طبائع ثلثة نارية وثلثة ترابية وثلثة هوائية وثلثة مائية فالحمل والاسد والقوس نارية والثور والسنبلة والجدي ترابية والجوزاء والميزان والدلو هوائية والسرطان والعقرب والحوت مائية فقام المنجم وقال اشهد على انها اعلم مني وانصرف مغلوبا ثم قال امير المؤمنين ابن الفيلسوف * فنهض اليها رجل وتقدم وقال اخبريني عن الدهر وحدّه وايامه وما جاء فيه قالت ان الدهر هو اسم واقع على ساعات الليل والنهار وانما هي مقادير جري الشمس والقمر في افلاكهما كما اخبر الله تعالى حيث قال وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * قال فاخبريني عن ابن أدم كيف يصل اليه الكفر قالت روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكفر في بني أدم يجري كما يجري الدم في عروقه حيث يسبّ الدنيا والدهر والليلة والساعة وقال عليه الصلوة والسلام لا يسبّ احدكم الدهر فان الدهر هو الله ولا يسبّ احدكم الدنيا فتقول لا اعان الله من يسبني ولا يسبّ احدكم الساعة فان السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ولا يسبّ احدكم الارض فانها أية لقوله تعالى مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى * قال فاخبريني عن خمسة اكلوا وشربوا وماخرجوا من ظهر ولا بطن قالت هم أدم وشمعون وناقة صالح وكبش اسماعيل والطير الذي رأه ابو بكر الصديق في الغار * قال فاخبريني عن خمس في الجنة لا من الانس ولا من الجن ولا من الملائكة قالت ذئب يعقوب وكلب اصحاب الكهف وحمار العزير وناقة صالح ودلدل النبي صلى الله عليه وسلم * قال اخبريني

Digitized by Google

المنجم اطرق و طأطأ رأسه فقالت يا منجم اسألك مسألة و احدة فان لم تجب اخذت ثيابك قال لها قولي * قالت أين يكون مسكن زحل قال في السماء السابعة * قالت فا لمشتري قال في السماء السادسة * قالت فالمريخ قال في السماء الخامسة * قالت فالشمس قال فى السماء الرابعة * قالت فالزهرة قال فى السماء الثالثة * قالت فعطـــارد قال فى السماء الثانية * قالت فالقمر قال في السماء الاولى قالت احسنت * و بقي عليك مسألة واحدة قال اسألي * قالت فاخبريني عن النجوم الى كم جزء تنقسم فسكت ولم يحر جوابا قالت انزع ثيابك فنزعها و لما اخذتها قال لها امير المؤمنين فسّري لنا هذه المسئلة فقالت يا امير المؤمنين هم ثلثة اجزاء جـــزء معلق بسماء الدنيا كا لقنا ديل و هو ينير الارض و جزؤ يرمي به الشياطين اذا استرقوا السمع قال الله تعالى وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَـــاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ والجـزء الثالث معلّق بالهواء وهو ينير البحار وما فيها * قال المنجم بقي لنا مسألة و احدة فان اجابت اقررت لها قالت قل و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه * قال اخبريني عن اربعة اشياء متضادة مترتبـة على اربعة اشياء متضادة قالت هي الحرارة و البرودة و الرطوبة واليبوسة خلق الله من الحرارة النار و طبعها حار يابس وخلق من اليبوسة التراب و طبعه بارد يابس و خلق من البرودة المـاء و طبعه بارد رطب و خلق من الرطوبة الهواء و طبعه حار رطب ثم خلق اللـــه اثنى عشر برجا و هي الحمل و الثور و الجوزاء

Digitized by Google

الحب وقلة الامطار وان يكون السمك قليلا ويزيد في ايام وينقص في ايام ويرخص العسل والعدس ويغلو بزر الكتان في تلك السنة وفيها يفلح الشعير دون سائر الحبوب ويكثر القتال بين الملوك ويكون الموت بالدم ويكثر موت الحمير والله اعلم * قال فاخبريني عن يوم الاربعاء قالت هو لعطارد ويدل ذلك على هرج عظيم يقع في الناس وعلى كثرة العدو وان تكون الامطار معتدلة وان يفسد بعض الزرع وان يكثر موت الدواب وموت الاطفال ويكثر القتل في البحر ويغلو القمح من برمودة الى مسرى وترخص بقية الحبوب ويكثر الرعد والبرق ويغلو العسل ويكثر طلع النخل ويكثر الكتان والقطن ويغلو الفجل والبصل والله اعلم * قال اخبريني عن يوم الخميس قالت هو للمشتري ويدل ذلك على العدل في الوزراء والصلاح في القضاة والفقراء واهل الدين وان يكون الخير كثيرا وتكثر الامطار والثمار والاشجار والحبوب ويرخص الكتان والقطن والعسل والعنب ويكثر السمك والله اعلم * قال اخبريني عن يوم الجمعة قالت هو للزهرة ويدل ذلك على الجور في كبار الجن والتحدث بالزور والبهتان وان يكثر الندا ويطيب الخريف في البلاد ويكون الرخص في بلاد دون بلاد ويكثر الفساد في البر والبحر ويغلو بزر الكتان ويغلو القمح في هاتور ويرخص في امشير ويغلو العسل ويفسد العنب والبطيخ والله اعلم * قال فاخبريني عن يوم السبت قالت هو لزحل ويدل ذلك على ايثار العبيد والروم ومن لا خير فيه ولا في قربه وان يكون الغلاء والقحط كثيرا ويكون الغيم كثيرا ويكثر الموت في بني آدم والويل لاهل مصر والشام من جور السلطان وتقل البركة من الزرع وتفسد الحبوب والله اعلم * ثم ان

Digitized by Google

فضحك امير المؤمنين وضحك مَنْ حوله ثم قالت يا منجم خمسة لا يعلمها الّا الله تعالى و قرأت إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَا ذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ قال لها احسنت و اني و الله ما اردت الّا اختبارك فقالت له اعلم ان اصحاب التقويم لهم اشارات و علامات ترجع الى الكواكب با لنظر الى دخول السنة وللناس فيها تجاريب • قال وما هي قالت ان لكل يوم من الايام كوكبا يملكه فاذا كان اول يوم من السنة يوم الاحد فهو للشمس و يدل ذلك و الله اعلم على الجور من الملوك و السلاطين والولاة وكثرة الوخم و قلة المطر و ان تكون الناس في هرج عظيم و تكون الحبوب طيبة الّا العدس فانه يعطب و يفسد العنب و يغلو الكتان و يرخص القمح من اول طو به الى آخر برمهات و يكثر القتال بين الملوك و يكثر الخير في تلك السنة و الله اعلم • قال فاخبريني عن يوم الا ثنين قالت هو القمر و يدل ذلك على صلاح ولاة الامور و العمال و ان تكون السنة كثيرة الامطار و تكون الحبوب طيبة و يفسد بزر الكتان و يرخص القمح في شهر كيهك و يكثر الطاعون و يموت نصف الدواب من الضأن و المعز و يكثر العنب و يقل الغسل و يرخص القطن و الله اعلم و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما فرغت من بيان يوم الاثنين • قال لها اخبريني عن يوم الثلثاء قالت هو المريخ و يدل ذلك على موت كبار الناس و كثرة الفناء و اهراق الدماء و الغلاء في

Digitized by Google

و لكن ما خبرك اما الكواكب فسبعة و هي الشمس والقمر و عطارد و الزهرة والمريخ والمشتري وزحل فالشمس حارة يابسة نحيسة بالمقارنة سعيدة بالنظر تمكث في كل برج ثلثين يوما والقمر بارد رطب سعيد تمكث في كل برج يومين و ثلث يوم و عطارد ممتزج سعد مع السعود نحس مع النحوس يمكث في كل برج سبعة عشر يوما و نصف يوم و الزهرة معتدلة سعيدة تمكث في كل برج من البروج خمسة و عشرين يوما و المريخ نحس يمكث في كل برج عشرة اشهر و المشتري سعد يمكث في كل برج سنة و زحل بارد يابس نحس يمكث في كل برج ثلثين شهرا و الشمس بيتها الاسد و شرفها الحمل و هبوطها الدلو و القمر بيته السرطان و شرفه الثور و هبوطه العقرب و وباله الجدي و زحل بيته الجدي و الدلو و شرفه الميزان و هبوطه الحمل و وباله السرطان والاسد و المشتري بيته الحوت و القوس و شرفه السرطان و هبوطه الجدي و وباله الجوزاء والاسد و الزهرة بيتها الثور و شرفها الحوت و هبوطها الميزان و وبالها الحمل والعقرب وعطارد بيته الجوزاء و السنبلة و شرفه السنبلة و هبوطه الحوت و وباله الثور و المريخ بيته الحمل والعقرب و شرفه الجدي و هبوطه السرطان و وباله الميزان فلما نظر المنجم الى حذقها و علمها و حسن كلامها و فهمها ابتغى له حيلة يخجلها بها بين يدي اميرالمؤمنين فقال لها يا جارية هل ينزل في هذا الشهر مطر فاطرقت ساعة ثم تفكرت طويلا حتى ظن اميرالمؤمنين انها عجزت عن جوابه فقال لها المنجم لِمَ لم تتكلمي فقالت لا اتكلم الّا ان اذن لي في الكلام فضحك اميرالمؤمنين فقال لها امير المؤمنين وكيف ذلك قال اريدان تعطيني سيفا اضرب به عنقه لانه زنديق

Digitized by Google

منازل القمر قالت منازل ثمان وعشرون منزلة وهن الشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانيا والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرغ المقدم والفرغ المؤخر والرشاء وهي مرتبة على حروف ابجد هوز الى آخرها وفيها سر غامض لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى والراسخون في العلم * واما قسمتها على البروج الاثنى عشر فهي ان تعطي كل برج منزلتين وثلث منزلة فتجعل الشرطين والبطين وثلث الثريا للحمل وثلثي الثريا مع الدبران وثلثي الهقعة للثور وثلث الهقعة مع الهنعة والذراع للجوزاء والنثرة والطرف وثلث الجبهة للسرطان وثلثيها مع الزبرة وثلثي الصرفة للاسد وثلثها مع العواء والسماك للسنبلة والغفر والزبانيا وثلث الاكليل للميزان وثلثي الاكليل مع القلب وثلثي الشولة للعقرب وثلثها مع النعائم والبلدة للقوس وسعد الذابح وسعد بلع وثلث سعد السعود للجدي وثلثي سعد السعود مع سعد الاخبية وثلثي المقدم للدلو وثلث المقدم مع المؤخر والرشاء للحوت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما عدّت المنازل وقسّمتها على البروج قال لها المنجم احسنت * فاخبريني عن الكواكب السيارة وعن طبائعها وعن مكثها في البروج والسعد منها والنحس واين بيوتها وشرفها وسقوطها قالت المجلس ضيّق

Digitized by Google

بعد تفرقه متواضع لامن تملّقه حامل لاالوك في بطنه مائل لا يسند الى ركنه يتّسخ فيتطهر و يصلي فيتغير يجامع بلا ذكر و يصارع بلاحذر يريح و يستريح ويعضّ فلا يصيح اكرم من النديم و ابعد من الحميم يفارق زوجته ليلا و يعانقها نهارا مسكنه الاطراف في مساكن الاشراف فسكت الطبيب ولم يجب بشيء وتحيّر في امره وتغيّر لونه و اطرق براسه ساعة ولم يتكلم فقالت ايها الطبيب تكلم والّا فانزع ثيابك فقام وقال يا امير المؤمنين اشهد على ان هذه الجارية اعلم مني بالطب وغيره ولالي عليها طاقة و نزع ما عليه من الثياب وخرج هاربا فعند ذلك قال لها امير المؤمنين فسّري لنا ما قلته فقالت يا امير المؤمنين هذا الزّر و العُرْوَة ● و اما ماكان من امرها مع المنجم فانها قالت من كان منكم منجما فليقم فنهض اليها المنجم و جلس بين يديها فلما رأته ضحكت و قالت انت المنجم الحاسب الكاتب قال نعم قالت اسأل عما شئت وبالله التوفيق ● قال اخبريني عن الشمس و طلوعها و افولها قالت اعلم ان الشمس تطلع من عيون و تأفل من عيون فعيون الطلوع اجزاء المشارق و عيون الافول اجزاء المغارب وكلتاهما مائة و ثمانون جزأ قال الله تعالى فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ وقال تعالى هُوَ الَّذِيْ جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُوْرًا وَ قَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِيْنَ وَ الْحِسَابَ فالقمر سلطان الليل و الشمس سلطان النهار و هما مستمران متداركان قال الله تعالى لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِيْ لَهَا اَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِيْ فَلَكٍ يَسْبَحُوْنَ ● قال فاخبريني اذا جاء الليل كيف يكون النهار و اذا جاء النهار كيف يكون الليل قالت يُوْلِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَ يُوْلِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ ● قال فاخبريني عن

Digitized by Google

قال فاخبريني عن اي وقت يطيب فيه الجماع قالت اذا كان ليلا فبعد هضم الطعام واذا كان نهارا فبعد الغداء * قال فاخبريني عن افضل الفواكه قالت الرمان والاترج * قال فاخبريني عن افضل البقول قالت الهندبا * قال فما افضل الرياحين قالت الورد والبَنَفْسَج * قال فاخبريني عن قرار مَنِي الرجل قالت ان في الرجل عرقا يسقي سائر العروق فيجتمع الماء من ثلثمائة وستين عرقا ثم يدخل في البيضة اليسرى دما احمر فيطبخ من حرارة مزاج بني آدم ماء غليظا ابيض رائحته مثل رائحة الطلع قال احسنت * فاخبريني عن طير يمني وبَيِض قالت هو الخفاش اي الوطواط * قال فاخبريني عن شيء اذا حُبس عاش واذا شمّ الهواء مات قالت هو السمك * قال فاخبريني عن شجاع يبيض قالت الثعبان فعجز الطبيب من كثرة سؤاله وسكت * فقالت الجارية يا امير المؤمنين انه سألني حتى عيي وانا اسأله مسألة واحدة فان لم يجب اخذت ثيابه حلالالي وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما قالت لامير المؤمنين انه سألني حتى عيي وانا اسأله مسألة واحدة فان لم يجب اخذت ثيابه حلالالي قال لها الخليفة سليه * فقالت له ما تقول في شيء يشبه الارض استدارة ويواري عن العيون فقارة وقرارة قليل القيمة والقدر ضيق الصدر والنحر مقيد وهو غير أبق موثق وهو غير سارق مطعون لا في القتال مجروح لا في النضال يأكل الدهر مرة ويشرب الماء كثرة وتارة يضرب من غير جناية ويستخدم لا كفاية مجموع

Digitized by Google

حامضا * قال فاي وقت تكره فيه المجامعة قالت يوم السبت والاربعاء ومن احتجم فيهما فلا يلومن الا نفسه ولا يحتجم في شدة الحر ولا في شدة البرد وخيار ايامه ايام الربيع * قال اخبريني عن المجامعة فلما سمعت ذلك اطرقت وطأطأت رأسها واستحيت اجلالا لامير المؤمنين ثم قالت والله يا امير المؤمنين ما عجزت بل خجلت وان جوابه على طرف لساني قال لها يا جارية تكلمي قالت له ان النكاح فيه فضائل مزيدة وامور حميدة منها انه يخفف البدن الممتلئ بالسوداء ويسكن حرارة العشق ويجلب المحبة ويبسط القلب ويقطع الوحشة والاكثار منه في ايام الصيف والخريف اشد ضررا منه في ايام الشتاء والربيع * قال فاخبريني عن منافعه قالت انه يزيل الهم والوسواس ويسكن العشق والغضب وينفع القروح هذا اذا كان الغالب على الطبع البرودة واليبوسة والا فالاكثار منه يضعف النظر ويتولد منه وجع الساقين والرأس والظهر واياك اياك من مجامعة العجوز فانها من القواتل قال الامام علي كرم الله وجهه اربع يقتلن ويهرمن البدن دخول الحمام على الشبع واكل المالح والمجامعة على الامتلاء ومجامعة المريضة فانها تضعف قوتك وتسقم بدنك والعجوز سم قاتل قال بعضهم اياك ان تتزوج عجوز اولو كانت اكثر من قارون كنوزا * قال فما اطيب الجماع قالت اذا كانت المرأة صغيرة السن مليحة القد حسنة الخد كريمة الجد بارزة النهد فهي تزيدك قوة في صحة بدنك وتكون كما قال فيها بعض واصفيها

مَهْمَا لَحَظْتَ تَعَلَّمَتْ مَا تَبْتَغِي ... وَحَيَا بِدُوْنِ إِشَارَةٍ وَبَيَانِ

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى بَدِيْعِ جَمَالِهَا ... أَغْنَتْ مَحَاسِنُهَا عَنِ الْبُسْتَانِ

Digitized by Google

شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى زَالَ عَقْلِي فَبِئْسَ الشُّرْبُ حَيْثُ الْعَقْلُ زَالَا

و اما المنافع التي فيها فانها تفتّت حصى الكلي و تقوي الامعاء و تنقي الهم و تحرك الكرم و تحفظ الصحة و تعين على الهضم و تصحّ البدن و تخرج الامراض من المفاصل و تنقّي الجسم من الاخلاط الفاسدة و تولّد الطرب و الفرح و تقوّي الغريزية و تشدّ المثانة و تقوّي الكبد و تفتّح السدد و تحمّر الوجه و تنقي الفضلات من الرأس و الدماغ و تبطئ بالمشيب و لولا الله عز و جل حرّمها لم يكن على وجه الارض ما يقوم مقامها • و اما الميسر فهو القمار • قال فاي شيء من الخمر احسن قالت ما كان بعد ثمانين يوما او اكثر و قد اعتصر من عنب ابيض و لم يشبه ماء و لا شيء على وجه الارض مثلها • قال فما تقولين في الحجامة قالت ذلك لمن كان ممتلئا من الدم و ليس به نُقصان في دمه فمن اراد الحجامة فليحتجم في نقصان الهلال في يوم هو بلاغيم و لا ريح و لا مطر و يكون في السابع عشر من الشهر وان وافق يوم الثلثاء كان ابلغ في النفع ولا شيء انفع من الحجامة للدماغ و العينين و تصفية الذهن و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما وصفت منافع الحجامة قال لها الحكيم • اخبريني عن احسن الحجامة قالت احسنها على الريق فانها تزيد في العقل و في الحفظ لما روي عنه عليه الصلوٰة و السلام انه كان ما اشتكى اليه احد وجعا في رأسه او رجليه الّا قال له احتجم واذا احتجم لا يأكل على الريق مالحا فانه يورث الجرب ولا يأكل على اثره

Digitized by Google

الحمّام قالت لا يدخله شبعان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم نِعْمَ البيت الحمام ينظف الجسد و يذكر النار قال فايّ الحمامات احسن ماء قالت ما عذب ماؤه و اتّسع فضاؤه و طاب هواؤه بحيث تكون اهويته اربعة خريفي و صيفي و شتوي و ربيعي * قال فاخبر يني ايّ الطعام افضل قالت ما صنعت النساء و قلّ فيه الغناء و اكلته بالهنـــاء و افضل الطعام الثريد لقوله عليه الصلوٰة و السلام فضل الثريد على الطعام كفضل عائشة على سائر النساء * قال فايّ الأدم افضل قالت اللحم لقوله عليه الصلوٰة و السلام افضل الادم اللحم لانه لذة الدنيا و الأخرة * قال فايّ اللحم افضل قالت الضأن و يجتنب القديد لانه لا فائدة فيه * قال فاخبر يني عن الفاكهة قالت كُلْها في اقبالها و اتركهـــا اذا انقضى زمانها * قال فما تقولين في شرب الماء قالت لا تشربه شربا و لا تَعُبّه عبّا فانه يؤذيك صداعه و يشوش عليك من الاذى انواعه و لا تشربه عقب خروجك من الحمام و لا عقب الجماع و لا عقب الطعام الّا بعد مضي خمس عشرة درجـــة للشاب وللشيخ بعد اربعين درجة ولا عقب يقظتك من المنام قال احسنت * فاخبريني عن شرب الخمر قالت افلا يكفيك زاجرا ما جاء في كتـــاب الله تعالى حيث قال إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ و قال تعالى يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وقد قال الشاعر

يَا شَارِبَ الْخَمْـــرِ أَمَا تَسْتَحِي ... تَشْرَبُ شَيْـأً حَـــرَّمَ اللّٰهُ
فَخَلِّـــهِ عَنْـــكَ وَلَا تَأْتِـــهِ ... فَفِيهِ حَقًّـــا عَنَّفَ اللّٰهُ

وقال أخر في المعنى

Digitized by Google

علامات السوداء و ما ذا يخاف على صاحبها اذا غلبت على البدن قالت انها تتولد منها الشهوة الكاذبة وكثرة الوسوسة و الهم و الغم فينبغي حينئذ ان تستفرغ و الّا تولد منها الماليخوليا و الجذام و السرطان و اوجاع الطحال وقروح الامعاء قال احسنت * فاخبريني الى كم جزء ينقسم الطب قالت ينقسم الى جزئين احدهما علم تدبير الابدان المريضة والآخر كيفية ردها الى حال صحتها * قال فاخبريني عن وقت يكون شرب الادوية فيه انفع منه في غيره قالت اذا جرى الماء في العود و انعقد الحب في العنقود و طلع سعد السعود فقد دخل وقت نفع شرب الدواء وطرد الداء * قال فاخبريني عن وقت اذا شرب فيه الانسان من اناء جديد يكون شرابه هنأ و امرأ منه في غيره و تصعد له رائحة طيبة زكية قالت اذا صبر بعد اكل الطعام ساعة فقد قال الشاعر

لَا تَشْرَبَنْ مِنْ بَعْدِ اَكْلِكَ عَاجِلاً ... فَتَسُوْقَ جِسْمَكَ لِلْاَذَى بِزِمَامِ
وَ اصْبِرْ قَلِيْلاً بَعْدَ اَكْلِكَ سَاعَةً ... فَعَسَاكَ تَظْفُرُ يَا اَخِيْ بِمَرَامِ

قال فاخبريني عن طعام لا تتسبب عنه اسقام * قالت هو الذي لا يطعم الّا بعد الجوع و اذا طعم لا تمتلئ منه الضلوع لقول جالينوس الحكيم من اراد ادخال الطعام فليبطئ ثم لا يخطئ و لنختم بقوله عليه الصلوٰة والسلام المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء واصل كل داء البردة يعني التخمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما قالت للحكيم المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء الحديث * قال لها فما تقولين في

Digitized by Google

و الحرارة و اليبوسة و البرودة و الرطوبة وقد توجد فى المحسوس دلالات على الامراض الباطنة كصفرة العينين فانها تدل على اليرقان وتحقف الظهر فانه يدل على ذات الرئة قال احسنت وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيدان الجارية لما وصفت للطبيب العلامات الظاهرة قال لها احسنت * فما العلامات الباطنة قالت ان الوقوف على الامراض بالعلامات الباطنة يؤخذ من ستـة قوانين الاول من الافعال و الثاني مما يستفرغ من البـدن والثالث من النوجع و الرابع من الموضع والخـامس من الورم و السادس من الاعراض * قال اخبريني بماذا يصل الاذى الى الرأس قالت بادخال الطعام على الطعـام قبل هضم الاول و الشبع على الشبع فهو الذي افنى الامم فمن اراد البقاء فليباكر بالغداء ولا يتمسّ بالعشا وليقلّ من مجامعة النساء و ليخفف الردى اي لا يكثر الفصد ولا الحجامة وان يجعل بطنه ثلثة اثلاث ثُلث للطعام و ثُلث للماء وثلث للنَفَس لان مَصَران بني آدم ثمانية عشر شبرا يجب ان يجعل ستة للطعـام و ستـة للشراب و ستة للنفس واذا مشى يرفق كان اوفق له واجمل لبدنـه واكمل لقوله تعالى ولا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا قال احسنت * فاخبريني ما علامة الصفراء و ماذا يخاف منها قالت تعرف بصفرة اللون ومرارة الفم و الجُفاف وضعف الشهوة وسرعة النبض و يخاف صاحبهـــا من الحمّى المحرقة و السرسام و الجمرة واليرقان و الورم وقروح الامعاء وكثرة العطش فهذه علامات الصفراء قال احسنت * فاخبـريني عن

Digitized by Google

الاطراف فتنقسم الى طرفين علويين وطرفين سفليين فا لعلويان ينقسم كل منهما اوّلا الى منكب مركب من الكتف والترقوة وثانيا الى عضد وهو عظم واحد وثالثا الى ساعد مركب من عظمين هما الكعبرة والزند ورابعا الى كف ينقسم الى رسغ ومشط واصابع فا لرسغ مركب من ثمانيـــة عظام مصفوفة صفين كل منهما يشتمل على اربعـــة عظام والمشط يشتمل على خمسة عظام والا صابع عدّتـها خمس كل منها مركب من ثلثة عظام تسمى السلاميات الّا الابهام فا نها مركبة من اثنين فقط والطرفان السفليان ينقسم كل منهما اوّلا الى فخذ هو عظم واحد وثانيا الى ساق مركب من ثلثة عظام القصبة والشظية والرضفة وثالثا الى قدم ينقسم كا لكف الى رسغ ومشط واصابع فا لرسغ مركب من سبعة عظام مصفوفة صفين الاول فيـــه عظمان والثاني فيه خمسة والمشط مركب من خمسة عظام والاصابع عدتها خمس كل منها مركب من ثلث سلاميات الّا الابهـــام فمن سلاميين فقط قال احسنت * فاخبريني عن اصل العروق قالت ان اصل العروق الوتين ومنـه تنشعب العروق وهي كثيرة لا يعلم عددها الّا الذى خلقها وقيل انها ثلثمائة وستون عرقا كما سبق وقد جعل الله اللسان ترجمـــانا والعينين سراجين والمنخـــرين منشقين واليدين جناحين ثم ان الكبد فيه الرحمة والطحال فيه الضحك والكليتين فيهما المكر والرئة مروحـة والمعدة خزانـــة والقلب عماد الجسد فاذا صلح القلب صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله * قال اخبريني عن الدلا لات والعلامات الظـاهرة التي يستدل بها على المرض فى الاعضاء الظاهرة والباطنة قالت نعم اذا كان الطبيب ذافهم نظر في احوال البدن واستدل بجس اليدين على الصلابـة

Digitized by Google

و اليتين ومخا وعظما و جلدا وخمس حواس سامعة وباصرة و شامة و ذائقة و لامسة و جعل القلب في الجانب الايسر من الصدر و جعل المعدة امام القلب و جعل الرئة مروحة للقلب و جعل الكبد في الجانب الايمن محاذية للقلب و خلق ما دون ذلك من الحجاب و الامعاء و ركب ترائب الصدر و شبكها بالاضلاع قال احسنت * فاخبريني كم في رأس ابن آدم من بطن قالت ثلثة بطون و هي تشتمل علي خمس قوى تسمى الحواس الباطنية وهي الحس المشترك والخيال و المتصرفة والواهمة و الحافظة قال احسنت * فاخبريني عن هيكل العظام و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الجارية لما قال لها الطبيب اخبريني عن هيكل العظام قالت هو مؤلف من مائتين واربعين عظما وينقسم الى ثلثة اقسام رأس وجذع و اطراف اما الرأس فتنقسم الى جمجمة و وجه فالجمجمة مركبة من ثمانية عظام ويضاف اليها عظيمات السمع الاربع والوجه ينقسم الى فك علوي وفك سفلي فا لعلوي يشتمل على احد عشر عظما و السفلي عظم و احد ويضاف اليه الا سنان وهي اثنتان و ثلثون سنا وكذا العظم اللا مي واما الجذع فينقسم الى سلسلة فقارية و صدر وحوض فا لسلسلة مركبة من اربعة وعشرين عظما تسمى الفقار و الصدر مركب من القص والا ضلاع التي هي اربع وعشرون ضلعا في كل جانب اثنتا عشرة و الحوض مركب من العظمين الحرقفيين و العجز و العصعص و اما

Digitized by Google

مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِيْنَ رَجُلاً لِمِيْقَاتِنَا لكل رجل عينـان و ان الحزب الذي ليس فيه جلالة هو سورة اقتربت الساعة و انشقّ القمر و الرحمٰن و الواقعة فعند ذلك نزع المقرىءُ ثيابه التي عليه وانصرف خَجِلا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــبـــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما غلبت المقرىءُ ونزع ثيابه و انصرف خَجِلا ● تقدّم اليها الطبيب الماهر و قال فرغنا من علم الاديان فتيقّظي لعلم الابدان و اخبريني عن الانسـان وكيف خلقه وكم في جسده من عرق وكم من عظـم وكم من فقارة و اين اول العروق ولِمَ سمّي آدم آدم قالت سمّي آدم لِاُدْمته اي سُمرة لونه وقيل لانه خلق من اديم الارض اي ظاهر وجهها صدره من تربة الكعبة و رأسه من تربة المشرق و رجلاه من تربة المغرب و خلق له سبعة ابواب في رأسه وهي العينان والاذنان و المنخران و الفم و جعل له منفذين قبله و دبره فجعل العينين حاسة النظر والاذنين حاسة السمع والمنخرين حاسة الشم و الفم حاسة الذوق و جعل اللسان ينطق بما في ضمير الانسان وخلق آدم مركبا من اربعة عناصر و هي الماء و التراب والنار و الهـواء فكانت الصفـراء طبع النار و هي حارة يابسة و السوداء طبع التراب و هي بارد يابس والبلغم طبع الماء وهو بارد رطب و الدم طبع الهواء وهو حار رطب و خلق في الانسـان ثلثمائة و ستين عرقـا و مائتين و اربعين عظما وثلثة ارواح حيواني ونفساني وطبيعي و جعل لكل منها حكما و خلق الله له قلبا و طحالا و رئة و ستة امعـاء وكبدا وكُليتين

Digitized by Google

تقولين في قوله تعالى تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ قالت تعلم حقيقتي و ما عندي ولا اعلم ماعندك و الدليل على هذا قوله إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ و قيل تعلم عيني و لا اعلم عينك * قال فما تقولين في قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ قالت حدّثني الشيخ رحمه الله تعالى عن الضحاك انه قال هم قوم من المسلمين قالوا نقطع مذاكيرنا و نلبس المسوح فنزلت هذه الأية و قال قتادة انها نزلت في جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و هم علي بن ابي طالب و عثمان بن مصعب اوغيرهما قالوا نخصى انفسنا و نلبس الشعر و نترهّب فنزلت هذه الأية * قال فما تقولين في قوله تعالى وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا قالت الخليل المحتاج الفقير و في قول آخر هو المحبّ المنقطع الى الله تعالى الذي ليس لانقطاعة اختلال فلما رأها المقرئ تمرّ في كلامها مَرّ السحاب و لم تتوقف في الجواب قام قائما على قدميه و قال اشهد الله يا امير المؤمنين ان هذه الجارية اعلم مني بالقراآت و غيرها فعند ذلك قالت الجارية انا اسألك مسألة واحدة فان اتيت بجوابها فذاك و الاّ نزعت ثيابك قال امير المؤمنين سليه * فقالت ما تقول في آية فيها ثلثة و عشرون كافا و آية فيها ستة عشر ميما و آية فيها مائة و اربعون عينا و حزب ليس فيه جلالة فعجز المقرئ عن الجواب فقالت انزع ثيابك فنزع ثيابه ثم قالت يا امير المؤمنين ان الأية التي فيها ستة عشر ميما في سورة هود و هي قوله تعالى قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ الأية وان الأية التي فيها ثلثة و عشرون كافا في سورة البقرة و هي آية الذين و ان الأية التي فيها مائة و اربعون عينا في سورة الاعراف و هي قوله تعالى وَ اخْتَارَ

Digitized by Google

و قال في نفسه ان هذا لعجب عجيب وكيف تكلّمت هذه الجارية في اول بدو بسم الله الرحمن الرحيم والله لابدّ من ان اتحيّل عليها لعلي اغلبها * ثم قال لها يا جارية هل انزل الله القرأن جملة واحدة او انزله متفرقا قالت نزل به جبريل الامين عليه السلام من عند رب العالمين على نبيه محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين بالامر والنهي والوعد والوعيد والاخبار والامثال في عشرين سنة آيات متفرقات على حسب الوقائع قال احسنت * فاخبريني عن اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم قالت في قول ابن عباس سورة العلق وفي قول جابر بن عبد الله سورة المدّثّر ثم انزلت السُوَر والأيات بعد ذلك * قال فاخبريني عن آخر آية نزلت قالت آخر آية نزلت عليه آية الربا وقيل اذا جاء نصر الله والفتح وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما اجابت المقرئ عن آخر آية نزلت في القرأن قال لها احسنت * فاخبريني عن عدّة الصحابة الذين جمعوا القرأن على عهد رسول الله صلي الله عليه و سلم قالت هم اربعة أُبَيّ ابن كعب وزيدين ثابت وابو عُبيدة عامر بن الجراح وعثمان بن عفّان رضي الله عنهم اجمعين قال احسنت * فاخبريني عن القرّاء الذين تؤخذ عنهم القراءة قالت هم اربعة عبد الله بن مسعود وأُبَيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم بن عبد الله * قال فما تقولين في قوله تعالى وَمَا ذُبِحَ على النُّصُبِ قالت هي الاصنام التي تنصب وتعبد من دون الله تعالى والعياذ بالله تعالى * قال فما

Digitized by Google

فاخبريني لِمَ لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى اول سورة بَراءة قالت لما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بينه صلى الله عليه و سلم وبين المشركين وجّه لهم النبي صلى الله عليه وسلم عليّا بن ابي طالب كرّم الله وجهه في يوم موسم بسورة براءة فقرأها عليهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم * قال فاخبريني عن فضل بسم الله الرحمن الرحيم وبركتها قالت روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما قُرِئَتْ بسم الله الرحمن الرحيم على شيءٍ الّا كان فيه البركة وعنه صلى الله عليه وسلم حلف رب العزة بعزّته لا تسمي بسم الله الرحمن الرحيم على مريض الّا عوفي من مرضه وقيل لمّا خلق الله العرش اضطرب اضطرابا عظيما فكتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم فسكن اضطرابه ولما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمنت من ثلثة من الخسف والمسخ وَ الغرق وفضلها عظيم وبركتها كثيرة يطول شرحها وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى برجل يوم القيمة فيحاسب فلا يلقى له حسنة فيؤمر به الى النار فيقول الهي ما انصفتني فيقول الله عزّ وجل ولِمَ ذلك فيقول يارب لانك سميت نفسك الرحمن الرحيم وتريدان تعذّبني بالنار فيقول الله جلّ جلاله انا سمّيت نفسي الرحمن الرحيم امضوا بعبدي الى الجنة برحمتي وانا ارحم الراحمين قال احسنت * فاخبريني عن اول بدأ بسم الله الرحمن الرحيم قالت لما انزل الله تعالى القرأن كتبوا با سمك اللهم فلما انزل الله تعالى قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ اَوِادْعُوا الرَّحْمٰنَ اَيًّا مَا تَدْعُوْا فَلَهُ الْاَسْمَآءُ الْحُسْنٰى كتبوا بسم الله الرحمن فلما انزل اِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَاحِدٌ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم فلما سمع المقرئ كلامها اطرق

Digitized by Google

امر الله به عند القرأت والدليل عليه قوله تعالى فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ • قال فاخبريني ما لفظ الاستعاذة وما الخلاف فيها قالت منهم من يستعيذ بقوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ومنهم من يقول اعوذ بالله القوي والاحسن ما نطق به القرأن العظيم ووردت به السنة وكان صلى الله عليه وسلم اذا استفتح القرأن قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي عن نافع عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام يصلي فى الليل قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن همزات الشياطين ونزغاتهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اول ما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم علّمه الاستعاذة وقال له قل يا محمد اعوذ بالله السميع العليم ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ • فلما سمع المقرئ كلامها تعجب من لفظها وفصاحتها وعلمها وفضلها • ثم قال لهايا جارية ما تقولين في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم هل هي أية من أيات القرأن قالت نعم أية من القرأن فى النمل وأية بين كل سورتين والاختلاف في ذلك بين العلماء كثير قال احسنت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الجارية لما اجابت المقرئ وقالت ان بسم الله الرحمن الرحيم فيها اختلاف كثير بين العلماء قال احسنت •

Digitized by Google

عليهم اجمعين • واما الطير فهن تسع قال ما اسمهن قالت البَعُوضُ والنَحْلُ والذُبَاب والنَمْل والهُدْهُد والغُراب والجَرَاد والاَ بَابيل وطير عيسى عليه السلام وهو الخَفَّاش قال احسنت • فاخبريني اي سورة فى القرأن افضل قالت سورة البقرة قال فاي أية اعظم قالت أية الكرسي وهي خمسون كلمة مع كل كلمة خمسون بركة • قال فاي أية فيها تسع أيات قالت قوله تعالى إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَ الْاَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ الى أخر الأية قال احسنت • فاخبريني اي أية اعدل قالت قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْاِحْسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِى الْقُرْبٰى وَيَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ • قال فاي أية اطمع قالت قوله تعالى أيَطْمَعُ كُلُّ امْرِءٍ مِنْهُمْ اَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيْمٍ • قال فاي أية ارجى قالت قوله تعالى قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِيْنَ اَسْرَفُوْا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوْا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعًا اِنَّهُ هُوَالْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ قال احسنت • فاخبريني باي قراءة تقرئين قالت بقراءة اهل الجنة وهو قراءة نافع • قال فاي أية كذب فيها الانبياء قالت قوله تعالى وَ جَاءُوْا عَلٰى قَمِيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ وهم اخوة يوسف • قال فا خبريني اي أية صدق فيها الكفار قالت قوله تعالى وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ لَيْسَتِ النَّصَارٰى عَلٰى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارٰى لَيْسَتِ الْيَهُوْدُ عَلٰى شَيْءٍ وَ هُمْ يَتْلُوْنَ الْكِتَابَ وهم صدقوا جميعا قال فاي أية قالها الله لنفسه قالت قوله تعالى وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْاِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ • قال فاي أية فيها قول الملائكة قالت قوله تعالى وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ • قال فاخبريني عن اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما جاء فيها قالت التعوّذ واجب

Digitized by Google

المقرئ فانها التفتت الى من بقي من العلماء الحاضرين وقالت ايكم الاستاذ المقرئ العالم بالقراآت السبع والنحو واللغة فقام اليها المقرئ وجلس بين يديها وقال لها هل قرأت كتاب الله تعالى واحكمت معرفة آياته وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومكيه ومدنيه وفهمت تفسيره وعرفته على الروايات والاصول فى القراآت قالت نعم * قال اخبريني عن عدد سور القرآن وكم فيه من عشروكم فيه من آية وكم فيه من حرف وكم فيه من سجدة وكم فيه من نبي مذكور وكم فيه من سورة مدنية وكم فيه من سورة مكية وكم فيه من طير * قالت يا سيدي اما سور القرآن فمائة واربع عشرة سورة المكي منها سبعون سورة والمدني اربع واربعون سورة * واما اعشاره فستمائة عشر واحد وعشرون عشرا * واما الآيات فستة آلاف ومائتان وست وثلثون آية * واما كلماته فتسعة وسبعون الف كلمة واربعمائة وتسع وثلثون كلمة * واما حروفه فثلثمائة الف وثلثة وعشرون الفا و ستمائة وسبعون حرفا وللقارئ بكل حرف عشر حسنات * واما السجدات فاربع عشرة سجدة وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما سألها المقرئ عن القرآن اجابته * وقالت له واما الانبياء الذين ذكرت اسماؤهم في القرآن فخمسة وعشرون نبيا وهم آدم ونوح وابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف واليسع ويونس ولوط وصالح وهود وشعيب وداود وسليمان وذوالكفل وادريس والياس ويحيى وزكريا وايوب وموسى وهارون وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الجارية لما سألها الفقيه الثاني عن المسائل واجابته وقال لها احسنت • قالت يا امير المؤمنين انّه قد سألني حتى عَيِيَ وانا اسأله مسئلتين فان اتى بجوابهما فذاك والّا اخذت ثيابه وانصرف بسلام فقال لها الفقيه سليني عماشئت • قالت فما تقول في الايمان قال الايمان اقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح قال عليه الصلوٰة والسلام لا يكمل المؤمن الايمان حتى يكمل فيه خمس خصال التوكّل على الله والتفويض الى الله والتسليم لامر الله والرضى بقضاء الله وان تكون امورة لله فانه من احبّ لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان • قالت فاخبرني عن فرض الفرض وعن فرض في ابتداء كل فرض وعن فرض يحتاج اليه كل فرض وعن فرض يستغرق كل فرض وعن سنة داخلة في الفرض وعن سنة يتم بها الفرض فسكت ولم يجب بشيء فامرها امير المؤمنين بان تفسّرها وامره بان ينزع ثيابه ويعطيها اياها • فعند ذلك قالت يا فقيه اما فرض الفرض فمعرفة الله تعالى • واما الفرض في ابتداء كل فرض فهي شهادة ان لا اله الّا الله وان محمدا رسول الله • واما الفرض الذي يحتاج اليه كل فرض فهو الوضوء • واما الفرض المستغرق كل فرض فهو الغسل من الجنابة • واما السنة الداخلة في الفرض فهو تخليل الاصابع وتخليل اللحية الكثيفة • واما السنة التي يتمّ بها الفرض فهو الاختتان فعند ذلك تبيّن عجز الفقيه وقام على قدميه وقال اشهد الله يا امير المؤمنين ان هذه الجارية اعلم مني بالفقه وغيره ثم نزع ثيابه وانصرف مقهورا • واما حكايتها مع

Digitized by Google

بالقدر و ايمان بالناسخ و ايمان بالمنسوخ و ان تؤمن بالله و ملائكته و رسله و تؤمن بالقضاء و القدر خيره و شره حلوه و مرّه قال احسنت * فاخبريني عن ثلث تمنع ثلثا قالت نعم روي عن سفيان الثوري انه قال ثلث تذهب ثلثا الاستخفاف بالصالحين يذهب الأخرة و الاستخفاف بالملوك يذهب الروح والاستخفاف بالنفقة يذهب المال قال احسنت * فاخبريني عن مفاتيح السموات وكم لها من باب قالت قال الله تعالى وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ اَبْوَابًا وقال عليه الصلوة والسلام ليس يعلم عدة ابواب السماء الّا الذى خلق السماء وما من احد من بني آدم الّا وله بابان فى السماء باب ينزل منه رزقه و باب يصعد منه عمله ولا يغلق باب رزقه حتى ينقطع اجله ولايغلق باب عمله حتى تصعد روحه قال احسنت * فاخبريني عن شيءٌ وعن نصف شيءٌ وعن لا شيءٌ قالت الشيءٌ هو المؤمن ونصف الشيءٌ هو المنافق و اللا شيءٌ هو الكافر قال احسنت * فاخبريني عن القلوب قالت قلب سليم وقلب سقيم وقلب مُنيب وقلب نذير وقلب منير فالقلب السليم هو قلب الخليل والقلب السقيم هو قلب الكافر والقلب المنيب هو قلب المتّقين الخائفين والقلب النذير هو قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقلب المنير هو قلب من يتبعه * وقلوب العلماء ثلثة قلب متعلق بالدنيا وقلب متعلق بالأخرة وقلب متعلق بمولاه * وقيل ان القلوب ثلثة قلب معلق و هو قلب الكافر وقلب معدوم و هو قلب المنافق وقلب ثابت وهو قلب المؤمن * وقيل هي ثلثة قلب مشروح بالنور والايمان وقلب مجروح من خوف الهجران وقلب خالف من الخذلان قال احسنت و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

امير المؤمنين ذلك منها امر بنزع ثياب الفقيه وطيلسانه فنزعهما ذلك الفقيه وخرج مقهورا منها خجلا من بين يدي امير المؤمنين ثم قام لها رجل آخر وقال يا جارية اسمعي مني مسائل قليلة قالت له قل * قال فما صحة التسليم قالت القدر المعلوم والجنس المعلوم والاجل المعلوم قال احسنت * فما فروض الاكل وسننه قالت فروض الاكل الاعتراف بان الله تعالى رزقه واطعمه وسقاه والشكر لله تعالى على ذلك * قال فما الشكر قالت صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه فيما خلق لاجله * قال فما سنن الاكل قالت التسمية وغسل اليدين والجلوس على الورك الايسر والاكل بثلث اصابع والاكل فما يليك قال احسنت * فاخبريني ما آداب الاكل قالت ان تصغر اللقمة وتقلّ النظرة الى جليسك قال احسنت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما سئلت عن آداب الاكل وذكرت الجواب قال لها الفقيه السائل احسنت * فاخبريني عن عقائد القلب واضدادها قالت هي ثلث واضدادها ثلث الاولى اعتقاد الايمان وضدها مجانبة الكفر والثانية اعتقاد السنة وضدها مجانبة البدعة والثالثة اعتقاد الطاعة وضدها مجانبة المعصية قال احسنت * فاخبريني عن شروط الوضوء قالت الاسلام والتمييز وطهور الماء وعدم المانع الحسي وعدم المانع الشرعي قالت احسنت * فاخبريني عن الايمان قالت الايمان ينقسم الى تسعة اقسام ايمان بالمعبود وايمان بالعبودية وايمان بالخصوصية وايمان بالقبضتين وايمان

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الفقيه لما انقطعت حجته قام قائما على قدميه وقال اشهد عليّ يا امير المؤمنين بان الجارية اعلم منّي يا لفقه * فقالت له الجارية اسألك عن شيء فأتني بجوابه سريعا ان كنت عارفا قال اسألي * قالت فما سهام الدين قال هي عشرة الاول الشهادة وهي الملة الثاني الصلوة وهي الفطرة الثالث الزكوة وهي الطهارة الرابع الصوم وهي الجنّة الخامس الحج وهي الشريعة السادس الجهاد وهي الكفاية السابع والثامن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما الغيرة التاسع الجماعة وهي الالفة العاشر طلب العلم وهو الطريق الحميدة قالت احسنت وقد بقيت عليك مسألة * فما اصول الاسلام قال هي اربعة صحة العقد وصدق القصد وحفظ الحد والوفاء بالعهد قالت بقي مسألة اخرى فان اجبت والّا اخذت ثيابك قال قولي يا جارية * قالت فما فروع الاسلام فسكت ساعة ولم يجب بشيء فقالت انزع ثيابك وانا افسّرها لك قال امير المؤمنين فسّريها وانا انزع لك ما عليه من الثياب * قالت هي اثنان وعشرون فرعا التمسك بكتاب الله تعالى والاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم وكف الاذى واكل الحلال واجتناب الحرام وردّ المظالم الى اهلها والتوبة والفقه في الدين وحب الخليل واتباع التنزيل وصدق المرسلين وخوف التبديل والتأهّب للرحيل وقوة اليقين والعفو عند القدرة والقوة عند الضعف والصبر عند المصيبة ومعرفة الله تعالى ومعرفة ما جاء به نبيه صلى الله عليه وسلم ومخالفة اللعين ابليس ومجاهدة النفس ومخالفتها والاخلاص لله فلما سمع

Digitized by Google

الاحرام قالت التجرد من المَخِيط واجتناب الطيب وترك حلق الرأس وتقليم الاظافر وقتل الصيد والنكاح * قال فماسنن الحج قالت التلبية وطواف القدوم والوداع والمبيت بالمُزْدلِفة وبمنى ورمي الجمار قال احسنت * فما الجهاد وما اركانه قالت اما اركانه فخروج الكفّار علينا و وجود الامام والعدّة والثبات عند لقاء العدّو * واما سننه فهو التحريض على القتال لقوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ قال احسنت * فاخبريني عن فروض البيع وسننه قالت اما فروض البيع فالا يجاب والقبول وان يكون المبيع مملوكا منتفعـــــابه مقدورا على تسلّمه وترك الربا * واما سننه فالا قالة والخيار قبل التفريق لقوله صلى الله عليه وسلم البَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَالَمْ يَتَفَرَّقَا قال احسنت * فاخبريني عن شيٍ لا يجوز بيع بعضه ببعض قالت حفظت فى ذلك حديثا صحيحا عن نافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن بيع التَمْر بالرُطَب والتين الرَطْب باليابس والقديد باللحم والزبد بالسمن وكل ماكان من صنف واحد مأكول فلا يجوز بيع بعضه ببعض فلما سمع الفقيه كلامها وعرف انها ذكية فطنة حاذقة عالمة بالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك قال في نفسه لابدّ من ان اتحيّل عليها حتى اغلبها في مجلس امير المؤمنين * فقال لها يا جارية ما معنى الوُضوء فى اللغة قالت الوضوء فى اللغة النظافة والخلوص من الادناس * قال فما معنى الصلوٰة فى اللغة قالت الدعاء بخير * قال فما معني الغسل في اللغة قالت التطهير * قال فما معنى الصوم لغة قالت الامساك * قال فما معنى الزكوٰة لغة قالت الزيادة * قال فما معنى الحج لغة قالت القصد * قال فما معنى الجهاد قالت الدفاع فانقطعت حجة الفقيه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

Digitized by Google

والحجامة هذا كله لا يفسد الصوم قال احسنت * فاخبريني عن صلوٰة العيدين قالت ركعتان وهما سنة من غير أذان ولااقامة ولكن يقول الصلوٰة جامعة ويكبّر في الاولى سبعا سوى تكبيرة الاحرام وفي الثانية خمسا سوى تكبيرة القيام على مذهب الامام الشافعي رحمه الله تعالى ويتشهّد وادرك شهر زادالصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما اخبرت الفقيه عن صلوٰة العيدين قال لها احسنت * فاخبريني عن صلوٰة كسوف الشمس وخسوف القمر قالت ركعتان بغير أذان ولا اقامة يأتي في كل ركعة بقيامين وركوعين وسجودين ويجلس ويتشهّد ويسلّم قال احسنت * فاخبريني عن صلوٰة الاستسقاء قالت ركعتان بغير أذان ولا اقامة ويتشهّد ويسلّم ثم يخطب ويستغفر الله تعالى مكان التكبير في خطبتي العيدين ويحوّل ردائه بان يجعل اعلاه اسفله ويدعو ويتضرّع قال احسنت * فاخبريني عن صلوٰة الوتر قالت الوتر اقلّه ركعة واحدة واكثره احدى عشرة قال احسنت * فاخبريني عن صلوٰة الضحى قالت صلوٰة الضحى اقلّها ركعتان واكثرها اثنتا عشرة ركعة قال احسنت * فاخبريني عن الاعتكاف قالت هو سنة * قال فما شرطه قالت النية وان لا يخرج من المسجد الّا لحاجة ولا يباشر النساء وان يصوم ويترك الكلام قالت احسنت * فاخبريني بماذا يجب الحج قالت بالبلوغ والعقل والاسلام والاستطاعة وهو واجب في العمر مرة واحدة قبل الموت * قال فما فروض الحج قالت الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي والحلق او التقصير * قال فما فروض العمرة قالت الاحرام بها وطوافها وسعيها * قال فما فروض

Digitized by Google

سننها فالأذان و الاقامة ورفع اليدين عندالاحرام ودعاء الافتتاح و التعوّذ والتأمين وقراءة السورة بعد الفاتحة و التكبيرات عند الانتقالات وقول سمع الله لمن حمده وربنا لك الحمد والجهر في موضعه والاسرار في موضعه والتشهد الاول والجلوس له والصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه و الصلوة على الآل في التشهّد الاخير والتسليمة الثانية قال احسنت * فاخبريني فيما ذا تجب الزكوة قالت تجب في الذهب والفضة والابل والبقر والشاة والحنطة والشعير والذخن والذرة والفول والحمّص والارز والزبيب والتمر قال احسنت * فاخبريني في كم تجب الزكوة في الذهب قالت لا زكوة فيما دون عشرين مثقالا فاذا بلغت العشرين ففيها نصف مثقال وما زاد فبحسابه * قال فاخبريني في كم تجب الزكوة في الورق قالت ليس فيما دون مائتي درهم زكوة فاذا بلغت المائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه قال احسنت * فاخبريني في كم تجب الزكوة في الابل قالت في كل خمس شاة الى خمس و عشرين ففيها بنت مخاض قال احسنت * فاخبريني في كم تجب الزكوة في الشياه قالت اذا بلغت اربعين ففيها شاة قال احسنت * فاخبريني عن الصوم وفروضه قالت اما فروض الصوم فالنية والامساك عن الاكل والشرب والجماع و تعمّد القيء وهو واجب على كل مكلّف خال عن الحيض و النفاس ويجب برؤية الهلال او باخبار عدل يقع في قلب المخبر صدقه * ومن واجباته تبييت النية * واما سننه فتعجيل الفطر وتأخير السحور وترك الكلام الّا في الخير و الذكر و تلاوة القرآن قال احسنت * فاخبريني عن شيء لا يفسد الصوم قالت الادّهان والاكتحال و غبار الطريق وابتلاع الريق وخروج المني بالاحتلام او النظر لامرأة اجنبية والفصادة

Digitized by Google

فاخبريني عما يفعل الشخص اذا استيقظ من منامه قالت اذا استيقظ الشخص من منامه فليغسل يديه ثلثا قبل ادخالهما الاناء قال احسنت * فاخبريني عن فروض الغسل وعن سننه قالت فروض الغسل النية وتعميم البدن بالماء اي ايصال الماء الى جميع الشعر والبشرة * واما سننه فالوضوء قبله والتدليك وتخليل الشعر وتأخير غسل الرجلين في قول الى آخر الغسل قال احسنت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما اخبرت الفقيه عن فروض الغسل وسننه قال احسنت * فاخبريني عن اسباب التيمم وفروضه وسننه قالت اما اسبابه فسبعة فقد الماء والخوف والحاجة اليه واضلاله في رحله والمرض والجبيرة والجراح * واما فروضه فاربعة النية والتراب وضربة للوجه وضربة لليدين * واما سننه فالتسمية وتقديم اليمنى على اليسرى قال احسنت * فاخبريني عن شروط الصلوة وعن اركانها وعن سننها قالت اما شروطها فخمسة اشياء طهارة الاعضاء وستر العورة ودخول الوقت يقينا او ظنا واستقبال القبلة والوقوف على مكان طاهر * واما اركانها فالنية وتكبيرة الاحرام والقيام مع القدرة وقراءة الفاتحة وبسم الله الرحمن الرحيم آية منها على مذهب الامام الشافعي والركوع والطمأنينة فيه والاعتدال والطمأنينة فيه والسجود والطمأنينة فيه والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه والتشهد الاخير والجلوس له والصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه والتسليمة الاولى ونية الخروج من الصلوة في قول * واما

Digitized by Google

فروض الوضوء قالت ستة اشياء على مذهب الامام الشافعي محمد بن ادريس رضي الله عنه النية عند غسل الوجه و غسل الوجه و غسل اليدين مع المرفقين و مسح بعض الرأس و غسل الرجلين مع الكعبين و الترتيب * و سننه عشرة اشياء التسمية و غسل الكفّين قبل ادخالهما الاناء و المضمضة و الاستنشاق و مسح جميع الرأس و مسح الاذنين ظاهرهما و باطنهما بماء جديد و تخليل اللحيه الكثّة و تخليل اصابع اليدين و الرجلين و تقديم اليمنى على اليسرى و الطهارة ثلثا ثلثا و الموالاة فاذا فرغ من الوضوء قال اشهد ان لا اله الّا الله وحده لا شريك له و اشهد ان محمدا عبده و رسوله اللهم اجعلني من التوّابين واجعلني من المتطهرّين سبحانك اللهم و بحمدك اشهد ان لا اله الّا انت استغفرك و اتوب اليك فقد جاء فى الحديث الشريف عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال من قالها عقب كل وضوء فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايّها شاء قال احسنت * فاذا اراد الانسان الوضوء ماذا يكون عنده من الملائكة و الشياطين قالت اذا تهيّأ الانسان للوضوء اتت الملائكة عن يمينه و الشياطين عن شماله فاذا ذكر الله تعالى في ابتداء الوضوء فرّت منه الشياطين و استولت عليه الملائكة بخيمة من نورلها اربعة اطناب مع كل طنب ملك يسبّح الله تعالى و يستغفر له مادام في انصات او ذكر فان لم يذكر الله عزوجل عند ابتداء الوضوء و لم ينصت استولت عليه الشياطين و انصرفت عنه الملائكة و وسوس له الشيطان حتى يدخل عليه الشك و النقض في وضوئه فقد قال عليه الصلوة و السلام الوضوء الصالح يطرد الشيطان و يؤمن من جور السلطان و قال ايضا من نزلت عليه بليّة و هو على غير وضوء فلا يلومنّ الّا نفسه قال احسنت *

Digitized by Google

الصلوة قالت الطهارة و ستر العورة واجتناب الثياب المتنجّسة و الوقوف على مكان طاهر و التوجه للقبلة و القيام و النية و تكبيرة الاحرام قال احسنت * فاخبريني ثم تخرجين من بيتك الى الصلوة قالت بنية العبادة * قال فبأيّ نية تدخلين المسجد قالت بنية الخدمة * قال فبما ذا تستقبلين القبلة قالت بتلك فرائض و سنة قال احسنت * فاخبريني ما مبدأ الصلوة و ما تحليلها و ما تحريمها قالت مبدأ الصلوة الطهور و تحريمها تكبيرة الاحرام و تحليلها السلام من الصلوة * قال فما ذا يجب على من تركها قالت روي في الصحيح من ترك الصلوة عامدا متعمّدا من غير عذر فلا حظ له في الاسلام و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما ذكرت الحديث الشريف قال لها الفقيه احسنت * فاخبريني عن الصلوة ما هي قالت الصلوة صلة بين العبد و ربه و فيها عشر خصال تنوّر القلب و تضيء الوجه و ترضى الرحمن و تغضب الشيطان و تدفع البلاء و تكفي شر الاعداء و تكثر الرحمة و تدفع النقمة و تقرب العبد من مولاه و تنهى عن الفحشاء و المنكر و هي من الواجبات المفروضات المكتوبات و هي عماد الدين قال احسنت * فاخبريني ما مفتاح الصلوة قالت الوضوء * قال فما مفتاح الوضوء قالت التسمية * قال فما مفتاح التسمية قالت اليقين * قال فما مفتاح اليقين قالت التوكل * قال فما مفتاح التوكل قالت الرجاء * قال فما مفتاح الرجاء قالت الطاعة * قال فما مفتاح الطاعة قالت الاعتراف لله تعالى بالوحدانية و الاقرار له بالربوبية قال احسنت * فاخبريني عن

Digitized by Google

امامي والكعبة قبلتي والمؤمنون اخواني والخير طريقتي والسنة صنعاجي فتعجب الخليفة من قولها ومن فصاحة لسانها على صغر سنها * ثم قال لها ايتها الجارية اخبريني بم عرفت الله تعالى قالت بالعقل قال وما العقل قالت العقل عقلان عقل موهوب وعقل مكسوب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت العقل عقلان موهوب ومكسوب * فالعقل الموهوب هو الذي خلقه الله عز وجل يهدي به من يشاء من عباده * والعقل المكسوب هو الذي يكسبه المرء بتأدبه وحسن معرفته فقال لها احسنت * ثم قال اين يكون العقل قالت يقذفه الله في القلب فيصعد شعاعه في الدماغ حتى يستقر قال لها احسنت * ثم قال اخبريني بم عرفت النبي صلى الله عليه وسلم قالت بقراءة كتاب الله تعالى وبالآيات والدلالات والبراهين والمعجزات قال احسنت * فاخبريني عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة قالت اما الفرائض الواجبة فخمس شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله واقام الصلوة واتياء الزكوة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام من استطاع اليه سبيلا * واما السنن القائمة فهي اربع الليل والنهار والشمس والقمر وهن يبنين العمر والامل ولمس يعلم ابن آدم انهن يهدمن الاجل قال احسنت * فاخبريني ما شعائر الايمان قالت شعائر الايمان الصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد واجتناب الحرام قال احسنت * فاخبريني باي شيء تقومين الى الصلوة قالت بنية العبودية مقرة بالربوبية * قال فاخبريني كم فرض الله عليك قبل قيامك الى

Digitized by Google

الخليفة هارون الرشيد كلامها على صغر سنهـا تعجب من فصاحة لسانها والتفت الى مولاها وقال لهي احضر من يناظرها في جميـع ما ادّعته فان اجابت دفعت لك ثمنها وزيادة وان لم تجب فانت اولى بهـا فقال مولاها يا امير المؤمنين حبا وكرامة فكتب امير المؤمنين الى عامل البصرة بان يرسل اليه ابراهيم بن سيّار النظّام وكان اعظم اهل زمانه في الحجة والبلاغة والشعر والمنطق وامره ان يحضر القرّاء والعلماء والاطباء والمنجّمين والحكماء والمهندسين والفلاسفة وكان ابراهيم اعلم من الجميع فما كان الّا قليلا حتى حضروا دار الخلافة وهم لا يعلمون الخبـر فدخلوا على امير المؤمنين الى مجلسه وامرهم بالجلوس فجلسوا ثم امر ان تحضر الجـارية تودد فحضرت واظهرت نفسها وهي كأنها كوكب درّي فوضع لهـا كرسي من ذهب فسلمت ونطقت بفصـاحة لسان وقالت يا امير المؤمنين مُرْ مَن حضر من العلماء والقرّاء والاطبّـاء والمنجّمين والحكماء والمهندسين والفلاسفة ان يناظروني * فقال لهم امير المؤمنين اريد منكم ان تناظروا هذه الجارية في امر دينهـا وان تدحضوا حجتها في كل ما ادعته فقالوا السمع والطـاعة لله ولك يا امير المؤمنين فعند ذلك اطرقت الجـارية وقالت ايكم الفقيه العـالم المقرئ المحـدث فقال احدهم انا ذلك الرجل الذي طلبتِ قالت له اسألْ عما شئت قال لها انت قرأت كتـاب الله العزيز وعرفت ناسخه ومنسوخه وتدبرت آياته وحروفه قالت نعم * فقال لها اسألك عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة فاخبر بيني ابيتها الجارية عن ذلك وماربّك ومانبيّك وما امامك وماقبلتك وما اخوانك وطريقتك وما منهاجك قالت الله ربي ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي والقرآن

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الجارية قالت لسيدها يا سيدي احملني الى هارون الرشيد الخامس من بنى العباس واطلب ثمني منه عشرة آلاف دينار فان استغلا لي فقل له يا اميرالمؤمنين وصيفتي اكثر من ذلك فاختبرها يعظم قدرها فى عينك لان هذه الجارية ليس لها نظير ولا تصلح الّا لمثلك ثم قالت له ايّاك ياسيدي ان تبيعني بدون ما قلت لك من الثمن فانه قليل فى مثلي وكان سيد الجارية لا يعلم قدرها ولا يعرف انها ليس لها نظير في زمانها ثم انه حملها الى اميرالمؤمنين هارون الرشيد وقدمها له وذكر ما قالت فقال لها الخليفة ما اسمك قالت اسمي تَوَدُّد قال يا تودد ما تُحسنين من العلوم قالت ياسيدي اني اعرف النحو والشعر والفقه والتفسير واللغة واعرف من الموسيقي وعلم الفرائض والحساب والقسمة والمساحة واساطير الاولين واعرف القرآن العظيم وقد قرأته للسبع والعشر وللاربع عشرة واعرف عدد سوره وأياته واحزابه وانصافه وارباعه واثمانه واعشاره وسجداته وعدد احرفه واعرف ما فيه من الناسخ والمنسوخ والمدنية والمكية واسباب التنزيل واعرف الحديث الشريف دراية ورواية المسند منه والمرسل ونظرت في علوم الرياضة والهندسة والفلسفة وعلم الحكمة والمنطق والمعاني والبيان وحفظت كثيرا من العلم وتعلقت بالشعر وضربت بالعود وعرفت مواضع النغم فيه ومواقع حركات اوتاره وسكناتها فان غنيت ورقصت فتنت وان تزينت وتطيبت قتلت * وبالجملة فاني وصلت الى شيء لم يعرفه الّا الراسخون فى العلم فلما سمع

Digitized by Google

ان اقبلت فتنت بحسن قوامها او ادبرت قتلت بصد فراقها
شمسية بدرية غصنية ليس الجفا والبعد من اخلاقها
جنات عدن تحت جيب قميصها والبدر في فلك على اطواقها

كأنّها البدر الطالع والغزال الراتع بنت تسع وخمسر تخجل القمر والشمس كما قال الشاعر البليغ الماهر

شبيهة البدر اذا ما مضى خمس وخمس بعدها اربع
ما كان ذنبي حين صيرتني شبيهه اوّل ما يطلع

صافية الاديم عاطرة النسيم كأنّها خلقت من النور وتكوّنت من البلور تورّد منها الخد واعتدل القوام والقد كما قال فيها بعض واصفيها

تختال بين معصفر ومدنر ومفضض ومورد ومصندل
هي زهرة في روضة او درة في شمسة او صورة في هيكل
هيفاء ان قال القوام لها انهضي قالت روادفها قفي وتمهلي
واذا طلبت الوصل قال جمالها جودي وقال دلالها لا تفعلي
سبحان من جعل الملاحة حظها ونصيب عاشقها كلام العذل

تسلب من يراها بحسن جمالها وبريق ابتسامها وترميه من عيونها بنبل سهامها وهي مع هذا كله فصيحة الكلام حسنة النظام فلما نفد جميع ماله وتبين سوء حاله ولم يبق معه غير هذه الجارية اقام ثلثة ايام وهو لم يذق طعم طعام ولم يستريح في منام فقالت له الجارية يا سيدي احملني الى اميرالمؤمنين هارون الرشيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

وقعد للعزاء ايا ما وليالي واذا باصحابه قد دخلوا عليه وقالوا له من خلف مثلك ما مات وكل ما فات فقد فات وما يصلح العزاء الّا للبنات والنساء المخدّرات ولم يزالوا به حتى دخل الحمام ودخلوا عليه وفكّوا حزنه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ابن الخواجا لما دخل عليه اصحابه الحمام وفكّوا حزنه نسي وصية ابيه وذهل لكثرة المال وظن ان الدهر يبقى معه على حال وان المال ليس له زوال فاكل وشرب ولذّ وطرب وخلع ووهب وجاد بالذهب ولازم اكل الدجاج وفضّ ختام الزجاج وقهقهة القناني واستماع الاغاني ولم يزل على هذا الحال الى ان مال المال وقعد الحال وذهب ماكان لديه وسقط في يديه ولم يبق له بعد ان اتلف ما اتلف غير وصيفة خلفها له والده من جملة ما خلف وكانت الوصيفة هذه ليس لها نظير في الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال وهي ذات فنون وأداب وفضايل تستطاب قد فاقت اهل عصرها واوانها وصارت اشهر من عَلَم في افتنانها وزادت على الملاح بالعلم والعمل والتثني والميل مع كونها خماسية القد مقارنة للسعد بجبينين كانهما هلال شعبان وحاجبين ازجّين وعينين كعيون غزلان وانف كحد الحسام وخد كأنّه شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان واسنان كأنها عقود الجمان وسرّة تسع اوقية دهن بان وخصر انحل من جسم من اضناه الهوى واسقمه الكتمان وردف اثقل من الكثبان والجملة انها في الحسن والجمال جديرة بقول من قال

Digitized by Google

ما له ونشبه اذا لم يكن له ولد يرثه ويذكره فتضرّع الى الله تعالى وصام النهار وقام الليل ونذر النذور لله تعالى الحيّ القيّوم وزار الصالحين واكثر التضرع الى الله تعالى فاستجاب الله له وقبل دعاه ورحم تضرّعه وشكواه فما كان الّا قليل من الايام حتى جامع احدى نسائه فحملت منه في ليلتها ووقتها وساعتها واتمت اشهرها ووضعت حملها وجاءت بذكر كأنّه فلقة قمر فاوفى بالنذر شكراً لله عزوجل واخرج الصدقات وكسا الارامل والايتام وليلة سابع الولادة سمّاه بابي الحسن فارضعته المراضع وحضنته الحواضن وحملته المماليك والخدم الى ان كبر ونشأ وترعرع وانتشأ وتعلّم القرآن العظيم وفرائض الاسلام واموراً لدين القويم والخط والشعر والحساب والرمي بالنشاب فكان فريد دهره واحسن اهل زمانه وعصره ذا وجه مليح ولسان فصيح يتهادى تمايلاً واعتدالاً ويتزاهى تدلّلاً واختيالاً بخدّ احمر وجبين ازهر وعذار اخضر كما قال فيه بعض واصفيه

بَدَا رَبِيعُ الْعِذَارِ لِلْحَدَقِ ... وَالْوَرْدُ بَعْدَ الرَّبِيعِ كَيْفَ بَقِي
أَمَا تَرَى النَّبْتَ فَوْقَ عَارِضِهِ ... بَنَفْسَجًا طَالِعًا مِنَ الْوَرَقِ

فاقام مع ابيه برهة من الزمن في احسن حال وابوه به فَرِحٌ مسرور الي ان بلغ مبالغ الرجال فاجلسه ابوه بين يديه يوما من الايام وقال له يا ولدي انه قد قرب الاجل وحانت وفاتي ولم يبق غير لقاء الله عزوجل وقد خلفت لك ما يكفيك الى ولد الولد من المال المتين والضياع والاملاك والبساتين فاتق الله تعالى يا ولدي فيما خلفته لك ولا تتبع الامن رفدك فلم يكن الّا قليل حتى مرض الرجل ومات فجهزه ولده احسن تجهيز ودفنه ورجع الى منزله

Digitized by Google

في ان ذلك يكون سببا لخراب البلاد وفي الامثال جور السلطان مائة سنة ولاجور الرعية بعضهم على بعض سنة واحدة واذا جارت الرعية سلّط الله عليهم سلطانا جائرا وملكا قاهرا كماورد في الاخبار ان الحجاج بن يوسف رفعت اليه في بعض الايام قصة مكتوب فيها اتّق الله ولاتجُرْ على عباد الله كل الجور فلما قرأ القصة رقى المنبر وكان فصيحا فقال ايها الناس ان الله تعالى سلّطني عليكم باعمالكم وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحجاج بن يوسف لما قرأ القصة رقى المنبر وكان فصيحا فقال ايّها الناس ان الله تعالى سلّطني عليكم باعمالكم فان انا مُتُّ فانتم لا تخلصون من الجور مع هذه الاعمال السيئة لان الله تعالى خلق امثالي خلقا كثيرا واذا لم اكن انا كان من هو اكثر مني شرا واعظم جورا واشدّ سطوة كما قال الشاعر في معنى ذلك

وَمَا مِنْ يَدٍ اِلَّا يَدُ اللّٰهِ فَوْقَهَا وَمَا ظَالِمٍ اِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمٍ

والجور يخاف منه والعدل اصلح كل شيء نسأل الله ان يصلح احوالنا

ومما يحكى

انه كان ببغداد رجل ذو مقدار وكان موسرا بالمال والعقار وهو من التجار الكبار وقد وسّع الله عليه دنياه ولم يبلغه من الذرية ما يتمنّاه ومضت عليه مدة من الزمان ولم يرزق بانات ولا ذكران فكبر سنه ورقّ عظمه وانحنى ظهره وكثر وهنه وهمّه فخاف ذهاب

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الرجل الحاج لما شرب من ماء العين المرّ لكثرة ما لحقه من العطش ثم عاد للعجوز وقال لها اعجب ايتها العجوز منك ومن مقامك بهذا الموضع واغتذائك بهذا الطعام وشريك من هذا الماء قالت له العجوز فكيف تكون بلادكم قال لها ان في بلادنا الدور الواسعة الرحبة والفواكه اليانعة اللذيذة والمياه الغزيرة العذبة والاطعمة الطيبة واللحوم السمينة والغنم الكثيرة وكل شيء طيب والخيرات الحسان اللاتي لا يكون مثلهن الّا في الجنة التي وصفها الله تعالي لعباده الصالحين فقالت العجوز قد سمعت هذا كله فقل لي هل يكون لكم من سلطان يحكم عليكم ويجور في حكمه وانتم تحت يده وان اذنب احد منكم اخذ امواله واتلفه واذا اراد اخرجكم من بيوتكم واستأصل شأفتكم فقال لها الرجل قد يكون ذلك فقالت العجوز إذن والله يكون ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف والنعم اللذيذة مع الجور والظلم سمّا ناقعا وتعود اطعمتنا مع الامن دريئا نافعا اما سمعت ان اجل النعم بعد الاسلام الصحة والامن وانما يكون هذا من عدل السلطان خليفة الله في ارضه وحسن سياسته وكان من تقدّم من السلاطين يحب ان يكون له ادنى هيبة بحيث اذا رأته الرعية خافوه وسلطان هذا الزمان يحبّ ان يكون له اوفى سياسة واتمّ هيبة لان الناس الآن ليسوا كالمتقدمين وزماننا هذا زمان ذوي الوصف الذميم والخطب الجسيم حيث اتصفوا بالسفاهة والقساوة وانطووا على البغضاء والعداوة واذا كان السلطان والعياذ بالله تعالى بينهم ضعيفا او غير ذي سياسة وهيبة فلا شك

Digitized by Google

الى تمام الاربعين يوما و استقل الملك حسن ابن الوزير بالملك و فرحت به الرعية وكانت ايامه كلها سرورا ومازال والده وزيرا كبيرا على ميمنته واتخذ له وزيرا آخر على ميسرته واستقامت الاحوال و مكث مَلِكا في بغداد مدة مستطيلة ورزق من بنت الملك ثلثة اولاد ذكور وتوارثوا المملكة من بعده وصاروا في ارغد عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات و مفرّق الجماعات فسبحان من له الدوام وبيده النقض والابرام

ومما يحكى

ان رجلا من الحجاج نام نومة طويلة ثم انتبه فلم ير الحجاج اثرا فقام يمشي فضلّ عن الطريق وساريسيرا الى ان رأى خيمة ورأى امرأة عجوزا على باب الخيمة ووجد عندها كلبا نائما فدنا من الخيمة ثم سلّم على العجوز وطلب منها طعاما فقالت امض الى ذلك الوادي واصطد من الحيات بقدر كفايتك لاشوي لك منها واطعمك فقال لها الرجل انا لا اجسر على ان اصطاد الحيات وما اكلتها قط فقالت العجوز انا امضي معك واتصيد منها فلا تخف ثم انها مضت معه وتبعها الكلب فاصطادت من الحيات بقدر الكفاية وجعلت تشوي منها قال فلم ير الرجل الحاج من الاكل بدّا وخاف من الجوع والهزال فاكل من تلك الحيات ثم انه عطش فطلب من العجوز ماء ليشرب فقالت له دونك والعين فاشرب منها فمضى الى العين فوجد ماءها مُرّا ولم يجد له من شربه بدا مع شدّة مرارته لما لحقه من العطش فشرب ثم عاد للعجوز وقال لها عجبا منك ايتها العجوز ومن مقامك بهذا الموضع ومكثك في هذا المكان وادرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

عظيما وخلع على ارباب الدولة الخلع السنية ثم انفض الديوان ودخل حسن على والد زوجته وقبل يديه فقال له يا حسن عليك بتقوى الله في الرعية وادرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك حسن لما فرغ من الديوان دخل على والد زوجته وقبل يديه فقال له يا والدي عليك بتقوى الله في الرعية فقال له بدعائك لي يا والدي يحصل لي التوفيق ثم دخل سرايته فلاقته زوجته هي وامها واتباعهما وقبلوا يديه وقالوا له يوم مبارك وهنّوه بالمنصب ثم قام من سرايته ودخل سراية والده وفرحوا فرحا زائدا بما انعم الله به عليه من تقليد الملك واوصاه والده بتقوى الله والشفقة على الرعية وبات تلك الليلة في فرح وسرور الى الصباح ثم صلى فرضه وختم وِرده وطلع الى الديوان وطلع اليه كامل العسكر وارباب المناصب فحكم بين الناس وامر بالمعروف ونهى عن المنكر وولّى وعزل ولم يزل في الحكومة الى آخر النهار ثم انفض الديوان على احسن حال وانصرف العسكر وسار كل واحد منهم الى حال سبيله ثم قام ودخل السراية فرأى والد زوجته قد ثقل عليه الضعف فقال له لا بأس عليك ففتح عينيه وقال له يا حسن قال لبيك يا سيدي قال له انا الآن قد قرب اجلي فكن متوصيا بزوجتك ووالدتها وعليك بتقوى الله وببرّ والديك واخش مهابة المَلِك الدّيّان واعلم بان الله يأمر بالعدل والاحسان فقال له الملك حسن سمعا وطاعة ثم ان الملك القديم اقام ثلثة ايام بعد ذلك وتوفي الى رحمه الله تعالى فجهزوه وكفنوه واعملوا له القراأت والختمات

Digitized by Google

و سلموا عليه وقالوا نحن الجميع قد حضرنا بين يديك فقال لهم الملك يا امراء بغداد من ترضو يكون عليكم ملكا بعدي لاجل ان ابايعه في حيوتي قبل مماتي فى حضوركم جميعا فقالوا كلهم قد اتفقنا على حسن ابن الوزير علي زوج ابنتك فقال لهم ان كان الامر كذلك فقوموا جميعا و احضروه بين يدي فقاموا جميعا و دخلوا سرايته و قالوا له قم بنا الى الملك فقال لهم لاي شيء فقالوا له لامر فيه صلاح لنا و لك فقام معهم حتى دخلوا على الملك فقبل حسن الارض بين يديه فقال له الملك اجلس ياولدي فجلس فقال له ياحسن ان الامراء جميعا استرضوا عنك واتفقوا على ان يجعلوك ملكا عليهم من بعدي و قصدي ان ابا يعك في حيوتي لاجل انفضاض الامر فعند ذلك قام حسن وقبل الارض بين يدى الملك وقال له يامولانا الملك ان فى الامراء من هو اكبر مني سنا واعلا قدرا فا قيلوني من ذلك الامر فقالت الامراء جميعا لانرضى الا ان تكون ملكا علينا فقال لهم ان ابي اكبر مني وانا وابي شيء واحد و لا يصح تقديمي عليه فقال له ابوه انا لا ارضى الا بمارضي به اخواني وقد رضوا بك واتفقوا عليك فلا تخالف امر الملك ولا امر اخوانك فاطرق حسن برأسه الى الارض حياء من الملك و من ابيه فقال لهم الملك هل رضيتم به قالوا رضينا به فقرأوا جميعا على ذلك فواتح سبع ثم قال الملك يا قاضي اكتب حجة شرعية على هؤلاء الامراء انهم اتفقوا على سلطنة حسن زوج بنتي وانه يكون عليهم ملكا فكتب الحجة بذلك وامضاها بعد ان بايعوه جميعا على الملك وبايعه الملك وامره بالجلوس على كرسي المملكة فقاموا جميعا وقبلوا ايادى الملك حسن ابن الوزير وابدوا له الطاعة فحكم في ذلك النهار حكما

Digitized by Google

يتحدث مع الوزير يمشي له ليلا اويرسل اليه يحضره وكذلك حسن وامه وابوه وما زالوا مع بعضهم في حالة مرضية وعيشة هنية وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك والوزير وابنه ما زالوا مع بعضهم في حالة مرضية وعيشة هنية مدة من الزمان ثم ان الملك حصل له ضعف وزاد سقمه فاحضر اكابر دولته وقال لهم انه حصل لي مرض شديد وربما كان مرض الموت وقد احضرتكم لاشاوركم في امر فشوروا عليّ بما ترونه حسنا فقالوا ما الرأى الذي تشاورنا فيه ايّها الملك فقال اني صرت كبيرا وقد مرضت واخاف على المملكة بعدي من الاعداء وقصدي ان تتفقوا انتم الجميع على واحد حتى ابايعه على المملكة في حيوتي لكي ترتاحوا فقالوا جميعا نحن نرضى كلنا بزوج ابنتك حسن ابن الوزير علي فاننا رأينا عقله وكماله وفهمه وهو يعرف مقام الكبير والصغير فقال لهم الملك وهل رضيتم بذلك قالوا نعم قال لهم ربما تقولون ذلك بين يدي حياء مني وفي خلفي تقولون غير ذلك فقالوا جميعا والله ان كلامنا ظاهرا وباطنا واحد لا يتغير وقد ارتضيناه بطيب قلوبنا وانشراح صدورنا فقال لهم ان كان الامر كذلك فاحضروا قاضي الشرع الشريف وسائر الحجاب والنواب وارباب الدولة جميعا بين يدي فى غد ونتمّم الامر على احسن حال فقالوا له سمعا وطاعة ثم انصرفوا من عنده ونبهوا على كامل العلماء ووجهاء الناس من الامراء فلما اصبح الصباح طلعوا الى الديوان وارسلوا الى الملك يستأذنونه فى الدخول عليه فاذن لهم فدخلوا

Digitized by Google

للقاضي اكتب كتاب بنتي حسن الوجود على حسن بن التاجر علي المصري فكتب كتابه عليها و تمّ الامر على احسن حال و انصرف كل من في الديوان الى حال سبيله و نزل التجار خلف الوزير علي المصري الى ان وصل الى منزله وهو في منصب الوزارة ثم هنّوه بذلك و انصرفوا الى سبيلهم ثم دخل الوزير عليّ المصري على زوجته فرأته لا بسا خلعة الوزراة فقالت له ما هذا فحكى لها الحكاية من اولها الى آخرها و قال لها ان الملك زوّج ابنته لحسن ولدي ففرحت بذلك فرحا زائدا ثم بات عليّ المصري تلك الليلة و لما اصبح الصباح طلع الديوان فلاقاه الملك ملاقاة حسنة و اجلسه الى جانبه و قربه منه و قال له يا وزير قصدنا اننا نقيم الفرح وندخل ابنك علي بنتي فقال يا مولانا السلطان ما تراه حصنا فهو حسن فامر الملك بقيام الفرح و زيّنوا المدينة و استمروا في اقامة الفرح ثلثين يوما وهم في هناء و سرور و في تمام الثلثين يوما دخل حسن بن الوزير على بنت الملك وتمتّع بحسنها وجمالها* و اما زوجة الملك فانها حين رأت زوج ابنتها احبّته حبا شديدا وكذلك فرحت بامه فرحا زائدا ثم ان الملك امر لحسن ابن الوزير بسراية فبنوا له سراية عظيمة بسرعة وسكن فيها ابن الوزير و صارت امه تقعد عنده اياما ثم تنزل الى بيتها فقالت زوجة الملك لزوجها يا ملك الزمان ان والدة حسن لا يمكنها ان تقعد عند ولدها و تترك الوزير و لا يمكنها ان تقعد عند الوزير و تترك ولدها فقال صدقت و امر ان تبني سراية ثالثة بجنب سراية حسن ابن الوزير فبنوا سراية ثالثة في ايام قلائل و امر الملك ان ينقلوا حوائج الوزير الى السراية فنقلوها و سكن بها الوزير و صارت الثلث سرايات نا فذات لبعضها فاذا اراد الملك ان

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان ملك مدينة بغداد لما عرض الهدية على زوجته واخبرها بشمائل التاجر علي الجوهري وانه يريدان يزوجه ابنته قال لها فما تقولين انت في جوابك قالت له الامر لك ولك يا ملك الزمان والذي يريده الله هو الذي يكون فقال ان شاء الله تعالى لا نزوجها الا لهذا الشاب وبات تلك الليلة فلما اصبح الصباح طلع الى ديوانه وامر باحضار التاجر علي المصري وكامل تجار بغداد فحضروا جميعا فلما تمثلوا بين يدي الملك امرهم بالجلوس فجلسوا ثم قال احضروا قاضي الديوان فحضر بين يديه فقال له يا قاضي اكتب كتاب ابنتي على التاجر علي المصري فقال علي المصري العفو يا مولانا السلطان لا يصح ان يكون صهر الملك تاجرا مثلي فقال الملك قد انعمت عليك بذلك و بالوزارة ثم خلع عليه خلعة الوزارة في الحال فعند ذلك جلس على كرسي الوزارة وقال يا ملك الزمان انت انعمت علي بذلك وقد تشرفت بانعامك ولكن اسمع لي كلمة اقولها لك فقال قل ولا تخف قال حيث صدر امرك الشريف بزواج ابنتك فينبغي ان يكون زواجها لولدي فقال هل لك ولد قال نعم فقال الملك ارسل اليه في هذه الساعة فقال سمعا وطاعة ثم ارسل واحدا من مماليكه الى ولده واحضره فلما حضر بين يدي الملك قبل الارض بين يديه ووقف متأدبا فنظر اليه الملك فرأه اجمل من بنته واحسن منها قدا واعتدالا وبهجة وكمالا فقال له ما اسمك يا ولدي فقال يا مولانا السلطان اسمي حسن وكان عمره حينئذ اربعة عشر عاما فقال الملك

Digitized by Google

ثم قدم الاربع صواني بين يديه فكشف عنهـا الملك وتأملها فرأى فيها شيأ من الجواهر لم يكن عنده مثله وقيمتد تساوي خزائن مال فقال له هديّتك مقبولة يا تاجر وان شاء الله تعالى نجازيك بمثلهـا فقبّل يدى الملك وانصرف من عنده فاحضر الملك اكابر دولتـه وقال لهم كم ملك من الملـوك خطب ابنتي فقالوا له كثير فقال لهم هل احد منهم هاداني بمثل هذه الهدية فقالوا جميعـا لا لانه لايوجد عند احد منهم مثل هذه قطّ فقال الملك استخرت الله تعالى في ان ازوج ابنتي لهذا التـاجر فما تقولون فقالوا له الامر كما ترى فامر الطواشية ان يحملوا الاربع صواني بما فيها ويدخلوها الى سرايته ثم اجتمع بزوجته ووضع الصواني بين يديهـا فكشفت عنها فرأت فيها شيأ لم يكن عندها مثله ولا قطعة واحدة فقالت له من ايّ الملوك هذا لعلّه من احد الملوك الذين خطبوا بنتك فقال لا وانما هذا من رجل تاجر مصري جاء عندنا في هذه المدينة فلما سمعت بقدومه ارسلت اليه رسولا يحضره لناكي نصاحبه لعلّنا نجد عنده شيأ من الجواهر فنشتريه منه من اجل جهاز بنتنا فامتثل امرنا وجاء لنا بهذه الاربع صواني وقدمها لنا هدية فرأيته شابا حسنا ذا مهابة وعقل كامل وشكل ظريف يكاد ان يكون من ابناء الملوك فلما رأيته مال اليه قلبي وانشرح له صدري واحببت ان ازوّجه بنتي وقد عرضت الهدية على ارباب دولتي وقلت لهم كم واحد من الملوك خطب ابنتي فقالوا كثير فقلت لهم وهل جاءني احد منهم بمثل ذلك فقالوا كلهم لا والله يا ملك الزمان انه لايوجد عند احد منهم مثل ذلك فقلت لهم اني استخرت الله تعالى في ان ازوجه ابنتي فما تقولون قالوا الامر كما تراه فما تقولين انت في جوابكِ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

من فضل ربي فاني خرجت من عندك بمصر وطلعت وانا لا ادري اين اذهب فتمشيت حتى وصلت الى بولاق فوجدت مركبا مسافرة الى دمياط فنزلت فيها فلما وصلت الى دمياط قابلني رجل تاجر كان يعرف والدي فاخذني واكرمني وقال لي الى اين تسافر فقلت له اريدان اسافر الى دمشق الشام فان لي فيها اصحابا وحكى لها على ما وقع له من اوله الى آخره فقالت له ياسيدي هذا كله ببركة دعاء والدك حين كان يدعو لك قبل موته ويقول اسأل الله ان لا يوقعك في شدة الا ويدركك بالفرج القريب فالحمد لله تعالى حيث اتاك بالفرج وعوّض عليك باكثر مما ذهب منك فبالله عليك ياسيدى لاتَعُدْ الى ماكنت فيه من عشرة اصحاب الشبه وعليك بتقوى الله تعالى فى السرّ والعلانية وصارت توصيه فقال لها قبلت وصيتك واسأل الله تعالى ان يبعد عنا اقران السوء وان يوفقنا لطاعته واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وصار هو وزوجته واولاده في ارغد عيش ثم انه اخذ له دكانا في سوق التجار ووضع فيه شيأ من الجواهر والمعادن المثمنة وجلس فى الدكان وعنده اولاده ومماليكه وصار اجلّ التجار في مدينة بغداد فسمع بخبره ملك بغداد فارسل اليه رسولا يطلبه فلما جاء الرسول قال له اجب الملك فانه يطلبك فقال سمعا وطاعة ثم جهز هدية للملك فاخذ اربع صواني من الذهب الاحمر وملأ ها من الجواهر والمعادن التي لايوجد مثلها عند الملوك واخذ الصواني وطلع بها الى الملك فلما دخل عليه قبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم واحسن ما به تكلم فقال له الملك يا تاجر قد آنست بلادنا فقال له يا ملك الزمان ان العبد اتاك بهدية ويرجو من فضلك قبولها

Digitized by Google

و بين بغداد بعيدة اوقريبة فقالوا لي قريبة فما بيننا و بينها غير سواد الليل ثم اركبونا في التختر و ان فما اصبح الصباح الّا و نحن عندكم و لم يحصل لنا ضرر ابدا فقال لها ومن اعطاكم هذا الملبس فقالت مقدم القافلة فتح صندوقا من الصناديق التي على البغال واخرج منه هذه الحلل فالبسني حلة والبس اولادك كل واحد حلة ثم قفل الصندوق الذي اخذ منه الحلل واعطاني مفتاحه وقال لي احرسي عليه حتى تعطيه لزوجك وها هو محفوظ عندي ثم اخرجته له فقال لها هل تعرفين الصندوق قالت نعم اعرفه فقام و نزل معها الى الحواصل و ارا ها الصناديق فقالت له هذا هو الصندوق الذي اخذ منه الحلل فاخذ المفتاح منها و حطه فى القفل وفتحه فرأى فيه حللا كثيرة ورأى فيه مفاتيح كامل الصناديق فاخذها منه وصار يفتح الصناديق صندوقا بعد صندوق و يتفرّج على ما فيها من الجواهر و المعادن الكنوزية التي لم يوجد عند احد من الملوك نظيرها ثم قفلها و اخذ مفاتيحها و طلع هو وزوجته الى القاعة و قال لها هذا من فضل الله تعالى ثم بعد ذلك اخذها و توجه الى الرخامة التي فيها اللولب وفركه وفتح باب الخزانة ودخل هو واياها وفرجها على الذهب الذي وضعه فيها فقالت له من اين جاءك هذا كله فقال لها جاءني من فضل ربّي فاني خرجت من عندك بمصر وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما فرج التاجر علي المصري زوجته على الذهب قالت له من اين جاءك هذا كله فقال لها جاءني

Digitized by Google

رجالا و نساء و لما رجع التجار الى اماكنهم صاروا يرسلون اليه الهدايا على قدر احوالهم و صارت الحريمات يهـادين الحريم الي ان جاءلهم شيء كثير من جوار وعبيد و مما ليـك ومن كامل الاصناف كالحبوب و السكر و غير ذلك من الخير الذي لايحصى * واما التاجر البغدادي صاحب البيت الذي هو فيه فانه استمر مقيما عنده ولم يفارقه وقال له خل العبيد والخدم يدخلون البغال و غيرها من البهائم فى بيت من البيوت لاجل الراحـة فقال له انهم مسافرون فى هذه الليلة الى محل كذا واعطاهم اجازة بان يخرجوا الى خارج المدينة حتى يأتي الليل يسافرون فما صدقوا ان يعطيهم الا جازة بذلك حتى اخذوا خاطره وانصرفوا الى ظاهر المدينة وطاروا فى الهواء الى اماكنهم وقعد التاجر علي مع صاحب البيت الذي هو فيه الى ثلث الليل ثم انفض مجلسهما وذهب صاحب البيت الى محله وطلع التاجر علي الى حريمه و سلم عليهم وقال لهـم ما الذي جرى لكم بعدي فى هذه المدة فاخبرته زوجته بما قاسوه من الجوع و العري والتعب فقال لها الحمد لله على السلامة وكيف جئتم فقالت يا سيدي انا نائمة مع اولادي ليلة البارحة فلم اشعر الا والذى رفعني عن الارض انا واولادي الى ان صرنا طـائرين فى الهواء ولكن لم يحصل لنا ضرر ولم نزل طائرين حتى نزلنا على الارض فى مكان على شكل حلّة العرب فرأينا هناك بغالا محملة وتختروانا على بغلتين كبيرتين وحوله خدم من غلمان ورجال فقلت لهم من انتم و ما هذه الاحمال و نحن في اي مكان فقالوا نحن خدام التاجر علي المصري ابن التاجر حسن الجوهري و قد ارسلنـا نأخذكم و نوصلكم اليه فى مدينة بغداد فقلت لهم وهل المسافة التي بيننا

Digitized by Google

وبان عن بغال ورجال وعكامة وفراشين وضو يه وهم مقبلون في غناء ورقص الى ان اقبلوا فتقدم مقدم العكامة الى علي المصري ابن التاجر حسن الجوهري وقبل يده وقال له يا سيدي اننا تعوقنا في الطريق لاننا اردنا الدخول بالامس فخفنا من قطاع الطريق فمكثنا اربعة ايام ونحن مقيمون في محلنا الى ان صرفهم الله تعالى عنا فقام التجار وركبوا بغالهم وساروا مع القافلة وتأخرت الحريمات عند حريم التاجر علي المصري الى ان ركبوا معهم ودخلوا في موكب عظيم وصار التجار يتعجبون من البغال المحملة بالصناديق ونساء التجار يتعجبن من ملبس زوجة التاجر علي وملبس اولادها ويقلن ان هذه الملابس لا يوجد مثلها عند ملك بغداد ولا غيره من سائر الملوك والاكابر والتجار ولم يزالوا سائرين في موكبهم الرجال مع التاجر علي المصري والنساء مع حريمه الى ان دخلوا المنزل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم لم يزالوا سائرين في موكبهم الرجال مع الرجال والنساء مع حريمه حتى دخلوا المنزل ونزلوا وادخلوا البغال باحمالها في وسط الحوش ثم نزلوا الاحمال وخزنوها في الحواصل وطلع الحريمات مع الحريم الى القاعة فرؤها مثل الروضة الغناء مفروشة بالفرش العظيم فجلسوا في حظ وسرور واستمروا جالسين الى وقت الظهر فطلع الغداء لهم على احسن ما يكون من انواع الاطعمة والحلويات فاكلوا وشربوا الشربات العظيمة وتطيبوا بعدها بماء الورد والبخور ثم اخذوا خاطره وانصرفوا الى محلاتهم

Digitized by Google

ما فعل الله بك قال خيرا و ما نمت الافرق فى القاعة المرخمة فقال له هل اتاك شيء و نظرت شيأ قال لا و انما قرأت ما تيسّر من القرأن العظيم و نمت الى الصباح ثم قمت و توضأت وصليت و نزلت وجلست على هذه المسطبة فقال الحمدلله على السلامة ثم قام من عنده وارسل اليه عبيدا و مما ليك و جوارى وفرشا فكنسوا البيت من فوق وتحت و فرشوه له فرشا عظيما وبقي عنده ثلثة مما ليك وثلثة عبيد واربع جوار للخدمة والباقي توجهوا الى بيت سيدهم و لما سمع بخبره التجار ارسلوا اليه هدايا من كل شيء نفيس حتى من المأكول و المشروب و الملبوس و اخذوه عندهم فى السوق و قالوا له متى تجيء حملتك فقال لهم بعد ثلثه ايام تدخل فلما مضت الثلثة ايام جاء له خادم الكنز الاول الذي انزل له الذهب من البيت وقال له قم لاقِ الكنز الذي جئت لك به من اليمن وحريمك وصحبتهم من جملة الكنز مال على صورة المتجر العظيم وجميع ما معه من البغال والخيل والجمال والخدم والمما ليك كلهم من الجان وكان ذلك الخادم قد توجه الى مصر فرأى زوجة علي واولاده في هذه المدة صاروا فى عري وجوع زائد فحملهم من مكانهم في تختروان خارجا عن مصر و البسهم خلعا عظيمة من الخلع التي في كنز اليمن فلما جاء له واخبره بذلك الخبر قام وتوجه الى التجار وقال لهم قوموا بنا نطلع خارج المدينة لنلاقي القافلة التي فيها متجرنا و تشرفونا بحريماتكم لاجل ملاقاة حريمنا فقالوا له سمعا وطاعة ثم ارسلوا احضروا حريمهم وطلعوا جميعا وقعدوا في بستان من بساتين المدينة وجلسوا يتحدثون فبينما هم في الحديث واذا بغبار قد ثار من كبد البر فقاموا ينظرون ما سبب ذلك الغبار فانكشف

Digitized by Google

فقال نعم قال له احلف لي فحلف له واراد ان يتوجه فقال له علي المصري بقي لي عندك حاجة قال وماهي قال لي زوجة واولاد بمصر في المحل الفلاني ينبغي ان تأتيني بهم على راحة من غير ضرر فقال له آتيك بهم في موكب وتختروان وخدم وحشم مع الكنز الذي نأتيك به من بلاد اليمن ان شاء الله تعالى ثم اخذ منه اجازة على ثلثة ايام ويكون جميع ذلك عنده وتوجه فاصبح علي يدور في القاعة على محل يأوي فيه الذهب فرأى رخامة على طرف ليوان القاعة وفيها لولب ففرك اللولب فانزاحت الرخامة وبان له باب ففتحه ودخل فرأى خزنة كبيرة وفيها اكياس من القماش محيطة فصار يأخذ الاكياس ويملوءها من الذهب ويدخلها في الخزنة الى ان حوّل الذهب جميعه وادخله الخزنة وقفل الباب وفرك اللولب فرجعت الرخامة محلها ثم قام ونزل وقعد على المسطبة التي وراء الباب فبينما هو قاعد واذا بطارق يطرق عليه الباب فقام وفتحه فرأته عبد صاحب البيت فلما رأته العبد جالسا رجع بسرعة الى سيده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد صاحب البيت لما جاء وطرق الباب على علي المصري ابن التاجر حسن فتح له الباب فلما رأته جالسا رجع بسرعة الى سيده ليبشره فلما وصل الى سيده قال له يا سيدي ان التاجر الذي سكن في البيت المعمور بالجن طيب بخير وهو جالس على المسطبة التي وراء الباب فقام سيده وهو فرحان وتوجه الى ذلك البيت ومعه الفطور فلما رأته عانقه وقبله بين عينيه وقال له

Digitized by Google

المسطبة التي خلف الباب ورجع ثم بعد ذلك قام علي المصري ودخل فرأى بئرا في حوش البيت وعليها منطال فانزله في البئر وملأه وتوضأ منه وصلّى فرضه وجلس قليلا فجاء له العبد بالعشاء من بيت سيده وجاء له بقنديل وشمعة وشمعدان وطشت وابريق وقُلّة ثم تركه وتوجه الى بيت سيده فقاد الشمعة وتعشّى وانبسط وصلى العشاء وقال في نفسه قم اطلع فوق وخذ الفرش ونم هناك احسن من هنا فقام واخذ الفرش واطلعه فوق فرأى قاعة عظيمة سقفها مذهب وارضها وحيطانها بالرخام الملوّن ففرش فرشه وجلس يقرأ شيأ من القرآن العظيم فلم يشعر الّا وشخص يناديه ويقول له يا علي يا ابن حسن هل انزل عليك الذهب قال له واين الذهب الذي تنزله فما قال له ذلك حتى صبّ عليه ذهبا كالمنجنيق ولم يزل الذهب منصبّا حتى ملأ القاعة فلما فرغ انصباب الذهب قال له اعتقني حتى اتوجه الى حال سبيلي فقد فرغت خدمتي واوصلت اليك امانتك فقال له علي المصري اقسمت عليك بالله العظيم ان تخبرني عن سبب هذا الذهب فقال له ان هذا الذهب كان مرصودا عليك من قديم الزمان وكان كل من دخل هذا البيت نأتيه ونقول له يا علي يا ابن حسن هل ننزل الذهب فيخاف من كلامنا ويصرخ فننزل له ونكسر رقبته ونروح فلما جئتَ انت وناديناك باسمك واسم ابيك وقلنا لك هل ننزل الذهب قلتَ لنا واين الذهب فعرفنا انك صاحبه فانزلناه وبقي لك كنز في بلاد اليمن فاذا سافرتَ واخذتَه واتيت الى هناك كان اولى لك واريد منك ان تعتقني حتى اروح الى حال سبيلي فقال والله ما اعتقك الّا اذا اتيتني بالذي في بلاد اليمن الى هنا فقال له اذا اتيتك به هل تعتقني وتعتق خادم ذلك الكنز

Digitized by Google

انا والعبد حتى وصلنا الى درب فيه ثلثة بيوت بجانب بعضها جديدة مقفولة ففتح اول بيت وتفرجت عليه وخرجنا وتوجهنا الى الثاني ففتحه وتفرجت عليه فقال لي ايّهما اعطيك مفتاحه فقلت له وهذا البيت الكبير لِمَنْ قال لنا قلت له افتحه لاجل ان نتفرج عليه فقال ليس لك به حاجة فقلت له لِمَ ذلك فقال لانه معمور ولم يسكنه احد الّا ويصبح ميتا ولانفتح با به لاخراج الميت منه بل نطلع على سطح احد البيتين ونخرجه منه فمن ذلك تركه سيدي وقال انا ما بقيت اعطيه لاحد فقلت افتحه لي حتى اتفرّج عليه وقلت في نفسي هذا هو المطلوب فا بيت فيه واصبح ميتا وارتاح من هذا الحال الذي انا فيه ففتحه ودخلته فرأيته بيتا عظيما لا مثيل له فقلت للعبد انا ما اختار الّا هذا البيت فاعطني مفتاحه فقال لي العبد لا اعطيك المفتاح حتى اشاور سيدي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العبد قال لي لا اعطيك المفتاح حتى اشاور سيدي ثم توجه الى سيده وقال له ان التاجر المصري يقول ما اسكن الّا في البيت الكبير فقام وجاء الى عليّ المصري وقال له ياسيدي ليس لك بهذا البيت حاجة فقال له علي المصري ما اسكن الّا فيه ولا ابالي بهذا القول فقال له اكتب بيني وبينك حجة انه اذا حصل لك شيء لا علاقة لي بك قال كذلك فاحضر شاهدا من المحكمة وكتب عليه حجة واخذها عنده واعطاه المفتاح فاخذه ودخل البيت فارسل اليه التاجر فرشا مع عبد فرشه له على

Digitized by Google

ان بقي بينهم و بين بغداد مسافة يوم واحد فطلع على القافلة جماعة من قطاع الطريق فاخذوا كامل ما معهم ولم ينج منهم الّا القليل فسار كل واحد من القافلة يقصد محلا يأوي اليه * واما علي المصري فانه قصد بغداد ثم وصل اليها عند غروب الشمس وما حصل باب المدينة حتى رأى البوابين مرادهم ان يقفلوا الباب فقال لهم دعوني ادخل عندكم فادخلوه عندهم و قالوا له من اين اتيت والى اين تسير فقال انا رجل من مدينة مصر ومعي تجارة و بغال واحمال وعبيد وغلمان فسبقتهم لكي انظرلي محلا احط فيه تجارتي فلما سبقتهم وانا راكب على بغلتي قابلني جماعة من قطاع الطريق فاخذوا بغلتي وحوائجي وما نجوت منهم الّا وانا على آخر رمق فاكرموه وقالوا له مرحبابك فبت عندنا الى الصباح ثم ننظر لك محلا يليق بك ففتش في جيبه فرأى دينارا كان باقيا من الدنانير التي اعطاها له التاجر في بولاق فاعطى ذلك الدينار لواحد من البوابين و قال له خذ هذا واصرفه وأتنا بشيء نأكله فاخذه وذهب الى السوق وصرفه وجاء له بخبز ولحم مطبوخ فاكل هو واياهم ونام عندهم الى الصباح ثم اخذه رجل من البوابين وتوجه به الى رجل من تجار بغداد وحكى له حكايته فصدقه ذلك الرجل وظن انه تاجر ومعه احمال فاطلعه دكانه واكرمه وارسل الى منزله فاحضر له بدلة عظيمة من ملبوسه وادخله الحمام * قال علي المصري بن التاجر حسن الجوهري فدخلت معه الحمام وعند خروجنا اخذني و توجه بي الى منزله واحضر لنا الغداء فاكلنا وانبسطنا وقال لواحد من عبيده يا مسعود خذ سيدك واعرض عليه البيتين اللذين في المكان الفلاني والذي يعجبه منهما اعطه مفتاحه وتعال فتوجهت

Digitized by Google

زوجها فقالت لها مرحبا بك واهلا وسهلا فجميع ما تحتاجينه اطلبيه
مني من غير مقابل فقالت لها جزاك الله خيرا ثم اعطتها ما يكفيها
هي وعيالها مؤنة شهر كامل فاخذته وتوجهت الى محلها فلما رأها
زوجها بكى وقال لها من اين لك ذلك فقالت له من فلانة فاني لما
اخبرتها بما حصل لنا لم تقصر في شيء وقالت لي جميع ما تحتاجين اليه
اطلبيه مني فعند ذلك قال لها زوجها حيث صار عندك هذا فانا
متوجه الى محل اقصده لعل الله تعالى يفرج عنا واخذ بخاطرها
وقبل اولاده ثم خرج ولم يعرف اين يقصد ومازال ماشيا حتى
وصل الى بولاق فرأى مركبا مسافرة الى دمياط فرأه رجل كان بينه
وبين ابيه صحبة فسلم عليه وقال له اين تريد قال اريد دمياط فان لي
اصحابا اسأل عنهم وازورهم ثم ارجع فاخذه الى بيته واكرمه
وعمل له زادا واعطاه شيأ من الدنانير وانزله في المركب المتوجهة
الى دمياط فلما وصلوا اليه طلع من المركب ولم يعرف اين
يقصد فبينما هو ماش اذ رأه رجل من التجار فحنّ عليه واخذه معه الى
منزله فمكث عنده مدة وبعد ذلك قال في نفسه والى متى
هذا القعود في بيوت الناس ثم طلع من بيت ذلك التاجر فرأى
مركبا مسافرة الى الشام فعمل له الرجل الذي كان نازلا عنده زادا
وانزله في تلك المركب وسافر حتى دخل دمشق فبينما هو ماش
في شوارعها اذ رأه رجل من اهل الخير فاخذه الى منزله فاقام عنده
مدة ثم بعد ذلك خرج فرأى قافلة متوجهة الى بغداد فخطر بباله
ان يسافر مع تلك القافلة ثم رجع الى التاجر الذي كان مقيما عنده
في منزله واخذ خاطره وطلع مع القافلة فحنّ الله سبحانه وتعالى
عليه رجلا من التجار فاخذه عنده وصار يأكل ويشرب معه الى

Digitized by Google

ولم يبق عنده شيءٌ يملكه الّا البيت الذي هو فيه فصار يقلع رخامه واخشابه ويتصرف فيها الى ان افناها جميعها ونظر في نفسه فلم يجد عنده شيـــأ يصرفه فباع البيت وتصرف في ثمنه ثم بعد ذلك جاءه الذي اشترى منه البيت وقال له انظرلك محلا فاني محتاج الى بيتي فنظر في نفسه فلم يجد عنده شيـأ يحتاج الى بيت غير زوجته وقد ولدت منه ولدا وبنتا ولم يبق عنده خدم غير نفسه وعياله فاخذ له قاعة في بعض الحيشان وسكن فيها بعد العزّ والدلال وكثرة الخدم والمال وصار لم يملـــك قوت يوم فقالت له زوجتـه مِنْ هذا كنت احذرك واقول لك احفظ وصية والدك فلم تسمع قولى فلا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم ومن اين تأكل الاولاد الصغـــار فقم وطف على اصحابك اولاد التجار لعلهم يعطونك شيـأ تتقوت به في هذا اليوم فقام وتوجه الى اصحابه واحدا بعد واحد وكل مَنْ توجه اليه منهم يواري وجهه منه ويسمعه مايكره من الكـــلام المؤلم ولم يعطه احد منهم شيأ فرجع الى زوجته وقال لها لم يعطوني شيأ فقامت الى جيرانها لتطلب منهم شيأ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيدان زوجة علي المصري بن التاجر حسن الجوهري لمارجع اليهـا زوجها من غير شيءٌ قامت الى جيرانها لتطلب شيأ يتقوّتون به في ذلك اليوم فتوجهت الى امرأة كانت تعرفها في الايام السابقة فلما دخلت عليها ورأت حالها قامت واخذتها بقبول وبكت وقالت لها ما الذي اصابكم فحكت لها جميع ماكان من

Digitized by Google

المدام المسكر فاكلوا ثم احضروا الشراب فقالوا له هذا الذي يذهب الحزن ويجلي السرور ولم يزالوا يحسّنونه له حتى غلبوا عليه فشرب معهم واستمرّوا في حديث وشرب الى آخر النهار ثم توجهوا الى منازلهم ولكن علّي المصري حصل له دوخة من الشراب فدخل على زوجته وهو بهذا الحال فقالت له ما بالك متغيرا فقال نحن اليوم كنا في حظ وانبساط ولكن بعض اصحابنا جاء لنا بماء فشرب اصحابي وشربت معهم فحصلت لي هذه الدوخة فقالت له زوجته يا سيدي هل نسيت وصية والدك وفعلت ما نهاك عنه من معاشرة اصحاب الشُبهات فقال لها ان هؤلاء من اولاد التجار ولم يكونوا اصحاب شبهات وانما هم اصحاب حظ وانبساط وما زال كل يوم مع اصحابه على هذه الحالة يتوجهون الى محل بعد محل وهم في اكل وشرب الى ان قالوا له قد فرغ دورنا وصار الدور عليك فقال لهم اهلا وسهلا ومرحبا ولمّا اصبح احضر كامل ما يحتاج اليه الحال من المأكل والمشرب اضعاف ما فعلوه واخذ معه الطباخين والفراشين والقهوجيه وتوجهوا الى الروضة والمقياس ومكثوا فيها شهرا كاملا على اكل وشرب وسماع وانبساط فلما مضى الشهر راى نفسه قد صرف جملة من المال لها صورة فغرّه ابليس اللعين وقال له لو صرفت كل يوم قدر الذي صرفته لم ينقص مالك فلم يبال بصرف المال واستمر على هذا الحال مدة ثلث سنوات وزوجته تنصحه وتذكره بوصية والده فلم يسمع كلامها الى ان نفد المال الذي كان عنده من النقود جميعه فصار يأخذ من الجواهر ويبيع ويصرف اثمانها الى ان انفدها ثم اخذ في بيع البيوت والعقارات حتى لم يبق منها شيء فلما نفدت صار يبيع في الضياع والبساتين واحدا بعد واحد الى ان ذهبت جميعها

Digitized by Google

والختمات الى تمام اربعين يوما وهو مقيم فى البيت لا يخرج الاّ الى المصلّى ومن يوم الجمعة الى الجمعة يزور والدة ولم يزل في صلوته وقراءته وعبادته مدة من الزمان حتى دخل عليه اقرانه من اولاد التجار وسلموا عليه وقالوا له الى متى هذا الحزن الذي انت فيه وترك شغلك وتجارتك واجتماعك على اصحابك وهذا امر يطول عليك ويحصل لجسدك منه ضرر زائد وحين دخلوا عليه كان صحبتهم ابليس اللعين يوسوس لهم فصاروا يحسنون له ان يخرج معهم الى السوق وابليس يغريه بموافقتهم الى ان وافقهم على الخروج معهم من البيت وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اولاد التجار لما دخلوا على التاجر علي المصري ابن التاجر حسن الجوهري حسّنوا له ان يخرج معهم الى السوق فوافقهم على ذلك لامر يريده الله سبحانه وتعالى وخرج معهم من البيت فقالوا له اركب بغلتك وتوجّه بنا الى البستان الفلاني لنتفرج فيه ويذهب عنك الحزن والفكر فركب بغلته واخذ عبده معه وتوجه معهم الى البستان الذي قصدوه فلما صاروا فى البستان ذهب واحد منهم وعمل الغداء واحضره في البستان فاكلوا وانبسطوا وجلسوا يتحدّثون الى آخر النهار ثم ركبوا وانصرفوا وسار كل منهم الى منزله وباتوا فلما اصبح الصباح جاؤا اليه وقالوا له قم بنا فقال لهم الى اين فقالوا الى البستان الفلاني فانه احسن من الاول وانزه فركب وتوجه معهم الى البستان الذي قصدوه فلما صاروا في البستان ذهب واحد منهم وعمل لهم الغداء واحضره الى البستان واحضر صحبته

Digitized by Google

لك تعب زائد وتندم على ما فرطتَ في وصيتي فقال له يا ابت كيف لا اسمع ولا اعمل بوصيتك مع ان طاعتك فرض عليّ وسماع قولك عليّ واجب فقال له يا ولدي اني خلفت لك اماكن وملّات وامتعة ومالا لا يحصى بحيث اذا كنت تنفق منه في كل يوم خمسمائة دينار لم ينقص عليك شيءٌ من ذلك ولكن يا ولدي عليك بتقوى الله واتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه مما امر به ونهى عنه في سنته وكُنْ مواظبا على فعل الخيرات وبذل المعروف وصحبة اهل الخير والصلاح والعلم وعليك بالوصية بالفقراء والمساكين وتجنّب الشُحّ والبخل وصحبة الاشرار وذوي الشُبُهات وانظر لخدمك وعيالك بالرأفة ولزوجتك ايضا فانها من بنات الاكابر وهي حامل منك لعل الله يرزقك منها بالذّرّيّة الصالحة وما زال يوصيه ويبكي ويقول له يا ولدي اسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم ان يخلصك من كل ضيق يحصل لك ويدركك بالفرج القريب منه فبكى الولد بكاء شديدا وقال يا والدي والله اني ذبت من هذا الكلام كأنّك تقول قول مودّع فقال له نعم يا ولدي انا عارف بحالي فلا تنس وصيتي ثم ان الرجل صار يتشهّد ويقرأ الى ان حضر الوقت المعلوم فقال لولده ادن مني يا ولدي قد نا منه فقبّله وفهق ففارقت روحه جسده وتوفي الى رحمة الله تعالى فحصل لولده غاية الحزن وعلا الضجيج في بيته واجتمعت عليه اصحاب والده فاخذ في تجهيزه وتشهيله واخرجه خرجة عظيمة وحملوا جنازته الى الصلوة فصلوا عليه وانصرفوا بجنازته الى المقبرة قد فنوه وقرأوا عليه ما تيسّر من القرأن العظيم ثم رجعوا الى المنزل فعزّوا ولده وانصرف كل واحد منهم الى حال سبيله وعمل له ولده الجمع

Digitized by Google

وما الفرق بين الخد و اللحية اَمَا علمت ان الله سبحانه و تعالى خلق فى السماء ملكا يقول سبحان من زين الرجال باللحى و النساء بالذوائب فلولا ان اللحى كالذوائب فى الجمال لما قرن بينهما يا رعناء ما لي افرش نفسي تحت الغلام الذي يعا جلني انزا له ويسا بقني انحلا له و اترك الرجل الذي اذا شمّ ضمّ واذا ادخل امهل واذا فرغ رجع واذا رهز اجادو كلما خلص عادفا تّعظت صاحبة الغلام بمقالتها و قالت سلوتُ صاحبي وربّ الكعبة

ومما يحكى

انه كان بمدينة مصر رجل تاجر وكان عنده شيءٌ كثير من مال ونقود وجواهر و معدن واملاك لا تحصى وكان اسمه حسن الجوهرى البغدادي وقد رزقه الله بولد حسن الوجه معتدل القد مورد الخد ذُوبهاء وكمال وبهجة وجمال فسمّاه عليا المصرى وقد علّمه القرأن والعلم والفصاحة والادب وصار بارعا في كامل العلوم وكان تحت يد والده فى التجارة فحصل لوالده مرض وزاد عليه الحال فايقن بالموت واحضر ولده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان التاجر الجوهري البغدادي لما مرض وايقن بالموت احضر ولده الذي اسمه علي المصرى وقال له يا ولدي ان الدنيا فانية والأخرة باقية وكل نفس ذائقة الموت والآن يا ولدى قد قربت وفاتي واريدان اوصيك وصية ان عملت بها لم تزل آمنا سعيدا الى ان تلقي الله تعالى وان لم تعمل بها فانه يحصل

Digitized by Google

فقلت لها لله درّك من عجوز ما اصدقك في اللهج بالحرام وكذبك في دعـــــــوى التوبـــــــــــة من الآثام

ومما يحكى

ان عليـا بن محمد بن عبد الله بن طاهر استعرض جارية اسمهـا مؤنس للشراء وكانت فاضلة اديبة شاعرة فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اعزّ الله الامير اسمى مؤنس وكان قد عرف اسمهـا قبل ذلك فاطرق ساعة ثم رفع رأسه اليها وانشد هذا البيـــــــت

مَاذَا تَقُولِينَ فِيمَنْ شَفَّهُ سَقَمٌ ... مِنْ اَجْلِ حُبِّكِ حَتَّى صَارَ حَيْرَانَا

فقالت اعزّ الله الامير وانشدت هذا البيـــــــــــت

اِذَا رَاَيْنَـــا مُحِبًّـــا قَدْ اَضَرَّ بِهِ ... دَاءُ الصَّبَابَةِ اَوْلَيْنَاهُ اِحْسَـــانَا

فاعجبته فاشتراها بسبعين الف درهم واولدها عبيـد الله بن محمد صاحب المـــــــــــــــــــــــأثر*

وقال

ابوالعينـــــــاء كان عنـــــد نا فى الدرب امرأتان احدٰهما تعشق رجلا والاخرى تعشق امردا فاجتمعتا ليلة على سطح احدٰهما وهو قريب من داري وهما لا يعلمان بي فقالت صاحبة الامرد للاخرى يا اختي كيف تصبرين على خشونة اللحية حينَ تقع على صدرك وقت لثمك وتقع شواربه على شفتيك وخديك فقالت لهـا يا رعناء وهل يزين الشجر الاّ ورقه والخيـــار الاّ زغبه وهل رأيت فى الدنيـــا اقبح من اقرع منتوف اَمَا علمت ان اللحية للرجل مثل الذوائب للمرأة

Digitized by Google

لَيْسَ الْغُلَامُ لَهَا عِدْلاً يُقَاسُ بِهَا وَهَلْ يُقَاسُ بِعُوْدِ النَّدِّ اَقْذَارُ

ثم قالت ياقوم لقد اخرجتماني عن قانون الحياء و دائرة احرار النساء الى ما لايليق بالعلماء من اللغو والفحشاء ولكن صدور الاحرار قبور الاسرار و المجالس بالامانات وانما الاعمال بالنيّات وانا استغفرالله العظيم لي ولكم و لسائر المسلمين انه هو الغفور الرحيم ثم سكتت فلم تجبنا عن شيءٍ بعد ذلك فخرجنا من عندها مسرورين بما استفدناه من مناظرتها متأسفين على مفارقتها

ومما يحكى

ان ابا سُوَيد قال اتفق انني انا وجماعة من اصحابي دخلنا بستانا يوما من الايام لنشتري شيأ من الفاكهة فرأينا في جانب ذلك البستان عجوزا صبيحة الوجه غير ان شعر رأسها ابيض وهي تسرحه بمشط من العاج فوقفنا عندها فلم تحتفل بنا و لم تغط رأسها فقلت لها ياعجوز لوصنعت شعرك اسود لكنت احسن من صبية فما منعك من ذلك فرفعت رأسها اليّ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان ابا سويد قال لما قلت للعجوز ذلك الكلام رفعت رأسها اليّ وحملقت العينين وانشدت هذين البيتين

وَصَبَغْتُ مَاصَبَغَ الزَّمَانُ فَلَمْ يَدُمْ صِبْغِي وَدَامَتْ صِبْغَةُ الْاَيَّامُ
اَيَّامَ اَرْفُلُ فِي ثِيَابِ شَبِيبَتِي وَاُنَاكُ مِنْ خَلْفِي وَمِنْ قُدَّامِي

Digitized by Google

فَإِنْ نَفَضُلُوهُ عَلَى غَيْرِهِ فَمَاذَاكَ إِلَّا لِجَهْلِ الْحَكَمْ

فلما فرغت من شعرها قالت للرجل سبحان الله العظيم وادرك شهر زادالصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان المرأة الواعظة لما فرغت من شعرها قالت للرجل سبحان الله العظيم كيف يخفى عليك ان كمال اللذة فى النساء وان النعيم المقيم لا يكون الّابهن وذلك ان الله سبحانه و تعالى وعد الانبياء والاولياء فى الجنة بالحور العين و جعلهن جزاء لاعمالهم الصالحة ولو علم الله تعالى ان في غيرهن لذة الاستمتاع لجزاهم به ووعدهم اياه وقال صلى الله عليه وسلم حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلوة وانما جعل الله الولدان خدما للانبياء والاولياء فى الجنة لان الجنة دارنعيم و تلذذ ولا يكمل ذلك الّا بخدمة الولدان و اما استعمالهم لغير الخدمة فهو من الخبال والوبال وما احسن قول الشـــــــــــاعر حيث قـــــــال

لَحَاجَةُ الْمَرْءِ فِي الْإِدْبَارِ إِدْبَارُ وَالْمَاءُ يُلْوَنُ إِلَى الْأَحْرَارِ أَحْرَارُ
كَمْ مِنْ ظَرِيفٍ لَطِيفٍ بَاتَ مُمْتَطِيًا رِدَفَ الْغُلَامِ فَأَضْحَى وَهْوَ عَطَّارُ
تَصْفَرُّ أَثْوَابُهُ مِنْ وَرْسِ فَقْحَتِهِ فَيَسْتَبِينُ لِذَاكَ الْخِزْيُ وَالْعَارُ
لَا يَسْتَطِيعُ جُحُودًا إِذْ تُقَلِّدُهُ يَوْمًا وَفِي ثَوْبِهِ لِلسَّلْحِ آثَارُ
كَمْ بَيْنَ ذَاكَ وَمَنْ بَاتَتْ مَطِيَّتُهُ حَوْرَاءُ نَاظِرُهَا بِالْلَّحْظِ سَحَّارُ
يَقُومُ عَنْهَا وَقَدْ أَهْدَتْ لَهُ أَرَجًا تَضَوَّعَتْ مِنْ غَوَالِي طِيبِهِ الدَّارُ

Digitized by Google

عليك لالك لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تديموا النظر الى المُرْدان فيهم لمحة من الحور العين فشبّه المرد بالحور العين ولاشك ان المشبّه به افضل من المشبّه فلولا ان النساء افضل واحسن لما شبّه بهن غيرهن * واما قولك ان الجارية تشبّه بالغلام فليس الامر كذلك بل الغلام يشبّه بالجارية فيقال هذا الغلام كأنّه جارية * واما ما استدللت به من الاشعار فهي ناشئة عن شذوذ الطبيعة عند الاعتبار * واما اللاطة العادون والفسقة المخالفون الذين ذمّهم الله تعالى في كتابه العزيز وانكر عليهم فعلهم الشنيع فقال أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعٰلَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ فهؤلاء الذين يشبهون الجارية بالغلام لغلوّهم في الفسق والعصيان واتباع النفس والشيطان حتى قالوا انها تصلح للامرين جميعا عدولا منهم عن سلوك طريق الحق عند الناس كما قال كبيرهم ابو نواس

مَمْشُوقَةُ الْخَصْرِ غُلَامِيَّةٌ تَصْلُحُ لِلُوطِيِّ وَالزَّانِي

واما ما ذكرته من حسن نبات العذار واخضرار الشارب وان الغلام يزداد به حسنا وجمالا فوالله لقد عدلت عن الطريق وقلت غير التحقيق لان العذار يبدل حسنات الجمال بالسيّأت ثم انشدت هذه الابيات

بَدَا الشَّعْرُ فِي وَجْهِهِ فَانْتَقَمْ لِعَاشِقِهِ مِنْهُ لَمَّا ظَلَمْ
وَلَمْ أَرَ فِي وَجْهِهِ كَالذُّخَا نِ إِلَّا وَسَالِفُهُ كَاللُّحَمْ
إِذَا اسْوَدَّ قَامِلُ قِرْطَاسِهِ فَمَا ظَنُّكُمْ بِمَكَانِ الْقَلَمْ

Digitized by Google

لين شفتيها و ان رنت فالسيوف تسلّ من مقلتيها اليها تنتهي المحاسن و عليها مدار الظاعن و القاطن و لها شفتان حمراوان الين من الزبد و احلى مذاقا من الشهد و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان المرأة الواعظة لما وصفت الفتاة قالت و لها شفتان حمراوان الين من الزبد واحلى مذاقا من الشهد ثم قالت بعد ذلك و لها صدر كجادة العجاج فيه ثديان كانهما حقّان من عاج و بطن لطيف الكشح كالزهر الغضّ و عُكن قد انعطفت و انطوى بعضها على بعض و فخذان ملتفّان كانهما من الدر عمودان وارداف تموج كانها بحر من بلور او جبال من نور و لها قدمان لطيفان وكفان كانهما سبائك العقيان فيا مسكين اين الانس من الجان اَمَا علمت ان الملوك القادة و الاشراف السادة ابدا للنساء خاضعون و عليهن في التلذذ معتمدون وهن يقلن قد ملكنا الرقاب و سلبنا الالباب فالانثى كم غنّي افقرته وعزيز اذلّته و شريف استخدمته فالنساء قد فتّن الادباء و هتكن الاتقياء وافقرن الاغنياء و صيرن اهل النعيم اشقياء و مع ذلك لاتزداد العقلاء لهن الّا محبة و اجلالا ولا يعدّون ذلك ضيما ولا اذلالا فكم عبد قد عصى فيهن ربّه و اسخطه اباه و امه كل ذلك لغلبة هواهن على القلوب اما علمت يا مسكين ان لهن تبنى القصور و عليهن ترخى الستور و لهن تشترى الجواري و عليهن الدمع جار و لهن يتخذ المسك الاذفر و الحلي و العنبر ولاجلهن تجمع العساكر و تعقد الدساكر و تجمع الارزاق و تضرب الاعناق و من قال ان الدنيا عبارة عن النساء كان صادقا * واما ماذكرتَ من الحديث الشريف فهو حجة

Digitized by Google

وقول الآخر

قَالَ الْعَوَاذِلُ عَنِّي قَدْ سَلَا كَذَبُوا ... مَنْ مَسَّهُ الشَّوْقُ لَا يَعْرُوهُ سُلْوَانُ
مَا كُنْتُ أَسْلُو وَوَرْدُ الْخَدِّ مُنْفَرِدٌ ... فَكَيْفَ أَسْلُو وَحَوْلَ الْوَرْدِ رَيْحَانُ

وقول الآخر

وَمُهَفْهَفِ الْحَاظُهُ وَعِذَارُهُ ... يَتَعَاضَدَانِ عَلَى قِتَالِ النَّاسِ
سَفَكَ الدِّمَاءَ بِصَارِمٍ مِنْ نَرْجِسٍ ... كَانَتْ حَمَائِلُ غِمْدِهِ مِنْ آسِ

وقول الآخر

مَا مِنْ سُلَافَتِهِ سَكَرْتُ وَإِنَّمَا ... تَرَكَتْ سَوَالِفُهُ الْأَنَامَ سُكَارَى
حُسْدَ الْمَحَاسِنُ بَعْضَهَا حَتَّى اشْتَهَتْ ... كُلُّ الْمَحَاسِنِ أَنْ تَكُونَ عِذَارَا

فهذه فضيلة في الغلمان لم تعطها النساء وكفى بذلك للغلمان عليهن فخرا ومزية * فقالت له عافاك الله تعالى انك قد شرطت على نفسك المناظرة وقد تكلمت وما قصرت واستدللت بهذه الادلة على ماذكرت ولكن الآن قد حصحص الحق فلا تعدل عن سبيله وان لم تقنع بجمال الليل فانا آتيك بتفصيله * بالله عليك اين الغلام من الفتاة ومن يقيس السخل على المهاة انما الفتاة رخيمة الكلام حسنة القوام فهي كقضيب الريحان بثغر كالاقحوان وشعر كالارسان وخدّ كشقائق النعمان ووجه كتفاح وشفة كالراح وثدي كالرمّان ومعاطف كالاغصان وهي ذات قد معتدل وجسم منجدل وخدّ كحد السيف اللائح وجبين واضح وحاجبين مقرونين وعينين كحلا وبين ان نطقت فاللؤلؤ الرطب يتناثر من فيها وتجذب القلوب برقة معانيها وان تبسّمت طلعت البدر يتلألأ من

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الشيخ قال ولان الجارية اذا بالغ الواصف في وصفها واراد ترويجها بذكر محاسن اوصافها شبّهها بالغلام لما له من المأثر كما قال الشاعر

غُلَامِيَّةُ الْأَرْدَافِ تَهْتَزُّ فِي الصِّبَا ... كَمَا اهْتَزَّ فِي رِيحِ الشَّمَالِ قَضِيبُ

فلولا ان الغلام افضل واحسن لما شُبّهت به الجارية واعلمي صانك الله تعالى ان الغلام سهل القياد موافق على المراد حسن العشرة والاخلاق مائل عن الخلاف للوفاق ولا سيما إنْ تَتَمَتَّعَ عذاره واخضرّ شاربه وجرت حمرة الشهيبة في وجنته حتى صار كالبدر التمام وما احسن قول ابي تمام

قَالَ الْوُشَاةُ بَدَا فِي الْخَدِّ عَارِضُهُ ... فَقُلْتُ لَا تُكْثِرُوا مَا ذَاكَ عَائِبُهُ

لَمَّا اسْتَقَلَّ بِأَرْدَافٍ تُجَاذِبُهُ ... وَاخْضَرَّ فَوْقَ جُمَانِ الدُّرِّ شَارِبُهُ

وَاقْسَمَ الْوَرْدُ أَيْمَانًا مُغَلَّظَةً ... أَنْ لَا تُفَارِقَ خَدَّيْهِ عَجَائِبُهُ

كَلَّمْتُهُ بِجُفُونٍ غَيْرِ نَاطِقَةٍ ... فَكَانَ مِنْ رَدِّهِ مَا قَالَ حَاجِبُهُ

اَلْحُسْنُ مِنْهُ عَلَى مَا كُنْتَ تَعْهَدُهُ ... وَالشَّعْرُ أَحْرَزَهُ مِمَّنْ يُطَالِبُهُ

أَحْلَى وَأَحْسَنُ مَا كَانَتْ شَمَائِلُهُ ... إِذْ لَاحَ عَارِضُهُ وَاخْضَرَّ شَارِبُهُ

وَصَارَ مَنْ كَانَ يَلْحَانِي فِي مَحَبَّتِهِ ... إِنْ يَحْكِ عَيْنِي وَعَنْهُ قَالَ صَاحِبُهُ

و قول الحريري واجاد

قَالَ الْعَوَاذِلُ مَا هَذَا الْغَرَامُ بِهِ ... أَمَا تَرَى الشَّعْرَ فِي خَدَّيْهِ قَدْ نَبَتَا

فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْمُغَنَّدَ لِي ... تَأَمَّلَ الرُّشْدَ فِي عَيْنَيْهِ مَا ثَبَتَا

وَمَنْ أَقَامَ بِأَرْضٍ لَا نَبَاتَ بِهَا ... فَكَيْفَ يَرْحَلُ عَنْهَا وَالرَّبِيعُ أَتَى

Digitized by Google

و ذلك ان الله سبحانه و تعالى انما فضّل الذكر على الانثى بمجرد وصف الذكورية و هذا لا نزاع فيه بيني وبينك وقد يستوي في هذا الوصف الطفل و الغلام و الشاب و الكهل و الشيخ لا فرق بينهم في ذلك و اذا كانت الفضيلة انما حصلت له بوصف الذكورية فينبغي ان يميل طبعك وترتاح نفسك الى الشيخ كما ترتاح الى الغلام اذ لا فرق بينهما في الذكورية وانما وقع الخلاف بيني و بينك في الصفات المقصودة من حسن العشرة و الاستمتاع وانت لم تأت ببرهان على فضل الغلام على الانثى في ذلك * فقال لها يا سيدتي اما علمتِ ما اختص به الغلام من اعتدال القدّ و توريد الخدّ و ملاحة الابتسام و عذوبة الكلام فالغلمان بهذا الاعتبار افضل من النساء * و الدليل على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال لا تديموا النظر الى المُرْد فان فيهم لمحةً من الحور العين و تفضيل الغلام على الجارية لا يخفى على احد من الناس وما احسن قول ابي نُواس

أَقَلُّ مَا فِيهِ مِنْ فَضَائِلِهِ ... أَمْنُكَ مِنْ طَمْثِهِ وَمِنْ حَبَلِهِ

و قول الشاعر

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو نُوَاسٍ وَهُوَ فِي ... شَرْعِ الْخَلَاعَةِ وَالْمُجُونِ يُقَلَّدُ
يَا أُمَّةً تَهْوَى الْعَذَارَ تَمَتَّعُوا ... مِنْ لَذَّةٍ فِي الْخُلْدِ لَيْسَتْ تُوجَدُ

ولان الجارية اذا بالغ الواصف في وصفها واراد ترويجها بذكر محاسن اوصافها شبّهها بالغلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

Digitized by Google

طبقا من الفاكهة وجلست هي خلف ستر وكان لها لاج حسن الصورة قائما على رؤسنا في الخدمة فلما اكلنا شرعنا في مطارحة الفقه فسألتها مسألة فقهية مشتملة على خلاف بين الائمة فشرعت تتكلم في جوابها وانا اصغي اليها وجعل رفيقي ينظر الى وجه اخيها ويتأمل في محاسنه ولا يصغي اليها وهي تلحظه من وراء الستر فلما فرغتْ من كلامها التفتتْ اليه وقالت اظنك ممن يفضّل الرجال على النساء قال اَجَلْ قالت ولِمَ ذلك قال لان الله فضّل الذكر على الانثى وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــبـــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الشيخ اجابها بقوله لان الله فضّل الذكر على الانثى وانا احب الفاضل واكره المفضول فضحكت ثم قالت اتنصفني في المناظرة ان ناظرتك في هذا المبحث قال نعم قالت فما الدليل على تفضيل الذكر على الانثى قال المنقول والمعقول * اما المنقول فالكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى اَلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللّٰهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وقوله تعالى فَاِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ وقوله تعالى في الميراث وَاِنْ كَانُوا اِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْاُنْثَيَيْنِ فالله سبحانه وتعالى فضّل الذكر على الانثى في هذه المواضع واخبر ان الانثى على النصف من الذكر لانه افضل منها * واما السنة فما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جعل دية المرأة على النصف من دية الرجل * واما المعقول فان الذكر فاعل والانثى مفعول بها فقالت له احسنت يا سيدي لكنك والله اظهرت حجّتي عليك من لسانك وانطقت ببرهان هو عليك لا لك

Digitized by Google

ومما يحكى

ان المتوكل شرب دَوَاء فجعل الناس يهدون اليه طرائف التحف وانواع الهدايا واهدى اليه الفتح بن خاقان جارية بكرا ناهدا من احسن نساء زمانها وارسل معها اناء بلور فيه شراب احمر جاما احمر مكتوبا عليه بالسواد هذه الابيات

إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ مِنَ الدَّوَاءِ ... وَأَعْقَبَ بِالسَّلَامَةِ وَالشِّفَاءِ
فَلَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ غَيْرُ شُرْبٍ ... بِهَذَا الْجَامِ مِنْ هَذَا الطِّلَاءِ
وَفَضَّ الْخَاتَمَ الْمُهْدَى إِلَيْهِ ... فَهَذَا صَالِحٌ بَعْدَ الدَّوَاءِ

فلما دخلت الجارية بما معها على الخليفة كان عنده يُوحنّى الطبيب فلما راى الطبيب الابيات تبسّم وقال والله يا امير المؤمنين ان الفتح اعرف مني بصناعة الطب فلا يخالفه امير المؤمنين فيما وصفه له فقبل الخليفة رأي الطبيب و استعمل ذلك الدواء على مقتضى مضمون الابيات فشافاه الله وحقّق ما رجاه

ومما يحكى

ان بعض الفضلاء قال ما رأيت فى النساء اذكى خاطرا واحسن فطنة واغزر علما واجود قريحة و اظرف اخلاقا من امرأة و اعظة من اهل بغداد يقال لها سيدة المشائخ • اتفق انها جاءت الى مدينة حماة سنة احدى وستين و خمسمائة فكانت تعظ الناس على الكرسي وعظا شافيا وكان يتردّد على منزلها جماعة من المتفقّهين وقوى المعارف والآداب يطارحونها مسائل الفقه ويناظرونها فى الخلاف فمضيت اليها ومعي رفيق من اهل الادب فلما جلسنا عندها وضعت بين ايدينا

Digitized by Google

ومما يحكى

ان الامين اخا المأمون دخل دار عمه ابراهيم ابن المهدي فرأى بها جارية تضرب بالعود وكانت من احسن النساء فمال قلبه اليها فظهر ذلك عليه لعمه ابراهيم فلما ظهر له ذلك من حاله بعثها اليه مع ثياب فاخرة وجواهر نفيسة فلما رأها الامين ظن ان عمّه ابراهيم بنى بها فكره الخلوة بها من اجل ذلك وقبل ما كان معها من الهدية وردّها اليه فعلم ابراهيم بذلك الخبر من بعض الخدم فاخذ قميصا من الوشي وكتب على ذيله بالذهب هذين البيتين

لَا وَالَّذِي سَجَدَ الْجِبَاهُ لَهُ ... مَالِي بِمَا تَحْتَ ذَيْلِهَا خَبَرُ
وَلَا بِفِيهَا وَلَا هَمَمْتُ بِهِ ... مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ

ثم البسها القميص وناولها عودا وبعثها اليه ثانيا فلما دخلت عليه قبلت الارض بين يديه واصلحت العود وغنّت عليه بهذين البيتين

هَتَكْتَ الضَّمِيرَ بِرَدِّ التُّحَفْ ... وَقَدْ بَانَ هَجْرُكَ لِي وَانْكَشَفْ
فَإِنْ كُنْتَ تَجْحَدُ شَيْأً مَضَى ... فَهَبْ لِلْخِلَافَةِ مَا قَدْ سَلَفْ

فلما فرغت من شعرها نظر اليها الامين فرأى ما على ذيل القميص فلم يملك نفسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الامين لما نظر الى الجارية رأى ما على ذيل القميص فلم يملك نفسه بل ادناها منه وقبلها وافرد لها مقصورة من المقاصير وشكر عمّه ابراهيم على ذلك وانعم عليه بولاية الري

Digitized by Google

سَكَتُّ وَلَمْ أَقُلْ إِنِّي مُحِبٌّ ... وَأَخْفَيْتُ الْمَحَبَّةَ عَنْ ضَمِيرِي
فَإِنْ ظَهَرَ الْهَوَى فِي الْعَيْنِ مِنِّي ... فَذَا نِيَّةٌ مِنَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ

فاخذت العود قرة العين واطربت بالنغمات وغنت هذه الابيات

لَوْ كَانَ مَا تَدَّعِيهِ حَقًّا ... لَمَا تَعَلَّلْتَ بِالْأَمَانِي
وَلَا تَصَبَّرْتَ عَنْ فَتَاةٍ ... بَدِيعَةِ الْحُسْنِ وَالْمَعَانِي
لَكِنَّ دَعْوَاكَ لَيْسَ مِنْهَا ... شَيْءٌ سِوَى الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ

فلما فرغت قرة العين من شعرها جعل ابو عيسى يبكي وينتحب ويتوجّع ويضطرب ثم رفع رأسه اليها وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

تَحْتَ ثِيَابِي جَسَدٌ نَاحِلٌ ... وَفِي فُؤَادِي شُغْلٌ شَاغِلُ
وَلِي فُؤَادٌ دَاؤُهُ دَائِمٌ ... وَمُقْلَةٌ مَدْمَعُهَا هَاطِلُ
وَكُلَّمَا سَالَمَنِي عَاقِلٌ ... قَامَ لِحِينِي فِي الْهَوَى عَاذِلُ
يَارَبِّ لَا أَقْوَى عَلَى كُلِّ ذَا ... مَوْتٌ وَإِلَّا فَرَجٌ عَاجِلُ

فلما فرغ ابو عيسى من شعره وثب علي ابن هشام الى رجله فقبّلها وقال له يا سيدي قد استجاب الله دعاءك وسمع نجواك واجابك الى اخذها بجميع متعلقاتها من التحف واللطائف ان لم يكن لامير المؤمنين غرض فيها فقال المأمون ولو كان لنا غرض فيها لآثرنا ابا عيسى على انفسنا وساعدناه على قصده ثم قام المأمون وركب في الطيارو تخلّف ابو عيسى لاخذ قرة العين ثم اخذها وانصرف بها الى منزله وهو منشرح الصدر فانظر الى مروة علي ابن هشام

Digitized by Google

ظَعَنَ الْاَحِبَّةُ عَنْكَ بِالْاِدْلاَجِ وَلَقَدْ سَرَوْا سَحَرًا مَعَ الْحُجَّاجِ
ضَرَبُوا خِيَامَ الْعِزِّ حَوْلَ قِبَابِهِمْ وَتَسَتَّرُوْا بِاَكِلَّةِ الدِّيْبَاجِ

فقال لها الخليفة لله درّك لمن هذا الشعر قالت لذِ عُبِل الخزاعي والطريقة لزرزور الصغير فنظر اليها ابو عيسى وخنقته العَبْرة حتى تعجب منه اهل المجلس فالتفتت الجارية الى المأمون وقالت له يا امير المؤمنين اتأذن لي في ان اغيّر الكلام فقال لها غنّي بما شئت فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

اِذَا كُنْتَ تُرْضِيْهِ وَيُرْضِيْكَ صَاحِبٌ جَهَارًا فَكُنْ فِي الْغَيْبِ اَحْفَظَ لِلْوُدِّ
وَاَلْغِ اَحَادِيْثَ الْوُشَاةِ فَقَلَّمَا يُحَاوِلُ وَاشٍ غَيْرَ هِجْرَانِ ذِيْ وُدِّ
وَقَدْ زَعَمُوْا اَنَّ الْمُحِبَّ اِذَا دَنَا يَمَلُّ وَاَنَّ الْبُعْدَ يَشْفِيْ مِنَ الْوَجْدِ
بِكُلٍّ تَدَا وَيْنَا فَلَمْ يَشْفِ مَا بِنَا عَلَى اَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ
عَلَى اَنَّ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ اِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِيْ وُدِّ

فلما فرغت من شعرها قال ابو عيسى يا امير المؤمنين و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان قرّة العين لما فرغت من شعرها قال ابو عيسى يا امير المؤمنين اذا افتضحنا استرحنا اتأذن لي في جوابها فقال له الخليفة نعم قل لها ما شئت فكفكف دمع العين وانشد هذين البيتين

Digitized by Google

الطيّار و اراد ان يركب و يتوجه فقام علي بن هشام وقال يا امير المؤمنين عندي جارية اشتريتها بعشرة آلاف دينار و قد اخذت مجامع قلبي و اريدان اعرضها على اميرالمؤمنين فان اعجبته و رضيها فهي له والّا فيسمع منها شيأ فقال الخليفة عليّ بها فخرجت جارية كانها قضيب بان لها عينان فتّانتان وحاجبان كانهما قوسان وعلى رأسها تاج من الذهب الاحمر مرصّع بالدّر والجوهر تحته عصابة مكتوب عليها بالزبرجد هذا البيت

جِنِّيَّةٌ وَلَهَا جِنٌّ تُعَلِّمُهَا ... رَمْيَ الْقُلُوبِ بِقَوْسٍ مَا لَهَا وَتَرُ

و مشت تلك الجارية كانها غزال شارد وهي تفتن العابد ولم تزل ما شية حتى جلست على الكرسي وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الجارية مشت كانها غزال شارد و هي تفتن العابد و لم تزل ما شية حتى جلست على الكرسي فلما رأها المأمون تعجب من حسنها و جمالها وجعل ابوعيسى يتوجّع من فؤاده و اصفرّ لونه وتغيّر حاله فقال له المأمون يا ابا عيسى قد تغيّر حالك فقال يا امير المؤمنين بسبب علة تعتريني في بعض الاوقات فقال له الخليفة اتعرف هذه الجارية قبل اليوم قال نعم يا امير المؤمنين وهل يخفى القمر ثم قال لها المأمون ما اسمك يا جارية فقالت اسمي قرّة العين يا امير المؤمنين قال لها غنّي لنا يا قرّة العين فغنّت بهذين البيتين

Digitized by Google

كأنها شمس النهار فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اسمي فاتن يا امير المؤمنين فقال لها غنّي لنا يا فاتن فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

اِنْعَمْ بِوَصْلِكَ لِيْ فَهٰذَا وَقْتُهُ	يَكْفِيْ مِنَ الْهِجْرَانِ مَا قَدْ ذُقْتُهُ
اَنْتَ الَّذِيْ جَمَعَ الْمَحَاسِنَ وَجْهُهُ	لٰكِنْ عَلَيْهِ تَصَبُّرِيْ فَرَّقْتُهُ
اَنْفَقْتُ عُمْرِيْ فِيْ هَوَاكَ وَلَيْتَنِيْ	اُعْطٰى وُصُوْلًا بِالَّذِيْ اَنْفَقْتُهُ

فقال لله درّك يا فاتن لمن هذا الشعر فقالت لعدي بن زيد والطريقة قديمة فشرب المأمون وابو عيسى وعلي ابن هشام ثم انصرفت الجواري وجاءت بعدهن عشر من الجواري كانهن دراري عليهن الوشي المنسوج بالذهب الاحمر وفي اوساطهن المناطق المرصعة بالجوهر فجلسن على الكراسي وغنين بانواع الالحان فقال المأمون لجارية منها كانها قضيب بان ما اسمك ياجارية قالت اسمي رَشَأ يا امير المؤمنين فقال غنّي لنا يا رشأ فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

وَاَحْوَرَ كَالْغُصْنِ يَشْفِي الْجَوٰى	وَيَحْكِي الْغَزَالَ اِذَا مَا رَنَا
شَرِبْتُ الْمُدَامَ عَلٰى خَدِّهِ	وَنَازَعْتُهُ الْكَأْسَ حَتّٰى انْثَنٰى
فَبِتْنَا ضَجِيْعِيْ وَبِتْنَا مَعًا	وَقُلْتُ لِنَفْسِيْ هٰذَا الْمُنٰى

فقال لها المأمون احسنت يا جارية زيدينا فقامت الجارية وقبلت الارض بين يديه وغنت بهذا البيت

خَرَجَتْ تَشْهَدُ الرِّفَاقَ رُوَيْدًا ... فِيْ قَمِيْصٍ مُضَمَّخٍ بِالْعَبِيْرِ

فطرب المأمون لذلك البيت طربا عظيما فلما رأت الجارية طرب المأمون صارت تردّد الصوت بهذا البيت ثم ان المأمون قال قدموا

Digitized by Google

سَيْفي خُضُوعي وَتَلَبِّي مُشْغِفٌ وَجِلُ ... اَخْشَى الْعُيُونَ مِنَ الْاَعْدَاءِ وَالرَّصَدَا
حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى خَوْدٍ مُنَعَّمَةٍ ... كَظَبْيَةِ الْبَانِ عُصْرٍ لَمَّا تَفْقِدِ الْوَلَدَا

فقال لها المأمون لقد احسنت يا جارية لِمَنْ هذا الشعر قالت لعمرو بن مَعْدي كَرِب الزبيدي و الغناء لمَعبد فشرب المأمون وابو عيسى وعلي بن هشام ثم انصرفت الجواري وجاءت عشر جوار اخرى على كل واحدة منهن الوشي اليماني المنسوج بالذهب فجلسن على الكراسي وغنين بانواع الالحان فنظر المأمون الي وصيفة منهن كانها مَهَاة رمل فقال لها ما اسمك يا جارية فقالت اسمي ظَبْيَة يا امير المؤمنين قال غنّي لنا يا ظبية فغرّدت بالشد قين و انشدت هذين البيبيـــــــن

حُوْرٌ حَرَائِرُ مَا هَمَمْنَ بِرِيبَةٍ ... كَظِبَـاءِ مَكَّةَ صِيدُهُنَّ حَرَامُ
يُحْسِبْنَ مِنْ لِيْنِ الْحَدِيثِ زَوَانِيَا ... وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَى الْإِسْلَامُ

فلما فرغت من شعرها قال لها المأمون للّه دَرّك و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الجارية لما فرغت من انشادها قال لها المـأمون للّه دَرّك لمن هذا الشعر قالت لجرير والغنـــاء لابن سريج فشرب المأمون ومن معه ثم انصرفت الجواري وجاءت بعدهن عشر جوار اخرى كانهن اليواقيت وعليهن الديباج الاحمر المنسوج بالذهب المرصع بالدر والجوهر وهن مكشوفات الرؤس فجلسن على الكراسي وغنين بانواع الالحان فنظر الى جارية منهن

Digitized by Google

وفتح مجلسا لم تر الراؤن احسن منه ارضه واساطينه وحيطانه مرخّمة بانواع الرخام وهو منقوش بانواع النقوش الرومية وارضه مفروشة بالحصر السندية وعليها فرش بصرية وتلك الفرش متخذة على طول المجلس وعرضه فجلس المأمون ساعة وهو يتأمّل البيت والسقف والحيطان ثم قال اطعمنا شيأ فاحضر اليه من وقته وساعته قريبا من مائة لون من الدجاج سوى ما معها من الطيور والثرائد والقلايا والبوارد فلما اكل قال اسقنا يا علي شيأ فاحضر اليه نبيذا مثلّثا مطبوخا بالفواكه والابازير الطيّبة في اواني الذهب والفضة والبلور والذي حضر بذلك النبيذ في المجلس غلمان كأنّهم الاقمار عليهم الملابس الاسكندرانية المنسوجة بالذهب وعلى صدورهم بواط من البلور فيها ماء الورد الممسك فتعجب المأمون مما رأى عجبا شديدا وقال يا ابا الحسن فوثب الى البساط وقبّله ثم وقف بين يدي الخليفة وقال لبّيك يا امير المؤمنين فقال اسمعنا شيأ من المغاني المطربة فقال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ثم قال لبعض اتباعه احضر الجواري المغنيات فقال له سمعا وطاعة ثم غاب الخادم لحظة وحضر ومعه عشرة من الخدم يحملون عشرة كراسي من الذهب فنصبوها وبعد ذلك جاءت عشر وصائف كأنّهن البدور السافرة والرياض الزاهرة وعليهن الديباج الاسود وعلى رؤسهن تيجان الذهب ومشين حتى جلسن على الكراسي وغنين بانواع الالحان فنظر المأمون الى جارية منهن فافتتن بظرفها وحسن منظرها فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اسمي سَجَاح يا امير المؤمنين فقال لها غنّي لنا يا سَجَاح فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

اَقْبَلْتُ اَمْشِي عَلَى خَوْفٍ مُجَالِسَةً ... مَشْيَ الدَّلِيْلِ رَأَى شِبْلَيْنِ قَدْوَرَدَا

Digitized by Google

يجتهد في ابتياعها من مولاها بكل حيلة فلم يقدر على ذلك فلما عيل صبره واشتدّ وجده وعجز عن الحيلة في امرها دخل على المأمون في يوم موسم بعد انصراف الناس من عنده وقال يا امير المؤمنين انك لوا متحنت فؤادك في هذا اليوم على حين غفلة منهم لتعرف اهل المروة من غيره ومحل كل واحد منهم وقدر همته وانما قصد ابو عيسى بهذا الكلام ان يتصل بذلك الى الجلوس مع قرّة العين في دار مولاها فقال المأمون ان الرأي صواب ثم امران يشدّوا له زورقا اسمه الطيار فقدموه له فركبه ومعه جماعة من خواصه فاول قصر دخله قصر حميد الطويل الطوسي ودخلوا عليه في القصر على حين غفلة منه فوجدوه جالسا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان المأمون ركب هو وخواصه وساروا حتى وصلوا الى قصر حميد الطويل الطوسي فدخلوا قصره على حين غفلة فوجدوه جالسا على حصير وبين يديه المغنيون وبايديهم آلات المغاني من العيدان والنايات وغيرها فجلس المأمون ساعة ثم حضر بين يديه طعام من لحوم الدواب ليس فيه شيء من لحوم الطير فلم يلتفت المأمون الى شيء من ذلك فقال ابو عيسى يا امير المؤمنين انا دخلنا هذا المكان على حين غفلة وصاحبه لم يعلم بقدومك فقم بنا الى مجلس هو معدّ لك يليق بك فقام الخليفة هو وخواصه وصحبته اخوه ابو عيسى وتوجّهوا الى دار علي بن هشام فلما علم بمجيئهم قابلهم احسن مقابلة وقبل الارض بين يدي الخليفة ثم ذهب بهم الى القصر

Digitized by Google

واحد منا ويجذ بها فان جاءت معه فهي مسلمة فرضي اهل القرية بذلك واجتمع الاربعون راهبا وقوّى بعضهم بعضا واتوها ليحملوها فلم يقدروا على ذلك فربطنا في وسطها حبلا عظيما وجذبناها فانقطع الحبل ولم تتحرك فتقدم اهل القرية وفعلوا كذلك فلم تتحرك من موضعها فلما عجزنا عن حملها بكل حيلة قلنا لاحد الشيخين تقدّم انت واحملها فتقدم اليها احدهما ولفّها في ردائه وقال بسم الله الرحمن الرحيم وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حملها في حضنه وانصرف بها المسلمون الى غار هناك فوضعوها فيه وجاءت المرأتان فغسلتاها وكفنتاها ثم حملها الشيخان وصلّيا عليها ودفناها الى جانب قبره وانصرفنا ونحن نشاهد هذا كله فلما خلا بعضنا ببعض قلنا انّ الحقّ احقّ ان يُتّبع وقد وضح الحق لنا بالمشاهدة والعيان ولا برهان لنا على صحة الاسلام اوضح لنا مما رأيناه باعيننا ثم اسلمتُ واسلم رهبان الدير جميعهم وكذلك اهل القرية ثم انا بعثنا الى اهل الجزيرة نستدعي فقيها يعلمنا شرائع الاسلام واحكام الدين فجاء نا رجل فقيه صالح فعلّمنا العبادة واحكام الاسلام ونحن اليوم على خير كثير ولله الحمد والمنّة

ومما يحكى

ان عمرو بن مَسْعَدة قال كان ابو عيسى ابن الرشيد اخو المأمون عاشقا لقرّة العين جارية عليّ بن هشام وكانت هي ايضا عاشقة له ولكن كان ابو عيسى كاتما لهواه فلا يبوح به ولا يشكوه الى احد ولم يطلع احدا على سره وكل ذلك من نخوته ومروته وكان

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الجارية قالت لما قطف التفاحتين اعطانيهما وقال كلي هذه واخفى الاخرى حتى يراها الرهبان فاكلت واحدة فمارأيت اطيب منها ثم انه اخذ بيدي وخرج بي حتى اوصلني الى داري فلما استيقظت من منامي وجدت طعم التفاح في فمي والتفاحة الثانية عندي ثم اخرجت التفاحة فاشرقت في ظلام الليل كانها كوكب دُرِّيٌّ فجاؤا بالمرأة الى الدير ومعها التفاحة فقصّت علينا الرؤيا واخرجت لنا التفاحة فلم نر شيأ مثلها في سائر فواكه الدنيا فاخذت سكّينا وشققتها على عدد اصحابي فمارأينا اللّذ من طعمها ولا اطيب من ريحها فقلنا لعل هذا شيطان تمثّل اليها يغويها عن دينها فاخذها اهلها وانصرفوا ثم انها امتنعت من الاكل والشرب فلما كانت الليلة الخامسة قامت من فراشها وخرجت من بيتها وتوجّهت الى قبر ذلك المسلم والقت نفسها عليه وماتت ولم يعلم بها اهلها فلما كان وقت الصباح اقبل على القرية شيخان مسلمان عليهما ثياب من الشعر ومعهما امرأتان كذلك فقالا يا اهل القرية انّ لله تعالى عندكم وليّة من اوليائه قد ماتت مسلمة ونحن نتولّاها دونكم فطاب اهل القرية تلك المرأة فوجدوها على القبر ميتة فقالوا هذه صاحبتنا قد ماتت على ديننا ونتولّاها وقال الشيخان بل ماتت مسلمة ونحن نتولّاها واشتدّ الخصام والنزاع بينهم فقال احد الشيخين ان علامة اسلامها ان يجتمع رهبان الدير الاربعون ويجذبوها عن القبر فان قدروا على حملها من الارض فهي نصرانية وان لم يقدروا على ذلك يتقدم

Digitized by Google

المشي خرج من الدير الى باب حانوت الجارية و جلس ينظر اليها فلما ابصرته قامت اليه و قالت له و الله لقد رحمتك فهل لك ان تدخل في ديني و انا اتزوجك فقال معاذ الله ان انسلخ من دين التوحيد و ادخل في دين الشرك فقالت قم و ادخل معي داري و اقض مني اربك و انصرف راشدا فقال لا ما كنت لا ذهب عبادة اثنتي عشر سنة بشهوة لحظة واحدة فقالت انصرف عني حينئذ قال لا يطاوعني قلبي فاعرضت عنه بوجهها ثم فطن به الصبيان فاقبلوا عليه يرمونه بالحجارة فسقط على وجهه وهو يقول إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ فخرجت من الدير و طردت عنه الصبيان ورفعت رأسه عن الارض فسمعته يقول اللهم اجمع بيني و بينها في الجنة فحملته الى الدير فمات قبل ان اصل به اليه فخرجت به عن القرية و حفرت له قبرا ودفنته فلما دخل الليل و ذهب نصفه صرخت تلك المرأة وهي في فراشها صرخة فاجتمع اليها اهل القرية وسألوها عن قصتها فقالت بينما انا نائمة اذ دخل علي هذا الرجل المسلم فاخذ بيدي وانطلق بي الى الجنة فلما صار بي الى بابها منعني خازنها من دخولها و قال انها محرمة على الكافرين فاستسلمت على يديه ودخلت معه فرأيت فيها من القصور و الاشجار ما لا يمكن ان اصفه لكم ثم انه اخذني الى قصر من الجوهر و قال لي ان هذا القصر لي ولك وانا لا ادخله الا بك و بعد خمس ليال تكونين عندي فيه ان شاء الله تعالى ثم مد يده الى شجرة على باب ذلك القصر فقطف منها تفاحتين و اعطانيهما و قال كلي هذه و اخفي الاخرى حتى يراها الرهبان فاكلت واحدة فما رأيت اطيب منها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

حججت الى مكة فبينما انا اطوف حول البيت اذ رأيت عبد المسيح الراهب يطوف ايضا و معه خمسة نفر من اصحابه الرهبان فلما تحققت معرفته تقدمت اليه و قلت له هل انت عبد المسيح الراهب قال بل انا عبد الله الراغب فجعلت اقبل شيبته و ابكي ثم اخذت بيده ومشت الى جانب الحرم و قلت له اخبرني عن سبب اسلامك فقال انه من اعجب العجائب * و ذلك ان جماعة من زهّاد المسلمين مرّوا بالقرية التي فيها ديرنا فارسلوا اشابا يشتري لهم طعاما فرأى في السوق جارية نصرانية تبيع الخبز و هي من احسن النساء صورة فلما نظر اليها افتتن بها وسقط على وجهه مغشيا عليه فلما افاق و رجع الى اصحابه واخبرهم بما اصابه و قال امضوا الى شأنكم فلست بذاهب معكم فعذلوه ووعظوه فلم يلتفت اليهم فانصرفوا عنه و دخل القرية وجلس عند باب حانوت تلك المرأة فسالته عن حاجته فاخبرها انه عاشق لها فاعرضت عنه فمكث في موضعه ثلثة ايام لم يطعم طعاما بل صار شاخصا الى وجهها فلما رأته لا ينصرف عنها ذهبت الى اهلها واخبرتهم بخبره فسلّطوا عليه الصبيان فرموه بالحجارة حتى رضّوا اضلاعه و شجّوا رأسه وهو مع ذلك لا ينصرف فعزم اهل القرية على قتله فجاء ني رجل منهم و اخبرني بحاله فخرجت اليه فرأيته طريحا فمسحت الدم عن وجهه و حملته الى الدير و داويت جراحته واقام عندي اربعة عشر يوما فلما قدر على المشي خرج من الدير وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الراهب عبد الله قال فحملته الى الدير و داويت جراحته و اقام عندي اربعة عشر يوما فلما قدر على

Digitized by Google

ثم انه نظر اليّ و قال هل عندك علم بما فعلوا قلت نعم انهم ماتوا رحمهم الله تعالى فتغيّر وجهه ووثب قائما على قدميه و قال كيف علمتَ موتهم قلت لوكانوا احياء ماتركوك هكذا فقال صدقتَ والله و لكنني ايضا لا احبّ الحيوة بعدهم ثم ارتعدت فرائصه وسقط على وجهه فتبادرنا اليه وحركناه فوجدناه ميتا رحمة الله تعالى عليه فتعجبنا من ذلك و اسفنا عليه اسفا شديدا ثم جهزناه ودفناه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المبرد قال لما سقط الرجل ميتا اسفنا عليه وجهزناه و دفناه فلما رجعتُ الى بغداد دخلت على المتوكّل فنظر أثار الدموع على وجهي فقال ما هذا فذكرت له القصة فصعب عليه وقال ما حملك على ذلك والله لو علمت انك غير حزين عليه لاخذتك به ثم انه حزن عليه بقية يومـــــــــــــــه

ومما يحكى

ان ابا بكر بن محمد الانباري قال خرجت من الانبار في بعض الاسفار الى عمورية من بلاد الروم فنزلت في اثناء الطـــريق بدير الانوار في قرية قريبة من عمورية فخرج اليّ صاحب الدير الرئيس على الرهبان وكان اسمه عبد المسيح فادخلني الدير فوجدت فيه اربعين راهبا فاكرموني في تلك الليلة بضيافة حسنة ثم رحلت عنهم من الغد وقد رأيت من كثرة اجتهادهم وعبادتهم مالم اره من غيرهم فقضيت اربي من عمورية ثم رجعت الى الانبار فلما كان في العام المقبل

Digitized by Google

فيهم رجل مجنون ينطق بالحكمة فلو رايتموه لتعجّبتم من كلامه فنهضنا جميعا ودخلنا الدير فرأينا رجلا جالسا في مقصورة على نطع وقد كشف رأسه وهو شاخص ببصره الى الحائط فسلمنا عليه فردّ علينا السلام من غير ان ينظر الينا بطرفه فقال رجل انشده شعرا فانه اذا سمع الشعر يتكلّم فانشدت هذين البيتين

يَاخَيْرَ مَنْ وَلَدَتْ حَوَّاءُ مِنْ بَشَرٍ ... لَوْلَاكَ لَمْ تَحْسُنِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَطِبِ
اَنْتَ الَّذِي مَنْ اَرَاكَ اللّٰهُ صُوْرَتَهُ ... نَالَ الْخُلُوْدَ فَلَمْ يَهْرَمْ وَلَمْ يَشِبِ

فلما سمع ذلك مني استدار نحونا وانشد هذه الابيات

اَللّٰهُ يَعْلَمُ اَنَّنِي كَمِدٌ ... لَا اَسْتَطِيْعُ اَبُثُّ مَا اَجِدُ
نَفْسَانِ لِي نَفْسٌ يَضُمُّ لَهَا ... بَلَدٌ وَاُخْرٰى يَضُمُّهَا بَلَدُ
وَاَظُنُّ غَائِبَتِي كَشَاهِدَتِي ... وَاَظُنُّهَا تَجِدُ الَّذِي اَجِدُ

ثم قال اأحسنتُ في قولي ام اسأتُ قلنا له ما اسأتَ بل احسنتَ واجملت فمدّ يده الى حجر عنده فتناوله فظننا انه يرمينا به فهربنا منه فجعل يضرب به صدره ضربا قويا ويقول لا تخافوا وادنوا مني واسمعوا لي شيأ خذوه عني فدنونا منه فانشد هذه الابيات

لَمَّا اَنَاخُوْا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عِيْسَهُمُ ... تَوَرَّكُوْهَا وَسَارَتْ بِالْهَوٰى الْاِبِلُ
وَمُقْلَتِي مِنْ خِلَالِ السِّجْنِ تَنْظُرُهَا ... فَقُلْتُ مِنْ لَوْعَتِي وَالدَّمْعُ يَنْهَمِلُ
يَا حَادِيَ الْعِيْسِ عَرِّجْ كَيْ اُوَدِّعَهَا ... فَفِي الْفِرَاقِ وَفِي تَوْدِيْعِهَا الْاَجَلُ
اِنِّي عَلَى الْعَهْدِ لَمْ اَنْقُضْ مَوَدَّتَهَا ... يَالَيْتَ شِعْرِي بِذَاكَ الْعَهْدِ مَا فَعَلُوْا

Digitized by Google

فسمعت كلامه جارية من الفريق الآخر فبادرت نحوه و تبعها اهلها و جعلت تضاربهم فاحسّ بها الشاب فوثب نحوها فبادر اليه اهل فريقه و تعلّقوا به فجعل يجذب نفسه منهم وهي تجذب نفسها من فريقها حتى تخلصا و قصد كل واحد منهما صاحبه حتى التقيا بين الفريقين و تعانقا ثم خرّا الى الارض ميتين و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الشاب و الشابة لما التقيا بين الفريقين و تعانقا خرّا الى الارض ميتين فخرج شيخ من تلك الاخبية و وقف عليهما و استرجع وبكى بكاء شديدا ثم قال رحمكما الله تعالى و الله لئن كنتما لم تجتمعا في حال حيوتكما لاجمعنّ بينكما بعد الموت ثم امر بتجهيزهما فغسلا وكفنا في كفن واحد و حفر لهما جديث واحد وصلّى عليهما الناس ودفنوهما في ذلك القبر و لم يبق في الفريقين ذكر ولا انثى الا رأيته يبكي عليهما ويلطم فسألت الشيخ عنهما فقال لي هذه ابنتي وهذا ابن اخي قد بلغ بهما الحب الى ما رأيت فقلت اصلحك الله فهلّا زوّجتهما لبعضهما فقال خشيت من العار والفضيحة وقد وقعت الآن فيهما وهذا من عجائب اخبار العشاق

ومما يحكى

ان ابا العباس المبرّد قال قصدت البريد مع جماعة الى حاجة فمررنا بدير هرقل فنزلنا في ظلّه فجاءنا رجل وقال ان في الدير مجانين

Digitized by Google

على وسادة واغمض عينيه فلما وصل القدح اليه حرّكناه فاذا هو ميت فاجتمعنا عليه وتكدّر علينا السرور وتنكدنا وافترقنا من ساعتنا فلما سرت الى منزلي انكر علىّ اهلي حيث انصرفت اليهم في غير الوقت المعتاد فاخبرتهم بما كان من امر الشاب لاعجبهم بذلك فسمعت ابنتي كلامي فقامت من المجلس الذي انا فيه ودخلت مجلسا آخر فقمت خلفها ودخلت ذلك المجلس فوجدتها متوسّدة على مثال ما وصفت من حال الشاب فحركتها فاذا هي ميتة فاخذنا في تجهيزها وغدونا بجنازتها وغدوا بجنازة الشاب فلما صرنا في طريق الجبانة واذا نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هي جنازة القينة فانها حين بلغها موت ابنتي فعلت مثل ما فعلت فماتت فدفنا الثلثة في يوم واحد وهذا اعجب ما سمع من اخبار العشاق

ومما يحكى

ان القاسم بن علي حكى عن رجل من بني تميم انه قال خرجتُ في طلب ضالّة فوردتُ على مياه بني طي فرأيت بفريقين احدهما قريب من الآخر واذا في احد الفريقين كلام مثل كلام اهل الفريق الآخر فتأملت فرأيت في احد الفريقين شابا قد نهكه المرض وهو مثل الشنّ البالي فبينما انا اتأمّله واذا هو ينشد هذه الابيات

أَلَا مَا لِلْمَلِيحَةِ لَا تَعُودُ ... أَبَخْلٌ بِالْمَلِيحَةِ أَمْ صُدُودُ
مَرِضْتُ فَعَادَنِي أَهْلِي جَمِيعًا ... فَمَالَكِ لَا تُرَى فِيمَنْ يَعُودُ
فَلَوْ كُنْتِ الْمَرِيضَةَ جِئْتُ أَسْعَى ... إِلَيْكِ وَلَمْ يُنَهْنِهْنِي الْوَعِيدُ
عَدِمْتُكِ مِنْهُمُو فَبَقِيتُ وَحْدِي ... وَفَقْدُ الْإِلْفِ يَا سَكَنِي شَدِيدُ

Digitized by Google

ان تعان على مروتك فامر له بمائة الف درهم وقال لي يا اسحق احضر الجارية فا حضرتها فغنت له واطربته فحصل له منها سرور عظيم فقال قد جعلت عليها نوبة في كل يوم خميس فتحضر وتغني من وراء الستارة ثم امر لها بخمسين الف درهم فو الله لقد ربحت واربحت في تلك الركبـــة

ومما يحكى

ان العُتبي قال جلست يوما و عندي جماعة من اهل الادب فتذاكرنا اخبار الناس ونزع بنا الحديث الى اخبار المحبّين فجعل كل منا يقول شيأ وفي الجماعة شيخ ساكت ولم يبق عند احد منهم شيء الّا اخبر به فقال ذلك الشيخ هل احدّثكم حديثا لم تسمعوا مثله قط قلنا نعم * قال اعلموا انه كانت لي ابنة وكانت تهوى شابا و نحن لا نعلم بها وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتي فحضرت في بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ قال فحضرت في بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب و القينة فغنت القينة بهذين البيتيـــــن

عَـــلاَ مَاتُ ذُلِّ الْـــهَوى عَلَى الْعَـــاشِقِيـــنَ الْبُـــكَا
وَلاَسِيَّمَـــا عَـــاشِـــقٌ إِذَا لَمْ يَجِـــدْ مُشْتَكَـــى

فقال لها الشاب احسنتِ والله يا سيدتي افتا ذني لي ان اموت فقالت القينة من وراء الستر نعم ان كنت عاشقا فوضع الشاب رأسه

Digitized by Google

تَبَيَّنَ يَوْمَ الْبَيْنِ اَنَّ اقْتِرَابَهُ عَلَى الْبَيْنِ مِنْ ضِمْنِ الظُّنُوْنِ الْكَوَاذِبِ
اَرَاقَ دَمًا لَوْلَا الْهَوَى مَا اَرَاقَهُ فَهَلْ لِدَمِيْ مِنْ ثَائِرٍ وَ مُطَالِبِ

فلما فرغ من شعره لم يبق احد منهم الا وقام على قدميه ثم رمى بنفسه على الارض من شدة ما اصابه من الطرب فرميت العود من يدي فقالوا بالله عليك لا تفعل بنا هذا وزدنا صوتا أخر زادك الله تعالى من نعمته فقلت لهم يا قوم از يدكم صوتا أخرو أخرو أخر واعرفكم من انا انا اسحق بن ابراهيم الموصلي و الله اني لأتيه على الخليفة اذا طلبني و انتم قد اسمعتموني غليظ ما اكره فى هذا اليوم فوالله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا العربيد من بينكم فقال له صاحبه من هذا حذرتك و خفت عليك ثم اخذوا بيده و اخرجوه فاخذت العود و غنيت الا صوات التي غنتها الجارية من صنعتي ثم سررت الى صاحب الدار ان الجارية قد وقعت فى قلبي ولا صبر لي عنها فقال الرجل هي لك بشرط فقلت و ما هو قال ان تقيم عندي شهرا و الجارية وما يتعلق بها من حلي و حلل لك فقلت نعم افعل ذلك فاقمت عنده شهرا لا يعرف احد اين انا والخليفة يفتش علي في كل موضع ولا يعرف لي خبرا فلما انقضى الشهر سلم الي الجارية وما يتعلق بها من الا متعة النفيسة و اعطاني خادما أخر فجئت بذلك الى منزلي وكأني قد حزت الدنيا باسرها من شدة فرحي با لجارية ثم ركبت الى المأمون من وقتي فلما حضرت بين يديه قال لي و يحك يا اسحق و اين كنت فاخبرته بخبري فقال عاتبا بذلك الرجل في هذه الساعة قد للتهم على داره فارسل اليه الخليفة فلما حضر سأله عن القصة فاخبره بها فقال له انت رجل ذومروة والرأي

Digitized by Google

فيك المثل طفيلي ومُقترح فا طرقت حياء ولم اجبه فجعل صاحبه يكفّه عني فلا ينكفّ ثم قاموا الى الصلوة فتأخّرت قليلا و اخذت العود و شددت طرفيه و اصلحته اصلاحا محكما و عدت الى موضعي فصليت معهم ولما فرغنا من الصلوة رجع ذلك الرجل الى اللوم عليّ والتعنيف ولج في عربدته وانا صامتٌ فاخذت الجارية العود وجسّته فانكرتْ حاله وقالت من جسّ عودي فقالوا ما جسّه احد منا قالت بلى والله لقد جسّه حاذق متقدّم فى الصناعة لانه احكم اوتاره و اصلحه اصلاح حاذق في صنعته فقلت لها انا الذي اصلحته فقالت بالله عليك ان تأخذه و تضرب عليه فاخذته و ضربت عليه طريقة عجيبة صعبة تكاد ان تميت الاحياء و تحيي الاموات وانشدتُ عليه هذه الابيات

كَانَ لِيْ قَلْبٌ اَعِيْشُ بِهِ ... فَاكْتَوٰى بِالنَّارِ وَاحْتَرَقْ
اَنَا لَمْ اُرْزَقْ مَحَبَّتَهَا ... اِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رُزِقْ
اِنْ يَكُنْ مَا ذُقْتُ طَعْمَ هَوًى ... ذَاقَهُ لَا شَكَّ مَنْ عَشِقْ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اسحق بن ابراهيم الموصلي لما فرغ من شعره لم يبق احد من الجماعة الّا وثب من موضعه و جلسوا بين يدي وقالوا بالله عليك ياسيدنا ان تغني لنا صوتا أخر فقلت لهم حبا وكرامة ثم احكمتُ الضربات و غنيت بهذه الابيات

اَلَا مَنْ لِقَلْبٍ ذَائِبٍ بِالنَّوَائِبِ ... اَنَا خَتْ بِهِ الْاَحْزَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
حَرَامٌ عَلَى رَامِيْ فُؤَادِيْ بِسَهْمِهِ ... دَمٌ صَبَّهُ بَيْنَ الْحَشَى وَالتَّرَائِبِ

Digitized by Google

انا واقف اذ اقبل رجلان شابان جميلان فاستأذنا فاذن لهما صاحب الدار فنزلا ونزلت معهما ودخلت صحبتهما فظنّا ان صاحب الدار دعاني فجلسنا ساعة فاتي بالطعام فاكلنا ثم وضع الشراب بين ايدينا ثم خرجت الجارية وفي يدها عود فغنّت وشربنا وقمت لاقضي حاجة فسال صاحب المنزل الرجلين عنّي فاخبراه انهما لا يعرفاني فقال هذا طُفَيلي ولكنه ظريف فاجملوا عشرته ثم جئت فجلست في مكاني فغنّت الجارية بلحن لطيف وانشدت هذين البيتين

قُلْ لِلْغَزَالَةِ وَهْيَ غَيْرُ غَزَالَةٍ ... وَالْجَوْذَرِ الْمَكْحُولِ غَيْرُ الْجَوْذَرِ
لِمُذَكَّرُ الْخَلَوَاتِ غَيْرُ مُؤَنَّثٍ ... وَمُؤَنَّثُ الْخَطَوَاتِ غَيْرُ مُذَكَّرِ

فادّته اداء حسنا وشرب القوم واعجبهم ذلك ثم غنت طرقا شتّى بالحان غريبة وغنت من جملتها طريقة هي لي وانشدت هذين البيتين

اَلطُّلُولُ الدَّوَارِسُ ... فَارَقَتْهَا الْأَوَانِسُ
أَوْحَشَتْ بَعْدَ أُنْسِهَا ... فَهْيَ قَفْرَاءُ طَامِسُ

فكان امرها اصلح فيها من الاولى ثم غنّت طرقا شتّى بالحان غريبة من القديم والحديث وغنت في اثنائها طريقة هي لي بهذين البيتين

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا ... وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي بَلَغْتَ ... وَإِنْ كُنْتَ لَاعِبًا

فاستعدته منها لإصلاحه لها فاقبل عليّ احد الرجلين وقال ما رأينا طفيلا اصلح وجها منك اما ترضى بالتطفّل حتى اقترحت وقد صح

Digitized by Google

ثم تركني و انصرف اليها فقلت له اما والله لقد صدقت في نسبتي الى الحماقه و القوادة وانصرفتُ عن بابه وانا في همّ شديد اجد اثره في قلبي الى يومي هذا ولم اظفر بها ولا سمعت لهـا خبرا

و مما يحكى

ان اسحٰق بن ابراهيم الموصلي قال اتفق انني ضجرت من ملازمة دار الخليفة و الخدمة بهـا فركبت و خرجت بكرة النهار وعزمت على ان اطوف الصحـراء و اتفرج وقلت لغلمـاني اذا جاء رسول الخليـفة او غيره فعـرفوه انني بكّرتُ في بعض مهمـاتي وانكم لا تعرفون اين ذهبتُ ثم مضيت وحدي وطفت في المدينة وقد حمي النهار فوقفت في شارع يعرف بالحرم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان اسحٰـق بن ابراهيم الموصلي قال لما حمي النهار وقفت في شارع يعرف بالحرم لا ستظلّ من حر الشمس وكان للدار جناح رحب بارز على الطريق فلم البث حتى جاء خادم اسود يقود حمـارا فرأيت عليه جارية راكبة وتحتها منديل مكلّل بالجواهر وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده ورأيت لها قواما حسنـا وطرفا فاترا وشمائل ظريفة فسـألتُ عنها بعض المارّين فقال لي انهـا مغنّية وقد تعلق بحبهـا قلبي عند نظري اليها وما قدرت ان استقرّ على ظهر دابتي ثم انها دخلت الدار التي كنت واقفا على بابها فجعلت افكّر في حيلة اتوصّل بها اليها فبينما

Digitized by Google

مَا لِلزَّمَانِ وَلِلتَّحَكُّمِ بَيْنَنَا أَفْتَ الزَّمَانُ فَسُرَّنَا بِتَلَاقِ

فنهضت مسرعا و صرت اقبل يديها و قلت لها ما كنت اظن ان الزمان يسمح لي بمثل هذه الفرصة فا تبعي اثري غير مأمورة ولامستكرهة بل بفضل منك تعطّفا عليّ ثم ولّيت و هي خلفي ولم يكن لي في ذلك الوقت منزل ارضاه لمثلها وكان مسلم بن الوليد صديق لي و له منزل حسن فقصدته فلما قربتُ عليه الباب خرج لي فسلمت عليه و قلت لمثل هذا الوقت تُدّخر الاخوان فقال حبا وكرامة ادخلا فدخلنا فصا دفنا عنده عُسْرة فدفع لي منديلا و قال اذهب به الى السوق وبِعْه و خذما تحتاج اليه من طعام وغيره فمضيت مسرعا الى السوق و بعته واخذت ما نحتاج اليه من طعام وغيره ثم رجعت فرأيت مسلما قد خلا بها في سرداب فلما احسّ بي وثب اليّ وقال لي كافأك الله يا ابا عليّ على جميل ما صنعت معي ولقاك ثوابه و جعله حسنة في حسناتك يوم القيامة ثم تناول مني الطعام والشراب واغلق الباب في وجهي فغاظني قوله و لم ادر ما اصنع و هو قائم خلف الباب يهتزّ سرورا فلما رأني على تلك الحالة قال بحيوتي يا ابا علي من الذي انشأ هذا البيت

بِتُّ فِي دِرْعِهَا وَبَاتَ رَفِيقِي جُنُبَ الْقَلْبِ طَاهِرَ الْأَطْرَافِ

فاشتدّ غيظي منه و قلت هو منشئ هذا البيت

مَنْ لَهُ فِي حَرَامِهِ أَلْفُ قَرْنٍ قَدْ أَنَاخَتْ عَلَى عُلُوٍّ مَنَافِ

ثم جعلتُ اشتمه و اسبّه على قبيح فعله و قلة مروّته وهو ساكت لا يتكلّم فلما فرغتُ من سبي له تبسّم وقال ويلك يا احمق انما دخلتَ منزلي وبعتَ منديلي و نفقت درهمي فعلى مَنْ تغضب يا قوّاد

Digitized by Google

بعد ذلك غضب على عدي و قتله فوجدت عليه هند وجدا عظيما ثم انها بنت لها ديرا في ظاهر الحيرة وترهبت فيه و جلست تندبه وتبكيه حتى ماتت وديرها معروف الى الآن فى ظاهر الحيرة

ومما يحكى

ان دعبلا الخزاعي قال كنت جالسا بباب الكرخ اذ مرت بي جارية لم ار احسن منها ولا اعدل قدا وهي تتثني في مشيتها و تسبي الناظرين بتثنيها فلما وقع بصري عليها افتتنت بها وارتجف فؤادي وأنست انه قد طار قلبي من صدري فانشدت معرضا لها هذا البيت

دُمُوعُ عَيْنِي بِهَا انْفِضَاضُ وَنَوْمُ جَفْنِي بِهِ انْقِبَاضُ

فنظرت الي و استدارت بوجهها واجابتني سرعة بهذا البيت

وَذَا قَلِيلٌ لِمَنْ دَعَتْهُ بِلَحْظِهَا الْأَعْيُنُ الْمِرَاضُ

فا دهشتني بسرعة جوابها و حسن منطقها فانشدتها ثانيا هذا البيت

فَهَلْ لِمَوْلَايَ عِطْفُ قَلْبٍ عَلَى الَّذِي دَمْعُهُ مُفَاضُ

فاجابتني بسرعة من غير توقف بهذا البيت

إِنْ كُنْتَ تَهْوَى الْوِدَادَ مِنَّا فَالْوُدُّ مَا بَيْنَنَا قِرَاضُ

فما دخل في اذني قط احلى من كلامها ولا رأيت ابهج من وجهها فعدلت بالشعر عن القافية امتحانا لها وعجبا بكلامها فقلت لها هذا البيت

أَتَرَى الزَّمَانَ يَسُرُّنَا بِتَلَاقِي وَيَضُمُّ مُشْتَاقًا إِلَى مُشْتَاقِ

فتبسمت فما رأيت احسن من فمها ولا احلى من ثغرها واجابتني بسرعة من غير توقف بهذا البيت

Digitized by Google

علي في هذه الليلة هلكت ثم وقعت مغشيا عليها فحملتها وصائفها وادخلنها القصر فبادرت مارية الى النعمان واخبرته بخبرها واصدقته الحديث وذكرت له انها هامت بعدي واعلمته انه ان لم يزوجها افتضحت وماتت من عشقه ويكون ذلك عارا عليه بين العرب وانه لا حيلة في ذلك الامر الا تزويجها به فاطرق النعمان ساعة يفكر في امرها واسترجع مرارا ثم قال ويلك وكيف الحيلة في تزويجها به وانا لا احبّ ان ابتدئه بذلك الكلام فقالت هو اشد عشقا منها واكثر رغبة فيها فانا احتال في ذلك من حيث لا يعلم انك عرفت امره ولا تفضح نفسك ايها الملك ثم انها ذهبت الى عدي واخبرته بالخبر وقالت له اصنع طعاما ثم ادع الملك اليه فاذا اخذ منه الشراب فاخطبها منه فانه غير رادك فقال اخشى ان يغضبه ذلك فيكون سببا للعداوة بيننا فقالت له ماجئتك الا بعد ما فرغت من الحديث معه وبعد ذلك رجعت الى النعمان وقالت له اطلب منه ان يضيفك في بيته فقال لها لا باس بذلك ثم ان النعمان بعد ذلك بثلثة ايام سأله ان يتغدى عنده هو واصحابه فاجابه الى ذلك ثم ذهب اليه فلما اخذ منه الشراب مأخذه قام عدي فخطبها منه فاجابه وزوّجه اياها وضمّها اليه بعد ثلثة ايام فمكثت عنده ثلث سنين وهما في ارغد عيش واهناه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان عديا مكث مع هند بنت النعمان بن المنذر ثلث سنين وهما في ارغد عيش واهناه ثم ان النعمان

Digitized by Google

و انصرفت فلما نظر اليها و سمع كلامها افتتن بها و اندهش عقله و ارتجف قلبه و تغيّر لونه حتى انكر عليه الفتيان فاسرّ الى بعضهم انه يتبعها ويكشف له خبرها فمضى خلفها ثم عاد اليه و اخبره انها هند بنت النعمان فخرج من البيعة و هو لا يدري اين الطريق من شدة عشقه ثم انشد هذين البيتين

يَا خَلِيْلَيَّ زِدْ تُمَاتَيْسِيْرًا ... اَنْ تَؤُمَّا اِلَى الْبِقَاعِ مَسِيْرًا
عَرِّجَانِيْ عَلَى دِيَارِ لِهِنْدٍ ... ثُمَّ رُوْحَا وَخَبِّرَا تَخْبِيْرًا

فلما فرغ من شعره ذهب الى مكانه و بات ليلته قلقا لم يذق طعم النوم و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان عديا لما فرغ من شعره ذهب الى بيته و بات ليلته قلقا لم يذق طعم النوم فلما اصبح تعرضت له مارية فلما رآها هشّ لها وكان قبل ذلك لا يلتفت اليها ثم قال لها ما مرادك قالت ان لي حاجة اليك قال اذكريها فوالله لا تسأليني شيأ الّا اعطيتك اياه فاخبرته انها تهواه و ان حاجتها اليه الخلوة فسمح لها بذلك بشرط ان تحتال في هند و تجمع بينها و بينه وادخلها حانوت خمّار في بعض دروب الحيرة وواقعها ثم خرجت و اتت هندا فقالت لها اَمَا تشتهين ان ترى عديا قالت وكيف لي بذلك وقد اقلقني الشوق اليه ولا يقرّ لي قرار من البارحة فقالت انا اَعِدُهُ بمكان كذا وكذا و تنظرين اليه من القصر فقالت هند افعلي ما شئت و اتفقت معها على ذلك الموضع فاتى عديا فاشرفت عليه فلما رأته كادت ان تسقط من اعلاه ثم قالت يا مارية ان لم تدخليه

Digitized by Google

السلامة ونجّاهم من الهلاك وطبخوا ذلك اللحم واكلوه وكان فيهم مشائخ بيض اللحى فلما اصبحوا وجد والحاهم قداسودّت ولم يشب بعد ذلك احد من القوم الذين اكلوا من ذلك اللحم وكانوا يقولون ان سبب عود شبابهم اليهم وامتناع المشيب عنهم ان العُود الذي حركوا به القدر كان من شجرة النُشّاب وبعضهم يقول سبب ذلك لحم فرخ الرخ وهذا من اعجب العجب

ومما يحكى

ان النُعمان ابن المُنذِر ملك العرب كان له بنت تسمى هندا وقد خرجت في يوم الفِصح وهو عيد النصارى لتتقرّب في البيعة البيضاء ولها من العمر احد عشر عاما وكانت اجمل نساء عصرها وزمانها وفي ذلك اليوم كان عَدِيّ بن زيد قد قدم الى الحِيرة من عند كسرى بهدية الى النعمان فدخل البيعة البيضاء ليتقرّب وكان مديد القامة حلو الشمائل حسن العينين نقيّ الخد ومعه جماعة من قومه وكان مع هند بنت النعمان جارية تسمى مارية وكانت مارية تعشق عديا ولكنها لايمكنها الوصول اليه فلما رأته في البيعة قالت لهند انظري الى هذا الفتى فهو والله احسن من كل من ترين قالت هند ومن هو قالت عديّ بن زيد قالت هند بنت النعمان اخاف ان يعرفني ان دنوت منه حتى اراه من قرب قالت ماريةو من اين يعرفك وماأراك قط قد نتَ منه وهو يمازح الفتيان الذين معه قد برع عليهم بجمال له وحسن كلامه وفصاحة لسانه وما عليه من الثياب الفاخرة فلما نظرت اليه افتتنت به واندهش عقلها وتغيّر لونها فلما عرفت مارية ميلها اليه قالت لها كلّميه فكلمته

Digitized by Google

فرخ الرخ حين خروجه من البيضة الف باع وكان الناس يتعجبون من تلك القصبة حين رؤها وكان هذا الرجل اسمه عبد الرحمن المغربي واشتهر بالصيني لكثرة اقامته هناك وكان يحدث بالعجائب * منها ما ذكره من انه سافر في بحر الصين وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الرحمن المغربي الصيني كان يحدث بالعجائب * منها ما ذكره من انه سافر في بحر الصين مع جماعة فرأوا جزيرة على بعد فرست بهم المركب على تلك الجزيرة فرأوها عظيمة واسعة فخرج اليها اهل تلك السفينة ليأخذوا ماء وحطبا ومعهم الفوس والحبال والقرب وذلك الرجل معهم فرأوا في الجزيرة قبة عظيمة بيضاء لماعة طولها مائة ذراع فلما رأوها قصدوها ودنوا منها فوجدوها بيضة الرخ فجعلوا يضربونها بالفوس والحجارة والخشب حتى انشقت عن فرخ الرخ فوجدوه كالجبل الراسخ فنتفوا ريشة من جناحه ولم يقدروا على نتفها منه الا بتعاونهم مع انه لم يتكامل خلق الريش في ذلك الفرخ ثم اخذوا ما قدروا عليه من لحم الفرخ وحملوه معهم وقطعوا اصل الريشة من حد القصبة وحلوا قلوع المركب وسافروا طول الليل الى طلوع الشمس وكانت الريح مسعفة وهي سائرة بهم فبينما هم كذلك اذا قبل الرخ كالسحابة العظيمة وفي رجليه صخرة كالجبل العظيم اكبر من السفينة فلما حاذى السفينة وهو في الجو القى الصخرة عليها وعلى من بها من الناس وكانت السفينة مسرعة في الجري فسبقت فوقعت الصخرة في البحر وكان لوقوعها هول عظيم وكتب الله لهم

Digitized by Google

نفسها وكانت المرأة عارفة به فدخلت به بيتها واجلسته واخرجت له كتابا وقالت له انظر في هذا الى ان اصلح امري وارجع اليك فجلس يطالع فى الكتاب واذا فيه الزجر عن الزنا وما اعدّه الله لاهله من العذاب فاقشعرّ جلده وتاب الى الله تعالى وصاح بالمرأة واعطاها الكتاب وذهب وكان زوج المرأة غائبا فلما حضر اخبرته بالخبر فتحيّر وقال في نفسه اخاف ان يكون وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فاعلمت المرأة اقاربها بما حصل لها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما مثلوا بين يديه قال اقارب المرأة اعزّ الله الملك ان هذا الرجل استأجر منا ارضا للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا يتركها حتى نؤ اجرها لمن يزرعها ولاهو يزرعها وقد حصل الضرر للارض فنخاف فسادها بسبب التعطيل لان الارض اذا لم تزرع فسدت فقال الملك ما الذي يمنعك من زرع ارضك فقال اعز الله الملك انه قد بلغني ان الاسد قد دخل الارض فهبته ولم اقدر على الدنو منها لعلمي انه لا طاقة لي بالاسد واخاف منه ففهم الملك القصة وقال له يا هذا ان ارضك لم يطأ ها الاسد وارضك طيبة الزرع فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد لا يعدو عليها ثم انه امر له ولزوجته بصلة حسنة واصرفهم

ومما يحكى

ان رجلا من اهل المغرب كان سافر الاقطار وجاب القفار والبحار فاتفقت المقادير في جزيرة واقام فيها مدة طويلة ثم رجع الى بلده ومعه قصبة ريشة من جناح فرخ الرخ وهو في البيضة ولم يخرج منها الى الوجود وكانت تلك القصبة تسع قربة ماء وقيل ان طول جناح

Digitized by Google

فقال الرجل ان هذا كلام كذب لان زوجها ارسل لي مكتوبا بالامس يخبرفيه انه طيب بخير وعافية وانه بعد عشرة ايام يكون عندها فقام من ساعته وجاء الى المرأة وقال لها اين الكتاب الذي جاءك فجاءت به اليه فاخذه منها وقرأه واذا فيه اما بعد فاني طيب بخير وعافية وبعد عشرة ايام اكون عندكم وقد ارسلت اليكم ملحفة ومكمرة فاخذت الكتاب وعادت به الى الفقيه وقالت له ما حملك على الذي فعلته معي واخبرته بما قال جارها من سلامة زوجها وانه ارسل اليها ملحفة ومكمرة فقال لها صدقت ولكن يا حرمة اعذريني فاني كنت في تلك الساعة مغتاظا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المرأة لما قالت للفقيه ما حملك على الذي فعلته معي فقال لها اني كنت في تلك الساعة مغتاظا مشغول الخاطر ورأيت المكمرة ملفوفة في الملحفة فظننت انه مات وكفنوه وكانت المرأة لا تعرف الحيلة فقالت له انت معذور واخذت الكتاب وانصرفت مـــــــــــــــنه

وحكي

ان ملـــكا من الملـــوك خرج مستخفيـــا ليطّلع على احوال رعيته فوصل الى قرية عظيمة فدخلهـــا منفردا وقد عطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امرأة جميلة بكوز ماء فناولته اياه فشرب فلما نظر اليها افتتن بهـا فراودها عن

Digitized by Google

وحكي ايضا

ان بعض المجاورين كان لا يعرف الخط ولا القراءة وانما كان يحتال على الناس بحيل يأكل منها الخبز فخطر ببالـه له يوما من الايام انه يفتح له مكتبا و يقرئ فيه الصبيان فجمع الواحا واوراقا مكتوبة و علقها في مكان وكبر عمامته وجلس على باب المكتب فصار الناس يمرّون عليه و ينظرون الى عمامته والى الالواح والاوراق فيظنون انه فقيه جيد فيأتون اليه باولادهم فصار يقول لهذا اكتب ولهذا اقرأ فصار الاولاد يعلّم بعضهم بعضا فبينما هو ذات يوم جالس في باب المكتب على عادته واذا بامرأة مقبلة من بعيد وبيدها مكتوب فقال في باله لابد ان هذه المرأة تقصدني لاقرأ لها المكتوب الذي معها فكيف يكون عملي معها وانا لا اعرف قراءة الخط وهمّ بالنزول ليهرب منها فلحقته قبل ان ينزل وقالت له الى اين فقال لها اريد ان اصلي الظهر واعود فقالت له الظهر بعيد فاقرأ لي هذا الكتاب فاخذه منها وجعل اعلاه اسفله وصار ينظر اليه ويهزّ عمامته تارة ويرقص حواجبه تارة اخرى ويظهر غيظا وكان زوج المرأة غائبا والكتاب مرسل اليها من عنده فلما رأت الفقيه على تلك الحالة قالت في نفسها لا شك ان زوجي مات وهذا الفقيه يستحي ان يقول لي انه مات فقالت له يا سيدي ان كان مات قل لي فهزّ راسه وسكت فقالت له المرأة هل اشقّ ثيابي فقال لها شقّي فقالت له هل الطم وجهي فقال لها الطمي فاخذت الكتاب من يده وعادت الى منزلها وصارت تبكي هي واولادها فسمع بعض جيرانها البكاء فسألوا عن حالها فقيل لهم انه جاءها كتاب بموت زوجها

Digitized by Google

نعلمتُ انها ما تت فحزنت عليها ومضى لي ثلثة ايام وانا في العزاء فتركته وانصرفت بعد ما تحققت من قلة عقله

ومما يحكى

من قلة عقل معلم الصبيان انه كان رجل فقيه في مكتب فدخل عليه رجل ظريف وجلس عنده ومارسه فرأه فقيها نحويا لغويا شاعرا اديبا فهيما لطيفا فتعجب من ذلك وقال ان الذين يعلمون الصبيان في المكاتب ليس لهم عقل كامل فلما همّ بالانصراف من عند الفقيه قال له انت ضيفي في هذه الليلة فاجابه الى الضيافة وتوجّه صحبته الى منزله فاكرمه واتى له بالطعام فاكلا وشربا ثم جلسا بعد ذلك يتحدّثان الى ثلث الليل وبعد ذلك جهّز له الفراش وطلع الى حريمه فاضطجع الضيف واراد النوم واذا بصراخ كثير ثار في حريمه فسأل ما الخبر فقالوا له ان الشيخ حصل له امر عظيم وهو في آخر رمق فقال طلّعوني له فطلعوه له ودخل عليه فرأه مغشيا عليه ودمه سائل فرشّ الماء على وجهه فلما افاق قال له ما هذا الحال انت طلعت من عندي في غاية ما يكون من الحظّ وانت صحيح البدن فما اصابك فقال له يا اخي اني بعد ما طلعت من عندك جلست اتذكّر في مصنوعات الله تعالى وقلت في نفسي كل شيء خلقه الله للانسان فيه نفع لان الله سبحانه خلق اليدين للبطش والرجلين للمشي والعينين للنظر والاذنين للسماع والذكر للجماع وهلّم جرا الاّ هذين البيضتين ليس بهما نفع فاخذت موسى كان عندي وقطعتهما فحصل لي هذا الامر فنزل من عنده وقال صدق من قال ان كل فقيه يعلّم الصبيان ليس له عقل كامل ولو كان يعرف جميع العلوم

Digitized by Google

و طرقته فخرجت لي جارية و قالت ما تريد فقلت اريد مولاك فقالت ان مولاي قاعد فى العزاء وحده فقلت لها قولي له ان صديقك فلان يطلب ان يعزيك فراحت و اخبرته فقال لها دعيه يدخل فاذنت لي فى الدخول فدخلت اليه فرأيته جالسا وحده و معصّبا رأسه فقلت له عظّم الله اجرك و هذا سبيل لابدلكل احد منه فعليك بالصبر ثم قلت له مَن الذي مات لك فقال اعزّالناس علىّ واحبهم الىّ فقلت لعله والدك فقال لا قلت و الدتك قال لا قلت اخوك قال لا قلت احد من اقاربك قال لا قلت فما نسبتة اليك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذا اول المباحث فى قلة عقله ثم قلت له قد يوجد غيرها مما هوا حسن منها فقال انا ما رأيتها حتى اعرف ان كان غيرها احسن منها اولا فقلت في نفسي و هذا مبحث ثان فقلت له وكيف عشقت من لاتراها فقال اعلم اني كنت جالسا فى الطاقة و اذا برجل عابر طريق يغنّي بهذا البيت

يَاأُمَّ عَمْرٍو جَزَاكِ اللّٰهُ مَكْرُمَةً ... رُدِّيْ عَلَيَّ فُؤَادِيْ أَيْنَمَا كَانَا

و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الفقيه قال لمّا غنّى الرجل المار فى الطريق بالشعر الذي سمعته منه قلت في نفسي لولا ان ام عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزّلون فيها فتعلّقت بحبها فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو ينشد هذا البيت

لَقَدْ ذَهَبَ الْحِمَارُ بِأُمِّ عَمْرٍو ... فَلَا رَجَعَتْ وَلَا رَجَعَ الْحِمَارُ

Digitized by Google

فعلمتُ انها ماتت فحزنت عليها ومضي لي ثلثة ايام وانا في العزاء فتركته وانصرفت بعد ما تحققت من قلة عقله

ومما يحكى

من قلة عقل معلم الصبيان انه كان رجل فقيه في مكتب فدخل عليه رجل ظريف وجلس عنده ومارسه فرأه فقيها نحويا لغويا شاعرا اديبا فهيما لطيفا فتعجب من ذلك وقال ان الذين يعلمون الصبيان في المكاتب ليس لهم عقل كامل فلما همّ بالانصراف من عند الفقيه قال له انت ضيفي في هذه الليلة فاجابه الى الضيافة وتوجّه صحبته الى منزله فاكرمه واتى له بالطعام فاكلا وشربا ثم جلسا بعد ذلك يتحدّثان الى ثلث الليل وبعد ذلك جهّز له الفراش وطلع الى حريمه فاضطجع الضيف واراد النوم واذا بصراخ كثير ثار في حريمه فسأل ما الخبر فقالوا له ان الشيخ حصل له امر عظيم وهو في آخر رمق فقال طلّعوني له فطلعوه له ودخل عليه فرأه مغشيا عليه ودمه سائل فرشّ الماء على وجهه فلما افاق قال له ما هذا الحال انت طلعت من عندي في غاية ما يكون من الحظّ وانت صحيح البدن فما اصابك فقال له يا اخي اني بعد ماطلعت من عندك جلست اتذكّر في مصنوعات الله تعالى وقلت في نفسي كل شيء خلقه الله للانسان فيه نفع لان الله سبحانه خلق اليدين للبطش والرجلين للمشي والعينين للنظر والاذنين للسماع والذكر للجماع وهلّم جرا الاّ هذين البيضتين ليس بهما نفع فاخذت موسى كان عندي وقطعتهما فحصل لي هذا الامر فنزل من عنده وقال صدق من قال ان كل فقيه يعلّم الصبيان ليس له عقل كامل ولوكان يعرف جميع العلوم

Digitized by Google

و طرقته فخرجت لي جارية و قالت ما تريد فقلت اريد مولاك فقالت ان مولاي قاعد فى العزاء وحده فقلت لها قولي له ان صديقك فلان يطلب ان يعزيك فراحت و اخبرته فقال لها دعيه يدخل فاذنت لي فى الدخول فدخلت اليه فرأيته جالسا وحده و معصّبا رأسه فقلت له عظّم الله اجرك و هذا سبيل لابدلكل احد منه فعليك بالصبر ثم قلت له مَن الذي مات لك فقال اعزّالناس علي واحبهم الىّ فقلت لعله والدك فقال لا قلت و الدتك قال لا قلت اخوك قال لا قلت احد من اقاربك قال لا قلت فما نسبتة اليك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذا اول المباحث فى قلة عقله ثم قلت له قد يوجد غيرها مما هوا حسن منها فقال انا ما رأيتها حتى اعرف ان كان غيرها احسن منها اولا فقلت في نفسي و هذا مبحث ثان فقلت له وكيف عشقت من لاتراها فقال اعلم اني كنت جالسا فى الطاقة و اذا برجل عابر طريق يغنّي بهذا البيت

يَا اُمَّ عَمْرٍو جَزَاكِ اللّٰهُ مَكْرُمَةً ... رُدِّيْ عَلَيَّ فُؤَادِيْ اَيْنَمَا كَانَا

و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الفقيه قال لمّا غنّى الرجل المار فى الطريق بالشعر الذي سمعته منه قلت في نفسي لولا ان ام عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزّلون فيها فتعلّقت بحبها فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو ينشد هذا البيت

لَقَدْ ذَهَبَ الْحِمَارُ بِاُمِّ عَمْرٍو ... فَلَا رَجَعَتْ وَلَا رَجَعَ الْحِمَارُ

Digitized by Google

وغاب عنا ولم يزل غائبا عنا حتى لقي الله عزوجل تقيّا نقيّا ثم قال قم فارني قبره فخرجت معه وجعلت اسيراني ان اريته اياه فجعل يبكي وينتحب حتى وقع مغشيا عليه فلما افاق من غشيته استغفر الله وقال انالله وانا اليه راجعون ودعا له بخير ثم سألني الصحبة فقلت له يا امير المؤمنين ان لي في ولدك اعظم العظات ثم انشأت هذه الابيات

أَنَا الْغَرِيبُ فَلَا أَوِي إِلَى أَحَدٍ ... أَنَا الْغَرِيبُ وَإِنْ أَمْسَيْتُ فِي بَلَدِي
أَنَا الْغَرِيبُ فَلَا أَهْلٌ وَلَا وَلَدٌ ... وَلَيْسَ لِي أَحَدٌ يَأْوِي إِلَى أَحَدِ
إِلَى الْمَسَاجِدِ أَوْيِ بَلْ أُعَمِّرُهَا ... فَلَنْ يُفَارِقَهَا قَلْبِي مُدَى الْأَبَدِ
فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى ... أَفْضَالِهِ بِبَقَاءِ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ

ومما يحكى

عن بعض الفضلاء انه قال مررت بفقيه في المكتب وهو يقرئ الصبيان فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فاقبلت عليه فقام اليّ واجلسني معه فما رسته في القرأت والنحو والشعر واللغة فاذا هو كامل في كل ما يراد منه فقلت له قوى الله عزمك فانك عارف بكل ما يرادمنك ثم عاشرته مدة وكل يوم يظهر لي فيه حسن فقلت في نفسي ان هذا شيء عجيب من فقيه يعلّم الصبيان مع ان العقلاء اتفقوا على نقص عقل معلم الصبيان ثم فارقته وكنت كل ايام قلائل اتفقّده وازوره فاتيت اليه في بعض الايام على عادتي من زيارته فوجدت الكُتّاب مغلوقا فسألت جيرانه فقالوا انه مات عنده صبي فقلت في نفسي وجب عليّ ان نعزيه فجئت الى بابه

Digitized by Google

قال للخدمة افرجوا عنه وارسلوه برفق الى القصر ففعلوا ما امرهم به فلما دخل قصره طلبني وادخلني محله وقال لي ما فعل صاحب هذه اليا قوتة فقلت له قد مات ووصفت له حاله فجعل يبكي ويقول انتفع الولد وخاب الوالد ثم نادى يا فلانة فخرجت امرأة فلما رأتني ارادت ان ترجع فقال لها تعالي وما عليك منه فدخلت وسلمت فرمى اليها اليا قوتة فلما رأتها صرخت صرخة عظيمة ووقعت مغشيا عليها فلما افاقت من غشيتها قالت يا امير المؤمنين ما فعل الله بولدي فقال لي اخبرها بشأنه واخذته العبرة فاخبرتها بشأنه فجعلت تبكي وتقول بصوت ضعيف ما اشوقني الى لقائك يا قرة عيني ليتني كنت اسقيك اذا لم تجد ساقيا ليتني كنت اؤانسك اذا لم تجد مؤانسا ثم سكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

أَبْكِي غَرِيبًا أَتَاهُ الْمَوْتُ مُنْفَرِدًا ... لَمْ يَلْقَ إِلْفًا لَهُ يَشْكُو الَّذِي وَجَدَا

مِنْ بَعْدِ عِزٍّ وَشَمْلٍ كَانَ مُجْتَمِعًا ... أَضْحَى فَرِيدًا وَحِيدًا لَا يَرَى أَحَدًا

يَبِينُ لِلنَّاسِ مَا الْأَيَّامُ تَضْمُرُهُ ... لَمْ يَتْرُكِ الْمَوْتُ مِنَّا وَاحِدًا أَبَدًا

يَا غَائِبًا قَدْ قَضَى رَبِّي بِغُرْبَتِهِ ... وَصَارَ مِنِّي بَعِيدَ الْقُرْبِ مُبْتَعِدًا

إِنْ أَيْأَسَ الْمَوْتُ مِنْ لُقْيَاكَ يَا وَلَدِي ... فَإِنَّنَا نَلْتَقِي يَوْمَ الْحِسَابِ غَدًا

فقلت يا امير المؤمنين اهو ولدك قال نعم وقد كان قبل ولايتي هذا الامر يزور العلماء ويجالس الصالحين فلما وليت هذا الامر نفر مني وباعد نفسه عني فقلت لامه ان هذا الولد منقطع الى الله تعالى وربما تصيبه الشدائد ويكابد الامتحان فادفعي اليه هذه اليا قوتة ليجدها وقت الاحتياج اليها قد دفعتها اليه وعزمت عليه ان يمسكها فامتثل امرها واخذها منها ثم ترك لنا دنيانا

Digitized by Google

بَلِّغْ اَمَانَةَ مَنْ وَافَتْ مَنِيَّتُهُ ... اِلَى الرَّشِيْدِ فَاِنَّ الْاَجْرَ فِيْ ذَا كَا
وَقُلْ غَرِيْبٌ لَهُ شَوْقٌ اِلَى وَطَنٍ ... عَلَى تَمَادِى الْهَوَى وَالْبُعْدِ لَبَّاكَا
مَا صَدَّهُ عَنْكَ بُغْضٌ لَا وَلَا مَلَلٌ ... لَا نَّ قُرْبَتَهُ مِنْ لُثْمِ يُمْنَاكَا
وَاِنَّمَا اَبْعَدَتْهُ عَنْكَ يَا اَبَتِي ... نَفْسٌ لَهَا هِمَّةٌ عَنْ نَيْلِ دُنْيَاكَا

ثم ان الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار والصلوة والسلام على سيد الابرار وتلاوة بعض الآيات ثم انشد هذه الابيـــــــــــــــات

يَا وَالِدِيْ لَا تَغْتَرِرْ بِتَنَعُّمٍ ... فَالْعُمْرُ يَنْفَدُ وَالنَّعِيْمُ يَزُوْلُ
وَاِذَا عَلِمْتَ بِحَالِ قَوْمٍ سَاءَهُمْ ... فَاعْلَمْ بِاَنَّكَ عَنْهُمُ مَسْئُوْلُ
وَاِذَا حَمَلْتَ اِلَى الْقُبُوْرِ جَنَازَةً ... فَاعْلَمْ بِاَنَّكَ بَعْدَهَا مَحْمُوْلُ

قال ابو عامر البصري فلمـــا فرغ الغلام من وصيته وانشاده ذهبت عنه وتوجهت الى بيتي فلما اصبح الصباح ذهبت اليه من الغـــد وقت الضحى فوجدته قد مات رحمة الله عليه فغسلته وفتقت جيبه فوجدت في جيبها ياقوتة تساوي آلافا من الدنانير فقلت في نفسي والله ان هذا الفتى لقد زهد في الدنيا غاية الزهد ثم بعد ان دفنته توجهت الى بغداد ووصلت الى دار الخلافة وصرت اترقب خروج الرشيد الى ان خرج فتعرضت له في بعض الطرق ودفعت اليه اليـــاقوتة فلما رآها عرفها وخر مغشيا عليه فقبض علي الخدمـــة فلما افاق

Digitized by Google

فلما رأهما قال ما هذا قلت له والله ان هذا بعض اجرتك لاجتهادك في خدمتي فرمى بهما اليّ وقال لا اريد زيادة على ما كان بيني وبينك فرغبته فلم اقدر عليه فاعطيته درهما ودانقا وسار فلما اصبح الصباح بكّرت الى الموقف فلم اجده فسألت عنه فقيل لي انه لا يأتي ههنا الاّ في يوم السبت فقط فلّما كان يوم السبت الثاني ذهبت الى ذلك المكان فوجدته فقلت له بسم الله تفضّل الى الخدمة فقال لي على الشروط التي تعلمها قلت نعم فذهبت به الى داري ووقفت انظره وهو لا يراني فاخذ كفّا من الطين ووضعه على الحائط فاذا الحجارة يتركب بعضها على بعض فقلت هكذا اولياء الله فخدم يومه ذلك وزاد فيه على ما تقدم فلما كان الليل دفعت له اجرته فاخذها وسار فلما جاء يوم السبت الثالث اتيت الى الموقف فلم اجده فسألت عنه فقيل لي هو مريض وراقد في خيمة فلانة وكانت تلك المرأة عجوزا مشهورة بالصلاح ولها خيمة من قصب في الجبانة فسرت الى الخيمة ودخلتها فاذا هو مضطجع على الارض وليس تحته شيءٌ وقد وضع رأسه على لبنة ووجهه يتهلّل نورا فسلّمت عليه فرد عليّ السلام فجلست عند رأسه ابكي على صغر سنه وغربته وتوفيقه لطاعة ربه ثم قلت له اَلَكَ حاجة قال نعم قلت وما هي قال اذا كان الغد تجيءُ اليّ في وقت الضحى فتجدني ميتا فتغسلني وتحفر قبري ولا تعلم بذلك احدا وتكفنني في هذه الجبة التي عليّ بعد ان تفتقها تفتش جيبها وتخرج ما فيه وتحفظه عندك فاذا صليت عليّ وواريتني في التراب فاذهب الى بغداد وارتقب الخليفة هارون الرشيد حتى يخرج وادفع له ما تجده في جيبي واقرئه مني السلام ثم تشهّد واثنِ على ربه بابلغ الكلمات وانشد هذه الابيات

Digitized by Google

ما تبه لرجع عما هو فيه فسمع امير المؤمنين كلامهم فكلمه في ذلك
و قال له يا بُنيّ لقد فضحتني مما انت عليه فنظر اليه ولده و لم يجبه
ثم نظر الى طائر على شرافة من شراريف القصر فقال له ايها الطائر
بحق الذي خلقك ان تسقط على يدي فانقض الطائر على يد الغلام
ثم قال له ارجع موضعك فرجع الى موضعه ثم قال له اسقط على يد
امير المؤمنين فابى ان يسقط على يده فقال الغلام لابيه
امير المؤمنين انت الذي فضحتني بين الاولياء بحبك الدنيا و قد
عزمت على مفارقتك مفارقة لا اعود اليك بعدها الاّ في الاٰخرة ثم
انحدر الى البصرة فكان يعمل مع الفعلة في الطين و كان لا يعمل في كل
يوم الاّ بدرهم ودانق فيتقوّت بالدانق ويتصدّق بالدرهم * قال ابو
عامر البصري وكان قد وقع في داري حائط فخرجت الى موقف
الفعلة لانظر رجلا يعمل لي فيه فوقعت عيني على شاب مليح ذي
وجه صبيح فجئت اليه وسلمت عليه وقلت له يا حبيبي اتريد الخدمة
فقال نعم فقلت قم معي الى بناء حائط فقال لي بشروط اشترطها عليك
قلت يا حبيبي ما هي قال الاجرة درهم و دانق واذا اذّن المؤذن
تتركني حتى اصلي مع الجماعة قلت نعم ثم اخذته و ذهبت به الى
المنزل فخدم خدمة لم ار مثلها و ذكرت له الغداء فقال لا فعلمت
انه صائم فلما سمع الاذان قال لي قد علمت الشرط فقلت نعم فحلّ
حزامه و تفرغ للوضوء فتوضأ وضوأ لم ارا حسن منه ثم خرج الى
الصلٰوة فصلى مع الجماعة ثم رجع الى خدمته فلما اذّن العصر توضأ
و ذهب الى الصلٰوة ثم عاد الى الخدمة فقلت له يا حبيبي قد انتهى
وقت الخدمة فان خدمة الفعلة الى العصر فقال سبحان الله انما
خدمتي الى الليل ولم يزل يخدم الى الليل فاعطيته درهمين

Digitized by Google

عظيم فالآن لم تنعم عليّ الّا بالضرب وهذه الضربة نصيبي والضربتان الباقيتان نصيبه فانا قد اخذت نصيبي وها هو واقف يا امير المؤمنين فادفع له نصيبه فلما سمع امير المؤمنين كلامه ضحك حتى استلقى على قفاه ودعا بمسرور فضربه ضربة فصاح وقال يا امير المؤمنين يكفيني الثلث واعطه الثلثين وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الاولى بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مسرورا قال يا امير المؤمنين يكفيني الثلث واعطه الثلثين فضحك عليهما وامر لكل واحد منهما بالف دينار وانصرفا مسرورين بما انعم عليهما الخليفـــــــــــة

ومما يحكى

ان امير المؤمنين هارون الرشيد كان له ولد قد بلغ من العمر ستة عشر عاما وكان معرضا عن الدنيا وسالكا طريقة الزهاد والعبّاد فكان يخرج الى المقابر ويقول قد كنتم تملكون الدنيا فما ذلك بمنجيكم وقد صرتم الى قبوركم فيا ليت شعري ما قلتم وما قيل لكم ويبكي بكاء الخائف الواجل وينشد قول القائـــــــــــــــــــــــــل

تُرَوِّعُنِي الْجَنَـــائِزُ كُلَّ وَقْتٍ ... وَيَحْزُنُنِي بُكَاءُ النَّائِحَـــاتِ

فاتفــق ان اباه مرّ عليه في بعض الايام وهو في موكبـه وحوله وزراؤه وكبراء دولته واهل مملكته فرأوا ولد امير المؤمنين وعلى جســده جُبَّة من صوف وعلى رأسه مِزَر من صوف فقال بعضهم لبعض لقـد فضح هذا الولد امير المؤمنين بين الملوك فلو

Digitized by Google

وحق قرابتك من سيد المرسلين ما فعلت ذلك باختياري ولكنني خرجت بالامس اتمشّى بظاهر القصر حتى وصلت الى شاطئ الدجلة فرايت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا يضحك الناس يقال له ابن القاربي فتذكرت الآن كلامه فغلب عليّ الضحك واطلب منك العفو يا امير المؤمنين فقال الخليفة علّي به في هذه الساعة فخرج مسرور مسرعا الى ان وصل الى ابن القاربي وقال له اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له مسرور ولكن بشرط انك اذا دخلت عليه وانعم عليك بشيء يكون لك فيه الربع والبقية لي فقال له ابن القاربي بل لك النصف ولي النصف فقال له مسرور لا فقال له ابن القاربي لك الثلث ولي الثلثان فاجا به مسرور الى ذلك بعد جهد جهيد ثم قام معه فلما دخل على امير المؤمنين حيّاه بتحيّة الخلافة ووقف بين يديه فقال له امير المؤمنين اذا انت لم تضحكني ضربتك بهذا الجراب ثلث مرات فقال ابن القاربي في نفسه وما عسى ان تكون ثلث ضربات بهذا الجراب مع ان ضرب السياط لا يضرّني وظنّ ان الجراب فارغ ثم تكلّم بكلام يضحك المغتاظ واتى بانواع السخرية فلم يضحك امير المؤمنين ولم يتبسّم فتعجب ابن القاربي منه وضجر وخاف فقال امير المؤمنين الآن استحقّيت الضرب ثم اخذ الجراب وضربه مرة وكان فيه اربع زلطات كل زلطة زنتها رطلان فوقعت الضربة في رقبته فصرخ صرخة عظيمة وتذكر الشرط الذي بينه وبين مسرور فقال العفو يا امير المؤمنين اسمع مني كلمتين قال له قل ما بدالك فقال ان مسرورا شرط عليّ شرط واتفقت معه عليه وهو ان ما حصل لي من انعام امير المؤمنين يكون لي منه الثلث وله الثلثان وما اجابني الى ذلك الاّ بعد جهد

Digitized by Google

الى اين ذهب فقال له ائتني بالجمّال الذي حمل من عندك القماش فاتاه به فقال له الى اين حملت القماش من المركب مع التاجر فقال الى موضع كذا فقال له سِرْ معي اليه وارني اياه فمضى معه الجمّال الى مكان بعيد عن الشاطئ وعرفه الخان الذي وضع فيه القماش واراه حاصل التاجر فتقدم الى الحاصل وفتحه فوجد الاربع رزم القماش بحالها لم تنفك فناولها الى الجمال وكان اللص قد وضع كساءه على القماش فناوله صاحب القماش الى الجمّال ايضا فحمل الجميع على الجمل ثم اغلق الحاصل وذهب مع الجمّال واذا باللص واجهه فتبعه الى ان نزل القماش في المركب فقال له يا اخي انت في وداعة الله وقد اخذت قماشك وما ضاع منه شيءٌ فاعطني الكساء فضحك منه التاجر واعطاه الكساء ولم يشوّش عليه وانصرف كل منهما الى حال سبيله

ومما يحكى

ان امير المؤمنين هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي قلقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكي اني ارقت في هذه الليلة وضاق صدري ولم اعرف كيف اصنع وكان خادمه مسرور واقفا امامه فضحك فقال له الخليفة مِمَّ تضحك أتضحك استخفافا بي ام جنونا منك فقال لا والله يا امير المؤمنين وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان هارون الرشيد قال لمسرور السياف أتضحك استخفافا بي ام جنونا منك فقال لا والله يا امير المؤمنين

Digitized by Google

وتزيّا بزي صاحب الدكان و اخرج من كمّه مفاتيح وكان ذلك ليلا و قال لحارس السوق اشعل لي هذه الشمعة فاخذها منه الحارس ومضى ليشعلها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحارس اخذ منه الشمعة ومضى ليشعلها ففتح اللص الدكان و اشعل شمعة اخرى كانت معه فلما جاء الحارس وجده جالسا في الدكان ودفتر الحساب في يده وهو ينظر اليه ويحسب باصابعه ولم يزل على تلك الحالة الى وقت السحر ثم قال للحارس ائتني بجمّال وجمله ليحمل لي بعض البضائع فاتاه بجمّال وجمله فتناول اربع رزم من القماش ونا ولها له فحملها على الجمل ثم اغلق الدكان واعطى الحارس درهمين ومضى خلف الجمّال والحارس معتقدانه صاحب الدكان فلما اصبح الصباح واتضح النهار جاء صاحب الدكان فجعل الحارس يدعو له لاجل الدرهمين فانكر صاحب الدكان مقالته وتعجب منها فلما فتح الدكان وجد سيلان الشمع ودفتر الحساب مطروحا وتأمّل في الدكان فوجد اربع رزم من القماش مفقودة فقال للحارس ما الخبر فحكى له ماصنع بالليل ومقاولة الجمال على الرزم فقال له ائتني بالجمّال الذي حمل القماش معك سحرا فقال سمعا وطاعة ثم اتاه به فقال له الى اين حملت القماش سحرا فقال له الى الموردة الفلانية ووضعته في مركب فلان فقال له سِرْ معي اليها فمضى معه اليها وقال له هذه المركب وهذا صاحبها فقال للمراكبي الى اين حملت التاجر والقماش فقال له الى المكان الفلاني واتاني بجمّال فحمل القماش على جمله ومضى ولم اعرف

Digitized by Google

با يديها جميع الصناعات وهي قاعدة على المراتب ولكل هرم منها خازن حارس عليها وتلك الحراس يحفظونها على مَمَر الزمان من طوارق الحدثان و عجائب الاهرام حيرت ارباب البصائر والابصار وقد كثرت في وصفها الاشعار ولم تحصل منه على طائل فمن ذلك قول القائل

هِمَمُ الْمُلُوكِ اِذَا اَرَادُوْا ذِكْرَهَا ... مِنْ بَعْدِهِمْ فَبِأَلْسُنِ الْبُنْيَانِ
اَوَمَا تَرَى الْهَرَمَيْنِ قَدْ بَقِيَا وَلَمْ ... يَتَغَيَّرَا بِطَوَارِقِ الْحِدْثَـــانِ

وقول الآخر

اُنْظُرْ اِلَى الْهَرَمَيْنِ وَاسْمَعْ مِنْهُمَا ... مَا يَرْوِيَانِ عَنِ الزَّمَانِ الْغَـابِرِ
لَوْ يَنْطِقَـانِ لَاَخْبَرَانَا بِالَّذِي ... فَعَـلَ الزَّمَانُ بِأَوَّلٍ وَبِاٰخِرِ

وقول الآخر

خَلِيْلَيَّ هَلْ تَحْتَ السَّمَاءِ بَنِيَّةٌ ... تُضَارِعُ فِي اِتْقَانِهَا هَرَمَيْ مِصْرِ
بِنَاءٌ يَخَافُ الدَّهْرُ مِنْهُ وَكُلَّمَا ... عَلَى ظَاهِرِ الدُّنْيَا يَخَافُ مِنَ الدَّهْرِ
تَنَزَّهَ طَرْفِي فِي بَدِيْعِ بِنَائِهَـا ... وَلَمْ يَتَنَزَّهْ فِي الْمُرَادِ بِهَـا فِكْرِي

وقول الآخر

اَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ... مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْـرَعُ
تَتَخَلَّفُ الْاٰثَارُ عَنْ اَصْحَابِهَـا ... حِيْنًا وَيُدْرِكُهَا الْمَمَاتُ فَتَصْرَعُ

ومما يحكى

ان رجلا كان لِصًّـا وتاب الى الله تعالى وحسنت توبته وفتح له دكانا يبيع فيها القماش ولم يزل على ذلك مدة من الزمان فاتفق في بعض الايام انه اغلق دكانه ومضى الى بيته فجاء بعض اللصوص المحتالين

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان المأمون اجتهد في هدم الاهرام وانفق على ذلك اموالا عظيمة ولم يقدر على هدمها وانما فتح في احدها طاقة صغيرة ويقال ان المأمون وجد في الطاقة التي فتحها من الاموال قدر الذي انفقه على فتحها لا يزيد ولا ينقص فتعجب المأمون من ذلك ثم اخذ ماهناك ورجع عن تلك النية * والاهرام ثلثة وهي من عجائب الدنيا لم يكن على وجه الارض مثلها في احكامها واتقانها وعلوها وذلك انها مبنية بالصخور العظام وكان البنّاؤن الذين بنوها يثقبون الحجر من طرفيه ويجعلون فيه القضبان الحديد قائمة ويثقبون الحجر الثاني وينزلونه فيه ويذيبون الرصاص ويجعلونه فوق القضيب بترتيب الهندسة حتى اذا كمل بناؤها وصار ارتفاع كل هرم في الهواء مائة ذراع بالذراع المعهود في ذلك الوقت وهي مربعة الاطراف من كل جانب منحدرة الاعالي من اواخرها مقدار الواحد منها ثلثمائة ذراع وتقول القدماء ان في داخل الهرم الغربي ثلثين مخزنا من حجارة الصوان الملوّنة مملوءة بالجواهر النفيسة والاموال الجمة والثمائيل الغريبة والآلات والاسلحة الفاخرة التي دهنت بالدهان المدبر بالحكمة فلا تصدأ الى يوم القيامة وفيها الزجاج الذي ينطوى ولا ينكسر واصناف العقاقير المركبة والمياه المدبرة * وفى الهرم الثاني اخبار الكهنة مكتوبة في الواح من الصوان لكل كاهن لوح من الواح الحكمة ومرسوم في ذلك اللوح عجائب صناعته واعماله وفى الحيطان صور اشخاص كالاصنام تعمل

Digitized by Google

فتعجب النـــاس من صدقه ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال له بعضهم ما اكرمك من غلام واوفاك بالعهد والذمام فقال الغلام اما تحققتم ان الموت اذا حضر لا ينجو منه احد وانمـا وفيت كي لا يقال ذهب الوفاء من الناس فقال ابو ذرّ والله يا امير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغـلام ولم اعرفه من اي قوم ولا رأيته قبل ذلك اليوم ولكن لمـا اعرض عمن حضر وقصدني وقال هذا يضمـنني ويكفلني لم استحسن ردّه وابت المروة ان تخيب قصـده اذ ليس في اجابة القصد من بأس كي لا يقال ذهب الفضل من النـاس فعند ذلك قال الشباب يا امير المؤمنين قد وهبنا لهذا الشاب دم ابينـا حيث بذل الوحشة بالايناس كي لايقال ذهب المعروف من الناس واستبشر الامام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه بالذمام واستكبر مروة ابي ذردون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف واثنى عليهما ثناء الشاكر وتمثّل بقول الشـــــاعر

مَنْ يَصْنَعُ الْخَيْرَ بَيْنَ الْخَلْقِ يُجْزَ بِهِ ... لَا يَذْهَبُ الْخَيْرُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ

ثم عرض عليهما ان يصرف اليهما دية ابيهما من بيت المـال فقالا انما عفونا عنه ابتغاء وجه الله الكريم المتعالي ومَنْ نيته كذا لا يتبع احســـــــانه منّـــــــــا ولا اذى

ومما يحكى

ان المأمون بن هارون الرشيد لما دخل مصر المحروسة اراد هدم الاهرام ليأخذ مافيها فلما حاول هدمها لم يقدر على ذلك مع انه اجتهد في هدمها وانفق على ذلك اموالا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــاح

Digitized by Google

و قال من يقوم لي بضمانه والعود الى مكانه فنظر الغلام الى وجوه من في المجلس واشار الى ابي ذَرّ دون الحاضرين وقال هذا يكفلني ويضمنني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما اشار الى ابي ذَرّ وقال هذا يكفلني ويضمنني قال عمر رضي الله تعالى عنه يا ابا ذَرّ اسمعت هذا الكلام وتضمن لي حضور هذا الغلام قال نعم يا امير المؤمنين اضمنه الى ثلثة ايام فرضي بذلك واذن للغلام في الانصراف فلما انقضت مدة الامهال وكادت ان يزول اوزال ولم يحضر الشاب الى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر وابو ذَرّ قد حضر والخصمان ينتظران فقالا اين الغريم يا ابا ذر كيف رجوع من فرّ ولكن نحن لا نبرح من مكاننا حتى تأتينا به للاخذ بثأرنا فقال ابو ذر و حق الملك العلام ان انقضت الثلثة ايام ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان وسلّمت نفسي للامام فقال عمر رضي الله عنه والله ان تأخّر الغلام لاقضين في ابي ذَرّ ما اقتضته شريعة الاسلام فهملت عبرات الحاضرين وارتفعت زفرات الناظرين وعظم الضجيج فعرض اكابر الصحابة على الشابين اخذ الدية واغتنام الاثنية فأبيا ولم يقبلا شيأ الّا الاخذ بالثأر فبينما الناس يموجون ويضجّون تأسفا علي ابي ذر اذا قبل الغلام ووقف بين يدي الامام وسلّم عليه باحسن سلام ووجهه مشرق يتهلّل وبالعزّ يتكلّل وقال له قد اسلمت الصبي الى اخواله وعرفتهم بجميع احواله واطلعتهم على ما كان من ماله ثم اقتحمت هاجرة الحرّ ووفاء الحرّ

Digitized by Google

في منازل البادية فاصابت قومي سود السنين العادية فاقبلت الى ظاهر هذه البلد بالاهل والمال والولد و سلكت بعض طرائقها الى المسيريين حدائقها بنياق كريمات لديّ عزيزات عليّ بينهن فَحْلٌ كريم الاصل كثير النسل مليح الشكل به يكثر منهن النتاج ويمشي بينهن كأنّه ملك عليه تاج فندّت بعض النياق الى حديقة ابيهم وقد ظهر من الحائط شجرها فتناولته بمشفرها فطردتها عن تلك الحديقة واذا بشيخ من خلال الحائط قد ظهروزفير غيظه يرمي بالشرروفي يده اليمنى حجر وهويتهادى كالليث اذاحضر فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله لانه اصاب مَقْتَله فلما رأيت الفحل قد سقط بجانبي أيقنت ان قلبي قد تو قّدت فيه جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه وضربته فكان سببا لحَيْنه ولقي سوء منقلبه والمرء مقتول بما قتل به وعند اصابته بالحجر صاح صيحة عظيمة وصرخ صرخة اليمة فاسرعت بالسير من مكاني فاسرع هذان الشابان وامسكاني واليك احضراني وبين يديك اوقفاني فقال عمر رضي الله تعالى عنه قدا عترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب القصاص ولَاتَ حِيْنَ مَنَاصٍ فقال الشاب سمعا وطاعة لما حكم به الامام ورضيت بما اقتضته شريعة الاسلام ولكن لي اخ صغير كان له اب كبير خصّه قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل وسلّم امره اليّ واشهد الله عليّ وقال هذا لاخيك عندك فاحفظه جهدك فاخذت ذلك المال منه ودفنته ولا احد يعلم به الّا انا فان حكمتَ الآن بقتلي ذهب المال وكنتَ انت السبب في ذهابه وطالبك الصغير بحقّه يوم يقضي الله بين خلقه وان انت انظرتني ثلثة ايام اتممت من يتولّى امر الغلام وعدت وافيا بالذمام ولي من يضمنني على هذا الكلام فاطرق امير المؤمنين راسه ثم نظر الى من حضر

Digitized by Google

معه فقالا يا امير المؤمنين نحن اخوان شقيقان و باتباع الحق حقيقان كان لنا اب شيخ كبير حسن التدبير معظّم فى القبائل منزّه عن الرذائل معروف بالفضائل ربّانا صغارا واولانا مننا كبارا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشابين قالا لامير المؤمنين عمر بن الخطاب ان ابانا كان معظّما فى القبائل منزّها عن الرذائل معروفا بالفضائل ربّانا صغارا واولانا مننا كبارا جمّ المناقب والمفاخر حقيقا بقول الشاعر

قَالُوا اَبُو الصَّقْرِ مِنْ شَيْبَانَ قُلْتُ لَهُمْ ... كَلَّا لَعَمْرِي وَلٰكِنْ مِنْهُ شَيْبَانُ
فَكَمْ اَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنٍ ذَوِي شَرَفٍ ... كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللّٰهِ عَدْنَانُ

فخرج يوما الى حديقة له ليتنزّه في اشجارها و يقتطف يانع اثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الرشاد ونسألك القصاص بما جناه والحكم فيه بما امرالله فنظر عمر الى الشاب نظرة مرهبة وقال له قد سمعت من هذين الغلامين الخطاب فما تقول انت في الجواب وكان ذلك الغلام ثابت الجنان جري اللسان قد خلع ثياب الهلع ونزع لباس الجزع فتبسّم وتكلّم بافصح لسان وحيّا امير المؤمنين بكلمات حسان ثم قال والله يا امير المؤمنين لقد وعيت ما ادعياه وصدقا فيما لاه حيث اخبرا بماجرى وكان امرالله قدرا مقدورا ولكن سأذكر قصتي بين يديك والامر فيها اليك * اعلم يا امير المؤمنين اني من صميم العرب العرباء الذين هم اشرف من تحت الجرباء نشأت

Digitized by Google

الذي لا اصفه لاحد غيرك فقال له وما هو قال له جعفر خذلك ثلث اواق من هبوب الريح و ثلث اواق من شعاع الشمس وثلث اواق من زهر القمر وثلث اواق من نور السراج واجمع الجميع وضعها في الريح ثلثة اشهر ثم بعد ذلك ضعها في هون بلاقعر ودقها ثلثة اشهر فاذا دققتها فضعها في جفنة مشقوقة وضع الجفنة في الريح ثلثة اشهر ثم استعمل هذا الدواء في كل يوم ثلثة دراهم عند النوم واستمر على ذلك ثلثة اشهر فانك تعافي ان شاء الله تعالى فلما سمع الشيخ كلام جعفر انسطح على حمارة وضرط ضرطة منكرة وقال خذ هذه الضرطة مكافأة لك على وصفك هذا الدواء فاذا استعملته ورزقني الله العافيه اعطيتك جارية تخدمك في حيوتك خدمة يقطع الله بها اجلك فاذا متّ وعجل الله بروحك الى النار سخمت وجهك بخراها من حزنها عليك وتندب وتلطم وتنوح وتقول في نياحتها يا ساتع الذقن ما اسقع ذقنك فضحك هارون الرشيد حتى استلقى على قفاه وامر للذلك الرجل ثلثة الاف درهم

وحكى

الشريف حسين بن رَيان ان امير المؤمنين عمر بن الخَطاب كان جالسا في بعض الايام للقضاء بين الناس والحكم بين الرعايا وعنده اكابر اصحابه من اهل الرأي والاصابة فبينما هو جالس اذا قبل عليه شاب من احسن الشباب نظيف الثياب وقد تعلّق به شابان من احسن الشباب وقد جذبه الشابان من طوقه واوقفاه بين يدي امير المؤمنين عمر بن الخطاب فنظر امير المؤمنين اليهما واليه فامرهما بالكفّ عنه وادناه منه وقال للشابين ما قصتكما

Digitized by Google

حصل ذلك في اي مكان فى البستان فقال فى الجانب الشرقي تحت شجرة الكُمّثرى ثم سأل الثاني على ما رأى فاخبره بما جرى فقال له في اي مكان فى البستان فقال فى الجانب الغربي تحت شجرة التُفّاح كل هذا والجارية واقفة رافعة رأسها ويديها الى السماء وهي تدعو الله بالخلاص فانزل الله تعالى صاعقة من العذاب فاحرقت الشيخين واظهر الله تعالى براءة الجارية وهذا اول ماجرى من المعجزات لنبي الله دانيال عليه السلام

ومما يحكى

ان امير المؤمنين هارون الرشيد خرج يوما من الايام هو وابو يعقوب النديم وجعفر البرمكي وابو نواس وساروا في الصحراء فرأوا شيخا متكئا على حمار له فقال هارون الرشيد لجعفر اسأل هذا الشيخ من اين هو فقال له جعفر من اين جئت قال من البصرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جعفر البرمكي لما سأل الرجل وقال له من اين جئت قال من البصرة فقال له جعفر والى اين سيرك قال الى بغداد قال له وما تصنع فيها قال التمس دواء لعيني فقال هارون الرشيد يا جعفر مازِحْه فقال اذا مازحتُه اسمع منه ما اكره فقال بحقي عليك ان تمازحه فقال جعفر للشيخ ان وصفت لك دواء ينفعك ما الذي تكافئني به فقال له الله تعالى يكافئك عني بما هو خير لك من مكافئتي فقال انصِت اليّ حتى اصف لك هذا الدَواء

Digitized by Google

بالحيوة هذه المدة واثبتوا جنونه وسجنوه وصاروا يضحكون عليه فافاض دمع العين وانشد هذين البيتين

عَجُوزٌ تَوَلَّتْ فِي الْقَبَائِحِ مَنْصِبًا ... عَلَى وَجْهِهَا لِلْفَاحِشَاتِ شُهُودُ
إِذَا طَمِعَتْ قَادَتْ وَإِنْ طَهُرَتْ زَنَتْ ... مُدَى الدَّهْرِ تَزْنِي تَارَةً وَتَقُودُ

ومما يحكى

انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان امرأة صالحة في بني اسرائيل وكانت تلك المرأة ديّنة عابدة تخرج كل يوم الى المصلى وكان بجانب تلك المصلى بستان فاذا خرجت الى المصلى تدخل ذلك البستان وتتوضأ منه وكان في البستان شيخان يحرسانه فتعلق الشيخان بتلك المرأة وراوداها عن نفسها فابت فقالا لها ان لم تمكّيننا من نفسك لنشهدن عليك بالزنا فقالت لهما الجارية الله يكفيني شرّكما ففتحا باب البستان وصاحا فاقبل عليهما الناس من كل مكان وقالوا ما خبركما فقالا انا وجدنا هذه الجارية مع شاب يفجر بها وانفلت الشاب من ايدينا وكان الناس في ذلك الوقت ينادون بفضيحة الزاني ثلثة ايام ثم يرجمونه فنادوا عليها ثلثة ايام من اجل الفضيحة وكان الشيخان في كل يوم يدنوان منها ويضعان ايديهما على راسها ويقولان لها الحمد لله الذي انزل بك نقمته فلما ارادوا رجمها تبعهم دانيال وهو ابن اثنى عشر سنة وهذه اول معجزة له على نبينا وعليه الصلوة والسلام ولم يزل تابعا لهم حتى لحقهم وقال لا تعجلوا عليها بالرجم حتى اقضي بينهم فوضعوا له كرسيا ثم جلس وفرّق بين الشيخين وهو اول من فرّق بين الشهود فقال لاحدهما مارأيت فذكر له ما جرى فقال له

Digitized by Google

مكتوب فيها انك لما كنت عندنا وسمعنا كلا مك توجهنا بعد خروجك الى الخليفة وعرفناه انه افضى بك الحال الى ذُلّ السؤال فامرنا ان نحمل اليك من بيت المال الف درهم فقلنا له هذه الدراهم يصرفها الى غرمائه ويؤدي بها دينه ومن اين يقيم وجه نفقاته فامرلك بثلثمائة الف درهم اخرى وقد حمل اليك كل واحد منا من خالص ما له الف الف درهم فصارت الجملة ثلثة الاف الف و ثلثمائة الف درهم تصلح بها احوالك واموركَ فانظر الى هذا الكرم من هؤلاء الكرام رحمهم الله تعالى *

ومما يحكى

ان امرأة فعلت مع زوجها مكيدة وهي ان زوجها اتى لها بسمكة يوم الجمعة و امرها بطبخها واحضارها عقب صلوة الجمعة وانصرف الى اشغاله فجاءها صديقها وطلبها لحضور عرس عنده فامتثلت ووضعت السمكة في زير عندها وذهبت معه وتعدت غائبة عن بيتها الى الجمعة الثانية وزوجها يفتش فى البيوت ويسأل عنها فلم يخبره احد بخبرها ثم حضرت يوم الجمعة الثانية واخرجت له السمكة بالحيوة وجمعت عليه الناس واخبرتهم بالقصة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المرأة لما جاءت لزوجها فى الجمعة الثانية اخرجت السمكة من الزير حيّة وجمعت عليه الناس فاخبرهم بالقصة فكذبوه وقالوا له لا يمكن ان السمكة تفعل

Digitized by Google

واحتاطت ببابي ارباب الديون وتزاحم عليّ المطالبون ولا زمني الغرماء فضاقت حيلتي وازدادت فكرتي فلما رأيت الامور متعسرة والاحوال متغيرة قصدت عبدالله بن مالك الخزاعي والتمست منه ان يمدني برأيه ويرشدني الى باب الفرج بحسن تدبيره فقال عبدالله ابن مالك الخزاعي لا يقدر احد على خلاصك من محنتك وهمك وضيقك وغمك غير البرامكة فقلت ومن يقدر على احتمال تكبّرهم ويصبر على تجبّرهم فقال تحمل ذلك لاجل اصلاح حالك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله ابن مالك الخزاعي قال لسعيد بن سالم تحمل ذلك لاجل اصلاح حالك فنهضت من عنده ومضيت الى الفضل وجعفر ولدي يحيى ابن خالد وقصصت عليهما قصتي وابديت لهما حالتي فقالا ساعدك الله بعونه واغناك عن خلقه بمنّه واجزل لك عظيم خيره وقام لك بالكفاية دون غيره انه على ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير فانصرفت من عندهما ورجعت الى عبد الله ابن مالك ضيق الصدر متحير الفكر منكسر القلب واعدت عليه ما قالاه فقال ينبغي ان تقيم اليوم عندنا لننظر ما يقدره الله تعالى فجلست عنده ساعة واذا بغلامي قد اقبل وقال يا سيدي ان ببابنا بغالا كثيرة بأحمالها ومعها رجل يقول انا وكيل الفضل بن يحيى وجعفر بن يحيى فقال عبد الله بن مالك ارجو ان يكون الفرج قد اقبل عليك فقم وانظر ما الشأن فنهضت من عنده واسرعت عدوا الى بيتي فرأيت ببابي رجلا معه رقعة

Digitized by Google

من جعفر ان يبيعها له فقال له جعفر انت تعلم انه لا يليق بمثلي بيع الجواري والمساومة على السراري ولولا انها تربية داري لا رسلتها هدية اليك ولم ابخل بها عليك ثم ان محمدا الامين بن زبيدة توجه يوما لقصد الطرب الى دار جعفر فاحضر له ما يحسن حضوره من الاحباب وامر جاريته البدر الكبيران تغني له وتطربه فاصلحت الآلات وغنّت باطيب النغمات فاخذ محمد الامين بن زبيدة في الشراب والطرب وامر السقاة ان يكثر الشراب على جعفر حتى يسكروه ثم اخذ الجارية معه وانصرف الى داره ولم يمد اليها يده فلما اصبح الصباح امر باستدعاء جعفر فلما حضر قدم بين يديه الشراب وامر الجارية ان تغني له من داخل الستارة فسمع جعفر صوتها فعرفها فاغتاظ لذلك ولكن لم يظهر غيظا لشرف نفسه وعلوّ همته ولم يبد تغيرا في منادمته فلما انقضى مجلس الشراب امر محمد الامين بن زبيدة بعض اتباعه ان يملأ الزورق الذي ركب فيه جعفر اليه من الدراهم والدنانير واصناف الجواهر واليواقيت والثياب الفاخرة والاموال الباهرة ففعل ما امره به حتى انه وضع في الزورق الف بدرة والف درة قيمة الدرة عشرون الف درهم ولم يزل يضع فيه اصناف التحف حتى استغاث الملاحون وقالوا ما يقدر الزورق ان يحمل شيأ آخر وامر بحمله الى دار جعفر وهكذا همم الاكابر رحمهم الله

ومما يحكى

ان سعيد ابن سالم الباهلي قال اشتدّ بي الحال في زمن هارون الرشيد واجتمع عليّ ديون كثيرة اثقلت ظهري وعجزت عن قضائها وضاقت حيلي وبقيت متحيرا لا ادري ما اصنع حيث عسر عليّ اداؤها اعسارا عظيما

Digitized by Google

فرأى على باب الدار رجلا فلما قرب منه نهض الرجل قائما و سلّم عليه وقال له يا يحيى انا محتاج الى ما في يدك و قد جعلت الله وسيلتي اليك فامر يحيى ان يفرد له موضع في داره وامر خازن داره ان يحمل اليه في كل يوم الف درهم وان يكون طعامه من خاص طعامه فاستمرّ الرجل على ذلك الحال شهرا كاملا فلما انقضى الشهر كان قد وصل اليه ثلثون الف درهم فخاف الرجل ان يحيى يأخذ منه الدراهم لكثرتها فانصرف خفية و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الرجل اخذ الدراهم وانصرف خفية فاخبروا يحيى بذلك فقال والله لو اقام عندي عمره وطول دهره لما منعته صلتي ولا قطعت عنه اكرام ضيافتي وفضائل البرامكة لاتحصى ومناقبهم لا تستقصى وخصوصا يحيى بن خالد فانه جمّ المفاخر كما قال فيه الشاعر

سَأَلْتُ الَّذِي هَلْ أَنْتَ حُرٌّ فَقَالَ لاَ ... وَلٰكِنَّنِي عَبْدٌ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدِ

فَقُلْتُ شِرَاءً قَالَ حَاشَا وَإِنَّمَا ... تَوَارَثَنِي مِنْ وَالِدٍ بَعْدَ وَالِدِ

ومما يحكى

ان جعفر بن موسى الهادي كانت له جارية عوّادة اسمها البدر الكبير ولم يكن في زمانها احسن منها وجها ولا اعدل قدا ولا الطف معنى ولا اعرف بصناعة الغناء وضرب الاوتار و كانت في غاية الجمال و نهاية الظرف والكمال فسمع بخبرها محمد الامين بن زبيدة والتمس

Digitized by Google

فارسل خلف الصياد فعادو كان الصياد صاحب ذكاء و فطنة فقال له الملك خسرو هل هذه السمكة ذكر او انثى فقبل الصياد الارض و قال هذه السمكة خُنثَى لا ذكر ولا انثى فضحك خسرو من كلامه و امر له باربعة آلاف درهم اخرى فمضى الصياد الى الخازن دار وقبض منه ثمانية آلاف درهم و وضعها في جراب كان معه و حملها على عنقه وهمّ بالخروج فوقع منه درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن كاهله و انحنى على الدرهم فاخذه والملك و شيرين ينظران اليه فقالت شيرين ايها الملك ارأيت خسة هذا الرجل وسفالته حيث سقط منه درهم لم يسهل عليه ان يتركه ليأخذه بعض غلمان الملك فلما سمع الملك كلامها اشمأزّ من الصياد و قال لقد صدقت يا شيرين ثم انه امر باعادة الصياد وقال له يا ساقط الهمة لست بانسان كيف وضعت هذا المال عن كاهلك وانحنيت لاجل درهم وبخلت ان تتركه في مكانه فقبل الصياد الارض و قال اطال الله بقاء الملك انني لم ارفع ذلك الدرهم عن الارض لخطره عندي وانما رفعته عن الارض لان على احد وجهيه صورة الملك و على وجهه الآخر اسمه فخشيت ان يضع احدٌ رجله عليه بغير علم فيكون ذلك استخفافا باسم الملك وصورته فاكون انا المؤاخذ بهذا الذنب فتعجب الملك من قوله واستحسن ما ذكره فامر له باربعة آلاف درهم اخرى وامر الملك مناديا ان ينادي في مملكته و يقول لا ينبغي لاحد ان يقتدي برأي النساء فمن اقتدى برأيهن خسر مع درهمه درهمين

ومما يحكى

ان يحيى بن خالد البرمكي خرج من دار الخلافة متوجها الى داره

Digitized by Google

بين يدي المرأة وتمرّغ على التراب واعتذر اليها وقال يا سيدتي اجعلني في حلّ مما اغراني به الشيطان حيث اضلّني واغواني فقالت له المرأة امض الى حال سبيلك فان ذلك الخطأ لم يكن منك وانما كان سببه من زوجي حيث فعل ما فعل في الدكان فاقتصّ الله منه في الدنيا * وقيل ان الرجل الصائغ لما اخبرته زوجته بما فعل السقاء معها قال دقّة بدقّة ولو زدتُ لزاد السقاء فصار هذا الكلام مثلا سائرًا بين الناس فينبغي للمرأة ان تكون مع زوجها ظاهرا وباطنا وتقنع منه بالقليل ان لم يقدر على الكثير وتقتدي بعائشة الصديقة وفاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنهما لتكون من حواشي السلف

ومما يحكى

ان خسرو وهو ملك من الملوك كان يحب السمك فكان يوما جالسا في قاعته هو وشيرين زوجته فجاء صياد ومعه سمكة كبيرة فاهداها لخسرو فاعجبته تلك السمكة فامر له باربعة آلاف درهم فقالت له شيرين بئس ما فعلت فقال ولِمَ قالت لانك بعد هذا اذا اعطيت احدا من حَشَمك هذا القدر يحتقره ويقول انما اعطاني مثل القدر الذي اعطاه للصياد وان اعطيته اقلّ منه يقول قد احتقرني واعطاني اقلّ مما اعطى للصياد فقال خسرو لقد صدقت ولكن يقبح بالملوك ان يرجعوا في هبتهم وقد فات هذا فقالت شيرين انا ادبّر لك امرا في استرجاع العطية منه فقال لها وكيف ذلك قالت له اذا اردت ذلك فادع الصياد وقل له هل هذه السمكة ذكر او انثى فان قال ذكر فقل له انما اردنا انثى وان قال انثى فقل له انما اردنا ذكرا

Digitized by Google

اي شيء صنعت هذا اليوم في السوق مما يغضب الله تعالى فقال الرجل ما صنعت شيأ يغضب الله تعالى فقالت المرأة بلى والله انك فعلت شيأ يغضب الله تعالى وان لم تحدثني بما صنعت وتصدقني حديثك لا اقعد في بيتك ولا تراني ولا اراك فقال اخبرك بما فعلته في يومي هذا على وجه الصدق * اتفق انني جالس في الدكان على عادتي اذ جاءتني امرأة الى دكاني وامرتني ان اصوغ لها سوارا وانصرفت فصغت لها سوارا من ذهب ورفعته فلما حضرت اتيتها به فاخرجت يدها ووضعت السوار في ساعدها فتحيرت من بياض يدها وحسن زندها الذي يسبي الناظر وتذكرت قول الشاعر

وَسَوَاعِدٍ تَزْهُوْ بِحُسْنِ أَسَاوِرٍ ... كَالنَّارِ تَضْرِمُ فَوْقَ مَاءٍ جَارِ
فَكَأَنَّهَا وَالتِّبْرُ مُحْتَاطٌ بِهَا ... مَاءٌ تَمَنْطَقَ مُعْجِبًا بِالنَّارِ

فاخذت يدها وعصرتها ولويتها فقالت له المرأة الله اكبر لِمَ فعلت هذا لاجرم ان ذلك الرجل السقاء الذي كان يدخل بيتنا منذ ثلثين سنة ولم ترفيه خيانة اخذ اليوم يدي وعصرها ولواها فقال الرجل نسأل الله الامان ايتها المرأة اني تائب مما كان مني فاستغفري الله لي فقالت المرأة غفر الله لنا ولك ورزقنا حسن العافية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوجة الصائغ قالت غفر الله لنا ولك ورزقنا حسن العافية فلما كان من الغد جاء الرجل السقاء والقى نفسه

Digitized by Google

انه انصرف عن تلك القرية الى الصيد و في آخر النهار رجع اليها واجتاز على ذلك الباب منفردا وطلب الماء ليشرب فخرجت له تلك الصبية بعينها فرأته فعرفته ثم عادت ليخرج له الماء فابطأت عليه فاستعجبها أَنُوشروان و قال لايّ شيءٍ ابطأت و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك أَنُوشروان لما استعجل الصبية قال لها لايّ شيءٍ ابطأت فقالت له لانه لم يخرج من عود واحد قدر حاجتك فعصرتُ ثلثة اعواد ولم يخرج منها مثل ما كان يخرج من عود واحد فقال الملك أَنُوشروان ما سبب ذلك فقالت سببه ان نية السلطان قد تغيّرت فقال لها من اين جاءك هذا قالت سمعنا من العقلاء انه اذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركتهم و قلّت خيراتهم فضحك أَنُوشروان وازال من نفسه ما كان اضمر لهم عليه و تزوّج بتلك الصبية حالا حيث اعجبه فرط ذكائها و فطنتها و حسن كلامها

و مما يحكى

انه كان بمدينة بُخارى رجل سقاء يحمل الماء الى دار رجل صائغ ومضى له على تلك الحالة ثلثون سنة وكان لذلك الصائغ زوجة في غاية الحسن و الجمال و البهاء و الكمال موصوفة بالديانة والحفظ والصيانة فجاء السقاء على عادته يوما وصب الماء في الجباب وكانت المرأة قائمة في وسط الدار فدنا منها السقاء واخذ بيدها وفركها وعصرها ثم مضى وتركها فلما جاء زوجها من السوق قالت اني ازيدان تعرفني

Digitized by Google

احضرها و اعطاها للملك الرجل وقال له استعن بها على حالك فان مروّتك
اكبر من ذلك ثم ركب الملك وانصـــــــــــــــــــــــــــرف

ومما يحكى

ان الملك العادل كسرى أَنُوشِروان ركب يوما الى الصيد فانفرد عن عسكره خلف ظبي فبينما هو ساع خلف الظبي اذرأى ضيعة قريبة منه وكان قد عطش عطشا شديدا فتوجه الى تلك الضيعة وقصد باب دار قوم في طريقه فطلب ماء ليشرب فخرجت له صبية فا بصرته ثم عادت الى البيت و عصرت له عودا واحدا من قصب السكر و مزجت ما عصرته منه بالماء و وضعته في قدح ووضعت عليه شيأ من الطيب يشبـــه التراب ثم سلّمته الى أَنُوشِروان فنظر فى القدح فرأى فيه شيأ يشبه التراب فجعل يشرب منه قليلا حتى انتهى الى آخره ثم قال للصبية ايّتها الصبية نعم الماء ما احلاه لولا ذلك القذى الذي فيه فانـه كدرة فقالت الصبية ايها الضيف انا عمدا القيت فيه ذلك القذى الذي كدرة فقال الملك ولِمَ فعلت ذلك فقالت لاني اراك شديد العطش وخفت ان تشربه نهلة واحدة فيضرّك فلو لم يكن فيه قذى لكنت شربته بسرعة نهلة واحدة وكان يضرّك لشربه على هذه الطريقة فتعجب الملك العادل أَنُوشِروان من كلامها وذكاء عقلها وعلم ان ما قالته ناشئ عن ذكاء وفطنة وجودة عقل فقال لها من كم عود عصرت ذلك الماء فقالت من عود واحد فتعجب أَنُوشِروان وطلب جريدة الخراج الذي يحصل من تلك القرية فرأى خراجها قليلا فاضمر فى نفسه انه اذا عاد الى تخته يزيد في خراج تلك القرية وقال قرية يكون في عود واحد منها هذا الماء كيف يكون خراجها هذا القدر القليل ثم

Digitized by Google

و انصرف من عندهما مسرورا فانظُرْ فضيلة هذا الامام وما حصل على يديه من براءة السيدة زبيدة واظهار السبب

ومما يحكى

ان الحاكم بامر الله كان راكبا في موكبه يوما من الايام فمرّ على بستان فرأى رجلا هناك وحوله عبيد وخدم فاستسقاه ماء فسقاه ثم قال لعلّ امير المؤمنين ان يكرمني بنزوله عندي في هذا البستان فنزل الملك ونزل جيشه في ذلك البستان فاخرج الرجل المذكور مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق من الفاكهة ومائة جام ملأن حلوى ومائة زبدية ملأى بالشربات السكرية فاندهش عقل الحاكم بامر الله من ذلك وقال له ايها الرجل ان خبرك عجيب فهل علمت بمجيئنا فاعددت لنا هذا قال لا والله يا امير المؤمنين ما علمت بمجيئكم وانما انا تاجر من جملة رعيتك ولكن لي مائة محظية فلما اكرمني امير المؤمنين بنزوله عندي ارسلت الى كل واحدة منهن ان ترسل لي الغدا في البستان فارسلت كل واحدة منهن شيئاً من فراشها وزائد اكلها وشربها فان كل واحدة منهن ترسل لي في كل يوم طبق طعام وطبق مبردات وطبق فاكهة وجاما ممتلئا حلوى وزبدية شراب وهذا غدائي كل يوم لم ازدلك فيه شيأ فسجد امير المؤمنين الحاكم بامر الله شكرًا لله تعالى وقال الحمد لله الذي جعل في رعايانا من وسع الله عليه حتى يطعم الخليفة وعسكره من غير استعداد لهم بل من فاضل طعامه ثم امر له بما في بيت المال من الدراهم المضروبة في تلك السنة فكانت ثلثة آلاف الف وسبعمائة الف ولم يركب حتى

Digitized by Google

الظهيرة فلما رقى السرير الذي ينام عليه وجد منّيا طريا في فراشه فهاله ذلك و انحرف مزاجه انحرافا شديدا و حصل له غم زائد فدعا السيدة زبيدة فلما حضرت بين يديه قال لها ما هذا الملقي على الفراش فنظرت اليه ثم قالت له هذا منيّ يا امير المؤمنين فقال لها اصدقيني عن سبب هذا المني والّا بطشت بك في هذا الوقت فقالت له يا امير المؤمنين والله لا اعلم لذلك سببا واني بريئة مما توهمته فيّ فطلب القاضي ابا يوسف و ذكر له القصة واراه المني فرفع القاضي ابو يوسف رأسه الى السقف فرأى فيه فرجة فقال يا امير المؤمنين ان للخفّاش منّيا كمني الرجل و هذا مني خفّاش وطلب رمحا فاخذه بيده وطعن به في الفرجة فوقع الخفاش فاندفع الوهم عن هارون الرشيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان القاضي ابا يوسف لما اخذ الرمح بيده و طعن به في الفرجة وقع الخفاش فاندفع الوهم عن هارون الرشيد و ظهرت براءة زبيدة ثم انها تفوّهت بلسانها فرحا ببراءتها واقرّت لابي يوسف بجائزة وافرة وكان عندها فاكهة عظيمة في غير اوانها وتعلم بفاكهة اخرى في غير اوانها ايضا في البستان فقالت له يا امام الدين اي الفاكهتين احب اليك الفاكهة الحاضرة او الغائبة فقال مذهبنا لا يحكم على غائب فاذا حضر يحكم عليه فاحضرت له الفاكهتين فاكل من هذه و من هذه فقالت ما الفرق بينهما فقال كلما اردت ان اشكر احدهما قامت عليّ الاخرى بحجّتها فلما سمع الرشيد كلامه ضحك و اعطاه الجائزة و اعطته ايضا زبيدة الجائزة التي وعدته بها

Digitized by Google

صاحبه ذهب بالحمار ثم وقف فجرّه المغفل بالمقود فلم يمش فالتفت اليه فرأى المقود في رأس رجل فقال له ايّ شيءٍ انت فقال له انا حمارك ولي حديث عجيب * وهو انه كان لي والدة عجوز صالحة جئت اليها في بعض الايام وانا سكران فقالت لي يا ولدي تب الى الله تعالى من هذه المعاصي فاخذتُ العصا وضربتها بها فدعت عليّ فمسخني الله تعالى حمارا واوقعني في يدك فمكثت عندك هذا الزمان كله فلما كان هذا اليوم تذكّرتني امي وحنّن قلبها عليّ فدعت لي فاعادني الله آدميا كما كنتُ فقال الرجل لاحول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم بالله عليك يا اخي ان تجعلني في حلّ مما فعلتُه بك من الركوب وغيره ثم خلى سبيله ومضى ورجع صاحب الحمار الى داره وهو سكران من الهم والغم فقالت له زوجته ما الذي دهاك واين الحمار فقال لها انت ما عندك خبر بامر الحمار فانا اخبرك به ثم حكى لها الحكاية فقالت يا ويلنا من الله تعالى كيف مضى لنا هذا الزمان كله ونحن نستخدم بني آدم ثم انها تصدقت واستغفرت وجلس الرجل في الدار مدة وهو في غير شغل فقالت له زوجته الى متى هذا القعود في البيت من غير شغل فامض الى السوق واشتر لنا حمارا واشتغل عليه فمضى الى السوق ووقف عند الحمير واذا هو بحمارة يباع فلما عرفه تقدم اليه ووضع فمه على اذنه وقال له ويلك يا مشئوم لعلك رجعتَ الى السكر وضربتَ امّك والله ما بقيت اشتريك ابدا ثم تركه وانصرف

ومما يحكى

ان امير المؤمنين هارون الرشيد أوى الى فراشه ذات يوم في وقت

Digitized by Google

ثم تتزوّج بي فاذا اجتمعنا جمعنا المال كله على بعضه فيصير بايدينا فقال لها جارها انا اخاف ان يُطغيك الشيطان فتأخذي غيري فان الذهب في المنزل كالشمس في الدنيا و الرأي السديد ان يكون المال كله عندي لتحرصي انت على الخلاص من زوجك و الاتيان اليّ فقالت له انى ايضا اخاف مثل ما تخاف انت ولا اسلّم اليك نصيبي من هذا المال فاني انا التي قد دللتك عليه فلما سمع منها هذا الكلام دعاه البغي الى قتلها فقتلها و القاها في موضع الكنز ثم ادركه النهار فعوقه عن مداراتها فحمل المال وخرج فاستيقظ الطحّان من النوم فلم يجد زوجته فدخل الطاحون وعلّق حماره في الطاحون وصاح عليه فمشى و وقف فضربه الطحّان ضربا شديدا و كلما ضربه يتأخّر لانه قد جفل من المرأة الميتة و صار لايمكنه التقدم كل ذلك و الطحان لايدري ما سبب توقف الحمار فاخذ سكّينا ونخسه نخسا كثيرا فلم ينتقل من موضعه فغضب منه و طعنه بها في خاصرتيه فسقط الحمار ميتا فلما طلع النهار رأى الطحّان الحمار ميتا و رأى زوجته ميتة ووجدها في موضع الكنز فاشتدّ غيظه على ذهاب الكنز وهلاك زوجته و الحمار وحصل له همّ عظيم فهذا كله من اظهار سره لزوجته و عدم كتمانه له

ومما يحكى

ان بعض المُغفّلين كان سائرا وبيده مِقود حماره وهو يجرّه خلفه فنظره رجلان من الشطار فقال واحد منهما لصاحبه انا آخذ هذا الحمار من هذا الرجل فقال له كيف تأخذه فقال له اتبعني وانا اريك فتبعه فتقدم ذلك الشاطر الى الحمار وفكّ منه المقود و اعطاه لصاحبه وحط المقود في رأسه و مشى خلف المُغفّل حتى علم ان

Digitized by Google

وحكي

ايضا ان هارون الرشيد وقدمع ثلث جوار مكية ومدنية وعراقية فمدت المدنية يدها الى ذكره وانعظته فقام فوثبت المكية وجذبته اليها فقالت لها المدنية ما هذا التعدي حدثني مالك عن الزهري عن عبدالله ابن سالم عن سعيدبن زيدان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احيا ارضاميتة فهي له فقالت المكية حدثنا سفيان عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال الصيد لمن صاده لا لمن اثاره فدفعتهما العراقية عنه وقالت هذا لي حتى تنقضي مخاصمتكما

ومما يحكى

ان رجلا كان عنده طاحون وله حمار يطحن عليه وكان له زوجة سوء وهو يحبها وهي تكرهه وكانت تحب جارا لها وهو يبغضها ويمتنع منها فرأى زوجها في النوم قائلا يقول له احفر في الموضع الفلاني من مدار الحمار بالطاحون تجد كنزا فلما انتبه من منامه حدث زوجته برؤياه وامرها بكتمان السر فاخبرت بذلك جارها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوجة الطحان اخبرت جارها الذي تهواه بذلك لاجل ان تتقرب اليه فعا هدها ان يأتيها ليلا فاتاها ليلا وحفر في مدار الطاحون فوجدا الكنز فاستخرجاه فقال لها الجار كيف نصنع بهذا فقالت نقسمه نصفين بالسوية وتفارق انت زوجتك وانا احتال في فراق زوجي

Digitized by Google

وقالت امرأة كنت عند عائشة بنت طلحة فدخل زوجها فحنت اليه فوقع عليها فشخرت و نخرت واتت من الحركات بالعجائب و بدائع الغرائب وانا اسمع فلما خرج من عندها قلت لها كيف تفعلين هذا وانا في بيتك مع شرفك ونسبك و حسبك فقالت ان امرأة تأتي لزوجها بكل ما تقدر عليه من المهيجات وغريب الحركات فما الذي تنكرينه من ذلك فقلت احب ان يكون ذلك ليلا قالت ذاك هكذا بالنهار وبالليل افعل اعظم منه لانه حين يراني تتحرك شهوته وتهيج عليه باءته فيمده الي فاطاوعه فيكون ماترين

وبلغني

ان ابا الاسودا شترى جارية حولاء مولدة فاعجب بها فذمّها اهله عنده فتعجب منهم وقلّب الكفين وانشد هذين البيتين

يَعِيبُونَهَا عِنْدِي وَلَا عَيْبَ عِنْدَهَا ... سِوَى اَنَّ فِي الْعَيْنَيْنِ بَعْضَ الْمَآثِرِ
فَإِنْ يَكُ فِي الْعَيْنَيْنِ عَيْبٌ فَإِنَّهَا ... مُهَفْهَفَةُ الْاَعْلَى رَزَاحُ الْمَآزِرِ

ومما يحكى

ان امير المؤمنين هارون الرشيد كان ليلة بين جاريتين مدنية وكوفية فجعلت الكوفية تكبس يديه و المدنية تكبس رجليه و جعلت ترفع البضاعة فقالت لها الكوفية اراك قد انفردتِ دوننا برأس المال وحدك فاعطيني نصيبي منه فقالت المدنية حدثني مالك عن هشام ابن عروة عن ابيه عن النبي انه قال من احيا مواتاً فهوله ولعقبه فاستغفلتها الكوفية ثم دفعتها واحذته بيديها جميعا وقالت حدثنا الاعمش عن خيثمة عن عبدالله بن مسعود ان النبي قال الصيد لمن صاده لا لمن اثـ ـارة

ومما يحكى

عن مصعب بن الزبير انه وجد عزّة في المدينة وكانت من اعقل النساء فقال لها اني عزمت على زواج عائشة بنت طلحة وانا احبّ منك ان تسيري اليها متأملة لخلقها فسارت اليها ثم رجعت الى مصعب وقالت له رأيت وجها احسن من العافية لها عينان نجلاوان من تحتهما انف اقنى وخدان اسيلان وفم كفم الرمّانة وعنق كابريق فضة وتحت ذلك صدر فيه نهدان كانهما رمانتان وتحت ذلك بطن اقبّ فيه سرّة كانها حُقّ عاج ولها عجيزة كدعص الرمل وفخذ ان ملفوفتان وساقان كانهما من المرمر عمودان غير اني رأيت في رجلها كبرا وانت تغيب عندها وقت الحاجة فلما وصفتها عزّة بتلك الصفات تزوجها مصعب ودخل بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان عزّة لما وصفت عائشة بنت طلحة بتلك الصفات تزوجها مصعب ودخل بها ثم ان عزة دعت عائشة ونساء قريش الى بيتها فغنّت عزة ومصعب قائم بهذين البيتين

وَثَغْرُ الْبَنَاتِ لَهُ نَكْهَةٌ ... لَذِيذُ الْمُقَبِّلِ وَالْمُبْتَسَمْ
وَمَا ذُقْتُهُ غَيْرَ ظَنِّي بِهِ ... وَبِالظَّنِّ يَحْكُمُ فِينَا الْحَكَمْ

وليلة دخول مصعب بها لم ينصرف عنها الّا بعد سبع مرات فلقيته مرولة له حين اصبح فقالت له فديتك كملت في كل شيء حتى في هذا

Digitized by Google

فقالوا سمعا و طاعة ثم تقدم الرّقاشي و انشد هذه الابيات

أَمَا وَاللهِ لَوْ تَجِدِينَ وَجْدِي ... لَوَلَّى مُعْرِضًا عَنْكَ الْقَرَارُ
وَقَدْ تَرَكَتْكَ صَبًّا مُسْتَهَامًا ... فَتَاةٌ لَا تَزُورُ وَلَا تُزَارُ
إِذَا وَعَدَتْكَ صَدَّتْ ثُمَّ قَالَتْ ... كَلَامُ اللَّيْلِ يَمْحُوهُ النَّهَارُ

و بعد ذلك تقدم ابو مصعب و انشد هذه الابيات

مَتَى تَصْحُو وَقَلْبُكَ مُسْتَطَارُ ... وَلَمْ تَهْجَعْ وَقَدْ مُنِعَ الْقَرَارُ
أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ الْعَيْنَ عَبْرَى ... وَفِي الْأَحْشَاءِ مِنْ ذِكْرَاكَ نَارُ
تَبَسَّمَ ضَاحِكًا إِذْ قَالَ عُجْبًا ... كَلَامُ اللَّيْلِ يَمْحُوهُ النَّهَارُ

ثم تقدم ابو نواس و انشد هذه الابيات

تَمَادَى الْحُبُّ وَانْقَطَعَ الْمَزَارُ ... وَجَاهَرْنَا فَلَمْ يُغْنِ الْجِهَارُ
وَلَيْلَةَ أَقْبَلَتْ فِي الْقَصْرِ سَكْرَى ... وَلَكِنْ زَيَّنَ السُّكْرَ الْوَقَارُ
وَقَدْ سَقَطَ الرِّدَا عَنْ مَنْكِبَيْهَا ... مِنَ التَّجْمِيشِ وَانْحَلَّ الْإِزَارُ
وَهَزَّ الرِّيحُ أَرْدَانًا فَأَثْقَالًا ... وَغُصْنًا فِيهِ رُمَّانٌ صِغَارُ
فَقُلْتُ عِدِي مُحِبَّكِ وَعْدَ صِدْقٍ ... فَقَالَتْ فِي غَدٍ يَصْفُو الْمَزَارُ
فَجِئْتُ غَدًا وَقُلْتُ الْوَعْدَ قَالَتْ ... كَلَامُ اللَّيْلِ يَمْحُوهُ النَّهَارُ

فامر الخليفة لكل واحد من الشعراء ببدرة من المال الّا ابا نواس فانه امر بضرب عنقه و قال له انت كنت حاضرا معنا في القصر ليلا فقال و الله ما نمت الّا في بيتي وانما استدللت بكلامك على مضمون الشعر وقد قال الله تعالى وهو اصدق القائلين وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ فعفا عنه و امر له ببدرتين من المال ثم انصرفوا من عنده

Digitized by Google

نَظَرَتْ عَيْنِي لِحَيْنِي وَذَكَى وَجْدِي لِبَيْنِي

ولم يدر بعد ذلك ما يقول فارسل خلف ابي نواس يحضره فلما حضر بين يديه قال له الخليفة انشدني شعرا في اوله نظرت عيني لحيني * وذكى وجدى لبيني * فقال ابو نواس سمعا وطاعة وارتجل في اترب اللحظات وانشد هذه الابيات

نَظَرَتْ عَيْنِي لِحَيْنِي وَذَكَى وَجْدِي لِبَيْنِي
مِنْ غَزَالٍ قَدْ سَبَانِي تَحْتَ ظِلِّ السِّدْرَتَيْنِ
سُكِبَ الْمَاءُ عَلَيْهِ بَا بَا رِيقِ اللُّجَيْنِ
فَنَظَرْتُنِي سَتَرَتْهُ فَاضَ مِنْ بَيْنِ الْيَدَيْنِ
لَيْتَنِي كُنْتُ عَلَيْهِ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ

فتبسم امير المؤمنين من كلامه واحسن اليه وانصرف من عنده مسرورا

ومما يحكى

ان امير المؤمنين هارون الرشيد قلق ذات ليلة قلقا شديدا فقام يتمشى في جوانب قصره فوجد جارية تتمايل من السكر وكان يهوى تلك الجارية ويحبها محبة عظيمة فلا عبها وجذبها اليه فسقط رداؤها وانحل ازارها فسألها الوصل فقالت امهلني الى ليلة غد يا امير المؤمنين فاني غير متهيئة لك لانه لم يكن لي علم بحضورك فتركها ومضى فلما اقبل النهار واشرقت من شمسه الانوار ارسل اليها غلاما يعرفها ان امير المؤمنين حاضر الى حجرتها فارسلت تقول له

كلام الليل يمحوه النهار *

فقال الرشيد لندمائه انشدوني شعرا فيه كلام الليل يمحوه النهار *

Digitized by Google

واصفاه وارغده واهناه الى ان فرق بينهما الممات فسبحان من تقوم بامره الارض والسموات *

ومما يحكى

ان الخليفة هارون الرشيد كان يحب السيدة زبيدة محبة عظيمة وبنى لها مكانا للتنزه وعمل فيه بُحَيرة من الماء وعمل لها سياجا من الاشجار وارسل اليها الماء من كل جانب فالتفّت عليها الاشجار حتى لو دخل احد يغتسل في تلك البحيرة لم يره احد من كثرة اوراق الشجر فاتفق ان السيدة زبيدة دخلت ذلك المكان يوما واتت الى البحيرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السيدة زبيدة لما دخلت ذلك المكان يوما واتت الى البحيرة وتفرّجت على حسنها فاعجبها رونقها والتفاف الاشجار عليها وكان ذلك في يوم شديد الحرّ فقلعت اثوابها ونزلت في البحيرة ووقفت وكانت البحيرة لا تستر من يقف فيها فجعلت تملأ الماء بابريق من لُجَين وتصب الماء على بدنها فعلم الخليفة بذلك فنزل من قصره يتجسّس عليها من خلف اوراق الاشجار فرأها عريانة وقد بان منها ما كان مستورا فلما احست باميرالمؤمنين من خلف اوراق الاشجار وعرفت انه رآها عريانة التفتت اليه ونظرته فاستحت منه ووضعت يديها على فرجها ففاض من بين يديها لفرط كبره وغلظه فولّى من ساعته وهو يتعجب من ذلك وانشد هذا البيت

الشاب فى المجلس وجعل لهما وليمة واحسن اليهما احسانا عظيما وما زالا مجتمعين فى هنأ وسرور الى ان ادركهما هادم اللذات ومفرق الجماعـــــــــــــــــــــــــــــــات

ومما يحكى

ان المُتَلَمِّس هرب من النُعْمان بن المُنْذِر وغاب غيبة طويلة حتى ظنوا انه مات وكان له زوجة جميلة تسمّى اُمَيمة فشار عليها اهلها بالزواج فابت فالحّوا عليها لكثرة خطّابها وعصبوها على الزواج فاجابتهم الى ذلك وهي كارهة فزوّجوها رجلا من قومها وكانت تحب زوجـــها المتلمس محبة عظيمة فلما كانت ليلة زفافها على ذلك الرجل الذي عصبوها على الزواج به قدم زوجها المتلمّس في تلك الليلـة فسمع فى الحي صوت المزامير والدفوف ورأى علامات الفرح فسال من بعض الصبيان عن هذا الفرح فقالوا له ان اميمة زوجة المتلمس زوّجوها لفلان وها هو داخل بها في هذه الليلة فلما سمع المتلمس ذلك الكلام تحيّل فى الدخول مع جملة النساء فوجدهما على منصّتهما وقد تقدّم اليهما العريس فتنفست الصُعَداء وبكت وانشدت هذا البيت

اَيَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ بِاَيِّ بِلَادٍ اَنْـــتَ يَا مُتَلَمِّسُ

وكان زوجها المتلمّس من الشعراء المشهورين فاجابها بقـــــــوله

بِاَ قْرَبِ دَارٍ يَا اُمَيْمَةُ فَا عْلَمِي وَمَازِلْتُ مُشْتَاقًا اِذَا الرَّكْبُ عَرَّسُوْا

فعند ذلك فطن العريس بهما فخرج من بينهما بسرعة وهو ينشد قوله

فَلُنْتُ بِخَيْرٍ ثُمَّ بِتُّ بِضِـــدِّهِ وَضَمَّكُمَا بَيْتٌ رَحِيْبٌ وَمَجْلِسُ

ثم تركهما وذهب واختلى بها زوجها المتلمس وما زالا فى اطيب عيش

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الغلام تعلّق بحب الجارية واحبّها حبا شديدا فلما كان في بعض الايام في ساعة غفلة الصبيان اخذ الغلام لوحَ الجارية وكتب فيه هذين البيتين

مَاذَا تَقُولِينَ فِيمَنْ شَفَّهُ سَقَمٌ ... مِنْ فَرْطِ حُبِّكِ حَتَّى صَارَ حَيْرَانَا
يَشْكُو الصَّبَابَةَ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ أَلَمٍ ... لَا يَسْتَطِيعُ لِمَا فِي الْقَلْبِ كِتْمَانَا

فلما اخذت الجارية لوحها رأت هذا الشعر مكتوبا فيه فلما قرأته وفهمت معناه بكت رحمة له وكتبت تحت خط الغلام هذين البيتين

اذا رَأَيْنَا مُحِبًّا قَدْ اَضَرَّبِهِ ... حَالُ الصَّبَابَةِ اَوْلَيْنَاهُ اِحْسَانَا
وَيُبْلِغُ الْقَصْدَ مِنَّا فِي مَحَبَّتِهِ ... وَلَوْ يَكُونُ عَلَيْنَا كُلُّ مَا كَانَا

فاتفق ان الفقيه دخل عليهما فوجد اللوح على حين غفلة فاخذه وقرأ ما فيه فرقّ لحالهما وكتب في اللوح تحت كتابتهما هذين البيتين

صِلِي مُحِبَّكِ لَا تَخْشَيْ مُعَانَبَةً ... اِنَّ الْمُحِبَّ غَدَا فِي الْحُبِّ حَيْرَانَا
اَمَّا الْفَقِيهُ فَلَا تَخْشَيْ مَهَابَتَهُ ... فَاِنَّهُ قَدْ بَلَى بِالْعِشْقِ اَزْمَانَا

فاتفق ان سيد الجارية دخل المكتب في تلك الساعة فوجد لوح الجارية فاخذه وقرأ ما فيه من كلام الجارية والغلام وكلام الفقيه فكتب الآخر في اللوح تحت كتابة الجميع هذين البيتين

لَا فَرَّقَ اللّٰهُ طُولَ الدَّهْرِ بَيْنَكُمَا ... وَظَلَّ وَاشِيكُمَا حَيْرَانَ تَعْبَانَا
اَمَّا الْفَقِيهُ فَلَا وَاللّٰهِ مَا نَظَرَتْ ... عَيْنَايَ اَعْرَضَ مِنْهُ قَطُّ اِنْسَانَا

ثم ان سيد الجارية ارسل خلف القاضي والشهود وكتب كتابها على

Digitized by Google

انك تنام ثم تأتي الى حائط السطح وانا اتنا ولك من وراء الجدار فتجلس عندي لحظة ثم تعود من غير ان يشعربك اخوك فقال الشاب سمعا وطاعة فجهز الشيخ من التحف ما يليق بمقامه هذا ماكان من امره * واما ما كان من امر الشاب فانه دخل الخلوة وصبر حتى اخذ اخوه في مضجعه ومضت ساعة من الليل حتى استغرق اخوه في النوم ثم قام وتمشّى الى الحائط فوجد الشيخ واقفا ينتظره فناوله يده فاخذه ودخل به المجلس وكانت تلك الليلة ليلة البدر فجلسا وتنادما ودارت بينهما كأسات الراح فاخذ الشيخ في الغناء وقد القي البدر شعاعه عليهما فبينما هما في فرح وسرور ولذة وحبور وحظ يدهش العقل والطرف ويجل عن الوصف اذ انتبه الصاحب بدر الدين من منامه فلم يجد اخاه فقام فزعا فوجد الباب مفتوحا فطلع منه فسمع همس الكلام فصعد من الحائط الى السطح فوجد نورا ساطعا بالبيت فنظر من خلف جدار فوجد هما والكاس دائر بينهما فحسّ به الشيخ والكاس في يده فاطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

سَقَانِي خَمْرَةً مِنْ رِيقِ فِيهِ ... وَحَيَّا بِالْعِذَارِ وَمَا يَلِيهِ
وَبَاتَ مُعَانِقِي خَدًّا لِخَدٍّ ... مَلِيحٌ فِي الْأَنَامِ بِلَا شَبِيهِ
وَبَاتَ الْبَدْرُ مُطَّلِعًا عَلَيْنَا ... سَلُوهُ لَا يَنِمُّ عَلَى أَخِيهِ

فكان من لطافة الصاحب بدر الدين انه لما سمع هذه الابيات قال والله لا انمّ عليكما ومضى وتركهما في اتمّ سرور

ومما يحكى

ان غلاما وجارية كانا يقرأن في مكتب فتعلق الغلام بحب الجارية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

لسا عدتك على حالك وتمتّعت بوصالك فلمسا سمع كلامها صارت دموعه كالسحاب الماطر وانشد قول الشـــــــــاعر

دَنَتْ حِينَ حَالَ الْمَوْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... وَجَادَتْ بِوَصْلٍ حِينَ لَا يَنْفَعُ الْوَصْلُ

ثم شهق شهقة فمات فوقعت عليه تلثمه وتبكي ولم تزل تبكي حتى وقعت عنده مغشيا عليها فلما افاقت اوصت اهلها انهم يدفنونهـــا في قبره اذا ماتت ثم اجرت دمع العين وانشدت هذين البيـــتين

كُنَّا عَلَى ظَهْرِهَا وَالْعَيْشُ فِي رَغَدٍ ... وَالْحَيُّ يَزْهُو بِنَا وَالدَّارُ وَالْوَطَنُ

فَفَرَّقَ الدَّهْرُ وَالتَّصْرِيفُ الْفَتَنَا ... وَصَارَ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَـــا الْكَفَنُ

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديدا ولم تزل تبكي وتنوح حتى وقعت مغشيا عليها واستمرت في غشيتها ثلثة ايام وماتت ودفنت في قبـــره وهذا من عجـــيب الاتفـــاق في المحـــبة

ومما يحكى

ايضا ان صاحب بدرالدين وزير اليمن كان له اخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فالتمس له من يعلمه فوجد شيخا ذا هيبة ووقار وعفة وديانة فاسكنه بمنزل بجانب منزله واقام على ذلك مدة ايام وهو كل يوم يذهب من بيته الى بيت الصاحب بدرالدين ليعلم اخاه ثم ينصرف الى منزله ثم ان الشيخ تعلّق قلبه بحب ذلك الشاب وقوي به هيامه وهاجت بلابله فشكا حاله يوما الى الشاب فقال له الشاب ما حيلتي وانا لا استطيع مفارقة اخي ليلا ولا نهارا فهو ملازم لي كما ترى فقال له الشيخ ان منزلي بجانب منزلكم فيمكن اذا نام اخوك ان تقوم انت تدخل الخلوة وتظهر للنـــاس

Digitized by Google

صعب عليهما فقبل الاثنان يده وانصرفا وما زالا مجتمعين الى ان فرق بينهما الموت فسبحان من لايدركه فوت

ومما يحكى

انه كان في بني عُذْرة رجل ظريف وكان لا يخلو من العشق يوما واحدا فاتفق له انه احب امرأة جميلة من الحي فراسلها اياما وهي لاتزال تجفوه وتصدّ عنه الى ان اضرّبه الغرام والوجد والهيام فمرض مرضا شديدا والزم الوساد وجفا الرقاد وظهر للناس امره واشتهر بالعشق ذكره وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الرجل الزم الوساد وجفا الرقاد وظهر للناس امره واشتهر بالعشق ذكره وازداد سقمه وعظم المه حتى كادان يموت ولم تزل اهله واهلها يسألونها ان تزوره وهي تأبى الى ان اشرف على الموت فاخبروها بذلك فرقّت له وانعطفت عليه بالزيارة فلما نظرها تحدّرت عيناه بالدموع وانشد من قلب مصدوع

بِعَيْشِكِ اِنْ مَرَرْتِ عَلَيْكِ جَنَازَتِي ... وَقَدْ رُفِعَتْ مِنْ فَوْقِ اَعْنَاقِ اَرْبَعِ
اَمَا تَتْبَعِيْنَ النَّعْشَ حَتّٰى تَسَلَّمِي ... عَلٰى قَبْرِ مَيْتٍ فِي الْحَفِيْرَةِ مُوْدَعِ

فلما سمعت كلامه بكت بكاء شديدا وقالت له والله ما كنت اظنّ انه بلغ بك الغرام الى ان يلقيك بين ايدي الحمام ولو علمت بذلك

Digitized by Google

ومما يحكى

ان بعض اهل البصرة اشترى جارية فادّبها واحسن ادبها وتعليمها وكان يحبّها غاية المحبة وانفق جميع ماله على البسط والانشراح وهو معها ولم يبق عنده شيء وقد اضرّبه الفقر الشديد فقالت له الجارية يا سيدي بِعْنِي لانك محتـــاج الى ثمني وقد شفقتُ على حالك مما ارى بك من الفقر فلو بعتني وانفقـت ثمني لكان ذلك اصلح لك من بقائي عندك ولعل الله تعالى يوســع عليك رزقك فما جابها الى ذلك من ضيق حاله ثم اخذها ونزل بها الى السوق فعرضها الدلال على امـير البصرة وكان اسمـه عبدالله بن معمر التيمـي فاعجبته فاشتراها بخمسمائة دينار ودفع ذلك المبلغ الى سيدها فلمـا قبضه سيدها واراد الانصراف بكت الجارية وانشدت هذين البيتين

هَنِيئاً لَكَ الْمَالُ الَّذِي قَدْ حَوَيْتَهُ ... وَلَمْ يَبْقَ لِي غَيْـــرَ الاَسى وَالتَّفَكُّرِ
اَقُولُ لِنَفْسِي وَهْيَ فِي سُوءِ كَرْبِهَـــا ... اَقِلِّي فَقَـدْ بَانَ الْحَبِيْـــبُ اَوِ اكْثِرِي

فلما سمعها سيدها صعد الزفرات وانشد هذه الابـــــــــيات

اِذَا لَمْ يَكُـــنْ لِلْاَمْرِ عِنْـدَكِ حِيلَةٌ ... وَلَمْ تَجِدِي شَيْأً سِوَى الْمَوْتِ فَاعْذُرِي
اَرُوحُ وَاَغْـدُو وَالْهُمُوْمُ اَنِيسُ ذِكْرِهِمُ ... اُنَاجِي بِهِ قَلْباً شَدِيْدَ التَّفَـكُّرِ
عَلَيْكِ سَـلَامٌ لَا زِيَارَةَ بَيْنَنَـــا ... وَلَا وَصْلَ اِلَّا اَنْ يَشَاءَ ابْنُ مَعْمَرِ

فلما سمع عبد الله بن معمر شعرهما ورأى كآبتهما قال والله لاكنت معينا على فراقكما وقد ظهر لي انكما متحابان فخذ المال والجـارية ايها الرجل بارك الله لك فيهما فان افتراق الحبيبين من بعضهمـا

Digitized by Google

يدخل قاعة الجلوس ثم يحضر فيها الشعراء والندماء وارباب الآلات ويجلس كل منهم في مرتبته لا يتعداها فاتفق انه كان في ذلك اليوم نزل من الديوان الى القاعة واحضر ندمائه واجلسهم في مراتبهم فلما جاء ابو نواس واراد ان يجلس في موضعه دعا امير المؤمنين بمسرور السياف وامره ان ينزع عن ابي نواس ثيابه ويشدّ على ظهره برذعة حمار ويجعل في رأسه مقودا وفي دبره طفرا ويدوربه على مقاصير الجواري وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان امير المؤمنين امر مسرورا السياف ان ينزع عن ابي نواس ثيابه ويشدّ على ظهره برذعة ويجعل في رأسه مقودا وفي دبره طفرا ثم يدوربه على مقاصير الجواري وعلى منازل الحريم وسائر المحلات ليسخروابه وبعد ذلك يقطع رأسه ويأتيه بها فقال مسرور سمعا وطاعة واخذ يفعل ما امره به الخليفة ودار به على المقاصير وكان عددها بعدد ايام السنة وكان ابو نواس مضحكا وكل من رآه يعطيه مالا فما رجع الا وجيبه ملآن مالا فبينما هو على هذه الحالة واذا بجعفر البرمكي مقبل فدخل على الخليفة وكان غائبا في امر مهمّ لامير المؤمنين فرأى ابا نواس في هذه الحالة فعرفه فقال له يا ابا نواس فقال له لبّيك يا مولانا قال له اي ذنب فعلت حتى حصلت لك هذه العقوبة فقال له ابو نواس ما فعلت ذنبا الا اني هاديت مولانا الخليفة بمحاسن اشعاري فهاداني بمحاسن ملبوسه فلما سمع امير المؤمنين ذلك ضحك ضحكا ناشئا عن قلب مملوء با لغيظ وعفاعنه وامر له ببدرة من المـــــــــــــال

Digitized by Google

فلما غلب السكر على ابي نواس ولم يعرف له يدا من رأس مال على الغلمان بالبوس والعناق والتفاف الساق على الساق ولم يبال باثم ولاعار وانشد هذه الاشعار

مَا اسْتَكْمَلَ اللَّذَّاتِ الَّا فَتَى ... يَشْرِبُ وَالْمِلَاحُ نُدَمَاهُ
هَذَا يُغَنِّيهِ وَهَذَا اِذَا ... اَنْعَشَهُ بِالْكَاسِ حَيَّاهُ
وَكُلَّمَا اَحْتَاجَ اِلَى قُبْلَةٍ ... مِنْ وَاحِدٍ اَرْشَفَهُ فَاهُ
سَقْيًا لَهُمْ قَدْ طَابَ يَوْمِي بِهِمْ ... وَاعَجَبًا مَا كَانَ اَحْلَاهُ
وَنَشْرَبُهَا صِرْفًا وَ مَمْزُوجَةً ... وَشَرُّهُنَا مَنْ نَامَ نِكْنَاهُ

فبينما هم كذلك واذا بطارق يطرق الباب فاذنوا له في الدخول فلما دخل وجدوه امير المؤمنين هارون الرشيد فقام له الجميع وقبلوا الارض بين يديه واستفاق ابو نواس من سكره لهيبة الخليفة فقال له امير المؤمنين يا ابا نواس فقال لبيك يا امير المؤمنين ايدك الله قال له ما هذا الحال قال يا امير المؤمنين لاشك ان الحال يغني عن السؤال فقال له الخليفة يا ابا نواس قد استخرف الله تعالى وولّيتك قاضي المعرّصين فقال ابو نواس وهل تحسب لي هذه الولاية يا امير المؤمنين قال نعم فقال يا امير المؤمنين هل لك من دعوة تدعيها عندي فاغتاظ منه امير المؤمنين ثم ولّى وتركهم وهو ممزوج بالغضب فلما جنّ الليل بات امير المؤمنين في غيظ شديد من ابي نواس وبات ابو نواس في اسرّ الليالي بما هو فيه من البسط والانشراح فلما اصبح الصباح واضاء كوكبه ولاح نفّض ابو نواس المجلس وصرف الغلمان ولبس لبس الموكب وخرج من بيته متوجها الى امير المؤمنين وكان من عادة امير المؤمنين انه اذا فض الديوان

Digitized by Google

بِرُوحِي اَقْدِي خَالَهُ فَوْقَ خَدِّهِ وَمِنْ اَيْنَ هٰذَا الْخَالُ اَقْدِيهِ بِالْمَالِ
تَبَارَكَ مَنْ اَحْلَى مِنَ الشَّعْرِ خَدَّهُ وَاَسْكَنَ كُلَّ الْحُسْنِ فِي ذٰلِكَ الْخَالِ

ثم اشار الى الغاني بعد اتمام الشفتين وانشد هذين البيتين

وَمَعْشُوقٍ لَهُ فِي الْخَدِّ خَالٌ كَمِسْكٍ فَوْقَ كَافُورٍ نَقِيِّ
تَعَجَّبَ نَاظِرِي لَمَّا رَاَتْهُ فَقَالَ الْخَالُ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ

ثم اشار الى الثالث بعد تقبيله عشر مرات وانشد هذه الابيات

اَذَابَ التِّبْرَ فِي كَاسِ اللُّجَيْنِ فَتًى بِالرَّاحِ مَخْضُوبُ الْيَدَيْنِ
وَطَافَ مَعَ السُّقَاةِ بِكَاْسِ رَاحٍ وَطَافَتْ مُقْلَتَاهُ بِاَحْوَرَيْنِ
مَلِيحٌ مِنْ بَنِي الْاَتْرَاكِ ظَبْيٌ يُجَاذِبُ خَصْرُهُ جَبَلَيْ حُنَيْنِ
لَئِنْ سَكَنَتْ اِلَى الزَّوْرَاءِ نَفْسِي فَاِنَّ الْقَلْبَ بَيْنَ مُحَرِّكَيْنِ
هَوًى يَقْتَادُهُ لِي يَا رِبَكْرٍ وَاُخْرَ فَوْقَ اَرْضِ الْجَامِعَيْنِ

وكان كل واحد من الغلمان قد شرب قدحين فلما وصل الدور الى ابي نواس اخذ القدح وانشد هذين البيتين

لَا تَشْرَبِ الرَّاحَ اِلَّا مِنْ يَدَيْ رَشَاْ تَحْكِيهِ فِي رِقَّةِ الْمَعْنَى وَيَحْكِيهَا
اِنَّ الْمُدَامَةَ لَا يَلْتَذُّ شَارِبُهَا حَتَّى يَكُونَ نَقِيَّ الْخَدِّ سَاقِيهَا

ثم شرب كاسه ودار الدور فلما وصل الدور الى ابي نواس ثانيا غلبت عليه المسرات فانشد هذه الابيات

اِجْعَلْ نَدِيمَكَ اَقْدَاحًا تُوَاصِلُهَا مِنَ الْمُدَامِ وَاَتْبِعْهَا بِاَقْدَاحِ
مِنْ كَفِّ اَهْيَفَ بَدِيعِ الْحُسْنِ رِقَّتُهُ بَعْدَ الْهُجُوعِ كَمِسْكٍ اَوْ كَتُفَّاحِ
لَا تَشْرَبِ الرَّاحَ اِلَّا مِنْ يَدَيْ رَشَاْ تَقْبِيلُ وَجْنَتِهِ اَشْهَى مِنَ الرَّاحِ

Digitized by Google

وكان ابو نواس يذهب هذا المذهب و مع الملاح يلهو ويطرب ويجتني ورد كل خدّناضر كما قال الشاعر

وَشَيْخٍ كَبِيْرٍ لَهُ صَبْوَةٌ يُحِبُّ الْمِلَاحَ وَيَهْوَى الطَّرَبْ
غَدَا مَوْصِلِيًّا بِأَرْضِ النَّقَا فَمَا اَنْ تَذَكَّرَ اِلَّا حَلَبْ

فذهب الى هؤلاء الغلمان وحيّاهم بالسلام فقابلوه باوفى تحية واكرام ثم ارادوا الانصراف الى بعض الجهات فحجزهم ابو نواس وانشد هذه الابيات

فَلَا تَسْعَوْا اِلَى غَيْرِيْ فَعِنْدِيْ مَعْدِنُ الْخَيْرِ
وَعِنْدِيْ قَهْوَةٌ تَجْلِي سَنَاهَا رَاهِبَ الدَّيْرِ
وَعِنْدِي اللَّحْمُ مِنْ ضَأْنٍ وَاَصْنَافٍ مِنَ الطَّيْرِ
كُلُوْا ذَا وَاشْرَبُوْا خَمْرًا عَتِيْقًا مُذْهِبَ الضَّيْرِ
وَنِيْكُوْا بَعْضَكُمْ بَعْضًا وَدُسُّوْا بَيْنَكُمْ اَيْرِيْ

فلما خدع الغلمان بابياته مالوا الى مرضاته واجابوه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان ابا نواس لما خدع الغلمان بابياته مالوا الى مرضاته واجابوه بالسمع والطاعة وذهبوا معه الى منزله فوجد واجميع ما وصفه في شعره حاضرفى المجلس فجلسوا واكلوا وشربوا و تلذّذوا وطربوا وتحاكموا عند ابي نواس في ايّهم احسن بهجة وجمالا واقوم قدا واعتدالا فاشار الى احدهم بعد تقبيله مرتين ثم انشد هذين البيتين

Digitized by Google

ايا من قد تملكني قديما ... ولم يغن الحديث عن القديم
ويا من ليس لي عنه غناء ... ولا ارجو سواه من نديم
الى الحمام قم يا نور عيني ... نرى الفردوس في وسط الجحيم
ونعبقها بعود الند حتى ... يفوح الطيب في القطر العميم
ونصفح عن ذنوب الدهر طرا ... ونشكر فضل مولانا الرحيم
وانشد اذا راك هناك فيها ... هنيئا يا حبيبي بالنعيم

فلما فرغت من شعرها قاما وذهبا الى الحمام وتنعما فيه ثم عادا الى قصرهما واقاما به في اللذ المسرات الى ان اتاهما دم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يحول ولا يزول واليه كل الامور تؤول

ومما يحكى

ان ابا نواس خلا بنفسه يوما من الايام وهيأ مجلسا فاخرا وجمع فيه من انواع الاطعمة وسائر الالوان كل ما تشتهي الشفة واللسان ثم انه خرج يتمشى في طلب محبوب لائق بذلك المجلس وقال يا الهي وسيدي ومولائي اسألك ان تسوق لي من يناسب ذلك المجلس ويصلح للمنادمة معي في هذا اليوم فما استتم كلامه الا وقد رأى ثلثة من المرد الحسان كأنهم من ولدان الجنان الا ان الوانهم مختلفة ومحاسنهم في الابداع موءتلفة وفي تثني معاطفهم تطمع الآمال على حد قول من قال

مررت بامردين فقلت اني ... احبكما فقال الامردان
اذو مال فقلت وذو سخاء ... فقال الامردان الامردان

Digitized by Google

عَلى غَيْظ الْحَوَاسِدِ وَ الرَّقِيبِ ... بَلَغْنَا مَا نُرِيدُ مِنَ الْحَبِيبِ
وَ اَسْعَفْنَا التَّوَاصُلَ بِاعْتِنَاقٍ ... عَلَى الدِّيبَاجِ وَالْقَزِّ الْقَشِيبِ
وَفَرْشٍ مِنْ اَدِيمٍ قَدْ حَشَوْنَا ... بِرِيشِ الطَّيْرِ مِنْ شَكْلٍ غَرِيبِ
وَعَنْ شُرْبِ الْمُدَامِ قَدْ اغْتَنَيْنَا ... بِرِيقِ الْحِبِّ جَلَّ عَنِ الضَّرِيبِ
وَمِنْ طِيبِ الْوِصَالِ فَلَيْسَ نَدْرِي ... بِاَوْقَاتِ الْمَعِيدِ مِنَ الْقَرِيبِ
لَيَالٍ سَبْعَةٌ مَرَّتْ عَلَيْنَا ... وَلَمْ نَشْعُرْ بِهَا كَمْ مِنْ عَجِيبِ
فَهَنَّوْنِي بِاُسْبُوعٍ وَقُولُوا ... اَدَامَ اللّٰهُ وَصْلَكَ بِالْحَبِيبِ

فلما فرغت من شعرها قبّلها انس الوجود ما ينوف عن المئات ثم انشد هذه الابيات

اَيَا يَوْمَ السُّرُورِ مَعَ التَّهَانِي ... وَجَاءَ الْحِبُّ مِنْ صَدٍّ وَقَانِي
فَاَنْسَانِي بِطِيبِ الْوَصْلِ مِنْهُ ... وَنَادَمَنِي بِاَلْطَافِ الْمَعَانِي
وَاَسْقَانِي شَرَابَ الْاُنْسِ حَتَّى ... ذَهَلْتُ عَنِ الْوُجُودِ بِمَا سَقَانِي
طَرِبْنَا وَانْشَرَحْنَا وَاضْطَجَعْنَا ... وَصِرْنَا فِي شَرَابٍ مَعْ اَغَانِي
وَمِنْ فَرْطِ السُّرُورِ فَلَيْسَ نَدْرِي ... مِنَ الْاَيَّامِ اَوَّلُهَا وَثَانِي
هَنِيئًا لِلْمُحِبِّ بِطِيبِ وَصْلٍ ... وَوَافَاهُ السُّرُورُ كَمَا وَفَانِي
وَلَا يَدْرِي لِمُرِّ الصَّدِّ طَعْمًا ... وَرَبِّي قَدْ حَبَاهُ كَمَا حَبَانِي

فلما فرغ من شعره قاما وخرجا من مكانهما وانعما على الناس بالمال والخلع واعطيا ووهبا ثم امرت الورد في الاكمام ان يخلوا لها الحمام وقالت لانس الوجود يا قرة عيني قصدي ان اراك في الحمام ونكون بمفردنا من غير احد معنا وزادت بها المسرّات فانشدت هذه الابيات

Digitized by Google

فَكَمْ رَأَيْنَا مِنَ الْاَهْوَالِ وَانْصَرَفَتْ ... وَقَدْ صَبَرْنَا عَلَى مَا هَيَّجَ الشَّجَنَا
فَسَاعَةٌ مِنْ وِصَالٍ قَدْ نَسِيتُ بِهَا ... مَا كَانَ مِنْ شِدَّةِ الْاَهْوَالِ شَيَّبَنَا

فلما فرغت من شعرها تعانقا ولم يزالا متعانقين حتى وقعا مغشيا عليهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان انس الوجود والورد فى الاكمام لما اجتمعا تعانقا ولم يزالا متعانقين حتى وقعا مغشيا عليهما من لذة الاجتماع فلما افاقا من غشيتهما انشد انس الوجود هذه الابيات

مَا اُحَيْلَاهَا لُيَيْلَاتِ الْوَفَا ... حَيْثُ اَمْسَى لِي حَبِيبِي مُنْصِفَا
وَتَوَالَى الْوَصْلُ فِيمَا بَيْنَنَا ... وَانْفِصَالُ الْهَجْرِ عَنَّا قَدْ وَفَى
وَاِلَيْنَا الدَّهْرُ يَسْعَى مُقْبِلًا ... بَعْدَ مَا مَالَ وَعَنَّا انْحَرَفَا
نَصَبَ السَّعْدُ لَنَا اَعْلَامَهُ ... وَشَرِبْنَا مِنْهُ كَاْسًا قَدْ صَفَا
وَاِجْتَمَعْنَا وَتَشَاكَيْنَا الْاَسَى ... وَلُيَيْلَاتٍ تَقَضَّتْ بِالْجَفَا
وَنَسِينَا مَا مَضَى يَا سَادَتِي ... وَعَفَا الرَّحْمٰنُ عَمَّا سَلَفَا
مَا اَلَذَّ الْعَيْشَ مَا اَطْيَبَهُ ... لَمْ يَزِدْ نِي الْوَصْلُ اِلَّا شَغَفَا

فلما فرغ من شعره تعانقا واضطجعا فى خلوتهما ولم يزالا في منادمة واشعار ولطيف حكايات واخبار حتى غرقا في بحر الغرام ومضت عليهما سبعة ايام وهما لا يدريان ليلا من نهار لفرط ما هما فيه من لذة وسرور وصفو وحبور فكأن السبعة ايام يوم واحد ليس له ثاني وما عرفا يوم الا سبوع الا بمجيء آلات المغاني فاكثرت الورد في الاكمام التعجبات ثم انشدت هذه الابيات

Digitized by Google

وَيَبْقَى حَبِيبِي فِي الدِّيَارِ مُنَادِمِي وَتُبْدَلُ اَحْزَانٌ بِصَفْوِ سَرِيرَتِي

فلما فرغ من شعره قال له الملك والله انكما لمحبان صادقان وفي سماء الحسن كوكبان نيران وامركما عجيب وشأنكما غريب ثم حكى له حكاية الورد في الاكمام الى آخرها فقال له واين هي يا ملك الزمان قال هي عندي الآن ثم احضر الملك القاضي والشهود وعقدها عليه واكرمه واحسن اليه ثم ارسل الملك درباس الى الملك شامخ واخبره بجميع ما اتفق له من امر انس الوجود والورد في الاكمام ففرح الملك شامخ بذلك غاية الفرح وارسل اليه مكتوبا مضمونه حيث حصل عقد العقد عندك ينبغي ان يكون الفرح والدخول عندي ثم جهز الجمال والخيل والرجال وارسل في طلبهما فلما وصلت الرسالة الى الملك درباس مدهما بمال عظيم وارسلهما مع جملة من عسكره فساروا بهما حتى دخلوا مدينتهما وكان يوما مشهودا لم ير اعظم منه وجمع الملك شامخ سائر المطربات من الآلات المغاني وعمل الولائم ومكثوا على ذلك سبعة ايام وفي كل يوم يخلع الملك شامخ على الناس الخلع السنية ويحسن اليهم ثم ان انس الوجود دخل على الورد في الاكمام فعانقها وجلسا يبكيان من فرط الفرح والمسرات فانشدت الورد في الاكمام هذه الابيات

جَاءَ السُّرُورُ وَزَالَ الْهَمُّ وَالْحَزَنَا ثُمَّ اجْتَمَعْنَا وَاَكْمَدْنَا حَوَاسِدَنَا
وَنَسْمَةُ الْوَصْلِ قَدْ هَبَّتْ مُعَطَّرَةً فَاَحْيَتِ الْقَلْبَ وَالْاَحْشَاءَ وَالْبَدَنَا
وَبَهْجَةُ الْاُنْسِ قَدْ لَاحَتْ مُخَلَّقَةً وَفِي الْخَوَافِقِ قَدْ دُقَّتْ بَشَائِرُنَا
لَا تَحْسِبُوا اَنَّنَا بَاكُونَ مِنْ حَزَنٍ لٰكِنَّ مِنْ فَرَحٍ فَاضَتْ مَدَامِعُنَا

Digitized by Google

ففرح الوزير بذلك وقال له احقّ ما تقول فقال نعم فركب واخذه معه وساربه الى الملك فلما وصلا الى الملك قال له اين انس الوجود فقال انس الوجود ايها الملك انا اعرف مكان انس الوجود فقرّبه اليه وقال له في اي مكان هو قال في مكان قريب جدّا ولكن اخبرني ماذا تريد منه وانا احضره بين يديك فقال له حبا وكرامة ولكن هذا الامر يحتاج الى خلوة ثم امر الناس بالانصراف ودخل معه خلوة واخبره الملك بالقصة من اوّلها الى آخرها فقال له انس الوجود ائتني بثياب فاخرة والبسني اياها وانا آتيك بانس الوجود سريعا فاتاه ببدلة فاخرة فلبسها وقال انا انس الوجود وكمد الحسود ثم رمى القلوب باللحظات وانشد هذه الابيات

يُؤَانِسُنِي ذِكْرُ الْحَبِيبِ بِخَلْوَتِي ... وَيَطْرُدُ عَنِّي فِي التَّبَاعُدِ وَحْشَتِي
وَمَالِيَ غَيْرَ الدَّمْعِ عَيْنٌ وَإِنَّمَا ... إِذَا فَاضَ مِنْ عَيْنِي يُخَفِّفُ زَفْرَتِي
وَشَوْقِي شَدِيدٌ لَيْسَ يُوجَدُ مِثْلُهُ ... وَأَمْرِي عَجِيبٌ فِي الْهَوَى وَالْمَحَبَّةِ
فَاقْطَعْ لَيْلِي سَاهِرَ الْجَفْنِ لَمْ أَنَمْ ... وَفِي الْعِشْقِ أَسْعَى بَيْنَ نَارٍ وَجَنَّةِ
وَقَدْ كَانَ لِي صَبْرٌ جَمِيلٌ عَدِمْتُهُ ... وَمَا زَادَنِي إِلَّا غَرَامًا وَمِحْنَتِي
وَقَدْ رَقَّ جِسْمِي مِنَ الْبَيْنِ بَعْدَهُمْ ... وَغَيَّرَتِ الْأَشْوَاقُ وَصْفِي وَصُورَتِي
وَأَجْفَانُ عَيْنِي بِالدُّمُوعِ تَقَرَّحَتْ ... وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنِّي أُرَجِّعُ دَمْعَتِي
وَقَدْ قَلَّ حِيلِي وَالْفُؤَادُ عَدِمْتُهُ ... وَكَمْ ذَا أُلَاقِي لَوْعَةً بَعْدَ لَوْعَةِ
وَقَلْبِي وَرَأْسِي فِي الْمَشِيبِ تَشَابَهَا ... عَلَى سَادَةٍ فِي الْحُسْنِ أَحْسَنُ سَادَةِ
عَلَى رَغْمِهِمْ كَانَ التَّفَرُّقُ بَيْنَنَا ... وَمَا قَصْدُهُمْ إِلَّا لِقَائِي وَوَصْلَتِي
فَيَا هَلْ تَرَى بَعْدَ التَّقَاطُعِ وَالنَّوَى ... يُمَتِّعُنِي دَهْرِي بِوَصْلِ أَحِبَّتِي
وَيَطْوِي كِتَابَ الْبُعْدِ مِنْ بَعْدِ نَشْرِهِ ... وَتُمْحِي بِرَاحَاتِ الْوِصَالِ مَشَقَّتِي

Digitized by Google

علي قلب الملك ببركته لانه مجذوب ثم بعد ذلك أرسله الى بلاد الصبهان لانها قريبة من بلادنا فقال له افعل ما تريد ثم انصرف كل منهما متوجها الى بلاده وقد اخذ وزير الملك درباس انس الوجود معه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان وزير الملك درباس اخذ انس الوجود معه وهو مغشي عليه وسار به ثلثة ايام وهو في غشيته محمول على البغال ولا يدري هل هو محمول اولا فلما افاق من غشيته قال في اي مكان انا فقالوا له انت صحبة وزير الملك درباس ثم ذهبوا الى الوزير واخبروه انه قد افاق فارسل اليه ماء الورد والسكر فسقوه وانعشوه ولم يزالوا مسافرين حتى قربوا من مدينة الملك درباس فارسل الملك الى الوزير يقول له ان لم يكن انس الوجود معك فلا تأتني ابدا فلما قرأ مرسوم الملك عسر عليه ذلك وكان الوزير لا يعلم ان الورد في الاكمام عند الملك ولا يعلم ما سبب ارسال الملك اياه الى انس الوجود ولا يعلم ما سبب رغبته في مصاهرته وانس الوجود لا يعلم اين يذهبون به ولا يعلم ان الوزير مرسل في طلبه والوزير لا يعلم ان هذا هو انس الوجود فلما رأى الوزير ان انس الوجود قد استفاق قال له ان الملك ارسلني في حاجة وهي لم تقض ولما علم بقدومي ارسل الي مكتوبا يقول لي فيه ان لم يكن الحاجة قد قضيت فلا تدخل مدينتي فقال له وما حاجة الملك فحكى له جميع الحكاية فقال له انس الوجود لا تخف واذهب الى الملك وخذني معك وانا اضمن لك مجيء انس الوجود

Digitized by Google

وَكَسَوْهَا حُلَلًا مِنْ سُنْدُسٍ يَا تَرَى أَيْنَ غَدَتْ أَصْحَابُهَا

فلما فرغ من شعره بكى و انّ و اشتكى و قال لا حيلة في قضاء الله ولا مفرّ مما قدره و قضاه ثم طلع الى سطح القصر فوجد الثياب البعلبكية مربوطة في شراريف القصر واصلة الى الارض فعرف انها قد نزلت من ذلك المكان وراحت كالها ثم الولهان والتفت فرأى هناك طيرين غرابا وبومة فتشاءم من ذلك وصعد الزفرات و انشد هذه الابيات

أَتَيْتُ إِلَى دَارِ الْأَحِبَّةِ رَاجِيًا بِأَنْ أَرَاهُمْ أَطْفَأَ وَجْدِي وَلَوْعَتِي
فَلَمْ أَجِدِ الْأَحْبَابَ فِيهَا وَلَمْ أَجِدْ بِهَا غَيْرَ مَشْؤُومَيْ غُرَابٍ وَبُومَةٍ
وَقَالَ لِسَانُ الْحَالِ قَدْ كُنْتُ ظَالِمًا وَفَرَّقْتُ بَيْنَ الْمُغْرَمَيْنِ الْأَحِبَّةِ
فَذُقْ طَعْمَ مَا ذَاقُوهُ مِنْ أَلَمِ الْجَوَى وَعِشْ كَمَدًا مَا بَيْنَ دَمْعٍ وَحُرْقَةِ

ثم نزل من فوق القصر وهو يبكي وقد امر الخدام ان يخرجوا الى الجبل ويفتشوا على سيدتهم ففعلوا ذلك فلم يجدوها هذا ماكان من امرها * واما ماكان من امر انس الوجود فانه لما تحقّق ان الورد في الاكمام قد ذهبت صاح صيحة عظيمة ووقع مغشيا عليه و استمرّ في غشيته فظنوا انه اخذته جذبة من الرحمن و استغرق في جمال هيبة الديّان ولما يئسوا من وجود انس الوجود واشتغل قلب الوزير ابراهيم بفقد بنته الورد في الاكمام اراد وزير الملك درباس ان يتوجه الى بلاده وان لم يفز من سفره بمراده فاخذ يودّعه الوزير ابراهيم واذ الورد في الاكمام فقال له وزير الملك درباس اني اريد ان آخذ هذا الفقير معي عسى الله تعالى ان يعطف

Digitized by Google

الملك درباس لوزير الملك شامخ لاي شيء سمّي هذا الجبل بذلك الاسم فقال له لانه نزلت به جنّية في قديم الزمان وكانت تلك الجنية من جن الصين وقد حبّت انسانا ووقع له فيها غرام وخافت على نفسها من اهلها فلما زادبها الغرام فتشت في الارض على مكان تخفيه فيه عن اهلها فوجدت هذا الجبل منقطعا عن الانس والجن بحيث لا يهتدي الى طريقه احد من الانس ولا من الجن فاختطفت محبوبها ووضعته فيه وصارت تذهب الى اهلها وتأتيه فى خفية ولم تزل على ذلك زمنا طويلا حتى ولدت منه في ذلك الجبل اطفا لا متعدّدة وكان كل من يمرّ على هذا الجبل من التجار المسافرين في البحر يسمع بكاء الاطفال كبكاء المرأة التي ثكلت اولادها اي فقدتهم فيقول هل هنا ثكلا فتعجب وزير الملك درباس من ذلك الكلام ثم انهم ساروا حتى وصلوا الى القصر وطرقوا الباب فانفتح الباب وخرج لهم خادم فعرف ابراهيم وزير الملك شامخ فقبّل يديه ثم دخل القصر فوجد في فسحته رجلا فقيرا بين الخدّامين وهو انس الوجود فقال لهم من اين هذا فقالوا له انه رجل تاجر غرق ماله ونجى بنفسه وهو مجذوب فتركه ثم مشى الى داخل القصر فلم يجد لابنته اثرا فسأل الجواري التي هناك فقلن له ما عرفنا كيف راحت ولا اقامت معنا سوى مدة يسيرة فسكب العبرات وانشد هذه الابيات

أَيُّهَا الدَّارُ الَّتِي أَطْيَارُهَا ... قَدْ تَغَنَّتْ وَازْدَهَتْ أَعْتَابُهَا
حَتَّى أَتَاهَا الصَّبُّ يَنْعَى شَوْقَهُ ... وَرَأَهَا فُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا
لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ ضَاعَتْ مُهْجَتِي ... عِنْدَ دَارٍ قَدْ نَأَتْ أَرْبَابُهَا
كَانَ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ فَاخِرٌ ... وَاسْتَطَابَتْ وَاعْتَلَتْ حُجَّابُهَا

Digitized by Google

وَقَدُّهُ غُصْنُ بَانٍ أَثْمَارُهُ مِنْ دَلَالِ
وَلَيْسَ فِي الغُصْنِ طَبْعٌ يُشْبِهُ عُقُولَ الرِّجَالِ
رَبَّيْتُهُ وَهُوَ طِفْلٌ عَلَى مِهَادِ الدَّلَالِ
وَإِنَّنِي لَحَزِينٌ عَلَيْهِ مَشْغُولُ بَالِ

ثم التفت الى الوزير الذي جاء با لهدية والرسالة و قال له اذهب الى سيدك واخبره ان انس الوجود مضى له عام و هو غائب وسيده لم يدراين ذهب ولا يعرف له خبر فقال له الوزير يا مولاي ان سيدي قال لي ان لم تأتني به تكن معزولا عن الوزارة ولا تدخل مدينتي فكيف اذهب اليه بغيره فقال الملك شامخ لوزيره ابراهيم اذهب معه صحبة جماعة وفتّشوا على انس الوجود في سائر الاماكن فقال له سمعا وطاعة ثم اخذ جماعه من اتباعه واستصحب وزير الملك درباس وساروا في طلب انس الوجود و ادرك شهرزادالصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان ابراهيم وزير الملك شامخ اخذ جماعة من اتباعه واستصحب وزير الملك درباس وساروا في طلب انس الوجود فكانوا كلما مرّوا بعرب اوقوم يسألونهم عن انس الوجود فيقولون لهم هل مرّبكم شخص اسمه كذا وصفته كذا وكذا فيقولون لا نعلمه وما زالوا يسألون في المدائن والقرى ويفتشون في السهل والاوعار والبراري والقفار حتى وصلوا الى شاطئ البحر وطلبوا مركبا ونزلوا فيها وساروا بها حتى اقبلوا على جبل الثكلا فقال وزير

Digitized by Google

نَوَافِحُ الْمِسْكِ وَالَّتِي يُبَاحُ أُرْسِلُهَا ... وَأُرْسِلُ الْفِضَّةَ الْبَيْضَاءَ وَالذَّهَبَا
نَعَمْ وَتُخْبِرُهُ عَنِّي مُكَاتَبَتِي ... أَنِّي مُرِيدٌ لَهُ صِهْرًا وَمُنْتَسِبَا
وَأَبْذَلُ الْيَوْمَ جَهْدِي فِي مُعَاوَنَةٍ ... حَتَّى يَكُونَ الَّذِي تَهْوِينَ مُقْتَرِبَا
قَدْ ذُقْتُ طَعْمَ الْهَوَى دَهْرًا وَأَعْرِفُهُ ... وَأَعْذِرُ الْيَوْمَ مَنْ كَأْسَ الْهَوَى شَرِبَا

فلما فرغ من شعره خرج الى عسكره ودعا بوزيره وحزم له ما لا لايحصى وامره ان يذهب بذلك الى الملك شامخ وقال له لابدان تأتيني بشخص عنده اسمه انس الوجود وقل له انه يريد مصاهرتك بان يزوّج ابنته لانس الوجود تابعك فلا بد من ارسالة معي حتى نعقد عقده عليها في مملكة ابيها ثم ان الملك درباس كتب مكتوبا للملك شامخ بمضمون ذلك واعطاه لوزيره واكّد عليه فى الاتيان بانس الوجود وقال له ان لم تأتني به تكن معزولا من مرتبتك فقال له سمعا وطاعة ثم توجه بالهدية الى الملك شامخ فلما وصل اليه بلغه السلام عن الملك درباس واعطاه المكاتبة والهدية التي معه فلما رأها الملك شامخ وقرأ المكاتبة ونظر اسم انس الوجود بكى بكاء شديدا وقال للوزير المرسل اليه واين انس الوجود فانه ذهب ولا نعلم مكانه فأتني به وانا اعطيك اضعاف ما جئت به من الهدية ثم بكى وانّ واشتكى وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

رُدُّوا عَلَيَّ حَبِيبِي ... لَا حَاجَةٌ لِي بِمَالِ
وَلَا أُرِيدُ هَدَايَا ... مِنْ جَوْهَرٍ وَلَآلِي
قَدْ كَانَ عِنْدِي بَدْرًا ... سَمَا بِأُفْقِ جَمَالِ
وَفَاقَ حِسًّا وَمَعْنًى ... وَلَمْ يُقَسْ بِغَزَالِ

Digitized by Google

مِنْ اَجْلِ خِلٍّ ثَوَى فِي مُهْجَتِي اَبَدًا ... وَلَمْ اَنَلْ فِي الْهَوَى مِنْ وَصْلِهِ اَرَبًا
لَهُ مُحَيًّا جَمِيلٌ بَاهِرٌ نَضِرٌ ... وَفِي الْمَلَاحَةِ قَاقَ التُّرْكَ وَالْعَرَبَا
وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ قَدْمَا لَا لِطَلْعَتِهِ ... كَالصَّبِّ وَالْتَزَمَا فِي حُبِّهِ الْاَدَبَا
وَطَرْفُهُ بِعَجِيبِ السِّحْرِ مُكْتَحِلٌ ... يُرِيكَ قَوْسًا لِرَمْيِ السَّهْمِ مُنْتَصِبَا
يَا مَنْ لَهُ حَالَتِي اَوْضَحْتُ مُعْتَذِرًا ... اِرْحَمْ مُحِبًّا بِهِ صِرْفُ الْهَوَى لَعِبَا
اِنَّ الْهَوَى قَدْ رَمَانِي وَسْطَ سَاحَتِكُمْ ... ضَعِيفُ عَزْمٍ وَمِنْكُمْ اِرْتَجِي حَسَبَا
اِنَّ الْكِرَامَ اِذَا مَا حَلَّ سَاحَتَهُمْ ... مُسْتَحْسِبٌ فَحِمَاهُمْ يَرْفَعُ الْحَسَبَا
فَاسْتَرْفَضَا يِحَ اَهْلَ الْعِشْقِ يَا اَمَلِي ... وَكُنْ لِوَصْلَتِهِمْ يَا سَيِّدِي سَبَبَا

فلما فرغت من شعرها حكت للملك قصتها من اولها الى آخرها ثم افاضت العبرات و انشدت هذه الابيات

عِشْنَا اِلَى اَنْ رَاَيْنَا فِي الْهَوَى عَجَبًا ... كُلَّ الشُّهُورِ وَفِي الْاَمْثَالِ عِشْ رَجَبَا
اَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ اِنِّي ضُحًى ارْتَحَلُوا ... اَوْقَدْتُ مِنْ مَاءِ دَمْعِي فِي الْحَشَى لَهَبَا
وَاِنَّ اَجْفَانَ عَيْنِي اَمْطَرَتْ وَرَقًا ... وَاَنَّ سَاحَةَ خَدِّي اَنْبَتَتْ ذَهَبَا
كَاَنَّ مَا اَنْعَقَّ عَنْهُ مِنْ مُعَصْفَرِهِ ... قَمِيصُ يُوسُفَ غَشُّوهُ دَمًا كَذِبَا

فلما سمع الملك كلامها تحقق وجدها وغرامها فاخذته الشفقة عليها وقال لها لا خوف عليك ولا فزع قد وصلت الى مرادك فلا بدّ ان ابلغك ما تريدين واوصل اليك ما تطلبين فاسمعي مني هذه الكلمات ثم انشد هذه الابيات

يَا بِنْتَ الْكِرَامِ بَلَغْتِ الْقَصْدَ وَالْاَرَبَا ... لَكِ الْبُشَارَاتُ لَا تَخْشَى هُنَا نَصَبَا
اَلْيَوْمَ اَجْمَعُ اَمْوَالًا وَاُرْسِلُهَا ... لِشَامِخِ صُحْبَةِ الْغُرْسَانِ وَالنُّجُبَا

Digitized by Google

المركب بسرعة حتى غاب البر عن اعينهما و صار الصياد لا يعرف اين يذهب و مكث اشتداد الريح مدة ثلثة ايام ثم سكت الريح باذن الله تعالى ولم تزل المركب تسير بهما حتى وصلت الى مدينة على شاطئ البحر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المركب لما وصلت بالصياد والورد فى الاكمام الى مدينة على شاطئ البحر اراد الصياد ان يرسي مركبه على تلك المدينة وكان فيها ملك عظيم السَطْوَة يقال له دِرْباس وكان في ذلك الوقت جالسا هو وابنه في قصر مملكته وصارا ينظران من شباك القصر فالتفتا الى جهة البحر فرأيا تلك المركب فتأملاها فوجدا فيها صبية كانها البدر في افق السماء وفي اذنيها حلق من البلخش النفيس وفي عنقها عقد من الجوهر النفيس فعرف الملك انها من بنات الاكابر والملوك فنزل الملك من قصره وخرج من باب القَيْطُون فرأى المركب قد رست على الشاطئ وكانت البنت نائمة والصياد مشغولا بربط المركب فايقظها الملك من منامها فاستيقظت وهي تبكي فقال لها الملك من اين انت وابنة من انت وما سبب مجيئك هنا فقالت له الورد فى الاكمام انا ابنة ابراهيم وزير الملك شامخ وسبب مجيئي هنا امر عجيب وشان غريب وحكت له جميع قصتها من اوّلها الى آخرها ولم تخف عنه شيأ ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

قَدْ قَرَّحَ الدَّمْعُ جَفْنِي فَاقْتَضَى عَجَبًا ... مِنَ التَّذَكُّرِ لَمَّا فَاضَ وَانْسَكَبَا

Digitized by Google

اُرِيْدُ مِنْكَ اَنْ تُجِيْبَ دَعْـوَتِيْ ... وَ تَسْمَعَنْ قَوْلِيْ بِاِسْنَادِ الْخَبَرْ
فَارْحَمْ وَ قَاكَ اللّٰـهُ حَرَّ صَبْـوَتِيْ ... اِنْ اَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ مَحْبُوْبًا نَفَرْ
اِنَّنِيْ اَهْوٰى مَلِيْحًا وَ جْهُـهُ ... قَدْ فَاقَ وَجْهَ الشَّمْسِ نُوْرًا وَالْقَمَرْ
وَ الظَّبْيَ لَمَّـا اَنْ رَاٰى الْحَاظَـهُ ... قَدْ قَالَ اِنِّيْ عَبْدُهُ ثُمَّ اعْتَذَرْ
قَدْ كَتَبَ الْحُسْنُ عَلٰى وَجْنَتِـهِ ... سَطْرًا بَدِيْعًا فِي الْمَعَانِيْ مُخْتَصَرْ
فَمَنْ رَاٰى نُوْرَ الْهُوٰى قَدْ اهْتَدٰى ... اَمَّا الَّذِيْ ضَلَّ تَعَدّٰى وَكَفَـرْ
اِنْ شَاءَ تَعْذِبْ يُمْنِ بِهِ يَا حَبَّـذَا ... فَكُلُّمَا اَلْقَـاهُ اَجْرٌ اَوْ اَجَرْ
مِنْ يَوَاقِيْتٍ وَ مَا اَشْبَهُهَـا ... وَلُؤْلُؤٍ رَطْبٍ وَاَنْوَاعِ الـدُّرَرْ
عَسٰى حَبِيْبِيْ اَنْ يُوَفِّيْ بِالْمُنٰى ... فَاِنَّ قَلْبِيْ ذَابَ شَوْقًا وَ انْفَطَـرْ

فلما سمع الصياد كلامها بكى وانّ و اشتكى وتذكّر ما مضى له في ايام صباه حين غلب عليه هواه واشتدّ به الغرام وزاد به الوجد و الهيام و احرقته نيران الصبابات فانشد هذه الابيات

بِغَـرَامِيْ اَيُّ عُـذْرٍ وَاضِحِ ... سَقِيْمُ اَعْضَـاءٍ بِدَمْعٍ سَـافِحِ
وَعُيُوْنٍ فِي الدُّجٰى سَـاهِرَةٍ ... وَ قُلُـوْبٍ كَزَنَادٍ قَادِحِ
قَدْ بَلَوْنَا الْعِشْقَ مِنْ نَشْأَتِنَا ... وَعَرَفْنَـا نَاقِصًا مِنْ رَاجِحِ
ثُمَّ بِعْنَا فِي الْهُوٰى اَنْفُسَنَـا ... بِوِصَـالٍ مِنْ حَبِيْبٍ نَازِحِ
ثُمَّ بِالْاَرْوَاحِ خَاطَرْنَا عَسٰى ... اَنْ يَكُوْنَ الْبَيْعُ بَيْعُ الرَّابِحِ
مَذْهَبُ الْعُشَّاقِ اَنَّ الْمُشْتَرِيْ ... وَصْلَ مَحْبُوْبٍ سَمَـا عَنْ رَابِحِ

فلما فرغ من شعره ارسى مركبه على البر وقال لها انزلي فى المركب حتى اعدي بك الى اىّ موضع تريدين فنزلت فى المركب وعوّم بها فلما فارق البر بقليل هبّت على المركب ريح من خلفهـا فسارت

Digitized by Google

من امر انس الوجود * واما ما كان من امر الورد في الاكمام فانها لم يهن لها شراب ولا طعام ولا تعود ولا منام فقامت وقد زاد بها الغرام والوجد والهيام ودارت في اركان القصر فلم تجد لها مصرفا فسكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

حَبَسُونِي عَنْ حَبِيبِي قَسْوَةً ... وَاذَا قُونِي بِسِجْنِي لَوْعَتِي
اَحْرَقُوا قَلْبِي بِنِيرَانِ الْهَوَى ... حَيْثُ رَدُّوا عَنْ حَبِيبِي نَظْرَتِي
حَبَسُونِي فِي قُصُورٍ شُيِّدَتْ ... فِي جِبَالٍ خُلِقَتْ فِي لُجَّةٍ
اِنْ يَكُونُوا قَدْ اَرَادُوا سُلْوَتِي ... لَمْ تَزِدْ فِي الْحُبِّ اِلَّا مِحْنَتِي
كَيْفَ اَسْلُو وَالَّذِي بِي كُلُّهُ ... اَصْلُهُ فِي وَجْهِ حِبِّي نَظْرَتِي
فَنَهَارِي كُلُّهُ فِي اَسَفٍ ... اَقْطَعُ اللَّيْلَ بِهِمٍّ فِي فِكْرَتِي
وَاَنِيسِي ذِكْرُهُمْ فِي وَحْدَتِي ... حِينَ اَلْقَى مِنْ لِقَاهُمْ وَحْشَتِي
يَا تَرَى هَلْ بَعْدَ هٰذَا كُلُّهُ ... يَرْتَضِي الدَّهْرُ لِقَلْبِي مُنْيَتِي

فلما فرغت من شعرها طلعت الى سطح القصر واخذت اثوابا بعلبكية وربطت نفسها فيها وتدلّت حتى وصلت الى الارض وقد كانت لابسة افخر ما عندها من اللباس وفي عنقها عقد من الجواهر وسارت في تلك البراري والقفار حتى وصلت الى شاطئ البحر فرأت صيّادا في مركب دائرا في البحر يصطاد فرماه الريح على تلك الجزيرة فالتفت فرأى الورد في الاكمام في تلك الجزيرة فلما رأها فزع منها وخرج بالمركب هاربا فنادته واكثرت اليه الاشارات وانشدت هذه الابيات

يَا اَيُّهَا الصَّيَّادُ لَا تَخْشَى الْكَدَرْ ... فَاِنَّنِي اِنْسِيَّةٌ مِثْلَ الْبَشَرْ

Digitized by Google

فلما فرغ انس الوجود من شعره وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان انس الوجود لما فرغ من شعره كان حمام الايك قد انتبه من ذهوله و سمع انشاده فصاح و ناح و اكثر التغريد و النواح حتى كاد ان ينطق بالترنمات و انشد عنه لسان الحال هذه الابيات

أَيُّهَا الْعَاشِقُ قَدْ ذَكَّرْتَنِي ... زَمَنًا فِيهِ شَبَابِي قَدْ فَنِي
وَحَبِيبًا كُنْتُ أَهْوَى شَكْلَهُ ... ذَا جَمَالٍ فَائِقٍ وَمُقْتَنِ
صَوْتُهُ مِنْ فَوْقِ أَغْصَانِ النَّقَى ... عَنْ سِمَاعِ النَّأْيِ وَجْدًا رَدَّنِي
نَصَبَ الصَّيَّادُ فَخَّا صَادَهُ ... قَائِلًا لَوْ لِلْفَضَا يَتْرُكُنِي
كُنْتُ أَرْجُوَانَّهُ ذُو رَأْفَةٍ ... أَوْ يَرَانِي عَاشِقًا يَرْحَمُنِي
فَرَمَاهُ اللَّهُ لَمَّا أَنَّهُ ... مِنْ حَبِيبِي بِالْجَفَا أَفْرَقَنِي
وَغَرَامِي فِيهِ أَضْحَى زَائِدًا ... وَبِنَارِ الْبُعْدِ قَدْ أَحْرَقَنِي
يَا رَعَى اللَّهُ مُحِبًّا عَاشِقًا ... مَارَسَ الْحُبَّ وَقَاسَى شَجَنِي
حِينَ يَرَانِي لَا بِثَّ فِي ... قَفَصِي لِحَبِيبِي رَحْمَةً يُطْلِقُنِي

ثم ان انس الوجود التفت الى صاحبه الاصبهاني وقال له ما هذا القصر و ما فيه و من بناه قال له بناه وزير الملك الفلاني لابنته خوفا عليها من عوارض الزمان و طوارق الحدثان و اسكنها فيه هي واتباعها و لا نفتحه الا في كل سنة مرة لما تأتي اليهم مؤنتهم فقال في نفسه قد حصل المقصود ولكن المدة طويلة هذا ما كان

Digitized by Google

إِنَّ لِلْبُلْبُلِ صَوْتًا فِي السَّحَرْ ... اَشْغَلَ الْعَاشِقَ عَنْ حُسْنِ الْوَتَرْ
فِي الْهَوَى اُنْسُ الْوُجُودِ الْمُشْتَكَى ... مِنْ غَرَامٍ قَدْ مَحَا مِنْهُ الْاَثَرْ
كَمْ سَمِعْنَا صَوْتَ اَلْحَانٍ مَحَتْ ... طَرَبًا صَلْدَ حَدِيدٍ وَحَجَرْ
وَنَسِيمُ الصُّبْحِ قَدْ يُرْوِي لَنَا ... عَنْ رِيَاضٍ يَانَعَاتٍ بِالزَّهَرْ
فَطَرِبْنَا بِسَمَاعٍ وَشَدَا ... مِنْ نَسِيمٍ وَطُيُورٍ فِي السَّحَرْ
وَتَذَكَّرْنَا حَبِيبًا غَائِبًا ... فَجَرَى الدَّمْعُ سُيُولًا وَمَطَرْ
وَلَهِيبُ النَّارِ فِي اَحْشَائِنَا ... مُضْرَمٌ ذَاكَ كَجَمْرٍ بِالشَّرَرْ
مَتَّعَ اللّٰهُ مُحِبًّا عَاشِقًا ... مِنْ حَبِيبٍ بِوِصَالٍ وَنَظَرْ
إِنَّ لِلْعُشَّاقِ عُذْرًا وَاضِحًا ... لَا يَعْرِفُ الْاَ هٰذَا رِ اِلَّا ذُو النَّظَرْ

فلما فرغ من شعره مشى قليلا فرأى قفصا حسنا لم يكن هناك احسن منه فلما قرب منه وجده حمام الايك وهو اليمام المشهور من بين الطيور ينوح بالغرام وفي عنقه عقد من جوهر بديع النظام وتأمله فوجده ذاهلا باهتا في قفصه فلما رآه بهذه الحالة افاض العبرات وانشد هذه الابيات

يَا حَمَامَ الْاَيْكِ اُقْرِئْكَ السَّلَام ... يَا اَخَا الْعُشَّاقِ مِنْ اَهْلِ الْغَرَام
اِنَّنِي اَهْوَى غَزَالًا اَهْيَفًا ... لَحْظُهُ اَقْطَعُ مِنْ حَدِّ الْحُسَام
فِي الْهَوَى اَحْرَقَ قَلْبِي وَالْحَشَى ... وَعَلَا جِسْمِي نُحُولِي وَالسَّقَام
وَلِذِي الزَّادِ قَدْ حَرَّمْتُهُ ... مِثْلَ مَا حَرَّمْتُ مِنْ طِيبِ الْمَنَام
وَاصْطِبَارِي وَسُلُوِّي رَحَلَا ... وَالْهَوَى بِالْوَجْدِ عِنْدِي قَدْ اَقَام
كَيْفَ يَهْنِي الْعَيْشُ لِي مِنْ بَعْدِهِمْ ... وَهُمُو رُوحِي وَقَصْدِي وَالْمَرَام

Digitized by Google

وَرُبَّ مَعْسُولِ اللَّمَى زَارَنِي ... فَزَادَ دَنِي عِشْقًا عَلَى صَبْوَتِي
فَقُلْتُ وَالنِّيرَانُ قَدْ اضْرَمَتْ ... فِي الْقَلْبِ حَتَّى احْرَقَتْ مُهْجَتِي
وَالدَّمْعُ مَسْفُوحٌ يُحَاكِي دَمًا ... قَدْ فَاضَ جَارِيهِ عَلَى وَجْنَتِي
مَا ثَمَّ مَخْلُوقٌ بِلَا مِحْنَةٍ ... لَكِنَّ لِي صَبْرًا عَلَى مِحْنَتِي
بِقُدْرَةِ اللهِ مَتَى لَمَّنِي ... وَقْتَ الصَّفَا يَوْمًا عَلَى سَادَتِي
جَعَلْتُ لِلْعُشَّاقِ مَالِي تَرَى ... لَا نَّهُمْ قَوْمٌ عَلَى سُنَّتِي
وَاطْلِقُ الْاَطْيَارَ مِنْ سِجْنِهَا ... وَاتْرُكُ الْاَحْزَانَ مِنْ فَرْحَتِي

فلما فرغ من شعره تمشّى الى ثالث قفص فوجده هزارا فزعق الهزار عند رؤيته فلما سمعه انشد هذه الابـــــــــــــــيات

اِنَّ الْهَزَارَ لَطِيفُ الصَّوْتِ يُعْجِبُنِي ... كَاَنَّهُ صَوْتُ صَبٍّ فِي الْغَرَامِ فَنِي
وَارْحَمْتَاهُ عَلَى الْعُشَّاقِ كَمْ قَلَقُوا ... مِنْ لَيْلَةٍ بِالْهَوَى وَالشَّوْقِ وَالْمِحَنِ
كَاَنَّهُمْ مِنْ عَظِيمِ الشَّوْقِ قَدْ خُلِقُوا ... بِلَا صَبَاحٍ وَلَا نَوْمٍ مِنَ الشَّجَنِ
لَمَّا جُنِنْتُ بِمَنْ اَهْوَاهُ قَيَّدَنِي ... فِيهِ الْغَرَامُ وَلَمَّا فِيهِ قَيَّدَنِي
تَسَلْسَلَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي فَقُلْتُ لَهُ ... سَلَاسِلُ الدَّمْعِ قَدْ طَالَتْ فَسَلْسَلَنِي
زَادَ اشْتِيَاقِي وَطَالَ الْبُعْدُ وَانْعَدَمَتْ ... كُنُوزُ صَبْرِي وَفَرْطُ الْوَجْدِ اَتْلَفَنِي
اِنْ كَانَ فِي الدَّهْرِ اِنْصَافٌ وَيَجْمَعُنِي ... بِمَنْ اُحِبُّ وَسَتْرُ اللهِ يَشْمَلُنِي
قَلَعْتُ ثَوْبِي لِحِبِّي كَيْ يَرَى جَسَدِي ... بِالصَّدِّ وَالْبُعْدِ وَالْهِجْرَانِ كَيْفَ ضَنِي

فلما فرغ من شعره تمشّى الى رابع قفص فرأه ببلبلا فناح وغرّد عند رؤية انس الوجود فلمـــا سمع تغريده سكب العبـــرات وانشـــد هذه الابـــيات

Digitized by Google

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الخادم الذي خرج من قصر الورد في الاكمام حدّث انس الوجود بجميع ما حصل له وقال له ان القوم الذين اخذوني قطعوا احليلي وباعوني خادما وها انا في تلك الحالة وبعد ما سلم عليه وحياه ادخله ساحة القصر فلما دخل رأى بُحَيرة عظيمة وحولها اشجار واغصان وفيها اطيار في اقفاص من فضة وابوابها من الذهب وتلك الاقفاص معلقة على اغصان والاطيار فيها تناغي وتسبّح الملك الديّان فلما وصل الى اوّلها تأمله فاذا هو قُمْري فلما رآه الطير مدّ صوته وقال يا كريم فغشي على انس الوجود فلما افاق من غشيته صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

أَيُّهَا الْقُمْرِيُّ هَلْ مِثْلِي تَهِيمْ ... فَاسْأَلِ الْمَوْلَى وَغَرِّدْ يَا كَرِيمْ
يَا تَرَى نَوْحُكَ هٰذَا طَرَبٌ ... اَوْغَرَامٌ مِنْكَ فِي الْقَلْبِ مُقِيمْ
اِنْ تَنُحْ وَجْدًا لِاَحْبَابٍ مَضَوْا ... اَوْ تَخَلَّفْتَ بِهِمْ مُضْنًى سَقِيمْ
اَوْ فَقَدْتَ الْحِبَّ مِثْلِي فِي الْهَوَى ... فَالتَّجَا فِي يَظْهَرُ الْوَجْدَ الْقَدِيمْ
يَا رَعَى اللّٰهُ مُحِبًّا صَادِقًا ... لَسْتُ اَسْلَاهُ وَلَوْ عَظْمِي رَمِيمْ

فلما فرغ من شعره بكى حتى وقع مغشيا عليه وحين افاق من غشيته مشى حتى وصل الى ثاني قفص فوجده فاخِتا فلما راه الفاخت غرّد وقال يا دائم اشكرك فصعد انس الوجود الزفرات وانشد هذه الابيات

وَفَاخِتٍ قَدْ قَالَ فِي نَوْحِهِ ... يَا دَائِمًا شُكْرًا عَلَى بَلْوَتِي
عَسَى لَعَلَّ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ ... يَقْضِي بِوَصْلِ الْحِبِّ فِي سَفْرَتِي

Digitized by Google

على اصوله فانزل اليه واملأ هذا الشنف منه واربطه وارمه في البحر واركب عليه وتوجه به الى وسط البحر لعلك تبلغ قصدك فان من لم يخاطر بنفسه لم يبلغ المقصود فقال سمعا وطاعة ثم ودّعه وانصرف من عنده الى ما امره به بعد ان دعا له العابد ولم يزل انس الوجود سائرا الى جوف الوادي وفعل كما قال له العابد ولما وصل بالشنف الى وسط البحر خرج عليه ريح فزفّه بالشنف حتى غاب عن عين العابد ولم يزل سابحا في لجّة البحر ترفعه مَوْجة وتحطه اخرى وهو يرى ما في البحر من العجائب والاهوال الى ان رمته المقادير على جبل الثكلا بعد ثلثة ايام فنزل الى البر مثل الفرخ الدايخ لهفان من الجوع والعطش فوجد في ذلك المكان انهارا جارية واطيارا مغردة على الاغصان واشجارا مثمرة صِنْوانا وغير صِنْوان فاكل من الاثمار وشرب من الانهار وقام يمشي فرأى بياضا على بعد فمشى جهته حتى وصل اليه فوجده قصرا منيعا حصينا فاتى الى باب القصر فوجده مقفولا فجلس عنده ثلثة ايام فبينما هو جالس واذا بباب القصر قد فتح وخرج منه شخص من الخدم فرأى انس الوجود قاعدا فقال له من اين اتيت ومن اوصلك الى ههنا فقال من اصبهان وكنت مسافرا في البحر بتجارة فانكسرت المركب التي كنت فيها فرمتني الامواج على ظهر هذه الجزيرة فبكى الخادم وعانقه وقال حيّاك الله يا وجه الاحباب ان اصبهان بلادي ولي فيها بنت عم كنت احبّها وانا صغير وكنت متولعا بها فغزانا قوم اقوى منا واخذوني في جملة الغنائم وكنت صغيرا فقطعوا اِحليلي ثم باعوني خادما وها انا في تلك الحالة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

قَدْ تَعَدَّوْا عَلَيَّ اِذْ حَجَبُونِي ... فِي مَكَانٍ لَمْ يَسْتَطِعْهُ حَبِيبِي
اَسْأَلُ الشَّمْسَ حَمْلَ اَلْفَ سَلَامٍ ... عِنْدَ وَقْتِ الشُّرُوقِ ثُمَّ الْغُرُوبِ
لِحَبِيبٍ قَدْ اَخْجَلَ الْبَدْرَ حُسْنًا ... مُذْ تَبَدَّى وَفَاقَ قَدَّ الْقَضِيبِ
اِنْ حَكَى الْوَرْدُ خَدَّهُ قُلْتُ فِيهِ ... لَسْتَ تَحْكِي اِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ نَصِيبِي
اِنْ فِي ثَغْرِهِ لَسَلْسَالُ رِيقٍ ... يَجْلِبُ الْبَرْدَ عِنْدَ حَرِّ اللَّهِيبِ
كَيْفَ اَسْلُوهُ وَهُوَ قَلْبِي وَرُوحِي ... مُسْقِمِي مُمْرِضِي حَبِيبِي طَبِيبِي

فلما جنّ عليها الظلام اشتدّ بها الغرام وتذكرت ما فات فانشدت هذه الابيات

جَنَّ الظَّلَامُ وَهَاجَ الْوَجْدُ بِالسَّقَمِ ... وَالشَّوْقُ حَرَّكَ مِنِّي مِنَ الْأَلَمِ
وَلَوْعَةُ الْبَيْنِ فِي الْأَحْشَاءِ قَدْ سَكَنَتْ ... وَالْفِكْرُ صَيَّرَنِي فِي حَالَةِ الْعَدَمِ
وَالْوَجْدُ اَقْلَقَنِي وَالشَّوْقُ اَحْرَقَنِي ... وَالدَّمْعُ بَاحَ بِسِرِّي مُكْتَتِمِ
وَلَيْسَ لِي حَالَةٌ فِي الْعِشْقِ اَعْرِفُهَا ... مِنْ رِقِّ عُودِي وَمِنْ ضَعْفِي وَمِنْ اَلَمِي
جَحِيمُ قَلْبِي مِنَ النِّيرَانِ قَدْ سُعِرَتْ ... وَمِنْ لَظَى حَرِّهَا الْأَكْبَادُ فِي بَقَمِ
مَا كُنْتُ اَمْلِكُ نَفْسِي اَنْ اُؤَدِّعَهُمْ ... يَوْمَ الْفِرَاقِ فَيَا قَهْرِي وَيَا نَدَمِي
يَا مَنْ يُبَلِّغُهُمْ مَا حَلَّ بِي وَكَفَى ... اِنِّي صَبَرْتُ عَلَى مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ
وَاللَّهِ لَا حِلْتُ عَنْهُمْ فِي الْهَوَى اَبَدًا ... يَمِينُ شَرْعِ الْهَوَى مَبْرُورَةُ الْقَسَمِ
يَا لَيْلُ سَلِّمْ عَلَى الْاَحْبَابِ مُخْبِرُهُمْ ... وَاشْهَدْ بِعِلْمِكَ اَنِّي فِيكَ لَمْ اَنِمِ

هذا ما كان من امر الورد في الاكمام * واما ما كان من امر انس الوجود فان العابد قال له انزل الى الوادي واْتني من النخيل بليف فنزل وجاء له بليف فاخذه العابد وفتله وجعله شنفا مثل اشناف التبن وقال يا انس الوجود ان في جوف الوادي فرعا يطلع وينشف

Digitized by Google

قَضَى الْغَرَامُ عَلَى الْعُشَّاقِ اَجْمَعِهِمْ اِنَّ السُّلُوَّ حَـرَامٌ بِدْعَـةُ الْفِتَنِ

فلما فرغ العابد من انشاد شعره قام الى انس الوجود وعانقه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــبـــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان العابد لما فرغ من انشاد شعره قام الى انس الوجود وعانقه وتباكيا حتى دوّت الجبال من بكائهما ولم يزالا يبكيـــان حتى وقعا مغشيا عليهمـــا ثم افاقا وتعاهدا على انهما اخوان في الله تعالى ثم قال العابد لانس الوجود ان في هذه الليلة اصلّي واستخير الله لك على شيءٍ تعمـله فقال له انس الوجود سمعا وطـاعة هذا ما كان من امر انس الوجود * واما كان من امر الورد في الاكمام فانها لما وصلوا بها الى الجبل وادخلوه القصـــر ورأته ورأت ترتيبه بكت وقالت والله انك مكان مليح غير انك ناقص وجود الحبيب فيك ورأت في تلك الجزيرة اطيارا فامرت بعض اتباعها ان ينصب لها فخّاً ويصطادبه منها وكلما اصطاده يضعه في اقفاص من داخل القصر ففعل ما امرته ثم انها قعـدت في شباك القصر وتذكّرت ما جرى لهـا وزاد بهـا الغرام والوجد والهيام فسكبت العبرات وانشدت هذه الابيـــــات

يَالَمْنِ اشْتَكِي الْغَـرَامَ الَّذِي بِي وَشُجُـونِي وَفُرْقَتِي عَنْ حَبِيبِي
وَلَهِيبٌ بَيْنَ الضُّلُوعِ وَلَكِنْ لَسْتُ أُبْدِيهِ خِيفَةً مِنْ رَقِيبِي
ثُمَّ اَصْبَحْتُ رِقَّ عُودِ خِـلَالٍ مِنْ بِعَـادٍ وَحُرْقَةٍ وَنَحِيبِ
أَيْنَ عَيْنُ الْحَبِيبِ حَتَّى تَرَانِي كَيْفَ اَصْبَحْتُ مِثْلَ حَالِ السَّلِيبِ

Digitized by Google

يَا عَابِدًا قَدْ تَغَاضَى فِي مَغَارَتِهِ ... كَأَنَّهُ ذَاقَ طُعْمَ الْعِشْقِ وَانْسُلِبَا
وَبَعْدَ هَذَا وَهَذَا كُلُّهُ فَإِذَا ... بَلَغْتُ قَصْدِي فَلَاهَمًّا وَلَا تَعِبَا

فلما فرغ من شعره و اذا بباب المغارة قد انفتح و سمع قائلاً يقول و ارحمتاه فدخل الباب و سلّم على العابد فردّ عليه السلام و قال له ما اسمك قال اسمي انس الوجود فقال له ما سبب مجيئك الى هذا المكان فقصّ عليه قصته من اولها الى آخرها و اخبره بجميع ماجرى له فبكى العابد و قال له يا انس الوجود ان لي فى هذا المكان عشرين عاما و ما رأيت فيه احدا الّا بالامس فاني سمعت بكاء و غواثا فنظرت الى جهة الصوت فرأيت ناسا كثيرين وخيا ما منصوبة على شاطئ البحر و اقاموا مركبا و نزل فيها قوم منهم و ساروا بها فى البحر ثم رجع بالمركب بعض من نزل فيها وكسروها و توجهوا الى حال سبيلهم و اظن ان الذين ساروا على ظهر البحر ولم يرجعوا هم الذين انت في طلبهم يا انس الوجود و حينئذ همّك عظيم و انت معذور و لكن لا يوجد محبّ الّا و قد قاسى الحسرات ثم انشد العابد هذه الابيات

أُنْسَ الْوُجُودِ خَلِّنِي الْبَالَ تَحْسِبُنِي ... وَالشَّوْقُ وَالْوَجْدُ يَطْوِينِي وَيَنْشُرُنِي
إِنِّي عَرَفْتُ الْهَوَى وَالْعِشْقَ مِنْ صِغَرِي ... مِنْ حِينِ كُنْتُ صَبِيًّا رَاضِعَ اللَّبَنِ
مَا رُسْتُهُ زَمَنًا حَتَّى عَرَفْتُ بِهِ ... إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ عَنِّي فَهْوَ يَعْرِفُنِي
شَرِبْتُ كَأْسَ الْجَوَى مِنْ لَوْعَةٍ وَضَنًى ... فَصِرْتُ مَحْوًا بِهِ مِنْ رِقَّةِ الْبَدَنِ
قَدْ كُنْتُ ذَا قُوَّةٍ لَكِنْ وَهَى جَلَدِي ... وَجَيْشُ صَبْرِي بِأَسْيَافِ اللِّحَاظِ فُنِي
لَا تَرْتَجِي فِي الْهَوَى وَصْلًا بِغَيْرِ جَفًا ... فَالضِّدُّ بِالضِّدِّ مَقْرُونٌ مَدَى الزَّمَنِ

Digitized by Google

خاطرت بالروح بذلا في محبتهم ... وكانت الروح عندي اسهل الخطر
لا اخذ الله عينا في الحمى نظرت ... ذاك الجمال الذي ابهى من القمر
اصبحت منطرحا من اعين نجل ... سهامها رشقت قلبي بلا وتر
وحادعتني بلين من معاطفها ... كما تلين غصون البان في الشجر
طمعت منهم بوصل استعين به ... على امور الهوى والغم والكدر
وصرت فيهم كما امسيت مكتئبا ... وكل ما حل بي من فتنة النظر

فلما فرغ من شعره بكى حتى وقع مغشيا عليه و استمر في غشيته مدة مديدة ثم افاق من غشيته والتفت يمينا و شمالا فلم ير احدا في البرية فخشي على نفسه من الوحوش فصعد على جبل عال فبينما هو في ذلك الجبل اذ سمع صوت آدمي يتكلم في مغارة فصغى اليه واذا هو عابد قد ترك الدنيا و اشتغل بالعبادة فطرق عليه باب المغارة ثلث مرات فلم يجبه العابد و لم يخرج اليه فصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

كيف السبيل الى ان ابلغ الاربا ... واترك الهم والتكدير والتعبا
وكل هول من الاهوال شيبني ... قلبا ورأسا مشيبا في زمان صبى
ولم اجد لي معينا في الغرام ولا ... خلا يخفف عني الوجد والنصبا
وكم اكابد في الاشواق من ولهٍ ... كأن دهري علي الان قد قلبا
وارحمتاه لصب عاشق قلق ... كأس التفرق والهجران قد شربا
فالنار في القلب والاحشاء قد محيت ... والعقل من لوعة التفريق قد سلبا
ما كان اعظم يوم جئت منزلهم ... وقد رأيت على الابواب ما كتبا
بكيت حتى سقيت الارض من ولهٍ ... لكن كتمت عن الدانين والغربا

Digitized by Google

فلما فرغ من شعره قام الاسد و مشى نحوه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان انس الوجود لما فرغ من شعره قام الاسد و مشى نحوه بلطف و عيناه مُغْرَوْرَقتان بالدموع ولما وصل اليه لَحَسَه بلسانه و مشى قدامه و اشار اليه ان اتْبِعْني فتبعه ولم يزل سائرا و هو خلفه ساعة من الزمان حتى طلع به فوق جبل ثم نزل به من فوق ذلك الجبل فرأى أثار المشى في البراري فعرف ان ذلك اثر مشي القدم بالورد فى الاكمام فتبع الاثر و مشى فيه فلما رأى الاسد تبع الاثر و عرف انه اثر مشي القوم بمحبوبته رجع الاسد الى حال سبيله * و اما انس الوجود فانه لم يزل ماشيا فى الاثر ايا ما و ليا لي حتى اقبل على بحر عجاج متلاطم بالامواج و وصل الاثر الى شاطئ البحر و انقطع فعلم انهم ركبوا البحر و ساروا فيه و انقطع رجاؤه منهم هناك فسكب العبرات و انشد هذه الابيات

شَطَّ الْمَزَارُ وَعَنْهُمْ قَلَّ مُصْطَبَرِي ... وَكَيْفَ أَمْشِي لَهُمْ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ
أَوْ كَيْفَ أَصْبِرُ وَالْأَحْشَاءُ قَدْ تَلِفَتْ ... فِي حُبِّهِمْ وَتَرَكْتُ النَّوْمَ بِالسَّهَرِ
مِنْ يَوْمِ غَابُوا عَنِ الْأَوْطَانِ وَارْتَحَلُوا ... وَمُهْجَتِي فِي لَهِيبٍ أَيِّ مُسْتَعِرِ
سَيْحُونُ جَيْحُونُ دَمْعِي كَالْفُرَاتِ جَرَى ... فَفَيْضُهُ فَائِقُ الطُّوفَانِ وَالْمَطَرِ
تَقَرَّحَ الْجَفْنُ مِنْ جَرْيِ الدُّمُوعِ بِهِ ... وَاحْتَرَقَ الْقَلْبُ بِالنِّيرَانِ وَالشَّرَرِ
جُيُوشُ وَجْدِي وَالْأَشْوَاقُ قَدْ هَجَمَتْ ... وَجَيْشُ صَبْرِي فِي إِدْبَارٍ مُنْكَسِرِ

Digitized by Google

كَيْفَ يَهْنِي الْعَيْشُ لِلصَّبِّ الَّذِي ... فَارَقَ الْاَحْبَابَ ذَاشَيْءٌ عَجِيْب
ذُبْتُ لَمَّا اَنْ ذَكَا وَجْدِي بِهِمْ ... وَجَرَى دَمْعِي عَلَى خَدِّي صَبِيْب
هَلْ اَرَاهُمْ اَوَارَكَ مِنْ رَبْعِهِمْ ... اَحَدًا يُبْرِأُ بِهِ الْقَلْبُ الْكَئِيْب

فلما فرغ من شعره بكى حتى بلّ الثرى ثم قام من وقته وساعته وسار من ذلك المكان فبينما هو سائر في البراري والقفار اذ خرج عليه سَبُع رقبته مختنقة بشعره ورأسه قدر القبة وفمه اوسع من الباب وانيابه مثل انياب الفيل فلما رأه انس الوجود ايقن بالموت واستقبل القبلة وتشهّد واستعدّ للموت وكان قد قرأ فى الكتب ان من خادع السبُع انخدع له لانه ينخدع بالكلام الطيب وينتخى بالمديح فشرع يقول له يا اسد الغابة يا ليث الفضاء ياضِرْغام يا ابا الفتيان يا سلطان الوحوش انني عاشق مشتاق وقد اتلفني العشق والفراق وحين فارقت الاحباب غبت عن الصواب فاسمع كلامي وارحم لوعتي وغرامي فلما سمع الاسد مقالته تأخّر عنه وجلس مقعيا على ذَنَبه ورفع رأسه اليه وسار يلعب له بذَنَبه ويديه فلما راى انس الوجود هذه الحركات انشد هذه الابيات

اَسَدَ الْبَيْدَاءِ هَلْ تَقْتُلُنِي ... قَبْلَ مَا الْقَى الَّذِي تَيَّمَنِي
لَسْتُ صَيْدًا لَا وَلَا بِي سِمَنٌ ... فَقْدُ مَنْ اَهْوَاهُ قَدْ اَسْقَمَنِي
وَفِرَاقُ الْحِبِّ اَضْنَى مُهْجَتِي ... فَمِثَالِي صُوْرَةٌ فِي كَفَنِي
يَا اَبَا الْحَارِثِ يَا لَيْثَ الْوَغَى ... لَا تُشْمِتِ الْعُذَّالَ بِي فِي شَجَنِي
اَنَا صَبٌّ مُذْ مَعِي غَرَّقَنِي ... وَفِرَاقُ الْحِبِّ قَدْ اَتْلَفَنِي
وَاشْتِغَالِي فِي دُجَى اللَّيْلِ بِهِمْ ... عَنْ وُجُوْدِي فِي الْهَوَى غَيَّبَنِي

Digitized by Google

مَزَجْتُهَا بِجَمِيلِ الصَّبْرِ مُعْتَذِرًا وَعَنْكُمُ الْآنَ لَيْسَ الصَّبْرُ يُسْلِينَا

فلما فرغت من شعرها ركبت وساروا بها يقطعون البراري والقفار والسهول والاوعار حتى وصلوا الى بحر الكنوز ونصبوا الخيام على شاطئ البحر ومدّوا لها مركبا عظيمة وانزلوها فيها هي وعايلتها وقد امرهم انهم اذا وصلوا الى الجبل وادخلوها في القصر هي وعايلتها يرجعون بالمركب وبعد ان يطلعوا من المركب يكسرونها فذهبوا وفعلوا جميع ما امرهم به ثم رجعوا وهم يبكون على ما جرى هذا ما كان من امرهم * واما ما كان من امر انس الوجود فانه قام من نومه وصلى الصبح ثم ركب وتوجه الى خدمة السلطان فمرّ في طريقه على باب الوزير على جري العادة لعله يرى احدا من اتباع الوزير الذين كان يراهم ونظر الى الباب فرأى الشعر المتقدّم ذكره مكتوبا عليه فلما رآه غاب عن وجوده واشتعلت النار في احشائه ورجع الى داره ولم يقرّ له قرار ولم يطاوعه اصطبار ولم يزل في قلق ووجد الى ان دخل الليل فكتم امره وتنكّر وخرج في جوف الليل هائما على غير طريق وهو لا يدري اين يسير فسار الليل كله وثانى يوم الى ان اشتدّ حر الشمس وتلهّبت الجبال واشتدّ عليه العطش فنظر الى شجرة فوجد بجانبها جدول ماء يجري فقصد تلك الشجرة وجلس في ظلّها على شاطئ ذلك الجدول واراد ان يشرب فلم يجد للماء طعما في فمه وقد تغيّر لونه واصفرّ وجهه وتورّمت قدماه من المشي والمشقة فبكى بكاء شديدا وسكب العبرات وانشد هذه الابيات

سَكَنَ الْعَاشِقُ فِي حُبِّ الْحَبِيبْ كُلَّمَا زَادَ غَرَامًا فَيَطِيبْ
هَائِمٌ فِي الْحُبِّ صَبٌّ تَايِهٌ مَا لَهُ مَأْوَى وَلَا زَادٌ يَطِيبْ

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما اخبر زوجته بخبر بنته وقال لها فما رأيك في ذلك قالت له اصبر عليّ حتى اصلّي صلوٰة الاستخارة ثم انها صلّت ركعتين سنّة الاستخارة فلما فرغت من صلوٰتها قالت لزوجها ان في وسط بحر الكنوز جبلا يسمى جبل الثكلا و سبب تسميته بذلك سيأتي وذلك الجبل لا يقدر على الوصول اليه احد الاّ بالمشقة فاجعلْ لها موضعا هناك فاتفق الوزير مع زوجته على انه يبني فيه قصرا منيعا و يجعلها فيه ويضع عندها مؤنتها عاما بعد عام و يجعل عندها من يؤانسها و يخدمها ثم جمع النجّارين والبنّائين و المهندسين وارسلهم الى ذلك الجبل وقد بنوا لها قصرا منيعا لم ير مثله الراؤن ثم هيّأ الزاد والراحلة و دخل على ابنته في الليل و امرها بالسير فحسّ قلبها بالفراق فلما خرجت و رأت هيئة الاسفار بكت بكاء شديدا وكتبتْ على الباب تعرف انس الوجود بما جرى لها من الوجد الذي تقشعرّ منه الجلود و يذيب الحجر الجلمود ويجري العبرات و الذي كتبته هذه الابيات

يا لله يا دار إن مرّ الحبيب ضحى ... مسلّما باشارات المحبينا
اهديه منّا سلاما زاكيا عطرا ... لانّه ليس ندري اين امسينا
ولست ادري الى اين الرحيل بنا ... لمّا مضوا بي سريعا مستخفينا
في جنح ليل وطير الاياك قد عكفت ... على الغصون تباكينا وتنعينا
وقال عنها لسان الحال واحربا ... من التفرّق ما بين المحبينا
لمّا رأيت كؤوس البعد قد ملئت ... والدهر من صرفها بالقهر يسقينا

Digitized by Google

فلما فرغتْ من شعرها طوت القرطاس و اعطته للداية فاخذته و خرجت من عند الورد فى الاكمام بنت الوزير فصادفها الحاجب وقال لها اين تذهبين فقالت الى الحمام وقد انزعجتْ منه فوقعت منها الورقة حين خرجت من الباب وقت انزعاجها هذا ما كان من امرها * واما ما كان من امر الورقة فان بعض الخدم رأها مرمية فى الطريق فاخذها ثم ان الوزير خرج من الحريم وجلس على سريره فقصده الخادم الذي التقط الورقة فبينما الوزير جالس على سريره واذا بذلك الخادم تقدّم اليه و في يده الورقة و قال له يا مولاي اني وجدت هذه الورقة مرمية فى الدار فاخذتها فتناولها الوزير من يده و هي مطوية ففتحها فرأى مكتوبا فيها الاشعار التي تقدم ذكرها فقرأ وفهم معناها ثم تأمّل كتابتها فرأها بخط ابنته فدخل على امها و هو يبكى بكاء شديدا حتى ابتلّت لحيته فقالت له زوجته ما ابكاك يا مولاي فقال لها خذي هذه الورقة و انظري ما فيها فاخذت الورقة و قرأتها فوجدتها مشتملة على مراسلة من بنتها الورد في الاكمام الى انس الوجود فجاءها البكاء لكنها غلبت على نفسها و كَفْكَفَتْ دموعها و قالت للوزير يا مولاي ان البكاء لا فائدة فيه و انما الرأي الصواب ان نتبصّر في امر يكون فيه صون عرضك وكتمان امر بنتك و صارت تسليه و تخفف عنه الاحزان فقال لها اني خائف على ابنتي من العشق اما تعلمين ان السلطان يحب انس الوجود محبة عظيمة ولخوفي من هذا الامر سببان * الاول من جهتي وهو انها بنتي و الثاني من جهة السلطان وهو انس الوجود محظي عند السلطان و ربما يحدث من هذا امر عظيم فما رأيك في ذلك و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

أُعَلِّلُ قَلْبِي فِي الْغَرَامِ وَ اَكْتُمُ ... وَلٰكِنَّ حَالِي عَنْ هَوَايَ يُتَرْجِمُ
وَإِنْ فَاضَ دَمْعِي قُلْتُ جُرْحٌ بِمُقْلَتِي ... لِئَلَّا يَرَى حَالِي الْعَذُولُ فَيَفْهَمُ
وَكُنْتُ خَلِيًّا لَسْتُ اَعْرِفُ مَا الْهَوَى ... فَاَصْبَحْتُ صَبًّا وَ الْفُؤَادُ مُتَيَّمُ
رَفَعْتُ اِلَيْكُمْ قِصَّتِي اَشْتَكِي بِهَا ... غَرَامِي وَوَجْدِي كَيْ تَرَقُّوا وَتَرْحَمُوا
وَسَطَّرْتُهَا مِنْ دَمْعِ عَيْنِي لَعَلَّهَا ... بِمَا حَلَّ بِي مِنْكُمْ اِلَيْكُمْ تُتَرْجِمُ
رَعَا اللّٰهُ وَجْهًا بِالْجَمَالِ مُبَرْقَعًا ... لَهُ الْبَدْرُ عَبْدٌ وَالْكَوَاكِبُ تَخْدِمُ
عَلَى حُسْنِ ذَاتٍ مَا رَأَيْتُ مَثِيلَهَا ... وَ مِنْ مَيْلِهَا الْاَغْصَانُ عَطْفًا تَعَلَّمُ
وَ اَسْاَلُكُمْ مِنْ غَيْرِ حَمْلِ مَشَقَّةٍ ... زِيَارَتَنَا اَنَّ الْوِصَالَ مُعَظَّمُ
وَهَبْتُ لَكُمْ رُوحِي عَسَى تَقْبَلُونَهَا ... فَلِي الْوَصْلُ خُلْدٌ وَالصُّدُودُ جَهَنَّمُ

ثم طوى الكتاب و قبّله و اعطاه لها و قال لها يا دايـة استعطفي خاطر سيدتك فقالت له سمعا و طاعة ثم اخذت منه المكتوب و رجعت الى سيدتها و اعطتها القرطاس فقبلته و رفعته فوق راسها ثم فتحته و قرأته و فهمت معناه وكتبت في اسفله هذه الابيـــــات

يَا مَنْ تَوَلَّعَ قَلْبُهُ بِجَمَالِنَا ... اِصْبِرْ لَعَلَّكَ فِي الْهَوَى تُحْظَى بِنَا
لَمَّا عَلِمْنَا اَنَّ حُبَّكَ صَادِقٌ ... وَ اَصَابَ قَلْبَكَ مَا اَصَابَ فُؤَادَنَا
زِدْنَاكَ فَوْقَ الْوَصْلِ وَصْلًا مِثْلَهُ ... لٰكِنَّ مَنَعَ الْوَصْلِ مِنْ حُجَّابِنَا
لَمَّا يَجُنَّ اللَّيْلُ مِنْ فَرْطِ الْهَوَى ... تَتَوَقَّدُ النِّيرَانُ فِي اَحْشَائِنَا
وَجَفَتْ مَضَاجِعُنَا الْمَنَامَ وَرُبَّمَا ... قَدْ بَرَّحَ التَّبْرِيحُ فِي اَجْسَامِنَا
اَلْفَرْضُ فِي شَرْعِ الْهَوَى كَتْمُ الْهَوَى ... لَا تَرْفَعُوا الْمَسْبُولَ مِنْ اَسْتَارِنَا
وَقَدِ انْحَشَى مِنِّي الْحَشَى بِهَوَى الرَّشَا ... يَا لَيْتَهُ مَا غَابَ عَنْ اَوْطَانِنَا

Digitized by Google

وما على من يبوح بالهوى ملام فقالت لهـا الورد في الاكمـام يا دايتي وما دواء الغرام قالت دواؤه الوصال قالت كيف يوجد الوصال قالت ياسيدتي يوجد بالمراسـلة ولين الكـلام واكثار التحيات والسلام فهذا يجمع بين الاحبـاب وبه تسهل الامور الصعاب وان كان لك امر يا مولاتي فانا اولى بكتم سرّك وقضـاء حاجتك وحمل رسالتك * فلما سمعت منها الورد في الاكمام ذلك الكلام طار عقلها من الفرح لكن امسكت نفسها عن الكلام حتى تنظر عاقبة امرها وقالت في نفسها ان هذا الامر ما عرفها احد مني فلا ابوح به لهذه المرأة الّا بعد اختبارها فقالت لها المرأة يا سيدتي اني رأيت في منامي كأنّ رجلا جاءني وقال لي ان سيدتك وانس الوجود متحابان فهارسي امرهما واحملي رسـائلهما واقضي حوائجهما واكتمي امرهما واسرارهما يحصل لك خير كثير وها انا قد قصصت ما رأيت عليك والامر اليك فقالت الورد في الاكمام لدايتها لمّا اخبرتها بالمنام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـاح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الورد في الاكمام قالت لدايتهـا لما اخبرتها بالمنام الذي رأته هل تكتمين للاسرار يا دايتي فقالت كيف لا اكتم للاسرار وانا من خلاصة الاحرار فاخرجت لها الورقة التي كتبت فيها الشعر وقالت لهـا اذهبي برسـالتي هذه الى انس الوجود وأتني بجوابها فاخذتها وتوجّهت بها الى انس الوجود فلمّا دخلت عليه قبلت يديه وحيّته بالطف كلام ثم اعطته القرطاس فقرأ وفهم معناه ثم كتب في ظهره هذه الابيـــــــــــات

Digitized by Google

فرفع رأسه فرأى ابنة الوزير في الشباك كانها البدر في الاحلاك فلم يرتدّ اليه طرفه الّا وهو يعشقها مشغول الخاطر فانشد قول الشاعر

لَرَمَانِيَ الْقَوَّاسُ أَمْ جَفْنَاكِ ... فَتَكَتْ بِقَلْبِ الصَّبِّ حِيْنَ رَأَكِ
وَأَتَانِيَ السَّهْمُ الْمُفَوَّقُ بُرْهَةً ... مِنْ جَحْفَلٍ أَمْ جَاءَ مِنْ شَبَّاكِ

فلما فرغ اللعب قالت للدايتها ما اسم هذا الشاب الذي اريته لك قالت اسمه انس الوجود فهزّت رأسها ونامت في مرتبتها وقد حت فكرتها ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

مَا خَابَ مَنْ سِمَاكَ أُنْسُ الْوُجُوْدْ ... يَا جَامِعًا مَا بَيْنَ أُنْسٍ وَجُوْدْ
يَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ الَّذِي وَجْهُهُ ... قَدْ نَوَّرَ الْكَوْنَ وَعَمَّ الْوُجُوْدْ
مَا أَنْتَ إِلَّا مُفْرَدٌ فِي الْوَرَى ... سُلْطَانُ حُسْنٍ وَعِنْدِي شُهُوْدْ
حَاجِبُكَ النُّوْنُ الَّتِي حُرِّرَتْ ... وَمُقْلَةٌ كَالصَّادِ صُنْعَ الْوَدُوْدْ
وَقَدُّكَ الْغُصْنُ الرَّطِيْبُ الَّذِي ... إِذَا دُعِيْ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَجُوْدْ
قَدْ فُقْتَ فُرْسَانَ الْوَرَى سَطْوَةً ... وَفُقْتَهُمْ أُنْسًا وَحُسْنًا وَجُوْدْ

فلما فرغت من شعرها كتبته في قرطاس ولفّته في خرقة من الحرير مطرّزة بالذهب ووضعته تحت المخدّة وكانت واحدة من دايا تها تنظر اليها فجاء تها وصارت تمارسها في الحديث حتى نامت وسرقت الورقة من تحت المخدّة وقرأتها فعرفت انها حصل لها وجد بانس الوجود وبعد ان قرأت الورقة وضعتها في مكانها فلما استفاقت سيدتها الورد في الاكمام من نومها قالت لها يا سيدتي اني لك من الناصحات وعليك من الشفيقات اعلمي ان الهوى شديد وكتمانه يذيب الحديد ويورث الامراض والاسقام

Digitized by Google

ومما يحكى

ايضا انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك عظيم الشان ذو عزّ وسلطان وكان له وزير يسمى ابراهيم وكانت له ابنة بديعة فى الحسن والجمال فائقة فى البهجة والكمال ذات عقل وافر وادب باهر الّا انها تهوى المنادمة والراح والوجوه الملاح ورقائق الاشعار ونوادر الاخبار تدعو العقول الى الهوى رقّة معانيها كما قال فيها بعض واصفيها

كَلِفْتُ بِهَا فَتَّانَةَ التُّرْكِ وَالْعَرَبْ ... تُجَادِلُنِي فِي الْفِقْهِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبْ
تَقُولُ انَا الْمَفْعُولُ بِي وَخَفَضْتَنِي ... لِمَاذَا وَهٰذَا فَاعِلٌ فَلِمَ انْتَصَبْ
فَقُلْتُ لَهَا نَفْسِي وَرُوحِي لَكِ الْفِدَا ... اَلَمْ تَعْلَمِي اَنَّ الزَّمَانَ قَدِ انْقَلَبْ
وَاِنْ كُنْتِ يَوْمًا تُنْكِرِينَ انْقِلَابَهُ ... فَهَا انْظُرِي مَا عُقْدَةُ الرَّأْسِ فِي الذَّنَبْ

وكان اسمها الورد فى الاكمام وسبب تسميتها بذلك فرط رقّتها وكمال بهجتها وكان الملك محبّا لمنادمتها لكمال ادبها * ومن عادة الملك انه في كل عام يجمع اعيان مملكته ويلعب الكرة فلما كان ذلك اليوم الذي يجمع فيه الناس لِلَعْب الكرة جلست ابنة الوزير فى الشباك لتتفرّج فبينما هم فى اللعب اذ لاحت منها التفاتة فرأت بين العسكر شابا لم يكن احسن منه منظرا ولا ابهى طلعة نيّر الوجه ضاحك السن طويل الباع واسع المَنْكِب فكرر فيه النظر مرارا فلم تشبع منه نظرا فقالت لدايتها ما اسم هذا الشاب المليح الشمائل الذي بين العسكر فقالت لها يا بنتي الكل ملاح فمن هو فيهم فقالت لها اصبري حتى اشير لك اليه ثم اخذت تفّاحة ورمتها عليه

Digitized by Google

فانه عمل الولائم العظيمة لاهل المدينة و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك عمل الولائم العظيمة لاهل المدينة و اقاموا فى الفرح شهرا كاملا ثم دخل على الجارية و فرحا ببعضهما فرحا شديدا هذا ماكان من امره * و اما ماكان من امر والده فانه كسر الفرس الآبنوس و ابطل حركاتها ثم ان ابن الملك كتب كتابا الى ابى الجارية و ذكر له فيه حالهـا و اخبره انه تزوّج بها و هي عنده في احسن حال و ارســله اليه مع رسول و صحبته هدايا و تحفا نفيسة فلما وصل الرسول الى مدينة ابى الجـارية و هي صنعاء اليمن اوصل الكتاب و الهدايا الى ذلك الملك فلما قرأ الكتاب فرح فرحا شديدا و قبل الهـدايا و اكرم الرسول ثم جهّز هدية سنيّة لصهره ابن الملك وارسلهـا اليه مع ذلك الرسول فرجع بها الى ابن الملك و اعلمه بفرح الملك ابى الجـارية حين بلغه خبر ابنته فحصل له سرور عظيم و صار ابن الملك في كل سنة يكاتب صهره و يهاديه ولم يزالوا كذلك حتى توفى الملك ابو الغلام وتولّى هو بعده فى المملكة فعدل فى الرعية وســار فيهم بسيرة مرضيّة فدانت له البلاد واطاعته العباد واستمرّوا على هذه الحالة فى النّعيش واهناه وارغده وامرأه الى ان اتاهم هادم اللذات و مفرّق الجماعات و مخرب القصور و معمر القبور فسبحان الحيّ الذي لا يمـــوت و الملك بيـــده و المـلـــــــكوت

Digitized by Google

فيه هي و الفرس والحكيم الفارسي و ركب الملك مع جيشه و اخذ الجارية صحبته وهم لا يدرون ما يريد ان يفعل فلما وصلوا الى ذلك المرج امر ابن الملك الذي جعل نفسه حكيما ان توضع الجارية و الفرس بعيدا عن الملك والعساكر بمقدار مدّ البصر و قال للملك دستور عن اذنك ان اطلق البخور واتلو العزيمة واسجن العارض هنا حتى لا يعود اليها ابدا ثم بعد ذلك اركب الفرس الابنوس و اركب الجارية خلفي فاذا فعلتُ ذلك فان الفرس تضطرب وتمشي حتى انقل اليك فعند ذلك يتمّ الامر فافعلْ بها بعد ذلك ما تريد فلما سمع الملك كلامه فرح فرحا شديدا ثم ان ابن الملك ركب الفرس و وضع الصبية خلفه و صار الملك وجميع عسكره ينظرون اليه ثم انه ضمّها اليه و شدّ وثاقها و بعد ذلك فرك ابن الملك لولب الصعود فصعدت بهما الفرس فى الهواء والعساكر تنظر اليه حتى غاب عن اعينهم و مكث الملك نصف يوم ينتظر عوده اليه فلم يعد فيئس منه و ندم ندما عظيما وتأسّف على فراق الجارية ثم اخذ عسكره وعاد الى مدينته هذا ما كان من امره * و اما ما كان من امر ابن الملك فانه قصد مدينة ابيه فرحا مسرورا و لم يزل سائرا الى ان نزل على قصره و انزل الجارية فى القصر و امن عليها ثم ذهب الى ابيه وامّه فسلّم عليهما واعلمهما بقدوم الجارية ففرحا بذلك فرحا شديدا هذا ما كان من امر ابن الملك و الفرس والجارية * واما ما كان من امر ملك الروم فانه لما عاد الى مدينته احتجب فى قصره حزينا كئيبا فدخل عليه وزراؤه و جعلوا يسلّمونه و يقولون له ان الذي اخذ الجارية ساحر و الحمد لله الذي نجّاك من سحره و مكره ولا زالوا به حتى تسلى عنها * و اما ابن الملك

Digitized by Google

و قد د اويتها لك فقم الآن و ادخل اليها ولين كلامك لها و ترفق بها وعدها بما يسرها فانه يتم لك كل ما تريد منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك لما جعل نفسه حكيما و دخل على الجارية و اعلمها بنفسه اخبرها بالتدبير الذي يدبره فقالت له سمعا و طاعة ثم خرج من عندها و توجه الى الملك و قال له قم ادخل اليها و لين لها الكلام وعدها بما يسرها فانه يتم لك كلما تريد منها فقام الملك و دخل عليها فلما رأته قامت اليه و قبلت الارض بين يديه ورحبت به ففرح الملك بذلك فرحا شديدا ثم امر الجواري والخدم ان يقوموا بخدمتها ويدخلوها الحمام ويجهزوا لها الحلي والحلل فدخلوا اليها و سلموا عليها فردت عليهم السلام بألطف منطق واحسن كلام ثم البسوها حللا من ملابس الملوك ووضعوا في عنقها عقدا من الجواهر وساروا بها الى الحمام وخدموها ثم اخرجوها من الحمام كأنها البدر التمام و لما وصلت الى الملك سلمت عليه و قبلت الارض بين يديه فحصل للملك بها سرور عظيم و قال لابن الملك كل ذلك ببركاتك زادنا الله من نفحاتك فقال له ايها الملك ان تمام برئها وكمال امرها انك تخرج انت وكل من معك من اعوانك و عسكرك الى المحل الذي كنت وجدتها فيه و تكون صحبتك الفرس الآبنوس التي كانت معها لاجل ان اعقد عنها العارض هناك و اسجنه و اقتله فلا يعود اليها ابدا فقال له الملك حبا و كرامة ثم اخرج الفرس الآبنوس الى المرج الذي وجدها

Digitized by Google

بحيلة في خلاص مهجتي ثم التفت الى الملك و قال له ايها الملك ينبغي ان انظر الفرس المذكورة لعلّي اجد فيها شيأ يغنيني على برء الجارية فقال له الملك حبّا وكرامة ثم قام الملك و اخذ بيده ودخل معه الى الفرس فجعل ابن الملك يطوف حول الفرس ويتفقّدها وينظر احوالها فوجدها سالمة لم يصبها شيٌ ففرح ابن الملك بذلك فرحا شديدا وقال اعزّ الله الملك اني اريد الدخول الى الجارية حتى انظر ما يكون منها و ارجو الله ان يكون برؤها على يدي بسبب الفرس ان شاء الله تعالى ثم امر بالمحافظة على الفرس و مضى به الملك الى البيت الذي فيه الجارية فلما دخل عليها ابن الملك وجدها تخبط و تنصرع على عادتها و لم يكن بها جنون و انما تفعل ذلك حتى لا يقرب بها احد فلما رأها ابن الملك على هذه الحالة قال لها لا باس عليك يا فتنة العالمين ثم اخذ جعل يرفق بها و يلاطفها الى ان عرّفها بنفسه فلما عرفته صاحت صيحة عظيمة حتى غشي عليها من شدة ما حصل لها من الفرح فظنّ الملك ان هذه الصرعة من فزعها منه ثم ان ابن الملك وضع فمه على اذنها و قال لها يا فتنة العالمين احقني دمي و دمك و اصبري و تجلّدي فان هذا موضع تحتاج فيه الى الصبر و اتقان التدبير فى الحيل حتى نتخلّص من هذا الملك الجائر و من الحيلة اني اخرج اليه و اقول له ان المرض الذي بها عارض من الجنون و انا اضمن لك برؤها و اشترط عليه ان يفكّ عنك القيد و يزيل هذا العارض عنك فاذا دخل اليك فكلميه بكلام مليح حتى يرى انك برئت على يدي فيتمّ لنا كل ما نريد فقالت له سمعا و طاعة ثم انه خرج من عندها و توجّه الى الملك فرحا مسرورا و قال ايها الملك السعيد قد فرغت بمعالجتك دائها ودواؤها

Digitized by Google

ولا يصلح لمثلي ومن طلب ما لا يصلح له وقع في مثل ما وقعت فيه فلما سمع ابن الملك كلام الحكيم كلّمه بالفارسية وقال له الى كم هذا البكاء والعويل هل ترى انه اصابك ما لم يصب غيرك فلما سمع الحكيم كلامه انس به وشكا اليه حاله وما يجده من المشقة فلما اصبح الصباح اخذ البوّابون ابن الملك واتوا به الى ملكهم واعلموه انه وصل الى المدينة بالامس في وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك فسأله الملك وقال له من اي البلاد انت وما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك الى هذه المدينة فقال ابن الملك اما اسمي فانه بالفارسية حَرَجَة واما بلادي فهي بلاد فارس وانا من اهل العلم وخصوصا علم الطب فاني اداوي المرضى والمجانين ولهذا اطوف في الاقاليم والمدن لاستفيد علما على علمي واذا رأيت مريضا فاني اداويه فهذه صنعتي فلما سمع الملك كلامه فرح به فرحا شديدا وقال له ايها الحكيم الفاضل لقد وصلت الينا في وقت في الحاجة اليك ثم اخبره بخبر الجارية وقال له ان داويتها وابرأتها من جنونها فلك عندي جميع ما تطلبه فلما سمع كلام الملك قال له اعزّ الله الملك صف لي كل شيءٍ رأيته من جنونها واخبرني منذ كم يوم عرض لها هذا الجنون وكيف اخذتها هي والفرس والحكيم فاخبره بالخبر من اوّله الى آخره ثم قال له ان الحكيم في السجن فقال له ايها الملك السعيد فما فعلت بالفرس التي كانت معها فقال له يا فتى عندي الى الآن محفوظة في بعض المقاصير فقال ابن الملك في نفسه ان من الرأي عندي ان اتفقّد الفرس وانظرها قبل كل شيءٍ فان كانت سالمة لم يحدث فيهما امر فقد تمّ لي كل ما اريده وان رأيتها قد بطلت حركاتها تحيّلت

Digitized by Google

يا كسروي لقد سمعتُ حديث الناس واخبارهم وشاهدت احوالهم فما رأيت ولا سمعت اكذب من هذا الكسروى الذي عندنا في السجن فقال آخر ولا رايت اقبح من خلقته ولا ابشع من صورته فقال لهم ابن الملك ما الذي بان لكم من كذبه فقالوا يزعم انه حكيم وكان الملك قد رأه في طريقه وهو ذاهب الى الصيد ومعه امرأة بديعة الحسن والجمال والبهاء والكمال والقدّ والاعتدال ومعه ايضا فرس من الآبنوس الاسود ما رأيته قط احسن منها فامّا الجارية فهي عند الملك وهو لها محبّ ولكن تلك المرأة مجنونة ولو كان ذلك الرجل حكيما كما يزعم لداواها والملك مجتهد في علاجها وعرضه مداواتها مما هي فيه وامّا الفرس الآبنوس فانها في خزانة الملك وامّا الرجل القبيح المنظر الذي كان معها فانه عندنا في السجن فاذا جنّ عليه الليل يبكي وينتحب اسفا على نفسه ولا يدعنا ننام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الموكّلين بالسجن لما اخبروه بخبر الحكيم الفارسي الذي عندهم في السجن وبما هو فيه من البكاء والنحيب خطر بباله انه يدبّر تدبيرا يبلغ به غرضه فلما اراد البوّابون النوم ادخلوه السجن واغلقوا عليه الباب فسمع الحكيم يبكي وينوح على نفسه بالفارسية ويقول في نوحه الويل لي بما جنيت على نفسي وعلى ابن الملك وبما فعلتُ بالجارية حيث لم اتركها ولم اظفر بمرادي وذلك كلّه من سوء تدبيري فاني طلبت لنفسي ما لا استحقّه

Digitized by Google

فوجدوا هناك رجلا واقفا والى جانبه امرأة جالسة ومعه فرس من آبنوس فاما الرجل فانه قبيح المنظر مهول الصورة جدّا واما المرأة فانها صبية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقدّ واعتدال واما الفرس الآبنوس فانها من العجائب التي لم يرالرا وٍن احسن منها ولا اجمل من صنعتها فقال له الحاضرون فما فعل الملك بهم فقال اما الرجل فانه اخذه الملك وسأله عن الجارية فادعى انها زوجته وابنة عمه واما الجارية فانها كذّبته في قوله فاخذها الملك منه وامر بضربه وطرحه في السجن واما الفرس الآبنوس فمالي بها علم فلما سمع ابن الملك هذا الكلام من التاجر دنا منه وصار يسأله برفق وتلطف حتى اخبره باسم المدينة واسم ملكها فلما عرف ابن الملك اسم المدينة واسم ملكها بات ليلته مسرورا فلما اصبح الصباح خرج وسافر ولم يزل مسافرا حتى وصل الى تلك المدينة فلما اراد ان يدخلها اخذه البوّابون واراد وا احضاره قدام الملك ليسأله عن حاله وعن سبب مجيئه الى تلك المدينة وعن ما يحسنه من الصنائع وكانت هذه عادة الملك من سؤال الغرباء عن احوالهم وصنائعهم وكان وصول ابن الملك الى تلك المدينة في وقت المساء وهو وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك ولا المشاورة عليه فاخذه البوّابون واتوابه الى السجن ليضعوه فيه فلما نظر السجّانون الى حسنه وجماله لم يهن عليهم ان يدخلوه في السجن فاجلسوه معهم خارج السجن فلما جاءهم الطعام اكل معهم بحسب الكفاية فلما فرغوا من الاكل جعلوا يتحدّثون ثم اقبلوا على ابن الملك وقالوا له من اي البلاد انت فقال انا من بلاد فارس بلاد الاكاسرة فلما سمعوا كلامه ضحكوا وقال له بعضهم

Digitized by Google

الملك مقالهـــا امر بضربه فضربوه حتى كادان يموت ثم امر الملك ان يحملوه الى المدينة ويطرحوه في السجن ففعلوا به ذلك ثم انّ الملك اخذ الجارية والفرس منه ولكنه لم يعلم بامر الفرس ولا بكيفية سيرها هذا ما كان من امر الحكيم والجارية * واما ما كان من امر ابن الملك فانه لبس ثياب السفر واخذ ما يحتاج اليه من المال وسافر وهو في اسوء حال وصار مسرعا يقتصّ الاثر في طلبها من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة ويسأل عن الفرس الآبنوس وكل من سمع منه خبر الفرس الآبنوس يتعجّب منه ويستعظم قوله فاقام على هذا الحال مدة من الزمان ومع كثرة السوال والتفتيش عليهما لم يقع لهما على خبر ثم انه سار الى مدينة ابى الجارية وسأل عنها هناك فلم يسمع لها بخبر وجد اباها حزينا على فقدها فرجع وقصد بلاد الروم وجعل يقتصّ اثرهمـــا ويسأل عنهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك قصد بلاد الروم وجعل يقتصّ اثرهما ويسأل عنهما فاتفق انه نزل في خان من الخانات فرأى جماعة من التجار جالسين يتحدّثون فجلس قريبا منهم فسمع احدهم يقول يا اصحابي لقد رأيت عجبا من العجائب فقالوا له وما هو قال اني كنت في بعض الجهات في مدينة كذا وذكر اسم المدينة التي فيها الجارية فسمعت اهلها يتحدثون بحديث غريب وهو ان ملك المدينة خرج يوما من الايام الى الصيد والقنص ومعه جماعة من اصحابه واكابر دولته فلما طلعوا الى البرية جازوا على مرج اخضر

Digitized by Google

بالهواء وتحركت وما جت ثم ارتفعت صاعدة الى الجو ولم تزل سائرة بهما حتى غابت عن المدينة فقالت له الصبية يا هذا اين الذي قلته عن ابن الملك حيث زعمت انه ارسلك اليّ فقال لها الحكيم قبّح الله ابن الملك فانه خبيث لئيم فقالت له يا ويلك كيف تخالف امر مولاك فيما امرك به فقال لها ليس هو مولائي فهل تعرفين مَن انا فقالت له لا اعرفك الّا بما عرفتني به عن نفسك فقال لها انما كان اخباري لك بهذا الخبر حيلة مني عليك وعلى ابن الملك ولقد كنت متأسفا طول عمري على هذه الفرس التي تحتك فانها صناعتي وكان استولى عليها والآن قد ظفرتُ بها وبك ايضا وقد احرقتُ قلبه كما احرق قلبي ولا يتمكّن منها بعد ذلك ابدا فطيبي قلبا وقرّي عينا فانا لك انفع منه فلما سمعتْ الجارية كلامه لطمت على وجهها ونادت يا اسفاه لا حصلت حبيبي ولا بقيت عند ابي وامّي وبكت بكاء شديدا على ما حلّ بها ولم يزل الحكيم سائرا بها الى بلاد الروم حتى نزل في مرج اخضر ذي انهار واشجار وكان ذلك المرج بالقرب من مدينة وتي تلك المدينة ملك عظيم الشان فاتفق في ذلك اليوم ان ملك تلك المدينة خرج الى الصيد والنزهة فجاز على ذلك المرج فرأى الحكيم واقفا والفرس والجارية بجانبه فلم يشعر الحكيم الّا وقد هجم عليه عبيد الملك واخذوه هو والجارية والفرس واوقفوا الجميع بين يدي الملك فلما نظر الى قبح منظره وبشاعته ونظر الى حسن الجارية وجمالها قال لها يا سيدتي ما نسبة هذا الشيخ منك فبادر الحكيم بالجواب وقال هي زوجتي وابنة عمي فكذّبته الجارية عند ما سمعت قوله وقالت ايها الملك والله لا اعرفه ولا هو بعلي بل اخذني قهرا بالحيلة فلما سمع

Digitized by Google

الحكيم اليها وقبّل الارض بين يديها فرفعت اليه طرفها ونظرت اليه فوجدته قبيح المنظر جدّا بشع الصورة فقالت له مَنْ انت فقال لهـا يا سيدتي انا رسول ابن الملك قد ارسلني اليك وامرني ان انقلك الى بستان آخر قريب من المدينة فلما سمعت الجارية منه ذلك الكلام قالت له واين ابن الملك قال لها هو في المدينة عند ابيه وسيأتي اليك في هذه الساعة بموكب عظيم فقالت له يا هذا وهل ابن الملك لم يجد احدا يرسله اليّ غيرك فضحك الحكيم من كلامها وقال لها يا سيدتي لا يغرّنك قبح وجهي وبشاعة منظري فلو نلتِ مني ما نالهُ ابن الملك لحمدت امري وانما خصّني ابن الملك بالارسال اليك لقبح منظري ومهول صورتي غيرة منه عليك ومحبة لك والّا فعنـده من المماليك والعبيد والغلمان والخدم والحشم ما لا يحصى فلما سمعت الجارية كلامه دخل في عقلها وصدّقته وقامت وادرك شهـرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـبـاح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الحكيم الفارسي لما اخبر الجارية بالحوال ابن الملك صدّقت كلامه ودخل في عقلها وقامت معـه ووضعت يدها في يده ثم قالت له يا والدي ما الذي جئت لي به معك حتى اركبه فقال يا سيدتي الفرس الذي جئت عليها تركبهـا فقالت له انا لا اقدر على ركوبها وحدي فتبسّم الحكيم عندما سمـع منها ذلك وعلم انه قد ظفر بها فقال لها انا اركب معك بنفسي ثم انه ركب واركب الجارية خلفه وضمّها اليه وشدّ وثاقها وهي لا تعلم ما يريد بها ثم انه حرّك لولب الصعود فامتلأ جـوف الفـرس

Digitized by Google

طلب حرّاس البستان و سألهم عن من مرّبهم و قال لهم هل نظرتم احدا مرّ بكم و دخل هذا البستان فقالوا ما رأينا احدا دخل هذا البستان سوى الحكيم الفارسي فانه دخل ليجمع الحشايش النافعة فلما سمع كلامهم صحّ عنده ان الذي اخذ الجارية هو ذلك الحكيم و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك لما سمع كلامهم صحّ عنده ان الذي اخذ الجارية هو ذلك الحكيم و كان بالامر المقدّر ان ابن الملك لما ترك الجارية في المقصورة التي في البستان و ذهب الى قصر ابيه ليهيّأ امره دخل الحكيم الفارسي الى البستان ليجمع شيأ من الحشيش النافع فشمّ رائحة المسك و الطيب التي عبق منها المكان و كان ذلك الطيب من رائحة ابنة الملك فقصد الحكيم صوب تلك الرائحة حتى وصل الى تلك المقصورة فرأى الفرس التي صنعها بيده واقفة على باب المقصورة فلما رأى الحكيم الفرس امتلأ قلبه فرحا و سرورا لانه كان كثير التأسّف على الفرس حيث خرجت من يده فتقدم الى الفرس و افتقد جميع اجزائها فوجدها سالمة و لما اراد ان يركبها و يسير قال في نفسه لابد ان انظر الى ما جاء به ابن الملك و تركه مع الفرس ههنا فدخل المقصورة فوجد الجارية جالسة و هي كالشمس الضاحية في السماء الصاحية فلما نظرها علم انها جارية لها شأن عظيم و قد اخذها ابن الملك واتى بها على الفرس و تركها في تلك المقصورة ثم توجه الى المدينة ليجيء لها بموكب و يدخلها المدينة بالتبجيل و التشريف فعند ذلك دخل

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية فرحت عند ما سمعت من ابن الملك هذا الكلام و قالت له افعل ما تريد ثم خطر ببالها انها لا تدخل الا بالتبجيل و التشريف كما يصلح لا مثالها ثم ان ابن الملك تركها و سار حتى وصل الى المدينة و دخل على ابيه فلما رآه ابوه فرح بقدومه و تلقاه و رحب به ثم ان ابن الملك قال لوالده اعلم انني قد اتيت ببنت الملك التي كنت اعلمتك بها و قد تركتها خارج المدينة في بعض البساتين و جئت اعلمك بها لاجل ان تهيأ الموكب و تخرج لملاقاتها و تظهر لها ملكك و جنودك و اعوانك فقال له الملك حبا و كرامة ثم امر من وقته و ساعته اهل المدينة ان يزينوا المدينة بالزينة الحسنة و ركب في اكمل هيئة و احسن زينة هو و جميع عساكره و اكابر دولته و سائر مملكته و خدامه و اخرج ابن الملك من قصره الحلي و الحلل و ما تدخره الملوك وهيأ لها عمارة من الديباج الاخضر و الاحمر و الاصفر و اجلس على تلك العمارة الجواري الهنديات و الروميات و الحبشيات و اظهر من الذخائر شيأ عجيبا ثم ان ابن الملك ترك العمارة بمن فيها و سبق الى البستان و دخل المقصورة التي تركها فيها و فتش عليها فلم يجدها و لم يجد الفرس فعند ذلك لطم على وجهه و مزق ثيابه و جعل يطوف في البستان و هو مدهوش العقل ثم بعد ذلك رجع الى عقله و قال في نفسه كيف علمت بسر هذه الفرس و انا لم اعلمها بشيء من ذلك و لعل الحكيم الفارسي الذي عمل الفرس قد وقع عليها واخذها جزاء بما عمله و الذي معه ثم ان ابن الملك

Digitized by Google

الملك اباها وامّها فصعدا مبادرين الى سطح القصر والتفت الملك الى الجوّ فرأى الفرس الآبنوس وهي طائرة بهما في الهواء فعند ذلك انزعج الملك وزاد انزعاجه وصاح وقال يا ابن الملك سألتك بالله ان ترحمني وترحم زوجتي ولاتفرّق بيننا وبين بنتنا فلم يجبه ابن الملك ثم ان ابن الملك ظنّ في نفسه ان الجارية ندمت على فراق امّها وابيها فقال لها يا فتنة الزمان هل لك ان اردّك الى امك وابيك فقالت له يا سيدي والله ما مرادي ذلك انما مرادي ان اكون معك اينما تكون لانني مشغولة بمحبتك عن كل شيء حتى عن ابي وامي فلما سمع ابن الملك كلامها فرح بذلك فرحا شديدا وجعل يسير الفرس بها سيرا لطيفا لكي لا يزعجها ولم يزل يسير بها حتى نظر الى مرج اخضر وفيه عين ماء جارية فنزلا هناك واكلا وشربا ثم ان ابن الملك ركب فرسه واردفها خلفه واوثقها بالرباط خوفا عليها وسار بها ولم يزل سائرا بها في الهواء حتى وصل الى مدينة ابيه فاشتدّ فرحه ثم اراد ان يظهر للجارية محل سلطانه وملك ابيه ويعرفها ان ملك ابيه اعظم من ملك ابيها فانزلها في بعض البساتين التي يتفرج فيها والده وادخلها في المقصورة المعدّة لابيه واوقف الفرس الآبنوس على باب تلك المقصورة واوصى الجاريه بالمحافظة على الفرس وقال لها اقعدي ههنا حتى ارسل اليك رسولي فاني متوجّه الى ابي لاهيّأ لك قصرا واظهر لك ملكي ففرحت الجارية عند ما سمعت منه هذا الكلام وقالت له افعل ما تريد وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك عاد الى بكائه وتحيبه من حزنه على ولده هذا ما كان من امره * واما ما كان من امر ابنه فانه لم يزل سائرا في الجو حتى وقف على مدينة صنعاء و نزل في المكان الذي نزل فيه اوّلا و مشى مستخفيا حتى و صل الى محلّ ابنة الملك فلم يجدها لا هي ولا جواريها ولا الخادم الذي كان محافظا عليها فعظم ذلك عليه ثم انه داريفتّش عليها فى القصر فوجدها في مجلس آخر غير مجلسها الذي اجتمع معها فيه و قد لزمت الوساد وحولها الجواري و الدايات قد خل عليهن و سلّم عليهن فلما سمعت الجارية كلامه قامت اليه و اعتنقته و جعلت تقبّله بين عينيه وتضمّه الى صدرها فقال لها ياسيدتي اوحشتني هذه المدّة فقالت له انت الذي اوحشتني ولو طالت غيبتك عنى لكنتُ هالكت بلا شك فقال لها ياسيدتي كيف رأيت حالي مع ابيك وما صنع بي و لولا محبتك يا فتنة العالمين لقتلته وجعلته عبرة للناظرين ولكن كما اُحبُّك اُحبّه لاجلك فقالت له كيف تغيب عنى وهل تطيب حيوتي بعدك فقال لها اتطيعيني وتصغي الى قولي فقالت له قل ما شئت فاني اجيبك الى ما تدعوني اليه ولا اخالفك في شيءٍ فقال لها سيري معي الى بلادي و ملكي فقالت له حبّا وكرامة فلما سمع ابن الملك كلامها فرح فرحا شديدا و اخذ بيدها وعاهدها بعهد الله تعالى على ذلك ثم صعد بها الى اعلى سطح القصر وركب فرسه و اركبها خلفه ثم ضمّها اليه و شدّها شدّا وثيقا وحرّك لولب الصعود الذي في كتف الفرس فصعدت بهما الى الجوّ فعند ذلك زعقت الجواري و اعلمن

Digitized by Google

والده قام اليه واعتنقه وضمّه الى صدره وفرح به فرحا شديدا ثم انه لما اجتمع بوالده سأله عن الحكيم الذي عمل الفرس وقال يا والدي ما فعل الدهر به فقال له والده لا بارك الله في الحكيم ولا في الساعة التي رأيته فيها لانه هو الذي كان سببا لفراقك منّا وهو مسجون يا ولدي من يوم غبتَ عنا فامر ابن الملك بالافراج عنه واخراجه من السجن واحضاره بين يديه فلما حضر بين يديه خلع عليه خلعة الرضى واحسن اليه غاية الاحسان الّا انه لم يزوّجه ابنته فغضب الحكيم من اجل ذلك غضبا شديدا وندم على ما فعل وعلم ان ابن الملك قد عرف سرّ الفرس وكيفية سيرها ثم ان الملك قال لابنه الرأى عندي انك لا تقرب هذه الفرس بعد ذلك ولا تركبها ابدا بعد يومك هذا لانّك لا تعرف احوالها فانت منها على غرور وكان ابن الملك حدّث اباه بما جرى له مع ابنة الملك صاحب ملك المدينة وما جرى له مع ابيها فقال له ابوه لو اراد الملك قتلك لقتلك ولكن في اجلك تاخير ثم ان ابن الملك هاجت بلابله بحبّ الجارية ابنة الملك صاحب صنعاء فقام الى الفرس وركبها وفرك لولب الصعود فطارت به في الهواء وعلت به الى عنان السماء فلما اصبح الصباح افتقده ابوه فلم يجده فطلع الى اعلى القصر وهو ملهوف فنظر الى ابنه وهو صاعد في الهواء فتأسّف على فراقه وندم كل الندم حيث لم يأخذ الفرس ويخفي امرها ثم قال في نفسه والله ان رجع اليّ ولدي ما بقيت اخلي هذه الفرس لاجل ان يطمئنّ قلبي على ولدي ثم انه عاد الى بكائه ونحيبه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

من يده فرجع الملك الى قصره بعد ما رأى من ابن الملك ما رأى ولما وصل الى قصره ذهب الى ابنته و اخبرها بما جرى له مع ابن الملك في الميدان فوجدها كثيرة التأسف عليه و على فراقها له ثم انها مرضت مرضا شديدا ولزمت الوساد فلما رآها ابوها على تلك الحالة ضمّها الى صدره وقبّلها بين عينيها و قال لها يا بنتي احمدي الله تعالى واشكريه حيث خلصنا من هذا الساحر الماكر و جعل يكرّر عليها ما رأته من ابن الملك ويذكر لها صفة صعوده في الهواء و هي لا تضغي الى شيء من قول ابيها واشتد بكاؤها وتحيبها ثم قالت في نفسها والله لا آكل طعاما ولا اشرب شرابا حتى يجمع الله بيني و بينه فحصل لابيها الملك همّ عظيم من اجل ذلك وشقّ عليه حال ابنته وصار حزين القلب عليها وكلّما يلاطفها لا تزداد الّا شغفا به وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والمئتون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك صار حزين القلب على ابنته وكلما يلاطفها لا تزداد الّا شغفا به هذا ما كان من امر الملك وابنته * و اما ما كان من امر ابن الملك فانه لما صعد في الجوّ اختلى بنفسه وتذكّر حسن الجارية وجمالها وكان قد سأل اصحاب الملك عن اسم المدينة واسم الملك واسم ابنته وكانت تلك المدينة مدينة صنعاء ثم انه جدّ في السير حتى اشرف على مدينة ابيه ودار حول المدينة ثم توجّه الى قصر ابيه ونزل فوق السطح وترك فرسه هناك ونزل الى والده ودخل عليه فوجده حزينا كئيبا لاجل فراقه فلما رآه

Digitized by Google

نظنّه الّا مجنونا ولكن سوف يظهر لنا امره وربّما يكون له شأن عظيم ثم انّهم رفعوا الفرس على ايد يهم ولم يزالوا حاملين لها حتى وصلوا الى قدام الملك واوقفوها بين يديه فاجتمع عليها الناس ينظرون اليها ويتعجّبون من حسن صفتها وحسن سرجها ولجامها واستحسنها الملك ايضا وتعجب منها غاية العجب ثم قال لابن الملك يا فتى اهذه فرسك فقال نعم ايها الملك هذه فرسي وسوف ترى منها العجب فقال له الملك خذ فرسك واركبها قال لا اركبها الّا اذا بعد عنها العساكر فامر الملك العسكر الذين حوله ان يبعدوا عنها مقدار رمية السهم فقال له ايها الملك ها انا رائح اركب فرسي واحمل على جيشك فافرّقهم يمينا وشمالا واصدّع قلوبهم فقال له الملك افعل ما تريد ولاتبق عليهم فانهم لا يبقون عليك ثم ان ابن الملك توجه الى فرسه وركبها واصطفّت له الجيوش وقال بعضهم لبعض اذا وصل الغلام بين الصفوف نأخذه باسنّة الرماح وشفار الصفاح فقال واحد منهم والله انها مصيبة كيف نقتل هذا الغلام صاحب الوجه المليح والقدّ الرجيح فقال واحد آخر والله لن تصلوا اليه الّا بعد امر عظيم وما فعل الفتى هذه الفعال الّا لِمَا علم من شجاعة نفسه وبراعته فلما استوى ابن الملك على فرسه فرك لولب الصعود فتطاولت اليه الابصار لينظروا ماذا يريدان يفعل فما جتْ فرسه واضطربتْ حتى عملت اغرب حركات تعملها الخيل وامتلأ جوفها بالهواء ثم ارتفعتْ وصعدت الى الجوّ فلما رآه الملك قد ارتفع وصعد نادى على جيشه وقال ويلكم خذوه قبل ان يفوتكم فعند ذلك قال له وزراؤه ونوّابه ايها الملك هل احد يلحق الطير الطائر وما هذا الّا ساحر عظيم قد نجّاك الله منه فاحمد الله تعالى على خلاصك

Digitized by Google

وحده ويدّعي انكم ولو بلغتم مائة الف ما انتم عنده الا قليل فاذا بارزكم فخذوه على السنّة وما حكم واطراف صفا حكم فانه قد تعاطى امرا عظيما ثم ان الملك قال له يا ابني دونك وما تريد منهم فقال له ايها الملك انك ما انصفتني كيف ابارزهم وانا مترجّل واصحابك رُكّابٌ خيل فقال له قد امرتك بالركوب فابيتَ فدونك والخيل فاختر منها ما تريد فقال له لا يعجبني شيءٌ من خيلك ولا اركب الّا الفرس التي جئت راكبا عليها فقال له الملك واين فرسك فقال له هي فوق قصرك فقال له في اي موضع في قصري فقال على سطح القصر فلما سمع الملك كلامه قال له هذا اول ما ظهر من خبالك يا ويلك كيف تكون الفرس فوق السطح ولكن في هذا الوقت يظهر صدقك من كذبك ثم ان الملك التفت الى بعض خواصه وقال له امض الى قصري واحضر الذي تجده فوق السطح فصار الناس متعجّبين من قول الفتى ويقول بعضهم لبعض كيف ينزل هذا الفرس من سلالم السطح انّ هذا شيءٌ ما سمعنا بمثله ثم ان الذي ارسله الملك الى القصر صعد الى اعلاه فرأى الفرس قائما ولم ير احسن منه فتقدّم اليه وتأمّله فوجده من الآبنوس والعاج وكان بعض خواص الملك طلع معه ايضا فلما نظروا الى الفرس تضاحكوا وقالوا وعلى مثل هذه الفرس يكون ماذكره الفتى فما نظنه الّا مجنونا ولكن سوف يظهرلنا امره وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خواص الملك لما نظروا الى الفرس تضاحكوا وقالوا وعلى مثل هذه الفرس يكون ما ذكره الفتى فما

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك قال لي اذا كان طلوع النهار فاخرجهم اليّ وقل لهم هذا قد خطب مني ابنتي على شرط ان يبارزكم جميعا وادّعى انه يغلبكم ويقهركم وانّكم لا تقدرون عليه ثم اتركني معهم ابارزهم فاذا قتلوني فذلك اخفى لسرّك واصون لعرضك وان غلبتهم وقهرتهم فمثلي من يرغب الملك في مصاهرته فلما سمع الملك كلامه استحسن رأيه وقبل مشورته مع ما استعظمه من قوله وما اهاله من امره في عزمه على مبارزة جميع عسكره الذين وصفهم له ثم جلسا يتحدّثان وبعد ذلك دعا الملك بالخادم وامره ان يخرج من وقته وساعته الى وزيره ويأمره ان يجمع جميع العساكر ويأمرهم بحمل اسلحتهم وان يركبوا خيولهم فسار الخادم الى الوزير واعلمه بما امره به الملك فعند ذلك طلب الوزير نُقباء الجيش واكابر الدولة وامرهم ان يركبوا خيولهم ويخرجوا لابسين آلات الحرب هذا ما كان من امرهم * واما ما كان من امر الملك فانه لازال يتحدّث مع الغلام حيث اعجبه حديثه وعقله وادبه فبينما هما يتحدّثان واذا بالصباح قد اصبح فقام الملك وتوجّه الى تخته وامر جيشه بالركوب وقدّم لابن الملك فرسا جيدا من خيار خيله وامران تسرج له بعدّة حسنة فقال له ايها الملك اني ما اركب حتى اشرف على الجيش واشاهدهم فقال له الملك الامر كما تحبّ ثم سار الملك والفتى بين يديه حتى وصلا الى الميدان فنظر الغلام الى الجيش وكثرته ثم نادى الملك يا معاشر الناس انه قد وصل اليّ غلام يخطب ابنتي ولم ارقط احسن منه ولا اشدّ قلبا ولا اعظم بأسا منه وقد زعم انه يغلبكم ويقهركم

Digitized by Google

ان كنت من اولاد الملوك كما زعمت فكيف دخلت قصري بغير اذني وهتكت حرمتي ووصلت الى بنتي وزعمت انك بعلها وادّعيت اني قد زوّجتك بها و انا قد قتلت الملوك و ابناء الملوك حين خطبوها مني و من ينجيك من سطوتي و انا ان صحت على عبيدي و غلماني و امرتهم بقتلك قتلوك في الحال فمن يخلصك من يدي فلما سمع ابن الملك منه ذلك الكلام قال للملك اني لا عجب منك و من قلة بصيرتك هل تطمع لابنتك في بعل احسن منّي وهل رأيت احدا اثبت جنانا و اكثر مكافأة و اعزّ سلطانا و جنودا و اعوانا مني فقال له الملك لا والله ولكن وددتُ يا فتى ان تكون خاطبا لها على رؤس الاشهاد حتى ازوجك بها و اما اذا زوّجتك بها خفية فانك تُفضحني فيها فقال له ابن الملك لقد احسنت في قولك و لكن ايها الملك اذا اجتمعت عبيدك و خدمك و جنودك عليّ و قتلوني كما زعمت فانك تفضح نفسك و تبقى الناس فيك بين مصدّق و مكذّب و من الرأي عندي ان ترجع ايها الملك الى ما اشير به عليك فقال له الملك هات حديثك فقال له ابن الملك الذي احدّثك به امّا ان تبارزني انا و انت خاصة فمن قتل صاحبه كان احق واولى بالملك و امّا ان تتركني في هذه الليلة و اذا كان الصباح فاخرج اليّ عسكرك و جنودك وغلمانك واخبرني بعدّتهم فقال له الملك ان عدّتهم اربعون الف فارس غير العبيد الذين لي و غير اتباعهم وهم مثلهم في العدد فقال ابن الملك اذا كان طلوع النهار فاخرجهم اليّ و قل لهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

قائمات فقال لهن ما الذي جرى لابنتي فقلن له ايها الملك بينما نحن جالسات معها فلم نشعر الا و قد هجم علينا هذا الغلام الذي كأنّه بدر التمام و لم نرقط احسن منه وجها و بيده سيف مسلول فسألناه عن حاله نزعم انك قد زوّجته ابنتك و نحن لا نعلم شيأ غير هذا و لا نعرف هل هو انسيّ او جنيّ و لكنه عفيف اديب لا يتعاطى القبيح فلما سمع الملك مقالتهن بَرَدَما به ثم انه رفع الستر قليلا قليلا و نظر فرأى ابن الملك جالسا مع ابنته يتحدّثان و هو في احسن التصوير و وجه كالبدر المنير فلم يقدر الملك ان يمسك نفسه من غيرته على ابنته فرفع الستر و دخل وبيده سيف مسلول و قد هجم عليهما كأنّه الغول فلما نظره ابن الملك قال لها هذا ابوك قالت نعم و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك لما رأى الملك بيده سيف مسلول و قد هجم عليهما كأنّه الغول قال لها هذا ابوك قالت له نعم فعند ذلك وثب قائما على قدميه و تناول سيفه بيديه و صاح على الملك صيحة منكرة فاد هشه و همّ ان يحمـــل عليه بالسيف فعلم الملك انه اَوْثَبُ منه فاغمد سيفه ثم وقف حتى انتهى اليه ابن الملك فقابله بملاطفة و قال له يا فتى هل انت انسي ام جني فقال له ابن الملك لولا اني ارعى زمامك و حرمة ابنتك لسفكتُ دمك كيف تنسبني الى الشياطين و انا من اولاد الملوك الا كاسرة الذين لوشاؤا اخذ ملكك لزلزلوك عن عزّك و سلطانك و سلبوا عنك جميع مافي اوطانك فلما سمع الملك كلامه هابه و خاف على نفسه منه و قال له

Digitized by Google

لانه كان بشع المنظر فظنّت انه هو الذي خطبها ثم اقبلت عليه وعنّقته وقبّلته ورقدت هي وايّاه فقالت لها الجواري يا سيدتي هذا ما هوالذي خطبك من ابيك لان ذاك قبيح وهذا مليح وما يصلح الذي خطبك من ابيك وردّه ان يكون خادما لهذا ولكن يا سيدتي ان هذا الفتى له شأن عظيم ثم توجّهت الجواري الى الخادم المبطوح وايقظنه فوثب مرعوبا وفتّش على سيفه فلم يجده بيده فقالت له الجواري ان الذي اخذ سيفك وبطحك جالس مع ابنة الملك وكان ذلك الخادم قد وكّله الملك بالمحافظة على ابنته خوفا عليها من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فقام ذلك الخادم وتوجه الى الستر ورفعه فرأى ابنة الملك جالسة مع ابن الملك وهما يتحدّثان فلما نظر هما الخادم قال لابن الملك ياسيدي هل انت انسيّ او جنيّ فقال له ابن الملك ويلك يا انحس العبيد كيف تجعل اولاد الملوك الاكاسرة من الشياطين الكافرة ثم انه اخذ السيف بيده وقال له انا صهر الملك وقد زوّجني بنته وامرني بالدخول عليها فلما سمع الخادم منه ذلك الكلام قال له ياسيدي ان كنتَ من الانس كما زعمت فانها ما تصلح الّا لك وانت احقّ بها من غيرك ثم ان الخادم توجّه الى الملك وهو صارخ وقد شقّ ثيابه وحثى التراب على رأسه فلما سمع الملك صياحه قال له ماالذي دهاك فقد ارجفتْ فؤادي اخبرني بسرعة واوجزْ في الكلام فقال له ايها الملك ادرِكْ ابنتك فانه قد استولى عليها شيطان من الجن في زيّ الانس مصوّر بصورة اولاد الملوك فدونك وايّاه فلما سمع الملك منه ذلك الكلام همّ بقتله وقال له كيف تغافلتَ عن ابنتي حتى لحقها هذا العارض ثم ان الملك توجّه الى القصر الذي فيه ابنته فلما وصل اليه وجد الجواري

Digitized by Google

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان ابن الملك قال في نفسه ليس لي احسن الا من البيات عند فرسي فاذا اصبح الصباح ركبتها و سرت فبينما هو واقف يحدّث نفسه بهذا الكلام اذ نظر الى نور مقبل الى ذلك المحل الذي هو فيه فتأمل ذلك النور فوجده مع جماعة من الجواري وبينهن صبيّة بهيّة بغاية الفية تحاكي البدر الزاهر كما قال فيها الشاعر

جَاءَتْ بِلَا مَوْعِدٍ فِي ظُلْمَةِ الْغَسَقِ ... كَأَنَّهَا الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الْأُفُقِ
هَيْفَاءُ مَا فِي الْبَرَايَا مَنْ يُشَابِهُهَا ... فِي بَهْجَةِ الْحُسْنِ أَوْ فِي رَوْنَقِ الْخُلُقِ
نَادَيْتُ لَمَّا رَأَتْ عَيْنِي مَحَاسِنَهَا ... سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقِ
أُعِيذُهَا مِنْ عُيُونِ النَّاسِ كُلِّهِمْ ... بِقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ وَالْفَلَقِ

و كانت تلك الصبية بنت ملك هذه المدينة وكان ابوها يحبّها حبّا شديدا و من محبته ايّاها بنى لها هذا القصر فكانت كلّما ضاق صدرها تجيء اليه هي وجواريها تقيم فيه يوما اويومين او اكثر ثم تعود الى سرايتها فاتفق انها قد اتت تلك الليلة من اجل الفرجة والانشراح و صارت ما ثمة بين الجواري و معها خادم مقلّد بسيف فلما دخلوا ذلك القصر فرشوا الفرش و اطلقوا مجامر البخور ولعبوا وانشرحوا فبينما هم في لعب وانشراح اذ هجم ابن الملك على ذلك الخادم ولطمه لطمة فبطحه واخذ السيف من يده و هجم على الجواري اللاتي مع ابنة الملك فشتّتهن يمينا و شمالا فلما نظرت ابنة الملك الى حسنه و جماله قالت لعلّك انت الذي خطبتني من والدي بالامس وردّك وزعم انك قبيح المنظر والله لقد كذب ابي حيث قال ذلك الكلام فما انت الا مليح وكان ابن ملك الهند قد خطبها من ابيها فردّه

Digitized by Google

حول تلك المدينة ويتأمّلها يمينا و شمالا وكان النهار قد ولّى و دنت الشمس للمغيب فقال في نفسه انّي لم اجد موضعا للمبيت احسن من هذه المدينة فانا ابيت فيها هذه الليلة و عند الصباح اتوجّه الى اهلي ومحل ملكي واُعلم اهلي ووالدي بما جرى واخبره بما نظرت عيناي وصار يفتّش على موضع يأمن فيه على نفسه و على فرسه ولا يراه احد فبينما هو كذلك واذا به قد نظر في وسط المدينة قصرا شاهقا في الهواء و قد احاط بذلك القصر سُور متّسع بشُرُفات عاليات فقال ابن الملك في نفسه ان هذا الموضع مليح وجعل يحرّك الزرّ الذي يهبط به الفرس ولم يزل هابطا به حتى نزل مستويا على سطح القصر ثم نزل من فوق الفرس و حمد الله تعالى وجعل يدور حول الفرس ويتأمّلها ويقول والله ان الذي عملك بهذه الصفة لحكيم ماهر فان مدّ الله تعالى في اجلي و ردّني الى بلادي و اهلي سالما وجمع بيني وبين والدي لاُحسننّ الى هذا الحكيم كل الاحسان ولا نعمنّ عليه غاية الا نعام ثم جلس فوق سطح القصر حتى علم ان الناس قد ناموا وكان قد اضربه الجوع والعطش لانه منذ فارق والده لم يأكل طعاما فقال في نفسه ان مثل هذا القصر لا يخلو من الرزق فترك الفرس في مكان ونزل يتمشّى لينظر شيأ يأكله فوجد سلّما فنزل منه الى اسفل فوجد ساحة مفروشة بالرخام فتعجّب من ذلك المكان ومن حسن بنيانه ولكنّه لم يجد في ذلك القصر حسّ حسيس ولا انس انيس فوقف متحيّرا وصار ينظر يمينا و شمالا و هو لا يعرف اين يتوجّه ثمّ قال في نفسه ليس لي احسن الّا ان ارجع الى المكان الذي فيه فرسي و ابيت عندها فاذا اصبح الصباح ركبتُها وسرتُ واُدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

الفرس ثم قال انّ الحكيم قد عمل حيلة على هلاكي فلا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم ثم انه جعل يتأمّل في جميع اعضاء الفرس فبينما هو يتأمّل فيها اذ نظر الى شيء مثل رأس الديك على كتف الفرس الايمن وكذلك الايسر فقال ابن الملك ما ارى فيه اثرا غير هذين الزّرّين ففرك الزرّ الذي على الكتف الايمن فازدادت به الفرس سيرا طالعة الى الجوّ فتركه ثم نظر الى الكتف الايسر فرأى ذلك الزرّ ففركه فتناقصت حركات الفرس من الصعود الى الهبوط ولم تزل هابطة به الى الارض قليلا قليلا وهو محترس على نفسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان ابن الملك لما فرك الزرّ الايسر تناقصت حركات الفرس من الصعود الى الهبوط ولم تزل هابطة به الى الارض قليلا قليلا محتـــرسا على نفســـه فلمـــا نظر ابن الملك ذلك وعرف منافع الفرس امتلأ قلبه فرحا وسرورا وشكر الله تعالى على ما انعم به عليه حيث انقذه من الهلاك ولم يزل هابطا طول نهاره لانه كان في حال صعوده بعدت عنه الارض وجعل يدور وجه الفرس كما يريد وهي هابطة به واذا شاء نزل بها واذا شاء طلع بها فلمـــا تمّ له من الفـرس ما يريد اقبل بها الى جهة الارض وصار ينظر الى ما فيها من البلاد والمُدن التي لا يعرفها لانه لم يرها طول عمره وكان من جملة ما رآه مدينة مبنيّة باحسن البنيان وهي في وسط ارض خضراء ناضرة ذات اشجار وانهار فتفكّر في نفسه وقال يا ليت شعري ما اسم هذه المدينة وفي اي الاقاليم هي ثم انه جعل يطوف

Digitized by Google

الملك جالس على كرسي مملكته يوما من الايام اذ دخل عليه ثلثة من الحكماء مع احدهم طاووس من ذهب و مع الثاني بوق من نحاس و مع الثالث فرس من عاج و آبنوس فقال لهم الملك ما هذه الاشياء و ما منفعتها فقال صاحب الطاووس ان منفعة هذا الطاووس انه كلما مضت ساعة من ليل او نهار يصفق باجنحته و يزعق و قال صاحب البوق انه اذا وضع هذا البوق على باب المدينة يكون كالمحافظ عليها فاذا دخل من تلك المدينة عدوّ يزعق عليه هذا البوق فيعرف و يمسك باليد و قال صاحب الفرس يامولاي ان منفعة هذه الفرس انه اذا ركبها انسان فانها توصله الى اي بلاد اراد فقال الملك لا انعم عليكم حتى اجرّب منافع هذه الصور ثم انه جرّب الطاووس فوجده كما قال صاحبه وجرّب البوق فوجده كما قال صاحبه فقال الملك للحكيمين تمنّيا عليّ فقالا نتمنّى عليك ان تزوج كلواحد منا بنتا من بناتك فانعم الملك عليهما ببنتين من بناته ثم تقدم الحكيم الثالث صاحب الفرس و قبّل الارض بين يدي الملك و قال له يا ملك الزمان انعم عليّ كما انعمتَ على اصحابي فقال له الملك حتى اجرّب ما اتيتَ به فعند ذلك تقدّم ابن الملك و قال يا والدي انا اركب هذه الفرس واجرّبها و اختبر منفعتها فقال الملك يا ولدي جرّبها كما تحب فقام ابن الملك وركب الفرس وحرّك رجليه فلم تتحرك من مكانها فقال ياحكيم اين الذي ادّعيته من سرعة سيرها فعند ذلك جاء الحكيم الى ابن الملك و اراه لَوْلَب الصعود و قال له افرك هذا اللَّوْلَب ففركه ابن الملك و اذا بالفرس قد تحرّك وطار بابن الملك الى عنان السماء ولم يزل طائرا به حتى غاب عن الاعين فعند ذلك احتار ابن الملك في امره وندم على ركوبه

Digitized by Google

ان سكن روعها وتزوجت بهـا فعجزت عن ذلك ولم اصبر عليه فشكوت حالي الى بعض العجائز وذكرت لها ماكان من امرها فالزمت لي بتدبير هذا الامر وقالت لي لابدان تأتيني بقدر وتملأه من الخلّ البكر وتأتيني بقدر رطل من العود القرح فاتيت لها بما طلبته فوضعته في القدر ووضعت القدر على النار وغلته غليـانا قويّا ثم امرتني بنكاح الصبية فنكحتها الى ان غشي عليها فحملتها العجوز وهي لاتشعر والقت فرجها على فم القدر فصعد دُخانه حتى دخل فرجهـا فزل من فرجها شيء فتأملته فاذا هو دودتان احدهما سوداء والاخرى صفراء فقالت العجوز الاولى تربت من نكاح العبد والثـانية تربت من نكاح القرد فلما افاقت من غشيتهـا استمرّت معي مدة وهي لم تطلب النكاح وقد صرف الله عنها تلك الحـالة وتعجبت من ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـاح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الشاب قال وقد صرف الله عنهـا تلك الحالة وتعجبت من ذلك فاخبرتها بالقصة واستمرّت معه في ارغد عيش واحسن لذة واتخذت عندها العجوز مكان والدتها وما زالت هي وزوجها والعجوز في هناء وسرور الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده الملك والملكـوت

ومما يحكى

انه كان في قديم الزمان ملك عظيم ذو خطر جسيم وكان له ثلث بنات مثل البدور السافرة والرياض الزاهرة وولد ذكر كانه القمر فبينما

Digitized by Google

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان السلطان لما فطن بامر ابنته واراد قتلها شعرت بذلك فتزيّت بزيّ المماليك وركبت فرسا واخذت لها بغلا وحملته من الذهب والمعادن والقماش ما لا يوصف وحملت القرد معها وسارت حتى وصلت الى مصر فنزلت في بعض بيوت الصحراء وصارت كل يوم تشتري لحما من شاب جزّار ولكن لا تأتيه الّا بعد الظهر وهي مصفرّة اللون متغيّرة الوجه فقال الشاب في نفسه لابد لهذا المملوك من سبب عجيب فلما جاءت على العادة واخذت اللحم تبعها من حيث لا تراه قال ولم ازل خلفها من حيث لا تراني من محلّ الى محل حتى وصلت الى مكانها الذي بالصحراء ودخلت هناك فنظرت اليها من بعض جهاته فرأيتها استقرت بمكانها واوقدت النار وطبخت اللحم واكلت كفايتها وقدمت باقيه الى القرد الذي معها فاكل كفايته ثم انها نزعت ما عليها من الثياب ولبست افخر ما عندها من ملابس النساء فعلمت انها انثى ثم انها احضرت خمرا وشرب منه واسقت القرد ثم واقعها القرد نحو عشر مرات حتى غشي عليها وبعد ذلك نشر القرد عليها ملاءة من حرير وراح الى محله فنزلت الى وسط المكان فاحسّ بي القرد واراد افتراسي فبادرته بسكّين كانت معي ففريت بها كرشه فانتبهت الصبية فزعة مرعوبة فرأت القرد على هذه الحالة فصرخت صرخة عظيمة حتى كادت ان تزهق روحها ثم وقعت مغشيا عليها فلما افاقت من غشيتها قالت لي ما حملك على ذلك ولكن بالله عليك ان تلحقني به فلا زلت الاطفها واضمن لها اني اقوم بما قام به القرد من كثرة النكاح الى

Digitized by Google

وان كنت اعرفه كأنّني حاضر معكم فحدثته بجميع ما جرى و هو يقول صدقت فقال يا وردان قم سربنا الى الكنز فتوجّهت معه اليه فوجد الطابق مغلقا فقال ارفعه يا وردان فان هذا الكنز لا يقدر احدان يفتحه غيرك فانه مرصود باسمك و صفتك فقلت والله لا اطيق فتحه فقال تقدّم انت على بركة الله فتقدمت اليه و سمّيت الله تعالى ومددت يدي الي الطابق فارتفع كأنه اخفّ ما يكون فقال الحاكم انزل و اطلع ما فيه فانه لا ينزله الّا من هو باسمك و صورتك و صفاتك من حين وضع وقتل هذا الدب و هذه المرأة على يديك و هو عندي مؤرّخ وكنت انتظر وقوعه حتى وقع قال وردان فنزلت و نقلت له جميع ما في الكنز ثم دعا بالدواب و حمله و اعطاني تفصي بما فيه فاخذته و عمدت به الى بيتي وفتحت لي دكانا في السوق و هذا السوق موجود الى الآن و يعرف بسوق وردان

ومما يحكى

ايضا انه كان لبعض السلاطين ابنة و قد تعلّق قلبها بحب عبدا سود فافتضّ بكارتها و اولعت بالنكاح فكانت لا تصبر عنه ساعة واحدة فشكت امرها الى بعض القهرمانات فاخبرتها انه لا شيء ينكح اكثر من القرد فاتفق ان قرّادا مرّ تحت طاقتها بقرد كبير فاسفرت عن وجهها ونظرت الى القرد وغمزته بعيونها فقطع القرد وثاقه وسلاسله و طلع لها فحبأته في مكان عندها وصار ليلا و نهارا على اكل وشرب و جماع فغطن ابوها بذلك واراد قتلها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

قالت يا وردان اىّ شيءٌ احب اليك ان تسمع الذي اقوله لك و يكون سببا لسلامتك و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المرأة قالت يا وردان اي شيءٌ احب اليك ان تسمع الذي اقوله لك و يكون سببا لسلامتك وغناك الى آخر الدهر او تخالفني و يكون سببا لهلاكك قلت اختار ان اسمع كلامك فحدّثني بما شئت فقالت اذبحني كما ذبحتَ هذا الدبّ و خذ من هذا الكنز حاجتك و توجّهْ الى حال سبيلك فقلت لها انا خير من هذا الدب فارجعي الى الله تعالى و توبي واتزوّج بك ونعيش باقي عمرنا بهذا الكنز قالت يا وردان ان هذا بعيد كيف اعيش بعده والله ان لم تذبحني لا تلفن روحك فلا تراجعني تتلف وهذا ما عندي من الرأى والسلام فقلت اذبحُك و تروحين الى لعنة الله ثم جذبتها من شعرها وذبحتها وراحت الى لعنه الله والملائكة والناس اجمعين * و بعد ذلك نظرت فى المحل فوجدت فيه من الذهب والفصوص واللؤلؤ ما لا يقدر على جمعه احد من الملوك فاخذتُ قفص الحمال وملأته على قدر ما اطيق ثم سترته بقماشي الذي كان علي وحملته وطلعت من الكنز وسرتُ ولم ازل سائرا الى باب مصر واذا بعشرة من جماعة الحاكم با مرالله مقبلون والحاكم خلفهم فقال لي يا وردان قلت لبّيك ايها الملك قال هل قتلت الدب والمرأة قلت نعم قال حط عن رأسك و طب نفسا فجميع ما معك من المال لك لا ينازعك فيه احد فحطيت القفص بين يديه فكشفه و رآه وقال حدّثني بخبر هما

Digitized by Google

ما كان بالقفص وغابت ساعة فاتيت الى ذلك الحجر فزحزحته ودخلتُ فوجدت خلفه طابقا من نحاس مفتوحا ودرجا نازلة فنزلتُ في تلك الدرج قليلا قليلا حتى وصلت الى دهليز طويل كثير النور فمشيت فيه حتى رأيت هيئة باب قاعة فارتكنتُ في زوايا الباب فوجدت صفّة بها سلالم خارج باب القاعة فتعلّقت فيها فوجدت صفّة صغيرة بها طاقة تشرف على قاعة فنظرتُ فى القاعة فوجدت المرأة قد اخذت الخروف وقطعتْ منه مطايبه وعملتْه في قدر ورمت الباقي الى دبّ كبير عظيم الخلقة فاكله عن آخره وهي تطبخ فلما فرغتْ اكلت كفايتها وصفّت الفاكهة والنقل وحطت النبيذ وصارت تشرب بقدح وتسقى الدبّ بطاسة من ذهب حتى حصل لها نشوة السكر فنزعتْ لباسها ونامت فقام الدب وواقعها وهي تعاطيه من احسن ما يكون لبني أدم حتى فرغ وجلس ثم وثب اليها وواقعها ولما فرغ جاس واستراح ولم يزل كذلك حتى فعل ذلك عشر مرّات ثم وقع كل منهما مغشيا عليه وصارا لا يتحركان فقلت في نفسى هذا وقت انتهاز الفرصة فنزلتُ ومعي سكّين تبري العظم قبل اللحم فلما صرت عند هما وجدتهما لا يتحرّك فيهما عرق لما حصل لهما من المشقة فجعلت السكين في منحر الدبّ واتكأت عليه حتى خلصتُه وانعزلتُ رأسه عن بدنه فصار له شخير عظيم مثل الرعد فانتبهت المرأة مرعوبة فلما رأت الدبّ مذبوحا وانا واقف والسكّين في يدي زعقت زعقة عظيمة حتى ظننت ان روحها قد خرجت وقالت لي يا وردان أيكون هذا جزاء الاحسان فقلت لها يا عدوّة نفسها هل خدمت الرجال حتى تفعلي هذا الفعل الذميم فاطرقت رأسها الى الارض لا تردّ جوابا وتأملت الدب وقد نزعت رأسه عن جثّته ثم

Digitized by Google

ولم تغلط يوما واحدا وتشتري مني بدراهم فهذا امر عجيب ثم ان وردان سأل الحمّال في غيبة المرأة فقال له الى اين تروح كل يوم مع هذه المرأة فقال له انا في غاية العجب منها فانها كل يوم تحملني الخروف من عندك وتشتري حوائج الطعام والفاكهة والشمع والنقل بدينار آخر وتأخذ من شخص نصراني مروتين نبيذا وتعطيه دينارا وتحملني الجميع واسير معها الى بساتين الوزير ثم تعصب عينيّ بحيث اني لا انظر موضعا من الارض احطّ فيه قدمي وتأخذ بيدي فما اعرف اين تذهب بي ثم تقول حط هنا وعندها قفص آخر فتعطيني الفارغ ثم تمسك يدي وتعود بي الى الموضع الذي شدت عينيّ فيه بالعصابة فتحلّها وتعطيني عشرة دراهم فقال له الجزّار الله يكون في عونها ولكن ازداد فكرا في امرها وكثرت عنده الوساوس وبات في قلق عظيم قال وردان الجزّار فلما اصبحت اتتني على العادة واعطتني الدينار واخذت الخروف وحملته الى الحمال وراحت فاوصيت صبي على الدكان وتبعتها بحيث لا تراني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان وردان الجزّار قال فاوصيت صبي على الدكان وتبعتها بحيث لا تراني ولم ازل اعاينها الى ان خرجت من مصر وانا اتوارى خلفها حتى وصلت الى بساتين الوزير فاختفيت حتى عصبت عيني الحمّال وتبعتها من مكان الى مكان الى ان اتت الجبل فوصلت الى مكان فيه حجر كبير وحطت القفص عن الحمال فصبرت الى ان عادت بالحمال ورجعت ونزعت جميع

Digitized by Google

على خدها بالمسك اسم المتوكّل وكان اسمه جعفر فلما راى المتوكل اسمه مكتوبا على خدها بالمسك انشأ يقـــــــــــــول

وَكَاتِبَةٍ بِالْمِسْكِ فِي الْخَدِّ جَعْفَرًا ... بِنَفْسِيَ مَنْ قَدْ خَطَّ فِي الْخَدِّ مَا أَرَى

لَئِنْ كَتَبَتْ فِي الْخَدِّ سَطْرًا بَنَانُهَا ... لَقَدْ أَوْدَعَتْ قَلْبِي مِنَ الْخَطِّ أَسْطُرًا

فَيَا مَنْ حَوَاهَا فِي الْبَرِيَّةِ جَعْفَرٌ ... سَقَى اللّٰهُ مِنْ سُقْيَا شَرَابِكَ جَعْفَرًا

و لما مات المتوكّل سلاه جميع من كان له من الجواري الاّ محبوبة وادرک شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملک السعيد انه لما مات المتوكل سلاه جميع من كان له من الجواري الاّ محبوبة فانهـــا لم تزل حزينة عليه حتى ماتت و دفنت بجانبه رحمة الله عليهم اجمعـــــــين

ومما يحكى

انه كان في زمن الحـــاكم بامر الله رجل بمصر يسمى وَرْدان و كان جزّارا في اللحم الضأني و كانت امرأة تأتيه كل يوم بدينـــار يقارب وزنه وزن دينارين و نصف من الدنانير المصرية و تقول له اعطني خروفا و تحضر معها حمالا بقفص فيأخذ منهـــا الدينار و يعطيها خروفا فتحمله الى الحمال و تأخذه و تروح به الى مكانها و في ثاني يوم وقت الضحى تأتي و كان ذلک الجزّار يكتسب منهـــا كل يوم دينارا و اقامت مدة طويلة على ذلک فتفكّر وردان الجزّار ذات يوم في امرها و قال في نفسه هذه المرأة كل يوم تشتري مني بدينار

Digitized by Google

وتحسن الغناء وتنظم الشعر وتكتب خطا جيدا فافتتن بها المتوكل وكان لا يصبر عنها ساعة واحدة فلما رأت ميله اليها تكبّرت عليه وبطرت النعمة فغضب عليها غضبا شديدا وهجرها ومنع اهل القصر من كلامها فمكثت على ذلك اياما وكان المتوكل له ميل اليها فاصبح ذات يوم وقال لجلسائه اني رأيت في هذه الليلة في منامي كأنّي صالحت محبوبة فقالوا له نرجو من الله تعالى ان يكون ذلك يقظة فبينما هو في الكلام واذا بخادمته قد اقبلت واسرّت الى المتوكل حديثا فقام من المجلس ودخل دار الحريم وكان الذي اسرّته اليه انها قالت سمعنا من حجرة محبوبة غناء وضربا بالعود وما ندري سبب ذلك فلما وصل الى حجرتها سمعها تغنّي على العود وتحسن الضربات وتنشد هذه الابيات

أَدُورُ فِي الْقَصْرِ لَا أَرَى أَحَدًا ... أَشْكُو إِلَيْهِ وَلَا يُكَلِّمُنِي
حَتَّى كَأَنِّي ارْتَكَبْتُ مَعْصِيَةً ... لَيْسَ لَهَا تَوْبَةٌ تُخَلِّصُنِي
فَهَلْ لَنَا شَافِعٌ إِلَى مَلِكٍ ... قَدْ زَارَنِي فِي الْكَرَى وَصَالَحَنِي
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبَاحُ لَاحَ لَنَا ... عَادَ إِلَى هَجْرِهِ وَقَاطَعَنِي

فلما سمع المتوكل كلامها تعجب من هذه الابيات ومن هذا الاتفاق الغريب حيث رأت محبوبة مناما موافقا لمنامه فدخل عليها في الحجرة فلما دخل حجرتها واحسّت به بادرت بالقيام اليه وانكبّت على اقدامه وقبّلتها وقالت والله يا سيدي لقد رأيت هذه الواقعة في منامي ليلة البارحة فلما انتبهت من النوم نظمت هذه الابيات فقال لها المتوكل والله اني رأيت مناما مثل ذلك ثم انهما تعانقا واصطلحا واقام عندها سبعة ايام بلياليها وكانت محبوبة قد كتبت

Digitized by Google

يقول لي ان رزقك بمصر فتوجه اليه فلما جئت الى مصر وجدت الرزق الذي اخبرني به تلك المقارع التي نلتها منك فضحك الوالي حتى بدت نواجذه و قال له يا قليل العقل انا رأيت ثلث مرات في منامي قائلا يقول لي ان بيتا في بغداد بخط كذا و وصفه كذا بحوشه جنينة تحتها فسقية بها مال له جرم عظيم فتوجه اليه وخذه فلم اتوجه و انت من قلة عقلك سافرت من بلدة الى بلدة من اجل رؤيا رأيتها وهي اضغاث احلام ثم اعطاه دراهم و قال له استعن بها على عودك الى بلدك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوالي اعطى البغدادي دراهم و قال له استعن بها على عودك الى بلدك فاخذها وعاد الى بغداد وكان البيت الذي وصفه الوالي ببغداد هو بيت ذلك الرجل فلما وصل الى منزله حفر تحت الفسقية فراى مالا كثيرا و وسّع الله عليه رزقه وهذا اتفاق عجيب

ومما يحكى

انه كان في قصر امير المؤمنين المتوكّل على الله اربعة آلاف سرّيّة مائتان روميات و مائتان مولدات وحبش وقد اهدى عبيد ابن طاهر الى المتوكل اربعمائة جارية مائتان بيض ومائتان حبش ومولدات وكان من جملة ذلك جارية من مولدات البصرة يقال لها محبوبة وكانت فائقة في الحسن والجمال والظرف والدلال وكانت تضرب بالعود

Digitized by Google

دينار فباعه لها ثم قام واخذ الخمسمائة دينار التي كان اقترضها من صديقه وحملها اليه وقال له خذ الخمسمائة دينار التي اقترضتها منك فقد فتح الله عليّ و يسّر لي فقال له صديقه اني اعطيتك ايا ها و خرجت عنها لله فخذ ها و خذ هذه الورقة ولا تقرأها الّا وانت في دارك واعمل بما فيها فاخذ المال والورقة وذهب الى بيته فلما فتحها وجد مكتوبا فيها هذه الابيات

إِنَّ الرِّجَالَ الْأُولَى جَاءُوكَ مِنْ نَسَبِي ... أَبِي وَعَمِّي وَخَالِي صَالِحُ بْنُ عَلِي
كَذَاكَ مَا بِعْتَهُ نَقْدًا لِوَلِدَتِي ... وَالْمَالُ وَالْجَوْهَرُ الْمَبْعُوثُ مِنْ قِبَلِي
وَمَا أَرَدْتُ بِهَذَا مِنْكَ مَنْقَصَةً ... لَكِنْ لِأَكْفِيَكَ مِنِّي وَرْطَةَ الْخَجَلِ

ومما يحكى

ان رجلا من بغداد كان صاحب نعمة وافرة ومال كثير فنفد ماله وتغيّر حاله وصار لا يملك شيأ ولا ينال قوته الّا بجهد جهيد فنام ذات ليلة وهو مغمور مقهور فرأى في منامه قائلا يقول له ان رزقك بمصر فاتّبعه وتوجّه اليه فسافر الى مصر فلما وصل اليه ادركه المساء فنام في مسجد وكان بجوار المسجد بيت فقدر الله تعالى ان جماعة من اللصوص دخلوا المسجد وتوصلوا منه الى ذلك البيت فانتبه اهل البيت على حركة اللصوص وقاموا بالصياح فاغاثهم الوالي باتباعه فهربت اللصوص و دخل الوالي المسجد فوجد الرجل البغدادي قائما في المسجد فقبض عليه وضربه بالمقارع ضربا موجعا حتى اشرف على الهلاك و سجنه فمكث ثلثة ايام في السجن ثم احضره الوالي وقال له من اي البلاد انت قال من بغداد قال له وما حاجتك التي هي سبب في مجيئك الى مصر قال اني رأيت في منامي قائلا

Digitized by Google

من هذا المال وانت في حلّ منه وانصرف من عندي ثم اصلحت امري و ذهبت في يوم الموكب الى باب المأمون فدخلت عليه وهو جالس فلما تمثّلت بين يديه استدناني و اخرج لي عهدا من تحت مصلاّه و قال هذا عهدك بقضاء المدينة الشريفة من الجانب الغربي من باب السلام الى ملا نهاية له وقد اجريت لك كذا وكذا في كل شهر فاتّق الله عز وجل وحافظ على عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم بك فتعجب الناس من كلامه و سألوني عن معناه فاخبرتهم بالقصة من اوّلها الى أخرها فشاع الخبر بين الناس وما زال ابو حسان قاضيا في المدينة الشريفة الى ان مات في ايام المأمون رحمة الله عليه

ومما يحكى

ان رجلا كان ذا مال كثير ففقد منه و صار لا يملك شيأ فاشارت عليه زوجته ان يقصد بعض اصدقائه فيما يصلح به حاله فقصد صديقا له وذكر له ضرورته له فاقرضه خمسمائة دينار على انه يتّجر فيها وكان في ابتداء حاله جوهريا فاخذ الذهب ومضى الى سوق الجواهر وفتح دكانه ليشتري ويبيع فلما قعد في الدكان اتاه ثلثة رجال وسألوه عن والده فذكر لهم وفاته فقالوا له هل خلف احدا من الذرّية قال خلف العبد الذي بين ايديكم قالوا و من يعرف انك ولده قال اهل السوق فقالوا له اجمعهم لنا حتى يشهدوا انك ولده فجمعهم و شهدوا بذلك فاخرج الثلثة رجال خرجًا فيه مقدار ثلثين الف دينار وفيه جواهر ومعادن ثمينة وقالوا هذا كان عندنا امانة لابيك ثم انصرفوا فاتته امرأة وطلبت منه شيأ من ذلك الجوهر يساوي خمسمائة دينار فاشترته منه بثلثة آلاف

Digitized by Google

الزيادي فقلت لهم هوانا قالوا اجب اميرالمؤمنين فسرت معهم حتى دخلت على المأمون فقال لي مَنْ انت قلت رجل من اصحاب القاضي ابي يوسف من الفقهاء واصحاب الحديث فقال بايّ شيءٍ تكنى قلت بابي حسان الزيادى قال اشرح لي قصتك فشرحت له خبري فبكى بكاء شديدا وقال ويحك ما تركني رسول الله صلى الله عليه وسلم انام في هذه الليلة بسببك فاني لما نمت اول الليل قال لي اَغِثْ ابا حسان الزيادى فانتبهت ولم اعرفك ثم نمت فاتاني وقال لي ويحك اَغِثْ ابا حسان الزيادى فانتبهت ولم اعرفك ثم نمت فاتاني ولم اعرفك ثم نمت فاتاني وقال لي ويحك اغث ابا حسان الزيادى فماتجاسرتُ على النوم بعد ذلك وسهرت الليل كله وقد ايقظت الناس وارسلتهم في طلبك من كل جانب ثم اعطاني عشرة آلاف درهم وقال هذه للخراساني ثم اعطاني عشرة آلاف درهم وقال اتسع بهذه واصلح بها امرك ثم اعطاني ثلثين آلاف درهم وقال جهّز نفسك بهذه واذا كان يوم الموكب فأتني حتى اقلّدك عملا فخرجت والمال معي فجئت الى منزلي فصليت فيه الغداة واذا بالخراساني قد حضر فادخلته البيت واخرجت له بدرة وقلت له هذا مالك قال ليس هذا عين مالي فقلت نعم فقال ماسبب هذا فقصصت عليه القصة فبكى وقال والله لو اصدقتني من اول الامر ما طالبتك وانا الآن والله لا اقبل شيأ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخراساني قال للزيادى والله لو صدقتني من اول الامر ما طالبتك وانا الآن والله لا اقبل شيأ

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان ابا حسان الزيادى قال احضرت المعاملين وقضيت ما كان عليّ من الدين وانفقت واتسعت وقلت في نفسي الى ان يرجع يفتح الله علينا بشيء من عنده فلما كان بعد يوم دخل الغلام عليّ وقال لي ان صاحبك الخراساني بالباب فقلت ائذن له فدخل ثم قال اني كنت عازما على الحج فجاءني خبر بوفاة والدي وقد عزمت على الرجوع فاعطني المال الذي اودعتك اياه بالامس فلما سمعت منه هذا الكلام حصل لي همّ عظيم لم يحصل لاحد مثله قط وتحيّرت فلم اردّ جوابا فان جحدته استحلفني وكانت الفضيحة فى الاخرة وان اخبرته بالتصرف فيه صاح وهتكني فقلت له عافاك الله ان منزلي هذا ليس بحصين ولا حرز لذلك المال واني لمّا اخذت جرابك ارسلته الى من هو عنده الآن فعُدْ علينا فى الغد لتاخذه ان شاء الله تعالى فانصرف عني وبتّ متحيرا من اجل رجوع الخراساني الّي فلم ياخذني نوم في تلك الليلة ولم اقدر على غمض عيني فقمت للغلام وقلت له اسرج لي البغلة قال يا مولاي ان هذا الوقت عتمة ولم يمض من الليل شيء فرجعت الى فراشي فاذا النوم ممتنع فلم ازل اوقظ الغلام وهو يردّني حتى طلع الفجر فاسرج لي البغلة فركبت وانا لا ادري اين اذهب فطرحت عنان البغلة على عاتقها وصرت مشغولا بالفكر والهموم وهي تسير الى الجانب الشرقي من بغداد فبينما انا سائر واذا انا بقوم قد رأيتهم فانحرفت عنهم وعدلت عن طريقهم الى طريق اخرى فتبعوني فلما رأوني بطيلسان تبادروا اليّ وقالوا لي اتعرف منزل ابي حسان

Digitized by Google

من ذلك ثم دفع له سبعين الف درهم ودعا بالحمالين فحملوا له المال حتى وصل الى باب منزله فجاءه سائل وقال له اعطني مما اعطاك الله تعالى فقال للسائل قد كنا بالامس مثلك خذ نصف هذا المال فلما قسم المال شطرين واخذ كل واحد شطره قال له السائل اَمْسِكْ عليك مالك وخذه بارك الله لك فيه وانما انا رسول ربك بعثني اليك لِاَختبرك فقال لله الحمد والمنة وما زال في ارغد عيش هو وعياله الى الممات

ومما يحكى

انا ابا حسان الزيادي قال ضاق عليّ الحال في بعض الايام ضيقا شديدا حتى انه قد الحّ عليّ البقال والخبّاز وسائر المعاملين فاشتدّ عليّ الكرب ولم اجد لي حيلة فبينما انا على تلك الحالة لا ادري كيف اصنع اذ دخل عليّ غلام لي فقال انّ بالباب رجلا حاجبا يطلب الدخول عليك فقلت أئذن له فدخل فاذا هو رجل خراساني فسلّم عليّ فرددت عليه السلام ثم قال لي هل انت ابو حسان الزيادي قلت نعم وما حاجتك قال اني رجل غريب واريد الحج ومعي جملة من المال وانه قد اثقلني حمله واريد ان ادع عندك هذه العشرة آلاف درهم الى ان اقضي حجي وارجع فان رجع الركب ولم ترني فاعلم انني قد مُتُّ فالمال هبة مني اليك وان رجعتُ فهي لي فقلت له لك ذلك ان شاء الله تعالى فاخرج جرابا فقلت للغلام ائتني بميزان فاتى بميزان فوزنها وسلّمها اليّ وذهب الى حال سبيله فاحضرتُ المعاملين وقضيت ديني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

كل يوم يبيع الغزل ويشتري به قطنا و ما خرج من الكسب يشتري به طعاما لعياله يأكلونه في ذلك اليوم فخرج ذات يوم و باع الغزل فلقيه اعم له فشكا اليه الحاجة فدفع له ثمن الغزل ورجع الى عياله من غير قطن ولا طعام فقالوا له اين القطن و الطعام فقال لهم استقبلني فلان فشكا الي الحاجة فدفعت اليه ثمن الغزل قالوا وكيف نصنع وليس عندنا شيء نبيعه وكان عندهم قصعة مكسورة و جرّة فذهب بهما الى السوق فلم يشترهما احد منه فبينما هو في السوق اذ مرّ به رجل ومعه سمكة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرجل اخذ القصعة والجرّة وذهب بهما الى السوق فلم يشترهما احد منه فبينما هو في السوق اذ مرّ به رجل ومعه سمكة منتنة منفوخة لم يشترها احد منه فقال له صاحب السمكة اتبيعني كاسدك بكاسدي قال نعم فدفع له القصعة والجرّة واخذ منه السمكة وجاء بها الى عياله فقالوا له ما نفعل بهذه السمكة قال نشويها و نأكلها الى ان يشاء الله تعالى لنا برزقنا فاخذوها وشقّوا بطنها فوجدوا فيه حبة لؤلؤ فاخبروا بها الشيخ فقال انظروا ان كانت مثقوبة فهي لبعض الناس وان كانت غير مثقوبة فانها رزق رزقكم الله تعالى به فنظروا فاذا هي غير مثقوبة فلما اصبح الصباح غدا بها الى بعض اخوانه من اصحاب المعرفة بذلك فقال يا فلان من اين لك هذه اللؤلؤة قال رزق رزقنا الله تعالى به قال انها تساوي الف درهم وانا اعطيك ذلك ولكن اذهب بها الى فلان فانه كثير مني مالا ومعرفة فذهب بها اليه فقال انها تساوي سبعين الف درهم لا اكثر

Digitized by Google

امرأة لم يوجد احسن منها ولكن بها عيب شديد قال وما هو قالت مقطوعة اليدين قال اريدان انظرها فاتت بها اليه فلما نظرها افتتن بها فتزوّجها ودخل بها وكانت تلك المرأة هي التي تصدّقت على السائل برغيفين وقطع يديها من اجل ذلك فلما تزوّج بها حسدها ضرائرها وكتبن الى الملك يخبرنه عنها بانّها فاجرة وقد ولدت غلاما فكتب الملك الى امه كتابا وامرها فيه ان تخرج بها الى الصحراء وتتركها هناك ثم ترجع ففعلت امّه ذلك وخرجت بها الى الصحراء ثم رجعت فصارت تلك المرأة تبكي على ما جرى لها وتنتحب انتحابا شديدا ما عليه من مزيد فبينما هي تمشي والولد على عنقها اذ مرّت على نهر فَبَرَكَتْ لتشرب من شدة العطش الذي لحقها من مشيها وتعبها وحزنها فعند ما هَمَّت طأت سقط الولد في الماء فجلست تبكي على ولدها بكاء شديدا فبينما هي تبكي اذ مرّ عليها رجلان فقالا لها ما يبكيك قالت لهما كان لي ولد على عنقي فسقط في الماء فقالا لها اتحبّين ان نخرجه لك قالت نعم فدعَوا الله تعالى فخرج الولد اليها سالما لم يصبه شيء ثم قالا لها اتحبّين ان يردّ الله يديك كما كانتا قالت نعم فدعَوا الله سبحانه وتعالى فرجعت يداها احسن ما كانتا عليه ثم قالا اتدرين من نحن قالت الله اعلم قالا نحن رغيفاك اللذان تصدّقتِ بنا على السائل وكانت الصدقة سببا لقطع يديك فاحمدي الله تعالى الذي ردّ عليك يديك وولدك فحمدت الله تعالى واثنت عليه

ومما يحكى

انه كان في بني اسرائيل رجل عابد له عيال يغزلون القطن فكان

Digitized by Google

الى الشهود ثم قال يا مولانا اريدان امهّد لك بعض البيوت تنام مع اهلك فاحشمني ما رأيت من كرمه واستحييت ان اخلو بها في داره فقلت له جهّزها الى منزلي فوحقّك يا امير المؤمنين لقد حمل اليّ من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا مع سعتها ثم اولدتها هذا الغلام القائم بين يديك فتعجب المأمون من كرم هذا الرجل وقال لله درّه ما سمعت قط بمثله وامر ابراهيم ابن المهدي باحضار الرجل ليشاهده فاحضره بين يديه واستنطقه فاعجبه ظرفه وادبه فصيّره من جملة خواصه والله هو المعطي الوهاب

ومما يحكى

ان ملكان من الملوك قال لاهل مملكته لئن تصدّق احد منكم بشيء لاقطعنّ يده فامسكت الناس جميعا عن الصدقة ولم يقدر احدان يتصدّق على احد فاتفق ان سائلا جاء الى امرأة يوما من الايام وقد اضرّبه الجوع وقال لها تصدّقي عليّ بشيء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرجل السائل قال للمرأة تصدّقي عليّ بشيء فقالت كيف اتصدّق عليك والملك يقطع يد كل من تصدّق فقال اسألك بالله تعالى ان تتصدّقي عليّ فلما سألها بالله رقّت له وتصدّقت عليه برغيفين فوصل الخبر الى الملك فامر باحضارها فلما حضرت قطع يديها وتوجهت الى دارها ثم ان الملك بعد حين قال لامّه اني اريد الزواج فزوّجيني امرأة جميلة قالت ان في جوارنا

Digitized by Google

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انّ ابراهيم بن المهدي قال فلما عرف اسمي صاحب الدار وثب قائما على قدميه وقال عجبت من ان يكون هذا الفضل الّا لمثلك ولقد اهدى الزمان الّي يدًا لا اقوم بشكرها ولعلّ هذا منام والّا فمتى طمعت ان تزورني الخلافة في منزلي وتنادمني ليلتي هذه فاقسمت عليه ان يجلس فجلس واخذ يسألني عن السبب في حضوري عنده بالطف معنى فاخبرته بالقصّة من اوّلها الى آخرها وما سترتُ منها شيأ وقلت امّا الطعام فقد نِلتُ منه بغيتي وامّا الكف والمعصم فلم انل مرادي منهما فقال والكف والمعصم تنال مرادك منهما ان شاء الله تعالى ثم قال يا فلانة قولي لفلانة ان تنزل ثم جعل يستدعي جواريه واحدة بعد واحدة ويعرض الجميع عليّ وانا لا ارى صاحبتي الى ان قال والله يا سيدي ما بقي الّا امّي واختي ولكن والله لابدّ من انزالهما اليك وعرضهما عليك حتى تراهما فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداك فابدأ بالاخت قال حبّا وكرامة ثم نزلت اخته فأراني يدها فاذا هي صاحبة الكف والمعصم اللّذين رأيتهما فقلت جعلت فداك هذه الجارية هي التي رأيت كفّها ومعصمها فامر الغلمان ان يحضروا الشهود في الوقت والساعة فاحضروا الشهود ثم احضر بدرتين من الذهب وقال للشهود هذا مولانا سيدي ابراهيم بن المهدي عمّ امير المؤمنين يخطب اختي فلانة واشهدكم اني قد زوّجتها له وقد امهرها بدارة ثم قال زوّجتك اختي فلانة على المهر المسمّى فقلت قبلت ذلك ورضيته ثم دفع احدى البدرتين الى اخته والاخرى

Digitized by Google

ورقة شعرها الذي غنّت به فحسدتها على حسن صنعتهـا وقلتُ بقي عليكِ شيءٌ يا جارية فرمت العود من يدها غضبا وقالت متى كنتم تحضرون السفهاء في مجالسكم فندمتُ على ماكان مني ورأيت القوم قد انكروا عليّ فقلت قد فاتني جميع ما املتُ ولم ار حيلة لدفع اللوم عني الّا انني طلبت عودا وقلت انا ابيّن ما فاتهـا من الطريقة التي ضربت بها فقال القوم سمعا وطاعة ثم احضروا لي عودا فاصلحتُ منه الاوتار وغنّيتُ بهذه الاشعـــــــــــــــار

هَذا مُحِبُّكَ مَطْوِيٌّ عَلَى كَمَدِهْ ... صَبٌّ مَدَامِعُهُ تَجْرِي عَلَى جَسَدِهْ
لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ رَاجِيَةً ... آمَالَهُ وَيَدٌ أُخْرَى عَلَى كَبِدِهْ
يَا مَنْ يَرَى هَا لِكًا مِنْ عِشْقِهِ تَلَفًا ... كَانَتْ مَنِيَّتُهُ مِنْ عَيْنِهِ وَيَدِهِ

فوثبت الجـارية وانكبّت على رجلي تقبّلهـا وقالت المعذرة اليك يا سيدي والله ما علمتُ بمكانك ولا سمعت بمثل هذه الصناعة ثم اخذ القوم في اكرامي وتبجيلي بعد ما طربوا غاية الطرب وسألني كل منهم الغناء فغنيت نوبة مطربة فصار القوم سكارى وذهبت عقولهم فحُمِلوا الى منازلهم وبقي صاحب المنزل هو والجارية فشرب معي اقداحا ثم قال يا سيدي ذهب عـمري مَجّانا حيث لم اعرف مثلك قبل ذلك الوقت فيا لله يا سيدي مَنْ انت حتى اعرف نديمي الذي منّ الله عليّ به في هذه الليلة فاخذت اوّري ولم اصرّح له باسمي وهو يقسم عليّ فاعلمته فلما عرف اسمي وثب قائمـا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــباح

Digitized by Google

ومعصم مارأيت احسن منهمـــا و طار عقلي عند رؤيتهما ونسيت رائحة الطعام بذلك الكف والمعصم و اخذت في الحيلة على الوصول الى ذلك الموضع واذا بخيّاط قريب من ذلك الموضع فتقدمتُ اليه و سلّمت عليه فرد عليّ السلام فقلتُ لِمَنْ هذه الدار فقال لرجل من التجار فقلت له ما اسمه قال اسمه فلان بن فلان و هو لاينادم الا التجار فبينما نحن في الكلام اذا قبل رجلان نبيلان ذكيّان راكبان فاعلمني انهما اخص النـــاس بصحبته و اخبرني باسمهما فحرّكتُ دابتي حتى لقيتهما وقلت لهما جعلت فداكما قد استبطأكما ابو فلان وساير تُهما حتى وصلنا الى الباب فدخلت ودخل الرجلان فلما رأني صاحب الدار معهما لم يشكّ في انني صاحبهمـــا فرحّب بي واجلسني في ارفع المواضع ثم جاؤا بالمـــائدة فقلت في نفسي قد منّ الله عليّ ببلوغ الغرض من هذه الاطعمة وبقي الكف والمعصم ثم انتقلنا الى المنادمة في موضع آخر فرأيته محفوفا باللطائف وجعل صاحب المنزل يتلطّف بي ويقبل عليّ بالحديث لظنه اني ضيف لا ضيـــافه و هم كذلك يلاطفونني غاية المـــلاطفة لظنهم انني صاحب ربّ المنزل ولم يزل جميعهم في ملاطفتي حتى شربنا اقداحا ثم خرجت علينا جارية كأنّها غصن بان وهي في غاية الظرف وحسن الهيئة فاخذت العود واطربت بالنغمات و انشدت هذه الابيـــــــــــــــات

أَلَيْسَ عَجِيبًـــا أَنَّ بَيْتًـــا يَضُمُّنَا ... وَإِيَّاكَ لَا تَـــدْنُو وَلَا تَتَكَلَّمُ
سِوَى أَعْيُنٍ تُبْدِي سَرَائِرَ أَنْفُسٍ ... وَتَقْطِيعُ أَكْبَادٍ عَلَى النَّارِ تُضْرَمُ
إِشَارَةُ أَلْحَـــاظٍ وَغَمْزُ حَوَاجِبٍ ... وَتَكْسِيرُ أَجْفَانٍ وَكَفٌّ تُسَـــلِّمُ

فهيّجت بلابلي يا امير المؤمنين واخذني الطرب من فرط جمالهـــا

Digitized by Google

اربعين الف دينار فانت اولى بها و اعطني من خالص مالك الف دينار حلالا اجعلها رأس مال واستعين بها على التوبة واستغني بها عن الحرام واجرك على الله تعالى ثم انه فتح الصندوق ليرى الوالي ما فيه و اذا به مصاغ و جواهر و معادن و فصوص و لؤلؤ فادهشه ذلك و فرح به فرحا شديدا و صاح على خازندارة و قال له احضر الكيس الفلاني و كان فيه الف دينار و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوالي صاح على خازندارة و قال له احضر الكيس الفلاني و كان فيه الف دينار فلما احضر الخازندار ذلك الكيس اعطاه للرجل فاخذه منه و شكره على فعله و مضى الى حال سبيله تحت الليل فلما اصبح الصباح احضر الوالي قيّم الصاغة فلما حضر اراه ذلك الصندوق و ما فيه من المصاغ فوجده جميع ذلك من العزير و النحاس و رأى الجواهر و الفصوص واللؤلؤ كلها من الزجاج فعظم ذلك على الوالي و ارسل في طلبه فلم يقدر احد على تحصيله

ومما يحكى

ان امير المؤمنين المأمون قال لابراهيم بن المهدي حدّثنا باعجب ما رأيت قال سمعا و طاعة يا امير المؤمنين اعلم انّي خرجت يوما للنزهة فانتهى بي المشي الى موضع فشممت فيه رائحة الطعام فاشتاقت نفسي اليه و وقفت يا امير المؤمنين متحيّرا لا اقدر على المضيّ ولا على دخول ذلك الموضع فرفعت بصري واذا انا بشباك و من خلفه كفّ

Digitized by Google

ان شاء الله تعالى اخلّص الجارية والكيس ثم ان اللص رجع الى دار الصيرفي فوجده يعاتب الجارية لاجل الكيس فدقّ عليه الباب فقال له مَنْ هذا قال له انا غلام جارك الذي في القيسرية فخرج اليه و قال له ما شانك فقال له انّ سيدي يسلّم عليك و يقول لك قد تغيّرت احوالك كلّها كيف ترمي بمثل هذا الكيس على باب الدكان و تروح و تخلّيه ولو لقيه احد غريب كان اخذه وراح ولولا ان سيدي رآه وحفظه لكان ضاع عليك ثم اخرج الكيس واراه اياه فلما رآه الصيرفي قال هذا كيسي بعينه و مدّيده ليأخذه منه فقال له و الله ما اعطيك اياه حتى تكتب ورقة لسيدي انك تسلّمتَ الكيس مني فاني اخاف ان لا يصدّقني في انك اخذت الكيس و تسلّمته حتى تكتب لي ورقة له و تختمها فدخل الصيرفي ليكتب له ورقة بوصول الكيس كما ذكر فذهب اللص بالكيس الى حال سبيله و خلصت الجارية من العذاب

ومما يحكى

ان علاء الدين والي قوص كان جالسا ذات ليلة من الليالي في بيته و اذا بشخص حسن الصورة و المنظر كامل الهيئة قد اتاه في الليل و معه صندوق على رأس خادم و وقف على البـــاب و قال لبعض غلمان الامير ادخل و اعلم الاميراني اريد الاجتماع به من اجل سرّ فدخل الغلام و اعلمه بذلك فامره بادخاله فلما دخل رآه الامير عظيم الهيئة حسن الصورة فاجلسه الى جانبه واكرم مثواه و قال له ما حاجتك فقال له انا رجل من قطّاع الطريق و اريد التوبة و الرجوع الى الله تعالى على يديك و اريد ان تساعدني على ذلك لانني صرت في طرقك وتحت نظرك ومعي هذا الصندوق فيه شيء قيمته نحو

Digitized by Google

معه خرج على الحمار قلت لهم و ما فيه قالوا لا ندري. قلت لهم علّي به فاحضروه بين يدي فامرت بفتحه و اذا فيه رجل مقتول مقطّع فلما رأيته تعجبت من ذلك و قلت في نفسي! سبحان الله ما كان سبب شنق هذا الفلّاح الأذنب هذا المقتول و ما ربّك بظلّام للعبيد

ومما يحكى

ان رجلا من الصيارف كان معه كيس ملآن ذهبا و قد مرّ على اللصوص فقال واحد من الشطار انا اقدر على اخذ الكيس فقالوا له كيف تصنع فقال انظروا ثم تبعه الى منزله فدخل الصيرفي و رمى الكيس على الصفّة و كان حائنا فدخل بيت الراحة لازالة الضرورة و قال للجارية هاتي ابريق ماء فاخذت الجارية الابريق و تبعته الى بيت الراحة و تركت الباب مفتوحا فدخل اللص و اخذ الكيس و ذهب الى اصحابه و اعلمهم بماجرى و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اللص اخذ الكيس و ذهب الى اصحابه و اعلمهم بماجرى له مع الصيرفي و الجارية فقالوا له والله ان الذي عملته شطارة و ما كل انسان يقدر عليه و لكن في هذا الوقت يخرج الصيرفي من بيت الراحة فلم يجد الكيس فيضرب الجارية و يعذّبها عذابا اليما فكأنّك ما عملت شيأ تفكر عليه فان كنت شاطرا فخلّص الجارية من الضرب و العذاب فقال لهم

Digitized by Google

و اذا بهم كما قال الغلام فقلت لهم ما شانكم فقالوا اننا لصوص و غنمنا في هذه الليلة غنيمة عظيمة و جعلنا ها برسمك لتستعين بها على هذه القضية التي انت مهموم بسببها و تسدّبها الدين الذي عليك فقلت لهم و اين الغنيمة فاحضروا لي صندوقا كبيرا ممتلئا اواني من ذهب و فضة فلما رأيته فرحت و قلت في نفسي اسدّ الدين الذي عليّ من هذا و تفضل لي قدر الدين مرة اخرى فاخذته و دخلت الدار و قلت في نفسي ليس من المروة ان ادعهم يذهبون من غير شيء فاخذت المائة الف دينار التي كانت عندي و دفعتها اليهم و شكرت صنعهم فاخذوا الدنانير و مضوا تحت الليل الى حال سبيلهم و لم يعلم بهم احد فلما اصبح الصباح رأيت ما في الصندوق نحاسا مطليا بالذهب والقزير يساوي كله خمسمائة درهم فعظم عليّ ذلك و ضاعت الدنانير التي كانت معي و ازددت غمّا على غمّي و هذا اعجب ما جرى لي في زمن ولايتي * فقام والي مصر القديمة و قال يا مولانا السلطان و امّا انا فاعجب ما جرى لي في مدة ولايتي اني شنقت عشرة لصوص و جعلت كلواحد على خشبة وحده و اوصيت الحرّاسين انهم يحفظونهم و لا يتركون الناس يأخذون احدا منهم فلما كان من الغد جئت لانظرهم فنظرت مشنوقين على خشبة واحدة فقلت للحراسين من فعل هذا و اين الخشبة التي عليها المشنوق الثاني فانكروا ذلك فاردت ان اضربهم فقالوا اعلم ايها الامير اننا نمنا البارحة فلما انتبهنا و جدنا مشنوقا واحدا سرق هو و الخشبة التي كان عليها فخفنا منك و اذا برجل فلّاح مسافر قد اقبل علينا و معه حمار فقضبنا عليه و قتلناه و شنقناه مكان الذي سرق على هذه الخشبة فتعجبت من ذلك و قلت لهم و ما كان مع الفلاح فقالوا كان

Digitized by Google

ايها الوالي تفضّلْ كلّم القاضي فانه يدعوك فقمت معه و مضيت الى القاضي ولا اعلم ما سبب ذلك فلما دخلت عليه رأيت الشاهدين و صاحب الدار الذي اعطاني الثلثمائة دينار جالسين عنده فقام صاحب الدار و ادعى عليّ بثلثمائة دينار فما وسعني الانكار فاخرج مسطورا و شهد فيه هذان الشاهدان العدلان عليّ بثلثمائة دينار فثبت ذلك عند القاضي بشهادة الشاهدين فامرني بدفع ذلك المبلغ فما خرجت من عندهم حتى اخذوا مني الثلثمائة دينار فاغتظت و نويت لهم كل سوء وندمت على عدم تنكيلهم و انصرفت و انا في غاية الخجل و هذا اعجب ما وقع لي في مدة ولايتي * فقام والي بولاق و قال و امّا انا يا مولانا السلطان فاعجب ما وقع لي في مدة ولايتي انه كمل عليّ من الدين ثلثمائة الف دينار فاضربي ذلك و بعتُ ما ورائي و ما قدّامي وما كان بيدي فجمعت مائة الف دينار من غير زيادة و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان والي بولاق قال بعت ما ورائي و ما قدّامي فجمعت مائة الف دينار من غير زيادة و بقيت في حيرة عظيمة فبينما انا جالس في داري ليلة من الليالي و انا في هذه الحال واذا بطارق يطرق الباب فقلت لبعض الغلمان انظر من بالباب فخرج ثم عاد اليّ و هو معفّر الوجه متغيّر اللون مرتعد الفرائص فقلت له ما دهاك فقال ان بالباب رجلا عريانا و عليه ثياب من الجلد و معه سيف و في وسطه سكّين و معه جماعة على هيئته و هو يطلبك فاخذت السيف في يدي و خرجت لانظر مَنْ هؤلاء

Digitized by Google

والفساد وما قدرت عليهما بحيلة لانتقم منهما بها وعجزت عن ذلك فاوصيت الخمّارين والنقليين والفكهانيين والشماعين وارباب البيوت المعدّة للفساد ان يخبرني بهذين الشاهدين متى كانا في مكان يشربان او يفسدان سواء كان مع بعضهما او متفرّقين وان اشتريا او اشترى احدهما منهم شيأ من الاشياء المعدّة للشراب فلا يخفوه عني فقالوا سمعا وطاعة فاتفق في بعض الايام انه حضر اليّ رجل ليلا وقال يامولانا اعلم ان الشاهدين في المكان الفلاني في الدرب الفلاني في دار فلان وانهما في منكر عظيم فقمت وتخفيت انا وغلامي ومضيت اليهما منفردا من غير احد معي غير غلامي ولم ازل ما شيا حتى وقفت على الباب وطرقته فاتت اليّ جارية وفتحت لي الباب وقالت مَنْ انت فدخلت ولم اردّ عليها جوابا فرأيت الشاهدين وصاحب الدار جلوسا وعندهم نساء بغايا ومن الشراب شيٌ كثير فلما رأوني قاموا اليّ وعظّموني واجلسوني في صدر المقام وقالوا لي مرحبا بك من ضيف عزيز ونديم ظريف واستقبلوني من غير خوف مني ولا فزع وبعد ذلك قام صاحب الدار من عندنا وغاب ساعة ثم عاد ومعه ثلثمائة دينار وليس عنده من الخوف شيٌ وقالوا اعلم يا مولانا الوالي انك تقدر على اكثر من هتيكتنا وفي يديك تعزيرنا ولكن لا يعود عليك من ذلك الّا التعب فالرأي ان تأخذ هذا القدر وتستر علينا فان الله تعالى اسمه الستّار ويحب من عباده الستيرين ولك الاجر والثواب فقلت في نفسي خذ هذا الذهب منهم واستر عليهم في هذه المرّة واذا قدرت عليهم مرّة اخرى فانتقم منهم فطمعت في المال واخذته منهم وتركتهم وانصرفت ولم يشعر بي احد فما اشعر في ثاني يوم الّا ورسول القاضي جاء اليّ وقال

Digitized by Google

الخرج بهذه السكين واخذت الكيس هكذا ومدّيده واخذ الكيس من بين ايادى الوالي والجندي وتأخّر الى خلف الوالي والجندي والناس ينظرون اليه ويعتقدون انه يريهم كيف اخذ الكيس من الخرج واذا به قد جرى ورمى نفسه في بِرْكة فصاح الوالي على حاشيته وقال اَلْحقوه وانزلوا خلفه فانزعوا ثيابهم ونزلوا فى الدرج حتى كان الشاطر مضى الى حال سبيله وفتّشوا عليه فلم يجدوه وذلك ان ازقّة الاسكندرية كلها تنفذ الى بعضها ورجع الناس ولم يحصلوا الشاطر فقال الوالي للجندي لم يبق لك عند الناس حق لانك عرفت غريمك وتسلّمت مالك وما حفظتَه فقام الجندي وقد ضاع عليه ماله وخلصت الناس من يدي الجندي والوالي وكل ذلك من فضل الله تعالى

ومما يحكى

ان الملك الناصر احضر الولاة الثلثه في بعض الايام والى القاهرة ووالي بولاق ووالي مصر القديمة وقال اريدان كلواحد منكم يخبرني باعجب ماوقع له في مدة ولايته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايّها الملك السعيدان الملك الناصر قال للولاة الثلثة اريدان كلواحد منكم يخبرني باعجب ما وقع له في مدة ولايته فاجابوه بالسمع والطاعة ثم قال والي القاهرة اعلم يا مولانا السلطان ان اعجب ما وقع لي في مدة ولايتي انه كان بهذه المدينة عدلان يشهدان على الدماء والجراحات وكانا مولعين بحب النساء وشرب الشراب

Digitized by Google

حتى ارسل الوالي و احضر المقدمين و امرهم باحضار جميع من في الخان و امر بسجنهم الى الصباح فلما جاء الصبح امر باحضار آلة العقوبة و احضر هؤلاء الناس بحضرة الجندي صاحب الدراهم و اراد عقابهم واذا برجل قد اقبل و شق الناس حتى وقف بين يدي الوالي و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوالي اراد عقابهم واذا برجل قد اقبل و شق الناس حتى وقف بين يدي الوالي والجندي فقال ايها الامير اطلق هؤلاء الناس كلهم فانهم مظلومون و انا الذي اخذت مال هذا الجندي و هاهو الكيس الذي اخذته من خرجه ثم اخرجه من كمه و وضعه بين يدي الوالي و الجندي فقال الوالي للجندي خذ مالك و تسلمه فما بقي لك على الناس سبيل و صار الناس و جميع الحاضرين يثنون على ذلك الرجل و يدعون له ثم ان الرجل قال ايها الامير ما الشطارة اني جئت اليك بنفسي و احضرت هذا الكيس وانما الشطارة في اخذ هذا الكيس ثانيا من هذا الجندي فقال له الوالي وكيف فعلت يا شاطر حين اخذته فقال ايها الامير اني كنت واقفا في مصر في سوق الصيارف اذ رأيت هذا الجندي لما صرف هذا الذهب و وضعه في هذا الكيس فتبعته من زقاق الى زقاق فلم اجد لي الى اخذ المال منه سبيلا ثم انه سافر فتبعته من بلد الى بلد وصرت احتال عليه في اثناء الطريق فما قدرت على اخذه منه فلما دخل هذه المدينة تبعته حتى دخل في هذا الخان فنزلت الى جانبه ورصدته حتى نام وسمعت خطيطه فمشيت اليه قليلا قليلا وقطعت

Digitized by Google

وبانيه وصاحب بدوره السافرة واحواله الفاخرة وتحفه الزاهيه وجواريه الباهية لكن الزمان قد مال فاذهب الخدم والمال وصيّرني في هذه الحالة الراهنة ودهمني بحوادث كانت عنده كامنة لكن لابدّ لسوالك هذا من سبب فاخبرني عنه واترك العجب فاخبره الرجل بجميع القصة وهو في الم وغصة وقال له قد جئتك بهدية فيها النفوس ترغب وثمن صحنك الذي اخذته من الذهب فانه كان سببا لغنائي بعد الفقر ولعمار ربعي وهو قفر ولزوال ما كان عندي من الهم والحصر فهزّ الرجل رأسه وبكى وانّ واشتكى وقال يا هذا اظنّك مجنونا فان هذا الامر لايكون من عاقل كيف يتكرّم عليك كلب من كلابنا بصحن من الذهب وارجع انا فيه فرجوعي فيما تكرّم به كلبي من العجب ولوكنت في اشد الهمّ والوصب والله لا يصل اليّ منك شيءٌ يساوي قُلامة فامض من حيث جئت بالصّحة والسلامة فقبّل الرجل قدميه وانصرف راجعا يثني عليه ثم انه عند فراقه وداعه انشد هذا البيت

ذَهَبَ النَّاسُ وَالْكِلَابُ جَمِيعًا فَعَلَى النَّاسِ وَالْكِلَابِ السَّلَامُ

والله اعلم

ومما يحكى

انه كان بثغر الاسكندرية وال يقال له حُسام الدين فبينما هو جالس في دسته ذات ليلة اذْ اقبل عليه رجل جندي وقال له اعلم يا مولانا الوالي اني دخلت هذه المدينة في هذه الليلة ونزلت في خان كذا فنمت فيه الى ثلث الليل فلما انتبهت وجدت خرجي مشروطا وقد سُرق منه كيس فيه الف دينار فلم يتمّ كلامه

Digitized by Google

ثم انه اخذ هدية تليق به واخذ معه ثمن الصحن و سافر و لم يزل مسافرا ايا ما و ليالي حتى و صل الى تلك المدينة فدخلها و اراد الاجتماع به فمشى في شوارعها حتى اقبل على محلّه فلم ير الّا طللا باليا و غرابا ناعبا وديارا قد قفرت و احوالا قد تغيّرت و حالا قد تنكّرت فارتجف منه القلب و البال و انشد قول من قال

خَلَتِ الزَّوَايَا مِنْ خَبَايَاهَا كَمَا ... خَلَتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالتُّقَى
وَتَنَكَّرَ الْوَادِي فَمَا غِزْلَانُهُ ... تِلْكَ الظِّبَاءُ وَلَا النَّقَى ذَاكَ النَّقَى

وقول الآخر

سَرَى طَيْفُ سُعْدَى طَارِقًا يَسْتَفِزُّنِي ... سُحَيْرًا وَصَحْبِي بِالْفَلَاةِ رُقُودُ
فَلَمَّا انْتَبَهْنَا لِلْخَيَالِ الَّذِي سَرَى ... أَرَى الْجَوَّ قَفْرًا وَالْمَزَارَ بَعِيدُ

ثم ان ذلك الرجل لما شاهد تلك الاطلال البالية وراى ما صنعت بها ايدى الدهر علانية ولم يجد بعد العين الا الاثر اغناه الخبر عن الخبر و التفت فرأى رجلا مسكينا في حالة تقشعرّ منها الجلود ويحنّ اليه الحجر الجلمود فقال ياهذا ماصنع الدهر والزمان بصاحب هذا المكان واين بدورة السافرة ونجومه الزاهرة وما سبب الحادث الذي حدث على بنيانه حتى لم يبق فيه غير جُذْرانه فقال له هو هذا المسكين الذي تراه وهو يتأوّه مماعراه ولكن اما تعلم ان في كلام الرسول عبرة لمن به اقتدى و موعظة لمن به اهتدى حيث قال صلى الله عليه وسلم إنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ تَعَالَى اَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْأً مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ فان كان سوالك عن مال هذا الامر من سبب فليس مع انقلاب الدهر عجب انا صاحب هذا المكان ومنشئه ومالكه

Digitized by Google

و اكرم مثواهم فاخذ للرجل المذكور الوهم من ذلك الامر و انده ش مما رأه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الرجل المذكور اخذه الوهم من ذلك الامر و اندهش مما رأه من حسن البنيان و الخدم و الحشم فتأخر الى ورائه و هو في حيرة وكرب خائفا على نفســه حتى جلس في محل وحده بعيدا عن الناس بحيث لا يراه احد فبينما هو جالس اذا قبل رجل و معه اربعة كلاب من كلاب الصيد وعليهم انواع القز و الديباج و في اعناقهم اطواق من الذهب بسلاسل الفضة فربط كل واحد منهم في محل منفرد له ثم غاب و اتى لكل كلب بصحن من الذهب ملآن طعاما من الاطعمة الفاخرة و وضــع لكل واحد صحنه على انفراده ثم مضى و تركهم فصار هذا الرجل ينظر الى الطعام من شــدة جوعه و يريدان يتقدم الى كلب منهم و يأكل معه فيمنعه الخــوف منهم ثم ان كلبا منهم نظر اليه فالهمه الله تعالى معرفة حاله فتأخر عن الصحن و اشار اليه فاقبل و اكل حتى اكتفى و اراد ان يذهب فاشار اليه الكلب ان يأخذ الصحن بمــا فيه من الطعــام لنفسه و القاه له بيده فاخذه و خرج من الدار وصــار و لم يتبعه احد ثم سافر الى مدينة اخرى فباع الصحن و اخذ بثمنه بضائع و توجه بها الى بلده فباع ما معــه و قضى ما كان عليه من الديون وكثر رزقه و صــار في نعمة زائدة و بركة عميمة و لم يزل مقيما في بلده مدة من الزمان و بعد ذلك قال في نفسه لابد انني اسافر الى مدينة صاحب الصحن و أخذ له هدية مليحة لائقة و ادفع له ثمن الصحن الذي انعم عليّ به كلب من كلابه

Digitized by Google

عن رشده ثم ناوله قدحا فشرب منه جرعة واستدامه في يده فامرها الخليفة ان تاخذ القدح من يده و تخفيه فاخذت القدح من يده واخفته بين افخاذها ثم ان الخليفة سحب سيفه في يده ووقف على راس ابي نواس و وكزه بالسيف فا ستفاق فوجد السيف مسلولا في يد الخليفة فطار السكر من راسه فقال له الخليفة انشدني شعرا واخبرني فيه عن قد حك و الّا ضربت عنقك فا نشد هذه الابيات

قِصَّتِي اَعْظَمُ قِصَّهْ ... صَارَتِ الطَّبْيَقَةُ لِصَّهْ
سَرَقَتْ كَأْسَ مُدَامِي ... وَامْتَصَاصِي مِنْهُ مُصَّهْ
سَتَرَتْهُ فِي مَكَانٍ ... بِفُؤَادِي مِنْهُ غُصَّهْ
لَا اُسَمِّيهِ وَقَارًا ... لِلْخَلِيفَةِ فِيهِ حِصَّهْ

قال له امير المؤمنين قا تلك الله من اين علمتَ ذلك ولكن قد قبلنا ما قلتَ واصرله بخلعة والف دينار وانصرف مسرورا

ومما يحكى

ان رجلا كثرت عليه الديون وضاق عليه الحال فترك اهله وعياله وخرج هائما على وجهه ولم يزل سائرا الى ان اقبل بعد مدة على مدينة عاليه الاسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو في حالة الذلّ والانكسار وقد اشتدّ به الجوع واتعبه السفر فمرّ في بعض شوارعها فرأى جماعة من الاكابر متوجّهين فذهب معهم الى ان دخلوا في محل يشبه محل الملوك فدخل معهم ولم يزالوا داخلين الى ان انتهوا الى رجل جالس في صدر المكان وهو في هيئة عظيمة وجلالة جسيمة وحوله الغلمان والخدم كأنّه من ابناء الوزراء فلما رأهم قام اليهم

Digitized by Google

فَرَأَتْ عَيْنَايَ شَخْصًا اَسْوَدًا ... وَهْيَ بَيْضَا قَدْ تَغَطَّتْ بِالشَّعَرْ
يَا لَهَا مِنْ بَدْرِتَمٍّ زَاهِرٍ ... كَقَضِيبِ الْبَانِ يَغْشَاهُ الْخَفَرْ
فَشَرِبْتُ الْكَاسَ مِنْهَا جُرْعَةً ... ثُمَّ اَقْبَلْتُ وَقَبَّلْتُ الْاَثَرْ
فَاسْتَفَاقَتْ وَهْيَ فِي غَشْيَتِهَا ... تَدْفَعُنِي كَالْغُصْنِ فِي وَقْتِ الْمَطَرْ
ثُمَّ قَامَتْ وَهْيَ لِي قَائِلَةٌ ... يَا اَمِينَ اللّٰهِ مَا هٰذَا الْخَبَرْ
قُلْتُ ضَيْفٌ طَارِقٌ فِي حَيِّكُمْ ... يَرْتَجِي الْمَأْوٰى اِلٰى وَقْتِ السَّحَرْ
فَاَجَابَتْ بِسُرُورٍ سَيِّدِي ... اَكْرِمِ الضَّيْفَ بِسَمْعِي وَالْبَصَرْ

فقال له الخليفة قاتلك الله كأنّك كنت حاضرا معنا ثم اخذه الخليفة من يده و توجّه به الى الجارية فلما رأها ابو نواس وكان عليها بدلة زرقاء و قناع ازرق اكثر التعجبات و انشد هذه الابيات

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْقِنَاعِ الْاَزْرَقِ ... بِاللّٰهِ يَا رُوحِي عَلَيَّ تَرَفَّقِي
اِنَّ الْمُحِبَّ اِذَا جَفَاهُ حَبِيبُهُ ... هَاجَتْ بِهِ زَفَرَاتُ كُلِّ تَشَوُّقِ
فَبِحَقِّ حُسْنِكِ مَعْ بَيَاضٍ زَانَهُ ... اِلَّا رَثَيْتِ لِقَلْبِ صَبٍّ مُحْرِقِ
حُنِّي عَلَيْهِ وَسَاعِدِيهِ عَلَى الْهَوٰى ... لَاتَقْبَلِي فِيهِ كَلَامَ الْاَحْمَقِ

فلما فرغ ابونواس من شعره قدمت الجارية الشراب للخليفة ثم اخذت العود بيدها واطربت بالنغمات و انشدت هذه الابيات

اَتُنْصِفُ غَيْرِي فِي هَوَاكَ وَتَظْلِمُ ... وَتُبْعِدُنِي وَالْغَيْرُ فِيكَ مُنَعَّمُ
وَلَوْكَانَ لِلْعُشَّاقِ قَاضٍ شَكَوْتُكُمْ ... اِلَيْهِ عَسَاهُ بِالْحَقِيقَةِ يَحْكُمُ
فَاِنْ تَمْنَعُونِي اَنْ اَمُرَّ بِبَابِكُمْ ... فَاِنِّي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعِيدٍ اُسَلِّمُ

ثم ان امير المؤمنين امر باكثار الشراب على ابي نواس حتى غاب

Digitized by Google

أَحْمَرَةٌ وَجَنَتَيْكَ كَسَتْكَ هٰذَا ... أَمْ أَنْتَ صَبَغْتَهُ بِدَمِ الْقُلُوبِ
فَقَالَ الشَّمْسُ اهْدَتْ لِي قَمِيصًا ... قَرِيبُ الْعَهْدِ مِنْ شَفَقِ الْمَغِيبِ
فَثَوْبِي وَالْمُدَامُ وَلَوْنُ خَدِّي ... شَقِيقٌ فِي شَقِيقٍ فِي شَقِيقِ

فلما فرغ ابونواس من شعره خلع الامرد الثوب الاحمر وبقي في الثوب الاسود فلما رآه ابونواس اكثر اليه الالتفات وانشد هذه الابيات

تَبَدَّى فِي قَمِيصٍ مِنْ سَوَادٍ ... تَجَلَّى فِي الظَّلَامِ عَلَى الْعِبَادِ
فَقُلْتُ لَهُ عَبَرْتَ وَلَمْ تُسَلِّمْ ... وَاشْمَتَّ الْحَوَاسِدَ وَالْأَعَادِي
فَثَوْبُكَ مِثْلُ شَعْرِكَ مِثْلُ حَظِّي ... سَوَادٌ فِي سَوَادٍ فِي سَوَادِ

فلما رأى ذلك الحاجب علم بحال ابي نواس وغرامه فرجع الى الخليفة واخبره بحاله فاحضر الخليفة الف درهم وامر الحاجب ان يأخذها ويرجع بها الى ابي نواس ويدفعها عنه ويخلصه من الرهن فرجع الحاجب الى ابي نواس وخلصه وتوجه به الى الخليفة فلما وقف بين يديه قال له الخليفة انشد لي شعرا يكون فيه يا امين الله ما هذا الخبر * فقال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا نواس قال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ثم انشد هذه الابيات

طَالَ لَيْلِي بِالْعَوَادِي وَالسَّهَرْ ... فَانْضَنَى جِسْمِي وَأَكْثَرْتُ الْفِكَرْ
قُمْتُ أَمْشِي فِي مَحَلِّي تَارَةً ... ثُمَّ طَوْرًا فِي مَقَاصِيرِ الْحُجَرْ

Digitized by Google

مدة بعشرة آلاف درهم واراد ان يهبني لك فارسلت اليه ابنة عمك الثمن المذكور و امرته ان يحجبني عنك في هذه المقصورة فقال لها تمنّي عليّ قالت تمنّيت عليك ان تكون ليلة عند عندي فقال ان شاء الله ثم تركها ومضى فلما اصبح الصباح توجّه الى مجلسه وارسل الى ابي نواس فلم يجده فارسل الحاجب يسأل عنه فرأه مرتهنا في بعض الخمارات على الف درهم انفقها على بعض المُرْد فسأله الحاجب عن حاله فقصّ عليه قصته وما وقع له مع امرد مليح انفق عليه الالف درهم فقال له ارني اياه فان كان يستحقّ ذلك فانت معذور فقال له اصبر وانت تراه في هذه الساعة فبينما هما في الحديث و اذا بالامرد قد اقبل و دخل عليهما وعليه ثوب ابيض ومن تحته ثوب احمر و من تحته ثوب اسود فلما شاهده ابو نواس صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

تَبَدّى فِي قَمِيصٍ مِنْ بَيَاضٍ ... بِأَجْدَاثٍ وَأَجْفَانٍ مِرَاضٍ
فَقُلْتُ لَهُ عَبَرْتَ وَلَمْ تُسَلِّمْ ... وَإِنِّي مِنْكَ بِالتَّسْلِيمِ رَاضِ
تَبَارَكَ مَنْ كَسَا خَدَّيْكَ وَرْدًا ... وَيَخْلُقُ مَا يَشَاءُ بِلَا اعْتِرَاضِ
فَقَالَ دَعِ الْجِدَالَ فَإِنَّ رَبِّي ... بَدِيعُ الصُّنْعِ مِنْ غَيْرِ انْتِقَاضِ
فَثَوْبِي مِثْلُ وَجْهِي مِثْلُ حَظِّي ... بَيَاضٌ فِي بَيَاضٍ فِي بَيَاضِ

فلما سمع الامرد هذا الكلام نزع الثوب الابيض من فوق الثوب الاحمر فلما رأه ابو نواس اكثر التعجبات و انشد هذه الابيات

تَبَدّى فِي قَمِيصٍ مِنْ شَقِيقٍ ... عَدُوٌّ لِي يُلَقَّبُ بِالْحَبِيبِ
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ أَنْتَ بَدْرٌ ... وَقَدْ أَقْبَلْتَ فِي زِيٍّ عَجِيبِ

Digitized by Google

مقصورة عليها ستر فرفع ذلك الستر فرأى في صدرها تختا وعلى ذلك التخت شيء اسود كانه انسان نائم وعلى يمينه شمعة وعلى يساره شمعة فبينما هو ينظر الى ذلك ويتعجب منه واذا ببساطية مملوءة خمر اعتيقا والكاس عليها فلما رأى ذلك امير المؤمنين تعجب في نفسه وقال اتكون هذه الصحبة لمثل هذا الاسود ثم دنا من التخت فرأى الذي فوقه صبية نائمة وقد تجللت بشعرها فكشف عن وجهها فرأها كانها البدر ليلة تمامه فملأ الخليفة الكاس من الخمر وشربه على وردخدها ومالت نفسه اليها فقبل اثرا كان بوجهها فانتبهت من منامها وهي قائلة يا امين الله ما هذا الخبر * فقال ضيف طارق في حيكم * كي تضيفوه الى وقت السحر * قالت نعم بالسمع مني والبصر * ثم قدمت الشراب فشربا معا ثم اخذت العود واصلحت اوتاره وضربت عليه احدى وعشرين طريقة ثم عادت الى الطريقة الاولى واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

لِسَانُ الْهَوَى فِي مُهْجَتِي لَكَ نَاطِقُ ... يُخْبِرُ عَنِّي اَنَّنِي لَكَ عَاشِقُ
وَلِي شَاهِدٌ عَنْ فَرْطِ سُقْمِي مُعْرِبٌ ... وَقَلْبٌ جَرِيحٌ مِنْ فِرَاقِكَ خَافِقُ
وَلَمْ اَكْتُمِ الْحُبَّ الَّذِي قَدْ اَذَابَنِي ... وَوَجْدِي مَزِيدٌ وَالدُّمُوعُ سَوَابِقُ
وَمَا كُنْتُ اَدْرِي قَبْلَ حُبِّكَ مَا الْهَوَى ... وَلٰكِنْ قَضَاءُ اللّٰهِ فِي الْخَلْقِ سَابِقُ

فلما فرغت من شعرها قالت انا مظلومة يا امير المؤمنين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت انا مظلومة يا امير المؤمنين قال ولم ذلك ومن ظلمك قالت ان ولدك اشتراني من

Digitized by Google

مبلغ ذلك الثمن ستين الف دينار فاحملها صحبتك و توجّه الى منزله و اشترهن منه فاخذ محمد البصري منه ذلك القدر وتوجه به فلما و صل الى سيد الجواري اخبره بان امير المؤمنين يريد اشتراء هن منه بذلك المبلغ فسمح ببيعهن لاجل خاطر امير المؤمنين وارسلهن اليه فلما وصلت الجواري الى امير المؤمنين هيّأ لهن مجلسا لطيفا و صار يجلس فيه معهن وينادمهنّ و قد تعجب من حسنهن وجمالهن و اختلاف الوانهن وحسن كلامهن و قد استمرّ على ذلك مدة من الزمان ثم ان سيد هن الاول الذي باعهن لما لم يكن له صبر على فراقهن ارسل كتابا الى امير المؤمنين المأمون يشكو اليه فيه ما عنده للجواري من الصبابات و من ضمنه هذه الابيات

سَلَبْتَنِي سِتَّ مِلَاحٍ حِسَانٍ ... فَعَلَى السِّتَّةِ الْمِلَاحِ سَلَامِي
هُنَّ سَمْعِي وَنَاظِرِي وَحَيَاتِي ... وَ شَرَابِي وَ نُزْهَتِي وَ طَعَامِي
لَسْتُ اَسْلُو مِنْ حُسْنِهِنَّ وَصَالًا ... ذَا هِبٌ بَعْدَ هُنَّ طِيْبُ مَنَامِي
آهِ يَا طُوْلَ حَسْرَتِي وَ بُكَائِي ... لَيْتَنِي مَا خُلِقْتُ بَيْنَ الْاَنَامِ
وَعُيُوْنٍ قَدْ زَانَهُنَّ جُفُوْنٌ ... كَقِسِيٍّ رَمَيْنَنِي بِسِهَامِ

فلما وقع ذلك الكتاب في يد الخليفه المأمون كسا الجواري من الملابس الفاخرة و اعطاهن ستين الف دينار وارسلهن الى سيد هن فوصلن اليه و فرح بهن غاية الفرح اكثر مما اتى اليه من المال واقام معهن في اطيب عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات

ومما يحكى

ان الخليفة امير المؤمنين هارون الرشيد قلق ذات ليلة قلقا شديدا وتفكّر فكرا عظيما فقام يتمشى في جوانب قصره حتى انتهى الى

Digitized by Google

فشكلي مليح وقدي رجيح ولوني ترغب فيه الملوك ويعشقه كل غني وصعلوك وانا لطيفة خفيفة مليحة ظريفة ناعمة البدن غالية الثمن وقد كملت في الملاحة والادب والفصاحة فظاهري مليح ولساني فصيح ومزاجي خفيف ولعبي ظريف واما انتِ فمثل ملوخية باب اللوق صفراء وكلها عروق فتعسًا لكِ يا قدرة الرواس ويا صدأ النحاس وطلعة البوم وطعام الزقوم فضجيعك بضيق الانفاس مقبور في الارماس وليس لك في الحسن مأثر وفي مثلك قال الشاعر

عَلَيْهَا اصْفِرَارٌ زَادَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... يَضِيقُ لَهُ صَدْرِي وَتُوجِعُنِي رَأْسِي
إِذَا لَمْ تَتُبْ نَفْسِي فَإِنِّي أُذِلُّهَا ... بِلُؤْمٍ مُحَيَّاهَا فَتَقْلَعُ أَضْرَاسِي

فلما فرغت من شعرها قال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية ثم بعد ذلك وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الجارية لما فرغت من شعرها قال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية ثم بعد ذلك اصلح بينهن والبسهن الخلع السنية ونقطهن بنفيس الجواهر البرية والبحرية فما رأيت يا امير المؤمنين في مكان ولا زمان احسن من هؤلاء الجواري الحسان فلما سمع المأمون هذه الحكاية من محمد البصري اقبل عليه وقال له يا محمد هل تعرف لهؤلاء الجواري وسيدهن محلا وهل يمكنك ان تشتري بهن لنا من سيدهن فقال له محمد يا امير المؤمنين قد بلغني ان سيدهن مغرم بهن ولا يمكنه مفارقتهن فقال المأمون خذ معك الى سيدهن في كل جارية عشرة آلاف دينار فيكون

Digitized by Google

الحمد لله الذي خلقني لا سمينة مذمومة ولا هزيلة مهضومة ولا بيضاء كالبرص ولا صفراء كالمغص ولا سوداء بلون الهباب بل جعل لوني معشوقا لاولى الالباب و سائر الشعراء يمدحون السمر بكل لسان و يفضّلون الوانهم على سائر الالوان فاسمر اللون حميد الخصال و لله درّمن قال

وَفِي السُّمْرِ مَعْنًى لَوْ عَلِمْتَ بَيَانُهُ ... لَمَا نَظَرَتْ عَيْنَاكَ بِيضًا وَلَا حُمْرًا
لَبَاقَةُ أَلْفَاظٍ وَغُنْجُ لَوَاحِظٍ ... يُعَلِّمْنَ هَارُوتَ الْكَهَانَةِ وَالسِّحْرَا

وقول الآخر

مَنْ لِي بِأَسْمَرَ تُرْوَى عَنْ مَعَاطِفِهِ ... السُّمْرِ الرَّشَاقِ عَوَالٍ سَمْهَرِيَّاتُ
سَاجِي الْجُفُونِ حَرِيرِيُّ الْعِذَارِ لَهُ ... فِي قَلْبِ عَاشِقِهِ الْمُضْنَى مَقَامَاتُ

وقول الآخر

بِالرُّوحِ أَسْمَرَ نُقْطَةٌ مِنْ لَوْنِهِ ... تَدَعُ الْبَيَاضَ يُفَاخِرُ الْقَمَرَا
وَلَوِ اسْتَقَلَّ مِنَ الْبَيَاضِ بِمِثْلِهَا ... لَتَبَدَّلَتْ مِنْهُ الْمَلَاحَةُ عَارَا
مَا مِنْ سُلَافَتِهِ سَكِرْتُ وَإِنَّمَا ... تَرَكَتْ سَوَالِفُهُ الْأَنَامَ سُكَارَى
حَسَدَ الْمَحَاسِنُ بَعْضَهَا حَتَّى اشْتَهَتْ ... كُلُّ الْمَحَاسِنِ أَنْ تَكُونَ عِذَارَا

وقوله

لِمَ لَا أَمِيلُ إِلَى الْعِذَارِ إِذَا بَدَا ... مِنْ أَسْمَرٍ كَالصَّعْدَةِ السَّمْرَاءِ
مَعَ أَنَّهُ قَصَصُ الْمَحَاسِنِ كُلِّهَا ... فِي نَمْلَةِ الْأَنْفَالِ لِلشُّعَرَاءِ
وَرَأَيْتُ كُلَّ الْعَاشِقِينَ تَهَتَّكُوا ... فِي الْخَالِ تَحْتَ الْمُقْلَةِ السَّوْدَاءِ
أَتَلُومُنِي الْعُذَّالُ فِي مَنْ كُلُّهُ ... خَالٌ فَخَلُّونِي مِنَ السُّفَهَاءِ

Digitized by Google

الالوان بقوله تعالى في كتابه المبين صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ فلوني آية وجمالي غاية وحسني نهاية لان لوني لون الدينار ولون النجوم والاقمار ولون التفاح وشكلي شكل الملاح ولون الزعفران يزهو على سائر الالوان فشكلي غريب ولوني عجيب وانا ناعمة البدن غالية الثمن وقد حويتُ كل معنى حسن ولوني في الوجود عزيز مثل الذهب الابريز وكم لي من مأثر وفي مثلي قال الشاعر

لَهَا اصْفِرَارُ كَلَوْنِ الشَّمْسِ مُبْتَهِجٌ ... وَكَالَّذِ نَانِيرِ فِي حُسْنٍ مِنَ النَّظَرِ
مَا الزَّعْفَرَانُ يُحَاكِي بَعْضَ بَهْجَتِهَا ... كَلَّا وَمَنْظَرُهَا يَعْلُو عَلَى الْقَمَرِ

وسوف ابتدي بذمك يا سمراء اللون فلونك لون الجاموس تشمئز عندرؤيتك النفوس ان كان لونك في شيءٍ فهو مذموم وان كان في طعام فهو مسموم فلونك لون الذباب وفيه بشاعة الكلاب وهو محيربين الالوان ومن علا مات الاحزان وما سمعت قط بذهب اسمر ولادرّ ولا جوهرٍ ان دخلتِ الخلاء يتغير لونك وان خرجت ازددت قبحا على قبحك فلا انت سوداء فتعرفي ولا انت بيضاء فتوصفي وليس لك شيءٌ من المأثر كما قال فيك الشاعر

لَوْنُ الْهَبَابِ لَهَا لَوْنٌ فَغُبْرَتُهَا ... كَالتِّرْبِ تَدْهَسُ فِي أَقْدَامِ قُصَّادِ
فَمَا نَظَرْتُ لَهَا بِالْعَيْنِ أَرْمُقُهَا ... إِلَّا تَزَايَدَ بِي هَمِّي وَأَنْكَادِي

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم اشار الى السمراء وكانت ذات حسن وجمال وقدّ واعتدال وبهاء وكمال لها جسم ناعم وشعر فاحم معتدلة القدّ موردة الخدّ ذات طرف كحيل وخدّ اسيل ووجه مليح ولسان فصيح وخصر نحيل وردف ثقيل ثم قالت

Digitized by Google

ايّ شيءٌ في غلظك من الملاحة او في فظاظتك من اللطف و السماحة ولا يليق باللحم السمين غير الذبح وليس فيه شيءٌ من موجبات المدح ان ما زحك احد غضبتِ وان لاعبك حزنت فان غَنِجْتِ شَخَرْتِ وان مشيتِ لَهَثْتِ وان اكلت ما شبعت وانت اثقل من الجبال واقبح من الخبال والوبال مالك حركة ولا فيك بركة وليس لك شغل الّا الاكل والنوم وان بُلْتِ شَرْشَرْتِ وان تَغَوَّطْتِ بَطْبَطْتِ كانك زِقّ منفوخ اوفيل ممسوخ ان دخلت بيت الخلاء تريدين من يغسل لك فرجك و ينتف من فوته شعرك و هذا غاية الكسل وعنوان الخبل و بالجملة ليس فيك شيءٌ من المفاخر وقد قال فيك الشاعر

ثَقِيلَةٌ مِثْلُ زِقِّ الْبَوْلِ مُنْتَفِخٌ اَوْرَاكُهَا كَعَوَاسِيدٍ مِنَ الْجَبَلِ
اِذَا مَشَتْ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ اَوْخَطَرَتْ سَرَى اِلَى الشَّرْقِ مَا تُبْدِي مِنَ الْهَبَلِ

فقال لها سيّدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم اشار الى الصفراء فقامت على قدميها وحمدت الله تعالى واثنت عليه و اتت بالصلوة والسلام على خيار خلقه لديه ثم اشارت بيدها الى الحمراء و قالت و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلثون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الجارية الصفراء قامت على قدميها فحمدت الله تعالى واثنت عليه ثم اشارت بيدها الى السمراء وقالت لها انا المنعوتة في القرآن ووصف لونى الرحمن وفضّله على سائر

Digitized by Google

اَعُوْذُ بِاللّٰهِ مِنْ اَشْيَاءَ تُحْوِجُنِيْ اِلَى مُضَاجَعَةٍ كَالدَّلْكِ بِالْمِسَدِ
فِيْ كُلِّ عُضْوٍ لَهَا قَرْنٌ يُنَاطِحُنِيْ عِنْدَ الْمَنَامِ فَاَمْسَى وَاهِيَ الْجَسَدِ

قال لها سيّدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم اشار الى الهزيلة فقامت كأنّها غصن بان او قضيب خيزران اوعود ريحان و قالت الحمد لله الذي خلقني فاحسنني وجعل وصلي غاية المطلوب و شبّهني بالغصن الذي تميل اليه القلوب فان قمتُ قمتُ خفيفة وان جلستُ جلستُ ظريفة فانا خفيفة الروح عند المزاح طيبة النفس من الارتياح وما رأيت احدا وصف حبيبه فقال حبيبي قدر الفيل ولا مثل الجبل العريض الطويل وانما حبيبي له قدّا هَيْفُ وقوام مهفهف فاليسير من الطعام يكفيني و القليل من الماء يرويني لعبي خفيف و مزاجي ظريف فانا انشطُ من العصفور واخفّ حركة من الزرزور وصلي منية الراغب ونزهة الطالب وانا مليحة القوام حسنة الابتسام كأنّي غصن بان او قضيب خيزران او عود ريحان وليس لي في الجمال مماثل كما قال فيّ القائل

شَبَّهْتُ قَدَّكَ بِالْقَضِيبِ وَجَعَلْتُ شَكْلَكَ مِنْ نَصِيبِي
وَ غَدَوْتُ خَلْفَكَ هَائِمًا خَوْفًا عَلَيْكَ مِنَ الرَّقِيبِ

و في مثلي تهيم العشاق ويتولّه المشتاق وان جذبني حبيبي انجذبتُ اليه وان استمالني ملتُ له لا عليه وها انت يا سمينة البدن فانّ اكلك اكل الفيل ولا يشبعك كثير ولا قليل وعند الاجتماع لا يستريح معك خليل ولا يوجد لراحته معك سبيل فكبر بطنك يمنعه من جماعك و عن التمكّن من فرجك يدفعه غلظ افخاذك

Digitized by Google

وَأَنَّ بَيَاضَ الْعَيْنِ يَقْبَحُ بِالْفَتَى وَأَنَّ سَوَادَ الْعَيْنِ يَرْمِي بِأَسْهُمِ

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم اشار الى السمينة فقامت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اليماني سيد الجواري اشار الى الجارية السمينة فقامت و اشارت بيدها الى الهزيلة وكشفت سيقانها و معاصمها وكشفت عن بطنها فبانت طيّاته و ظهر تدوير سرّتها ثمّ لبست قميصا رفيعا فبان منه جميع بدنها و قالت الحمد لله الذي خلقني فاحسن صورتي و سمّنني فاحسن سمنتي و شبّهني بالاغصان وزاد في حسني و بهجتي فله الحمد على ما اولاني و شرّفني اذ ذكرني في كتابه العزيز فقال تعالى وَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ و جعلني كالبستان المشتمل على خوخ و رمّان وان اهل المدن يشتهون الطير السمين فيأكلون منه ولا يحبون طيرا هزيلا و بنوا آدم يشتهون اللحم السمين ويأكلونه وكم للسمن من مفاخر وما احسن قول الشاعر

وَدِّعْ حَبِيبَكَ أَنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ
كَأَنَّ مَشْيَتَهَا فِي بَيْتِ جَارَتِهَا مَشْيَ السَّمِينَةِ لَا عَيْبٌ وَلَا مَلَلُ

وما رأيت احدا يقف على الجزّار الاّ و يطلب منه اللحم السمين وقالت الحكماء اللذّة في ثلثة اشياء اكل اللحم و الركوب على اللحم و ادخال اللحم في اللحم و امّا انت يا رفيعة فسيقانك كسيقان العصفور و محراك التنّور وانت خشبة المصلوب ولحم المعيوب وليس فيك شيء يسرّ الخاطر كما قال فيك الشاعر

Digitized by Google

وَقُمْتُ افْرُشُ خَدِّي فِي الطَّرِيقِ لَهُ ذُلًّا وَاسْحَبُ اذْ يَا لِي عَلَى اثَرِي
وَلَاحَ ضَوْءُ هِلَالٍ كَادَ يُفْضِحُنَا مِثْلُ الْقَلَامَةِ قَدْ قُدَّتْ مِنَ الظُّفُرِ
وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ اذْكُرُهُ فَظُنَّ خَيْرًا وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ

وقول الآخر

لَا تَلْقَ الَّا بِلَيْلٍ مَنْ تُوَاصِلُهُ فَالشَّمْسُ نَمَّامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَّادُ

وقول الآخر

لَا اعْشَقُ الْابْيَضَ الْمَنْفُوخَ مِنْ سِمَنٍ لٰكِنَّنِي اعْشَقُ السُّمْرَ الْمَهَازِيلَا
اِنِّي امْرُؤٌ ارْكَبُ الْمُهْرَ الْمُضَمَّرَ فِي يَوْمِ الرِّهَانِ وَغَيْرِي يَرْكَبُ الْفِيلَا

وقول الآخر

زَارَنِي الْمَحْبُوبُ لَيْلًا فَتَعَانَقْنَا جَمِيعًا
ثُمَّ بِتْنَا وَاِذَا قَدْ طَلَعَ الصُّبْحُ سَرِيعًا
اَسْئَلُ اللّٰهَ اِلٰهِي يَجْمَعُ الشَّمْلَ رُجُوعًا
وَيَدِيمُ اللَّيْلَ لِي مَا دَامَ لِيَ الْاِلْفُ ضَجِيعًا

ولو ذهبت اذكر ما فى السوداء من المدح لطال الشرح ولكن ماقلّ وكفى خير مما كثر وما وفى وامّا انتِ يا بيضاء فلونك لون البرص ووصالك من الغصص وقد ورد ان البرد و الزمهرير في جهنّم لِعذاب اهل النكير ومن فضيلة السواد ان منه المداد الذي يكتب به كلام الله ولولا سواد المسك والعنبر ماكان الطيب يحمل للملوك ولايذكرونكم للسواد من مفاخر و ما احسن قول الشاعر

اَلَمْ تَرَ اَنَّ الْمِسْكَ يُعْظَمُ قَدْرُهُ وَاَنَّ بَيَاضَ الْجِيرِ حِمْلُ بِدِرْهَمِ

Digitized by Google

لَمْ أَعْشَقِ السُّمْرَ إِلَّا مِنْ حَيَازَتِهِمْ ... لَوْنَ الشَّبَابِ وَحُبَّ الْقَلْبِ وَالْحَدَقِ
وَلَا سَلَوْتُ بَيَاضَ الْبِيضِ عَنْ غَلَطٍ ... إِنِّي مِنَ الشَّيْبِ وَالْأَكْفَانِ فِي فَرَقِ

وقول الآخر

اَلسُّمْرُ دُونَ الْبِيضِ هُمْ ... أَوْلَى بِعِشْقِي وَاحَقْ
السُّمْرُ فِي لَوْنِ اللُّمَى ... وَالْبِيضُ فِي لَوْنِ الْبَهَقْ

وقول الآخر

سَوْدَاءُ بَيْضَاءُ الْفَعَالِ كَأَنَّهَا ... مِثْلُ الْعُيُونِ تَخُصُّ بِالْأَضْوَاءِ
أَنَا إِنْ جُنِنْتُ بِحُبِّهَا لَا تَعْجَبُوا ... أَصْلُ الْجُنُونِ يَكُونُ بِالسَّوْدَاءِ
فَكَأَنَّ لَوْنِي فِي الدُّيَاجِي غَيْهَبٌ ... لَوْلَاهُ مَا قَمَرَاتُ بِضِيَاءِ

وايضا فهل يحسن اجتماع الاحباب الّا في الليل فيكفيك هذا الفضل والنّيل فما ستر الاحباب عن الواشين واللّوام مثل سواد الظلام ولا خوّفهم من الافتضاح مثل بياض الصباح فكم للسواد من مأثر وما احسن قول الشاعر

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي ... وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي

وقول الآخر

وَكَمْ لَيْلَةٍ بَاتَ الْحَبِيبُ مُؤَانِسِي ... وَقَدْ سَتَرَتْنَا مِنْ دُجَاهَا ذَوَائِبُ
فَلَمَّا بَدَا نُورُ الصَّبَاحِ أَرَاعَنِي ... فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الْمَجُوسَ كَوَاذِبُ

وقول الآخر

وَزَارَنِي فِي قَمِيصِ اللَّيْلِ مُسْتَتِرًا ... يَسْتَعْجِلُ الْخَطْوَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرِ

Digitized by Google

بالعمائم البيض ولو ذهبتُ اذكر ما فيه من المدح لطال الشرح ولكن ما قلّ وكفى خير مما كثر وما وفى وسوف ابتدى بذمّك يا سوداء يالون المِداد وهباب الحدّاد ووجه الغراب الهفرق بين الاحباب وقد قال الشاعر يمدح البياض ويذمّ السواد

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدُّرَّ يَغْلُو بِلَوْنِهِ ... وَأَنَّ سَوَادَ الْفَحْمِ حِمْلُ بِدِرْهَمِ
وَأَنَّ الْوُجُوهَ الْبِيضَ تَدْخُلُ جَنَّةً ... وَأَنَّ الْوُجُوهَ السُّودَ حَشْوُ جَهَنَّمِ

وقد ورد في بعض الاخبار المرويّة عن الاخيار ان نوحا عليه السلام نام في بعض الايام وولداه سام وحام جالسان عند رأسه فجاءت ريح فرفعت اثوابه وانكشفت عورته فنظر اليه حام وضحك ولم يغطه فقام سام وغطّاه فانتبه ابوهما من منامه وقد علم بماجرى من ولديه فدعا لسام ودعا على حام فابيضّ وجه سام وجاءت الانبياء والخلفاء الراشدون والملوك من اولاده واسودّ وجه حام وخرج هاربا الى بلاد الحبشة وجاءت السودان من نسله وقد اجمعت الناس على قلّة عقل السودان وفى المثل يقول القائل كيف يوجد اسود عاقل فقال لها سيّدها اجلسي ففى هذا القدر كفاية فقدا سرِقتِ ثم اشار الى السوداء فقامت واشارت بيدها الى البيضاء وقالت اما علمتِ انه ورد فى القرآن المنزل على نبيّه المرسل قول الله تعالى وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ولولا ان الليل اجلّ لما اقسم الله به وقدّمه على النهار وقبلته الوا البصائر والابصار اما علمتِ ان السواد زينة الشباب فاذا نزل المشيب ذهبت اللذات ودنت اوقات الممات ولولم يكن اجلّ الاشياء ما جعله الله في حبّة القلب والناظر وما احسن قول الشاعر

Digitized by Google

مثلها ولكن يكون ذلك بدليل من القرآن الشريف و شيء من الاخبار والاشعار لننظر ادبكن و حسن الفاظكن فقلن له سمعا و طاعة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرجل اليمني قالت له جواريه سمعا و طاعه ثم قامت اولاهن و هي البيضاء و اشارت الى السوداء و قالت لها و يحكِ يا سوداء قد و ردان البياض قال انا النور اللامع انا البدر الطالع لوني ظاهر و جبيني زاهر و في حسني قال الشاعر

بَيْضَاءُ مَصْقُولَةُ الْخَدَّيْنِ نَاعِمَةٌ ... كَأَنَّهَا لُؤْلُؤٌ فِي الْحُسْنِ مَكْنُونُ
فَقَدُّهَا أَلِفٌ يَزْهُو وَمَبْسَمُهَا ... مِيمٌ وَحَاجِبُهَا مِنْ فَوْقِهِ نُونُ
كَأَنَّ أَلْحَاظَهَا نَبْلٌ وَحَاجِبُهَا ... قَوْسٌ عَلَى أَنَّهُ بِالْمَوْتِ مَقْرُونُ
بِالْخَدِّ وَالْقَدِّ إِنْ تَبْدُو خَوَجْنَتُهَا ... وَرْدٌ وَآسٌ وَرَيْحَانٌ وَنَسْرِينُ
وَالْغُصْنُ يَعْهَدُ فِي الْبُسْتَانِ مَغْرِسَهُ ... وَغُصْنُ قَدِّكِ كَمْ فِيهِ بَسَاتِينُ

فلوني مثل النهار الهني و الزهر الجني و الكوكب الدري و قد قال الله تعالى في كتابه العزيز لنبيه موسى عليه السلام اُدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ و قال الله تعالى وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فلوني آية و جمالي غاية و حسني نهاية و على مثلي يحسن الملبوس و اليه تميل النفوس و في البياض فضائل كثيرة منها ان الثلج ينزل من السماء ابيض و قد وردان احسن الالوان البياض و تفتخر المسلمون

Digitized by Google

فطرب مولاهن و شرب و سقى الجواري ثم ملأ الكاس و اخذه في يده و اشار الى الجارية السوداء و قال يا سواد العين اسمعينا و لو كلمتين فاخذت العود و اصلحته و شدت اوتاره و ضربت عليه عدة طرق ثم رجعت الى الطريقة الاولى و اطربت بالنغمات و انشدت هذه الابيات

أَلَا يَا عَيْنُ بِالْعَبَرَاتِ جُودِي ... فَوَجْدِي قَدْ عَدِمْتُ بِهِ وُجُودِي
أَكَا بِدُ كُلَّ وَجْدٍ مِنْ حَبِيبٍ ... أَلِفْتُ بِهِ وَيَشْمَتُ بِي حَسُودِي
وَتَمْنَعُنِي الْعَوَاذِلُ وَرْدَ خَدٍّ ... وَلِي قَلْبٌ يَحِنُّ إِلَى الْوُرُودِ
لَقَدْ دَارَتْ هُنَاكَ كُؤُوسُ رَاحٍ ... بِأَفْرَاحٍ لَدَى ضَرْبٍ وَعُودِ
وَوَا فَانِي الْحَبِيبُ فَهِمْتُ فِيهِ ... وَأَشْرَقَ بِالْوَفَى نَجْمُ السُّعُودِ
تَصَدَّى لِلصُّدُودِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ... وَهَلْ شَيْءٌ أَمَرُّ مِنَ الصُّدُودِ
وَفِي وَجَنَاتِهِ وَرْدٌ جَنِيٌّ ... فَيَا لَلَّهِ مِنْ وَرْدِ الْخُدُودِ
فَلَوْ أَنَّ السُّجُودَ يَحِلُّ شَرْعًا ... لِغَيْرِ اللَّهِ كَانَ لَهُ سُجُودِي

ثم بعد ذلك قامت الجواري و قبّلن الارض بين يدي مولاهن و قلن له انصف بيننا يا سيدي فنظر مولاهن الى حسنهن و جمالهن و اختلاف الوانهن فحمد الله تعالى و اثنى عليه ثم قال لهن ما منكن الّا و قد قرأت القران و تعلّمت الالحان و عرفت اخبار المتقدمين و اطلعت على سير الامم الماضين و قد اشتهيت ان تقوم كلواحدة منكن و تشير بيدها الى ضرّتها يعني تشير البيضاء الى السمراء و السمينة الى الهزيلة و الصفراء الى السوداء و تمدح كلواحدة منكن نفسها و تذمّ ضرّتها ثم تقوم ضرّتها و تفعل معها

Digitized by Google

في يده واشار الى الجارية السمينة وامرها بالغناء وتقليب الاهواء فاخذت العود وضربت عليه ضربا يذهب الحسرات وانشدت هذه الابيات

إِنْ صَحَّ مِنْكَ الرِّضَى يَا مَنْ هُوَ الطَّلَبُ ... فَلَا أُبَالِي بِكُلِّ النَّاسِ إِنْ غَضِبُوا
وَإِنْ تَبَدَّى مُحَيَّاكَ الْجَمِيلُ فَلَمْ ... أَعْبَأْ بِكُلِّ مُلُوكِ الْأَرْضِ إِنْ حَجَبُوا
قَصْدِي رِضَاكَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا ... يَا مَنْ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْحُسْنِ يُنْتَسَبُ

فطرب مولاهن واخذ الكأس وسقى الجواري ثم ملأ الكاس واخذه في يده واشار الى الجارية الهزيلة وقال يا حور الجنان اسمعينا الالفاظ الحسان فاخذت العود واصلحته ورجّعت عليه الالحان وانشدت هذين البيتين

أَلَا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا حَلَّ بِي مِنْكَ ... بِصَدِّكَ عَنِّي حَيْثُ لَا صَبْرَ لِي عَنْكَ
أَلَا حَاكِمٌ فِي الْحُبِّ يَحْكُمُ بَيْنَنَا ... فَيَأْخُذُ لِي حَقِّي وَيُنْصِفُنِي مِنْكَ

فطرب مولاهن وشرب القدح وسقى الجواري ثم ملأ القدح واخذ بيده واشار الى الجارية الصفراء وقال يا شمس النهار اسمعينا من لطيف الاشعار فاخذت العود وضربت عليه احسن الضربات وانشدت هذه الابيات

لِي حَبِيبٌ إِذَا ظَهَرْتُ إِلَيْهِ ... سَلَّ سَيْفًا عَلَيَّ مِنْ مُقْلَتَيْهِ
أَخَذَ اللهُ بَعْضَ حَقِّي مِنْهُ ... إِذْ جَفَانِي وَمُهْجَتِي فِي يَدَيْهِ
كُلَّمَا قُلْتُ يَا فُؤَادِي دَعْهُ ... لَا يَمِيلُ الْفُؤَادُ إِلَّا إِلَيْهِ
هُوَ سُؤْلِي مِنَ الْأَنَامِ وَلَكِنْ ... حَسَدَتْنِي يَدُ الزَّمَانِ عَلَيْهِ

Digitized by Google

سمينة والرابعة هزيلة والخامسة صفراء والسادسة سوداء وكنّ حسان الوجوه كاملات الادب عارفات بصناعة الغنـــاء وآلات الطرب فاتفق انه احضر هؤلاء الجواري بين يديه يوما من الايام وطلب الطعـــام والمدام فاكلوا وشربوا وتلذّذوا وطربوا ثم ملأ الكاس واخذه في يده واشار الى الجارية البيضاء وقال لها يا وجه الهلال اسمعينا من لذيذ المقـــال فاخذت العود واصلحته ورجعت عليه الالحان حتى رقص المكان ثم اطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيـــــــــات

لِي حَبِيْبٌ خَيَالُهُ نُصْبَ عَيْنِي ... وَاِسْمُهُ فِي جَوَارِحِي مَكْنُوْنُ
اِنْ تَذَكَّرْتُهُ فَكُلِّي قُلُوْبٌ ... اَوْ تَأَمَّلْتُهُ فَكُلِّي عُيُوْنُ
قَالَ لِي عَاذِلِي اَتَسْلُوْ هَوَاهُ ... قُلْتُ مَا لَايَكُوْنُ كَيْفَ يَكُوْنُ
قُلْتُ يَا عَاذِلِي امْضِ عَنِّي وَدَعْنِي ... لَاتُهِيْنَنْ عَلَيَّ مَا لَا يَهُوْنُ

فطرب مولاهن وشرب قدحه وسقى الجواري ثم ملأ الكاس واخذه في يده واشار الى الجارية السمراء وقال لها يا نور المقباس وطيبة الانفاس اسمعينا صوتك الحسن الذي من سمعه افتتن فاخذت العود ورجّعت عليه الالحان حتى طرب المكان واخذت القلوب بالفتات وانشدت هذه الابيـــــــــــــــــات

وَحَيَاتِ وَجْهِكَ لَا اُحِبُّ سِوَاكَا ... حَتَّى اَمُوْتَ وَلَا اَخُوْنُ هَوَاكَا
يَا بَدْرَ تَمٍّ بِالْجَمَـــالِ مُبَرْقَعًـــا ... كُلُّ الْمِلَاحِ تَسِيْرُ تَحْتَ لِوَاكَا
اَنْتَ الَّذِي فُقْتَ الْمِلَاحَ لَطَافَةً ... وَاللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ حَبَاكَا

فطرب مولاهن وشرب كاسه وسقى الجواري ثم ملأ القدح واخذه

Digitized by Google

فقلت لها اعيدي البيتين والطريقة فمارضيت وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان جبيرا قال فقلت لها اعيدي البيتين والطريقة فمارضيت فامرت النواتية ان يرجموها فرجموها بالنارنج حتى خشينـــا الغـــرق على الزورق الذي هي فيه ثم مضت الى حال سبيلها وهذا سبب انتقال المحبة من قلبها الى قلبي فهنّيتهما بجمـــع الشمل واخذتُ الكيس بما فيه وتوجّهتُ الى بغداد فانشرح صدر الخليفة وزال عنه ماكان يجده من الارق وضيق الصـــــــدر

ومما يحكى

ان امير المؤمنين المأمون جلس يوما من الايام في قصره واحضر روُساء دولته واكابر مملكته جميعا وكذلك احضر الشعراء والندماء بين يديه وكان من جملة ندمائه نديم يسمى محمد البصري فالتفت اليه المأمون وقال له يامحمد اريد منك في هذه الساعة ان تحدّثني بشيءٍ ما سمعته قط فقال له يا امير المؤمنين اتريدان احدّثك بحديث سمعته باذني او بامر عاينته ببصري فقال المـأمون حَدِّثني يا محمد بالاغرب منهما فقال اعلم يا امير المؤمنين انه كان في الايام الماضية رجل من ارباب النعم وكان موطنه باليمن ثم انه ارتحل من اليمن الى مدينة بغداد هذه فطاب له مسكنها فنقل اهله وماله وعياله اليها وكان له ست جوار كانهن الاقمار الاولى بيضاء والثانية سمراء والثالثة

Digitized by Google

من الليل اكثره فقلت في نفسي انهما عاشقان ومضت عليهما مدة من الزمان و هما متهاجران فانا اقوم في هذه الساعة لإنام في مكان بعيد عنهما و اتركهما يختليان ببعضهما ثم قمت فتعلّقتْ باذيالي و قالت لي ما الذي حدثتك به نفسك فقلت ما هو كذا وكذا فقالت اجلس و اذا اردنا انصرافك صرّفناك فجلست معهما الى ان قرب الصبح فقالت يا بن منصور امض الى تلك المقصورة لاننا فرشناها لك وهي محل نومك فقمت و نمت فيها الى الصباح فلما اصبحت جاءني غلام بطشت و ابريق فتوضأت وصلّيت الصبح ثم جلست فبينما انا جالس واذا بجبير و محبوبته خرجا من حمام في الدار وكل منهما يعصر ذوائبه فصبّحت عليهما وهنّيتهما بالسلامة وجمع الشمل ثم قلت له الذي اوله شرط آخره رضى فقال لي صدقت وقد وجب لك الاكرام ثم نادى خازن داره و قال له ائتني بثلثة آلاف دينار فاتاه بكيس فيه ثلثة آلاف دينار فقال لي تفضّل علينا بقبول هذا فقلت له لا اقبله حتى تحكي لي ما سبب انتقال المحبة منها اليك بعد ذلك الصدّ العظيم قال سمعا و طاعة اعلم ان عندنا عيدا يقال له عيد النواريز يخرج الناس فيه وينزلون في الزوارق ويتفرّجون في البحر فخرجت اتفرّج انا واصحابي فرأيت زورقا فيه عشر جوار كأنهن الاقمار و السيدة بدور هذه في وسطهن و عودها معها فضربت عليه احدى عشرة طريقة ثم عادت الى الطريقة الاولى وانشدت هذين البيتين

اَلنَّارُ اَبْرَدُ مِنْ نِيرَانِ اَحْشَائِي ... وَالصَّخْرُ اَلْيَنُ مِنْ قَلْبٍ لِمَوْلَائِي
اِنِّي لَاَعْجَبُ مِنْ تَالِيفِ خِلْقَتِهِ ... قَلْبٌ مِنَ الصَّخْرِ فِي جِسْمٍ مِنَ الْمَاءِ

Digitized by Google

تداوى العليل و تشفى الغليل ثم اخذتُ المكتوب و خرجتُ فنادتني بعد ما خرجتُ من عند ها و قالت لى يا ابن منصور قل له انها في هذه الليلة ضيفتك ففرحتُ انا بذلك فرحا شديدا ومضيتُ بالكتاب الى جبير بن عمير فلما دخلت عليه و جدت عينه شاخصة الى الباب ينتظر الجواب فلما ناولتُه الورقة فتحها و قرأ ها و فهم معنا ها فصاح صيحة عظيمة و وقع مغشيّا عليه فلما افاق قال يا بن منصور هل كتبتْ هذه الرقعة بيدها و لمستها با نا ملها قلت يا سيدى و هل الناس يكتبون بارجلهم فوالله يا امير المؤمنين ما استتمّ كلامى انا و اياه الّا و قد سمعنا شنّ خلاخلها فى الدهليز و هي داخلة فلما رأها قام علي اقدامه كأنّه لم يكن به الم قط و عانقها عناق اللام للالف و زالت عنه علة الذي لا ينصرف ثم جلس و لم تجلس هي فقلت لها يا سيدتي لاىّ شيءٍ لم تجلسي قالت يا بن منصور ما اجلس الّا بالشرط الذي بيننا فقلت لها و ما ذلك الشرط الذي بينكما قالت ان العشاق لا يطلع احد على اسرارهم ثم وضعتْ فمها على اذنه و قالت له كلاما سرّا فقال لها سمعا و طاعة ثم قام جبير و وَشْوَشَ بعض عبيده فغاب العبد ساعة ثم اتى و معه قاض و شاهدان فقام جبير و اتى بكيس فيه مائة الف دينار و قال ايها القاضي اعقد عقدي على هذه الصبية بهذا المبلغ فقال لها القاضي قولي رضيتُ بذلك فقالت رضيتُ بذلك فعقدوا العقد ثمّ فتحت الكيس و ملأتْ يدها منه و اعطت القاضي و الشهود ثم ناولتْه بقية الكيس فانصرف القاضي و الشهود وقعدتُ انا و ايا هما في بسط و انشراح الى ان مضى

Digitized by Google

أَنَا قَدْ سَلَوْتُ وَلَذَّ فِي طَرْفِي الْكَرَى ... وَسَمِعْتُ مِنْ قَوْلِ الْعَوَاذِلِ مَا جَرَى
وَأَجَابَنِي قَلْبِي إِلَى سُلْوَانِكُمْ ... وَرَأَتْ جُفُونِي بَعْدَكُمْ أَنْ تَسْهَرَا
كَذَبَ الَّذِي قَالَ الْبِعَادُ مَرَارَةٌ ... مَا ذُقْتُ طَعْمَ الْبُعْدِ إِلَّا سُكَّرَا
قَدْ صِرْتُ أَكْرَهُ مَنْ يَمُرُّ بِذِكْرِكُمْ ... مُتَعَرِّضًا وَأَرَاهُ شَيْئًا مُنْكَرًا
هَا قَدْ سَلَوْتُكُمُو بِكُلِّ جَوَارِحِي ... فَلْيَعْلَمِ الْوَاشِي وَيَدْرِي مَنْ دَرَى

فقلت لها والله يا سيدتي انه ما يقرأ هذه الابيات الّا و تفارق روحه جسده فقالت لي يا ابن منصور قد بلغ الوجد الى هذا الحد حتى قلتَ ما قلتَ فقلتُ لها لو قلتُ اكثر من ذلك لحقّ ولكن العفو من شيم الكرام فلما سمعتْ كلامي تغر غرت عينا ها بالدموع و كتبتْ اليه رقعة والله يا امير المؤمنين ما في ديوانك من يحسن ان يكتب مثلها و كتبت فيها هذه الابيات

إِلَى كَمْ ذَا الدَّلَالُ وَذَا التَّجَنِّي ... شَفَيْتَ وَحَقِّكَ الْحُسَّادَ مِنِّي
لَعَلِّي قَدْ أَسَأْتُ وَلَسْتُ أَدْرِي ... فَقُلْ لِي مَا الَّذِي بُلِّغْتَ عَنِّي
مُرَادِي لَوْ وَضَعْتُكَ يَا حَبِيبِي ... مَكَانَ النَّوْمِ مِنْ عَيْنِي وَجَفْنِي
وَكَيْفَ شَرِبْتَ كَأْسَ الْحُبِّ صِرْفًا ... فَإِنْ تَرَنِي سَكِرْتُ فَلَا تَلُمْنِي

فلما فرغتْ من كتابة المكتوب و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلثون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بدور لما فرغت من كتابة المكتوب و ختمتْه نا ولتني اياه فقلت لها يا سيدتي ان هذه الرقعة

Digitized by Google

ابكار كأنهن الاقمار و السيدة بدور جالسة في وسطهن كأنها البدر في وسط النجوم او الشمس اذا خلت من الغيوم وليس بها الم و لا وجع فبينما انا انظر اليها و اتعجب من هذا الحال اذ لاحت منها التفاتة الي فرأتني واقفا بالباب فقالت لي اهلا و سهلا و مرحبابك يا ابن منصور ادخل فدخلتُ و سلّمت عليها و ناولتها الورقة فلما قرأتها و فهمتْ ما فيها ضحكتْ و قالت لي يا ابن منصور ما كذب الشاعر حيث قال

فَلَاصْبِرَنَّ عَلَى هَوَاكَ تَجَلُّدًا ... حَتَّى يَجِيءَ إِلَيَّ مِنْكَ رَسُولُ

يا ابن منصور ها انا اكتب لك جوابا حتى يعطيك الذي وعدك به فقلت لها جزاكِ الله خيرا فنادت بعض جواريها و قالت ائتيني بدواة وقرطاس فلما اتتها بما طلبت كتبت اليه هذه الابيات

مَالِي وَفَيْتُ بِعَهْدِكُمْ فَغَدَرْتُمُو ... وَرَأَيْتُمُونِي مُنْصِفًا فَظَلَمْتُمُو
بَادَيْتُمُونِي بِالْقَطِيعَةِ وَالْجَفَا ... وَغَدَرْتُمُو وَالْغَدْرُ بَادٍ مِنْكُمُو
مَازِلْتُ احْفَظُ فِي الْبَرِيَّةِ عَهْدَكُمْ ... وَأَصُونُ عِرْضَكُمُو وَأَحْلِفُ عَنْكُمُو
حَتَّى رَأَيْتُ بِنَاظِرِي مَاسَاءَنِي ... وَسَمِعْتُ اَخْبَارَ الْقَبَائِحِ عَنْكُمُو
أَيَهُونُ قَدْرِي حِينَ أَرْفَعُ قَدْرَكُمْ ... وَاللّٰهِ لَوْ أَكْرَمْتُمُو أَكْرَمْتُمُو
فَلَاَصْرِفَنَّ الْقَلْبَ عَنْكُمْ سَلْوَةً ... وَلَانْفُضَنَّ يَدَيَّ يَأْسًا مِنْكُمُو

فقلت لها و الله يا سيدتي انه ما بينه و بين الموت الّا حتى يقرأ هذه الورقة ثم مزّقتُها و قلت لها اكتبي اليه غير هذه الابيات فقالت سمعا و طاعة ثم انها كتبت اليه هذه الابيات

Digitized by Google

اتباعه يا سيدي ان كنت تحفظ شيأ من الشعر فانشده اياه وارفع صوتك به فانه ينتبه لذلك ويخاطبك فانشدت هذين البيتين

أَسَلَوْتَ حُبَّ بُدُورَ أَمْ تَتَجَلَّدُ ... وَسَهِرْتَ لَيْلَكَ أَمْ جُفُونُكَ تَرْقُدُ
إِنْ كَانَ دَمْعُكَ سَائِلًا مَهْمُولَةً ... فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ فِي الْجِنَانِ مُخَلَّدُ

فلما سمع هذا الشعر فتح عينه وقال لي مرحبا يا ابن منصور قد صار الهزل جدًّا فقلت له يا سيدي أَلَكَ بي حاجة قال نعم اريدان اكتب لها ورقة وارسلها معك اليها فان اتيتني بجوابها فلك عليّ الف دينار وان لم تأتني بجوابها فلك عليّ حق مشيك مائتا دينار فقلت له افعل ما بدالك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان ابن منصور قال فقلت له افعل ما بدالك فنادى بعض جواريه وقال ائتيني بدواة وقرطاس فاتته بما طلبه فكتب هذه الابيات

سَأَلْتُكُمْ بِاللهِ يَا سَادَتِي مَهْلًا ... عَلَيَّ فَإِنَّ الْحُبَّ لَمْ يَبْقَ لِي عَقْلًا
تَمَكَّنَ مِنِّي حُبُّكُمْ وَهَوَاكُمُ ... فَأَلْبَسَنِي سُقْمًا وَأَوْرَثَنِي ذُلًّا
لَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَسْتَصْغِرُ الْهَوَى ... وَأَحْسِبُهُ يَا سَادَتِي هَيِّنًا سَهْلًا
فَلَمَّا أَرَانِي الْحُبُّ أَمْوَاجَ بَحْرِهِ ... رَجَعْتُ لِحُكْمِ اللهِ أَعْذَرُ مَنْ يُبْلَى
فَإِنْ شِئْتُمُ أَنْ تَرْحَمُونِي بِوَصْلِكُمْ ... وَإِنْ شِئْتُمُ قَتْلِي فَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَا

ثم ختم الكتاب وناولني اياه فاخذته ومضيت به الى دار بدور وجعلت ارفع الستر قليلا قليلا على العادة واذا انا بعشر جوار نهد

Digitized by Google

و رجعت الى دار جبير بن عمير الشيباني فوجدت مصاطبها قد هدمت و لم اجد على بابه غلمانا مثل العادة فقلت في نفسي لعله مات ثم وقفت على باب داره و جعلت افيض العبرات و اندبها بهذه الابيات

يَا سَادَةً رَحَلُوْا وَالْقَلْبُ يَتْبَعُهُمْ ... عُوْدُوْا تَعُدْلِيَ اَعْيَادِي بِعَوْدِكُمُ
وَقَفْتُ فِي دَارِكُمْ اَنْعَى مَسَاكِنَكُمْ ... وَالدَّمْعُ يَدْفُقُ وَالْاَجْفَانُ تَلْتَطِمُ
اُسَائِلُ الدَّارَ وَالْاَطْلَالَ بَاكِيَةً ... اَيْنَ الَّذِيْ كَانَ مِنْهُ الْجُوْدُ وَالنِّعَمُ
اُقْصُدْ سَبِيْلَكَ فَالْاَحْبَابُ قَدْ رَحَلُوْا ... مِنَ الرُّبُوْعِ وَتَحْتَ التُّرْبِ قَدْ رَدِمُوْا
لَا اَوْحَشَ اللّٰهُ مِنْ رُؤْيَا مَحَاسِنِهِمْ ... طُوْلًا وَعَرْضًا وَلَا غَابَتْ لَهُمْ شِيَمُ

فبينما انا اندب اهل هذه الدار بهذه الابيات يا امير المؤمنين واذا بعبد اسود قد خرج علي من الدار فقال ياشيخ اسكت ثكلتك امك ما لي اراك تندب هذه الدار بهذه الابيات فقلت له اني كنت اعهدها لصديق من اصدقائي فقال و ما اسمه قلت جبير بن عمير الشيباني قال واي شيء جرى له الحمد لله ها هو على حاله من الغنى والسعادة و الملك ولكن ابتلاه الله بمحبة جارية يقال لها السيدة بدور وهو في محبتها مغمور و من شدة الوجد والتبريح فهو كالحجر الجلمود الطريح فان جاع لايقول لهم اطعموني و ان عطش لا يقول اسقوني فقلت اسنأذن لي في الدخول عليه فقال ياسيدي اتدخل على من يفهم او على من لايفهم فقلت لابدّ ان ادخل اليه على كل حال فدخل الدار مستأذنا ثم عاد الي آذنا فدخلت عليه فوجدته كالحجر الطريح لايفهم باشارة ولا تصريح وكلمته فلم يكلمني فقال لي بعض

Digitized by Google

عندي اليوم فانّك ضيفي فكُلْ واشرب والتذّ واطرب وخذلك خمسمائة دينار فجلستَ عنده واكلتَ وشربتَ وتلذّذتَ وطربتَ وسامرتَه وغنت الجارية بالصوت الفلاني والشعر الفلاني فوقع صغيّاً عليه فقلت لها يا امير المؤمنين هل انتِ كنتِ معنا فقالت لي يا ابن منصور اما سمعتَ قول الشاعر

قُلُوبُ الْعَاشِقِيْنَ لَهَا عُيُوْنُ تَرَى مَا لَا يَرَاهُ النَّاظِرُوْنَا

ولكن يا ابن منصور ما تعاقب الليل والنهار على شيءٍ الّا وغيّراه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الجارية قالت يا ابن منصور ما تعاقب الليل والنهار على شيءٍ الّا وغيّراه ثم رفعتْ طرفها الى السماء وقالت الهي وسيدي ومولائي كما بليتَني بمحبة جبير ابن عمير ان تبليه بمحبتي وان تنقل المحبة من قلبي الى قلبه ثم انها اعطتني مائة دينار حق طريقي فاخذتُها ومضيت الى سلطان البصرة فوجدته قد جاء من الصيد فاخذت رسمي منه ورجعت الى بغداد فلما اقبلت السنة الثانية توجّهت الى مدينة البصرة لاطلب رسمي على عادتي ودفع السلطان اليّ رسمي ولما اردت الرجوع الى بغداد تفكّرت في نفسي امر الجارية بدور وقلت والله لابدان اذهب اليها وانظر ما جرى بينها وبين صاحبها فجئت الى دارها فرأيت على بابها كنسا ورشّا وخدما وحشما وغلمانا فقلت لعلّ الجارية طفح الهمّ على قلبها فماتت ونزل في دارها امير من الامراء فتركتها

Digitized by Google

كَمْ لَيْلَةٍ بَاتَ الْحَبِيبُ مُنَادِمِي ... وَرَشَفْتُ حُلْوَ رُضَابِهِ مِنْ ثَغْرِهِ
مَا كَانَ اَقْصَرَ عُمْرَ لَيْلِ وِصَالِنَا ... اِذْ جَاءَ وَقْتُ عِشَائِهِ مَعْ فَجْرِهِ
نَذَرَ الزَّمَانُ بِاَنْ يُفَرِّقَ شَمْلَنَا ... وَالْآنَ قَدْ وَفَى الزَّمَانُ بِنَذْرِهِ
حَكَمَ الزَّمَانُ فَلَا مَرَدَّ لِحُكْمِهِ ... مَنْ ذَا يُعَارِضُ سَيِّدًا فِي اَمْرِهِ

فلما فرغت الجارية من شعرها صرخ سيّدها صرخة عظيمة ووقع مغشيّا عليه فقالت الجارية لا اخذك الله ايّها الشيخ انّ لنا مدة ولحن نشرب بلا سماع مخافة على سيدنا من مثل هذه الصرعة ولكن اذهب الى تلك المقصورة ونم فيها فتوجّهت الى المقصورة التي اشارت اليها ونمت فيها الى الصباح واذا انا بغلام اتاني ومعه كيس وفيه خمس مائة دينار وقال هذا الذي وعدك به سيدي ولكنك لا تعُدْ الى الجارية التي ارسلتك وكأنّك لا سمعتَ بهذا الخبر ولا سمعنا فقلت له سمعا وطاعة ثم اخذتُ الكيس ومضيت الى حال سبيلي وقلت في نفسي ان الجارية في انتظاري من امس والله لابدّ ان ارجع اليها واخبرها بما جرى بيني وبينه لانّني انْ لم اَعُدْ اليها ربما تشتمني وتشتم كل من طلع من بلادي فمضيت اليها فوجدتها واقفة خلف الباب فلما رأتني قالت يا ابن منصور انك ما قضيت لي حاجة فقلت لها من اعلمك بهذا فقالت يا ابن منصور ان معي مكاشفة اخرى وهي انّك لما ناولتهُ الورقة مزّقها ورماها وقال لك يا ابن منصور مهما كان لك من الحوائج قضيناها لك الّا حاجة صاحبة هذه الورقة فانها ليس لها عندي جواب فقمتَ انت من عنده مغضبا فتعلّقي باذيالك وقال لك يا ابن منصور اجلس

Digitized by Google

ثم ان جبير بن عمير قال مدّ يدك الى طعامنا واجبر خاطرنا باكل زادنا فقلت له والله ما أكل من طعامك لقمة واحدة حتى تقضي حاجتي قال فما حاجتك فاخرجتُ اليه الكتاب فلما قرأه وفهم ما فيه مزّقه ورماه في الارض وقال لي يا ابن منصور مهما كان لك من الحوائج قضيناه الّا هذه الحاجة التي تتعلّق بصاحبة هذا الكتاب فان كتابها ليس له عندي جواب فقمت من عنده غضبانا فتعلّق باذيالي وقال لي يا بن منصور انا اخبرك بالذي قالته لك وان لم اكن حاضرا معكما فقلت له ما الذي قالته لي قال امّا قالت لك صاحبة هذا الكتاب ان اتيتني بجوابه فلك عندي خمسمائة دينار وان لم تأتني بجوابه فلك عندي حق مشيك مائة دينار قلت نعم قال اجلس عندي اليوم وكُلْ واشرب وتلذّذ واطرب وخذلك خمسمائة دينار فجلست عنده واكلتُ وشربتُ وتلذّذت وطربت وسامرته ثم قلت ياسيدي ما في دارك سماع قال لي انّ لنا مدة نشرب من غير سماع ثم نادى بعض جواريه وقال يا شجرة الدرّ فاجابته جارية من مقصورتها ومعها عود من صنع الهنود ملفوف في كيس من الابريسم ثم جاءت وجلست ووضعته في حجرها وضربتْ عليه احدى وعشرين طريقة ثم عادت الى الطريقة الاولى واطربتْ بالنغمات وانشدتْ هذه الابيات

مَنْ لَمْ يَذُقْ حُلْوَ الْغَرَامِ وَمُرَّهُ ... لَمْ يَدْرِ وَصْلَ حَبِيبِهِ مِنْ هَجْرِهِ
وَكَذَاكَ مَنْ قَدْ حَادَ عَنْ سَنَنِ الْهَوَى ... لَمْ يَدْرِ سَهْلَ طَرِيقِهِ مِنْ وَعْرِهِ
مَا زِلْتُ مُعْتَرِفًا عَلَى أَهْلِ الْهَوَى ... حَتَّى بُلِيتُ بِحُلْوِهِ وَبِمُرِّهِ
وَشَرِبْتُ كَأْسَ مَرَارَةٍ مُتَجَرِّعًا ... وَخَضَعْتُ فِيهِ لِعَبْدِهِ وَلِحُرِّهِ

Digitized by Google

ثم بعد ذلك ختمت الكتاب وناولتني اياه فاخذته ومضيت الى دار جبير بن عمير الشيباني فوجدته في الصيد فجلست انتظره فبينما انا جالس واذا به قد اقبل من الصيد فلما رأيته يا امير المؤمنين على فرسه ذهل عقلي من حسنه وجماله فالتفت فرأني جالسا بباب داره فلما رأني نزل عن جواده واتى اليّ واعتنقني وسلّم عليّ فخيّل لي اني اعتنقت الدنيا وما فيها ثم دخل بي الى داره واجلسني على فراشه وامر بتقديم المائدة فقدّموا مائدة من الخولنج الخراساني وقوائمها من الذهب عليها جميع الاطعمة وانواع اللحم من مقليّ ومشويّ وما اشبه ذلك فلما جلست على المائدة امعنت اليها الالتفات فوجدت مكتوبا عليها هذه الابيات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عليا بن منصور قال لما جلست على مائدة جبير بن عمير الشيباني فامعنت اليها الالتفات فوجدت مكتوبا عليها هذه الابيات

عُجْ بِالْغَرَانِيقِ فِي رَبْعِ السَّكَارِيجْ ... وَانْزِلْ بِحَيِّ الْقَلَايَا وَالسَّكَا بِيجْ
وَانْدُبْ بَنَاتَ الْقَطَا مَازِلْتَ انْدُبُهَا ... مَعَ الْمُحَمَّرِ فِي وَسْطِ الْفَرَارِيجْ
يَالَهْفَ قَلْبِي عَلَى لَوْنَيْنِ مِنْ سَمَكٍ ... لَدَى رَغِيفٍ طَرِيٍّ فِي الْمَعَارِيجْ
لِلّٰهِ دَرُّ الْعَشَا مَا كَانَ احْسَنَهُ ... وَالْبَقْلُ يَغْمِسُ فِي خَلِّ الدَّكَا كِيجْ
كَذَا الْأُرُزُّ بِأَلْبَانِ الْجُمُوسِ غَدَتْ ... فِيهِ الْأَكُفُّ اِلَى حَدِّ الدَّمَا لِيجْ
يَا نَفْسُ صَبْرًا فَاِنَّ اللّٰهَ ذُو كَرَمٍ ... اِنْ ضِقْتِ ذَرْعًا اَتَاكَ بِالتَّفَارِيجْ

Digitized by Google

فطأطأتُ عليّ و قبّلت خدي و كان في ذلك الوقت داخلا على غفلة فرأى ذلك فلما رأى الجارية تقبّل خدي ولّى من وقته غضبانا عازما على دوام البين و انشد هذين البيتين

إِذَا كَانَ لِي فِي مَنْ أُحِبُّ مُشَارِكٌ ... تَرَكْتُ الَّذِي أَهْوَى وَعِشْتُ وَحِيدًا
فَلَا خَيْرَ فِي الْمَعْشُوقِ إِنْ كَانَ فِي الْهَوَى ... لِغَيْرِ الَّذِي يَرْضَى الْمُحِبُّ مُرِيدًا

و من حين ولّى معرضا عنّي الى الآن لم يأتنا من عنده كتاب و لا جواب يا ابن منصور فقلت لها فما تريدين قالت اريدان ارسل اليه معك كتابا فان اتيتني بجوابه فلك عندي خمسمائة دينار و ان لم تأتني بجوابه فلك حقّ مشيك مائة دينار فقلت لها افعلي ما بدالكِ فقالت سمعا وطاعة ثم نادت بعض جواريها وقالت ائتيني بدواة و قرطاس فاتتها بدواة و قرطاس فكتبت هذه الابيات

حَبِيبِي مَا هَذَا التَّبَاعُدُ وَالْقِلَا ... فَأَيْنَ التَّغَاضِي بَيْنَنَا وَالتَّعَطُّفُ
وَمَالَكَ بِالْهِجْرَانِ عَنِّي مُعْرِضًا ... فَمَا وَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُ
نَعَمْ نَقَلَ الْوَاشُونَ عَنِّي بَاطِلًا ... فَمِلْتَ لِمَا قَالُوا فَزَادُوا وَ أَسْرَفُوا
فَإِنْ تَكُ قَدْ صَدَّقْتَهُمْ فِي حَدِيثِهِمْ ... فَحَاشَاكَ مِنْ هَذَا وَرَأْيُكَ أَعْرَفُ
بِعَيْشِكَ قُلْ لِي مَا الَّذِي قَدْ سَمِعْتَهُ ... فَإِنَّكَ تَدْرِي مَا يُقَالُ وَتَنْصِفُ
فَإِنْ كَانَ قَوْلًا صَحَّ إِنِّي قُلْتُهُ ... فَلِلْقَوْلِ تَأْوِيلٌ وَلِلْقَوْلِ مَصْرَفُ
وَهَبْ أَنَّهُ قَوْلٌ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلٌ ... فَقَدْ بَدَّلَ التَّوْرَاةَ قَوْمٌ وَحَرَّفُوا
وَبِالزُّورِ كَمْ قَدْ قِيلَ فِي النَّاسِ قَبْلَنَا ... فَهَا عِنْدَ يَعْقُوبٍ تُلُومُ يُوسُفُ
وَهَا أَنَا وَالْوَاشِي وَأَنْتَ جَمِيعُنَا ... يَكُونُ لَنَا يَوْمٌ عَظِيمٌ وَمَوْقِفُ

Digitized by Google

خلف اولادا قالت نعم خلف بنتا يقال لها بدور و قد ورثت اموالهِ جميعها فقلت لها كأنّك ابنته قالت نعم و ضحكت ثم قالت يا شيخ قد اطلت الخطاب فاذهب الى حال سبيلك فقلت لها لابد من الذهاب و لكني ارى محاسنك متغيرة فاخبريني بشانك لعل الله يجعل لك على يدي فرجا فقالت لي يا شيخ ان كنت من اهل الاسرار كشفنالك سرّنا فاخبرني مَنْ انت حتى اعرف هل انت محل للسرّ اولا فقد قال الشاعر

لَا يَكْتُمُ السِّرَّ اِلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ ... وَالسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومُ
قَدْ صُنْتُ سِرِّي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ ... قَدْ ضَاعَ مِفْتَاحُهُ وَالْبَابُ مَخْتُومُ

فقلت لها يا سيدتي ان كان قصدك ان تعلمي من انا فانا علي بن منصور الخليعي الدمشقي نديم امير المؤمنين هارون الرشيد فلما سمعت باسمي نزلت من على كرسيها و سلمت عليّ و قالت لي مرحبابك يا ابن منصور الآن اخبرك بحالي و استأمنك على سرّي انا عاشقة مفارقة فقلت لها يا سيدتي انت مليحة و ما تعشقين الاّ كل مليح فمَن الذي تعشقينه قالت اعشق جبير بن عمير الشيباني امير بني شيبان و قد وصفت لي شابا لم يكن بالبصرة احسن منه فقلت لها يا سيدتي هل جرى بينكما مواصلة او مراسلة قالت نعم الاّ انه قد عشقنا عشقا باللسان لا بالقلب و الجنان لانه لم يف بوعد ولم يحافظ على عهد فقلت لها يا سيدتي وما سبب الفراق بينكما قالت سببه انّي كنت يوما جالسة و جاريتي هذه تُسَرّح شَعري فلما فرغت من تسريحه جَدَلتْ ذوائبي فاعجبتها حسني و جمالي

Digitized by Google

فبينما انا انظر اليها من خلال الستارة و اذا هي التفتت فرأتني واقفا على الباب فقالت لجاريتها انظري مَن بالباب فقامت الجارية و اتت اليّ و قالت يا شيخ اليس عندك حياء و هل شيب و عيب فقلت لها يا سيدتي اما الشيب فقد عرفناه و اما العيب فما اظنّ الي اتيت بعيب فقالت سيدتها و ايّ عيب اكثر من تهجّمك على دارٍ غير دارك و نظرك الى حريم غير حريمك فقلت لها يا سيدتي ان لي عذرا في ذلك فقالت و ما عذرك فقلت لها اني انا رجل غريب عطشان و قد قتلني العطش فقالت قبلنا عذرك و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت قبلنا عذرك ثم نادت بعض جواريها و قالت يا لُطف اسقيه شربة بالكوز الذهب فجاءتني بكوز من الذهب الاحمر مرصع بالدرّ و الجوهر ملآن ماء ممزوجا بالمسك الاذفر و هو مغطّى بمنديل من الحرير الاخضر فجعلتُ اشرب و اطيل في شربي و انا اسارق النظر اليها حتى طال وقوفي ثم رددت الكوز على الجارية و وقفتُ فقالت يا شيخ امض الى حال سبيلك فقلت لها يا سيدتي انا مشغول الفكر فقالت فيما ذا فقلت في تقلّب الزمان و تصرّف الحدثان قالت يحقّ لك لان الزمان ذو عجائب ولكن ما الذي رأيتُ من عجائبه حتى تفكّر فيه فقلت لها افكّر في صاحب هذه الدار لانه كان صديقي في حال حيوته فقالت لي ما اسمه فقلت محمد بن علي الجوهري و كان ذا مال جزيل فهل

Digitized by Google

فَانْ اَبَانَ الرِّضى فَالْقَصْدُ وَالْاَرَبُ وَاِنْ بَدَا لَكُمَا فِي وَجْهِهِ غَضَبُ

فَغَا لِطَاهُ وَقُولَا لَيْسَ نَعْرِفُهُ

فقلت في نفسي ان كان صاحب هذه النغمة مليحا فقد جمع بين الملاحة والفصاحة وحسن الصوت ثم دنوت من الباب وجعلت ارفع الستر قليلا قليلا واذا انا بجارية بيضاء كانها البدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر بحاجبين مقرونين وجفنين نا عسين ونهدين كرمّا نتين ولها شفتان رقيقتان كانهما اقحوانتان وفم كأنّه خاتم سليمان ونضيد اسنان يلعب بعقل الناظم والناثر كما قال فيه الشـــــــاعر

يَادُرَّ ثَغْرِ الْحَبِيبِ مَنْ نَظَمَكْ وَاَوْدَعَ الرَّاحَ وَالْاِقَاحَ فَمَكْ
وَمَنْ اَعَارَ الصَّبَاحَ مُبْتَسَمَكْ وَمَنْ بِقُفْلِ الْعَقِيقِ قَدْ خَتَمَكْ
اَصْبَحَ مَنْ رَأَكَ مِنْ طَرَبٍ يَتِيهُ عُجْبًا فَكَيْفَ مَنْ لَثَمَكْ

وقول الآخر

يَادُرَّ ثَغْرِ حَبِيبِي كُنْ بِالْعَقِيقِ رَحِيمَا
وَلَا تُعَالِ عَلَيْهِ اَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمَا

وبالجملة فقد حازت انواع الجمال وصارت فتنة للنساء والرجال لايشبع من رؤية حسنها الناظر وهي كما قال فيها الشاعر

اِنْ اَقْبَلَتْ قَتَلَتْ وَاِنْ هِيَ اَدْبَرَتْ جَعَلَتْ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ عُشَّاقِهَا
شَمْسِيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ لٰكِنَّهَا لَيْسَ الْجَفَا وَالصَّدُّ مِنْ اَخْلَاقِهَا
جَنَّاتُ عَدْنٍ فُتِّحَتْ بِقَمِيصِهَا وَالْبَدْرُ فِي فَلَكٍ عَلَى اَطْوَاقِهَا

Digitized by Google

البصرة مثل هذه النوبة فانا اقوم في هذه الساعة واتمشّى وحدي لا تفرّج وينهضم عنى الاكل فلبست افخر ثيابي وتمشيّت في جانب البصرة ومعلومك يا امير المؤمنين ان فيها سبعين درباطول كل درب سبعون فرسخا بالعراقي فتُهْتُ فى ازقّتها ولحقنى العطش فبينما انا ماش يا امير المؤمنين واذا بباب كبير له حلقتان من النحاس الاصفر ومرخي عليه ستور من الديباج الاحمر وفي جانبيه مصطبتان وفوقه مكعب للوالي العنب وقد ظللتْ على ذلك الباب فوقفت اتفرّج على هذا المكان فبينما انا واقف اذ سمعتُ صوت انين ناشئ عن قلب حزين يقلّب النغمات وينشد هذه الابيات

جِسْمِي غَدَا مَنْزِلُ الْأَسْقَامِ وَالْمِحَنِ ... مِنْ أَجْلِ ظَبْيٍ بَعِيدِ الدَّارِ وَالْوَطَنِ
فَيَا نَسِيمَا زُرُودٍ هَيِّجَا شَجَنِي ... بِاللهِ رَبِّكُمَا عُوجَا عَلَى سَكَنِي

وَعَاتِبَاهُ لَعَلَّ الْعَتْبَ يَعْطِفُهُ

وَحَسِّنَا الْقَوْلَ إِذْ يَصْغِي لِقَوْلِكُمَا ... وَاسْتَدْرِجَا خَبَرَ الْعُشَّاقِ بَيْنَكُمَا
وَأَوْلِيَانِي جَمِيلاً مِنْ صَنِيعِكُمَا ... وَعَرِّضَا بِي وَقُولَا فِي حَدِيثِكُمَا

مَا بَالُ عَبْدِكَ بِالْهِجْرَانِ تُتْلِفُهُ

مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَاهُ أَوْ مُخَالَفَةٍ ... أَوْ مَيْلِ قَلْبٍ لِغَيْرٍ أَوْ مُحَارَفَةٍ
أَوْ نَقْضِ عَهْدٍ وَثِيقٍ أَوْ مَعَاسَفَةٍ ... فَإِنْ تَبَسَّمَ قُولَا فِي مُلَاطَفَةٍ

مَا ضَرَّ لَوْ بِوِصَالٍ مِنْكَ تُسْعِفُهُ

فَإِنَّهُ بِكَ مَشْغُوفٌ كَمَا يَجِبُ ... وَطَرْفُهُ سَاهِرٌ يَبْكِي وَيَنْتَحِبُ

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مسرورا قال للخليفة يا مولاي فاضرب عنقي لعلّه يزيل ارتك ويذهب القلق الذي عندك فضحك الرشيد من قوله وقال له يا مسرور انظر مَنْ بالباب من الندماء فخرج مسرور ثم عاد وقال يا مولاي الذي على الباب عليّ بن منصور الخليعي الدمشقي قال عليّ به فذهب واتى به فلما دخل قال السلام عليك يا امير المؤمنين فردّ عليه السلام وقال يا ابن منصور حدّثنا بشيء من اخبارك فقال يا امير المؤمنين هل أُحدّثك بشيء رأيتُه عيانا او بشيء سمعتُ به فقال امير المؤمنين ان كنتَ عاينتَ شيأ غريبا فحدّثنا به فانه ليس الخبر كالعيان قال يا امير المؤمنين اَخْلِ لي سمعك وقلبك قال يا ابن منصور ها انا سامع لك باذني ناظر لك بعيني مُصْغٍ لك بقلبي قال يا امير المؤمنين اعلم ان لي كل سنة رسما على محمد بن سليمان الهاشمي سلطان البصرة فمضيت اليه على عادتي فلما وصلت اليه وجدته متهيّأً للركوب الى الصيد والقنص فسلّمت عليه وسلّم عليّ وقال لي يابن منصور اركب معنا الى الصيد فقلت له يا مولاي مالي قدرة على الركوب فاجلسني في دار الضيافة ووصّى عليّ الحجّاب والنوّاب ففعل ذلك ثم توجّه الى الصيد فاكرموني غاية الاكرام وضيّفوني احسن الضيافة فقلت في نفسي يالله العجب انّ لي مدة اقدم من بغداد الى البصرة ولم اعرف في البصرة سوى من القصر الى البستان ومن البستان الى القصر ومتى يكون لي فرصة انتهزها في الفرجة على جهات

Digitized by Google

ولم تزل مسافرة الى ان وصلت الى بلد علي شار ودخل منزله واعطى وتصدّق ووهب ورزق منها الاولاد وعاشا في احسن المسرّات الى ان اتاهما هادم اللذات ومفرّق الجماعات فسبحان الباقي بلا زوال والحمد لله على كل حال

ومما يحكى

ان امير المؤمنين هارون الرشيد ارق ليلة من الليالي وتعذّر عليه النوم ولم يزل يتقلّب من جنب الى جنب لشدّة ارقه فلما اعياه ذلك احضر مسرورا وقال له يا مسرور انظرلي من يسليني على هذا الارق فقال له يا مولاي هل لك ان تدخل البستان الذي في الدار وتتفرّج على ما فيه من الازهار وتنظر الى الكواكب وحسن ترصيعها والقمر بينها مشرق على الماء قال له يا مسرور ان نفسي لا تهفو الى شيء من ذلك قال يا مولاي ان في قصرك ثلثمائة سرّية لكل سرّية مقصورة فأمُرْ كل واحدة منهن ان تختلي بنفسها في مقصورتها وتدور انت تتفرّج عليهنّ وهنّ لايدرين قال يا مسرور القصر قصري والجواري ملكي غير ان نفسي لاتهفو الى شيء من ذلك قال يا مولاي أُأمر العلماء والحكماء والشعراء ان يحضروا بين يديك ويفيضون في المباحث وينشدون لك الاشعار ويقصّون عليك الحكايات والاخبار قال ما تهفو نفسي الى شيء من ذلك قال يا مولاي أُأمر الغلمان والندماء والظرفاء ان يحضروا بين يديك ويتحفوك بغريب النكات قال يا مسرور ما تهفو نفسي الى شيء من ذلك قال يا مولاي فاضرب عنقي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

من الحرير واليمن من الزبد فقال في نفسه ان هذا الملك خير من جميع النساء ثم انها صبرت ساعة وهي على ظهره وبعد ذلك انقلبت على الارض فقال علي شار الحمد لله كان ذكره لم ينتصب فقالت يا علي انّ من عادة ذكري انه لا ينتصب الّا اذا عركوه بايد يهم فقم واعركه بيدك حتى ينتصب والّا تقتلك ثم رقدت على ظهرها واخذت يده ووضعتها على فرجها فوجد فرجا انعم من الحرير وهو ابيض مربرب كبير يحكي في السخونة حرارة الحمّام او قلب صبّ ضناه الغرام فقال علي شار في نفسه ان الملك له كسّ فهذا من العجب العجاب وادركته الشهوة فصار ذكره في غاية الانتصاب فلما رأت منه ذلك ضحكت وقهقهت وقالت يا سيدي قد حصل هذا كلّه وما تعرفني فقال ومَنْ انت ايها الملك قالت انا جاريتك زمرد فلمّا علم ذلك قبّلها وعانقها وانقضّ عليها مثل الاسد على الشاة وتحقّق انها جاريته بلا اشتباه فاخمد تضيبه في حرابها ولم يزل بوّابا لبابها واماما لمحرابها وهي معه في ركوع وسجود وقيام وقعود الّا انها صارت تتبع التسبيحات بغنج في ضمنه حركات حتى سمع الطواشية فجاؤا ونظروا من خلف الاستار فوجدوا الملك راقدا وفوقه علي شار وهو يرصع ويرهز وهي تشخو وتغنج فقالت الطواشية ان هذا الغنج ما هو غنج رجل لعل هذا الملك امرأة ثم كتموا امرهم ولم يظهروه على احد فلما اصبحت زمرد ارسلت الى كامل العسكر وارباب الدولة واحضرتهم وقالت لهم انا اريد ان اسافر الى بلد هذا الرجل فاختاروا لكم نائبا يحكم بينكم حتى احضر عندكم فاجابوا زمرد بالسمع والطاعة ثم شرعت في تجهيز آلة السفر من زاد واموال وارزاق وتحف وجمال وبغال وسافرت من المدينة

Digitized by Google

رجليها والتعاليق الذهب مشرقة في ذلك المحل فلما سمع الناس بارسالها اليه تعجّبوا من ذلك وصار كلواحد منهم يظنّ ظنا ويقول مقالة وقال بعضهم ان الملك على كل حال تعلّق بهذا الغلام وفي غد يجعله قائد عسكر فلما دخلوا به عليها قبّل الارض بين يديها ودعا لها فقالت في نفسها لا بدّ ان امزح معه ساعة ولا اعلمه بنفسي ثم قالت يا علي هل ذهبت الحمام قال نعم يا مولاي قالت قم كُلْ من هذا الدجاج واللحم واشرب من هذا السكّر والشراب فانّك تعبان وبعد ذلك تعال هنا فقال سمعا وطاعة ثم فعل ما امرته به ولمّا فرغ من الاكل والشرب قالت له اطلع عندي على السرير وكَبِّسني فشرع يكبّس رجليها وسيقانها فوجدها انعم من الحرير فقالت له اطلع بالتكبيس الى فوق فقال العفو يا مولاي من عند الركبة ما اتعدّى قالت أتُخالفني فتكون ليلة مشئومة عليك وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان زمرد قالت لسيدها علي شار اتخالفني فتكون ليلة مشئومة عليك بل ينبغي لك ان تطاوعني وانا اعملك معشوقي واجعلك اميرا من امرائي فقال علي شار يا ملك الزمان ما الذي اطيعك فيه قالت حلّ لباسك ونُمْ على وجهك فقال هذا شيءٌ عمري ما فعلته وان قهرتني على ذلك فاني اخاصمك فيه عند الله يوم القيامة فخذ كل شيء اعطيتني اياه ودعني اروح من مدينتك ثم بكى وانتحب فقالت له حلّ لباسك ونم على وجهك والّا ضربت عنقك ففعل فطلعت على ظهره فوجد شيئا نا عما انعم

Digitized by Google

لانه لوكان يريد ضرره ماكان تركه يأكل حتى يشبع فلما وقف قدام زمرد سلّم وقبّل الارض بين يديها فردت عليه السلام وقابلته بالاكرام وقالت له ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك الى هذه المدينة فقال لها يا ملك اسمي علي شار وانا من اولاد التجّار وبلدي خراسان وسبب مجيئي الى هذه المدينة التفتيش على جارية ضاعت منّي وكانت عندي اعزّ من سمعي وبصري فروحي متعلقة بها من حين فقد تُها وهذه قصتي ثم بكى حتى غشي عليه فامرت ان يرشّوا على وجهه ماء الورد فرشّوا على وجهه ماء الورد حتى افاق فلما افاق من غشيته قالت عليّ بتخت الرمل والقلم النحاس فجاؤا به فاخذت القلم وضربت تخت الرمل وتأمّلت فيه ساعة من الزمان ثم بعد ذلك قالت له صدقتَ في كلامك الله يجمعك عليها قريبا فلا تقلق ثم امرت الحاجب ان يمضي به الى الحمام ويلبسه بدلة حسنة من ثياب الملوك ويركبه فرسا من خواص خيل الملك ويمضي به بعد ذلك الى القصر في آخر النهار فقال الحاجب سمعا وطاعة ثم اخذه من قدّامها وتوجّه به فقال الناس لبعضهم ما بال السلطان لاطف الغلام هذه الملاطفة وقال بعضهم اَمَا قلت لكم انه لا يسيئه فان شكله حسن ومن حين صبر عليه لمّا شبع عرفتُ ذلك وصار كل واحد منهم يقول مقالة ثم تفرّق الناس الى حال سبيلهم وما صدقت زمرد ان الليل يقبل حتى تختلي بمحبوب قلبها فلمّا اتى الليل دخلتْ محل مبيتها واظهرت انه غلب عليها النوم ولم يكن لها عادة بان ينام عندها احد غير خادمين صغيرين برسم الخدمة فلما استقرّت في ذلك المحل ارسلتْ الى محبوبها علي شار وقد جلستْ على السرير والشمع يضيء فوق رأسها وتحت

Digitized by Google

ولما دخلت عليه السنة الثانية قالت له العجوز يا ولدي هذا الذي انت فيه من الكآبة والحزن لايردّ عليك محبوبتك فقم وشدّ حيلك وفتّش عليها في البلاد لعلّك ان تقع على خبرها ولم تزل تجلده وتقويه حتى نشطته وادخلته الحمام واسقته الشراب واطعمته الدجاج وصارت كل يوم تفعل معه كذلك مدة شهر حتى تقوى وصار ولم يزل مسافرا الى ان وصل الى مدينة زمرد ودخل الميدان وجلس على الطعام ومدّيده ليأكل فحزنت عليه الناس وقالوا له يا شاب لا تأكل من هذا الصحن لان من اكل منه يحصل له ضرر فقال دعوني آكل منه ويفعلون بي ما يريدون لعلّي استريح من هذه الحيوة المتعبة ثم اكل اول لقمة وارادت زمرد ان تحضره بين يديها فخطر ببالها انه جائع فقالت في نفسها المناسب اني ادعه يأكل حتى يشبع فصار يأكل والخلق باهتة له ينتظرون الذي يجري له فلما اكل وشبع قالت لبعض الطواشية امضوا الى ذلك الشاب الذي يأكل من الارز وها توه برفق وقولوا له كلّم الملك لسوال لطيف وجواب فقالوا سمعا وطاعة ثم ذهبوا اليه حتى وقفوا على رأسه وقالوا له يا سيدي تفضّل كلّم الملك وانت منشرح الصدر فقال سمعا وطاعة ثم مضى مع الطواشية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان علي شار قال سمعا وطاعة ثم ذهب مع الطواشية فقال الخلق لبعضهم لاحول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم يا ترى ما الذي يفعله به الملك فقال بعضهم لايفعل به الّا خيرا

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان عليا شار لمّا افاق من غشيته رأى العجوز تبكي من اجله وتفيض دمع العين فتضجر وانشد هذين البيتين

مَا اَمَرَّ الْفِرَاقَ لِلْاَحْبَابِ ... وَاَلَذَّ الْوِصَالَ لِلْعُشَّاقِ
جَمَعَ اللّٰهُ شَمْلَ كُلِّ مُحِبٍّ ... وَرَعَانِيْ لَا نَّنِيْ فِي السِّيَاقِ

فحزنت عليه العجوز وقالت له اقعد هنا حتى اكشف لك الخبر واعود بسرعة فقال سمعا وطاعة ثم تركته وذهبت وغابت عنه الى نصف النهار ثم عادت اليه وقالت يا علي ما اظنّ الّا انك تموت بحسرتك لانك ما بقيت تنظر محبوبتك الّا علي الصراط وذلك ان اهل القصر لمّا اصبحوا وجدوا الشباك الذي يطل على البستان مخلوعا ووجدوا زمرد مفقودة ومعها خرج مال للنصراني ولما وصلتُ هناك وجدت الوالي واقفا على باب القصر هو وجماعته فلا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم فلما سمع علي شار منها هذا الكلام تبدّل الضياء في وجهه بالظلام ويئس من الحيوة وايقن بالوفاة ومازال يبكي حتى وقع مغشيا عليه فلما افاق اضرّبه العشق والفراق ومرض مرضا شديدا ولزم داره فمازالت العجوز تأتيه بالاطباء وتسقيه الاشربة وتعمل له المساليق مدة سنة كاملة حتى ردّت له روحه فتذكّر ما فات وانشد هذه الابيات

اَلْهَمُّ مُجْتَمِعٌ وَالشَّمْلُ مُفْتَرِقُ ... وَالدَّمْعُ مُسْتَبِقٌ وَالْقَلْبُ مُحْتَرِقُ
زَادَ الْغَرَامُ عَلَى مَنْ لَا قَرَارَ لَهُ ... وَقَدْ ضَنَاهُ الْهَوَى وَالشَّوْقُ وَالْقَلَقُ
يَارَبِّ اِنْ كَانَ شَيْءٌ فِيْهِ لِيْ فَرَجٌ ... فَامْنُنْ عَلَيَّ بِهِ مَا دَامَ لِيْ رَمَقُ

Digitized by Google

الاذن في الاكل وكان موضع الصحن الارز خاليا وجلست هي على رأس السماط وجعلت عينها قبال باب الميدان لتنتظر كل من يدخل منه وصارت تقول في سرّها يا من ردّ يوسف على يعقوب وكشف البلاء عن ايوب أُمْنُنْ عليّ برد سيدي علي شار بقدرتك وعظمتك انك على كل شيءٍ قدير يارب العالمين يا هاديَ الضالّين يا سامعَ الاصوات يا مجيبَ الدعوات استجِبْ مني يارب العالمين فلم يتمّ دعاؤها الّا وشخص داخل من باب الميدان كأنّ قوامه غصن بان الّا انه نحيل البدن يلوح عليه الاصفرار وهو احسن مايكون من الشباب كامل العقل والآداب فلما دخل لم يجد موضعا خاليا الّا الموضع الذي عند الصحن الارز فجلس فيه ولمّا رأته زمرد خفق قلبها فحدّقت النظر فيه فتبيّن لها انه سيّدها علي شار فارادت ان تصرخ من الفرح فثبّتت نفسها وخشيت من الفضيحة بين الناس ولكن تقلقلت احشاؤها واضطرب قلبها فكتمت مابها وكان السبب في مجيء علي شار انه لما رقد على المصطَبة ونزلت زمرد واخذها جوان الكردي استيقظ بعد ذلك فوجد نفسه مكشوف الرأس فعرف انّ انسانا تعدّى عليه واخذ عمامته وهو نائم فقال الكلمة التي لا يخجل قائلها وهي انّا لله وانّا اليه راجعون ثم انه رجع الى العجوز التي كانت اخبرته بمكان زمرد وطرق عليها الباب فخرجت اليه فبكى بين يديها حتى وقع مغشيا عليه فلما افاق اخبرها بجميع ما حصل له فلامته وعنّفته على ماوقع منه وقالت له ان مصيبتك وداهيتك من نفسك ولا زالت تلومه حتى طفح الدم من منخريه ووقع مغشيا عليه فلما افاق من غشيته وادْرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملكة استغفرت الله عزوجل وقالت لعلّ الله يجمع شملي بحبيبي علي شار تريبا انّه على ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير ثم حمدت الله ووالت الاستغفار وسلمت لموا قع الاقدار وايقنت انه لا بدّ لكل اول من آخر وانشدت قول الشاعر

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَانَّ الْاُمُوْرَ ... بِكَفِّ الْاِلٰهِ مَقَادِيْرُهَا
فَلَيْسَ بَآتِيْكَ مَنْهِيُّهَا ... وَلَا قَاصِرٌ عَنْكَ مَأْمُوْرُهَا

و قول الآخر

دَرِّجِ الْاَيَّامَ تَنْدَرِجْ ... وَبُيُوْتُ الْهَمِّ لَا تَلِجْ
رُبَّ اَمْرٍ عَزَّ مَطْلَبُهُ ... قَرَّبَتْهُ سَاعَةُ الْفَرَجْ

وقول الآخر

كُنْ حَلِيْمًا اِذَا بُلِيْتَ بِغَيْظٍ ... وَصَبُوْرًا اِذَا اَتَتْكَ مُصِيْبَهْ
اِنَّ اللَّيَالِيْ مِنَ الزَّمَانِ حَبَالٰى ... مُثْقَلَاتٍ يَلِدْنَ كُلَّ عَجِيْبَهْ

وقول الآخر

اِصْبِرْ فَفِي الصَّبْرِ خَيْرٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِ ... لَطِبْتَ نَفْسًا وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الْاَلَمِ
وَاعْلَمْ بِاَنَّكَ لَوْلَمْ تَصْطَبِرْ كَرَمًا ... صَبَرْتَ رَغْمًا عَلٰى مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ

فلما فرغت من شعرها مكثت بعد ذلك شهرا كاملا وهي بالنهار تحكم بين الناس وتأمر وتنهى وبالليل تبكي و تنتحب على فراق سيدها علي شار و لما هلّ الشهر الجديد امرت بمدّ السماط في الميدان على جرى العادة وجلست فوق الناس وصاروا ينتظرون

Digitized by Google

ولا صنعة لي لانّي فقير درويش فقالت لجماعتها هاتوا لي تخت رمل والقلم النحاس فأتوها بما طلبته على العادة فاخذت القلم وخطت به تخت رمل ومكثت تتأمل فيه ساعة ثم رفعت رأسها اليه وقالت يا كلب كيف تكذب على الملوك انت اسمك رشيد الدين النصراني وصنعتك انك تنصب الحيَل لجوارى المسلمين وتأخذهن وانت مسلم فى الظاهر نصراني فى البـــاطن فانطقْ بالحق وان لم تنطق بالحـــق فاني اضرب عنقك فتلجلج في كلامه ثم قال صدقتَ يا ملك الزمان فامرتْ به ان يمدّ ويضـــرب على كل رِجْل مائة سوط وعلى جسده الف سوط وبعد ذلك يسلخ ويحشى جلده ساســـا ثم تحفرُ له حفرة في خارج المدينة ويحرق وبعد ذلك يضعون عليه الاوساخ والاقذار ففعلوا ما امرتهم به ثم اذنت للناس بالاكل فأكلوا ولمّـــا فرغ الناس من الاكل وانصرفوا الى حال سبيلهم طلعت الملكة زمرد الى قصرها وقالت الحمـــد لله الذي اراح قلبي من الذين آذوني ثم انها شكرتْ فاطِرَ الارض والسمٰوات وانشـــدتْ هذه الابيـــات

تَحَكَّمُوْا فَاسْتَطَالُوْا فِيْ تَحَكُّمِهِمْ ... وَبَعْدَ حِيْنٍ كَأَنَّ الْحُكْمَ لَمْ يَكُنِ
لَوْ اَنْصَفُوْا اَنْصَفُوْا لٰكِنْ بَغَوْا فَاتَى ... عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ بِالْآفَاتِ وَالْمِحَنِ
فَاَصْبَحُوْا وَلِسَانُ الْحَالِ يُنْشِدُهُمْ ... هٰذَا بِذَاكَ وَلَا عَتْبٌ عَلَى الزَّمَنِ

ولما فرغت من شعرها خطر ببالها شيّدها علي شارفبكت بالدموع الغزار وبعد ذلك رجعت الى عقلها وقالت فى نفسها لعلّ الله الذي مكّنني من اعدائي يمنّ عليّ برجوع احبّائي فاستغفرت الله عزوجل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

Digitized by Google

حتى وقف على السماط فلم يجد مكانا خاليا الّا عند الصحن فجلس فيه فتأملته فوجدته الملعون النصراني الذي سمّى نفسه رشيد الدين فقالت في نفسها ما ابرك هذا الطعام الذي وقع في حبائله هذا الكافر وكان لمجيئه سبب عجيب وهو انه لمّا رجع من سفره وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملعون الذي سمّى نفسه رشيد الدين لمّا رجع من سفره اخبره اهل بيته ان زمرد قد فقدت ومعها خرج مال فلما سمع ذلك الخبر شقّ اثوابه ولطم على وجهه ونتف لحيته وارسل اخاه برسوم يفتّش عليها في البلاد فلما ابطأ عليه خبره خرج هو بنفسه ليفتّش على اخيه وعلى زمرد في البلاد فرمته المقادير الى مدينة زمرد ودخل تلك المدينة في اول يوم من الشهر فلما مشى في شوارعها وجدها خالية ورأى الدكاكين مقفولة ونظر النساء في الطيقان فسأل بعضهن عن هذا الحال فقلن له ان الملك يعمل سماطا لجميع الناس في اول كل شهر ويأكل منه الخلق جميعا وما يقدر احدان يجلس في بيته ولا في دكّانه ودلّيته على الميدان فلما دخل الميدان وجد الناس مزدحمين على الطعام ولم يجد موضعا خاليا الّا الموضع الذي فيه الصحن الارز المعهود فجلس فيه ومدّ يده ليأكل منه فصاحت الملكة على بعض العسكر وقالت هاتوا الذي قعد على الصحن الارز فعرفوه بالعادة وقبضوا عليه واوقفوه قدام الملكة زمرد فقالت له ويلك ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك الى مدينتنا فقال يا ملك الزمان اسمي رستم

على كل من يأكل منه ثم ان الملكة زمرد قالت له ما اسمك و ما صنعتك و ما سبب مجيئك مدينتنا قال يا مولانا السلطان اسمي عثمان و صنعتي خولي بستان و سبب مجيئي الى هذه المدينة انني دائر افتش على شيء ضاع مني فقالت الملكة عليّ بتخت الرمل فاحضروه بين يديها فاخذت القلم وضربت تخت رمل ثم تأملت فيه ساعة و بعد ذلك رفعت رأسها و قالت له ويلك يا خبيث كيف تكذب على الملوك هذا الرمل يخبرني ان اسمك جوان الكردي و صنعتك انك لص تأخذ اموال الناس بالباطل وتقتل النفس التي حرّم الله قتلها الّا بالحق ثم صاحت عليه وقالت له يا خنزير اصدقني بخبرك والّا قطعت رأسك فلما سمع كلامها اصفرّ لونه وضحكت اسنانه وظنّ انه إنْ نطق بالحق ينجو فقال صدقت ايها الملك ولكنني اتوب على يديك من الآن وارجع الى الله تعالى فقالت له الملكة لايحلّ لي ان اترك آفة في طريق المسلمين ثم قالت لبعض اتباعها خذوه واسلخوا جلده وافعلوا به مثل ما فعلتم بنظيره في الشهر الماضي ففعلوا ما امرتهم به ولمّا راى الحشّاش العسكر حين قبضوا على ذلك الرجل ادار ظهره الى الصحن الارز وقال ان استقبالك بوجهي حرام ولمّا فرغوا من الاكل تفرّقوا وذهبوا الى اماكنهم وطلعت الملكة قصرها واذنت للمماليك بالانصراف ولما هلّ الشهر الثالث نزلوا الى الميدان على جري العادة واحضروا الطعام وجلس الناس ينتظرون الاذن واذا بالملكة قد اقبلت وجلست على الكرسي وهي تنظر اليهم فوجدت موضع الصحن الارز خاليا وهو يسع اربعة انفس فتعجبت من ذلك فبينما هي تجول بنظرها اذ حانت منها التفاتة فنظرت انسانا داخلا من باب الميدان يُهَرْوِل ومازال يهرول

Digitized by Google

اخانا ما تريدان تعمل قال اريدان آكل من هذا الصحن حتى اشبع فقال له واحدان اكلت منه تصبح مشنوقا فقال له اسكت ولا تنطق بهذا الكلام ثم مدّيده الى الصحن وجرّه قدامه وكان الحشّاش المتقدم ذكره جالسا في جنبه فلما رأه جرّ الصحن قدّامه هرب من مكانه وطارت الحشيشة من رأسه وجلس بعيدا وقال انا مالي حاجة بهذا الصحن ثم ان جوان الكردي مدّيده الى الصحن وهي في صورة رِجْل الغُراب وغرف بها واطلعها منه وهي في صورة خفّ الجمل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان جوان الكردي اطلع يده من الصحن وهي في صورة خف الجمل ودوّر اللقمة في كفّه حتى صارت مثل النارنجة الكبيرة ثم رماها في فمه بسرعة فانحدرت في حلقه ولها قرقعة مثل الرعد وبان قمر الصحن من موضعها فقال له مَنْ بجانبه الحمد لله الذي لم يجعلني طعاما بين يديك لانك خسفت الصحن بلقمة واحدة فقال الحشاش دعوه يأكل فاني تخيّلت فيه صورة المشنوق ثم التفت اليه وقال له كُلْ لاهناك الله فمدّيده الى اللقمة الثانية واراد ان يدوّرها في يده مثل اللقمة الاولى واذا بالملكة صاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا ذلك الرجل بسرعة ولا تدعوه يأكل اللقمة التي في يده فتجارت عليه العساكر وهو مكبّ على الصحن وقبضوا عليه واخذوه واوقفوه قدام الملكة زمرد فشمتت الناس به وقالوا لبعضهم انه يستاهل لاننا نصحناه فلم ينتصح وهذا المكان موعود بقتل من جلس فيه وذلك الارز مشئوم

Digitized by Google

الملكة زمرد على الكرسي ووقف العسكر على جري العادة وهم خائفون من سطوتها ودخلت الناس من اهل المدينة على العادة وداروا حول السماط ونظروا الى موضع الصحن فقال واحد منهم للآخر يا حجّ خلف قال له لبيك يا حجّ خالد قال تجنّب الصحن الارز الحلو واحذران تأكل منه فان اكلت منه تصبح مشنوقا ثم انهم جلسوا حول السماط للاكل فبينما هم يأكلون والملكة زمرد جالسة اذ حانت منها التفاتة الى رجل داخل يهرول من باب الميدان فتأملته فوجدته جوان الكردي اللصّ الذي قتل الجندي وسبب مجيئه انه كان ترك امّه ومضى الى رفقائه وقال لهم اني كسبت البارحة كسبا طيّبا وقتلت جنديّا واخذت فرسه وحصل لي في تلك الليلة خرج ملآن ذهبا وصبية قيمتها اكثر من الذهب الذي في الخرج ووضعت جميع ذلك في الغار عند والدتي ففرحوا بذلك وتوجّهوا الى الغار في آخر النهار ودخل جوان الكردي قدّامهم وهم خلفه واراد ان يأتي لهم بما قال لهم عليه فوجد المكان قفرا فسأل امّه عن حقيقة الامر فاخبرته بجميع ما جرى فعضّ على كفيه ندما وقال والله لادورنّ على هذه الفاجرة وآخذها من المكان الذي هي فيه ولو كانت في قشور الفستق واشفي غليلي منها وخرج يفتّش عليها ولم يزل دائرا في البلاد حتى وصل الى مدينة الملكة زمرد فلما دخل المدينة لم يجد فيها احدا فسأل بعض النساء الناظرات من الشبابيك فاعلمنه ان اول كل شهر يمدّ السلطان سماطا وتروح الناس وتأكل منه ودلّينه على الميدان الذي يمدّ فيه السماط فجاء وهو يهرول فلم يجد مكانا خاليا يجلس فيه الا عند الصحن المتقدم ذكره فقعد وصار الصحن قدامه فمدّ يده اليه فصاحت عليه النساء وقالوا له يا

Digitized by Google

ذلك رفعت رأسها وتأمّلت في برسوم ساعة زمانية وقالت له يا كلب كيف تكذب على الملوك اَمَا انت نصراني واسمك برسوم وقداتيت الى حاجة تفتّش عليها فاصدقني الخبر والّا وعزّة الربوبية اضرب عنقك فتَلَجْلَجَ النصراني فقال الامراء و الحاضرون ان هذا الملك يعرف ضرب الرمل سبحان من اعطاه ثم صاحت على النصراني وقالت له اصدقني الخبر والّا اهلكتك فقال النصراني العفو يا ملك الزمان انك صادق في ضرب الرمل فان الا بعد نصراني وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الحادية و العشرون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان النصراني قال العفو يا ملك الزمان انك صادق في ضرب الرمل فان الا بعد نصراني فتعجب الحاضرون من الامراء وغيرهم من اصابة الملك في ضرب الرمل وقالوا ان هذا الملك منجّم ما في الدنيـــا مثله ثم ان الملكة امرت بان يسلخ النصراني ويحشى جلده تبنا ويعلق على باب الميدان و ان يحفر حفرة في خارج البلد ويحرق فيها لحمه و عظمـــه و ترمى عليه الاوساخ والاقذار فقالوا سمعا وطاعة وفعلوا جميع ما امرتهم به فلما نظر الخلق ما حلّ بالنصراني قالوا جزاؤه ما حلّ به فما كان اشأمها لقمة عليه فقال واحد منهم على البعيد الطلاق عمري ما بقيت أكل ارزا حلوا فقال الحشّاش الحمد لله الذي عافاني مما حلّ بهذا حيث حفظني من اكل ذلك الارز ثم خرج النـاس جميعهم وقد حرموا الجلوس على الارز الحلو في موضع ذلك النصراني ولمـا كان الشهر الثالث مدوا السماط على جري العادة وملؤه بالاصحن و تعددت

Digitized by Google

مرشوش عليه سكر وكان بعيدا عنه فزاحم عليه ومدّيده اليه وتناوله ووضعه قدّامه فقال له رجل بجانبه لِمَ لا تأكل من قدّامك أمّا هذا عيب عليك كيف تمديدك الى شي بعيد عنك اما تستحي فقال له برسوم ما أكل الّامنه فقال له الرجل كُلْ لا هنّاك الله به فقال رجل حشّاش دعه يأكل منه حتى أكل انا الآخر معه فقال له الرجل يا انحس الحشّاشين هذا ماهو مأكولكم وانما هو مأكول الامراء فاتركوه حتى يرجع الى اصحابه فيأكلوه فخالفه برسوم واخذ منه لقمة وحطّها في فمه واراد ان يأخذ الثانية والملكة تنظر اليه فصاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا هذا الذي قدّامه الصحن الارزّ الحلو ولا تدعوه يأكل اللقمة التي في يده بل ارموها من يده فجاءه اربعة من العساكر وسحبوه على وجهه بعد ان ارموا اللقمة من يده واوقفوه قدّام زمرد فامتنعت الناس عن الاكل وقال بعضهم لبعض والله انّه ظالم لانه لم يأكل من طعام امثالنا فقال واحد انا قنعت بهذا الكشك الذي قدامي فقال الحشّاش الحمد لله الذي منعني ان آكل من الصحن الارز الحلو شيأ لاني كنت انتظر ان يستقرّ قدّامه ويتهنى عليه ثم أكل معه فحصل له ما رأينا فقالت الناس لبعضهم اصبروا حتى ننظر ما يجري عليه فلما قدموه بين يدي الملكة زمرد قالت له ويلك من ازرق العينين ما اسمك وما سبب قدومك الى بلادنا فانكر الملعون اسمه وكان متعمّما بعمامة بيضاء فقال يا ملك اسمي علي وصنعتي حيّاك وجئت الى هذه المدينة من اجل التجارة فقالت زمرد ائتوني بتخت رمل وقلم من نحاس فجاؤا بما طلبته في الحال فاخذت التخت الرمل والقلم وضربت تخت رمل وخطت بالقلم صورة مثل صورة قِرْد ثم بعد

Digitized by Google

فنزلت الى الميدان ونادى المنادي يا معاشر الناس كافّة كل من فتح دكّانه او حاصله او منزله شنق في الحال على باب مكانه بل يجب عليكم انكم تحضرون جميعا لتأكلوا من سماط الملك فلما فرغت المناداة وقد وضعوا السماط جاءت الخلق افواجا فامرتهم بالجلوس على السماط ليأكلوا حتى يشبعوا من سائر الالوان فجلسوا يأكلون كما امرتهم وجلست على كرسي المملكة تنظر اليهم فصار كل من جلس على السماط يقول في نفسه ان الملك لا ينظر الّا اليّ وجعلوا يأكلون وصار الامراء يقولون للناس كلوا ولا تستحوا فان الملك يحبّ ذلك فاكلوا حتى شبعوا وانصرفوا داعين للملك وصار بعضهم يقول لبعض عمرنا مارأينا سلطانا يحبّ الفقراء مثل هذا السلطان ودعوا له بطول البقاء وذهبت الى قصرها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة زمرد ذهبت الى قصرها وهي فرحانة بمارتبته وقالت في نفسها ان شاء الله تعالى بسبب ذلك اقع على خبر سيدي علي شار ولما هلّ الشهر الثاني فعلت ذلك الامر على جري العادة ووضعوا السماط ونزلت زمرد وجلست على كرسيها وامرت الناس ان يجلسوا ويأكلوا فبينما هي جالسة على رأس السماط والناس يجلسون عليه جماعة بعد جماعة وواحدا بعد واحد اذ وقعت عينها على برسوم النصراني الذي كان اشترى الستر من سيدها فعرفته وقالت هذا اول الفرج وبلوغ المنى ثم ان برسوم تقدّم وجلس مع الناس يأكل فنظر الى صحن ارزّ حلو

Digitized by Google

بينها و بينه و اتّفق انها تذكّرته فى بعض الليالي و تذكّرت ايامها التي مضت لها معه فافاضت دمع العين و انشدت هذين البيتيـــن

شَوْقِي اِلَيْكَ عَلَى الزَّمَانِ جَدِيْدُ وَ الدَّمْعُ تَرَّحَ مُقْلَتِي وَيَزِيْدُ
وَ اِذَا بَكَيْتُ بَكَيْتُ مِنْ اَلَمِ الْجَوَى اِنَّ الْفِرَاقَ عَلَى الْمُحِبِّ شَدِيْدُ

فلما فرغت من شعرها مسحت دموعها و ظلعت القصـر و دخلت الحريم و افردت للجواري و السراري معازل و رتّبت لهن الـرواتب و الجرايات و زعمت انهـــا تريدان تجلس في مكان وحدها عاكفة على العبـــادة و صارت تصوم و تصلّي حتى قالت الامراء ان هذا السلطان له ديانة عظيمة ثم انها لم تدع عندها احدا من الخدم غير طواشيين صغيرين لاجل الخدمة و جلست في تخت الملك سنة و هي لم تسمع لسيّدها خبـــرا و لم تقف له على اثر فقلقت من ذلك فلما اشتدّ قلقها دعت بالوزراء والحجّاب و امرتهم ان يحضروا لها المهندسين و البنّائين و ان يبنوا لها تحت القصر ميدانا طوله فرسخ و عرضه فرسخ ففعلوا ما امرتهم به في اسرع وقت فجاء الميدان على طبق مرادها فلما تمّ ذلك الميدان نزلت فيه و ضربت لها فيه قبّة عظيمة وصفّت فيه كراسي الامراء و امرت ان يمدّوا سمـــاطا من سائر الاطعمة الفاخرة في ذلك الميدان ففعلوا ما امرتهم به ثم امرت ارباب الدولة ان يأكلوا فاكلوا ثم قالت للامراء اريد اذا هلّ الشـــهر الجديد ان تفعلوا هكذا وتنادوا فى المدينة انه لا يفتح احد دكّانه بل يحضرون جميعا و يأكلون من سماط الملك وكل من خالف منهم يشنق على باب داره فلمـــا هلّ الشهر الجديد فعلوا ما امرتهم به و استمرّوا على هذه العادة الى ان هلّ اول الشهر في السنة الثانية

Digitized by Google

له و لن تخرج العسـاكر الى ظاهر المدينة و يمكثون ثلثة ايام فاي انسان جاء من طريقك التي جئت منها يجعلونه سلطانا عليهم و الحمد لله الذي ساق لنا انسانا من اولاد الترك جميل الوجه فلو طلع علينا اقلّ منك كان سلطانا و كانت زمرّد صاحبة رأي في جميع افعالها فقالت لا تحسبوا انّني من اولاد عـامة الاتراك بل انا من اولاد الاكابر لكنّني غضبت من اهلي فخرجت من عندهم و تركتهم و انظروا الى هذا الخرج الذهب الذي جئت به تحتي لاتصدّق منه على الفقراء و المساكين طول الطريق فدعوا لها و فرحوا بها غاية الفرح وكذلك زمرّد فرحت بهم ثم قالت في نفسها بعد ان وصلتُ الى هذا الامر و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـاح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زمرّد قالت في نفسها بعد ان وصلتُ الى هذا الامر لعل الله يجمعني بسيّدي في هذا المكان انه على ما يشاء قدير ثم سارت فسار العسكر بسيرها حتى دخلوا المدينة و ترجّل العسكر بين يديها حتى ادخلوها القصر فنزلت و اخذها الامراء و الاكابر من تحت ابطيها حتى اجلسوها على الكرسي و قبّلوا الارض جميعـا بين يديها فلمـا جلست على الكرسي امرت بفتح الخزائن ففتحت و انفقت على جميع العسكر فدعوا لها بدوام الملك و اطاعها العباد و سائر اهل البلاد و استمرّت على ذلك مدة من الزمان و هي تأمر و تنهى و قد صار لها في قلوب الناس هيبة عظيمة من اجل الكرم و العفّة و ابطلت المكوس و اطلقت من في الحبوس و رفعت المظالم فاحبّها جميع الناس و كلما تذكّرت سيّدها تبكي و تدعوا الله ان يجمع

Digitized by Google

معها فصارت تقبلها وتقتل القمل من رأسها الى ان استلذت بذلك ورقدت فقامت زمرد ولبست ثياب الجندي الذي قتله جوان الكردي وشدت سيفه في وسطها وتعممت بعمامته حتى صارت كانها رجل وركبت الفرس واخذت الخرج الذهب معها وقالت يا جميل الستر استرني بجاه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انها قالت في نفسها ان رحت الى البلد ربما ينظرني احد من اهل الجندي فلا يحصل لي خير ثم اعرضت عن دخول المدينة وسارت في البر الاقفر ولم تزل سائرة بالخرج والفرس وتأكل من نبات الارض وتطعم الفرس منه وتشرب وتسقيها من الانهار مدة عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر اقبلت على مدينة طيبة امينة بالخير مكينة قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده واقبل عليها فصل الربيع بزهره ووردة فزهت ازهارها وتدفقت انهارها وغردت اطيارها فلما وصلت الى المدينة وقربت من بابها وجدت العساكر والامراء واكابر اهل المدينة فتعجبت لما نظرتهم على هذه الحالة وقالت في نفسها ان اهل هذه المدينة كلهم مجتمعون ببابها ولابد لذلك من سبب ثم انها قصدتهم فلما قربت منهم تسابق اليها العساكر وترجلوا وقبلوا الارض بين يديها وقالوا الله ينصرك يا مولانا السلطان واصطفت بين يديها ارباب المناصب فصارت العساكر يرتبون الناس ويقولون الله ينصرك ويجعل قدومك مباركا على المسلمين يا سلطان العالمين ثبتك الله يا ملك الزمان يا فريد العصر والاوان فقالت لهم زمرد ما خبركم يا اهل هذه المدينة فقال الحاجب انه اعطاك من لا يبخل بالعطاء وجعلك سلطانا على هذه المدينة وحاكما على رقاب جميع من فيها واعلم ان عادة اهل هذه المدينة اذا مات ملكهم ولم يكن

Digitized by Google

دخلت هذه المدينة قبل الآن واعرف فيها غارا خارج البلد يسع اربعين نفسا وانا اريدان اسبقكم اليه وادخل امّي في ذلك الغار ثم ارجع الى المدينة واسرق منها شيأ على بختكم واحفظ على اسمكم الى ان تحضروا فيكون ضيافتكم في ذلك النهار من عندي فقال له احمد الدنف افعل ما تريد فخرج قبلهم وسبقهم الى ذلك المحل ووضع امه في ذلك الغار ولما خرج من الغار وجد جنديّا راقدا وعنده فرس مربوط فذبحه واخذ ثيابه واخذ فرسه وسلاحه وثيابه واخفاها في الغار عند امّه وربط الحصان هناك ثم رجع الى المدينة ومشى حتى وصل الى قصر النصراني وفعل ما تقدّم ذكره من اخذ عمامة علي شار ومن اخذ زمرد جاريته ولم يزل يجري بها الى ان حطها عند امّه وقال لها احتفظي عليها الى حين ارجع اليكِ في بكرة النهار ثم ذهب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جوان الكردي قال لامّه احتفظي عليها حتى ارجع اليك في بكرة النهار ثم ذهب فقالت زمرد في نفسها وما هذه الغفلة عن خلاص روحي بالحيلة كيف اصبر الى ان يجيء هؤلاء الاربعون رجلا فيتعا قبون علّي حتى يجعلوني كالمركب الغريقة في البحر ثم انها التفتت الى العجوز امّ جوان الكردي وقالت لها يا خالتي اما تقومين بنا الى خارج الغار حتى افليك في الشمس فقالت اي والله يا بنتي فان لي مدة وانا بعيدة عن الحمام لان هؤلاء الخنازير لم يزالوا داثرين بي من مكان الى مكان فخرجت

Digitized by Google

من الوجد الذي به فصار كالسكران فبينمـــا هو نائم وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد فبينما هو نائم واذا بلص من اللصوص خرج تلك الليلة في اطراف المدينة ليسرق شيأ فرمته المقادير تحت قصر ذلك النصراني فدار حوله فلم يجد له سبيلا الى الصعود اليه فصار دائرا حوله الى ان وصل الى المصطبة فرأى عليها شارنا فما فاخذ عمامته و بعد ان اخذ ها لم يشعر الّا و زمرد طلت في ذلك الوقت فرأته واقفا في الظلام فحسبته سيدها فصفرت له فصفر لها الحرامي فتدلت له بالحبـل وصحبتها خرج ملآن ذهبا فلمـــا رأه اللص قال في نفسه ما هذا الّا امر عجيب له سبب غريب ثم حمل الخرج وحملها على اكتافه وذهب بهما مثل البرق الخـــاطف فقالت له ان العجوز اخبرتني انك ضعيف بســـببي وها انت قوى من الفـرس فلم يردّ عليها جوابا فحسست على وجهه فوجدت لحيته مثل مقشّة الحمام كأنه خنزير ابتلع ريشـــا فطلع زغبه من حلقه ففزعت منه وقالت له اىّ شيء انت فقال لها يا عاهرة انا الشاطر جوان الكردي من جماعة احمد الدّنف ونحن اربعون شاطرا وكلهم في هذه الليلـة يسفقون في رحمك من العشاء الى الصباح فلما سمعت كلامه بكت و لطمت على وجهها وعلمت ان القضـاء غلب عليها وانه لا حيلة لهـــا الّا التفويض الى الله تعالى فصبرت وسلمت لحكم الله تعالى وقالت لا اله الّا الله كلما خلصنا من هم وقعنا في هم اكبر منه وكان السبب في مجيء جوان الى هذا المكان انه قال لا حمد الدنف يا شاطر انا

Digitized by Google

و يصفر لك فاذا سمعت ذلك فاصفري له و تدلي له من الطاقة بحبل و هو يأخذك و يمضي بك فشكرتها على ذلك ثم خرجت العجوز و ذهبت الى علي شار واعلمته و قالت له توجّه في الليلة القابلة نصف الليل الى الحارة الفلانية فان بيت الملعون هناك و علامته كذا وكذا فقف تحت قصره واصفر فانها تتدلى اليك فخذها و امض بها حيث شئت فشكرها على ذلك ثم انه افاض العبرات و انشد هذه الابيات

كُفَّ العَوَاذِلُ عَنْ قِيلٍ وَعَنْ قَالِ ... قَلْبِي مُعَنًّى وَجِسْمِي نَاحِلٌ بَالِ
وَلِلَّذُ مُوْعِ اَحَادِيْثٌ مُسَلْسَلَةٌ ... عَنِ الصَّحِيْحِ بِاِعْضَالٍ وَ اِرْسَالِ
يَاخَالِيَ الْبَالِ مِنْ هَمِّي وَمِنْ هِمَمِي ... اُقْصُرْ عَنَاكَ عَنِ التِّسْآلِ عَنْ حَالِي
عَذْبُ الْمَرَاشِفِ لَدْنُ الْقَدِّ مُعْتَدِلُ ... سَبَى فُؤَادِي بِمَعْسُوْلٍ وَعَسَّالِ
مَا قَرَّ قَلْبِي مُذْ غِبْتُمْ وَلَا هَجَعَتْ ... عَيْنِي وَلَا نَجَعَتْ فِي الصَّبْرِ آمَالِي
تَرَكْتُمُوْنِي رَهِيْنَ الشَّوْقِ مُكْتَئِباً ... مُذْ بُذْتُمْ بَيْنَ حُسَّادٍ وَعُذَّالِ
اَمَّا السُّلُوُّ فَشَيْءٌ لَسْتُ اَعْرِفُهُ ... وَغَيْرُكُمْ قَطُّ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِي

فلما فرغ من شعره تنهّد وافاض دمع العين و انشد هذين البيتين

لِلّٰهِ دَرُّ مُبَشِّرِي بِقُدُوْمِكُمْ ... فَلَقَدْ اَتَى بِلَطَائِفِ الْمَسْمُوْعِ
لَوْ كَانَ يَقْنَعُ بِالْجَلِيْعِ مَنَحْتُهُ ... قَلْباً تَمَزَّقَ سَاعَةَ التَّوْدِيْعِ

ثم انه صبر الى ان جنّ الليل وجاء وقت الميعاد فذهب الى تلك الحارة التي وصفتها له جارته ورأى القصر فعرفه وجلس على مصطبة تحته وغلب عليه النوم فنام وجل من لا ينام وكان له مدة لم ينم

Digitized by Google

فسمعت من داخله انينا فطرقت الباب و ادرک شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملک السعيد ان العجوز لما سمعت من داخل البيت انينا طرقت الباب فنزلت لها جارية ففتحت لها الباب و سلّمت عليها فقالت لها العجوز انّ معي هذه الحويجات للبيع هل عندكم من يشتري منها شيأ فقالت لها الجارية نعم ثم ادخلتها الدار و اجلستها و جلس الجواري حولها و اخذت كل واحدة شيأ منها فصارت العجوز تلاطف الجواري و تتساهل معهن في الثمن ففرح بها الجواري بسب معروفها و لين كلامها و هي تتأمّل في جهات المكان على صاحبة الانين فلاحت منها التفاتة اليها فحابتهن و احسنت اليهن و تأمّلت فوجدتها زمردا مطروحة فعرفتها فبكت و قالت لهن يا اولادي ما بال هذه الصبية في هذا الحال فحكت لها الجواري جميع القصة و قلن لها هذا الامر ليس باختيارنا و لكن سيدنا امرنا بهذا و هو مسافر الآن فقالت لهن يا اولادي لي عندكن حاجة و هي انّكنّ تحلّين هذه المسكينة من الرباط الى ان تعلمين بمجيء سيدكن فتربطينها كما كانت و تكسبين الاجر من رب العالمين فقلن لها سمعا و طاعة ثم انهن حلّينها و اطعمنها و اسقينها ثم قالت العجوز ياليت رجلي انكسرت و لا دخلت لكم منزلا و بعد ذلک ذهبت الى زمرد و قالت لها يا بنتي سلامتک سيفرّج الله عنک ثم ذكرت لها انها جاءت من عند سيّدها علي شار و واعدتها انها في ليلة غد تكون حاضرة و تلقى سمعها للحس و قالت لها ان سيدک يأتي اليک تحت مصطبة القصر

Digitized by Google

من اهل الخير فقالت له يا ولدي سلامتك متى جُننْتَ فاجابها بهذين البيتين

قَالُوا جُننْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ ... مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا لِلْمَجَانِينِ
دَعُوا جُنُونِي وَهَاتُوا مَنْ جُننْتُ بِهِ ... إِنْ كَانَ يَشْفِي جُنُونِي لَا تَلُومُونِي

فعلمت جارتة العجوز انه عاشق مفارق فقالت لا حول و لا قوة الاّ بالله العلي العظيم يا ولدي اشتهي منك ان تحكي لي خبر مصيبتك عسى الله ان يقدرني على مساعدتك عليها بمشيئته فحكى لها جميع ما وقع له مع برسوم النصراني اخ الكاهن الذي سمى نفسه رشيد الدين فلما علمت ذلك قالت له يا ولدي انك معذور ثم افاضت دمع العين و انشدت هذين البيتين

كَفَى الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيَا عَذَابُهُمُ ... تَا للّٰهِ لَا عَذَّبَتْهُمْ بَعْدَهَا سَقَرُ
لِأَنَّهُمْ هُلِكُوا عِشْقًا وَ قَدْ كَتَمُوا ... مَعَ الْعَفَافِ بِهَذَا يَشْهَدُ الْخَبَرُ

فلما فرغت من شعرها قالت له يا ولدي قم الآن و اشتر قفصا مثل اقفاص اهل الصاغة و اشتر اساور و خواتم و حلقانا و حليا يصلح للنساء ولا تبخل بالمال وضع جميع ذلك في القفص وهات القفص وانا اضعه على رأسي في صورة دلّالة و ادور افتّش عليها في البيوت حتى اقع على خبرها ان شاء الله تعالى ففرح علي شار بكلامها و قبّل يديها ثم ذهب بسرعة و اتى لها بما طلبته فلما حضر ذلك عندها قامت و لبست مرقّعة و وضعت على رأسها ازارا عسليا و اخذت في يدها عكّازا و حملت القفص و دارت في العطف و البيوت و لم تزل دائرة من مكان الى مكان و من حارة الى حارة و من درب الى درب الى ان دلّها الله تعالى على قصر الملعون رشيد الدين النصراني

Digitized by Google

لم يزل راقدا الى ثاني يوم ثم طار البنج من رأسه ففتح عينيه وصاح قائلا يا زمرد فلم يجبه احد فدخل القاعة فوجد الجو تغيرا والمزار بعيدا فعلم انه ما جرى عليه هذا الامر الا من النصراني فحزن وبكى وان واشتكى واناخ العبرات وانشد هذه الابيات

يَا وَجْدُ لَا تُبْقِي عَلَيَّ وَلَا تَذَرْ ... هَامُهْجَتِي بَيْنَ الْمَشَقَّةِ وَالْخَطَرْ
يَا سَادَتِي رِقُّوا لِعَبْدٍ ذَلَّ فِي ... شَرْعِ الْهَوَى وَغَنِيَّ قَوْمٍ افْتَقَرْ
هَاجِيلَةُ الرَّامِي إِذَا الْتَقَتِ الْعِدَى ... وَأَرَادَ رَمْيَ السَّهْمِ فَانْقَطَعَ الْوَتَرْ
وَإِذَا تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَى الْفَتَى ... وَتَرَاكَمَتْ أَيْنَ الْمَفَرُّ مِنَ الْقَدَرْ
وَلَكَمْ أُحَاذِرُ مِنْ تَفَرُّقِ شَمْلِنَا ... لَكِنْ إِذَا نَزَلَ الْقَضَا عَمِيَ الْبَصَرْ

فلما فرغ من شعره صعد الزفرات وانشد ايضا هذه الابيات

خَلَعَتْ هَيَاكِلُهَا بِجَرْعَاءِ الْحِمَى ... فَصَبَا لِمَغْنَاهَا الْكَئِيبُ تَشَوُّقَا
وَتَلَفَّتَتْ نَحْوَ الدِّيَارِ فَشَاقَهَا ... رَبْعٌ عَفَتْ أَطْلَالُهُ فَتَمَزَّقَا
وَقَفَتْ تُسَائِلُهُ فَرَدَّ جَوَابَهَا ... رَجْعُ الصَّدَا أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى اللِّقَا
فَكَأَنَّهُ بَرْقٌ تَأَلَّقَ بِالْحِمَى ... وَمَضَى فَمَا يُبْدِي إِلَيْكَ تَأَلُّقَا

وندم حيث لا ينفعه الندم وبكى ومزق ثوابه واخذ بيده حجرين ودار حول المدينة وصار يدق بهما في صدره ويصيح قائلا يا زمرد فدارت الصغار حوله وقالوا مجنون مجنون فكان كل من عرفه يبكي عليه ويقول هذا فلان ما الذي جرى له ولم يزل على هذه الحالة الى آخر النهار فلما جن عليه الليل نام في بعض الازقة الى الصباح ثم اصبح دائرا بالاحجار حول المدينة الى آخر النهار وبعد ذلك رجع الى قاعته ليبيت فيها فنظرته جارته وكانت امرأة عجوز

Digitized by Google

ردّوا الباب عليه وتركوا مفتاح القاعة في جانبه ومضى بها النصراني الى قصره ووضعها بين جواريه وسراريه وقال لها يا فاجرة انا الشيخ الذي ما رضيت بي وهجوتني وقد خدعتك بلا درهم ولا دينار فقالت له وقد تغرغرت عيناها بالدموع حسبك الله يا شيخ السوء حيث فرّقت بيني وبين سيدي فقال لها يا فاجرة يا عشّاقة سوف تنظرين ما افعل بك من العذاب وحق المسيح والعذراء ان لم تطاوعيني وتدخلي في ديني لا علّبنك بانواع العذاب فقالت له والله لو قطعتَ لحمي قطعا ما افارق دين الاسلام ولعلّ الله تعالى ان ياتيني بالفرج القريب انه على ما يشاء قدير وقد قالت العقلاء مصيبة في الابدان ولا مصيبة في الاديان فعند ذلك صاح على الخدم والجواري وقال لهم اطرحوها فطرحوها ولا زال يضربها ضربا عنيفا وصارت تستغيث فلا تغاث ثم اعرضت عن الاستغاثة وصارت تقول حسبي الله وكفى الى ان انقطع نفسها وخفي انينها فلما اشتفى قلبه منها قال للخدم اسحبوها من رجليها وارموها في المطبخ ولا تطعموها شيأ ثم بات الملعون تلك الليلة ولما اصبح الصباح طلبها وكرّر عليها الضرب وامر الخدم ان يرموها في مكانها ففعلوا فلما برد عليها الضرب قالت لااله الّا الله محمد رسول الله حسبي الله ونعم الوكيل ثم استغاثت بسيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلم وادرك ظهر زاد الضباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زمرد استغاثت بالنبي صلّى الله عليه وسلم هذا ما كان من امرها * واما ماكان من امر علي شار فانه

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان عليا شار جلس واكل معه شيأ قليلا وارادان يرفع يده فاخذ النصراني موزة وقشرها وشقها نصفين وجعل في نصفها بنجا مكررا ممزوجا بافيون الدرهم منه يرمي الفيل ثم غمس نصف الموزة في العسل وقال له يا مولاي وحق دينك ان تاخذ هذه فاستحى علي شار ان يحنثه في يمينه فاخذ ها منه وابتلعها فما استقرت في بطنه حتى سبقت رأسه رجليه وصار كأنه له سنة وهو راقد فلما رأى النصراني ذلك قام على قدميه كأنه ذئب امعط اوقضاء مسلط واخذ معه مفتاح القاعة وتركه مرميا وذهب يجري الى اخيه واخبره بالخبر وسبب ذلك ان اخا النصراني هو الشيخ الهرم الذي ارادان يشتريها بالف دينار فلم ترض به وهجته بالشعر وكان كافرا في الباطن مسلما في الظاهر وسمى نفسه رشيد الدين ولما هجته ولم ترض به شكا الى اخيه النصراني الذي تحيل في اخذ ها من سيدها علي شار وكان اسمه برسوم فقال له لاتحزن من هذا الامر فانا اتحيل لك في اخذ ها بلا درهم ولا دينار لانه كان كاهنا ماكرا مخادعا فاجرا ثم انه لم يزل يمكر ويتحيل حتى عمل الحيلة التي ذكرناها واخذ المفتاح وذهب الى اخيه واخبره بما حصل فركب بغلته واخذ غلمانه وتوجه مع اخيه الى بيت علي شار واخذ معه كيسا فيه الف دينار لاجل انه اذا صادفه الوالي فيبرطله ففتح القاعة وهجمت الرجال الذين معه على زمرد واخذوها قهرا وهددوها بالقتل ان تكلمت وتركوا المنزل على حاله ولم يأخذوا منه شيأ وتركوا علي شار راقدا في الدهليز ثم

Digitized by Google

وَإِذَا وَقَفْتَ بِبَابِ قَوْمٍ بَعْدَهُمْ مُنُّوا عَلَيْكَ بِشَرْبَةٍ مِنْ مَاءِ

ثم قال يا مولاي اني قد شربت ولكن اريد منك ان تطعمني مهما كان من البيت سواء كان كسرة او قرقوشة وبصلة فقال له قم بلا مُناحَكَةٍ ما في البيت شيءٌ فقال يا مولاي ان لم يكن في البيت شيءٌ فخذ هذه المائة دينار وائتنا بشيءٍ من السوق ولو برغيف واحد ليصير بيني و بينك خبز و ملح فقال علي شار في سرّه ان هذا النصراني مجنون فانا آخذ منه المائة دينار واجيءُ له بشيءٍ يساوي درهمين واضحك عليه فقال له النصراني يا سيدي انما اريد شيأً يطرد الجوع ولو رغيفا يا بسا وبصلة فخير الزاد ما دفع الجوع لا الطعام الفاخر وما احسن قول الشاعر

اَلْجُوْعُ يُطْرَدُ بِالرَّغِيْفِ اليَابِسِ فَعَلَامَ تَعْظِمُ حَسْرَتِي وَوَسَاوِسِي
وَالْمَوْتُ اَعْدَلُ حِيْنَ اَصْبَحَ مُنْصِفًا بَيْنَ الْخَلِيْفَةِ وَالْفَقِيْرِ الْبَائِسِ

فقال له علي شار اصبر هنا حتى اقفل القاعة وآتيك بشيءٍ من السوق فقال له سمعا وطاعة ثم خرج وقفل القاعة وحطّ على الباب كيلونا واخذ المفتاح معه وذهب الى السوق واشترى جبنا مقليا وعسلا ابيض وموزا وخبزا واتى به اليه فلما نظر النصراني الى ذلك قال يا مولاي هذا شيء كثير يكفي عشرة رجال وانا وحدي فلعلك تأكل معي فقال له كل وحدك فاني شبعان فقال له يا مولاي قالت الحكماء من لم يأكل مع ضيفه فهو ولد زنا فلما سمع علي شار من النصراني هذا الكلام جلس واكل معه شيأً قليلا واراد ان يرفع يده و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

هذا رجل ذمّي وقصدني في شربة ماء فوالله ما اخيّبه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان عليا شار قال في نفسه هذا رجل ذمّي وقصدني في شربة ماء فوالله لا اخيّبه ثمّ دخل البيت واخذ كوز ماء فرأته جاريته زمرد فقالت له يا حبيبي هل بعت الستر قال نعم قالت لتأجر اولعابر سبيل فقد حسّ قلبي بالفراق قال ما بعته الّا لتاجر قالت اخبرني بحقيقة الامر حتى اتدارك شأني وما بالك اخذت كوز الماء قال لاَسْقي الدلال فقالت لا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم ثم انشدت هذين البيتين

يَا طَالِبًا لِلْفِرَاقِ مَهْلاً ... فَلاَ يَغُرَّنَّكَ الْعِنَاقُ
مَهْلاً فَطَبْعُ الزَّمَانِ غَدْرٌ ... وَأَخِرُ الصُّحْبَةِ الْفِرَاقُ

ثم خرج بالكوز فوجد النصراني داخلا في دهليز البيت فقال له هل وصلت الى هنا يا كلب كيف تدخل منزلي بغير اذني فقال يا سيدي لافرق بين الباب والدهليز وما بقيت انتقل من مكاني هذا الّا للخروج وانت لك الفضل والاحسان والجود والامتنان ثم انه تناول كوز الماء وشرب ما فيه وبعد ذلك ناوله الى علي شار فاخذه وانتظره ان يقوم فما قام فقال له لاي شيء لم تقم وتذهب الى حال سبيلك فقال يا مولاي لاتكن ممن فعل الجميل ومنّ به ولا من الذين قال فيهم الشاعر

ذَهَبَ الَّذِينَ اِذَا وَقَفْتَ بِبَابِهِمْ ... كَانُوا لِقَصْدِكَ اَكْرَمَ الْكَرَمَاءِ

Digitized by Google

واستمرّا متعانقين الى الصباح وقد سكنت محبة كل واحد منهما في قلب صاحبه ثم اخذت الستر وطرزته بالحرير الملون وزركشته بالقصب وجعلت فيه منطقة بصور طيور وصوّرت في دائرها صور الوحوش ولم تترك وحشا في الدنيا الّا وصورت صورته فيه ومكثت تشتغل فيه ثمانية ايام فلما فرغ قطعته و صقلته ثم اعطته لسيدها وقالت له اذهب به الى السوق وبعه بخمسين دينارا للتاجر واحذران تبيعه لاحد عابر طريق فان ذلك يكون سببا للفراق بيني وبينك لان لنا اعداء لا يغفلون عنا فقال لها سمعا وطاعة ثم ذهب به الى السوق وباعه لتاجر كما امرته وبعد ذلك اشترى الخرقة والحرير والقصب على العادة وما يحتاجان اليه من الطعام واحضر لها ذلك واعطاها بقية الدراهم فصارت كل ثمانية ايام تعطيه سترا يبيعه بخمسين دينارا ومكثت على ذلك سنة كاملة وبعد السنة راح الى السوق بالستر على العادة واعطاه للدلال فعرض له نصراني فدفع له ستين دينارا فامتنع فلا زال يزيده حتى عمله بمائة دينار وبرطل الدلال بعشرة دنانير فرجع الدلال على علي شار واخبره بالثمن وتحيّل عليه في ان يبيع الستر للنصراني بذلك المبلغ وقال له ياسيدي لاتخف من هذا النصراني وما عليك منه بأس وقامت التجار عليه فباعه للنصراني وقلبه مرعوب ثم قبض المال ومضى الى البيت فوجد النصراني ماشيا خلفه فقال له يا نصراني مالك ماشيا خلفي فقال له يا سيدي ان لي حاجة في صدر الزقاق الله لايحوجك فما وصل علي شار الى منزله الّا والنصراني لاحقه فقال له يا ملعون مالك تتبعني اين ما اسير فقال يا سيدي اسقيني شربة ماء فاني عطشان واجرك على الله تعالى فقال علي شار في نفسه

Digitized by Google

المائة معك تنفعنا ففعل ما امرته به واشتراها بتسع مائة دينار ودفع ثمنها من ذلك الكيس ومضى بها فى الدار فلمـــا وصلت الى الدار وجدتها قاعا صفصفا لافرش بها ولا اواني فاعطته الف دينار وقالت له امض الى السوق اشترلنا بثلثمائة دينار فرشا واواني للبيت ففعل ثم قالت له اشترلنا مأكولا ومشروبا وادرك شهرزاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الجارية قالت له اشترلنـا مأكولا ومشروبا بثلثه دنانير ففعل ثم قالت له اشترلنا خرقة حرير قدرستر واشتر قصبا اصفر وابيض وحريرا ملوّنا سبعة الوان ففعل ثم انهـــا فرشت البيت واوقدت الشمـــع وجلست تأكل وتشرب هي واياه وبعـد ذلك قاموا الي الفرش وقضيا الغرض من بعضهمـــا ثم باتا معتنقين خلف الستائر وكانا كما قال الشـــــــــــاعر

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَدَعْ كَلَامَ الْحَاسِدِ ... لَيْسَ الْخُلُودُ عَلَى الْهَوَى بِمُسَاعِدِ

إِنِّي نَظَرْتُكَ فِي الْمَنَامِ مُضَاجِعِي ... وَلَثَمْتُ مِنْ شَفَتَيْكَ أَعْلَى بَارِدِ

حَقًّا صَحِيحًـــا كُلَّ مَا عَايَنْتَهُ ... وَلَسَوْفَ أَبْلُغُهُ بِرَغْمِ الْحَاسِدِ

لَمْ تَنْظُرِ الْعَيْنَانِ أَحْسَنَ مَنْظَرًا ... مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدِ

مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا حُلَلُ الرِّضَى ... مُتَوَسِّدَيْنِ بِمِعْصَمٍ وَبِسَاعِدِ

وَإِذَا تَأَلَّفَتِ الْقُلُوبُ لِبَعْضِهَـــا ... فَالنَّاسُ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدِ

يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْهَوَى أَهْلَ الْهَوَى ... هَلْ تَسْتَطِيعُ صَلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدِ

وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ ... فَهُوَ الْمُرَادُ وَعِشْ بِذَاكَ الْوَاحِدِ

Digitized by Google

تقرأ القرآن العظيم بالسبع قراأت وتروى الاحاديث الشريفة بصحيح الروايات وتكتب بالسبعة اقلام وتعرف من العلوم ما لايعرفه العالم العلام ويداها احسن من الذهب والفضة فانها تعمل الستور الحرير وتبيعها فتكسب فيكل واحد خمسين دينارا وتشتغل الستر فى ثمانية ايام فقال الدلال ياسعادة من تكون هذه في داره ويجعلها من ذخائر اسراره ثم قال له سيدها بعهالكل من ارادته فرجع الدلال الى علي شار وقبّل يديه وقال ياسيدي اشتر هذه الجارية فانها اختارتك وذكر له صفتها وما تعرفه وقال له هنيأ لك اذا اشتريتها فانه قد اعطاك من لايبخل بالعطاء فاطرق علي شار برأسه ساعة الى الارض وهو يضحك على نفسه وقال في سرّه اني الى هذا الوقت من غير افطار ولكن اخشي من التجاران اقول ما عندي مال اشتريها به فنظرت الجارية الى اطراقه وقالت للدلال خذ بيدي وامض بي اليه حتى اعرض نفسي عليه وارغبه فياخذني فاني ما اباع الّا له فاخذها الدلال واوقفها قدام علي شار وقال له ما رأيك ياسيدي فلم يرد عليه جوابا فقالت الجارية ياسيدي وحبيب قلبي مالك لاتشتريني فاشترني بما شئت واكون سبب سعادتك فرفع رأسه اليها وقال هل الشراء بالغصب انت غالية بالف دينار فقالت له ياسيدي اشترني بتسعمائة قال لا قالت بثمانمائة قال لافمازالت تنقص من الثمن الى ان قالت له بمائة دينار قال ما معي مائة كاملة فضحكت وقال له كم تنقص مائتك قال ما معي لا مائة ولا غيرها انا والله لا املك ابيض ولااحمر من درهم ولا دينار فانظري لك زبونا غيري فلما علمت انه مامعه شيء قالت له خذ بيدي على انك تقلّبني في عطفة ففعل ذلك فاخرجت من جيبها كيسا فيه الف دينار وقالت زِنْ منه تسعمائة في ثمني وابق

Digitized by Google

بديع الجمال و الطف من نسيم الشمال فقالت يا دلّال انا لا أُباع الاّ لسيدي هذا صاحب الوجه المليح و الخدّ الرجيح الذي قال فيه بعض واصفيه

أَبْرِزُوا وَجْهَكَ الْجَمِيلَ ثُمَّ لَامُوا مَنِ افْتَتَنْ
لَوْ أَرَادُوا صِيَانَتِي سَتَرُوا وَجْهَكَ الْحَسَنْ

فلا يملكني الاّ هو لانه خدّه اسيل و رُضابه سلسبيل و ريقه يشفي العليل و محاسنه تحيّر الناظم و الناثر كما قال فيه الشاعر

فَرِيعُهُ خَمْرٌ وَ أَنْفَاسُهُ مِسْكٌ وَ ذَاكَ الثَّغْرُ كَافُورُ
أَخْرَجَهُ رِضْوَانُ مِنْ دَارِهِ مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ الْحُورُ
يَلُومُهُ النَّاسُ عَلَى تِيهِهِ وَ الْبَدْرُ مَهْمَا تَاهَ مَعْذُورُ

صاحب الشعر الاجعد و الخدّ المورد و اللحظ الساحر الذي قال فيه الشاعر

وَ شَادِنٍ بِوِصَالٍ مِنْهُ وَ أَعَدَنِي فَالْقَلْبُ فِي تَلَفٍ وَ الْعَيْنُ مُنْتَظِرَهْ
أَجْفَانُهُ ضَمِنَتْ لِي صِدْقَ مَوْعِدِهِ فَكَيْفَ تُوفِي ضَمَانًا وَ هْيَ مُنْكَسِرَهْ

و قال الآخر

قَالُوا بَدَا خَطُّ الْعِذَارِ بِخَدِّهِ كَيْفَ التَّعَشُّقُ فِيهِ وَ هْوَ مُعَذَّرُ
فَأَجَبْتُهُمْ كُفُّوا الْمَلَامَةَ وَاقْصُرُوا إِنْ صَحَّ ذَاكَ الْخَطُّ فَهْوَ مُزَوَّرُ
جَنَّاتُ عَدْنٍ فِي جَنَى وَ جَنَاتِهِ وَ دَلِيلُهُ أَنَّ الْمَرَاشِفَ كَوْثَرُ

فلما سمع الدلال ما انشدته من الاشعار في محاسن علي شار تعجّب من فصاحتها و اشراق بهجتها فقال له صاحبها لاتعجب من بهجتها التي تفضح شمس النهار ولا من حفظها لرقائق الاشعار فانها مع ذلك

Digitized by Google

وَتُصْبِغُ بِالْعُيُوبِ بَيَاضَ شَيْبٍ وَتُخْفِي مَا بَدَا لِلِاحْتِيَالِ
تَرُوحُ بِلِحْيَةٍ وَتَجِي بِأُخْرَى كَأَنَّكَ بَعْضُ صُنَّاعِ الْخَيَالِ

و ما احسن قول الشاعر

قَالَتْ أَرَاكَ خَضَبْتَ الشَّيْبَ قُلْتُ لَهَا سَتَرْتُهُ عَنْكِ يَا سَمْعِي وَيَا بَصَرِي
فَقَهْقَهَتْ ثُمَّ قَالَتْ إِنَّ ذَا عَجَبٌ تَكَاثَرَ الْغِشُّ حَتَّى صَارَ فِي الشَّعَرِ

فلما سمع الدلال شعرها قال لها والله انك صدقتِ فقال التاجر ما الذي قالت فاعاد عليه الابيات فعرف ان الحق على نفسه وامتنع من اشترائها فتقدّم تاجر آخر و قال شاورْها عليّ بالثمن الذي سمعته فشاورها عليه فنظرت اليه فوجدته اعور فقالت هذا اعور وقد قال فيه الشاعر

لا تُصْحِبِ الْأَعْوَرَ يَوْمًا وَكُنْ فِي حَذَرٍ مِنْ شَرِّهِ وَمَيْنِهِ
لَوْ كَانَ فِي الْأَعْوَرِ مِنْ خَيْرَةٍ مَا أَوْجَدَ اللّٰهُ الْعَمَى بِعَيْنِهِ

فقال لها الدلال اتُباعين لذلك التاجر فنظرت اليه فوجدته قصيرا و ذقنه سائلة الى سرّته فقالت هذا الذي قال فيه الشاعر

فَلِي صَدِيقٌ وَلَهُ لِحْيَةٌ أَنْبَتَهَا اللّٰهُ بِلَا فَائِدَهْ
كَأَنَّهَا بَعْضُ لَيَالِي الشِّتَا طَوِيلَةٌ مُظْلِمَةٌ بَارِدَهْ

فقال لها الدلال يا سيدتي انظري مَن يعجبك من الحاضرين وتولي عليه حتى ابيعك له فنظرت الى حلقة التجّار و تفرّستهم واحدا بعد واحد فوقع نظرها على علي شار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما وقع نظرها على علي شار نظرته نظرة اعقبتها الف حسرة وتعلّق قلبها به لانه كان

Digitized by Google

الدلال قد وقف على رأس الجارية وقال يا تجاريا ارباب الاموال مَن يفتح باب السعرفي هذه الجارية سيدة الاقمار الدّرة السنّية زمرد الستورية بغية الطالب ونزهة الراغب فا فتحوا الباب فليس على من فتحه لوم ولا عتاب فقال بعض التجار عليّ بخمسمائة دينار قال آخر وعشرة فقال شيخ يسمى رشيد الدين وكان ازرق العين قبيح المنظـــر ومائة فقال آخر وعشـــرة قال الشيخ بالف دينار فحبس التجار السنتهم وسكتوا فشاور الدلال سيدها فقال انا حالف اني ما ابيعها الا لِمَن تختاره نشاورها فجاء الدلال اليها وقال يا سيدة الاقماران هذا التاجر يريد ان يشتريك فنظرت اليه فوجدته كما ذكرنا فقالت للدلال انا لا اباع لشيخ اوقعه الهَرَم في اسوء حال ولله درّ من قـــــال

سَأَلْتُهَا قُبْلَةً يَوْمًا وَقَدْ نَظَرَتْ ... شَيْبِي وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ وَذَا نَعَمِ
فَمَلْمَلَتْ وَتَوَلَّتْ وَهْيَ قَائِلَةٌ ... لَا وَالَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَدَمِ
مَا كَانَ لِي فِي بَيَاضِ الشَّيْبِ مِنْ أَرَبٍ ... أَفِي حَيَوتِي يَكُونُ الْقُطْنُ حَشْوَ فَمِي

فلما سمع الدلال قولها قال لها والله انكِ معذورة وتيمتكِ عشرة آلاف دينار ثم اعلم سيدها انها ما رضيت بذلك الشيخ فقال شاورها على غيره فتقدم انسان آخر وقال عليّ بما اعطى فيها الشيخ الذي لم ترض به فنظرت الى ذلك الرجل فوجدته مصبوغ اللحية فقالت ما هذا العيب والريب وسواد وجه الشيب ثم اكثرت التعجبـات وانشدت هذه الابـــــــــــــيـــــــــات

بَدَا لِي مِنْ فُلَانٍ مَا بَدَا لِي ... قَفًا وَاللّٰهِ يُصْفَعُ بِالنِّعَـالِ
وَذَقْنٌ لِلْبَعُوضِ بِهَـا مَجَالٌ ... وَقَرْنٌ مَالَ مِنْ رَبْطِ الْحِبَالِ
أَيَا مَفْتُونُ فِي خَدِّي وَقَدِّي ... تَزَوَّرُ بِالْمُحَـالِ وَلَا تُبَالِي

Digitized by Google

ذهبت السكرة وجاءت الفكرة وقع في الحسرة وقعد يوما من الصبح الى العصر بغير افطار فقال في نفسه انا ادور على الذين كنت انفق مالي عليهم لعل احدا منهم يطعمني في هذا اليوم فدار عليهم جميعا وكلما طرق باب احد منهم ينكر نفسه ويتوارى منه حتى احرقه الجوع ثم ذهب الى سوق التجار وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عليا شار احرقه الجوع فذهب الى سوق التجار فوجد حلقة ازدحام والناس مجتمعون فيها فقال في نفسه ياترى ما سبب اجتماع هؤلاء الناس والله لا انتقل من هذا المكان حتى اتفرّج على هذه الحلقة ثم تقدّم الى الحلقة فوجد جارية خماسية معتدلة القدّ موردّة الخد قاعدة النهد قد فاقت اهل زمانها في الحسن والجمال والبهاء والكمال كما قال فيها بعض واصفيها

كَمَا اشْتَهَتْ خُلِقَتْ حَتَّى إِذَا كَمُلَتْ ... فِي قَالَبِ الْحُسْنِ لَا طُولٌ وَلَا قِصَرُ
وَالْحُسْنُ أَصْبَحَ مَشْغُوفًا بِصُورَتِهَا ... وَالصَّدُّ يَعْذُبُهَا وَالتِّيهُ وَالْخَفَرُ
فَالْبَدْرُ طَلْعَتُهَا وَالْغُصْنُ قَامَتُهَا ... وَالْمِسْكُ نَكْهَتُهَا مَا مِثْلُهَا بَشَرُ
كَأَنَّهَا أُفْرِغَتْ مِنْ مَاءِ لُؤْلُؤَةٍ ... فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ حُسْنِهَا قَمَرُ

وكانت تلك الجارية اسمها زمرّد فلما نظرها علي شار تعجب من حسنها وجمالها وقال والله ما ابرح حتى انظر القدر الذي يبلغه ثمن هذه الجارية واعرف الذي يشتريها ثم وقف بجملة التجّار فظنّوا انه يشتري لما يعلمون من غناه بالمال الذي ورثه من والديه ثم ان

Digitized by Google

فهذه وصيتي لك، فاجعلها بين عينيك والله خليفتي عليك ثم غشي عليه فسكت ساعة واستفاق فاستغفر الله وتشهّد وتوفّى الى رحمة الله تعالى فبكى عليه ولده وانتحب ثم اخذ في تجهيزه على ما يجب ومشت في جنازته الاكابر والاصاغر وصار القرّاء يقرؤن حول تابوته وما ترك من حقّه شيأ حتى فعله ثم صلّوا عليه ووارود في التراب وكتبوا على قبره هذين البيتين

خُلِقْتَ مِنَ التُّرَابِ فَصِرْتَ حَيًّا ... وَعُلِّمْتَ الْفَصَاحَةَ فِي الْخِطَابِ
وَعُدْتَ اِلَى التُّرَابِ فَصِرْتَ مَيْتًا ... كَاَنَّكَ مَا بِرِحْتَ مِنَ التُّرَابِ

وحزن عليه ولده علي شار حزنا شديدا وعمل عزاءه على عادة الاعيان واستمرّ حزينا على ابيه الى ان ماتت امه بعده بمدة يسيرة ففعل بوالدته مثل ما فعل بابيه ثم بعد ذلك جلس في الدكان يبيع ويشتري ولا يعا شراحدا من خلق الله تعالى عملا بوصية ابيه واستمرّ على ذلك مدة سنة وبعد السنة دخلت عليه اولاد النساء الزواني بالحيل وصاحبوه حتى مال معهم الى الفساد واعرض عن طريق الرشاد وشرب الراح بالاقداح والى الملاح غدا وراح وقال في نفسه ان والدي جمع لي هذا المال وانا ان لم اتصرف فيه فلِمَن اخليه والله لا افعل الاّ كما قال الشاعر

اِنْ كُنْتَ دَهْرَكَ كُلَّهُ ... تَحْوِي اِلَيْكَ وَتَجْمَعُ
فَمَتَى بِمَا حَصَّلْتَهُ ... وَحَوَيْتَهُ تَتَمَتَّعُ

ومازال علي شار يبذر في المال آناء الليل واطراف النهار حتى اذهب ما له كله وافتقر فساء حاله وتكدّر باله وباع الدكان والاماكن وغيرها ثم بعد ذلك باع ثياب بدنه ولم يترك لنفسه غير بدلة واحدة فلما

Digitized by Google

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الصبي قال لابيه سمعت واطعت ثمّ ماذا قال يا ولدي احفظ الله يحفظك وصن مالك ولا تفرط فيه فانك ان فرطت فيه تحتاج الى اقل الناس واعلم ان قيمة المرء ما ملكت يمينه وما احسن قول الشاعر

إِنْ قَلَّ مَالِي فَلَا خِلٌّ يُصَاحِبُنِي ... أَوْزَادَ مَالِي فَكُلُّ النَّاسِ خُلَّانِي
فَكَمْ عَدُوٍّ لِأَجْلِ الْمَالِ صَاحَبَنِي ... وَكَمْ صَدِيقٍ لِفَقْدِ الْمَالِ عَادَانِي

فقال ثمّ ماذا قال يا ولدي شاور من هو اكبر منك سنا ولا تعجل في الامر الذي تريده وارحم من هو دونك يرحمك من هو فوقك ولا تظلم احدا فيسلّط الله عليك من يظلمك وما احسن قول الشاعر

إِقْرَنْ بِرَأْيِكَ رَأْيَ غَيْرِكَ وَاسْتَشِرْ ... فَالرَّأْيُ لَا يَخْفَى عَلَى الْإِثْنَيْنِ
فَالْمَرْءُ مِرْآةٌ تُرِيهِ وَجْهَهُ ... وَيَرَى قَفَاهُ بِجَمْعِ مِرْآتَيْنِ

وقول الآخر

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ لِأَمْرٍ تُرِيدُهُ ... وَكُنْ رَاحِمًا لِلنَّاسِ تُبْلَى بِرَاحِمِ
فَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا ... وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ

وقول الآخر

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... إِنَّ الظُّلُومَ عَلَى حَدِّ مِنَ النَّقَمِ
تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ

وايّاك وشرب الخمر فهو رأس كل شرّ وشوبه مذهب للعقول ويزري بصاحبه وما احسن قول الشاعر

تَاللهِ لَا خَامَرَتْنِي الْخَمْرُ مَا عَلِقَتْ ... رُوحِي بِرِسْمِي وَأَقْوَالِي بِأَفْصَاحِي
وَلَا صَبَوْتُ إِلَى مَشْمُولَةٍ أَبَدًا ... يَوْمًا وَلَا اخْتَرْتُ نَدْمَانًا سِوَى الصَّاحِي

Digitized by Google

اوصيك وصية فقال له وما هي يا والدي فقال اوصيك انك لا تعاشر احدا من الناس وتجتنب ما يجلب الضرّ والباس وايّاك وجليس السوء فانه كالحدّاد ان لم تحرقك ناره يضرّبك دخانه وما احسن قول الشاعر

مَا فِي زَمَانِكَ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ ... وَلَا صَدِيقٌ إِذَا خَانَ الزَّمَانُ وَفَى
فَعِشْ فَرِيدًا وَلَا تَرْكَنْ إِلَى أَحَدٍ ... هَاقَدْ نَصَحْتُكَ فِيمَا قُلْتُهُ وَكَفَى

وقول الآخر

اَلنَّاسُ دَاءٌ دَفِينٌ ... لَا تَرْكَنَنَّ إِلَيْهِمْ
فِيهِمْ خَدَاعٌ وَمَكْرٌ ... لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ

وقول الآخر

لِقَاءُ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْأً ... سِوَى الْهَذَيَانِ مِنْ قِيلٍ وَقَالِ
فَقَلِّلْ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إِلَّا ... لِأَخْذِ الْعِلْمِ أَوْ إِصْلَاحِ حَالِ

وقول الآخر

إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ ... فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُهُمُو وَذَاقَا
فَلَمْ أَرَ وُدَّهُمْ إِلَّا خَدَاعًا ... وَلَمْ أَرَ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقَا

فقال يا ابي سمعتُ واطعتُ ثمّ ماذا افعل فقال افعل الخير اذا قدرت عليه ودُم على صنع الجميل مع الناس واغتنم بذل المعروف فما في كل وقت ينجح الطلب وما احسن قول الشاعر

لَيْسَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَوَانٍ ... تَتَأَتَّى صَنَائِعُ الْإِحْسَانِ
فَإِذَا أَمْكَنَتْكَ بَادِرْ إِلَيْهَا ... حَذَرًا مِنْ تَعَذُّرِ الْإِمْكَانِ

فقال سمعتُ واطعتُ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

قال له قل ما تشاء فقال قد علم الرأي العالي زاده الله علوّا ان العبد كان اليوم في هذا المجلس الشريف من مجاهيل الناس ووضعاء الجلّاس وان امير المؤمنين قرّبه وادناه بيسير من العقل الذي ابداه وجعله مرفوعا على درجة غيره وبلغ به الغاية التي لم تسم اليها همّته والآن يريدان يفرّق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذي اعزّه بعد الذلة وكثّره بعد القلة وحاشا وكلّا ان يحسده امير المؤمنين على هذا القدر الذي معه من العقل النباهة والفضل لان العبد اذا شرب الشراب تباعد عنه العقل وقرب منه الجهل وسلب ادبه وعاد الى تلك الدرجة الحقيرة كما كان وصار في اعين الناس حقيرا مجهولا فارجو من الرأي العالي انه لا يسلب منه هذه الجوهرة بفضله وكرمه وسيادته وحسن شيمه فلما سمع الخليفة المأمون منه هذا القول مدحه وشكره واجلسه في رتبته ووقّره وامر له بمائة الف درهم وحمله على فرس واعطاه ثيابا فاخرة وكان في كل مجلس يرفعه ويقرّبه على جماعة الفقهاء حتى صار ارفع منهم درجة واعلى مرتبة والله اعلم

وحكي

انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من التجّار في بلاد خراسان اسمه مجد الدين وله مال كثير وعبيد ومماليك وغلمان الّا انه بلغ من العمر ستين سنة ولم يرزق ولدا وبعد ذلك رزقه الله تعالى ولدا فسماه عليا فلما انتشأ ذلك الغلام صار كالبدر ليلة التمام ولما بلغ مبلغ الرجال وحاز صفات الكمال ضعف والده بمرض الموت فدعا بولده وقال له يا ولدي انه قد قرب وقت المنية واريدان

Digitized by Google

العلوم وكان له في كل اسبوع يومان يجلس فيهما لمناظرة العلماء فتجلس المناظرون من الفقهاء والمتكلّمين بحضرته على طبقاتهم ومراتبهم فبينما هو جالس معهم اذ دخل في مجلسه رجل غريب وعليه ثياب بيض رثّة فجلس في آخر النـاس وقعد من وراء الفقهـاء في مكان مجهول فلما ابتدؤا في الكلام وشرعوا في معضـلات المسـائل وكان من عادتهم انهم يديرون المسـئلة على اهل المجلس واحدا بعد واحد فكل من وجد زيادة لطيفة اونكتـة غريبة ذكرها فدارت المسـئلة الى ان وصلت الى ذلك الرجل الغريب فتكلّم واجاب بجواب احسن من اجوبة الفقهـاء كلهم فاستحسن الخليـفة كلامه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـبـاح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة المأمون استحسن كلامه وامر ان يرفع من ذلك المكان الى اعلا منه فلما وصلت اليه المسئلة الثانية اجاب بجواب احسن من الجواب الاول فامر المـأمون ان يرفع الى اعلى من تلك الرتبة فلما دارت المسئلة الثـالثة اجاب بجواب احسن واصوب من الجوابين الاولين فامر المـأمون ان يجلس قريبا منه فلما انقضت المناظرة احضروا الماء وغسلوا ايديهم واحضروا الطعام فاكلوا ثم نهض الفقهاء فخرجوا ومنع المـأمون ذلك الشخـص من الخروج معهم وادناه منه ولاطفـه ووعده بالاحسان اليه والانعام عليه ثم تُهيّئ مجلس الشراب وحضر الندماء الملاح ودارت الراح فلما وصل الدور الى ذلك الرجل وثب قائما على قدميه وقال ان اذن لي امير المؤمنين تكلّمت كلمـة واحدة

Digitized by Google

و بعشرين تختا من الثياب و عشرة من المماليك ركاب خيل و ما يليق بذلك من الجواهر المثمنة ثم خلع عليه واحسن اليه و وجّهه الى بغداد في هيئة عظيمة فلما وصل الى بغداد قصد باب دار يحيى بن خالد قبل ان يصل الى اهله و طلب الاذن فى الدخول عليه فدخل الحاجب الى يحيى و قال له يا مولاي ان ببابنا رجلا ظاهر الحشمة جميل الخلقة حسن الحال كثير الغلمان يريد الدخول عليك فاذن له بالدخول فلما دخل عليه قبّل الارض بين يديه فقال له يحيى مَن انت فقال له الرجل ايها السيد انا الذي كنت ميتا من جور الزمان فاحييتني من رمس النوائب وبعثتني الى جنة المطالب انا الذي زوّرت كتابا عنك و اوصلته الى عبد الله بن مالك الخزاعي فقال له يحيى ما الذي فعل معك و ايّ شيءٍ اعطاك فقال اعطاني من يدك و جميل طويّتك و شمول نعمك و عموم كرمك و علوّ همتك و واسع فضلك حتى اغناني و خوّلني و هادانى و قد حملت جميع عطيّته و مواهبه و ها هي ببابك و الامر اليك و الحكم في يديك فقال له يحيى ان صنيعك معي اجمل من صنيعي معك ولك علىّ المنة العظيمة و اليد البيضاء الجسيمة حيث بدّلت العداوة التي كانت بيني و بين ذلك الرجل المحتشم بالصداقة و المودّة فانا اهب لك من المال مثل ما وهب لك عبد الله بن مالك ثم امر له من المال و الخيل و التخوت بمثل ما اعطاه عبد الله فعادت لذلك الرجل نعمته كما كانت بمروّة هذين الكريمين ●

وروي

ان المأمون لم يكن في خلفاء بنى العباس خليفة اعلم منه فى جميع

Digitized by Google

العذاب فقال لهم يحيى لقد اخطأتم فيما ذكرتم وهذا الذي اشرتم به من دناءة الهمم وخستها وكلّكم تعرفون قرب منزلة عبد الله من امير المؤمنين وتعلمون ما بيني وبينه من الغضب والعداوة وقد سبّب الله تعالى هذا الرجل وجعله واسطة في الصلح بيننا ووفّقه لذلك وقيّضه ليخمد نار الحقد من قلوبنا وهي تتزايد من مدة عشرين سنة وتنصلح بواسطته شؤننا وقد وجب عليّ ان افي لهذا الرجل بتحقيق ظنونه واصلاح شؤنه واكتب له كتابا الى عبد الله بن مالك الخزاعي مضمونه انه يزيد في اكرامه ويستمرّ على اعزازه واحترامه فلما سمع الندماء ذلك دعوا له بالخيرات وتعجّبوا من كرمه ووفور مروّته ثم انه طلب الورقة والدواة وكتب الى عبد الله بن مالك كتابا بخطّ يده مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم وصل كتابك اطال الله بقاءك وقرأته وسررت بسلامتك وابتهجت باستقامتك وشمول سعادتك وكان ظنّك ان ذلك الرجل الحرّ زوّر عنّي كتابا ولم يحمل منّي خطابا وليس الامر كذلك فان الكتاب انا كتبته وليس بمزوّر ورجائي من اكرامك واحسانك وحسن شيمتك ان تفي لذلك الرجل الحرّ الكريم بامله وامنيّته وترعى له حق حرمته وتوصله الى غرضه وان تخصّه منك بغامر الاحسان ووافر الامتنان ومهما فعلته فانا المقصود به والشاكر عليه ثم عنون الكتاب وختمه وسلّمه الى الوكيل فانفذه الوكيل الى عبد الله فحين قرأه ابتهج بما حواه واحضر ذلك الرجل وقال له ايّ الامرين اللذين وعدتك بهما احبّ اليك لاحضره لك بين يديك فقال الرجل العطاء احبّ اليّ من كل شيء فامر له بمائتي الف درهم وعشرة افراس عربية خمسة منها بالجلال الحرير وخمسة بسروج المواكب المحلّاة

Digitized by Google

فلا تحتج في منعي بحجّة فان ارض الله واسعة والرازق حيّ والكتاب الذي اوصلته اليك من يحيى بن خالد صحيح غير مزوّر فقال عبد الله انا اكتب كتابا لوكيلي ببغداد وآمره فيه ان يسأل عن حال هذا الكتاب الذي اتيتني به فان كان ذلك حقا صحيحا غير مزوّر قلدتك امارة بعض بلادي او اعطيتك مائتي الف درهم مع الخيل والنجب الجليلة والتشريف ان اردت العطاء وان كان الكتاب مزوّرا امرت ان تضرب مائتي خشبة وان تحلق لحيتك ثم امر به عبد الله ان يحمل الى حجرة وان يجعل له فيها ما يحتاج اليه حتى يتحقق امره ثم كتب كتابا الى وكيله ببغداد مضمونه انه قد وصل اليّ رجل ومعه كتاب يزعم انه من يحيى بن خالد وانا اسيء الظن بهذا الكتاب فيجب ان لا تهمل هذا الامر بل تمضي بنفسك وتتحقق امر هذا الكتاب وتسرع اليّ برد الجواب لاجل ان نعلم صدقه من كذبه فلما وصل اليه الكتاب ببغداد ركب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان وكيل عبد الله بن مالك الخزاعي لما وصل اليه الكتاب ببغداد ركب من ساعته ومضى الى دار يحيى بن خالد فوجده جالسا مع ندمائه وخواصه فسلّم عليه وسلّم اليه الكتاب فقرأه يحيى بن خالد ثم قال للوكيل عد اليّ من الغد حتى اكتب لك الجواب ثم التفت الى ندمائه بعد انصراف الوكيل وقال ما جزاء من تحمل عني كتابا مزوّرا وذهب به الى عدوّي فقال كل واحد من الندماء مقالا وجعل كل واحد منهم يذكر نوعا من

Digitized by Google

وصار يتطلب العذر لمنصور فبكى صالح وقال لا يجري الفلك الدائر
با براز رجل الى الوجود مثلك فوا اسفا كيف يتوارى من له خُلُق
مثل خُلقك وكرم مثل كرمك تحت التراب وانشد هذين البيتين

بَادِرْ اِلَى اَيِّ مَعْرُوفٍ هَمَمْتَ بِهِ ... فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ يُمْكِنُ الْكَرَمُ
كَمْ مَانِعٍ نَفْسَهُ اِمْضَاءَ مَكْرُمَةٍ ... عِنْدَ التَّمَكُّنِ حَتَّى عَاقَهُ الْعَدَمُ

ومما يحكى

انه كان بين يحيى بن خالد وبين عبد الله بن مالك الخزاعي عداوة في السرّ ما كانا يظهرانها وسبب العداوة بينهما ان امير المؤمنين هارون الرشيد كان يحب عبد الله بن مالك محبة عظيمة بحيث ان يحيى بن خالد واولاده كانوا يقولون ان عبد الله يسحر امير المؤمنين حتى مضى على ذلك زمان طويل والحقد في قلوبهما فاتفق ان الرشيد قلّد ولاية ارمينية لعبد الله بن مالك الخزاعي وسيّره اليها فلما استقرّ في تختها قصده رجل من اهل العراق كان فيه فضل ادب وذكاء وفطنة الّا انه ضاق مابيده وفنى ماله واضمحلّ حاله فزوّر كتابا على لسان يحيى بن خالد الى عبد الله بن مالك وسافر اليه في ارمينية فلما وصل الى بابه سلّم الكتاب الى بعض حجابه فاخذ الحاجب الكتاب وسلّمه الى عبد الله بن مالك الخزاعي ففتحه وقرأه وتدبّره فعلم انه مزوّر فامر باحضار الرجل فلما تمثّل بين يديه دعا له واثنى عليه وعلى اهل مجلسه فقال له عبد الله بن مالك ما حملك على بعد المشقة ومجيئك اليّ بكتاب مزور ولكن طب نفسا فاننا لا نخيب سعيك فقال الرجل اطال الله بقاء مولانا الوزير ان كان ثقل عليك وصولي

Digitized by Google

الجوهرة لامير المؤمنين من التجار بمائتي الف دينار ووهبها امير المؤمنين لجاريتنا دنانير العوّادة واذا رآها معك عرفها واكرمك وحقن دمك من اجلنا اكراما لنا وقد تمّ الآن مالك يا منصور قال صالح فحملت المال والجوهرة الى الرشيد و منصور معي فبينما نحن في الطريق اذ سمعته يتمثل بهذا البيت

وَمَا حُبُّنَا سَعْتْ قَدَمِي إِلَيْهِمْ وَلٰكِنْ خِفْتُ مِنْ ضَرْبِ النِّبَالِ

فعجبت من سوء طبعه ورداءته وفساده وخبث اصله وميلاده ورددت عليه وقلت له ما على وجه الارض خير من البرامكة ولا اخبث ولا اشرّ منك فانهم اشتروك من الموت وانقذوك من الهلاك ومنّوا عليك بالفكاك ولم تشكرهم ولم تحمدهم ولم تفعل فعل الاحرار بل قابلت احسانهم بهذا المقال ثم مضيت الى الرشيد وقصصت عليه القصة واخبرته بجميع ما جرى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان صالحا قال فقصصت القصة على امير المؤمنين واخبرته بجميع ما جرى نتعجب الرشيد من كرم يحيى وسخائه ومروته وخساسة منصور ورداءته وامران تردّ الجوهرة الى يحيى ابن خالد وقال كل شيء قد وهبناه لا يجوز ان نعود فيه وعاد صالح الى يحيى بن خالد وذكر له قصة منصور وسوء فعله فقال يحيى يا صالح اذا كان الانسان مقلّا ضيق الصدر مشغول الفكر فمهما صدر منه لا يؤاخذ به لانه ليس ناشئا عن قلبه

Digitized by Google

عاجلا و الاّ هلكتَ فاني لا اقدر ان اتمهّل عليك لحظة بعد المدة التي عيّنها لي الخليفة و لا اقدر ان اخلّ بشيءٍ مما امرني به امير المؤمنين فاسرع بحيلة تخلص بها نفسك قبل ان تتصرم الاوقات فقال منصور يا صالح اسألك من فضلك ان تحملني الى بيتي لا ودّع اولادي و اهلي و اوصي اقاربي قال صالح فمضيت معه الى بيته فجعل يودع اهله وارتفع الضجيج في منزله وعلا البكاء و الصياح و الاستغاثة بالله تعالى فقال صالح قد خطر ببالي ان الله يجعل لك الفرج على يد البرامكة فاذهب بنا الى دار يحيى بن خالد فلما ذهبنا الى يحيى بن خالد اخبره بحاله فاغتمّ لذلك واطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه واستدعى خازن داره وقال له كم في خزنتنا من الدراهم فقال له مقدار خمسة آلاف درهم فامر باحضارها ثم ارسل رسولا الى ولده الفضل برسالة مضمونها انه قد عرض عليّ للبيع ضياع جليلة لاتخرب ابدا فارسل لنا شيأً من الدراهم فارسل اليه الف الف درهم ثم ارسل انسانا آخر الى ولده جعفر برسالة مضمونها انه حصل لنا شغل مهم ونحتاج فيه الى شيءٍ من الدراهم فانفذ له جعفر في الحال الف الف درهم ولم يزل يحيى يرسل ناسا الى البرامكة حتى جمع منهم لمنصور مالا كثيرا وصالح ومنصور لا يعلمان بهذا الامر فقال منصور ليحيى يا مولاي قد تمسكت بذيلك وما اعرف هذا المال الاّ منك كما هو عادة كرمك فتمّم لي بقية ديني واجعلني عتيقك فاطرق يحيى وبكى وقال يا غلام ان امير المؤمنين قد كان وهب لجاريتنا دنانير جوهرة عظيمة القيمة فاذهب اليها وقل لها ترسل لنا هذه الجوهرة فمضى الغلام واتى بها اليه فقال يا صالح انا ابتعت هذه

Digitized by Google

و قالوا لبّيك فماتريد ان تفعل فامرتُهم ان ينقلوا كل ما في مدينة النحاس من المال و المعادن و الجواهر الي داري التي فى البصرة ففعلوا ذلك ثم امرتهم ان يأتوا بالقرد فاتوا به ذليلا حقيرا فقلت له يا ملعون لاي شيءٍ غدرتَ بي ثم امرتهم ان يدخلوه في قمقم من نحاس فادخلوه في قمقم ضيق من نحاس و سدّوا عليه بالرصاص و اقمت انا و زوجتي في هناء و سرور و عندي الآن يا امير المؤمنين من نفائس الذخائر و غرائب الجواهر و كثير الاموال ما لا يحيط به عدّ و لا يحصر حدّ و اذا طلبتَ شيأً من المال او غيره امرت الجن ان يأتوا لك به فى الحال وكل ذلك من فضل الله تعالى فتعجّب امير المؤمنين من ذلك غاية العجب ثم اعطاه من مواهب الخلافة عوضا عن هديته وانعم عليه انعاما يليق بـــــــــــــه

ومما يحكى

ان هارون الرشيد استدعى رجلا من اعوانه يقال له صالح قبل الوقت الذي تغير فيه على البرامكة فلما حضر بين يديه قال له يا صالح سِرْ الى منصور و قل له ان لنا عندك الف الف درهم و الرأي قد اقتضى انك تحمل لنا هذا المبلغ في هذه الساعة وقد امرتك يا صالح انه ان لم يحصل لك ذلك المبلغ من هذه الساعة الى قبل المغرب ان تزيل رأسه عن جسده و تأتيني به فقال صالح سمعا و طاعة ثم سار الى منصور و اخبره بما ذكر امير المؤمنين فقال منصور قد هلكتُ و الله فان جميع تعلقاتي و ماتملكه يدي اذا بيعت با غلى قيمة لا يزيد ثمنها على مائة الف فمن اين اقدر يا صالح على التسعمائة الف درهم الباقية فقال له صالح دَبِّر لك حيلة تتخلص بها

Digitized by Google

و ذلك الطلسم في عمود فقلت لها و اين العمود فقالت في المكان الفلاني فقلت و اي شيء يكون ذلك الطلسم قالت هو صورة عُقاب و عليه كتابة لا اعرفها فخذه بين يديك و خذ مجمرة نار و ارم فيها شيأ من المسك فيطلع دُخان يجذب العفاريت فاذا فعلت ذلك فانهم يحضرون بين يديك كلهم و لا يغيب منهم احد و يمتثلون امرك و مهما امرتهم به فانهم يفعلونه فقم و افعل ذلك على بركة الله تعالى فقلتُ لها سمعا و طاعة ثم قمت و ذهبت الى ذلك العمود و فعلت جميع ما امرتني به فجاءت العفاريت و حضرتْ بين يدي و قالوا لبّيك ياسيدي فمهما امرتنا به فعلناه فقلت لهم قَيِّدوا المارد الذي جاء بهذه الصبية من مكانها فقالوا سمعا و طاعة ثم ذهبوا الى ذلك المارد و قيّدوه و شدّوا وثاقه و رجعوا اليّ و قالوا قد فعلنا ما امرتنا به فامرتهم بالرجوع ثم رجعت الى الصبية و اخبرتها بما حصل ثم قلتُ يا زوجتي هل تروحين معي فقالت نعم ثم اني طلعت بها من السرداب الذي دخلت منه و سرنا حتى وصلنا الى القوم الذين كانوا دلوني عليها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه قال وسرنا حتى وصلنا الى القوم الذين كانو دلّوني عليها ثم قلت دلّوني على طريق توصلني الى بلادي فدلوني و مشوا معي الى ساحل البحر و انزلوني في مركب و طاب لنا الريح و سارت بنا تلك المركب حتى وصلنا الى مدينة البصرة فلما دخلت الصبية دار ابيها رأها اهلها ففرحوا بها فرحا شديدا ثم اني بخرت العقاب بالمسك و اذا بالعفاريت قد اقبلوا عليّ من كل مكان

Digitized by Google

والبسني اياها وقال لي لاتخف فان العبد الذي هلك من تحتك بعض عبيدنا ثم ان ذلك الفارس اردفني خلفه وساربي الى برية وقال انزل من خلفي وسربين هذين الجبلين حتى ترى مدينة النحاس فقف بعيدا عنها ولا تدخلها حتى اعود اليك واقول لك كيف تصنع فقلت له سمعا وطاعة ونزلت من خلفه ومشيت حتى وصلت الى المدينة فرأيت سورها من نحاس فجعلت ادور حولها لعلّي اجد لها بابا فما وجدت لها بابا فبينما انا ادور حولها واذا بافعى الحية قدا قبل عليّ واعطاني سيفا مطلسما حتى لايراني احد ثم انه مضى الى حال سبيله فلم يغب عنّي الّا قليلا واذا بصياح قد علا ورأيت خلقا كثيرا واعينهم في صدورهم فلما رأوني قالوا من انت وما الذي رماك في هذا المكان فاخبرتهم بالواقعة فقالوا ان الصبية التي ذكرتها مع المارد في هذه المدينة وماندري ما فعل بها ونحن اخوة الحية ثم قالوا امض الى تلك العين وانظر من اين يدخل الماء وادخل معه فانه يوصلك الى المدينة ففعلت ذلك ودخلت مع الماء في سرداب تحت الارض ثم طلعت منه فرأيت نفسي في وسط المدينة ووجدت الصبية جالسة على سرير من ذهب وعليها ستارة من ديباج وحول الستارة بستان فيه اشجار من الذهب واثمارها من نفيس الجواهر كالياقوت والزبرجد واللؤلؤ والمرجان فلما رأتني تلك الصبية عرفتني وابتدأتني بالسلام وقالت لي ياسيدي من اوصلك الى هذا المكان فاخبرتها بماجرى فقالت اعلم ان هذا الملعون من كثرة محبته لي اعلمني بالذي يضرّه والذي ينفعه واعلمني ان في هذه المدينة طلسما ان شاء هلاك جميع مَن في المدينة اهلكهم به ومهما امر العفاريت فانهم يمتثلون امره

Digitized by Google

النجوم كالجبال الرواسي وسمعتُ تسبيح الملائكة في السماء كل هذا والمارد يحدّثني ويفرّجني ويلهيني عن ذكر الله تعالى فبينما انا كذلك واذا بشخص عليه لباس اخضر وله ذوائب شعر ووجه منير وفي يده حربة يطير منها الشرر قد اقبل عليّ وقال لي يا ابا محمد قل لا اله الاّ الله محمد رسول الله والاّ ضربتك بهذه الحربة وكانت مهجتي قد تقطعت من سكوتي عن ذكر الله تعالى فقلت لا اله الاّ الله محمد رسول الله ثم ان ذلك الشخص ضرب المارد بالحربة فذاب وصار رمادا وسقطتُ من فوق ظهره فصرت اهوي الى الارض حتى وقعت في بحر عجاج متلاطم بالامواج واذا بسفينة فيها خمسة اشخاص بحرية فلما رأوني اتوا اليّ وحملوني في السفينة وجعلوا يكلّموني بكلام لا اعرفه فاشرت لهم اني لا اعرف كلامكم فساروا الى آخر النهار ثم رموا شبكة واصطادوا حوتا وشووه واطعموني ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بي الى مدينتهم فدخلوا بي الى ملكهم واوقفوني بين يديه فقبلت الارض فخلع عليّ وكان ذلك الملك يعرف بالعربية فقال قد جعلتك من اعواني فقلت له ما اسم هذه المدينة قال اسمها هَناد وهي من بلاد الصين ثم ان الملك سلّمني الى وزير المدينة وامره ان يفرّجني في المدينة وكان اهل تلك المدينة في الزمن الاول كفارا فمسخهم الله تعالى حجارة فتفرجت فيها ولم اراكثر من اشجارها واثمارها فاقمت فيها مدة شهر ثم اتيت الى نهر وجلست على شاطئه فبينما انا جالس واذا بفارس قد اتى وقال هل انت ابو محمد الكسلان فقلت له نعم قال لا تخف فان جميلك وصل الينا فقلت له من انت قال انا اخُ الحيّة وانت قريب من مكان الصبية التي تريد الوصول اليها ثم خلع اثوابه

Digitized by Google

قوم من جنّ الموصلين فان كان لك حاجة فاخبرنا بها حتى نفوق بقضائها فقلت له ان لي حاجة عظيمة لاني اصبت بمصيبة جسيمة ومن الذي حصل له مثل مصيبتي فقال لي لعلك ابو محمد الكسلان فقلت نعم فقال يا ابا محمد انا اخو الحية البيضاء التي قتلت انت عدوّها ونحن اربعة اخوة من اب وام وكلنا شاكرون لفضلك واعلم ان الذي كان على صورة القرد وفعل معك المكيدة مارد من مردة الجن ولو لا انه تحيّل بهذه الحيلة ماكان يقدر على اخذها ابدا لان له مدة طويلة يحبّها وهو يريد اخذها فيمنعه من ذلك هذا الطلسم ولو بقي ذلك الطلسم ماكان يمكنه الوصول اليها ولكن لا تجزع من هذا الامر فنحن نوصلك اليها ونقتل المارد فان جميلك لا يضيع عندنا ثم انه صاح صيحة عظيمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت قال فان جميلك لا يضيع عندنا ثم انه صاح صيحة عظيمة بصوت هائل واذا بجماعة قد اقبلوا عليه فسألهم عن القرد فقال واحد منهم انا اعرف مستقرّه قال اين مستقرّه قال في مدينة النحاس التي لا تطلع عليها الشمس فقال يا ابا محمد خذ عبدا من عبيدنا وهو يحملك على ظهره ويعلمك كيف تأخذ الصبية واعلم ان ذلك العبد مارد من المردة فاذا حملك لا تذكر اسم الله وهو حاملك فانه يهرب منك فتقع وتهلك فقلت سمعا وطاعة واخذت عبدا من عبيدهم فانحنى وقال اركب فركبت ثم طاربي في الجوّ حتى غاب عن الدنيا ورأيت

Digitized by Google

من منذ ست سنين و لا يقدر على ذلك و لكن ما بقي لك عندنا مقام. فامض الى حال سبيلك فخرجت من دار الشريف وجئت الى داري و فتّشت على الفرد فلم اجده و لم ارله اثرا فعلمت انه هو المارد الذي اخذ زوجتي و تخيّل عليّ حتى فعلت ذلك بالطلسم و الديك اللذين كانا يمنعانه من اخذ ها فندمت و قطعت اثوابي و لطمت على وجهي و لم تسعني ارض فخرجت من ساعتي و قصدت البرية و لم ازل سائرا الى ان امسى عليّ المساء و لا اعلم اين اروح فبينما انا مشغول الفكرة اذ اقبل عليّ حيّتان واحدة سمراء و الاخرى بيضاء و هما يتقاتلان فاخذت حجرا من الارض و ضربت به الحيّة السمراء فقتلتها فانها كانت باغية على البيضاء ثم ذهبت الحيّة البيضاء فغابت ساعة و عادت و معها عشر حيّات بيض فجاءوا الى الحيّة التي ماتت و قطعوها قطعا حتى لم يبق الّا رأسها ثم مضوا الى حال سبيلهم و اضطجعت في مكاني من التعب فبينما انا مضطجع متفكر في امري واذا انا بهاتف اسمع صوته ولم ارشخصه وهو يقول هذين البيتين

دَعِ الْمَقَادِيرَ تَجْرِي فِيْ اَعِنَّتِهَا ... وَ لَا تَبِيتَنَّ اِلَّا خَالِيَ الْبَالِ
مَا بَيْنَ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا ... يُغَيِّرُ اللّٰهُ مِنْ حَالٍ اِلَى حَالِ

فلما سمعت ذلك لحقني يا امير المؤمنين امر شديد و فكر ما عليه من مزيد و اذا بصوت من خلفي اسمعه ينشد هذين البيتين

يَا مُسْلِمًا اِمَامُهُ الْقُرْاٰنُ ... اَبْشِرْ بِهِ قَدْ جَاءَكَ الْاَمَانُ
وَلَا تَخَفْ مَا سَوَّلَ الشَّيْطَانُ ... فَنَحْنُ قَوْمٌ دِيْنُنَا الْاِيْمَانُ

فقلت له بحق معبودك ان تعرفني مَن انت فانقلب ذلك الهاتف في صورة انسان وقال لي لا تخف فان جميلك قد وصل الينا ونحن

Digitized by Google

ثم مضيت الى منزلي و انا فرحان فخلوت مع القرد و اخبرته بماجرى لي فقال نعم ما فعلت فلما قرب ميعاد الشريف قال لي القرد ان لي عندك حاجة ان قضيتها لي فلك عندي ماشئت قلت و ماحاجتك قال لي ان في صدر القاعة التي تدخل فيها على بنت الشريف خزانة و على بابها حلقة من نحاس و المفاتيح تحت الحلقة فخذها و افتح الباب تجد صندوقا من حديد على اركانه اربع رايات من الطلسم و في وسط ذلك طشت ملان من المال و في جانبه احدى عشرة حية و في الطشت ديك افرق ابيض مربوط و هناك سكّين بجنب الصندوق فخذ السكين و اذبح بها الديك و اقطع الرايات و كبّ الصندوق و بعد ذلك اخرج للعروسة و ازل بكارتها فهذه حاجتي عندك فقلت له سمعا و طاعة ثم مضيت الى دار الشريف فدخلت القاعة و نظرت الى الخزانة التي وصفها لي القرد فلما خلوت بالعروسة تعجّبت من حسنها و جمالها و قدّها و اعتدالها لانها لا تستطيع الالسن ان تصف حسنها و جمالها ثم فرحت بها فرحا شديدا فلما كان نصف الليل و نامت العروسة قمت اخذت المفاتيح و فتحت الخزانة و اخذت السكّين و ذبحت الديك و رميت الرايات و قلبت الصندوق فاستيقظت الصبية فرأت الخزانة قد فتحت و الديك قد ذبح فقالت لاحول و لاقوة الا بالله العلي العظيم قد اخذني المارد فما استتمّت كلامها الّا و قد احاط المارد بالدار وخطف العروسة فعند ذلك وقعت الضجّة و اذا بالشريف قد اقبل و هو يلطم على وجهه و قال يا ابا محمد ما هذا الفعل الذي فعلته معنا هل هذا جزاؤنا منك و انا قد عملت هذا الطلسم في هذه الخزانة خوفا على بنتي من هذا الملعون فانه كان يقصد اخذ هذه الصبية

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا محمد الكسلان قال فنزلت و سلمت عليه وَ جلست عنده وكان معي عشرة من العبيد و المماليك فقال الشريف لعلّ لك عندنا حاجة نفوز بقضائها فقلت نعم لي عندك حاجة قال و ما حاجتك فقلت جئتك خاطبا راغبا في ابنتك فقال لي انت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فاخرجت له كيسا فيه الف دينار ذهبا احمر وقلت له هذا حسبي و نسبي و قد قال صلى الله عليه وسلم نِعم الحسب المال وما احسن قول من قال

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ ... شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَا
وَ تَقَدَّمَ الْإِخْوَانَ فَاسْتَمَعُوا لَهُ ... وَرَأَيْتَهُ بَيْنَ الْوَرَى مُخْتَالَا
لَوْ لَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَزْهُو بِهَا ... لَوَجَدْتَهُ فِي النَّاسِ أَسْوَءَ حَالَا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخَطَا ... قَالُوا صَدَقْتَ وَ مَا نَطَقْتَ مُحَالَا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا ... قَالُوا كَذَبْتَ وَ أَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ... تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَ جَمَالَا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً ... وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالَا

فلما سمع الشريف منه هذا الكلام وفهم الشعر و النظام اطرق برأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه وقال له ان كان و لابدّ فلي اريد منك ثلثة آلاف دينار اخرى فقلت سمعا و طاعة ثم ارسلت بعض المماليك الى منزلي فجاء لي بالمال الذي طلبه فلما رأى ذلك وصل اليه قام من الدكان و قال لغلمانه اقفلوها ثم دعا اصحابه من السوق الى داره وكتب كتابي على بنته و قال لي بعد عشرة ايام ادخلك عليها

Digitized by Google

على مرتبتي فاذا اكلت يأكل معي و اذا شربت يشرب معي و صار كل يوم من بكرة النهار يغيب الى وقت الظهر ثم يأتي و معه كيس فيه الف دينار فيضعه في جانبي و يجلس و لم يزل على هذه الحالة مدة من الزمان حتى اجتمع عندي مال كثير فاشتريت يا امير المومنين الاملاك والربوع و غرست البساتين واشتريت المماليك و العبيد و الجواري فاتفق في بعض الايام انني كنت جالسا و القرد جالس معي على المرتبة و اذا به التفت يمينا و شمالا فقلت في نفسي اي شيء خبر هذا فانطق الله القرد بلسان فصيح و قال يا ابا محمد فلما سمعت كلامه فزعت فزعا شديدا فقال لي لا تفزع انا اخبرك بحالي اني مارد من الجن و لكني جئتك بسبب ضعف حالك و انت اليوم لا تدري قدر مالك و قد وقعت لي عندك حاجة و هي خير لك فقلت ما هي قال اريد ان ازوجك بصبية مثل البدر فقلت له وكيف ذلك فقال لي في غد البس قماشك الفاخر و اركب بغلتك بالسرج الذهب و امض الى سوق العلافين و اسأل عن دكان الشريف واجلس عنده و قل له اني جئتك خاطبا راغبا في ابنتك فان قال لك انت ليس لك مال و لا حسب و لا نسب فادفع له الف دينار فان قال لك زدني فزده و رغبه في المال فقال سمعا و طاعة في غد افعل ذلك ان شاء الله تعالى قال ابو محمد فلما اصبحت لبست افخر قماشي و ركبت البغلة بالسرج الذهب ثم مضيت الى سوق العلافين و سألت عن دكان الشريف فوجدته جالسا في دكانه فنزلت و سلمت عليه و جلست عنده و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فتلقّاهم اصحابهم حتى طلعوا من المركب فقال ابو المظفر اين ابو محمد الكسلان فبلغ الخبر الى امي فبينما انا نائم اذ اقبلت عليّ امي و قالت يا ولدي ان الشيخ ابا المظفر قداتى و وصل الى المدينة فقم و توجّه اليه و سلّم عليه و اسأله عن الذي جاء به لك فلعل الله تعالى يكون قد فتح عليك بشيء فقلت لها احمليني من الارض و اسنديني حتى اخرج و امشي الى ساحل البحر ثم مشيت و انا اتعثّر في اذ يا لي حتى وصلت الى الشيخ ابي المظفر فلما رآني قال لي اهلا بمن كانت دراهمه سببا لخلاصي و خلاص هؤلاء التجار بارادة الله تعالى ثم قال لي خذ هذا القرد فاني اشتريته لك و امض به الى بيتك حتى اجيء اليك فاخذت القرد بين يدي و مضيت و قلت في نفسي والله ما هذا الّا متجر عظيم ثم دخلت بيتي و قلت لامي كلما انام تامريني بالقيام لاتّجر فانظري بعينك هذا المتجر ثم جلست فبينما انا جالس و اذا بعبيد ابي المظفر قد اقبلوا عليّ و قالوا لي هل انت ابو محمد الكسلان فقلت لهم نعم و اذا بابي المظفر اقبل خلفهم فقمت اليه و قبلت يديه و قال لي سر معي الى داري فقلت سمعا و طاعة و سرت معه الى ان دخلت الدار فامر عبيده ان يحضروا بالمال فحضروا به فقال يا ولدي لقد فتح الله عليك بهذا المال من ربح الخمسة دراهم ثم حملوه في صناديقه على رؤسهم و اعطاني مفاتيح تلك الصناديق و قال لي امض قدام العبيد الى دارك فان هذا المال كله لك فمضيت الى امي ففرحت بذلك و قالت يا ولدي لقد فتح الله عليك بهذا المال الكثير فدع عنك هذا الكسل و انزل السوق و بع و اشتر فتركت الكسل و فتحت دكانا في السوق و صار القرد يجلس معي

Digitized by Google

يديه نفائس الجواهر فرماها بين يدي ابي المظفر فتعجب من ذلك وقال ان هذا القرد فيه سرّ عظيم ثم حلّوا و سافروا الى ان وصلوا جزيرة تسمى جزيرة الزنوج وهم قوم من السودان يأكلون لحم بني آدم فلما رأوهم السودان ركبوا عليهم في القوارب واتوا اليهم و اخذوا كل من في المركب و كتّفوهم و اتوا بهم الى الملك فامرهم بذبح جماعة من التجار فذبحوهم و اكلوا لحومهم ثم ان بقية التجار باتوا محبوسين وهم في نكد عظيم فلما كان وقت الليل قام القرد الى ابى المظفر و حلّ قيده فلما رأى التجار ابا المظفر قد انحلّ قالوا عسى الله ان يكون خلاصنا على يديك يا ابا المظفر فقال لهم اعلموا انه ما خلصني بارادة الله تعالي الّا هذا القرد و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا المظفر قال ما خلصني بارادة الله تعالى الّا هذا القرد وقد خرجت له عن الف دينار فقال التجّار و نحن كذلك كلواحد منا خرج له عن الف دينار ان خلصنا فقام القرد اليهم و صار يحلّ واحدا بعد واحد حتى حلّ الجميع من قيودهم و ذهبوا الى المركب و طلعوا فيها فوجدوها سالمة و لم ينقص منها شيء ثم حلّوا و سافروا فقال ابو المظفر يا تجار أوفوا بالذي قلتم عليه للقرد فقالوا سمعا و طاعة و دفع له كل واحد منهم الف دينار و اخرج ابو المظفر من ماله الف دينار فاجتمع للقرد من المال شيء عظيم ثم سافروا حتى وصلوا الى مدينة البصرة

Digitized by Google

اعلموا ان الرسالة التي معي لابي محمد الكسلان نسيتُها فارجعوا بنا حتى نشتري له بها شيـــأ ينتفع به فقالوا سـألناك بالله تعالى ان لا تردّنا فاننا قطعنا مسافة طويلة زائدة و حصـــل لنا في ذلك اهوال عظيمة و مشقّة زائدة فقال لابدّ لنـــا من الـــرجوع فقالوا خذ منّا اضعـاف ربح الخمسـة دراهم و لا تردّنـــا فسمع منهم و جمعوا له مالا جزيلا ثم ســـاروا حتي اشرفوا على جزيرة فيها خلق كثير فارسوا عليها و طلع التجّار يشترون منهيـــا متجرا من معادن و جواهـــر و لؤلؤ و غير ذلك ثم رأى ابو المظفر رجلا جالسا و بين يديه قرود كثيرة و بينهم قِرْد منتوف الشعر و كانت تلك القرود كامـــا غفل صاحبهم يمسكون ذلك القِـــرْد المنتوف و يضـــربونه و يرمونه على صاحبهم فيقـوم يضـــربهم و يقيّدهم ويعذّبهم على ذلك فتغتاظ القرود كلها من ذلك القرد ويضربونه ثم ان الشيخ ابا المظفر لما رأى ذلك القِـــرْد حزن عليه و رثى به فقال لصـــاحبه اتبيعني هذا القـرد قال اشتر قال ان معي لصبيّ يتيم خمسة دراهم هل تبيعني اياه بها قال له بعتك بارك الله لك فيه ثم تسلّمه و اقبضه الدراهم و اخذ القرد عبيد الشيخ و ربطوه في المركب ثم حلّوا و ســـافروا الى جزيرة اخرى فارسوا عليها فنزل الغطّاسون الذين يغطسون على المعادن و اللؤلؤ و الجوهر و غير ذلك فاعطاهم التجّار دراهم اجرة على الغطاس فغطسوا فرأهم القرد يفعلون ذلك فحـــلّ نفسه من رباطه و نطّ من المركب و غطس معهم فقال ابو المظفـــــر لاحول ولاقوة الّا باللهَ العلي العظيم قد عدم القرد منا ببخت هذا المسكين الذي اخذناه له و يئسوا من القرد ثم طلع جماعة الغطا سين و اذا بالقرد طلع معهم و في

Digitized by Google

خمسة دراهم من الفضة و قالت لي يا ولدي بلغني ان الشيخ ابا المظفر
عزم على ان يسافر الى الصين و كان ذلك الشيخ يحب الفقراء
و هو من اهل الخير فقالت امي يا ولدي خذ هذه الخمسة دراهم
و امض بنا اليه و نسأله ان يشتري لك بها شيأ من بلاد الصين
لعلّه يحصل لك فيه ربح من فضل الله تعالى فكسلت عن القيام
معها فاقسمت بالله ان لم اقم معها انها لا تطعمني و لا تسقيني
و لا تدخل عليّ بل تتركني اموت جوعا و عطشا فلما سمعت
كلامها يا امير المؤمنين علمت انها تفعل ذلك لما تعلم من كسلي
فقلت لها اقعديني فاقعدتني و انا باكي العين و قلت ائتيني بمداسي
فاتتني به فقلت ضعيه في رجلي فوضعته فيهما فقلت لها احمليني
حتى ترفعيني من الارض ففعلت ذلك فقلت اسنديني حتى امشي
فصارت تسندني و مازلت امشي و اتعثّر في اذيالي الى ان وصلنا الى
ساحل البحر فسلمنا على الشيخ و قلت له يا عم انت ابو المظفر قال
لبّيك قلت خذ هذه الدراهم و اشتر بها لي شيأ من بلاد الصين
عسى الله ان يربحني فيه فقال الشيخ ابو المظفر لاصحابه اتعرفون
هذا الشاب قالوا نعم هذا يُعرف بابي محمد الكسلان و ما رأيناه
قطّ خرج من داره الاّ في هذا الوقت فقال الشيخ ابو المظفر يا ولدي
هات الدراهم على بركة الله تعالى ثم اخذ مني الدراهم و قال بسم الله
ثم رجعت مع امي الى البيت و توجّه الشيخ ابو المظفر الى السفر
و معه جماعة من التجار و لم يزالو مسافرين حتى وصلوا الى
بلاد الصين ثم ان الشيخ باع و اشترى و بعد ذلك توجّه الى الرجوع
هو و من معه بعد قضاء اغراضهم و ساروا في البحر ثلثة ايام
فقال الشيخ لاصحابه تفوا بالمركب فقال التجار ما حاجتك فقال

Digitized by Google

هذا لا يصلح الّا لامير المؤمنين و ان اذنت لي فرجتك علي بعض ما اقدر عليه فقال الرشيد افعل ما شئت حتي ننظر فقال سمعا و طاعة ثم حرّك شفتيه و اومأ الي شراريف القصر فمالت اليه ثم اشار اليها فرجعت الى موضعها ثم اشار بعينه فظهرت اليه مقاصير مقفّلة الابواب ثم تكلّم عليها و اذا باصوات طيور تجاوبه فتعجّب الرشيد من ذلك غاية العجب و قال له من اين لك هذا كله وانت ما تُعرف الا بابي محمد الكسلان و اخبروني ان اباك كان حجّاما يخدم في حمام و ما خلف لك شيأ فقال يا امير المؤمنين اسمع حديثي و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا محمد الكسلان قال للخليفة يا امير المؤمنين اسمع حديثي فانه عجيب و امره غريب لو كتب بالابر على أماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الرشيد حدّث بما عندك و اخبرني به يا ابا محمد فقال اعلم يا امير المؤمنين ادام الله لك العزّ و التمكين ان اخبار الناس باني أُعرف بالكسلان و ان ابي لم يخلف لي ما لا صِدقٌ لان ابي لم يكن الّا كما ذكرت فانه كان حجّاما في حمام وكنت انا في صغري اكسل من يوجد على وجه الارض و بلغ من كسلي اني اذا كنت نائما في ايام الحرّ وطلعت عليّ الشمس اكسل عن ان اقوم و انتقل من الشمس الى الظلّ واقمت على ذلك خمسة عشر عاما ثم ان ابي توفّى الى رحمة الله تعالى و لم يخلف لي شيأ و كانت امي تخدم الناس و تطعمني و تسقيني وانا راقد على جنبي فاتفق ان امي دخلت عليّ في بعض الايام ومعها

Digitized by Google

النهار ثم اعطانا كل واحد خمسة آلاف دينار و لما كان اليوم الثاني البسونا خلعا خضرا مذهبة و اكرمونا غاية الاكرام ثم قال له مسرور لا يمكننا ان نقعد زيادة علي تلك المدة خوفا من الخليفة فقال له ابو محمد الكسلان يا مولانا اصبر علينا الى غد حتي نتجهز و نسير معكم فقعدوا ذلك اليوم و باتوا الى الصباح ثم ان الغلمان شدّوا لابي محمد الكسلان بغلة بهرج من الذهب مرصع بانواع الدر و الجواهر فقال مسرور في نفسه يا ترى اذا حضر ابو محمد بين يدي الخليفة بتلك الصفة هل يسأله عن سبب تلك الاموال ثم بعد ذلك و دعوا ابا محمد الزبيدي و طلعوا من البصرة و ساروا و لم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى مدينة بغداد فلما دخلوا علي الخليفة و وقفوا بين يديه امره بالجلوس فجلس ثم تكلّم بادب و قال يا اميرالمؤمنين اني جئت معي بهدية على وجه الخدمة فهل احضرها عن اذنك قال الرشيد لاباس بذلك فامر بصندوق و فتحه و اخرج منه تحفا من جملتها اشجار من الذهب و اوراقها من الزمرد الابيض و ثمارها ياقوت احمر و اصفر و لؤلؤ ابيض فتعجب الخليفة من ذلك ثم احضر صندوقا ثانيا و اخرج منه خيمة من الديباج مكلّلة باللؤلؤ و الياقوت و الزمرد و الزبرجد و انواع الجواهر و قوائمها من عود هندي رطب و اذيال تلك الخيمة مرصعة بالزمرد الاخضر و فيها تصوير كل الصور من سائر الحيوانات كالطيور والوحوش و تلك الصور مكلّلة بالجواهر و اليواقيت والزمرد والزبرجد والبلخش و سائر المعادن فلما راى الرشيد ذلك فرح فرحا شديدا ثم قال ابو محمد الكسلان يا اميرالمؤمنين لا تظن اني حملت لك هذا فزعا من شيء ولا طمعا في شيء وانما رأيت نفسي رجلا عاميا ورأيت

Digitized by Google

غاية الاكرام ثم قرأ عليه بطاقة امير المؤمنين هارون الرشيد فقال سمعا و طاعة ثم ارسل مسرورا مع جماعة من اتباعه الى ابي محمد الكسلان فتوجّهوا اليه وطرقوا عليه الباب فخرج لهم بعض الغلمان فقال له مسرور قل لسيدك ان امير المؤمنين يطلبك فدخل الغلام و اخبره بذلك فخرج فوجد مسرورا حاجب الخليفة و معه اتباع الامير محمد الزبيدي فقبّل الارض بين يديه وقال سمعا و طاعة لامير المؤمنين و لكن ادخلوا عندنا فقالوا ما نقدر على ذلك الاّ على عجل كما امرنا امير المؤمنين فانه ينتظر قدومك فقال اصبروا عليّ يسيرا حتى اجهز امري ثم دخلوا معه الى الدار بعد جهد جهيد و استعطاف زائد فرأوا في الدهليز ستورا من الديباج الازرق المطرز بالذهب الاحمر ثم ان ابا محمد الكسلان امر بعض غلمانه ان يدخلوا مع مسرور الحمام الذي في الدار ففعلوا فرأى حيطانه ورخامه من الغرائب وهو مزركش بالذهب و الفضة و ماؤه ممزوج بماء الورد واحتفل الغلمان بمسرور ومن معه وخدموهم اتمّ الخدمة ولما خرجوا من الحمام البسوهم خلعا من الديباج منسوجة بالذهب ثم دخل مسرور و اصحابه فوجدوا ابا محمد الكسلان جالسا في قصره وقد علقت على رأسه ستور من الديباج المنسوج بالذهب المرصع بالدر والجواهر والقصر مفروش بمساند مزركشة بالذهب الاحمر و هو جالس على مرتبته و المرتبة على سرير مرصع بالجواهر فلما دخل عليه مسرور رحب به وتلقاه واجلسه بجانبه ثم امر باحضار السماط فلما رأى مسرور ذلك السماط قال والله ما رأيت عند امير المؤمنين مثل ذلك السماط ابدا و كان في ذلك السماط انواع الاطعمة وكلّها موضوعة في اطباق صيني مذهبة قال مسرور فاكلنا و شربنا و فرحنا الى آخر

Digitized by Google

و الجوهر و فيه من سائر اليواقيت و الجواهر ما لايفي به مال ثم ان ذلك الخادم قبل الارض بين يدي الخليفة و قال له يا امير المؤمنين ان السيدة زبيدة و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما احسن حديثك واطيبه و احلاه واعذبه فقالت واين هذا ممـــا احدّثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال الملك في نفسه و الله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثهـــــا

فلما كانت الليلة الموفية للثلثمائة

قالت لها اختها يا اختي اتممي لنا حديثك قالت حبا وكرامة ان اذن لي الملك فقال الملك احك يا شهرزاد قالت بلغني ايها الملك السعيدان الغلام قال للخليفة ان السيدة زبيدة تقبل الارض بين يديك و تقول لك انت تعرف انها قد عملت هذا التاج وانه محتاج الى جوهرة كبيرة تكون في رأسه و فتّشت ذخائرها فلم تجد فيها جوهرة كبيرة على غرضها فقال الخليفة للحجّاب والنوّاب فتّشوا على جوهرة كبيرة على غرض زبيدة ففتشوا فلم يجدوا شيأ يوافقها فاعلموا الخليفة بذلك فضاق صدره و قال كيف اكون خليفة و ملك ملوك الارض و اعجز عن جوهرة ويلكم فاسألوا التجار فسألوا التجـــار فقالوا لهم لا يجد مولانا الخليفة تلك الجوهرة الّا عند رجل بالبصـــرة يسمى ابا محمد الكسلان فاخبروا الخليفة بذلك فامر وزيره جعفران يرسل بطاقة الى الامير محمد الزبيدي المتولّي على البصـــرة ان يجهز ابا محمد الكسلان و يحضر به بين يدي اميرالمؤمنين فكتب الوزير بطاقة بمضمون ذلك وارسلها مع مسرور ثم توجّه مسرور بالبطاقة الى مدينة البصرة و دخل على الامير محمد الزبيدي ففرح به و اكرمه

Digitized by Google

فتارة ارتعد من شدة البرد وتارة اقع في ماء المطر وانا في حالة كريهة تقشعرّ منها الجلود وكان جعفر في ذلك اليوم جالسا في قصر مشرف على الشارع وعنده خواصه ومحاظيه فوقع نظره عليّ فرقّ لحالي وارسل اليّ بعض اتباعه فاخذني اليه وادخلني عليه فلما رآني قال لي بع ما معك من الفول على طاقتي فاخذت اكيله بمكيال كان معي فكل من اخذ كيلة فول يملأ ذهبا حتى فرغ جميع ما معي ولم يبق في القفّة شيء ثم جمعت الذهب الذي حصل لي على بعضه فقال لي هل بقي معك شيء من الفول قلت لا ادري ثم فتّشت القفة فلم اجد فيها سوى فولة واحدة فاخذها مني جعفر وفلقها نصفين فاخذ نصفها واعطى النصف الثاني لاحدى محاظيه وقال بكم تشترين نصف هذه الفولة فقالت بقدر هذا الذهب مرّتين فصرت متحيرا في امري وقلت في نفسي هذا مُحال فبينما انا متعجب واذا بالمحظية امرت بعض جواريها فاحضرت ذهبا قدر الذهب المجتمع مرّتين فقال جعفر وانا اشتري النصف الذي اخذته بقدر الجميع مرّتين ثم قال لي جعفر خذ ثمن فولك وامر بعض خدامه فجمع المال كله ووضعه في قفتي فاخذته وانصرفت ثم جئت الى البصرة واتجرت بما معي من المال فوسع الله عليّ ولله الحمد والمنة فاذا اعطيتك في كل سنة الف دينار من بعض احسان جعفر ما ضرّني شيء فانظر مكارم اخلاق جعفر والثناء عليه حيا وميتا رحمة الله تعالى عليه *

ومما يحكى

ان هارون الرشيد كان جالسا ذات يوم في تخت الخلافة اذ دخل عليه غلام من الطواشية ومعه تاج من الذهب الاحمر مرصع بالدر

Digitized by Google

وآخره فرح وسرور * ومما يحكى

حكاية كرم جعفر البرمكي مع بائع الفول

ان جعفر البرمكي لما صلبه هارون الرشيد امر بصلب كل من نعاه اورثاه فكفّ الناس عن ذلك فاتفق ان اعرابيا كان ببادية بعيدة وفي كل سنة ياتي بقصيدة الى جعفر البرمكي المذكور فيعطيه الف دينار جائزة على تلك القصيدة فياخذها وينصرف ويستمرّ ينفق منها على عياله الى آخر العام فجاءه ذلك الاعرابي بالقصيدة على عادته فلما جاء وجد جعفر مصلوبا فجاء الى المحل الذي هو مصلوب به واناخ راحلته وبكى بكاء شديدا وحزن حزنا عظيما وانشد القصيدة ونام فرأى جعفر البرمكي في المنام يقول له انك قد اتعبت نفسك وجئتنا فوجدتنا على ما رأيت ولكن توجّه الى البصرة واسأل عن رجل اسمه كذا وكذا من تجّار البصرة وقل له ان جعفر البرمكي يقرئك السلام ويقول لك اعطني الف دينار بامارة الفولة فلمّا انتبه الاعرابي من نومه توجّه الى البصرة فسأل عن ذلك التاجر واجتمع به وبلغه ما قاله جعفر في المنام فبكى التاجر بكاء شديدا حتى كاد ان يفارق الدنيا ثم انه اكرم الاعرابي واجلسه عنده واحسن مثواه ومكث عنده ثلثة ايام مكرّما ولما اراد الانصراف اعطاه الفا وخمسمائة دينار وقال له الالف هي المأمور لك بها والخمسمائة اكرام منّي اليك ولك في كل سنة الف دينار وعند انصرافه قال للتاجر بالله عليك ان تخبرني بخبر الفولة حتى اعرف اصلها فقال له انا كنت في ابتداء الامر فقير الحال اطوف بالفول الحارّ في شوارع بغداد وابيعه حيلة على المعاش فخرجت في يوم بارد ما طرق ليس على بدني ما يقيني من البرد

Digitized by Google

مالها عن القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها و هي عاشقة له وانما اراد زيارتها فتوجّه الى دار اهلها ورمى حجرا فى الدار ليعلّمها بمجيئه فسمع ابوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما احسّ بهم جمع قماش البيت كلّه و اراهم انه سارق سترا على معشوقته فلما رأوه على هذه الحالة اخذوه و قالوا سارق و اتوابه اليك فاعترف بالسرقة واصرّ على ذلك حتى لا يفضحني و قد ارتكب هذه الامور من رمي نفسه بالسرقة لفرط مروّته وكرم نفسه فقال خالد انه لخليق بان يسعف بمراده ثم استدعى الفتى اليه فقبّله بين عينيه و امر باحضار ابى الجارية وقال له يا شيخ انّا كنا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع و لكن اللّه عزوجل قد حفظني من ذلك و قد امرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده حفظا لعِرضك وعِرْض بنتك وصيانتكما من العار و قد امرت لابنتك بعشرة آلاف درهم حيث اخبرتني بحقيقة الامر و انا اسألك ان تأذن لي في تزويجها منه فقال الشيخ ايها الامير قد اذنت لك في ذلك فحمد اللّه خالد واثنى عليه وخطب خطبة حسنة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خالدا حمد اللّه و اثنى عليه و خطب خطبة حسنة و قال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضائها و اذن ابيها على هذا المال و قدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج ثم ان خالدا امر بحمل المال الى دار الفتى مزفوفا فى الصيواني وانصرف الناس وهم مسرورون فما رأيت يوما اعجب من ذلك اليوم اوّله بكاء وشرور

Digitized by Google

ينظرون قطع يد الشاب ولم يبق احد في البصرة من رجل ولا امرأة الّا و قد حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد و معه وجوه اهل البصرة و غيرهم ثم استدعى بالقضاة و امر باحضار الفتى فاقبل يَخْجُلُ في قيوده ولم يره احد من الناس الّا بكى عليه وارتفعت اصوات النساء بالنحيب فامر القاضي بتسكيت النساء ثم قال له ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم و سرقت مالهم لعلّك سرقتَ دون النصاب قال بل سرقتُ نصابا كاملا قال لعلّك شريك القوم في شيءٍ منه قال بل هو جميعه لهم لاحقّ لي فيه فغضب خالد وقام اليه بنفسه و ضربه على وجهه بالسوط و قال متمثّلا بهذا البيت

يُرِيْدُ الْمَرْءُ اَنْ يُعْطَى مُنَاهُ * وَيَأْبَى اللّٰهُ اِلَّا مَا يُرِيْدُ

ثم دعا بالجزار ليقطع يده فحضر واخرج السكّين و مدّ يده و وضع عليها السكّين فبادرت جارية من وسط النساء عليها اطمار وسخة فصرخت و رمت بنفسها عليه ثم اسفرت عن وجه كانه القمر و ارتفع للناس ضجّة عظيمة وكاد ان يقع بسبب ذلك فتنة طائرة الشرر ثم نادت تلك الجارية باعلى صوتها ناشدتك الله ايّها الامير لاتعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت اليه رقعة ففتحها خالد وقرأها فاذا مكتوب فيها هذه الابيات

اَخَالِدُ هٰذَا مُسْتَهَامٌ مُتَيَّمٌ * رَمَتْهُ لَحَاظِي عَنْ قِسِيِّ الْحَمَالِقِ
فَاَصْمَاهُ سَهْمُ اللَّحْظِ مِنِّي لِاَنَّهُ * حَلِيْفُ جَوًى مِنْ دَائِهِ غَيْرُ فَائِقِ
اَقَرَّ بِمَا لَمْ يَقْتَرِفْهُ كَاَنَّهُ * رَاَى ذَاكَ خَيْرًا مِنْ هَتِيْكَةِ عَاشِقِ
فَمَهْلًا عَنِ الصَّبِّ الْكَئِيْبِ فَاِنَّهُ * كَرِيْمُ السَّجَايَا فِي الْوَرَى غَيْرُ سَارِقِ

فلما قرأ خالد الابيات تنحّى و انفرد عن الناس و احضر المرأة ثم

Digitized by Google

على رؤس الاشهاد قد رابني و انا ما اظنّك سارقا و لعل لك قصة غير السرقة فاخبرني بها قال ايها الامير لايقع في نفسك شيء سوى مااعترفت به عندك و ليس لي قصة اشرحها الّا اني دخلت دار هؤلاء فسرقت ما امكنني فادركوني واخذوه مني وحملوني اليك فامر خالد بحبسه و امر مناديا ينادي بالبصرة أَلَا مَن احبّ ان ينظر الى عقوبة فلان اللص و قطع يده فليحضر من الغداة الى المحل الفلاني فلما استقرّ الفتى في الحبس و وضعوا في رجليه الحديد تنفّس الصعداء وافاض العبرات و انشد هذه الابيات

هَلَّ دَنِي خَالِدٌ بِقَطْعِ يَدِي * إِذْ لَمْ أَبُحْ عِنْدَهُ بِقِصَّتِهَا
فَقُلْتُ هَيْهَاتَ أَنْ أَبُوحَ بِمَا * تَضْمَنُ الْقَلْبُ مِنْ مَحَبَّتِهَا
قَطْعُ يَدِي بِالَّذِي اعْتَرَفْتُ بِهِ * أَهْوَنُ لِلْقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِهَا

فسمع ذلك الموكّلون به فاتوا خالدا و اخبروه بما حصل منه فلما جنّ الليل امر بأحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه عاقلا اديبا فطنا ظريفا لبيبا فامر له بطعام فاكل وتحدّث معه ساعة ثم قال له خالد قد علمتُ ان لك قصة غير السرقة فاذا كان الصباح وحضر الناس و حضر القاضي و سألك عن السرقة فانكرْها واذكرْ ما يدرء عنك حد القطع فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم اِدْرَؤُا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ ثم امر به الى السجن و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خالدا بعد ان تحدّث مع الشاب امر به الى السجن فمكث فيه ليلة فلما اصبح الصباح حضرت الناس

Digitized by Google

قاضيا في زماني واستدعى باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضي هل معك شيء تضعه فيه فتذكر مخلاة البقلة فاستدعى بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف الى بيته فلما اصبح الصباح قال لاصحابه لاطريق الى الدين والدنيا اسهل واقرب من طريق العلم فاني اعطيت هذا المال العظيم في مسألتين او ثلث فانظروا ايها المتأدب الى لطف هذه الواقعة فانها اشتملت على محاسن منها دلال الوزير على الرشيد وعلم الخليفة وزيادة علم القاضي فرحم الله تعالى ارواحهم اجمعين *

حكاية خالد بن عبد الله القشيري ومما يحكى

ان خالد ابن عبد الله القشيري كان امير البصرة فجاء اليه جماعة متعلقون بشاب ذي جمال باهر وادب ظاهر وعقل وافر وهو حسن الصورة طيب الرائحة وعليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص اصبناه البارحة في منزلنا فنظر اليه خالد فاعجبه حسن هيئته ونظافته فقال اخلوا عنه ثم دنا منه وسأله عن قصته فقال ان القوم صادقون فيما قالوه والامر على ما ذكروا فقال له خالد ما حملك على ذلك وانت في هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملني على ذلك الطمع في الدنيا وقضاء الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك امك اما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر يزجرك عن السرقة قال دع عنك هذا ايها الامير وامض الى ما امر الله تعالى به فذلك بما كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر في امر الفتى ثم ادناه منه وقال له ان اعترافك

Digitized by Google

لامير المؤمنين نصفها و هب له نصفها و تبرأن في يمينيكما بذلك فانسرّ امير المؤمنين بذلك و فعلا ما امرهما به ثم قال الرشيد احضروا الجارية في هذا الوقت و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الخليفة هارون الرشيد قال احضروا الجارية في هذا الوقت فانّي شديد الشوق اليهـــا فاحضروها وقال للقاضي ابي يوسف اريد وطئها في هذا الوقت فاني لا اطيق الصبر عنها الى مضي مدة الاستبراء وما الحيلة في ذلك فقال ابو يوسف ائتوني بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فاحضروا مملوكا فقال ابو يوسف ائذن لي ان ازوّجها منه ثم يطلّقها قبل الدخول فيحـلّ وطؤها في هذا الوقت من غير استبراء فاعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فلما حضر المملوك قال الخليفة للقاضي اذنتُ لك في العقد فاوجب القاضي النكاح ثم قبله المملوك وبعد ذلك قال له القاضي طلّقها ولك مائة دينار فقال لا افعـل ولم يزل يزيده و هو يمتنع الى ان عرض عليه الف دينار ثم قال للقاضي هل الطلاق بيدي ام بيدك إم بيد امير المؤمنين قال بل بيـــدك قال و الله لا افعل ابدا فاشتدّ غضب امير المؤمنين و قال الحيلة يا ابا يوسف قال القاضي ابو يوسف يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هيّن ملّك هذا المملوك للجارية قال ملّكته لها قال لها القاضي قولي قبلت فقالت قبلت فقال القاضي حكمت بينهمـا بالتفريق لانه دخل في ملكهـــا فانفسخ النكاح فقام امير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون

Digitized by Google

ما ادعيتماه فهل هذا الجراب بحر ليس له قرار او يوم العرض الذي يجمع الابرار و الفجار ثم ان القاضي امر بفتح الجراب ففتحته واذا فيه خبز وليمون وجبن و زيتون ثم رميت الجراب قدّام الكردي ومضيت فلما سمع الخليفة هذه الحكاية من عليّ العجمي استلقى على قفاه من الضحك واحسن جائزته

ومما يحكى

ان جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال الرشيد يا جعفر بلغني انك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة اتطلبها فانها على غاية من الجمال و قلبي يحبّها في اشتغال فبعها لي فقال لا ابيعها يا امير المؤمنين فقال هبها لي فقال لا اهبها فقال الرشيد زبيدة طالق ثلثا ان لم تبعها لي او تهبها لي قال جعفر زوجتي طالق ثلثا ان بعتها او وهبتها لك ثم افاقا من نشوتهما وعلما انهما وقعا في امر عظيم وعجزا عن تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة ليس لها غير ابي يوسف فطلبوه وكان ذلك في نصف الليل فلما جاء الرسول قام فزعا وقال في نفسه ما طلبت في هذا الوقت الا لامر حدث في الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته و قال لغلامه خذ معك مخلاة البغلة لعلّها لم تستوف عليقها فاذا دخلنا دار الخلافة فضع لها المخلاة حتى تاكل ما بقي من عليقها الى حين خروجي اذا لم تستوف عليقها في هذه الليلة فقال الغلام سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد قام له واجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه احدا غيره وقال له ما طلبناك في هذا الوقت الا لامر مهمّ وهو كذا وكذا وقد عجزنا في تدبير الحيلة فقال يا امير المؤمنين ان هذا الامر اسهل ما يكون ثم قال يا جعفر بع

Digitized by Google

للغنم مَرَاح والف كلب نبّاح و بساتين وكروم وازهار ومشمـــوم وتين وتفّاح وصور واشباح وقناني واقداح وغرائس مِلاح ومغالي وافراح وهرج وصياح وافطار فصاح واخوة نجاح ورفقة صباح ومعهم سيوف ورماح وتسيّ ونشاب واصدقاء واحباب وخلّان واصحاب ومحابس للعقاب وندماء للشراب وطنبور ونايات واعلام ورايات وصبيان وبنات وعرائس مجليات وجوار مغنيات وخمس حبشيات وثلث هنديات واربع مدنيات وعشرون روميات وخمسون تركيات وسبعون عجميات وثمانون كرديات وتسعون جرجيات والدجلة والفرات وشبكة صياد وقداحة وزنادوارم ذات العماد والف علق وقوّاد وميادين واصطبلات ومساجد وحمامات وبنّاء ونجّـــار وخشبة ومسمار وعبد اسود بمزمار ومقـدم وركبدار ومدن وامصار ومائة الف دينار والكوفة مع الانبار وعشرون صندوقا مملوءة بالقماش وخمسون حاصلا للمعاش وغزّة وعسقلان ومن دمياط الى اصوان وايوان كسرى انوشروان وملك سليمان ومن وادي نعمان الى ارض خراسان وبلخ واصبهان ومن الهند الى بلادالسودان وفيه اطال الله عمر مولانا القاضي غلائل وعراضي والف موسى ماضي تعلق ذقن القاضي ان لم يخش عقابي ولم يحكم بان الجراب جرابي فلما سمع القاضي كلام الكردي تحيّر عقله من ذلك وقال ما ما اراكما الا شخصين نحسين اورجلين زنديقين تلعبان بالقضـاة والحكام ولا تخشيان من الملام لانه ما وصف الواصفون ولا سـمع السامعون باعجب مما وصفتم ولا تكلم بمثل ماتكلمتم والله ان من الصين الى شجرة ام غيلان ومن بلاد فارس الى ارض السودان ومن وادي نعمان الى ارض خراسان لا يسـع ما ذكرتماه ولا يصدق

Digitized by Google

ومرتبة وسريرين وقصر وقاعتين وروا ق و مقعدين ومطبخ بها بيتين وجماعة اكراد يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول انت يا هذا فتقدّمت اليه يا اميسر المؤمنين وقدا بهتني الكردي بكلامه فقلت اعزّ الله مولانا القاضي انا مافي جرابي هذا الادويرة خراب واخرق بلا باب ومقصورة للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون بالكعاب وفيه خيام واطناب ومدينه البصرة وبغداد وقصر شداد بن عاد وكُوْر حَدّاد وشبكة صَيّاد وعِصِيّ وَاوْتَاد وبنات واولاد والف قَوّاد يشهدون ان الجراب جرابي فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانقلب وقال يا مولانا القاضي ان جرابي هذا معروف وكل مافيه موصوف في جرابي هذا حصون و قلاع وكراكي وسباع ورجال يلعبون بالشطرنج والرقاع وفي جرابي هذا جحرة ومهران وفحل وحصانان ورمحان طويلان وهو مشتمل على سبع وارنبين و مدينة وقريتين وقحبة و قوّادين شاطرين و مخنّث و عِلْقين واعمى و بصيرين واعرج وكَسْحَين وقسيس وشماسين و بِتْزِك وراهبين وقاض و شاهدين وهم يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول يا علي فامتلأت غيظا يا امير المؤمنين وتقدّمت اليه وقلت ايّدالله مولانا القاضي و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت السادسة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان العجمي قال فامتلأت غيظا يا امير المؤمنين و تقدّمت اليه وقلت له ايّدالله مولانا القاضي انا في جرابي هذا زَرَد و صفاح وخزائن سلاح والف كَبْش نَطّاح وفيه

Digitized by Google

عنك انك تحفظ حكايات واخبارا واريد منك ان تسمعني ما يزيل همّي ويصقل فكري فقال يا امير المؤمنين هل احدّثك بالذي رأيته بعيني او بالذي سمعته باذني فقال ان كنتَ رأيت شيأ فاحكه فقال سمعا وطاعة اعلم يا امير المؤمنين اني سافرت في بعض السنين من بلدي هذه وهي مدينة بغداد وصحبتي غلام ومعه جراب لطيف ودخلنا مدينة فبينما انا ابيع واشتري واذا برجل كُرديّ ظالم متعدّ قد هجم عليّ واخذ مني الجراب وقال هذا جرابي وكل مافيه متاعي فقلتُ يا معشر المسلمين خلّصوني من يد افجر الظالمين فقال الناس جميعا اذهبا الى القاضي واقبلا حكمه بالتراضي فتوجّهنا الى القاضي وانا بحكمه راضي فلما دخلنا عليه وتمثّلنا بين يديه قال القاضي في ايّ شيٍ جئتما وما قضية خبركما فقلت نحن خصمان اليك تداعينا وبحكمك تراضينا فقال ايّكما المدّعي فتقدّم الكردي وقال ايّدا لله مولانا القاضي ان هذا الجراب جرابي وكل مافيه متاعي وقد ضاع مني ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضي ومتى ضاع منك فقال الكردي من امس هذا اليوم وبت لفقده بلا نوم فقال القاضي ان كنتَ عرفته فصف لي مافيه فقال الكردي في جرابي هذا مِرْوَدان من لُجَين وفيه اكحال للعين ومِنديل لليدين ووضعت فيه شربتين مُذَهّبتين وشمعدانين وهو مشتمل على بيتين وطبقين ومعلقتين ومِخَدّة ونِطْعين وابريقين وصينية وطشتين وقِدْرة وَزَلْعتين ومِغْرفة ومِسَلّة ومِزْوَدين وهِرّة وكلبتين وقصعة وقَعيدتين وجُبّة وفَرْوتين وبَقَرة وعِجْلين وعنزو شاتين ونَعْجة وسخلين وصيوانين اخضرين وجَمَل وناقتين وجاموسة وثورين ولَبوة وسَبُعين ودُبّة وثعلبين

Digitized by Google

بن الجوهري وقد عرفنا الحال و سمعنا الحكاية من اوّلها الى آخرها وفهمنا ظاهرها وباطنها والامر لايخفى و ان كان مستورا فقالت يا امير المؤمنين كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله العظيم مما جرى مني و اسألك من فضلك العفو عنّي فضحك الخليفة هارون الرشيد و احضر القاضي والشهود و جدّد عقدها على زوجها محمد علي بن الجوهري وحصل لها وله سعد السعود و اكماد الحسود و جعله من جملة ندمائه و استمرّوا في سرور ولذّة وحبور الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات

ومما يحكى

ايضا ان الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي فاستدعى بوزيره فلما حضر بين يديه قال له ياجعفر اني قلقت الليلة قلقا عظيما وضاق صدري واريد منك شيأ يسرّ خاطري و ينشرح به صدري فقال له جعفر يا امير المؤمنين ان لي صديقا اسمه علي العجمي و عنده من الحكايات والاخبار المطربة ما يسرّ النفوس و يزيل عن القلب المؤس فقال عليّ به فقال سمعا وطاعة ثم ان جعفر خرج من عند الخليفة في طلب العجمي فارسل خلفه فلما حضر قال له اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجمي قال سمعا وطاعة ثم توجّه معه الى الخليفة فلما تمثّل بين يديه اذن له في الجلوس فجلس فقال له الخليفة يا علي انه ضاق صدري في هذه الليلة وقد سمعت

Digitized by Google

معه الى القصر وهو من الترسيم عليه في حَصَر فلما دخل على الخليفة قبّل الارض بين يديه و دعالله بدوام العزّ و الاقبال و بلوغ الآمال و دوام النعم وازالة البؤس والنقم وقد احسن ما به تكلم حيث قال السلام عليك يا امير المؤمنين و حامي حوصة الدين ثم انشد هذين البيتين

لَا زَالَ بَابُكَ كَعْبَةً مَقْصُودَةً * وَتُرَا بُهَا فَوْقَ الْجِبَاهِ رُسُومُ
حَتَّى يُنَادَى فِي الْبِلَادِ بِأَسْرِهَا * هَذَا الْمَقَامُ وَ اَنْتَ اِبْرَاهِيمُ

فتبسّم الخليفة في وجهه وردّ عليه السلام والتفت اليه بعين الاكرام وقرّبه لديه و اجلسه بين يديه وقال له يا محمد علي اريد منك ان تحدّثني بما وقع لك في هذه الليلة فانه من العجائب وبديع الغرائب فقال الشاب العفو يا امير المؤمنين اعطني منديل الامان ليسكن روعي و يطمئنّ قلبي فقال له الخليفة لك الامان من الخوف والاحزان فشرع الشاب يحدّثه بالذي حصل له من اوّله الى آخره فعلم الخليفة ان المصيبة عاشق والمعشوق صفارق فقال له اتحبّ ان اردها عليك قال هذا من فضل امير المؤمنين ثم انشد هذين البيتين

اِلَيْكُمْ اَنَا مِلْكُهُ فَلْسَنَ اَنَا مِلْكُ * لَكِنَّهُنَّ مَفَاتِيحُ الْاَرْزَاقِ
وَ اشْكُرْ صَنَائِعَهُ فَلْسَنَ صَنَائِعًا * لَكِنَّهُنَّ قَلَائِدُ الْاَعْنَاقِ

فعند ذلك التفت الخليفة الى الوزير وقال له يا جعفر احضرلي اختك السيّدة دنيا بنت الوزير يحي بن خالد فقال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ثم احضرها في الوقت والساعة فلما تمثّلت بين يديه قال لها الخليفة اتعرفين من هذا قالت يا امير المؤمنين من اين للنساء معرفة الرجال فتبسّم الخليفة وقال لها يا دنيا هذا حبيبك محمد علي

Digitized by Google

مائتان وعملتُ هذا الزورق و صرفت عليه خمسة آلاف دينار من الذهب وسمّيتُ نفسي بالخليفة ورتّبت من معي من الخدم كلواحد في وظيفة واحد من اتباع الخليفة وهيّأته بهيئته وناديت كل من تفرّج في الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولي على هذا الحال سنة كاملة ولنا لم اسمع لها خبرا ولم اقف بها على اثر ثم انه بكى وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

وَاللّٰهِ مَا كُنْتُ طُوْلَ الدَّهْرِ نَاسِيهَا ... وَلَا دَنَوْتُ إِلَى مَنْ لَيْسَ يُدْنِيهَا
كَأَنَّهَا الْبَدْرُ فِي تَكْوِينِ خِلْقَتِهَا ... سُبْحَانَ خَالِقِهَا سُبْحَانَ بَارِيهَا
قَدْ صَيَّرَتْنِي حَزِينًا سَاهِرًا دَنِفًا ... وَالْقَلْبُ قَدْ حَارَ مِنِّي فِي مَعَانِيهَا

فلما سمع هارون الرشيد كلامه وعرف وجده ولوعته وغرامه تدلّه ولهًا وتحيّر عجبا وقال سبحان الله الذي جعل لكل شيء سببا ثم انهم استأذنوا من الشاب في الانصراف فاذن لهم واضمر له الرشيد على الانصاف وان يتحفه غاية الاتحاف ثم انصرفوا من عنده سائرين والى محل الخلافة متوجّهين فلما استقرّ بهم الجلوس وغيّروا ما عليهم من الملبوس ولبسوا اثواب المواكب ووقف بين يديهم مسرور سيّاف النقمة فقال الخليفة لجعفر يا وزير عليّ بالشاب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة قال للوزير عليّ بالشاب الذي كنّا عنده في الليلة الماضية فقال سمعا وطاعة ثم توجّه اليه وسلّم عليه وقال له اجب امير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد فسار

Digitized by Google

خرجتُ منه فدخلت وجئت الى السرير فوجدتها قد جاءت من الحمّام وهي نائمة على السرير فقعدتُ عند رجليها وكبستهما ففتحتْ عيناها فرأتني فجمعتْ رجليها ورفستني فرمتني من فوق السرير وقالت لي يا خائن خنتَ اليمين وحنثتَ فيه ووعدتني انك لا تنتقل من مكانك واخلفتَ الوعد وذهبتَ الى السيّدة زبيدة والله لولا خوفي من الفضيحة لهدمتُ قصرها على رأسها ثم قالت لعبدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا الخائن الكذاب فلا حاجة لنا به فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بها عيني واراد ان يضرب عنقي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان محمدا الجوهري قال فتقدّم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بها عيني واراد ان يضرب عنقي فقامت اليها الجواري الكبار والصغار وقلن لها يا سيّدتنا ليس هذا اول من اخطأ وهو لا يعرف خُلقك وما فعل ذنبا يوجب القتل فقالت والله لابدّ ان اعمل فيه اثرا ثم امرت بضربي فضربوني على اضلاعي وهذا الذي رأيتموه اثر ذلك الضرب وبعد ذلك امرتْ باخراجي فاخرجوني وابعدوني عن القصر ورموني فحملتُ نفسي ومشيت قليلا قليلا حتى وصلت الى منزلي واحضرتُ جرائحيا واريته الضرب فلاطفني وسعى في مداواتي فلما شفيت ودخلت الحمام وزالت عني الاوجاع والاسقام جئت الى الدكان واخذت جميع ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريتُ لي اربعمائة مملوك ما جمعهم احد من الملوك وصار يركب معي منهم في كل يوم

Digitized by Google

من مكانك الى آن ارجع اليك و حلّفتني على ذلك فقلت لها سمعا و طاعة ثم انها حلّفتني اني لا انتقل من موضعي و اخذت جواريها و ذهبت الى الحمّام فوالله يا اخواني ما لحقت ان تصل الى رأس الزقاق الّا و الباب قد فتح و دخلت منه عجوز وقالت ياسيّدي محمد ان السيدة زبيدة تدعوك فانها سمعت بادبك و ظرفك و حسن غنائك فقلت لها والله ما اقوم من مكاني حتى تأتي السيّدة دنيا فقالت العجوز يا سيدي لا تخل السيّدة زبيدة تغضب عليك وتبقى عدوّتك فقم كلّمها و ارجع الى مكانك فقمت من وقتي وتوجّهت اليها و العجوز امامي الى ان اوصلتني الى السيّدة زبيدة فلما وصلت اليها قالت لي يا نور العين هل انت معشوق السيّدة دنيا فقلت انا مملوكك و عبدك فقالت صدق الذي وصفك بالحسن و الجمال والادب والكمال فانك فوق الوصف و المقال ولكن غنّ لي حتى اسمعك فقلت لها سمعا و طاعة فأتتني بعود فغنّيت عليه بهذه الابيات

قَلْبُ الْمُحِبِّ مَعَ الْاَحْبَابِ مَتْعُوبُ ... وَ جِسْمُهُ بِيَدِ الْاَسْقَامِ مَنْهُوبُ
مَا فِي الرِّجَالِ وَقَدْ زُمَّتْ رَكَائِبُهُمْ ... اِلَّا مُحِبٌّ لَهُ فِي الرَّكْبِ مَحْبُوبُ
اَسْتَوْدِعُ اللّٰهَ فِي اَطْنَابِكُمْ قَمَرًا ... يَهْوَاهُ قَلْبِي وَعَنْ عَيْنِي مَحْجُوبُ
يَرْضَى وَ يَغْضَبُ مَا اَحْلَى تَدَلُّلَهُ ... وَكُلُّ مَا يَفْعَلُ الْمَحْبُوبُ مَحْبُوبُ

فلما فرغتُ من المغنى قالت لي اصحّ الله بدنك و طيّب انفاسك فلقد كملت فى الحسن والادب والمغنى فقم وامض الى مكانك قبل ان تجيءُ السيّدة دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبّلت الارض بين يديها و خرجت والعجوز امامي الى ان وصلتُ الى الباب الذي

Digitized by Google

فلما فرغتْ من شعرها اخذتُ العود منهـــا وضربتُ عليه غريب الضربات وغنّيتُ بهذه الابيـــات

سُبْحَانَ رَبِّ جَمِيعَ الْحُسْنِ اَعْطَاكِ حَتَّى بَقِيتُ اَنَا مِنْ بَعْضِ اَسْرَاكِ
يَا مَنْ لَهَا نَاظِرٌ تُسْبِي الْاَنَامَ بِهِ سَلِي الْاَمَانَ لَنَا مِنْ سَهْمِ مَرْمَاكِ
خَدَّانِ مَاءٌ وَنَارٌ فِي سَنَا لَهَبٍ حَوَتْهُمَا بِغَرِيبِ الشَّكْلِ خَدَّاكِ
اَنْتَ السَّعِيرُ بِقَلْبِي وَ النَّعِيمُ لَهُ فَمَا اَمَرَّكِ فِي قَلْبِي وَاَحْلَاكِ

فلمـــا سمعتْ مني هذا الغنى فرحتْ فرحا شديدا ثم انهـــا صرفت الجواري وقمنا الى احسن مكان قدفرش لنا فيه فرش من سائر الالوان ونزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها درّة لم تثقب ومُهْرة لم تركب ففرحت بها ولم ار في عمـــري ليلة اطيب من تلـــك الليلة وادرك شهرزاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المـــبـــاح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان محمد بن علي الجوهري قال لما دخلت بالسيّدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي رأيتها درّة لم تثقب ومهرة لم تركب فانشدت هذين البيـــتـــين

طَوَّقْتُهُ طَوْقَ الْحَمَامِ بِسَاعِدِي وَجَعَلْتُ كَفِّي لِلثِّمَامِ مُبَاحَا
هٰذَا هُوَالْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَلَمْ نَزَلْ مُتَعَانِقَيْنِ فَلَا نُرِيدُ بَرَاحَا

ثم اقمت عندها شهرا كاملا وقد تركت الدكان والاهل والاوطان فقالت لي يوما من الايام يا نور العين يا سيّدي محمّد اني قدعزمت اليوم على المسير الى الحمام فاستقرّ انت علي هذا السرير ولا تنتقل

Digitized by Google

بالقاضي و الشهود و بذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم محمد علي بن علي الجوهري قد طلب زواجي و دفع لي هذا العقد في مهري و انا قبلت و رضيت فكتبوا كتابها عليّ و دخلت بها واحضرت آلات الراح و دارت الاقداح باحسن نظام و اتمّ احكام ولما شعشعت الخمرة في رؤسنا امرت جارية عوّادة ان تغنّي فاخذت العود واطربت بالنغمات و انشدت هذه الابيات

بَدَا فَأَرَانِي الظَّبْيَ وَالْغُصْنَ وَالْبَدْرَا ... فَتَبًّا لِقَلْبٍ لَا يَبِيتُ بِهِ مُغْرَى
مَلِيحٌ أَرَادَ اللّٰهُ إِطْفَاءَ فِتْنَةٍ ... بِعَارِضِهِ فَاسْتَأْنَفَتْ فِتْنَةً أُخْرَى
أُغَازِلُ عُذَّالِي إِذَا ذَكَرُوا لَهُ ... حَدِيثًا كَأَنِّي لَا أُحِبُّ لَهُ ذِكْرَا
وَأُصْغِي إِذَا ذَكَرُوا لِغَيْرِ حَدِيثِهِ ... بِسَمْعِي وَلَكِنِّي أَذُوبُ بِهِ فِكْرَا
نَبِيُّ جَمَالٍ كُلُّ مَا فِيهِ مُعْجِزٌ ... مِنَ الْحُسْنِ لَكِنْ وَجْهُهُ الْآيَةُ الْكُبْرَى
أَقَامَ بِلَالُ الْخَالِ فِي صَحْنِ خَدِّهِ ... يُرَاقِبُ مِنْ لَأْلَاءِ غُرَّتِهِ الْفَجْرَا
يُرِيدُ سُلُوِّي الْعَاذِلُونَ جَهَالَةً ... وَمَا كُنْتُ أَرْضَى بَعْدَ إِيمَانِيَ الْكُفْرَا

فاطربت الجارية بما ابدته من نغمات الاوتار ورقيق الاشعار و لم تزل الجواري تغنّي جارية بعد جارية وينشدن الاشعار الى ان غنّت عشر جوار و بعد ذلك اخذت السيدة دنيا العود واطربت بالنغمات و انشدت هذه الابيات

قَسَمًا بِلَيْلِ تِوَامَكَ الْمِيَّاسِ ... إِنِّي لِنَارِ الْهَجْرِ مِنْكَ أُقَاسِي
فَارْحَمْ حَشًى بِلَظَى هَوَاكَ تَسَعَّرَتْ ... يَا بَدْرَ تِمٍّ فِي دُجَى الْأَغْلَاسِ
أَنْعِمْ بِوَصْلِكَ لِي فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ ... أَجْلُو جَمَالَكَ فِي ضِيَاءِ الْكَاسِ
مَا بَيْنَ وَرْدٍ نُوِّعَتْ أَلْوَانُهُ ... وَزَهَتْ مَحَاسِنُهُ خِلَالَ الْآسِ

Digitized by Google

وجلست لحظة واذا بكرسيّ من الذهب وعليه ستارة من الحرير واذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي اشترتْ مني ذلك العقد وقد اسفرتْ عن وجه كانّه دائرة القمر والعقد في عنقها فطاش عقلي واندهش لبّي من روٴية تلك الجارية لفرط حسنها وجمالها فلمّا رأتني قامت من فوق الكرسيّ وسعتْ الى نحوي وقالت لي يانور عيني هل كل من كان مليحا مثلك مايرثي لمحبوبته فقلت ياسيدتي الحسن كلّه فيكِ وهو من بعض معانيك فقالت يا جوهري اعلم انّي احبّك وما صدقت اني اجيٴ بك عندي ثم انها مالت عليّ فقبّلتها وقبّلتني والى جهتها جذبتني وعلى صدرها رمتني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدانّ الجوهري قال ثم انها مالت عليّ وقبّلتني والى جهتها جذبتني وعلى صدرها رمتني وعلمتْ من حالي اني اريد وصالها فقالت ياسيدي اتريدان تجتمع بي في الحرام واللّه لا كان من يفعل مثل هذه الآثام ويرضى بقبيح الكلام فاني بكر عذراء مادنا مني احد ولست مجهولة في البلد تَعْلم من انا فقلت لا والله يا سيدتي فقالت انا السيدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي واخي جعفر وزير الخليفة فلما سمعتُ ذلك منها احجمتُ بخاطري عنها وقلت لها يا سيّدتي مالي ذنب في التهجم عليك انت التي اطمعتيني في وصالك بالوصول اليك فقالت لاباس عليك ولابد من بلوغك المراد بمايرضى الله فان امري بيدي والقاضي وليّ عقدي والقصد ان اكون لك اهلا وتكون لي بَعْلا ثم انها دعت

Digitized by Google

فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شيءٌ من ذلك وقالت اريد احسن مما رأيت وكان عندي عقد صغير اشتراه والدي بمائة الف دينار ولم يوجد مثله عند احد من السلاطين الكبار فقلت لها يا سيدتي بقي عندي عقد الفصوص والجواهر الذي لايملك مثله احد من الاكابر والاصاغر فقالت لي ارني اياه فلما رأته قالت هذا مطلوبي وهو الذي طول عمري اتمنّاه ثم قالت لي كم ثمنه فقلت لها ثمنه على والدي مائة الف دينار فقالت ولك خمسة آلاف دينار فائدة فقلت يا سيدتي العقد وصاحبه بين يديك ولا خلاف عندي فقالت لابد من الفائدة ولك المنة الزائدة ثم قامت من وقتها وركبت البغلة بسرعة وقالت لي يا سيدي بسم الله تفضّل صحبتنا لتأخذ الثمن فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معها في امان الى ان وصلنا الى الدار فوجدتها دارا عليها آثار السعادة لائحة وبابها مزركش بالذهب والفضة واللازورد ومكتوب عليه هذين البيتين

اَلَا يَا دَارُ لَا يَدْخُلْكَ حُزْنٌ * وَلَا يَغْدُرْ بِصَاحِبِكَ الزَّمَانُ
فَنِعْمَ الدَّارُ اَنْتَ لِكُلِّ ضَيْفٍ * اِذَا مَا ضَاقَ بِالضَّيْفِ الْمَكَانُ

فنزلت الجارية ودخلت الدار وامرتني بالجلوس على مصطبة الباب الى ان يأتي الصيرفي فجلست على باب الدار ساعة واذا بجارية خرجت اليّ وقالت لي ياسيدي ادخل الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت ودخلت الدهليز وجلست على الدكّة فبينما انا جالس واذا بجارية خرجت اليّ وقالت لي ياسيدي ان سيدتي تقول لك ادخل واجلس على باب الايوان حتى تقبض مالك فقمت ودخلت البيت

Digitized by Google

فَإِنْ شِئْتُمُوا أَنْ تَسْمَعُوا لِي فَأَنْصِتُوا ... وَيَسْكُتُ هٰذَا الْجَمْعُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَأَصْغُوا إِلَى قَوْلِي فَفِيهِ إِشَارَةٌ ... وَإِنَّ كَلَامِي صَادِقٌ غَيْرُ كَاذِبِ
فَإِنِّي قَتِيلٌ مِنْ غَرَامٍ وَلَوْعَةٍ ... وَقَاتِلَتِي فَاقَتْ جَمِيعَ الْكَوَاعِبِ
لَهَا مُقْلَةٌ كَحْلَاءُ مِثْلُ مُهَنَّدٍ ... وَتَرْمِي بِسِهَامٍ مَا عَنْ قِسِيِّ الْحَوَاجِبِ
وَقَدْ حَسَّ قَلْبِي أَنَّ فِيكُمْ إِمَامُنَا ... خَلِيفَةُ هٰذَا الْوَقْتِ وَابْنُ الْأَطَايِبِ
وَثَانِيكُمُ وَهُوَ الْمُنَادِي بِجَعْفَرٍ ... لَدَيْهِ وَزِيرٌ صَاحِبٌ وَابْنُ صَاحِبِ
وَثَالِثُكُمْ مَسْرُورُ سَيَّافُ نِقْمَةٍ ... فَإِنْ كَانَ هٰذَا الْقَوْلُ لَيْسَ بِكَاذِبِ
لَقَدْ نِلْتُ مَا أَرْجُو مِنَ الْأَمْرِ كُلِّهِ ... وَجَاءَ سُرُورُ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

فلما سمعوا منه هذا الكلام حلف له جعفر وورّى في يمينه انهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال اعلموا يا سادتي انني لست امير المؤمنين وانما سمّيت نفسي بهذا الاسم لأبلغ ما اريد من اولاد المدينة وانما اسمي محمد علي بن علي الجوهري وكان ابي من الاعيان فمات وخلف لي مالا كثيرا من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وزبرجد وجواهر وعقارات وحمامات وغيطان وبساتين ودكاكين وطوابين وعبيد وجوار وغلمان فاتفق في بعض الايام انني كنت جالسا في دكاني وحولي الخدم والحشم واذا بجارية قد اقبلت راكبة على بغلة وفي خدمتها ثلث جوار كانهن الاقمار فلما قربت مني نزلت على دكاني وجلست عندي وقالت لي هل انت محمد الجوهري فقلت لها نعم هو انا مملوكك وعبدك فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لي فقلت يا سيدتي الذي عندي اعرضه عليك واحضره بين يديك فان اعجبك منه شيء كان بسعد المملوك وان لم يعجبك شيء فبسوء حظّي وكان عندي مائة عقد من الجوهر

Digitized by Google

الاقاليم لانه شقّ كذا وكذا بدلة كل بدلة بالف دينار وهذا اسراف زائد فقال الخليفة الثاني يا هذا ان المال مالي والقماش قماشي وهذا من بعض الانعام على الخدام والحواشي فان كل بدلة شققتها لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم مع كل بدلة بخمسمائة دينار فقال الوزير جعفر نعم ما فعلت يا مولانا ثم انشد هذين البيتين

بَنَتِ الْمَكَارِمُ وَسْطَ كَفِّكَ مَنْزِلًا * وَجَعَلْتَ مَالَكَ لِلْأَنَامِ مُبَاحًا
فَإِذَا الْمَكَارِمُ أُغْلِقَتْ أَبْوَابُهَا * كَانَتْ يَدَاكَ لِقُفْلِهَا مِفْتَاحًا

فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم له بالف دينار وبدلة ثم دارت بينهم الاقداح وطاب لهم الراح فقال الرشيد يا جعفر اسأله عن الضرب الذي على جنبيه حتى تنظر ما يقول في جوابه فقال لا تعجل يا مولانا وترفّق بنفسك فان الصبر اجمل فقال وحيوة رأسي وتربة العباس ان لم تسأله لاخمدن منك الانفاس فعند ذلك التفت الشاب الى الوزير وقال له مالك مع رفيقك تتسارران فاخبرني بشأنكما فقال خير فقال الشاب سألتك بالله ان تخبرني بخبركم ولا تكتم عني شيأ من امركم فقال يا مولاي انه ابصر علي جنبيك ضربا واثر سياط ومقارع فتعجب من ذلك غاية العجب وقال كيف يضرب الخليفة وقصده ان يعلم ما السبب فلما سمع الشاب ذلك تبسّم وقال اعلموا ان حديثي غريب وامري عجيب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

حَدِيثِي عَجِيبٌ فَاقَ كُلَّ الْعَجَائِبِ * وَحَقِّ الْهَوَى ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي

Digitized by Google

حَتَّى متى يَمْضِي التَّهاجُرُ والقِلا * وَيَعُودُ لِي مَاقَدْ مَضى لِي أَوَّلاَ
مِنْ أَمْسِ كُنَّا والدِّيارُ تَلُمُّنَا * فِي أُنْسِنَا وَنَرَى الْحَوَاسِدَ غُفَّلاَ
غَدَرَ الزَّمَانُ بِنَا وَفَرَّقَ شَمْلَنَا * مِنْ بَعْدِ مَا تَرَكَ الْمَنَازِلَ كَالْخَلاَ
أَتَرُومُ مِنِّي يَا عَذُولِي سُلْوَةً * وَأَرَى فُؤَادِي لَا يُطِيعُ الْعُذَّلاَ
قَدْ عِ الْمَلاَمَ وَخَلِّنِي بِصَبَابَتِي * فَالْقَلْبُ مِنْ أُنْسِ الْأَحِبَّةِ مَا خَلاَ
يَا سَادَةً نَقَضُوا الْعُهُودَ وَبَدَّلُوا * لَا تَحْسَبُوا قَلْبِي بِبَعْدِكُمُ سَلاَ

فلما سمع الخليفة الثاني انشاد الجارية صرخ صرخة عظيمة و شق ما عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة الثاني لما سمع شعر الجارية صرخ صرخه عظيمة وشق ما عليه من الثياب و خرّ مغشيا عليه فاراد وا ان يرخوا عليه الستارة بحسب العادة فتوقفت حبا لها فلاحت من هارون الرشيد التفاتة اليه فنظر على بدنه آثار ضرب مقارع فقال الرشيد بعد النظر والتاكيد ياجعفر و الله انه شاب مليح الّا انه لص قبيح فقال جعفر من اين عرفت ذلك يا امير المؤمنين فقال اما رأيت ما على جنبيه من اثر السياط ثم اسبلوا عليه الستارة و اتوه ببدلة غير التي كانت عليه فلبسها واستوى جالسا على حالته الاولى مع الندماء فلاحت منه التفاتة فوجد الخليفة و جعفر يتحدّثان سرّا فقال لهما ما الخبر يا فتيان فقال جعفر يا مولانا خير غير انه لاخفاء عليك ان رفيقي هذا من التجار و قد سافر جميع الامصار والاقطار وصحب الملوك والاخيار و هو يقول لي ان الذي حصل من مولانا الخليفة في هذه الليلة اسراف عظيم ولم اراحدا فعل مثل فعله في سائر

Digitized by Google

فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من الذهب وخلفه جارية احسن من الجارية الاولى فجلست على ذلك الكرسي وبيدها عود يكمد قلب الحسود فغنّت عليه بهذين البيتين

كَيْفَ اصْطِبَارِي وَنَارُ الشَّوْقِ فِي كَبِدِي ... وَالدَّمْعُ مِنْ مُقْلَتِي طُوفَانُ لِلْأَبَدِ
وَاللّٰهِ مَا طَابَ لِي عَيْشٌ اَسُرُّ بِهِ ... فَكَيْفَ يَفْرَحُ قَلْبٌ حَشْوُهُ كَمَدِي

فلما سمع الشاب هذا الشعر صرخ صرخة عظيمة وشقّ ما عليه من الثياب الى الذيل وانسبلت عليه الستارة واتوه ببدلة اخرى فلبسها واستوى جالسا ورجع الى حالته الاولى وانبسط فى الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب على المدورة فخرج خادم ووراءه جارية احسن من التي قبلها ومعه كرسي فجلست الجارية على الكرسي وبيدها عود فغنّت عليه بهذه الابيات

اُقْصُرُوا هَجْرَكُمْ وَقَلُّوا جَفَاكُمْ ... فَفُؤَادِي وَحَقِّكُمْ مَا سَلَاكُمْ
وَارْحَمُوا مُدْنِفًا كَئِيبًا حَزِينًا ... ذَا غَرَامٍ مُتَيَّمًا فِي هَوَاكُمْ
قَدْ بَرَتْهُ السَّقَامُ مِنْ فَرْطِ وَجْدٍ ... فَتَمَنَّى مِنَ الْإِلٰهِ رِضَاكُمْ
يَا بُدُورًا مَحَلُّهُمْ فِي فُؤَادِي ... كَيْفَ اَخْتَارُ فِي الْأَنَامِ سِوَاكُمْ

فلما سمع الشاب هذه الابيات صرخ صرخة عظيمة وشقّ ماكان عليه من الثياب فارخوا عليه الستارة واتوه بثياب غيرها ثم عاد الى حالته مع ندمائه ودارت الاقداح فلما وصل القدح اليه ضرب على المدورة فانفتح الباب وخرج منه غلام معه كرسي وخلفه جارية فنصب لها الكرسي وجلست عليه واخذت العود واصلحته وغنّت عليه بهذه الابيات

Digitized by Google

فيا ليت شعري ما شأن هذا الشاب فبينما هما يتحدثان سرّا اذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يتسارر مع الخليفة فقال ان المسارة عربدة فقال الوزير ما ثَمّ عربدة الآن رفيقي هذا يقول اني سافرت الى غالب البلاد ونادمت اكابر الملوك وعاشرت الاجناد فمارأيت احسن من هذا النظام ولا ابهج من هذه الليلة غير ان اهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع ربما اورث الصداع فلما سمع الخليفة الثاني ذلك الكلام تبسّم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة واذا بباب فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من العاج مصفحا بالذهب الوهاج وخلفه جارية يارعة في الحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية في السماء الصاحية وبيدها عود عمل صنّاع الهنود فوضعته في حجرها وانحنت عليه انحناء الوالهة على ولدها وغنّت عليه بعد ان طربت وتقلّبت اربعا وعشرين طريقة حتى اذ هلت العقول ثم عادت الى طريقتها الاولى واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

لِسَانُ الْهَوَى فِي مُهْجَتِي لَكَ نَاطِقُ ... يُخَبِّرُ عَنِّي أَنَّنِي لَكَ عَاشِقُ
وَلِي شَاهِدٌ مِنْ حَرِّ قَلْبٍ مُعَذَّبٍ ... وَطَرْفٍ قَرِيحٍ وَالدُّمُوعُ تُتَابِقُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ حُبِّكَ مَا الْهَوَى ... وَلَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ سَابِقُ

فلما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشقّ المدلة التي كانت عليه الى الذيل وسبلت عليه الستارة واتوه ببدلة غيرها احسن منها فلبسها ثم جلس على عادته فلما وصل اليه القدح ضرب بالقضيب على المدورة واذا بباب قد

Digitized by Google

وشاذروان وبسط ومخدات ومن الديباج نمارق وطوالات وهناك ستر مسبول وفرش يذهل العقول ويعجز من يقول وعلى الباب مكتوب هذا ان البيـــان

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَـــــلَامُ ... خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ
فِيهِ الْعَجَائِبُ وَالْغَرَائِبُ نُوِّعَتْ ... فَتَحَيَّرَتْ فِي فَهْمِهَـــا الْأَفْلَامُ

ثم دخل الخليفة الثاني والجماعة صحبته الى ان جلس على كرسي من الذهب مرصّع بالجواهر وعلى الكرسي سجـــادة من الحرير الاصفر وقد جلست الندماء ووقف سيف النقمة بين يديه فمدّوا السماط واكلوا ورفعت الاواني وغسلت الايادي واحضروا آلة المدام واصطفّت القناني والكاسات ودار الدور الى ان وصل الى الخليفة هارون الرشيد فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثاني لجعفر مابال صاحبك لا يشـــرب فقال يامولاي ان له مدة ما شرب من هذا فقال الخليفة الثاني عندي مشروب غير هذا يصلح لصاحبك وهو من شـــراب التفّاح ثم امر به فاحضروه في الحال فتقدم الخليفة الثاني بين يدي هارون الرشيد وقال له كلما وصل اليك الدور فاشرب من هذا الشراب ولا زالوا في انشراح وتعاطى اقداح الراح الى ان تمكن الشراب من رؤسهم واستولى على عقولهم وادرك شهرزاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الخليفة الثاني هو وجلساؤه مازالوا يشربون حتى تمكّن الشراب من رؤسهم واستولى على عقولهم فقال الخليفة هارون الرشيد لوزيره يا جعفر والله ما عندنا آنية مثل هذه الآنية

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الخليفة هارون الرشيد قال للشيخ خذ هذه العشرة دنانير وسربنا في محاذاتهم فقال سمعا وطاعة ثم اخذ الدنانير وساربهم وما زالوا سائرين في ظلام الزورق الى البساتين في محاذاتهم فلما وصلوا الى البساتين رأوا زريبة فرسى عليها الزورق واذا بغلمان واقفين ومعهم بغلة مسرّجة ملجمة فطلع الخليفة الثاني وركب البغلة وساربين الندماء وصاحت المشاعلية واشتغلت الغاشية بشأن الخليفة الثاني فطلع هارون الرشيد هو وجعفر ومسرور الى البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فراوا ثلثة اشخاص لبسهم لبس تجاروهم غرباء الديار فانكروا عليهم وغمزوا عليهم واحضروهم بين يدى الخليفة الثاني فلما نظرهم قال لهم كيف وصلتم الى هذا المكان وما الذي جاء بكم في هذا الوقت فقالوا يامولانا نحن قوم من التجار غرباء الديار وقدمنا في هذا اليوم وخرجنا نتمشى الليلة واذا بكم قدا قبلتم فجاء هؤلاء وقبضوا علينا واوقفونا بين يديك وهذا خبرنا فقال الخليفة الثاني لابأس عليكم لانكم قوم غرباء ولوكنتم من بغداد ضربت اعناقكم ثم التفت الى وزيره وقال له خذ هؤلاء صحبتك فانهم ضيوفنا في هذه الليلة فقال سمعا وطاعة لك يامولانا ثم ساروهم معه الى ان وصلوا الى قصر عال عظيم الشان محكم البنيان ما حواه سلطان قام من التراب وتعلّق باكناف السحاب وبابه من خشب الساج مرصّع بالذهب الوهّاج يصل منه الداخل الى ايوان بفسقية

Digitized by Google

حيث لم يصادفنا احد فقال الخليفة يا شيخ وهل الخليفة في كل ليلة ينزل الدجلة قال نعم يا سيدى و له على هذه الحالة سنة كاملة فقال يا شيخ نشتهي من فضلك ان تقف لنا هنا الليلة المقابلة ونحن نعطيك خمسة دنانير ذهبا فاننا قوم غرباء وقصدنا النزهة و نحن نازلون فى الخندق فقال له الشيخ حبا وكرامة ثم ان الخليفة وجعفر ومسرورا توجهوا من عند الشيخ الى القصر و قلعوا ماكان عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك و جلس كلواحد في مرتبته ودخل الامراء والوزراء والحجاب والنواب و انعقد المجلس بالناس فلما انقضى النهار وتفرقت اجناس الناس وراح كل احد الى حال سبيله قال الخليفة هارون الرشيد يا جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا يشقون وهم في غاية الانشراح وكان خروجهم من باب السرّ فلما وصلوا الى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب الزورق قاعدا لهم فى الانتظار فنزلوا عنده في المركب فما استقرّبهم الجلوس مع الشيخ ساعة حتى جاء زورق الخليفة الثاني واقبل عليهم فالتفتوا اليه واسمعنوا فيه مائتي مملوك غير المماليك الاول و المشاعلية ينادون على عادتهم فقال الخليفة ياوزير هذا شيء لو سمعت به ماكنت اصدّقه و لكنني رأيت ذلك عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب الزورق الذي هم فيه خذ يا شيخ هذه العشرة دنانير وسربنا في محاذاتهم فانهم فى النور ونحن فى الظلام فننظرهم ونتفرج عليهم و هم لا ينظروننا فاخذ الشيخ العشرة دنانير و مشى بزورقه في محاذاتهم و سار في ظلام زورقهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

يشعل فيه بالعود القاقلي وعلى ذلك قباء من الاطلس الاحمر وعلى كتفه مزركش اصفر وعلى رأسه شاش موصلي وعلى كتفه الآخر مخلاة من الحرير الاخضر ملآنة بالعود القاقلي يقيد منها المشعل عوضا عن الحطب ورأى رجلا آخر في مؤخر الزورق لابسا مثل لبسه وبيده مشعل مثل المشعل الذي معه ورأى في الزورق ماثتا مملوك واقفين يمينا ويسارا ووجد كرسيا من الذهب الاحمر منصوبا وعليه شاب حسن جالس كالقمر وعليه خلعة سوداء بطرازات من الذهب الاصفر وبين يديه انسان كانه الوزير جعفر وعلى رأسه خادم واقف كانه مسرور وبيده سيف مشهور ورأى عشرين نديما فلما رأى الخليفة ذلك قال يا جعفر فقال لبيك يا امير المؤمنين قال لعلّ هذا واحد من اولادي امّا المأمون وامّا الامين ثم تأمّل الشاب وهو جالس على الكرسي فرآه كامل الحسن والجمال والقد والاعتدال فلما تأمله التفت الى الوزير وقال يا وزير قال لبيك قال والله ان هذا الجالس لم يترك شيأ من شكل الخليفة والذي بين يديه كأنه انت ياجعفر والخادم الذي واقف على رأسه كأنه مسرور وهؤلاء الندماء كأنهم ندمائي وقد حار عقلي في هذا الامر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما رأى هذا الامر تحيّر في عقله وقال والله اني تعجبت من هذا الامر ياجعفر فقال له جعفر وانا والله يا امير المؤمنين ثم ذهب الزورق حتى غاب عن العين فعند ذلك خرج الشيخ بزورقه وقال الحمد لله على السلامة

Digitized by Google

الناس فقال له الوزير سمعا وطاعة ثم قاموا في الوقت والساعة ونزعوا ما عليهم من ثياب الافتخار ولبسوا ثياب التجار وكانوا ثلثة الخليفة وجعفر ومسرور السياف وتمشوا من مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجلة فرأوا شيخا قاعدا في زورق فتقدّموا اليه وسلّموا عليه وقالوا له يا شيخ اننا نشتهي من فضلك واحسانك ان تفرجنا في مركبك هذه وخذ هذا الدينار في اجرتك وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم لما قالوا للشيخ اننا نشتهي ان تفرجنا في مركبك وخذ هذا الدينار قال لهم من ذا الذي يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل في كل ليلة بحر الدجلة في حُرّاقة صغيرة ومعه مناد ينادي ويقول يا مَعاشر الناس كافّة من كبير وصغير وخاص وعام صبي وغلام كل من نزل في مركب وشق في الدجلة ضربتُ عنقه او شنقتهُ على صاري مركبه وكأنّكم به في هذه الساعة وحُرّاقته مقبلة فقال الخليفة وجعفر يا شيخ خذ هذين الدينارين وادخل بنا قبّة من هذه القباب الى ان يروح زورق الخليفة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والتوكّل على الله تعالى فاخذ الذهب وعوّم بهم قليلا واذا بالزورق قد اقبل من كبد الدجلة وفيه الشموع والمشاعل مضيئة فقال لهم الشيخ اَمَا قلت لكم ان الخليفة يشق في كل ليلة ثم ان الشيخ صار يقول يا ستّار لا تكشف الاستار ودخل بهم في قبة ووضع عليهم ميزرا اسود وصاروا يتفرّجون من تحت الميزر فرأوا في مقدّم الزورق رجلا بيده مشعل من الذهب الاحمر وهو

Digitized by Google

فسألتها عنه فارتني اياه وهو راقد مع جارية من جواري المطبخ فعند ذلك حلفت يمينا عظيما انني لابدان ازني مع اوسخ الناس و اقذرهم ويوم قبض عليك الطواشي كان لي اربعة ايام انا ادور في البلد على واحد يكون بهذه الصفة فما وجدت احدا اوسخ ولااقذر منك فطلبتك و قد كان ماكان من قضاء الله علينا و قد خلصت من اليمين التي حلفتها ثم قالت فمتى وقع زوجي على الجارية ورقد معها مرة اخرى اعدتك الى ماكنتَ عليه معي فلما سمعتُ منها هذا الكلام ورَمَتْ قلبي من لحاظها بالسهام جرتْ دموعي حتى قرحت المحاجر و انشدت قول الشاعر

مَكِّنِّيني مِنْ بُوسِ يُسْرَاكِ عَشْرَاً وَاعْرِفِي فَضْلَهَا عَلَى يُمْنَاكِ
إِنَّ يُسْرَاكِ لَهْيَ اَقْرَبُ عَهْدًا وَقْتَ غَسْلِ الْخِرَا بِمُسْتَنْجَاكِ

ثم انها امرت بخروجي من عندها و قد تحصل لي منها اربعمائة مثقال من الذهب فانا اصرف منها و جئت الى ها هنا ادعو الله سبحانه وتعالى ان زوجها يعود الى الجارية مرة اخرى لعلّي اعود الى ماكنتُ عليه فلما سمع امير الحاج قصة ذلك الرجل اطلقه وقال للحاضرين بالله عليكم ان تدعوا له فانه معذور

حكاية الخليفة هارون الرشيد مع الخليفة الثاني

و مما يحكى ان الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي قلقا شديدا فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي وقال له ان صدري ضيق و مرادي في هذه الليلة ان اتفرّج في شوارع بغداد و انظر في مصالح العباد بشرط اننا نتزيّا بزيّ التجار حتى لا يعرفنا احد من

Digitized by Google

العادة ثم نمت معها على جري العادة التي تقدمت اول ليلة فلما اصبحت ناولتني منديلا ثانيا فيه خمسون مثقالا من الذهب فاخذتُها وخرجت وجئت الى المخزن ودفنتُها ومكثت على هذه الحالة مدة ثمانية ايام ادخل عندها في كل يوم العصر واخرج من عندها في اول النهار فبينما انا نائم عندها ليلة ثامن يوم واذا بجارية دخلت وهي تجري وقالت لي قم اطلع الى هذه الطبقة فطلعت في تلك الطبقة فوجدتها تشرف على وجه الطريق فبينما انا جالس واذا بضجة عظيمة ودربكة خيل في الزقاق وكان في الطبقة طاقة تشرف على الباب فنظرت منها فرأيت شابا راكبا كانه القمر الطالع ليلة تمامه وبين يديه مماليك وجند يمشون في خدمته فتقدم الى الباب وترجّل ودخل القاعة فرآها قاعدة على السرير فقبل الارض بين يديها ثم تقدم وقبل يديها فلم تكلّمه فما برح يتخضع لها حتى صالحها ونام عندها تلك الليلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية لما صالحها زوجها نام عندها تلك الليلة فلما اصبح الصباح اتته الجنود وركب وخرج من الباب فطلعتْ عندي وقالت لي ارأيتَ هذا فلت لها نعم قالت هو زوجي ولكن احكي لك ما جرى لي معه اتفق انّني كنت انا واياه يوما قاعدين في الجنينة داخل البيت واذا هو قد قام من جانبي وغاب عني ساعة طويلة فاستبطئته فقلت في نفسي لعلّه يكون في بيت الخلاء فنهضت الى بيت الخلاء فلم اجده فدخلت المطبخ فرأيت جارية

Digitized by Google

فامرتني بالجلوس فجلست الى جانبها وامرت الجواري ان يقدمن الطعام فقدمن لي طعاما فاخرا من سائر الالوان ما اعرف اسمه ولا اعرف صفته في عمري فاكلت منه على قدر كفايتي وبعد رفع الزبادي وغسل الايادي امرت باحضار الفواكه فحضرت بين يديها في الحال فامرتني بالاكل فاكلت فلما فرغنا من الاكل امرت بعض الجواري باحضار سلاحيات الشراب فاحضرن شيأ مختلف الالوان ثم اطلقن المباخر من جميع البخور وقامت جارية مثل القمر تسقينا على نغمات الاوتار فسكرت انا وتلك السيدة الجالسة كل ذلك جرى وانا اعتقد انه حلم في المنام ثم بعد ذلك اشارت الى بعض الجواري ان يفرشن لنا في مكان ففرشن في المكان الذي امرت به ثم قامت واخذت بيدي الى ذلك المكان المفروش ونامت ونمت معها الى الصباح وكنت كلما ضممتها الى صدري اشم منها رائحة المسك والطيب وما اعتقد الا اني في الجنة اوانني احلم في المنام فلما اصبحت سألتني عن مكاني فقلت في المحل الفلاني فامرت بخروخي واعطتني منديلا مطرزا بالذهب والفضة وعليه شيء مربوط فقالت لي ادخل الحمام بهذا ففرحت وقلت في نفسي ان كان ما عليه خمسة فلوس فهي غدائي في هذا اليوم ثم خرجت من عندها كأني خارج من الجنة وجئت الى المخزن الذي انا فيه ففتحت المنديل فوجدت فيه خمسين مثقالا من الذهب فدفنتها وقعدت عند الباب بعد ان اشتريت بفلسين خبزا وأدما وتغديت ثم صرت متفكرا في امري فبينما انا كذلك الى وقت العصر واذا بجارية قد اتت وقالت لي ان سيدتي تطلبك فخرجت معها الى باب الدار واستأذنت ملي فدخلت وقبلت الارض بين يديها فامرتني بالجلوس وامرت باحضار الطعام والشراب على

Digitized by Google

ارحموه يرحمكم الله واطلقوه فقلت انا في نفسي ما اخذني الطواشية الّا لان سيدتهم شمت رائحة الوسخ فاشمأزّت من ذلك او تكون حبلى او حصل لها ضرر فلا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وما زلت ماشيا خلفهم الى ان وصلوا الى باب دار كبيرة فدخلوا وانا خلفهم واستمرّوا داخلين بي حتى وصلتُ الى قاعة كبيرة ما اعرف كيف اصف محاسنها وهي مفروشة بفرش عظيم ثم دخلت النساء تلك القاعة وانا مربوط مع الطواشي فقلت في نفسي لابدانهم يعاقبونني في هذا البيت حتى اموت ولا يدري بموتي احد ثم بعد ذلك ادخلوني حماما لطيفا من داخل القاعة فبينما انا في الحمام واذا بثلث جوار دخلن وقعدن حواليّ وقلن لي اقلع شرا ميطك فقلت ما عليّ من الخلقان وصارت واحدة منهن تحكّ رجلي وواحدة منهن تغسل رأسي وواحدة منهن تكبسني فلما فرغن من ذلك حطّين لي بقجة قماش وقلن لي البس هذه فقلت والله ما اعرف كيف البس فتقدمن اليّ والبسنني وهن يتضاحكن عليّ ثم جئن بقماقم مملوءة بماء الورد ورششن عليّ وخرجتُ معهن الى قاعة اخرى والله ما اعرف كيف اصف محاسنها من كثرة ما فيها من النقش والفرش فلما دخلتُ تلك القاعة وجدتُ واحدة قاعدة على تخت من الخيزران وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرجل قال لما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت من الخيزران وان قوائمه من عاج وبين يديها جملة جوار فلما رأتني قامت اليّ ونادتني فجئت عندها

Digitized by Google

ضربا وقالوا له ايها الامير انا وجدنا هذا في الاماكن الشريفة يقول كذا وكذا فامر امير الحاج بشنقه فقال له ايها الامير بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسمع قصتي وحديثي وبعد ذلك فافعل بي ماتريد قال تحدّث قال اعلم ايها الامير انني رجل حشّاش اعمل في مسالخ الغنم فاحمل الدم والوسخ الى الكيمان فاتفق انني رائح بحماري يوما من الايام وهو محمل فوجدت الناس هاربين فقال واحد منهم ادخل هذا الزقاق لئلا يقتلوك فقلت ما للناس هاربين فقال لي واحد من الخدام هذه حريم لبعض الاكابر وصار الخدم ينحون الناس من الطريق قدّامها ويضربون جميع الناس ولايبالون باحد فدخلتُ بالحمار عطفة وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الرجل قال فدخلت بالحمار عطفة ووقفت انتظر انفضاض الزحمة فرأيت الخدم وبايديهم العِصيّ ومعهم نحو ثلثين امرأة وبينهم واحدة كانها قضيب بان اوغزال عطشان كاملة الحسن والظرف والدلال والجميع في خدمتها فلما وصلتْ الى باب العطفة التي انا واقف بها التفتتْ يمينا وشمالا ثم دعت بطواشي فحضر بين يديها فسارّته في اذنه واذا بالطواشي جاء اليّ وقبض عليّ فتهاربت الناس واذا بطواشي آخر اخذ حماري ومضى به ثم جاء الطواشي وربطني بحبل وجرّني خلفه وانا لم اعرف ما الخبر والناس من خلفنا يصيحون ويقولون ما يحلّ من الله هذا رجل حشاش فقير الحال ما سبب ربطه بالحبال ويقولون للطواشية

Digitized by Google

ابن عمّك من التجّار واشارت الى المأمون قلتُ نعم قالت انكما لقريبًا الشبه من بعضكما قلت نعم فلما شرب المأمون ثلثة ارطال داخله لفرح والطرب فصاح وقال يا اسحٰق قلت لبّيك يا امير المؤمنين قال غنّ بهذه الطريقة فلما علمت انه الخليفة مضت الى مكان ودخلت فيه فلما فرغت من الغناء قال لي المأمون انظر مَن ربّ هذا الدار فبادرت عجوز بالجواب وقالت هي للحسن بن سهل فقال عليّ به فغابت العجوز ساعة واذا بالحسن قد حضر فقال له المأمون ألَكَ بنت قال نعم اسمها خديجة قال له هل هي متزوّجة قال لا والله قال فاني اخطبها منك قال هي جاريتك وامرها اليك يا امير المؤمنين قال الخليفة قد تزوّجتها على نقد ثلثين الف دينار تحمل اليك صبيحة يومنا هذا فاذا قبضتَ المال فاحملها الينا من ليلتنا قال سمعا وطاعة ثم خرجنا فقال يا اسحٰق لا تقصّ هذا الحديث على احد فسترته الى ان مات المأمون فما اجتمع لاحد مثل ما اجتمع لي في هذه الاربعة ايام مجالسة المأمون بالنهار ومجالسة خديجة بالليل والله ما رأيت احدا من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امرأة من النساء مثل خديجة بل ولا تقارب خديجة فهما ولا عقلا ولا لفظا والله اعلم

ومما يُحكى

انه كان في اوان الحج والناس في الطواف فبينما المطاف مزدحم بالناس واذا بانسان متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول من صميم قلبه اسألك يا الله انها تغضب على زوجها واجامعها قال فسمعه جماعة من الحجّاج فقبضوا عليه واتوا به الى امير الحاج بعد ان اشبعوه

Digitized by Google

ان المأمون لابدّ ان يسألني فلا يقنع الّا بشرح القصّة فقلتُ لها اراكِ ممن يعجب بالغناء ولي ابن عم احسن مني وجها واشرف قدرا واكثر ادبا وهو اعرف خلق الله تعالى باسحٰق قالت اُطفيلي و تقترح قلت لها انت المحكّمة في الامر فقالت ان كان ابن عمك على ماتصفه فما نكرهُ معرفته ثم جاء الوقت فنهضتُ وقمت متوجّها الى داري فلم اصل الى داري الّا ورسل المأمون قد هجموا عليّ وحملوني حملا عنيفا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اسحٰق الموصلي قال فلم اصل الى داري الّا ورسل المأمون قد هجموا عليّ وحملوني حملا عنيفا وذهبوا بي اليه فوجدته قاعدا على كرسي وهو مغتـــاظ منّي فقال يا اسحٰق اخرُوجًا عن الطاعة فقلت لا والله يا امير المؤمنين قال فما قصتك اصدقني الخبر فقلتُ نعم ولكن في خلـــوة فاومأ الى من بين يديه فتنحّوا فحدثته الحديث وقلت له اني وعدتها بحضورك قال احسنت ثم اخذنا في للذتنا ذلك اليوم والمأمون متعلّق القلب بها فما صدقنا بمجيء الوقت وسرنا وانا اوصيه واقول له تجنّب ان تناديني باسمي قدّامها بل انا لك تَبَع في حضرتها واتفقنا على ذلك ثم سرنا الى ان اتينا مكان الزنبيل فوجدنا زنبيلين فقعدنا فيهمـــا ورفعا بنا الى الموضع المعهود فاقبلت وسلمت علينا فلما رآها المأمون تحيّر من حسنها وجمالها واخذت تذاكره الاخبار وتناشده الاشعار ثم احضرت النبيذ فشربنا وهي مقبلة عليه مسرورة به وهو ايضـــا مقبل عليها مسرور بها ثم اخذت العود وغنّت طريقة وبعد ذلك قالت لي وهل

Digitized by Google

المجـــالس بالامانات وادرك شهرزاد الصبـــــاح فسكتت
عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الجارية قالت لتستر ما كان منّا فان المجالس بالامانات فقلت لها جعلت فداك لم اكن محتـــاجا الى وصية في ذلك ثم ودّعتُها وارســـلتْ جارية تمشي بين يدي الى باب الدار ففتحت لي وخرجتُ متوجّهـــا الى داري فصلّيت الصبح ونمت فاتاني رسول المأمون فسرت اليه واقمت نهاري عنده فلمـــا كان وقت العشاء تفكّرتُ ماكنتُ فيه البارحة وهو شيءٌ لايصبر عنـــه الّا جاهل فخرجت وجئتُ الى الزنبيـــل وجلست فيه ورفعت الى موضعي الذي كنت فيه البارحة فقالت لي الجارية لقد عاودت فقلت لا اظن الّا انني قد غفلت ثم اخذنا في المحادثة على عادتنا في الليلة السالفة من المذاكرة والمنا شدة وغريب الحكايات منهـــا ومنّي الى الفجر ثم انصرفت الى منزلي وصلّيت الصبح ونمت فاتاني رسول المأمون فمضيتُ اليه واقمت نهاري عنده فلما كان وقت العشـــاء قال لي امير المؤمنين اقسمت عليـــك ان تجلس حتى اذهب الى غرض واحضر فلما ذهب الخليفة وغاب عنّي جالت وساوسي وتذكّرتُ ماكنت فيه فهان عليّ مايحصل لي من امير المؤمنين فوثبت مدبرا وخرجت جاريا حتى وصلت الى الزنبيل فجلست فيه ورفع بي الى مجلس فقالت لعلّك صديقنا قلت اي والله قالت اَجَعلْتَنـــا داراقامة قلت جعلت فداك حق الضيافة ثلثة ايام فان رجعت بعد ذلك فانتم في حلّ من دمي ثم جلسنا على تلك الحالة فلما قرب الوقت علمت

Digitized by Google

الفواكه ما لايكون الّا عند الملوك ثم دعت بالشراب فشربتْ قدحا ثم ناولتني قدحا وقالت هذا اوان المذاكرة والاخبار فاندفعتُ اذاكرها وقلتُ بلغني انه كان كذا وكذا وكان رجل يقول كذا حتى حكيتُ لها عدّة اخبار حسان فانسرّت بذلك وقالت اني لاعجب كيف يكون احد من التجار يحفظ مثل هذه الاخبار وانما هي احاديث ملوك فقلت كان لي جار يحادث الملوك ويندمهم واذا تعطّل حضرتُ بيته فربّما حدّث بما سمعتُ فقالت لعمري لقد احسنتَ الحفظ ثم اخذنا في المذاكرة وكلما امسكت ابتدأتْ هي حتى قطعنا اكثر الليل وبخور العود يعبق وانا في حالة لو توهّمها المأمون لطار شوقا اليها فقالت لي انك من الطف الرجال واظرفهم لانك ذو ادب بارع وما بقي الّا شيءٌ واحد فقلت لها وما هو قالت لوكنت تترنّم بالاشعار على العود فقلت لها اني كنت تعلّقت بهذا قديما ولكن لما لم ارزق حظا فيه اعرضتُ عنه وفي قلبي حرارة وكنت احبّ في هذا المجلس ان احسن شيأ منه لتكمل ليلتي قالتْ كأنّك عرّضتَ باحضار العود فقلتُ الرأي لك وانت صاحبة الفضل ولك المنّة في ذلك فامرت بعود فحضر وغنّت بصوت ما سمعت بمثل حسنه مع حسن الادب وجودة الضرب والكمال الراجح ثم قالت هل تعرف هذا الصوت لِمَنْ وهل تعرف الشعر لِمَنْ قلت لاقالت الشعر لفلان والمغنّى لاسحٰق قلت وهل اسحٰق فداكِ بهذه الصفة قالت بخٍّ بخٍّ اسحٰق بارع هذا الشان فقلت سبحان الله الذي اعطى هذا الرجل مالم يعطه احدا سواه قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ثم لم نزل على ذلك حتى اذا كان انشقاق الفجر اقبلتْ عليها عجوز كأنّها داية لها وقالت ان الوقت قد حضر فنهضت عند قولها وقالت لتستر ما كان منّا فان

Digitized by Google

اجلستني و سألتني عن خبري فقلت لها اني انصرفت من عند بعض اخواني وغربي الوقت و حصرني البول في الطريق فملت الى هذا الزقاق فوجدت زنبيلا ملقى فاجلسني النبيذ فى الزنبيل ورفع بي الزنبيل الى هذه الدار هذا ما كان من امري فقالت لاضير عليك وارجوان تحمد عاقبة امرك ثم قالت لي فما صناعتك فقلت تاجر في سوق بغداد فقالت هل تروي من الاشعار شيأ قلت اروي شيأ ضعيفا قالت فذاكرنا فيه وانشدنا شيأ منه فقلت ان للداخل دهشة ولكن قبدأين انت قالت صدقت ثم انشدت شعرا رقيقا من كلام القدماء والمحدثين وهو من اجود اقاويلهم و انا اسمع ولا ادري أأعجب من حسنها او جمالها أم من حسن روايتها ثم قالت هل ذهب ما كان عندك من الدهشة قلت اي والله قالت ان شئت فانشدنا شيأ من روايتك فانشدتها لجماعة من القدماء ما فيه الكفاية فاستحسنت ذلك ثم قالت والله ماظننتُ ان يوجد في ابناء السوقة مثل هذا ثم امرت بالطعام فقالت لها اختها دنيازاد ما احلى حديثك و احسنه و اطيبه واعذبه فقالت واين هذا مما احدّثكم به الليلة القابلة ان عشت و ابقاني الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدانها قالت واين هذا مما احدّثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال لها الملك اتممي حديثك قالت سمعا وطاعة قد بلغني ايها الملك السعيدان اسحٰق الموصلي قال ثم ان الجارية امرت باحضار الطعام فحضرت فجعلت تأخذ وتضع قدامي وكان فى المجلس من اصناف الرياحين وغريب

Digitized by Google

وَانتظرنا تحت اطبا قِ الثرى يوم الوعيد

قال الثعالبي واتفق انّ رجلين دخلا هذه المغارة فوجدا في صدرها درجا فنزلا فيه فوجدا حفيرة طولها مقدار مائة ذراع وعرضها اربعون ذراعا وارتفاعها مائة ذراع وفي وسط تلك الحفرة سرير من الذهب وعليه رجل عظيم الجسم قد اخذ طول السرير وعرضه وعليه الحلي والحلل المنسوجة بالذهب والفضّة وعلى رأسه لوح من ذهب فيه كتابة فاخذا ذلك اللوح وحملا من ذلك الموضع ما اطاقا حمله من قضبان الذهب والفضة وغير ذلك ومما يحكى

حكاية اسحٰق الموصلي

ان اسحٰق الموصلي قال خرجتُ ليلة من عند المأمون متوجّها الى بيتي فضايقني حصر البول فعمدت الى زقاق وقمت ابول خوفا ان يضربي شيء اذا جلستُ في جانب الحيطان فرأيت شيأ معلّقا من تلك الدور فلمسته لاعرف ما هو فوجدته زنبيلا كبيرا باربعة آذان ملبّسا ديباجا فقلت في نفسي لابد لهذا من سبب وصرت متحيّرا في امري فحملني السكر على ان اجلس فيه واذا باصحاب الدار جذبوه بي وظنّوا انني الذي كانوا يرتقبونه ثم رفعوا الزنبيل الى رأس الحائط واذا باربع جوار يقلن لي انزل على الرحب والسعة ومشت بين يدي جارية بشمعة حتى نزلت الى دار فيها مجالس مفروشة لم ار مثلها الّا في دار الخلافة فجلستُ فما شعرت بعد ساعة الّا بستور قد رفعت في ناحية من الجدار واذا بوصائف يتماشين وفي ايديهن الشموع ومجامر البخور من العود القاقلّي وبينهن جارية كانها البدر الطالع فنهضتُ وقلت مرحبا بك من زائر ثم

Digitized by Google

ومحا الله آثار مَحَجّتها فهي باقية على حالها في مكانها الى قيام الساعة فتعجّب معْوية من اخبار كعب الاحبار بهذا الخبر وقال له هل يصل احد الى تلك المدينة من البشر قال نعم رجل من اصحاب محمد عليه الصلوة و السلام وهو بصفة هذا الرجل الجالس بلا شك ولا ايهام وقال الشعبي حكي عن علماء حِمْير من اليمن انه لما هلك شدّاد ومن معه من الصيحة ملك بعده ابنه شدّاد الاصغر وكان ابوه شداد الاكبر خلفه على ملكه بارض حَضْر مُوت و سَبَأ بعد ان ارتحل بمن معه من العساكر الى ارم ذات العماد فلما بلغه خبر موت ابيه في الطريق قبل و صوله الى مدينة ارم امر بحمل ابيه من تلك المفاوز الى حَضْرَمُوْت وامر ان يحفر له حفيرة في مغارة فلما حفروا تلك الحفيرة وضعه فيها على سرير من الذهب والقى عليه سبعين حلّة منسوجة بالذهب مرصّعة بنفيس الجوا هر ووضع عند رأسه لوحاً من الذهب مكتوبا فيه هذا الشعر

اِعْتَبِرْ يَا اَيُّهَا الْمَغْرُوْرُ ... بِالْعُمْرِ الْمَدِيْد
اَنَا شَدَّادُ بْنِ عَادٍ ... صَاحِبُ الْحِصْنِ الْعَمِيْد
صَاحِبُ الْقُدْرَةِ ... وَالْقُوَّةِ وَالْبَأْسِ الشَّدِيْد
كَانَ اَهْلُ الْاَرْضِ طَوْعِي ... خَوْفَ قَهْرِي وَوَعِيْدِي
وَمَلَكْتُ الشَّرْقَ وَالْغَرْ ... بَ بِسُلْطَانٍ شَدِيْد
قَدْ عَانَا لِلْهُدَى مَنْ ... جَاءَ بِالْاَمْرِ الرَّشِيْد
فَعَصَيْنَاهُ وَنَادَيْنَا ... اَلَا هَلْ مَنْ مَحِيْد
فَاَتَتْنَا صَيْحَةٌ مِنْ ... جَانِبِ الْاُفْقِ الْبَعِيْد
فَتَرَامَيْنَا كَزَرْعٍ ... وَسْطَ بَيْدَا فِي الْحَصِيْد

Digitized by Google

في الطول والعرض واجروا بها قنوات الانهار ووضعوا الاساسات على المقدار المذكور وارسل اليها ملوك الاقطار بالجواهر والاحجار واللؤلؤ الكبار والصغار والعقيق والنضار على الجمال في البراري والقفار وارسلوا بها السفن الكبار في البحار ووصل الى العمّال من تلك الاصناف ما لا يوصف ولا يحصى ولا يكيّف فاقاموا في عمل ذلك ثلثمائة سنة فلما فرغوا من ذلك اتوا الى الملك واخبروه بالاتمام فقال لهم انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا منيعا شاهقا رفيعا واجعلوا حول الحصن الف قصر تحت كل قصر الف علَم ليكون في كل قصر منها وزير فمضوا من وقتهم وفعلوا ذلك في عشرين سنة ثم حضروا بين يدي شدّاد واخبروه بحصول الغرض فامر وزراءه وهم الف وزير وكذلك امر خاصته ومن يثق به من الجنود وغيرهم ان يستعدّوا للرحلة ويتهيّئوا للنقلة الى اِرَم ذات العِماد تحت ركاب ملك الدنيا شدّاد بن عاد وامر من اراد من نسائه وحريمه كجواريه وخدمه ان يأخذوا في التجهيز فاقاموا في اخذ الاهبة عشرين سنة ثم سار شدّاد ومن معه من الجيوش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان شداد بن عاد سار هو ومن معه من الجيوش مسرورا ببلوغ المرام حتى بقي بينه وبين اِرَم ذات العِماد مرحلة واحدة فارسل الله عليه وعلى من معه من الكَفَرة الجاحدين صيحة من سماء قدرته فاهلكتهم جميعا بصوت عظيم ولم يصل شداد ولا احد ممن كان معه اليها ولم يشرف عليها

Digitized by Google

اسمع في الكتب القديمة والاخبار بصفة الجنة التي توجد في الآخرة وانا احبّ ان اجعل مثلها في الدنيا فانطلقوا الى اطيب فلاة في الارض واوسعها وابنوا لي فيها مدينة من الذهب والفضة واجعلوا حصاها الزبرجد والياقوت واللؤلؤ واجعلوا تحت عقود تلك المدينة اعمدة من زبرجد واملاؤها قصورا واجعلوا فوق القصور غرفا واغرسوا تحت القصور في ازقّتها وشوارعها اصناف الاشجار المختلفة الاثمار اليانعة واجروا تحتها الانهار في قنوات الذهب والفضة قالوا باجمعهم كيف نقدر على ما وصفتَ لنا وكيف بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ الذي ذكرتَ قال الستم تعلمون ان ملوك الدنيا طوعا لي وتحت يدي وكل من فيها لا يخالف امري قالوا نعم نعلم ذلك قال فانطلقوا الى معادن الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فاستخرجوها واجمعوا ما بها من الارض ولا تبقوا مجهودا ومع ذلك فخذوا لي ما بايدي العالم من اصناف ذلك ولاتبقوا ولا تذروا واحذروا المخالفة ثم كتب كتابا الى كل ملك كان في اقطار الارض وامرهم ان يجمعوا ما كان عند النّاس من اصناف ذلك وان يذهبوا الى معادنها ويستخرجوا ما فيها من الاحجار النفيسة ولو من قعور البحار فجمعوا ذلك في مدة عشرين سنة وكان عدة الملوك المتمكّنين في الارض ثلثمائة وستين ملكا ثم اخرج المهندسين والحكماء والفعلاء والصنّاع من سائر البلاد والبقاع وانتشروا في البراري والقفار والجهات والاقطار حتى وصلوا الى صحراء فيها فسحة عظيمة نقيّة خالية من الآكام والجبال وبها عيون نابعة وانهار جارية فقالوا هذه صفة الارض التي امرنا بها الملك وندبنا اليها ثم اشتغلوا ببنائها على قدر ما امرهم به الملك شدّاد ملك الارض

Digitized by Google

من ذلك اللؤلؤ وبنادق العنبر والمسك والزعفران وفيها بعض رائحة طيبة ولكن اللؤلؤ قد اصفرّ وتغيّر لونه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله بن ابى قلابه قال ولكن اللؤلؤ قد اصفرّ وتغيّر لونه فتعجّب من ذلك معوية بن ابي سفيان لما رأى مع ابي قلابة اللؤلؤ وبنادق المسك والعنبر وبعث الى كعب الاحبار فاحضره وقال له يا كعب الاحبار اني دعوتك لامر اطلب تحقيقه وارجو ان يكون عندك حقيقة خبره فقال له ما هو يا امير المؤمنين قال له معوية هل عندك علم بانه يوجد مدينة مبنية بالذهب والفضة عمدانها من الزبرجد والياقوت وحصباؤها من اللؤلؤ وبنادق المسك والعنبر والزعفران قال نعم يا امير المؤمنين هِيَ إِرَمُ ذَاتِ العِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وقد بناها شدّاد بن عاد الاكبر قال معوية فحدّثنا بشيء من حديثها قال كعب الاحبار ان عاد الاكبر كان له ولدان شديد وشدّاد فلما هلك ابوهما ملك البلاد بعده شديد واخوه شدّاد ولم يكن احد من ملوك الارض الّا تحت طاعتهما فمات شديد بن عاد فملك اخوه شدّاد الارض من بعده على الانفراد وكان مُولَعا بقراءة الكتب القديمة فلما مرّ به ذكر الآخرة والجنة وما فيها من القصور والغرف والاشجار والثمار وغيرها مما فى الجنة دعته نفسه الى ان يبني مثلها فى الدنيا على هذه الهيئة المتقدّم ذكرها وكان تحت يده مائة الف ملك تحت يد كل ملك مائة الف قهرمان تحت يد كل قهرمان مائة الف عسكر فاحضر الجميع بين يديه وقال لهم اني

Digitized by Google

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان عبد الله بن ابي قلابة قال فنزلت عن ناقتي وعقلتها ثم سلّيتُ نفسي ودخلت البلد ودنوت من الحصن فوجدت له بابين عظيمين لم ير في الدنيا مثلهما في العظم والارتفاع وهما مرصّعان بانواع الجواهر واليواقيت مابين ابيض واحمر واخضر فلما رايتُ ذلك تعجّبت منه غاية العجب وتعاظمني ذلك الامر فدخلتُ الحصن وانا مرعوب ذاهل اللبّ فرأيت ذلك الحصن طويلا مديدا مثل المدينة في السعة وبه قصور شاهقة في كل قصر منها غُرُف وكلها مبنيّة بالذهب والفضة ومرصّعة باليواقيت والجواهر الملوّنة والزبرجد واللؤلؤ ومصاريع ابواب تلك القصور كمصاريع الحصن في الحسن وقد فرشت ارضها بالمؤلؤ الكبار وبنادق المسك والعنبر والزعفران فلما انتهيتُ الى داخل المدينة ولم اربها مخلوقا من بني آدم كدتُ ان اصعق واموت من الفزع فنظرتُ من اعالي الغُرُف والقصور فرأيت الانهار تجري من تحتها وشوارعها فيها الاشجار المثمرات والنخيل الباسقات وبناؤها لَبِنة من ذهب ولَبِنة من فضة فقلت في نفسي لاشك ان هذه هي الجنة الموعود بها في الآخرة فحملت من جواهر حصبائها ومسك ترابها ما امكنني حمله وعدتُ الى بلادي واعلمتُ الناس بذلك فبلغ الخبر الى معٰوية بن ابي سفيان وهو يومئذ خليفة بالحجاز فكتب الى عامله بصنعاء اليمن ان يحضر اليه ذلك الرجل ويسئله عن حقيقة الامر فاحضرني عامله واستخبرني عن ما كان من امري وما وقع لي فاخبرته بما رأيته فارسلني الى معٰوية فاخبرتُه ايضا بما رأيته فانكر معٰوية ذلك فاظهرتُ له شيأ

Digitized by Google

بعدّوك فقال ما اردت هذا ولكن شكرًا لله الذي الهمني العفو عنك وصفاء الخاطر لك فحدّثني الآن حديثك فشرحت له صورة امري وماجرى لي مع الحجّام والجندي وزوجته ومولاتي التي غمزت عليّ فامر المأمون باحضار المولاة وهي في دارها تنتظر ارسال الجائزة اليها فلما حضرت بين يدى المأمون قال لها ماحملكِ على مافعلتِ مع سيّدك فقالت الرغبة فى المال فقال لها هل لكِ ولد او زوج فقالت لا فامر بضربها مائة سوط وان تخلد فى السجن ثم احضر الجندي وامرأته والحجّام فحضروا جميعا فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل فقال الرغبة فى المال فقال المأمون يجب ان تكون حجّاما ووكّل به من يضعه في دكان الحجام حتي يتعلّم الحجامة واكرم زوجة الجندي وادخلها القصر وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمّات ثم قال للحجام قد ظهر من مروتك ما يوجب المبالغة في اكرامك واحسان يسلّم اليه دار الجندي بما فيها وخلع عليه واعطاه زيادة على ذلك خمسة عشر الف دينار في كل سنة * وحكي

حكاية عبد الله بن ابي قِلابَة

ان عبد الله بن ابى قِلابة خرج في طلب ابل شردت له فبينما هو سائر في صحارى اراضى اليمن وارض سبأ اذ وقع على مدينة عظيمة وحولها حصن عظيم وحول ذلك الحصن قصور شاهقة فى الجوّ فلما دنا منها ظنّ ان بها سكّانا يسألهم عن ابله فقصدها فلما وصل اليها وجدها قفراء ليس فيها انيس قال فنزلتُ عن ناقتي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

Digitized by Google

اتقوّه معه بعذر وعفوك اعظم من ان انطق معه بشكر و اطربتُ بالنغمات وانشدتُ هذه الابيات

أَنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَازَهَا ... فِي صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّابِعِ
مُلِئَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً ... وَالْكُلُّ تَكْلَؤُهُمْ بِقَلْبٍ خَاشِعِ
مَا إِنْ عَصَيْتُكَ وَالْغُوَاةُ تَمُدُّنِي ... أَسْبَابُهَا إِلَّا بِنِيَّةِ طَامِعِ
فَعَفَوْتَ عَنْ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ ... عَفْوٌ وَلَمْ يَشْفَعْ إِلَيْكَ بِهَا فِعِ
وَرَحِمْتَ أَطْفَالًا كَأَفْرَاخِ الْقَطَا ... وَحَنِينَ وَالِدَةٍ بِقَلْبٍ جَازِعِ

فقال المأمون اقول اقتداء بسيّدنا يوسف على نبيّنا وعليه الصلوة والسلام لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ Q 12,9 قد عفوتُ عنك وردتُ عليك اموالك وضياعك يا عم ولا باس عليك فابتهلتُ له بصالح الدعوات وانشدت هذه الابيات

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ ... وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي
فَلَوْ بَذَلْتُ دَمِي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ ... وَالْمَالَ حَتَّى أُسِلَّ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَّةٍ رَجَعَتْ ... إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُعِرْهَا كُنْتَ لَمْ تُلَمِ
فَإِنْ جَحَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ ... إِنِّي إِلَى اللَّوْمِ أَوْلَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ

فاكرمه المأمون وانعم عليه وقال له يا عم ان ابا اسحاق و العباس اشارا عليّ بقتلك فقلتُ انهما نصحا لَكَ يا امير المؤمنين ولكنك اتيتَ بما انت اهله ودفعتَ ما خفتُ بمارجوتُ فقال المأمون يا عم تَمَّتْ حِقدي بحبوة علدك وقد عفوتُ عنك ولم أُجرّعك مرارة امتنان الشافعين ثم سجد المأمون طويلا ورفع راسه وقال يا عم اتدري لاي شيءٍ سجدتُ قلتُ لعلك سجدت شكرًا لله الذي اظفرك

Digitized by Google

من خاصته وقال لهم ما ترون في امره فكل اشار عليه بقتلي الّا انهم اختلفوا في القتلة كيف تكون فقال المأمون لاحمد بن خالد ما تقول يا احمد فقال يا امير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك مَن قتل مثله وان عفوتَ عنه فما وجدنا مثلك عفا عن مثله و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان امير المؤمنين المأمون لما سمع كلام احمد بن خالد نكّس راسه وانشد بقول الشاعر

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا اُمَيْمَ اَخِي ... فَاِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

وانشد ايضا قول الشاعر

سَامِحْ اَخَاكَ اِذَا خَلَطْ ... مِنْهُ الْاِصَابَةُ بِالْغَلَطْ
وَاحْفَظْ صَنِيعَكَ عِنْدَهُ ... شُكْرَ الصَّنِيعَةَ اَمْ غَمَطْ
وَتَجَافَ عَنْ تَعْنِيفِهِ ... اِنْ زَاغَ يَوْمًا اَوْ قَسَطْ
اَوَمَا تَرَى الْمَحْبُوبَ ... وَالْمَكْرُوهَ لُذًّا فِي نَمَطْ
وَلَذَاذَةُ الْعُمْرِ الطَّوِيلِ ... يَشُوبُهَا نَغْصُ الشَّمَطْ
وَالْوَرْدُ يَبْدُو فِي الْغُصُو ... نِ مَعَ الْجَنِيِّ الْمُلْتَقَطْ
مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطْ ... وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطْ
وَلَوِ اخْتَبَرْتَ بَنِي الزَّمَا ... نِ وَجَدْتَ اَكْثَرَهُمْ سَقَطْ

قال ابراهيم ابن المهدي فلما سمعتُ منه هذه الابيات كشفتُ المقنعة عن راسي وكبّرتُ تكبيرة عظيمة وقلتُ عفا والله امير المؤمنين عنّي فقال لابأس عليك يا عمّ فقلت ذنبي يا امير المؤمنين اعظم من ان

Digitized by Google

على سلامتي وخرجتْ كأنّها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فظننتُ خيرا فما شعرت الّا و ابراهيم الموصلي مقبل في غلمانه و جنده و امرأة قدّامهم فتأمّلتها فاذا هي المولاة معهم صاحبة الدار التي انا بها ولم تزل ماشية قدّامهم حتى اسلمتني اليهم فرايت الموت عيانا وحُملتُ بالزيّ الذي انا فيه الى المأمون فعقد مجلسا عاما واد خلني عليه فلما دخلتُ سلمتُ عليه بالخلافة فقال لاسلّمك الله ولاحيّاك فقلت له على رِسْلِكَ يا امير المؤمنين انّ ولّي الثار محكّم فى القصاص اوالعفو ولكنّ العفو اقرب للتقوى وقد جعل الله عفوك فوق كل عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب فان تُؤاخِذْ فبحقّك وانْ تعف فبفضلك ثم انشدت هذه الابيات

ذَنْبِي اِلَيْكَ عَظِيمُ ... وَاَنْتَ اَعْظَمُ مِنْهُ
فَخُذْ بِحَقّكَ اَوْ لاَ ... وَاصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَنْهُ
اِنْ لَمْ اَكُنْ فِي فِعَالِي ... مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

قال ابراهيم فرفع المأمون الّي رأسه فبادرتُ اليه بانشاد هذين البيتين

اَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا ... وَاَنْتَ لِلْعَفْوِ اَهْلُ
فَاِنْ عَفَوْتَ فَمَنٌّ ... وَاِنْ جَزَيْتَ فَعَدْلُ

فاطرق المامون رأسه وانشد

وَكُنْتُ اِذَا الصَّدِيقُ اَرَادَ غَيْظِي ... وَاَشْرَقَنِي عَلَى حَنَقِي بِرِيقِي
غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَعَفَوْتُ عَنْهُ ... مَخَافَةَ اَنْ اَعِيشَ بِلَا صَدِيقِ

قال ابراهيم فلما سمعتُ منه هذا الكلام استروحتُ روائح الرحمة من شمائله ثم اقبل على ابنه العباس واخيه ابي اسحاق وجميع من حضر

Digitized by Google

الخريطة فاوهمني الرضى بذلك الشوط ثم اقمت عنده اياما على تلك الحالة في التنعيش ولم يصرف من الخريطة شيأ فتذممت من الاقامة في مؤنته واحتشمت من التثقيل عليه فتركته وقمت ثم تزييت بزي النساء كالخف والنقاب وخرجت من داره فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف امر شديد وجئت لا عبر الجسر واذا انا بموضع مرشوش بماء فنظرني جندي ممن كان يخدمني فعرفني وصاح وقال هذه حاجة المأمون فتعلق بي فمن حلاوة الروح دفعته وفرسه و رميتهما في ذلك الزلق فصار عبرة لمن اعتبر وتبادر الناس اليه فاجتهدت انا في مشيتي حتى قطعت الجسر فدخلت شارعا فوجدت باب دار مفتوحا وامرأة واقفة في دهليزه فقلت يا سيدتي ارحميني واحقني دمي فاني رجل خائف فقالت على الرحب والسعة ادخل واطلعتني الى غرفة وفرشت لي فيها وقدمت لي طعاما وقالت لي ليهدأ روعك فما علم بك مخلوق فبينما هي كذلك واذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبي الذي دفعته على الجسر مقبل وهو مشدود الرأس ودمه يجري على ثيابه وليس معه فرسه فقالت له يا هذا ما دهاك فقال كنت ظفرت بالفتى فانفلت مني واخبرها بالحال فاخرجت خراقا فاعملته في خرقة وعصبت بها رأسه وفرشت له ونام عليلا ثم طلعت الي و قالت لي اظنك صاحب القضية فقلت لها نعم فقالت لي لا بأس عليك ثم جددت لي الكرامة فاقمت عندها ثلثة ايام ثم قالت لي اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فينم بك فيما تخافه فانج بنفسك ثم اني سألتها المهلة الى الليل فقالت لا باس بذلك فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها فاتيت الى بيت مولاة كانت لنا فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى

Digitized by Google

تُعَيِّرُنَا اَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا ... فَقُلْتُ لَهَا اِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ
وَمَا ضَرَّنَا اَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا ... عَزِيزٌ وَجَارُ الْاَكْثَرِيْنَ ذَلِيلُ
وَاِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً ... اِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا ... وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وَنُنْكِرُ اِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ ... وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِيْنَ نَقُولُ

قال ابراهيم فلما سمعت منه هذا الشعر تعجّبت منه غاية العجب ومال بي عظيم الطرب و نمت فلم استيقظ الّا بعد العشاء فغسلت وجهي وعاودني فكري في نفاسة هذا الحجّام و حسن ادبه فايقظته و اخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير لها قيمة ورميت بها اليه وقلت له استودعك الله فاني ماض من عندك واسالك ان تتصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهمّاتك ولك عندي المنّ الزائد اذا امنت من خوفي قال ابراهيم فاعادلي الخريطة وقال ياسيدي ان الصعاليك منّا لا قدر لهم عندكم ولكن بمقتضى مروتي كيف آخذ ثمنا على ما اوهبنيه الزمان من قربك و حلولك عندي ولئن راجعتني في هذا الكلام ورميتَ بالخريطة اليّ مرّة اخرى قتلتُ نفسي قال ابراهيم فاخذتُ الخريطة في كمّي وقد اثقلني حملها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انّ ابراهيم بن المهدي قال فاخذت الخريطة في كمّي وقد اثقلني حملها وانصرفت فلما انتهيت الى باب داره قال لي ياسيدي ان هذا المكان اخفى لك من غيره وليس عليّ في مؤنتك ثقل فاقم عندي الى ان يفرّج الله عنك فرجعتُ وقلت له بشرط ان تنفق من تلك

Digitized by Google

وما اظنّ انه يعرفني و من اين لك اني احسن الغناء فقال يا سبحان الله مولانا اشهر من ذلك انت سيدي ابراهيم بن المهدي خليفتنا بالامس الذى جعل فيك المامون لمن دلّ عليك مائة الف دينار وعليك منّي الامان قال ابراهيم فلما قال ذلك عظم في عيني وثبتت مروّته عندي فوافقته على بغيته وتناولت العود واصلحته وغنّيت وقد مرّبخاطري فراق وللي وعيالي فجعلت اقول

وَعَسَى الَّذِي اَهْدَى لِيُوْسُفَ اَهْلَهُ ... وَاَعَزَّهُ فِي السِّجْنِ وَهْوَ اَسِيْرُ
اَنْ يَسْتَجِيْبَ لَنَا فَيَجْمَعَ شَمْلَنَا ... وَاللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ قَدِيْرُ

فاستولى عليه الطرب المفرط وطاب عيشه كثيرا و يقال انّ جيران ابراهيم كانوا اذا سمعوه يقول ياغلام شدّ البغلة يحصل لهم طرب بهذه الكلمة ولما طابت نفس الحجام وتحكم منه البسط قال ياسيدي اتأذن لي ان اقول ما سنح بخاطري وان كنتُ من غير اهل هذه الصناعة فقلتُ له افعل وهذا من زيادة ادبك و مروّتك فاخذ العود وغنّى شعر

شَكَوْنَا اِلَى اَحْبَابِنَا طُوْلَ لَيْلِنَا ... فَقَالُوْا لَنَا مَا اَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا
وَذَاكَ لِاَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عُيُوْنَهُمْ ... سَرِيْعًا وَلَا يَغْشَى لَنَا النَّوْمُ اَعْيُنَا
اِذَا مَادَنَا اللَّيْلُ الْمُضِرُّ بِذِى الْهَوَى ... حَزَنَّا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُوْنَ اِذَا دَنَا
فَلَوْ اَنَّهُمْ كَانُوْا يُلَاقُوْنَ مِثْلَ مَا ... نُلَاقِيْ لَكَانُوْا فِي الْمَضَاجِعِ مِثْلَنَا

قال ابراهيم فقلتُ له والله لقد احسنت يالبيبي كل الاحسان اذهبت عنّي الم الاحزان فزدني من هذه الترّهات فانشد هذه الابيات

اِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُدْنِسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضَهُ ... فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيْهِ جَمِيْلُ

Digitized by Google

انّا للّه و انّا اليه راجعون عرضت نفسي للعطب ان عُدْتُ على اثري يرتاب في امري وانا على هيئة المتنكّر فرأيت في صدر الشارع عبدا اسود قائمـــا على باب داره فتقدّمتُ اليـــه وقلت له هل عندك موضع اقيمُ فيه ساعة من نهار قال نعم وفتح البـــاب فدخلت الى بيت نظيف فيه فرش وبسط و مخدّات جلود ثم انه بعد ان ادخلني اغلق عليّ البـــاب ومضى فتوهمت انه سمع بالجُعالة فيّ فقلت في نفسي انه خرج ليدلّ عليّ فبقيت اغلى مثل القِدر على النار وانا متفكّر في امري فبينمـــا انا كذلك اذ اقبل ومعه حمّال عليه كلما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدور جديدة وآلتها وجرة جديدة وكيزان جدد فحطّ عن الحمال ثم التفت اليّ وقال لي جعلت نفسي فداك انا رجل حجّام وانا اعلم انك تتقزّف منّي لما اتولّاه من معيشتي فشأنك و هذه الاشياء التي لم يقع عليها يد فافعل ما بدلك قال ابراهيم وكان لي حاجة الى الطعـــام فطبختُ لنفسي قِدْرا ما اذكر انّي اكلت مثلها فلما قضيتُ اربي قال لي ياسيدي جعلني الله فداك هل لك في الشراب فانه يطيّب النفس ويذهب الغمّ فقلت ما اكره ذلك رغبة في مؤانسة الحجّام فجاءني باواني زجاج جديدة لم تمسّها يد وجرّة مطيبة و قال رَوِّقْ لنفسك كما تحبّ فروّقت شرابا في غاية الجودة و احضرلي قدحا جديدا وفاكهة وزهورا في اواني فخّار جديدة ثم قال اتأذن لي ان اجلس ناحية واشرب وحدي من شراب لي سرورا بك ولَكَ فقلت له افعل فشربت وشرب و احسست بالشراب دبّ فينا فقام الحجّام ودخل خزانة له فاخرج عودا مصفّحا ثم قال ياسيّدي ليس من قدري ان اسألك الغناء ولكن قد وجب على عظيم مروتك حقّ حرمتي فان رأيتَ ان تشرّف عبدك فلك علو الرأي فقلت له

Digitized by Google

مَا فِيَّ مَا يُغْنِي لِمِثْلِكَ شُبْعَةً وَ لَئِنْ اَكَلْتَ فَاِنَّنِي لَحَقِيرُ
فَتَبَسَّمَ الْبَازُ الْمُدِلُّ بِنَفْسِهِ عُجْبًا وَ اُفْلِتَ ذَلِكَ الْعُصْفُورُ

فتبسم هشام وقال وحق قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا اللفظ في اول وقت من اوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطيته اياه يا خادم احش فاه جوهرا واحسن جائزته فاعطاه الخادم صِلة عظيمة فاخذها وانصرف الاعرابي الى حال سبيله انتهى ومن لطيف الحكايات

حكاية ابراهيم بن المهدي

ان ابراهيم بن المهدي اخي هارون الرشيدي لما آل امر الخلافة الى المامون ابن اخيه هارون الرشيدي لم يبايعه بل ذهب الى الريّ وادّعى الخلافة لنفسه واقام على ذلك سنة واحدة و احدى عشر شهرا واثنى عشر يوما وابن اخيه المأمون يتوقّع منه العود الى الطاعة وانتظامه في سلك الجماعة حتى يئس من عوده فركب بخيله ورجله ودخل الريّ في طلبه فلما بلغ ابراهيم الخبر لم يسعه الّا ان جاء الى بغداد واختفى خوفا على دمه فجعل المامون لمن يدلّ عليه مائة الف دينار قال ابراهيم لما سمعتُ بهذه الجُعالة خفتُ على نفسي وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان ابراهيم قال لما سمعتُ بهذه الجُعالة خفتُ على نفسي وتحيّرتُ في امري فخرجتُ من داري متنكّرا وقت الظهيرة وانا لا ادري اين اتوجّه فدخلتُ شارعا غير نافذ فقلت

Digitized by Google

وسكت عن السلام وامتنع من الكلام فقال له بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك ان تسلّم على امير المؤمنين فالتفت الى الخادم مغضبا وقال يا برذعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق وصعود الدرجة والتعريق فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبي لقد حضرتَ في يوم حضر فيه اجلك وغاب عنك املك وانصرف عمرك فقال والله يا هشام لئن كان في المدة تقصير ولم يكن في الاجل تاخير فما ضرّني من كلامك لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب هل بلغ من مقامك يا اخس العرب ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مسرعا لقيت الخبل ولا فارقك الويل والهبل اما سمعت ما قال الله تعالى يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظا شديدا وقال يا سيّاف علَيّ برأس هذا الغلام فقد اكثر الكلام ممّا لا يخطر بالاوهام فاخذ الغلام ونزل به الى نطع الدم وسلّ سيفه على رأسه وقال السيّاف يا امير المؤمنين هذا عبدك المدل بنفسه الصائر الى رمسه هل اضرب عنقه وانا بريء من دمه قال نعم فاستأذن ثانيا فاذن له فاستأذن ثالثا ففهم الفتى انه ان اذن له في هذه المرّة يقتله فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازداد هشام غضبا وقال يا صبيّ اظنّك معتوها اما ترى انك مفارق الدنيا فكيف تضحك هزوا بنفسك فقال يا امير المؤمنين لئن كان في العمر تاخير لا يضرّني قليل ولا كثير ولكن حضرتني ابيات فاسمعها فان قتلي لا يفوتك فقال هشام هات واوجز فانشد يقول هذه الابيات

نُبِّئْتُ اَنَّ الْبَازَ عَلَّقَ مَرَّةً ... عُصْفُورَ بِرْسَاقَهُ الْمَقْدُورُ

فَتَكَلَّمَ الْعُصْفُورُ فِي اظْفَارِهِ ... وَالْبَازُ مُنْهَمِكٌ عَلَيْهِ يَطِيرُ

Digitized by Google

فيهـــا قاعة كبيرة ملآنة من الاكسير الذي الدرهم منه يقلّب الف درهم من الفضة ذهبـــا خالصا ووجد بهـــا مرآة كبيرة مستديرة عجيبة من اخلاط صُنعت لنبيّ الله سليمان بن داودُ عليهما السلام اذا نظر الناظر فيهـــا نظر الاقاليم السبعة عيانا ورأى فيها مجلسا فيه من الياقوت البهرماني ما لا يحيط به وصف وسيق جمل فحمل ذلك كلّه الى الوليد بن عبد الملك وتفرّق العرب في مدنهـــا وهي من اعظم البلاد وهذا آخر حكاية لبطيط ومـــا يحكى ايضـــــــــا

حكاية هِشام بن عبد الملك مع صبيّ العرب

ان هشام بن عبد الملك بن مروان كان في بعـض الايام يتصيّد اذ نظر الى ظبي فتبعه بالكلاب فبينمـــا هو خلف الظبي اذ نظر الى صبيّ من الاعراب يرعى غنما فقال هشام يا صبي دونك هذا الظبي فانه فاتني فرفع الصبي رأسه اليه وقال يا جاهل بقدر الاخيـــار لقد نظرت اليّ بالاستصغار ثم كلّمتني بالاحتقار فكلامك كلام جبّار وفعلك فعل حمار فقال له هشام ويلك اما تعرفني فقال قد عرفني بك سوداد بك اذ بدأتني بكلامك دون سـلامك فقـال له ويلك انا هشـام بن عبد الملك فقال له الاعرابيّ لا قرّب الله ديارك ولا حيـا مزارك فما اكثر كلامك واقلّ اكرامك فما استتمّ كلامه حتى احدقت به الجند من كل جانب وكل واحد منهم يقول السلام عليك يا امير المؤمنين فقال هشام اقصروا عن هذا الكلام واحفظوا هذا الغـلام فقبضوا عليه فلما رأى الغـلام كثرة الحجّاب والوزراء وارباب الدّولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعـل ذقنه على صدره ونظـر حيث يقع قدمه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه و نكس رأسـه الى الارض

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اهل المملكة بذلوا للملك الملك جميع ما في ايديهم من الاموال والذخائر على علم فتح ذلك القصر فلم يرجع عن فتحه فازال الاقفال وفتح الباب فوجد فيه صور العرب على خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة وهم مقلّدون بالسيوف وبايديهم الرماح الطوال ووجد كتابا فيه فاخذ الكتاب وقرأه فوجد مكتوبا فيه اذا فتح هذا الباب يغلب على هذه الناحية قوم من العرب وهم على هيئة هذه الصورة فالحذر ثم الحذر من فتحه وكانت تلك المدينة بالاندلس ففتحها طارق ابن زياد في تلك السنة في خلافة الوليد بن عبد الملك من بني اميّة وقتل ذلك الملك شرّ قتلة ونهب بلاده وسبى مَن بها من النساء والغلمان وغنم اموالها ووجد فيها ذخائر عظيمة فيها ما ينوف عن مائة وسبعين تاجا من الدر والياقوت والاحجار النفيسة ووجد فيها ايوانا ترمح فيه الخيل برماحهم ووجد بها من اواني الذهب والفضّة ما لا يحيط به وصف ووجد بها المائدة التي كانت لنبيّ الله سليمان بن داوُد عليهما السلام وكانت على ما ذكر من زمرد اخضر وهذه المائدة الى الآن باقية في مدينة رومة واوانيها من الذهب وصحافها من الزبرجد ووجد بها الزبور مكتوبا بخطّ يونانيّ في ورق من الذهب مفصص بالجواهر ووجد فيها كتابا يذكر فيه منافع الاحجار والنباتات والمدائن والقرى والطلاسم وعلم الكيمياء من الذهب والفضة ووجد كتابا آخر يحكى فيه صناعة صياغة اليواقيت والاحجار وتركيب السموم والترياقات وصورة شكل الارض والبحار والبلدان والمعادن ووجد

Digitized by Google

واتيت له بقنّاء في غير اوانها فقال له كم املتَ منا قال الف دينار قال هذا القدر كثير قال خمسمائة دينار قال كثير قال ثلثمائة دينار قال كثير قال مائتا دينار قال كثير قال مائة دينار قال كثير قال خمسين دينارا قال كثير قال ثلثين دينارا قال كثير قال والله لقد كان ذا الرحل الذي قابلني في البرية مشؤما افلا اقلّ من ثلثين دينارا فضحك معن وسكت فعلم الاعرابي انه هو الرجل الذي قابله في البرية فقال له ياسيدي اذا لم تجئ بالثلثين دينارا فها هو الحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعى بوكيله وقال له اعطه الف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائتا دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلثين دينارا ودع الحمار مربوطا مكانه فبهت الاعرابي وتسلّم الالفين ومائة دينار وثمانين دينارا فرحمة الله عليهم اجمعين وبلغني ايها الملك السعيدان

حكاية بلدة لبطيط

بلدة يقال لها لبطيط وكانت دار مملكة بالروم وكان فيها قصر مقفول دائما وكلما مات ملك وتولّى بعده ملك آخر من الروم رمى عليه قفلا محكما فاجتمع على الباب اربعة وعشرون قفلا من كل ملك قفل ثم تولّى بعدهم رجل ليس من بيت اهل المملكة فاراد فتح تلك الاقفال ليرى ما داخل ذلك القصر فمنعه من ذلك اكابر الدولة وانكروا عليه وزجروه فابى وقال لابدّ من فتح ذلك القصر فبذل لواله جميع ما بايديهم من نفائس الاموال والذخائر على عدم فتحه فلم يرجع وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

وقالت الثالثة

وَمِنْ جُودِهِ يَرْمِي الْعِدَاةَ بِأَسْهُمٍ ... مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ صِيغَتْ نُصُولُهَا
لِيُنْفِقَهَا الْمَجْرُوحُ عِنْدَ دَوَائِهِ ... وَلَيْشْتَرِي الْأَكْفَانَ مِنْهَا قَتِيلُهَا

وقيل ان معن ابن زائدة خرج في جماعة الى الصيد فقرب منهم قطيع ظباء فافترقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلّم عليه وقال له من اين انت قال له اتيت من ارض قضاعة وان لها مدة من السنين مجدبة وقد اخصبت في هذه السنة فزرعت فيها مقاثا فطرحت في غير وقتها فجمعتُ منها ما استحسنته من القثّاء وقصدت الامير معن بن زائدة لكرمه المشهور ومعروفه المأثور فقال له كم املتَ منه قال الف دينار فقال له ان قال لك هذا القدر كثير فقال خمسمائة دينار قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة دينار قال فان قال لك كثير قال مائتا دينار قال فان قال لك كثير قال مائة دينار قال فان قال لك كثير قال خمسين دينارا قال فان قال لك كثير قال ثلثين دينارا قال فان قال لك كثير قال ادخلت قوائم حماري في خرمه وارجع الى اهلي خائبا صفر اليدين فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل في منزله وقال لحاجبه اذا اتاك شخص على حمار بقثاء فادخله عليّ فاتى ذلك الرجل بعد ساعة فاذن له الحاجب بالدخول فلما دخل على الامير معن لم يعرف انه هو الذي قابله في البرية لهيبته وجلالته وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدّر في دست مملكته والحفدة قيام عن يمينه وعن شماله وبين يديه فلما سلّم عليه قال له الامير ما الذي اتى بك يا اخا العرب قال املتُ الامير

Digitized by Google

ومن اخبرك قال اتاني في المنام في هذه الليلة وانا نائم وقال لي يا عدي ان ذا الكراع ملك حِمْير استضافني فنحرت له ناقتـه فادركه بناقة يركبهـا فاني لم يكن عندي شيء قال فاخذها ذوالكراع وتعجّب من كرم حاتم الطائي حيا وميتا ومن حكايات الكرام ايضا

حكاية معن بن زائدة

ما يروى عن معن بن زائدة انه كان يوما من الايـام في الصيد والقنص فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء فبينما هو كذلك واذا بثلث جـوار قد اقبلن عليه حاملات ثلـث قِرَب ماء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـبـاح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايهـا الملك السعيدان الجواري اقبلن عليه بثلث قرب ماء فاستسقا هنّ فاسقينه فطلب شيأ من غلمانه ليعطيه للجواري فلم يجد معهم ما لافدفع لكل واحدة منهن عشرة اسهم من كنانته نصولها من الذهب فقالت احدهن لصاحبتها ويلك لم تكن هذه الشمائل الاّ لمعن بن زائدة فلتقـل كلواحدة منكنّ شيأ من الشعر مدحا فيه فقالت الاولـى

يُرَكِّبُ فِي السِّهَـامِ نُصُولَ تِبْرٍ ... وَيَرْمِي لِلْعِدَى كَرَمًـا وَجُودَا
فَلِلْمَـوْضَى عِـلَاجٌ مِنْ جِرَاحٍ ... وَأَكْفَـانٌ لِمَنْ سَكَنَ اللُّحُودَا

وقالت الثانية

وَمُحَارِبٍ مِنْ فَرْطِ جُودِ بَنَـانِهِ ... هَمَّتْ مَكَارِمُـهُ الْاَحِبَّةَ وَالْعِدَى
صِيغَتْ نُصُولُ سِهَامِهِ مِنْ عَسْجَدٍ ... كَيْ لَا تَعُوقَهُ الْحُرُوبُ عَنِ النَّدَى

Digitized by Google

تحت ذلك الجبل نهر جار فاذا نزلت الوفود يسمعون الصراع في الليل من العشاء الى الصباح فاذا اصبحوا لم يجدوا احدا غير البنت المصوّرة من الحجر فلما نزل ذو الكُراع ملك حمير بذلك الوادي خارجا عن عشيرته بات تلك الليلة هناك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ذا الكراع لمّا نزل بذلك الوادي بات تلك الليلة هناك وتقرّب من ذلك الموضع فسمع الصراع فقال ما هذا العويل الذي فوق هذا الجبل فقالوا له ان هذا قبر حاتم الطائي وان عليه حوضين من حجر وصور بنات من حجر مختلفات الشعور وكل ليلة يسمع النازلون في هذا المكان هذا العويل والصراع فقال ذو الكراع ملك حِمْيَر يهزؤ بحاتم الطائي يا حاتم نحن الليلة ضيوفك ونحن خماص قال فغلب عليه النوم ثم استيقظ وهو مرعوب وقال يا عرب الحقوني وادركوا راحلتي فلما جاؤه وجدوا الناقة تضطرب فذبحوها وشووا لحمها واكلوا ثم سألوه عن سبب ذلك فقال غفلت عيني فرأيت في منامي حاتم الطائي وقد جاءني بسيف وقال جئتنا ولم يكن عندنا شيء وضرب ناقتي بالسيف فلو لم تحصلوها ونحروها لماتت فلما اصبح الصباح ركب ذو الكراع راحلة واحد من اصحابه واردفه خلفه فلما كان وسط النهار رؤا راكبا على راحلة وفي يده راحلة اخرى فقالوا له من انت قال انا عَدِيّ بن حاتم الطائي ثم قال اين ذو الكراع امير حِمْيَر فقالوا له هذا هو فقال له اركب هذه الناقة عوضا عن راحلتك فان ناقتك قد ذبحها ابي لك قال

Digitized by Google

من ذلك غاية العجب وباتوا تلك الليلة واصبحوا فلما اصبحوا باع علاء الدين الدكان ووضع ثمنه على ما معه ثم ان احمد الدنف اخبر علاء الدين بان الخليفة طالبه فقال له انا رائح الى مصر اسلّم على ابي وامي واهل بيتي فركبوا السرير جميعا وتوجّهوا الى مصر السعيدة ونزلوا في الدرب الاصفر لان بيتهم كان في تلك الحارة ودقّ باب بيتهم فقالت امّه من بالباب بعد فقد الاحباب فقال لها انا علاء لدين فنزلوا واخذوه بالاحضان ثم ادخل زوجته وما معه في البيت وبعد ذلك دخل احمد الدنف صحبته واخذوا لهم راحة ثلثة ايام ثم طلب السفر الى بغداد فقال له ابوه اجلس يا ولدي عندي فقال ما اقدر على فراق ولدي اصلان ثم انه اخذ اباه وامّه معه وسافروا الى بغداد فدخل احمد الدنف وبشّر الخليفة بقدوم علاء الدين وحكى له حكايته فطلع الخليفة لملتقاه واخذ ولده اصلان معه وقابلوه بالاحضان وامر الخليفة باحضار احمد فما قام العراق فاحضروه فلما حضر بين يديه قال يا علاء الدين دونك وخصمك فسحب علاء الدين السيف وضرب احمد فما قام فرمى رقبته ثم عمل الخليفة لعلاء الدين فرحا عظيما بعد ان حضر القضاة والشهود وكتب كتابه على حسن مريم ودخل عليها فوجدها درّة لم تثقب ثم جعل ولده اصلان رئيس الستين وخلع عليهم الخلع السنيّة واقاموا في ارغد عيش واهنأه الى ان اتاهم ذم اللذات ومفرّق الجماعات واما حكايات الكرام فانها كثيرة جدّا منها ما روي

حكاية حاتم الطائي

عن كرم حاتم الطائي انه لما مات دفن في رأس جبل واعملوا على قبره حوضين من حجرين وصوّر بناة محلّلات الشعور من حجر وكان

Digitized by Google

قلبت الثلثة وجوه الباقية من الخرزة الى الوجه الذي على هيئة سفرة الطعام وقالت بحق اسماء الله ينمدّ السماط واذا بسماط امتدّ وفيه من سائر الاطعمة المفتخرة فاكلوا وشربوا وتلذّذوا وطربوا هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر ابن الملك فانه دخل ينبّه اباه فوجده قتيلا ووجد الورقة التي كتبها علاء الدين وقرأها وعرف مافيها ثم فتّش على اخته فلم يجدها فذهب الى العجوز في الكنيسة ووجدها فسألها عنها فقالت من امس ما رأيتهما فعاد الى العسكر وقال لهم الخيل يا اربابها واخبرهم بالذي جرى فركبوا الخيل وسافروا الى ان قربوا من الصيوان فقامت حسن مريم ورأت الغبار قد سدّ الاقطار وبعد ان علا وطار انكشف واذا بالخيمتين والعسكر وهم ينادون الى اين تقصد ونحن وراءكم فقالت الصبيّة لعلاء الدين كيف ثبات رجليك في القتال فقال لها مثل الوتد في النخال فاني لا اعرف الحرب والكفاح ولا السيوف والرماح فسحبت الخرزة ودعكت الوجه المرسوم عليه صورة الفرس والفارس واذا بفارس ظهر من البر ولم يزل يطس معهم ويضرب فيهم بالسيف الى ان كسرهم وطردهم ثم قالت له اتسافر الى مصر اوالى الاسكندرية فقال الى الاسكندرية فركبوا على السرير وعزمت عليه فسار بهم في لحظة الى ان نزلوا في الاسكندرية فادخلهم علاء الدين في مغارة وذهب الى الاسكندرية فاتاهم بثياب والبسهم اياها وتوجّه بهم الى الدكّان والطبقة ثم طلع يجيء لهم بغداد واذا بالمقدم احمد الدنف قادم من بغداد فرآه في الطريق فقابله بالعناق وسلّم عليه ورحّب به ثم ان المقدّم احمد الدنف بشّره بولده اصلان وانه بلغ من العمر عشرين عاما وحكى له الآخر علاء الدين جميع ما جرى له من الاول الى الآخر واخذه الى الدكان والطبقة فتعجّب احمد الدنف

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان علاء الدين اعطى الملك ابا حسن مريم ضد البنج فما فاق فوجد علاء الدين وابنته راكبين على صدره فقال لها يا بنتي اتفعلين معي هذه الفعال فقالت له ان كنتُ بنتك فاسلم لانني اسلمت وقد تبين لي الحق فاتبعته والباطل فاجتنبته وقد اسلمت وجهي لله رب العالمين وانني بريئة من كل دين يخالف دين الاسلام في الدنيا والآخرة فانْ اسلمتَ فحبّا وكرامة والاّ فقتلك اولى من حيوتك ثم نصحه ايضا علاء الدين فابى وتمرّد فسحب علاء الدين لحنجرا ونحره من الوريد الى الوريد وكتب ورقة بصورة الذي جرى ووضعها على جبهته واخذ ملخف حمله وغلا ثمنه وطلعا من القصر وتوجّها الى الكنيسة فاحضرت الخرزة وحطّت يدها على الوجه الذي هو منقوش عليه السرير ودحكته واذا بسرير وضع قدامها فركبت هي وعلاء الدين وزوجته زبيدة العودية في ذلك السرير وقالت بحق ما كتب على هذه الخرزة من الاسماء والطلاسم وعلوم الاقلام ان ترتفع بنا يا سرير فارتفع بهم السرير وساربهم الى واد لانبات فيه فقامت الاربعة وجوه الباقية من الخرزة الى السماء وقلبت الوجه المرسوم عليه السرير فنزل بهم الى الارض وقلبت الوجه المرسوم عليه هيئة صيوان وصكته وقالت لينتصب صيوان في هذا الوادي فانتصب الصيوان وجلسوا فيه وكان ذلك الوادي اقفر ما فيه شيء من النبات والماء فقلبت الاربعة وجوه نحو السماء وقالت بحق اسماء الله تنبت هنا اشجار ويجري بجانبها بحر فنبتت الاشجار في الحال وجرى بجانبها بحر عجّاج متلاطم بالامواج فتوضّؤا منه وصلّوا وشربوا ثم

Digitized by Google

قرأتُ الانجيل وغيره من الكتب فرأيت اسم محمّد صلى الله عليه وسلم في الاربعة كتب التورية والانجيل والزبور والفرقان فآمنت بمحمّد واسلمت وتحقّقت بعقلي انه لايعبد بحق الّا الله تعالى وان رب الانام لايرضى الّا دين الاسلام وكانت جدّتي حين ضعفت وهبت لي هذه الخزانة وعلّمتني بما فيها من الخمس فضائل وقبل ان تموت ستي جدتي قال لها ابي اضربي لي تخت رمل وانظري عاقبة امري وما يحصل لي فقالت له ان البعيد يموت قتيلا من اسير يجيء من الاسكندرية فحلف ابي انه يقتل كل اسير يجيء منها واخبر القبطان بذلك وقال له لابد ان تهجم على مراكب المسلمين وتكبسهم وكل من رأيته من الاسكندرية تقتله او تجيء به اليّ فامتثل امره حتى قتل عدد شعر رأسه فهلكت جدتي فطلعت انا فضربت لي تخت رمل واضمرت ما في نفسي وقلت يا هل ترى من يتزوّج بي فظهر لي انه ما يتزوّج بي الّا واحد يسمّى علاء الدين ابو الشامات الثقة الامين فتعجّبت من ذلك وصبرت الى ان آن الاوان واجتمعتُ بك ثم انه تزوّج بها وقال لها انا مرادي ان اروح الى بلادي فقالت له اذا كان الامر كذلك قم تعال معي فاخذته وخبأته في مخدع في قصرها ودخلت على ابيها فقال لها يا بنتي انا عندي اليوم قبض زائد فاقعدي حتى اسكرانا وايّاك فقعدت ودعا بسفرة الطعام وصارت تملأ وتسقيه حتى غاب عن الوجود ثم انها وضعت له البنج في قدح فشرب القدح وانقلب على قفاه ثم جاءت الى علاء الدين واخرجته من المخدع وقالت له قم تعال ان خصمك مطروح على قفاه فافعل به ما شئت فاني اسكرته وبنّجته فدخل علاء الدين فرآه مبنّجا فكتّفه تكتيفا وثيقا وقيّده ثم اعطاه ضد البنج فافاق منه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

وتكون لي بعلا فقال لها ياسيدتي انا مسلم وانت نصرانية فكيف اتزوج بك فقالت حاشا لله ان اكون كافرة بل انا مسلمة ولي ثمانية عشر عاما وانا متمسكة بدين الاسلام واني بريئة من كل دين يخالف دين الاسلام فقال لها ياسيدتي مرادي ان اروح الى بلادي فقالت له اعلم اني رأيت مكتوبا على جبينك امورا لابدّ ان تستوفيها و تبلغ غرضك ويهنيك يا علاء الدين انه ظهر لك ولد اسمه اصلان وهو الآن جالس في مرتبتك عند الخليفة و قد بلغ من العمر ثمانية عشر عاما واعلم انه ظهر الحق واختفى الباطل وربنا كشف الستر عن الذي سرق امتعة الخليفة وهو احمد قماقم السراق الخائن وهو الآن في السجن محبوس و مقيد واعلم اني انا التي ارسلت اليك الخرزة وحطّيتها لك في داخل الجراب الذي في الدكان وانا التي ارسلت القبطان وجاءبك و بالخرزة واعلم ان هذا القبطان عاشقني ومتعلق بي ويطلب مني الوصال فمارضيت ان امكّنه من نفسي بل قلت له لا امكّنك من نفسي الّا اذا جئت لي بالخرزة وصاحبها واعطيته مائة كيس وارسلته في صفة تاجر وهو قبطان ولما قد صوك الى القتل بعد قتل الاربعين الاسارى الذين كنتُ معهم ارسلت اليك هذه العجوز فقال لها جزاك الله عنّا كل خير ونعم ما فعلت ثم ان حسن مريم جددت اسلامها على يديه و لما عرف صدق كلامها فقال لها اخبريني على فضيلة هذه الخرزة ومن اين هي فقالت له هذه خرزة من كنز مرصود و فيها خمس فضائل تنفعنا عند الاحتياج اليها في وقتها وان ستي جدتي ام ابي كانت ساحرة تحلّ الرموز وتختلس ما في الكنوز فوقعت لها هذه الخرزة من كنز فلما كبرتُ انا و بلغت من العمر اربعة عشر عاما

Digitized by Google

فقالت لها يازبيدة طيّبي نفسا وترّي عينا واعملي لنا نوبة حلاوة اجتماع شملنا بزوجك علاء الدين فقالت لها واين هو فقالت لها انه في هذا المخدع يسمع كلامنا فعملت نوبة على العود ترقص الحجر الجلمود فلما سمع ذلك علاء الدين هاجت بلابله وخرج من المخدع وهجم عليهما واخذ زوجته زبيدة العودية بالحضن وعرفته فاعتنق الاثنان بعضهما ووقعا في الارض مغشيا عليهما فتقدمت الملكة حسن مريم ورشّت عليهما ماء الورد وصحتهما وقالت جمع الله شملكما فقال لها علاء الدين على محبتك ياسيدتي ثم التفت علاء الدين الى زوجته زبيدة العودية وقال لها انت قد مُتّ يازبيدة ودفناك في القبر فكيف حييت وجئت الى هذا المكان فقالت له ياسيدي انا مامت وانما اختطفني عَوْن من اعوان الجان وطاربي الى هذا المكان واما التي دفنتموها فانها جنيّة وتصوّرت في صورتي وعملت انها ميتة بعد وما دفنتموها شقّت القبر وخرجت منه وراحت الى خدمة سيدتها حسن مريم بنت الملك واما انا فاني صُرعت وفتحت عيني فرأيت نفسي عند حسن مريم بنت الملك وهي هذه فقلت لها لاي شيء جئت بي الى هنا فقالت لي انا موعودة بزواجي بزوجك علاء الدين ابي الشامات فهل تقبلني يا زبيدة ان اكون ضرّتك ويكون لي ليلة ولك ليلة فقلت لها سمعا وطاعة ياسيدتي ولكن اين زوجي فقالت انه مكتوب على جبينه ما قدره الله عليه فمتى استوفى ما على جبينه لابدان يجيء الى هذا المكان لكن نتسلى على فراقه بالنغمات والضرب على الآلات حتى يجمعنا الله به فمكثت عندها هذه المدة الى ان جمع الله شملي بك في هذه الكنيسة ثم ان حسن مريم التفتت اليه وقالت له ياسيّدي علاء الدين هل تقبلني ان اكون لك اهلا

Digitized by Google

وكل من يخالفك اضربه ولا تخف من احد فقال سمعا وطاعة وعمل كما قالت ولم يزل يسخر الاكابر والاصاغر مدة سبعة عشر عاما فبينما هو قاعد في الكنيسة واذا بالعجوز داخلة عليه فقالت له اطلع الى خارج الدير فقال لها اين اروح فقالت له بت هذه الليلة في حمارة او عند واحد من اصحابك فقال لها لاي شيء تطردينني من الكنيسة فقالت له ان حسن مريم بنت الملك يوحنا ملك هذه المدينة مرادها ان تدخل الكنيسة للزيارة ولا ينبغي ان يقعد احد في طريقها فاعتقل كلامها وقام واراها انه رائح الى خارج الكنيسة وقال في نفسه ياهل ترى بنت الملك مثل نسواننا او احسن منهن فانا لا اروح حتى اتفرج عليها فاستخفى في مخدع له طاقة تطل على الكنيسة فبينما هو ينظر في الكنيسة واذا ببنت الملك مقبلة فنظر اليها نظرة اعقبته الف حسرة لانه وجدها كانها البدر اذا بزغ من تحت الغمام وصحبتها صبية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان علاء الدين لما نظر الى بنت الملك رأى صحبتها صبية وهي تقول لتلك الصبية آنست يا زبيدة فاصغى علاء الدين النظر في تلك الصبية فرآها زوجته زبيدة العودية التي كانت ماتت ثم ان بنت الملك قالت لزبيدة قومي اعملي لنا نوبة على العود فقالت لها انا لا اعمل لك نوبة حتى تبلغيني مرادي وتفي لي بما وعدتني به فقالت لها ما الذي وعدتك به قالت لها وعدتني بجمع شملي بزوجي علاء الدين ابي الشامات المثقة الامين

Digitized by Google

و لكن خذي هذا الاسير الذي نفسل فالتفت الى علاء الدين وقالت له هل انت تخدم في الكنيسة او اخلي الملك يقتلك فقال لها انا اخدم في الكنيسة فاخذته وطلعت به من الديوان وتوجّهت الى الكنيسة فقال لها علاء الدين ما اعمل من الخدمة فقالت له تقوم في الصبح وتأخذ خمسة بغال وتسير بها الى الغابة وتقطع ناشف الحطب وتكسره وتجيء به الى مطبخ الدير وبعد ذلك تلّم البسط وتكنّس وتمسح البلاط والرخام وترد الفراش مثل ما كان وتأخذ نصف اردب قمح وتغربله وتطحنه وتعجنه وتعمله منينات للدير وتأخذ ويبة عدس تغربلها وتنقيها وتطبخها ثم تملاء الاربع فساقي ماء وتحول بالبرميل وتملأ ثلثمائة وستة وستين قصعة وتفتت فيها المنينات وتسقيها من العدس وتدخل لكل راهب او بترك قصعته فقال لها علاء الدين ردّيني الى الملك وخليه يقتلني اسهل لي من هذه الخدمة فقالت له ان خدمت وفيت الخدمة التي عليك خلصت من القتل وان ما وفيت خليت الملك يقتلك فقعد علاء الدين حامل الهمّ وكان في الكنيسة عشرة عميان كسحان فقال له واحد منهم هات لي قصرية فاتى له بها فتغوط فيها وقال له ارم الغائط فرماه فقال له يبارك فيك المسيح يا خدام الكنيسة واذا بالعجوز اقبلت وقالت له لاي شيء ما وفيت الخدمة في الكنيسة فقال لها انا لي كم يد حتى اقدر على توفية هذه الخدمة فقالت يا مجنون انا ما جئت بك الا للخدمة ثم قالت له خذ يا ابني هذا القضيب وكان من النحاس وفي رأسه صليب واخرج الى الشارع فاذا قابلك والى البلد فقل له اني ادعوك الى خدمة الكنيسة من اجل السيد المسيح فانه لا يخالفك فخله يأخذ القمح ويغربله ويطحنه ويعجنه ويخبزه منينات

ضد البنج ففتح عينيه وقال انا اين فقال انت معي مربوط وديعة ولو كنت تقول يفتح الله لكنت ازيدك فقال له علاء الدين ما صناعتك فقال له انا قبطان ومرادي ان آخذك الى حبيبة قلبي فبينما هما في الكلام واذا بمركب فيها اربعون من تجار المسلمين فطلع القبطان بمركبه عليهم ووضع الكلاليب في مركبهم ونزل هو ورجاله فنهبوها واخذوها وساروا بها الى مدينة جنوة فاقبل القبطان الذي معه علاء الدين الى باب قيطون قصر واذا بصبيّة نازلة وهي ضاربة لثاما فقالت له هل جئت بالخرزة و صاحبها فقال لها جئت بهما فقالت له هات الخرزة فاعطاها لها وتوجّه الى المينة ورمى مدافع السلامة فعلم ملك المدينة بوصول ذلك القبطان فخرج الى مقابلته وقال له كيف كانت سفرتك فقال له كانت طيبة جدًّا وقد كسبت فيها مركبا فيها واحد واربعون من تجار المسلمين فقال له اخرجهم الى المينة فاخرجهم في الحديد ومن جملتهم علاء الدين وركب الملك هو والقبطان ومشوا هم قدامهم الى ان وصلوا الى الديوان فجلسوا وقدموا اول واحد فقال له الملك من اين يا مسلم فقال من الاسكندرية فقال يا سياف اقتله فضربه السيّاف بالسيف فرمى رقبته والثاني و الثالث هكذا الى تمام الاربعين وكان علاء الدين في آخرهم فشرب حسرتهم وقال لنفسه رحمة الله عليك يا علاء الدين فرغ عمرك فقال له الملك وانت من اي البلاد فقال من الاسكندرية فقال يا سياف ارم عنقه فرفع السياف يده بالسيف واراد ان يرمي رقبة علاء الدين واذا بعجوز ذات هيبة تقدمت بين ايادي الملك فقام اليها تعظيما لها فقالت يا ملك اَمَا قلت لك لمّا يجيء القبطان بالاسارى تذكّر الدير باسير اوباسيرين يخدمان في الكنيسة فقال لها يا امّي ليتك سبقتِ بساعة

Digitized by Google

من امر والده علاء الدين ابى الشامات فانه باع ماكان عنده فى الدكان جميعهـــا ولم يبق فى الدكان الا القليل وجراب فنفض الجـــراب فنزلت منه خرزة تملأ الكف في سلسة من الذهب ولها خمسة وجوه وعليها اسماء وطلاسم كذبيب النمل فدعك الخمسة وجوه فلم يجاوبه احد فقال في نفســـه لعلها خرزة من جزع ثم علقهـــا فى الدكان واذا بقنصل قد مات فى الطريق فرفع بصره فرأى الخرزة معلقة فقعد على دكان علاء الدين وقال له ياسيدي هل هذه الخرزة للبيع فقال له جميع ماعندي للبيع فقال له اتبيع لي اياها بثمانين الف دينار فقال له علاء الدين يفتح الله فقال له اتبيعها بمائة الف دينار فقال بعتها لك بمائة الف دينار فانقدني الدنانير فقال له القنصل ما اقدران احمل ثمنها معي والاسكندرية فيها حرامية وشرطية فانت تروح معي الى مركبي واعطي لك الثمن ورزمة صوف انجوري ورزمة اطلس ورزمة قطيفة ورزمة جوخ فقام علاء الدين وقفل الدكان بعد ان اعطى له الخرزة واعطى المفاتيح لجاره وقال له خذ هذه المفاتيح عندك امانة حتى اروح الى المـــركب مع هذا القنصل واجيء بثمن خرزتي فان عوّقت عنك وورد عليك المقدّم احمد الدنف الذي كان وطّنني في هذا المكان فاعطه المفاتيح واخبره بذلك ثم توجّه مع القنصـــل الى المركب فلما نزل به المركب نصب له كرسيا واجلسه عليه وقال هاتوا المال فدفع له الثمن والخمس رزم التي وعده بها وقال له ياسيدي اتصدق جبري بلقمة اوشربة ماء فقال ان كان عندك ماء فاسقني فامر بالقربات فاذا فيها بنج فلما شرب انقلب على ظهره فرفعوا الكراسي وحطوا المداري وحلـــوا القلوع واسعفتهم الرياح حتى وصلوا الى وسط البحر فامر القبطان بطلوع علاء الدين من العنبر فطلعوه وشمموه

Digitized by Google

ياخائن حتى ضيعت علاء الدين ابا الشامات وهو الثقة الامين ثم امر الخليفة بالقبض عليه وعلى الوالي فقال الوالي يا امير المؤمنين انا مظلوم وانت امرتني بشنقه ولم يكن عندي خبر هذا الملعوب فان التدبير كان بين العجوز واحمد تماقم وزوجتي وليس عندي خبر وانا في جيرتك يااصلان فشفع فيه اصلان عند الخليفة ثم قال امير المؤمنين ما فعل الله بأمّ هذا الولد فقال له عندي فقال امرتك ان تأمر زوجتك تلبسها بدلتها وصيغتها وتردّها الى سيادتها وان تفكّ الختم الذي على بيت علاء الدين وتعطي ابنه رزقه وماله فقال سمعا وطاعة ثم نزل الوالي وامر امرأته فالبستها بدلتها وفكّ الختم عن بيت علاء الدين واعطى اصلان المفاتيح ثم قال الخليفة تمنّ عليّ يااصلان فقال له تمنّيت عليك ان تجمع شملي بابي فبكى الخليفة وقال الغالب انّ اباك هو الذي شنق ومات ولكن وحيوة جدودي كل من بشّرني بانه على قيد الحيوة اعطيته جميع ما يطلبه فتقدّم احمد الدنف وقبل الارض بين يديه وقال له اعطني الامان يا امير المؤمنين فقال له عليك الامان فقال ابشّرك ان علاء الدين ابا الشامات الثقة الامين طيب على قيد الحيوة فقال له ما الذي تقول فقال له وحيوة رأسك ان كلامي حق وفديته بغيره ممن يستحقّ القتل واوصلته الى الاسكندرية وفتحت له دكان سَقَطي فقال الخليفة الزمتك ان تجيء به وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة قال لاحمد الدنف الزمتك ان تجيء به فقال له سمعا وطاعة فامر له الخليفة بعشرة آلاف دينار وسار متوجّها الى الاسكندرية هذا ما كان من امر اصلان واما ما كان

Digitized by Google

ثم نزلوا من على ظهور الخيل وقعدوا على الكراسي وامر الخليفة باحضار الذي ضرب الاكرة فلما حضر بين يديه قال له من اجرأك على هذا الامر وهل انت عدوّ او حبيب فقال له انا عدوّ وكنت مصمرا على قتلك فقال له ما سبب ذلك امّا انت مسلم فقال لا وانما انا رافضي فامر الخليفة بقتله وقال لاصلان تمنّ عليّ فقال له اتمنّى عليك ان تأخذ لي ثار ابي من قاتله فقال له ان اباك حيّ وهو واقف على رجليه فقال له من هو ابي فقال له الامير خالد الوالي فقال له يا امير المؤمنين ما هو ابى الاّ فى التربية وما والدي الاّ علاء الدين ابو الشامات فقال له ان اباك كان خائنا فقال يا امير المؤمنين حاشا ان يكون الامين خائنا وما الذي خانك فيه فقال له سرق بدلتي وما معها فقال يا امير المؤمنين حاشا ان يكون ابي خائنا ولكن ياسيدي لما عدمت بدلتك وعادت اليك هل رأيت المصباح رجع اليك ايضا فقال ماوجدناه فقال انا رأيته مع احمد قماقم وطلبته منه فلم يعطه لي وقال لي هذا راحت عليه الارواح وحكى لي عن ضعف حبظلم بظاظه ابن الامير خالد وعشقه للجارية ياسمين وخلاصه من القيد وانه هو الذي سرق البدلة والمصباح وانت يا امير المؤمنين تأخذ لي بثار والدي من قاتله فقال الخليفة اقبضوا على احمد قماقم فقبضوا عليه وقال اين المقدم احمد الدنف فحضر بين يديه فقال له الخليفة فتّش قماقم فحطّ يديه في جيبه فاطلع منه المصباح الجوهر فقال الخليفة تعال ياخائن من اين لك هذا المصباح قال له اشتريته يا امير المؤمنين فقال له الخليفة من اين اشتريته ومن يقدر على مثله حتى يبيعه لك وضربوه فاقرّ انه هو الذي سرق البدلة والمصباح فقال له الخليفة لاىّ شيء تفعل هذه المفاسد

يا اصـــلان فقال له اني قد عرفت وتحققت ان ابي عـلاء الدين ابوالشامات ومرادي انك تأخذ لي ثاري من قاتله فقال له من الذي قتل اباك فقال له احمد قماقم السراق فقال له ومن اعلمك بهذا الخبر فقال رأيت معه المصبـاح الجوهر الذي ضاع من جملة امتعة الخليفة وقلت له اعطني هذا المصباح فما رضي وقال لي هذا راحت على شانه الارواح وحكى لي انه هوالذي نزل وسرق العملة ووضعها في دار ابي فقال له احمد الدنف اذا رأيتَ الامير خالدا الوالي يلبس لباس الحرب فقل له البسني مثلك فاذا طلعت معه واظهرت بابامن ابواب الشجـاعة قدّام امير المؤمنين فان الخليفة يقول لك تمنّ عليّ يا اصلان فقل له اتمنّى عليك ان تأخذ لي ثار ابي من قاتلـه فيقول لك ان اباك حيّ وهو الامير خالد الوالي فقـل له ان ابي علاء الدين ابو الشـامات وخالد الوالي له عليّ حق التـربية فقط واخبره بجميع ما وقـع بينك وبين احمد قمـاقم السراق وقل له ياامير المؤمنين أأمر بتفتيشه وانا اخرجه من جيبه فقال له سمعا وطاعة ثم طلع اصلان فوجد الامير خالدا يتجهّـز الى طلوعه ديوان الخليفة فقال له مرادي ان تلبسني لباس الحـرب مثلك وتأخذني معك الى ديوان الخليفة فالبسه واخذه معه الى الديوان ونزل الخليفة بالعسكر خارج البلد ونصبوا الصواوين والخيام واصطفت الصفوف وطلعوا بالاكرة والصولجان فصار الفارس منهم يضرب الاكرة بالصولجان فيردّها عليه الفارس الثاني وكان بين العسكر واحد جاسوس مغرى على قتل الخليفة فاخذ الاكرة وضربها بالصولجان وحرّرها على وجه الخليفة واذا باصلان استلقاها من الخليفة وضرب بها راميها فوقعت بين اكتافه فوقع على الارض فقال الخليفة بارك الله فيك يا اصلان

Digitized by Google

ص

الزواج وطلب ابوه ان يشتري له جارية واخبره بالقصّة من اوّلها الى آخرها واعلمه بضعف حبظلم بظاظه وماوقع لعلاء الدين ظلمـا فقال اصلان في نفسه لعلّ هذه الجـارية ياسمين اُمّي وما ابي الّا علاء الدين ابوالشامات فطلع الولد اصلان من عنده حزينا فقابل المقدّم احمد الدنف فلما رآه احمد الدنف قال سبحان من لاشبيه له فقال له حسن شومان ياكبيري من اىّ شي تتعجّب فقال له من خلقـة هذا الولد اصلان فانه اشبه البرايا بعلاء الدين ابى الشامات فنادى احمد الدنف وقال يا اصلان فردّ عليه فقال له ما اسم اُمّك فقال له تسمّى الجارية ياسمين فقال له يا اصلان طب نفسا وقرّ عينـا فانه ما ابوك الّا علاء الدين ابو الشامات ولكن يا ولدي ادخل على اُمّك واسئلها عن ابيك فقال سمعا وطاعة ثم دخل على اُمّه وسألها فقالت له ابوك الامير خالد فقال لها ما ابي الّا علاء الدين ابوالشامات فبكت اُمّه وقالت له من اخبرك بهـذا يا ولدي فقال المقدّم احمد الدنف اخبرني بذلك فحكت له جميع ما جرى وقالت له ياولدي قد ظهر الحـق واختفى الباطل واعلم ان اباك علاء الدين ابوالشامات الّا انه ماربّاك الّا الامير خالد وجعلك ولده فيـا ولدي ان اجتمعت بالمقدم احمد الدنف قل له ياكبيـري سألتك باللـه ان تأخذ لي ثاري من قاتل ابي علاء الدين ابى الشامات فطلـع من عندها وسار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عـن الكلام المـبـاح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اصلان طلع من عند اُمّه وسار الى ان دخل على المقدّم احمد الدنف وقبّـل يده فقال له مالك

Digitized by Google

عليه فلم تجده فطلعت المقعد فرأت الامير خالدا جالسا والولد في حجره يلعب وقد القى الله محبّة الولد في قلب الامير خالد فالتفت الولد فرأى امّه فرمى نفسه عليها فرنقه الامير خالد في حضنه وقال لها تعالي ياجارية فلما جاءت قال لها هذا الولد ابن مَن فقالت له هذا ولدى وثمرة فؤادى فقال لها ومن ابوه فقالت ابوه علاء الدين ابو الشامات والآن صار ولدك فقال لها ان علاء الدين كان خائنا فقالت سلامته من الخيانة حاشا وكلا ان يكون الامين خائنا فقال لها اذا كبر هذا الولد وانتشأ وقال لك مَن ابي فقولي له انت ابن الامير خالد الوالي صاحب الشرطة فقالت له سمعا وطاعة ثم ان الامير خالد الوالي طاهر الولد ورّباه واحسن تربيته وجاء له بفقيه خطّاط فعلّمه الخط والقراءة فقرأ وعاد وختم وطلع يقول للامير خالد ياوالدي وصار الوالي يعمل الميدان ويجمع الخيل وينزل يعلّم الولد ابواب الحرب ومقام الطعن والضرب الى ان انتهى فى الفروسية وتعلّم الشجاعة وبلغ من العمر اربع عشرة سنة ووصل الى درجة الامارة فاتفق ان اصلان اجتمع مع احمد قماقم السراق يوما من الايام وصارا اصحابا فتبعه الى الخمارة واذا باحمد قماقم السراق اطلع المصباح الجوهر الذي اخذه من امتعة الخليفة وحطّه قدّامه وتناول الكأس على نوره وسكر فقال له اصلان يا مقدم اعطني هذا المصباح فقال له ما اقدر ان اعطيك اياه فقال له لاىّ شيء فقال له لانه راحت على شانه الارواح فقال له اىّ روح راحت على شانه فقال له كان واحد جاءنا هنا وعمل رئيس الستين يسمّى علاء الدين ابي الشامات ومات بسبب ذلك فقال له وما حكايته وما سبب موته فقال له كان لك اخ يسمّى حبظلم بظاظه وبلغ من العمر ستة عشر عاما حتى استحق

Digitized by Google

التفت الى الوزير جعفر يوما من الايام وقال له انظر يا وزير هذه العملة الذي فعلها معي علاء الدين فقال له يا امير المؤمنين انت جازيته بالشنق و جزاؤه ماحلّ به فقال له يا وزير مرادى ان انزل و انظره وهو مشنوق فقال الوزير افعل ما شئت يا امير المؤمنين فنزل الخليفة ومعه الوزير جعفر الى جهة المشنقة ثم رفع طرفه فرأى المشنوق غير علاء الدين ابي الشامات الثِقَة الامين فقال يا وزير هذا ما هو علاء الدين فقال له كيف عرفت انه غيره فقال ان علاء الدين كان قصيرا وهذا طويل فقال له الوزيران المشنوق يطول فقال له ان علاء الدين كان ابيض و هذا وجهه اسود فقال له اما تعلم يا امير المؤمنين ان الموت له غبرات فامر بتنزيله من فوق المشنقة فلما انزلوه وجد مكتوبا على كعبيه الاثنين اسمي الشيخين فقال له يا وزيران علاء الدين كان سنّيا وهذا رافضي فقال له سبحان الله علاّم الغيوب ونحن لانعلم هل هذا علاء الدين اوغيره فامر الخليفة بدفنه فدفنوه وصار علاء الدين نسيا منسيا هذا ما كان من امره واما ماكان من امر حبظلم بظاظه ابن الوالى فانه قد طال به العشق والغرام حتى مات ووارود في التراب واما ما كان من امر الجارية ياسمين فانها وفت حملها ولحقها الطلق فوضعت ولدا ذكرا كانّه القمر فقال لها الجواري ما تسمّيه فقالت لوكان ابوه طيبا كان سمّاه ولكن انا اسمّيه اصلان ثم انها ارضعته اللبن عامين متتابعين وفطمته وحبى ومشي فاتفق ان امّه اشتغلت بخدمة المطبخ يوما من الايام فمشي الغلام ورأى سلم المقعد فطلع عليه وكان الامير خالد الوالي جالسا فاخذه واقعده في حجره وسبّح مولاه فيما خلق وصوّر وتأمّل وجهه فرأه اشبه البرايا بعلاء الدين ابي الشامات ثم ان امّه ياسمين فتشت

Digitized by Google

سائرين حتى وصلا الى الكروم والبساتين فوجدا يهوديين من عمّال الخليفة راكبين على بغلتين فقال احمد الدنف لليهود هاتوا الغفر فقال اليهود نعطيك الغفر على اي شيء فقال لهم انا غفير هذا الوادي فاعطاه كل واحد منهما مائة دينار وبعد ذلك قتلهما احمد الدنف واخذ البغلتين فركب بغلة وركب علاء الدين بغلة وسارا الى مدينة اياس فادخلا البغلتين في خان وباتا فيه ولما اصبح الصباح باع علاء الدين بغلته واوصى البوّاب على بغلة احمد الدنف ونزلوا في مركب من مينة اياس حتى وصلوا الى الاسكندرية فطلع احمد الدنف ومعه علاء الدين ومشيا في السوق واذا بدلال يدلّل على دكان ومن داخل الدكان طبقة على تسعمائة وخمسين فقال علاء الدين بالف فسمح له البائع وكانت لبيت المال فتسلّم علاء الدين المفاتيح وفتح الدكان وفتح الطبقة فوجدها مفروشة بالفرش والمساند ورأى فيها حاصلا فيه قلاع وصوار وحبال وصناديق واجربة ملآنة خرزا وودعا وزركابات واطبارا ودبابيس وسكاكين ومقصّات وغير ذلك لان صاحبه كان سقطيا فقعد علاء الدين ابو الشامات في الدكان وقال له احمد الدنف ياولدي الدكان والطبقة ومافيهما صارت ملكك فاقعدْ فيها وبع واشتر ولاتنكر فان الله تعالى بارك في التجارة واقام عنده ثلثة ايام وفي اليوم الرابع اخذ خاطره وقال له استقرّ في هذا المكان حتى اروح واعود اليك بخبر من الخليفة بالامان عليك وانظر الذي عمل معك هذا الملعوب ثم توجّه مسافرا حتى وصل اياس فاخذ البغلة من الخان وسار الى بغداد فاجتمع بحسن شومان واتباعه وقال له يا حسن هل الخليفة سأل عنّي فقال لاولا خطرت على باله فاقام في خدمة الخليفة وصار يستنشق الاخبار فرأى الخليفة

Digitized by Google

رأسه واخذه احمد الدنف بينه وبين علي الزيبق المصري وكانوا قدّموا علاء الدين الى الشنق فتقدّم احمد الدنف وحطّ رجله على رجل المشا علي فقال له المشا علي اعطني الوسع حتى اعمل صنعتي فقال له يا لعين خذ هذا الرجل واشنقه موضع علاء الدين ابي الشامات فانه مظلوم ونفدي اسماعيل با لكبش فاخذ المشا علي ذلك الرجل وشنقه عوضا عن علاء الدين ثم ان احمد الدنف وعليا الزيبق المصري اخذا علاء الدين وسارا به الى قاعة احمد الدنف فلما دخلوا عليه قال له علاء الدين جزاك الله خيرا يا كبيرى فقال له يا علاء الدين ما هذا الفعل الذي فعلته وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان احمد الدنف قال لعلاء الدين ما هذا الفعل الذي فعلته ورحم الله من قال من ايتمنك لاتخنه ولوكنت خائنا والخليفة مكّنك عنده وسمّاك بالثقة الامين كيف تفعل معه هكذا وتاخذ امتعته فقال له علاء الدين والاسم الاعظم يا كبيري ما هي عملتي ولالي فيها ذنب ولا اعرف مَن عملها فقال احمد الدنف ان هذه العملة ما عملها الّا عدوّ مبين ومن فعل شيأ يجازى به ولكن يا علاء الدين انت ما بقي لك اقامة في بغداد فان الملوك لا تعادى يا ولدي ومن كانت الملوك في طلبه ياطول تعبه فقال علاء الدين اين اروح يا كبيري فقال له انا اوصلك الى الاسكندرية فانها مباركة وعَتَبَتها خضراء وعيشتها هنيّة فقال سمعا وطاعة يا كبيري فقال احمد الدنف لحسن شومان خلّ بالك واذا سأل عنّى الخليفة فقل له انه راح يطوف على البلاد ثم اخذه وخرج من بغداد ولم يزالا

Digitized by Google

بروئية ولدك فحنّن الله عليها قلوب الجواري وصرن يتعاطين الخدمة عنها في المطبخ هذا ما كان من امر ياسمين واما ماكان من امر علاء الدين ابى الشامات فانهم اخذوه هو وامتعة الخليفة وساروا به الى ان وصلوا الى الديوان فبينما الخليفة جالس على الكرسي واذا بهم طالعون بعلاء الدين ومعه الامتعة فقال الخليفة اين وجدتموها فقالوا له في وسط بيت علاء الدين ابي الشامات فامتزج الخليفة بالغضب واخذ الامتعة فلم يجد فيها المصباح فقال يا علاء الدين اين المصباح فقال انا لاسرقتُ ولاعلمتُ ولا رأيت ولا معي خبر فقال له ياخائن كيف اقربك اليّ وتبعدني عنك واستأمنك وتخونني ثم امر بشنقه فنزل الوالي والمنادي ينادي عليه هذا جزاء واقل من جزاء من يخون الخلفاء الراشدين فاجتمع الخلائق عند المشنقة هذا ماكان من امر علاء الدين. واما ماكان من امر احمد الدنف كبير علاء الدين فانه كان قاعدا هو واتباعه في بستان فبينماهم جالسون في حظ وسرور واذا برجل سقّاء من السقايين الذين في الديوان دخل عليهم وقبل يد احمد الدنف وقال يا مقدم احمد الدنف انت قاعد في صفاء والماء تحت رجليك وما عندك علم بما حصل فقال له احمد الدنف ما الخبر فقال السقاء ان ولدك في عهد الله علاء الدين نزلوا به الى المشنقة فقال له احمد الدنف ما عندك من الحيلة يا حسن يا شومان فقال له ان علاء الدين بريءٌ من هذا الامر وهذا ملعوب عليه من واحد عدوّ فقال له ماالرأي عندك فقال له خلاصه علينا ان شاء المولى ثم ان حسنا شومان ذهب الى السجن وقال للسجّان اعطنا واحدا يكون مستوجبا للقتل فاعطاه واحدا كان اشبه البرايا بعلاء الدين ابي الشامات فغطى

Digitized by Google

والقضاة والشهود وتقدّم احمد قماقم الى دُرْقاعة القاعة وجاء الى الرخامة التي دفن تحتها الامتعة وارخى القضيب على اللوح الرخام بعزمه فانكسرت الرخامة واذا بشيءٍ ينور تحتها فقال المقدّم بسم الله ماشاءالله على بركة قد ومنا انفتح لنا كنز لما انزل الى هذا المطلب وانظر ما فيه فنظر القاضي والشهود الى ذلك المحلّ فوجدوا الامتعة بتمامها فكتبوا ورقة مضمونها انّهم وجدوا الامتعة في بيت علاء الدين ثم وضعوا في تلك الورقة ختومهم وامروا بالقبض على علاء الدين واخذوا عمامته من فوق رأسه وضبطوا جميع ماله ورزقه في قائمة وقبض احمد قماقم السراق على الجارية يا سمين وكانت حاملا من علاء الدين واعطاها لامّه وقال لها سلّميها لخاتون امرأة الوالي فاخذت يا سمين ودخلت بها على زوجة الوالي فلما رآها حبظلم بظاظه جاءت له العافية وقام من وقته وساعته وفرح فرحا شديدا وتقرّب اليها فسحبت خنجرا من حياصتها وقالت له ابعد عنّي والّا قتلك واقتل نفسي فقالت لها امّه خاتون يا عاهرة خلّي ولدي يبلغ منك مراده فقالت لها يا كلبة في اىّ مذهب يجوز للمرأة ان تتزوج باثنين واىّ شيءٍ اوصل الكلاب ان تدخل في موطن السباع فزاد بالولد الغرام واضعفه الوجد والهيام وقطع الزاد ولزم الوساد فقالت لها امرأة الوالي يا عاهرة كيف تحسر يني على ولدي لا بد من تعذيبك واما علاء الدين فانه لابد من شنقه فقالت لها انا اموت على محبّته فقامت زوجة الوالي ونزعت عنها ما كان عليها من الصيغة وثياب الحرير والبسها لباسا من الخيش وقميصا من الشعر وانزلتها في المطبخ وعملتها من جوارى الخدمة وقالت لها جزاك انك تكسرين الحطب وتقشرين البصل وتحطين النار تحت الحلل فقالت لها ارضى بكل عذاب وخدمة ولا ارضى

Digitized by Google

قبل ان تقتلني اقتل احمد قماقم السراق لانه لا يعرف الحرامي والخائن الّا مقدم الدرك فقام احمد قماقم وقال للخليفة شفعني فى الوالي وانا اضمن لك عهدة الذي سرق واقصّ الاثر وراءه حتى اعرفه ولكن اعطني اثنين من القضاة واثنين من الشهود فان الذي فعل هذا الفعل لا يخشاك ولا يخشى من الوالي ولا من غيره فقال الخليفة لك ما طلبت ولكن اول التّفتيش يكون في سرايتي وبعدها في سراية الوزير وفي سراية رئيس الستين فقال احمد قماقم صدقت يا اميرالمؤمنين ربّما يكون الذي عمل هذه العملة واحد قد تربّى في سراية امير المؤمنين او في سراية احد من خواصه فقال الخليفة وحياة رأسي كل من ظهرت عليه هذه العملة لا بد من قتله ولوكان ولدي ثم ان احمد قماقم اخذ ما اراده واخذ فرمانا بالهجوم على البيوت وتفتيشها وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان احمد قماقم اخذ ما اراده واخذ فرمانا بالهجوم على البيوت وتفتيشها ونزل وبيده قضيب ثلثة من الشوم وثلثة من النحاس وثلثة من الحديد وثلثة من الفولاد وفتّش سراية الخليفة وسراية الوزير جعفر ودار على بيوت الحجّاب والنّواب الى ان مرّ على بيت علاءالدين ابي الشامات فلما سمع الضجّة علاءالدين قدّام بيته قام من عند يا سمين زوجته ونزل وفتح الباب فوجد الوالي في كركبة فقال له ما الخبر يا امير خالد فحكى له جميع القضيّة فقال علاءالدين ادخلوا بيتي وفتّشوه فقال الوالي العفو يا سيّدي انت امين وحاشا ان يكون الامين خائنا فقال له لا بدّ من تفتيش بيتي فدخل الوالي

Digitized by Google

واخذ ملقفه في يساره واقبل على قاعة الجلوس التي للخليفة ونصب سلّم التسليك ورمى ملقفه على قاعة الجلوس فتعلّق بها وطلع على السلّم الى السطوح ورفع طابق القلعة ونزل فيها فوجد الطواشية نائمين فبنّجهم واخذ بدلة الخليفة والسبحة والنمشة والمنديل والخاتم والمصباح الذي بالجواهر ثم نزل من الموضع الذي طلع منه وسار الى بيت علاء الدين ابي الشامات وكان علاء الدين في هذه الليلة مشغولا بفرح الجارية ودخل عليها وراحت منه حاملا فنزل احمد قماقم السرّاق على قاعة علاء الدين وقلع لوحا رخاما من درقاعة القاعة وحفر تحته ووضع بعض المصالح وابقى بعضها معه ثم جبس اللوح الرخام كما كان ونزل من الموضع الذي طلع منه وقال في نفسه انا اقعد اسكر واحطّ المصباح قدامي واشرب الكأس على نوره ثم سار الى بيته فلما اصبح الصباح ذهب الخليفة الى القاعة فوجد الطواشية مبنجين فايقظهم وحطّ يده فلم يجد البدلة ولا الخاتم ولا السبحة ولا النمشة ولا المنديل ولا المصباح فاغتاظ لذلك غيظا شديدا ولبس بدلة الغضب وهي بدلة حمراء وجلس في الديوان فتقدّم الوزير وقبّل الارض بين يديه وقال يكفي الله شرّ امير المؤمنين فقال له يا وزيران الشرّ فائض فقال له الوزير اي شيء حصل فحكى له جميع ما وقع واذا بالوالي طالع وفي ركابه احمد قماقم السراق فوجد الخليفة في غيظ عظيم فلما نظر الخليفة الى الوالي قال له يا امير خالد كيف حال بغداد فقال له سالمة امينة فقال له تكذبه فقال لاي شيء يا امير المؤمنين فقصّ عليه القصة وقال له الزمتك ان تجيء لي بذلك كله فقال له يا امير المؤمنين دود الخلّ منه فيه ولا يقدر غريب ان يصل الى هذا المحل ابدا فقال ان لم تجيء لي بهذه الامور قتلتك فقال له

Digitized by Google

لها احد غيره وقد وقعت على عبدك ان يتشفّع عندك يا امير المؤمنين في انك تفكّه من القيد وهو يتوب عمّا كان فيه وتجعله مقدم الدرك كما كان اوّلا فقال الخليفة لاحمد تماقم هل تبت عما كنت فيه فقال له تبت الى الله يا امير المؤمنين فامر باحضار الحدّاد وفكّ قيده على دكّة المغتسل وجعله مقدم الدرك واوصاه بالمشي الطيب والاستقامة فقبّل يدي الخليفة ونزل بخلعة الدرك ونادوا له بالتقديم فمكث مدة من الزمان في منصبه ثم دخلت امه على زوجة الوالي فقالت لها الحمد لله الذي خلّص ابنك من السجن وهو على قيد الصحة والسلامة فلاي شيء لم تقولي له ان يدبّر امرا في مجيئه بالجارية ياسمين الى ولدي حبظلم بظاظة فقالت اقول له ثم قامت من عندها ودخلت على ولدها فوجدته سكرانا فقالت له يا ولدي ما سبب خلاصك من السجن الاّ زوجة الوالي وتريد منك ان تدبّر لها امرا في قتل علاء الدين ابى الشامات وتجيء بالجارية يا سمين الى ولدها حبظلم بظاظة فقال لها هذا اسهل ما يكون لا بد ان ادبّر امرا في هذه الليلة وكانت تلك الليلة اول ليلة في الشهر الجديد وكان عادة امير المؤمنين ان يبيت فيها عند السيدة زبيدة لعتق جارية او مملوك اونحو ذلك وايضا كان من عادة الخليفة انه يقلع بدلة الملك ويترك السبحة والنمشة وخاتم الملك ويضع الجميع فوق الكرسي في قاعة الجلوس وكان عند الخليفة مصباح من ذهب وفيه ثلث جواهر منظومة في سلك من ذهب وكان ذلك المصباح عزيزا عند الخليفة ثم ان الخليفة وكّل الطواشية بالبدلة والمصباح وباقي الامتعة ودخل مقصورة السيّدة زبيدة فصبر احمد تماقم السراق لمّا انتصف الليل واضاء سهيل ونامت الخلائق وتجلّى عليهم بالستر الخالق ثم سحب سيفه في يمينه

Digitized by Google

مخلد الى الممات فانت تقومين وتلبسين افخر ما عندكِ وتتزيّنين باحسن الزينة وتقابلين زوجك ببشر وبشاشه فاذا طلب منك ما يطلبه الرجال من النساء فامتنعي منه ولا تمكّنيه وقولي له يا لله العجب اذا للرجل حاجة عند زوجته يلحّ عليها حتى يقضيها منها واذا كان للزوجة عند زوجها حاجة فانه لا يقضيها لها فيقول لكِ وما حاجتك فقولي له حتى تحلف لي فاذا حلف لكِ بحياة رأسه او بالله فقولي له احلف لي بالطلاق منّي ولا تمكّنيه الّا ان حلف لك بالطلاق فاذا حلف لك بالطلاق فقولي له عندك في السجن واحد مقدم اسمه احمد قماقم وله امّ مسكينة وقد وقعت علىّ وساقتني عليك وقالت لي خلّيه يشفع له عند الخليفة لاجل ان يتوب ويحصل له الثواب فقالت لها سمعا وطاعة فلما دخل الوالي على زوجته وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوالي لما دخل على زوجته قالت له ذلك الكلام وحلف لها بالطّلاق فمكّنه وبات عندها ولمّا اصبح الصباح اغتسل وصلّى الصبح وجاء الى السجن وقال يا احمد قماقم يا سرّاق هل تتوب ممّا انت فيه فقال اني تبت الى الله ورجعت واقول بالقلب واللسان استغفر الله فاطلقه الوالي من السجن واخذه معه الى الديوان وهو في القيد ثم تقدّم الي الخليفة وقبّل الارض بين يديه فقال له يا امير خالد ايّ شيء تطلب فقدّم احمد قماقم يخطر في القيد قدّام الخليفة فقال له يا قماقم هل انت حيّ الى الآن فقال له يا امير المؤمنين ان عمر الشقي بطيء فقال الخليفة يا امير خالد لاي شيء جئت به هنا فقال له ان له امّا مسكينة منقطعة وليس

Digitized by Google

اشتري لك جنبة يا سمين فقال لها ليس هو الياسمين الذي ينشم وانما هي جارية اسمها ياسمين لم يشترها لي ابي فقالت لزوجها لاي شيء ما اشتريت له هذه الجارية فقال لها الذي يصلح للمولى لايصلح للخدّام وليس لي قدرة على اخذها فانه ما اشتراها الاّعلاء الدين ورئيس الستين فزاد الضعف بالولد حتى جفا الرقاد وقطع الزاد وتعصّبت امّه بعصائب الحزن فبينما هي جالسة في بيتها حزينة على ولدها واذا بعجوز دخلت عليها اسمها امّ احمد قماقم السراق وكان هذا السرّاق ينقب وسطانيا ويلقف فوقانيا ويسرق الكحل من العين وكان بهذه الصفات القبيحة في اول امره ثم عملوه مقدم الدَرَك فسرق عُمْلَة فوقع بها وهجم عليه الوالي فاخذه وعرضه على الخليفة فامر بقتله في بقعة الدم فاستجار بالوزير وكان للوزير عند الخليفة شفاعة لا تردّ فشفع فيه فقال له الخليفة كيف تشفع في آفة تضرّ الناس فقال له يا امير المؤمنين احبسه فان الذي بني السجن كان حكيما لان السجن قبر الاحياء وشماتة الاعداء فامر الخليفة بوضعه في قيد وكتب على قيده مخلد الى الممات لا يفكّ الاّعلى دكّة المغتسل فوضعوه مقيدا في السجن وكانت امّه تتردّد على بيت الامير خالد الوالي و تدخل لابنها في السجن و تقول له اما قلت لك تب عن الحرام فيقول لها قدّر الله عليّ ذلك ولكن يا امي اذا دخلتِ على زوجة الوالي فخلّيها تشفع لي عنده فلما دخلت العجوز على زوجة الوالي وجدتها معصّبة بعصائب الحزن فقالت لها مالكِ حزينة فقالت على فقد ولدي حبظلم بظالمة فقالت لها سلامة ولدكِ ما الذي اصابه فحكت لها الحكاية فقالت العجوز ما تقولين فيمن يلعب منصفا يكون فيه سلامة ولدك فقالت لها وما الذي تفعلينه فقالت انا لي ولد يسمّى احمد قماقم السرّاق وهو مقيّد في السجن و مكتوب على قيده

Digitized by Google

ففرحت و اخبرت والدة بذلك وقالت مرادي ان نزوّجه فانه صار يستحق الزواج فقال لها هذا قبيح المنظر كريه الرايحة دنس وحش لا تقبله واحدة من النساء فقالت نشتري له جارية فلامر قدّره الله تعالى ان اليوم الذي نزل فيه الوزير وعلاء الدين الى السوق نزل فيه الامير خالد الوالي هو وولده حبظلم بظاظه فبينماهم في السوق واذا بجارية ذات حسن وجمال وقد واعتدال في يد رجل دلّال فقال الوزير شاور يادلال عليها بالف دينار فمرّ بها على الوالي فرآها حبظلم بظاظه نظرة اعقبته النظرة الف حسرة وتولع بها وتمكن منه حبها فقال يا ابت اشترلي هذه الجارية فنادى الدلال وسأل الجارية عن اسمها فقالت له اسمي يا سمين فقال له ابوه يا ولدي ان كانت اعجبتك زد في ثمنهـــا فقال يادلّال كم معك من الثمن قال الف دينار قال عليّ بالف دينار ودينار فجاء لعلاء الدين فعملها بالفين فصار كلمـا يزيد الولد ابن الوالي دينارا في الثمن يزيد علاء الدين الف دينار فاغتاظ ابن الوالي وقال يا دلّال من يزيد عليّ في ثمن الجـــارية فقال له الدلّال ان الوزير جعفر يريد ان يشتريها لعلاء الدين ابى الشامات فعملها علاء الدين بعشرة آلاف دينار فسمح له سيدها وقبض ثمنها واخذها علاء الدين وقال لها اعتقتك لوجه اللـه تعالى ثم انه كتب كتابه عليها وتوجّه الى البيت ورجع الدلال ومعه دلالته فناداه ابن الوالي وقال له اين الجارية فقال له اشتراها علاء الدين بعشرة آلاف دينار واعتقها وكتب كتابه عليها فانكمد الولد وزادت به الحسرات ورجع ضعيفا الى البيت من محبته لها وارتمى في الفراش و قطع الزاد وزادبه العشق والغرام فلما رأته امّه ضعيفا قالت له سلامتك يا ولدي ما سبب ضعفك فقال لها اشتري لي يا سمين يا امي فقالت له امه لمّا يفوت صاحب الرياحين

Digitized by Google

فقال يا امير المؤمنين الذي يصلح للمولى لا يصلح للخـــدام و انّي الى الآن ما دخلت عليها و لا اعرف لها طولا من عرض فاقلني منها فقال الخليفة ان مرادي الاجتماع بها حتى اسألها عن حالها فقال علاء الدين سمعـــا وطاعة يا امير المؤمنين فدخل عليها الخليفة و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عـن الكلام المـــــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الخليفة دخل على قوت القلوب فلمـــا رأته قامت و تبلّت الارض بين يديه فقال لها هل دخل بك علاء الدين فقالت لا يا امير المؤمنين و قد ارسلتُ اطلبـــه للدخول فلم يرض فامر الخليفة برجوعها الى السراية و قال لعلاء الدين لاتنقطع عنّا ثم توجّه الخليفة الى داره فبات علاء الدين تلك الليلة و لمـــا اصبح ركب وسار الى الديوان فجلس في رتبة رئيس الستين فامر الخليفة الخازندار ان يعطي للوزير جعفر عشرة آلاف دينار فاعطاه ذلك المبلغ ثم قال الخليفة للوزير الزمتك ان تنزل الى سوق الجواري و تشتري لعلاء الدين بالعشرة آلاف دينار جارية فامتثل الوزير امر الخليفة ونزل واخذ معه علاء الدين وسار به الى سوق الجواري فاتفق في هذا اليوم ان والي بغداد الذي من طرف الخليفة و كان اسمه الامير خالد نزل الى السوق من اجل اشتـــراء جارية لولده و سبب ذلك انه كان له زوجة تسمى خاتونا و كان رزق منها بولد قبيح المنظر يسمى حبظلم بظاظه و كان بلغ من العمر عشرين سنة و لا يعرف ان يركب الحصان و كان ابوه شجاعا قرما منّاعا و كان يركب الخيل و يخوض بحـار الليل فنام حبظلم بظاظه في ليلـة من الليالي فاحتلم فاخبر والدته بذلك

Digitized by Google

الخليفة جالسين بالباب فاستغرب الامر وقال في نفسه لعلّ هذا ما هو بيتي والّا فما الخبر فلما راته الطواشية قاموا اليه وقبلوا يديه وقالوا نحن من اتباع الخليفة و ممـاليک قوت القلوب وهي تسلّم عليک و تقول لک ان الخليفة قد وهبهـالک هي وجواريها و تطلبک عندها فقال لهم قولوا لها مرحبابک ولكن طول ما انتِ عنده ما يدخل القصر الذي انتِ فيه لان ما كان للمولى لا يصلح ان يكون للخدام وقولوا لها ما مقدار مصروفک عند الخليفة في كل يوم فطلعوا اليها وقالوا لها ذلک فقالت كل يوم مائة دينار فقال لنفسـه انا ليس لي حاجة بان يهب لي الخليفـة قوت القلوب حتى اصرف عليها هذا المصروف ولكن لاحيلة في ذلک ثم انها اقامت عنده مدة ايام وهو مرتب لها في كل يوم مائة دينار الى ان انقطع علاء الدين عن الديوان يوما من الا يام فقال الخليفة يا وزير جعفر انا ما وهبت قوت القلوب لعلاء الدين الا لتسليه عن زوجته وما سبب انقطاعه عنّا فقال يا امير المؤمنين لقد صدق من قال من لقي احبابه نسي اصحابه فقال الخليفة لعلّه ما قطعه عنّـا الّا عذر ولكن نحن نزوره وكان قبل ذلک باياام قال علاء الدين للوزير انا شكوت للخليفـة ما اجده من الحزن على زوجتي زبيدة العودية فوهب لي قوت القلوب فقال له الوزير لولا انه يحبّک ما وهبهالک وهل دخلت بها يا علاء الدين فقال لا والله لا اعرف لها طولا من عرض فقال له ما سبب ذلک فقال يا وزير الذي يصـلح للمولى لا يصلح للخدام ثم ان الخليفة وجعفر استخفيا وسارا لزيارة علاء الدين ولم يزالا سائرين الى ان دخلا على علاء الدين فعرفهما وقام قبّل ايادي الخليفة ولمـا رآه الخليفة وجد عليه علامة الحـزن فقال له يا علاء الدين ما سبب هذا الحزن الذي انت فيه امّا دخلت على قوت القلوب

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الخليفة قال لجاريته قوت القلوب مرادي ان تسمعيني نوبة على العود من غرائب الموجود لاجل ان يتسلّى عن الهمّ والاحزان فقامت الجارية وعملت نوبة من الغرائب فقال الخليفة ما تقول يا علاء الدين في صوت هذه الجارية فقال له ان زبيدة احسن صوتا منها الّا انها صاحبة صناعة في ضرب العود لانها تطرب الحجر الجلمود فقال له هل هي اعجبتك فقال له اعجبتني يا امير المؤمنين فقال الخليفة وحياة رأسي وتربة جدودي انها هبة منّي اليك هي وجواريها فظنّ علاء الدين ان الخليفة يمزح معه فلما اصبح الخليفة دخل على جاريته قوت القلوب وقال لها انا وهبتك لعلاء الدين ففرحت بذلك لانها رأتها واحبّته ثم تحوّل الخليفة من قصر السراية الى الدّيوان ودعا بالحمّالين وقال لهم انقلوا امتعة قوت القلوب وحطّوها فى التختروان هي وجواريها الى بيت علاء الدين فنقلوها هي وجواريها و امتعتها الى بيت علاء الدين وادخلوها القصر وجلس الخليفة في مجلس الحكم الى آخر النهار ثم انفض الديوان ودخل قصره هذا ماكان من امره و اما ما كان من امر قوت القلوب فانها لما دخلت قصر علاء الدين هي وجواريها وكانوا اربعين جارية غير الطواشية قالت لاثنين من الطواشية احدكما يقعد على كرسيّ في ميمنة الباب و الثاني يقعد على كرسيّ في ميسرته ولما يأتي علاء الدين قبّلا يديه وقولا له ان سيّدتنا قوت القلوب تطلبك الى القصر فان الخليفة وهبها لك هي وجواريها فقالا لها سمعا وطاعة ثم فعلا ما امرتهما به فلما اقبل علاء الدين وجد اثنين من طواشية

Digitized by Google

وركبوا و توجّهوا الى بيت علاء الدين فبينما هو جالس واذا بالخليفة والوزير ومن معهما مقبلون عليه فقام لملتقاهم وقبّل الارض بين يدي الخليفة فقال له الخليفة عوّضك الله خيرا فقال علاء الدين اطال الله لنا بقاوك يا امير المؤمنين فقال الخليفة يا علاء الدين ما سبب انقطاعك عن الديوان فقال له حزني على زوجتي زبيدة يا امير المؤمنين فقال له الخليفة ادفع الهمّ عن نفسك فانها ماتت الى رحمة الله تعالى والحزن لا يفيدك شيأ ابدا فقال يا امير المؤمنين انا لا اترك الحزن عليها الّا اذا متُّ ودفنوني عندها فقال له الخليفة انّ في الله عوضا من كل فائت ولا يخلص من الموت حيلة ولا مال ولله درّ من قال

كُلُّ ابْنِ اُنْثَى وَاِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ ... يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُوْلُ
وَكَيْفَ يَلْهُو بِعَيْشٍ اَوْ يَلَذُّ بِهِ ... مِنَ التُّرَابِ عَلَى خَدَّيْهِ مَجْعُوْلُ

ولما فرغ الخليفة من تعزيته او صاه انه لا ينقطع عن الديوان وتوجّه الى محلّه ثم بات علاء الدين ولما اصبح الصباح ركب وسار الى الديوان فدخل على الخليفة وقبّل الارض بين يديه فتحرّك له الخليفة من على الكرسيّ ورحّب به وحبّاه وانزله في منزلته وقال له يا علاء الدين انت ضيفي في هذه الليلة ثم دخل به سرايته ودعا بجارية تسمّى قوت القلوب وقال لها ان علاء الدين كان عنده زوجة تسمّى زبيدة وكانت تسلّيه عن الهمّ والغمّ فماتت الى رحمة الله تعالى ومرادي ان تسمعيه نوبة على العود وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

فى التراب وخذ جميع ما تركه من مال وعبيد و جوار و خدم ثم نفض الخليفة المنديل وانفض الديوان فنزل علاء الدين وفي ركابه المقدم احمد الدَنَف مقدم ميمنه الخليفة هو و اتباعه الاربعون وفي يساره حسن شومان مقدّم ميسرة الخليفة هو واتباعه الاربعون فالتفت علاء الدين الى المقدم حسن شومان هو واتباعه وقال لهم انتم سياق على المقدم احمد الدنف لعلّه يقبلني ولده في عهد الله فقبله وقال له انا و اتباعى الاربعون نمشي قدامك الى الديوان في كل يوم ثم ان علاء الدين مكث في خدمة الخليفة مدة ايام فاتفق ان علاء الدين نزل من الديوان يوما من الايام وسار الى بيته وصرف احمد الدنف هو ومن معه الى حال سبيلهم ثم جلس مع زوجته زبيدة العودية و قد اوقد الشموع وبعد ذلك قامت تزيل ضرورة فبينما هو جالس فى مكانه اذ سمع صرخة عظيمة فقام مسرعا لينظر الذي صرخ فرأى صاحب الصرخة زوجته زبيدة العودية وهي مطروحة فوضع يده على صدرها فوجدها ميتة وكان بيت ابيها قدام بيت علاء الدين فسمع صرختها فقال لعلاء الدين ما الخبر يا سيدي علاء الدين فقال له تعيش رأسك ياوالدي في بنتك زبيدة العودية ولكن ياوالدي اكرام الميت دفنه فلما اصبح الصباح واروها فى التراب وصار علاء الدين يعزّي اباها وابوها يعزّيه هذا ماكان من امر زبيدة العودية و اما ماكان من امر علاء الدين فانه لبس ثياب الحزن وانقطع عن الديوان وصار باكي العين حزين القلب فقال الخليفة لجعفر يا وزير ما سبب انقطاع علاء الدين عن الديوان فقال له الوزير يا امير المؤمنين انه حزين على امرأته زبيدة ومشغول بعزائها فقال الخليفة للوزير واجب علينا ان نعزّيه فقال الوزير سمعا وطاعة ثم نزل الخليفة هو والوزير و بعض الخدم

Digitized by Google

للوالي والوالي اعطاه للمشاعلي ونادى فى الديوان ما شاه بندر التجّار الّا علاء الدين ابو الشامات وهو مسموع الكلمة محفوظ الحرمة يجب له الاكرام والاحترام ورفع المقام فلما انفض الديوان نزل الوالي بالمنادي بين يدي علاء الدين وصار المنادي يقول ما شاه بندر التجار الاسيّدي علاء الدين ابو الشامات وداروا به في شوارع بغداد و المنادي ينادي ويقول ما شاه بندر التجار الاسيّدي علاء الدين ابو الشامات فلما اصبح الصباح فتح دكّانا للعبد و اجلسه فيها يبيع و يشتري واما علاء الدين فانه كان يركب و يتوجّه الى مرتبته في ديوان الخليفة وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للمستين بعد المائتين

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيدان علاء الدين كان يركب ويتوجّه الى مرتبته في ديوان الخليفة فاتفق انه جلس فى مرتبته يوما على عادته فبينما هو جالس و اذا بقائل يقول للخليفـــة يا امير المؤمنين تعيش رأسك في فلان النديم فانه توفّي الى رحمة الله تعالى وحياتك الباقية فقال الخليفة اين علاء الدين ابو الشامات فحضر بين يديه فلما رآه خلع عليه خلعة سنيّة وجعله نديمه وكتب له جامكية الف دينار في كل شهر واقام عنده يتنادم معه فاتفق انه كان جالسا يوما من الايام في مرتبته على عادته فيخدمة الخليفة و اذا با مير طالع الى الديوان بسيف و ترس فقال يا امير المؤمنين تعيش رأسك في رئيس الستين فانه مات في هذا اليوم فامر الخليفة بخلعة لعلاء الدين ابي الشامات وجعله رئيس الستين مكانه وكان رئيس الستين لا ولد له ولا بنت ولا زوجة فنزل علاء الدين ووضع يده على ما له وقال الخليفة لعلاء الدين وارث

Digitized by Google

الارض بين يديه وقال له الله يحفظك يا امير المؤمنين ويديم بقاءك ولا عدم الناس فضلك واحسانك فقال يا علاء الدين خلّ زبيدة تعمل لنا نوبة حلاوة السلامة فعملت نوبة على العود من غرائب الموجود الى ان طرب لها الحجر الجلمود وصاح العود في الحضرة يا داؤد فباتوا على اسرّ حال الى الصباح فلما اصبحوا قال الخليفة لعلاء الدين في غد اطلع الديوان فقال له سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ان شاء الله تعالى وانت بخير ثم ان علاء الدين اخذ عشرة اطباق ووضع فيها هديّة سنيّة وطلع بها الديوان في ثاني يوم فبينما الخليفة قاعد على الكرسي في الديوان واذا بعلاء الدين مقبل من باب الديوان وهو ينشد هذين البيتين

تُصَبِّحُكَ السَّعَادَةُ كُلَّ يَوْمٍ ... بِإِجْلَالٍ وَقَدْ رَغَمَ الْحَسُودُ
وَلَا زَالَتْ لَكَ الْأَيَّامُ بِيضًا ... وَأَيَّامُ الَّذِي عَادَاكَ سُودُ

فقال له الخليفة مرحبا يا علاء الدين فقال علاء الدين يا امير المؤمنين ان النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهدية وهذه العشرة اطباق وما فيها هديّة منّي اليك فقبل منه ذلك امير المؤمنين وامر له بخلعة وجعله شاه بندر التجّار واقعده في الديوان فبينما هو جالس واذا بنسيبه ابي زبيدة مقبل فوجد علاء الدين جالسا في رتبته وعليه خلعة فقال لامير المؤمنين يا ملك الزمان لاي شيء هذا جالس في رتبتي وعليه هذه الخلعة فقال له الخليفة انّي جعلته شاه بندر التجار والمناصب تقليد لا تخليد وانت معزول فقال له انه منّا واليه راجعون ونعم ما فعلتَ يا امير المؤمنين الله يجعل خيارنا اولياء امورنا وكم من صغير صار كبيرا ثم ان الخليفة كتب فرمانا لعلاء الدين واعطاه

Digitized by Google

اىّ شيْ جرى لك مع نسيبك فقال لهم عوّمنى الله علينا بما فوق المراد فقالوا له والله انّا كنا خائفين عليك واحرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الدرا ويش قالوا لعلاء الدين والله انّا كنا خائفين عليك وما منعنا عنك الّا قصر ايدينا عن الدراهم فقال لهم قد اتاني الفرج القريب من عند ربي وقد ارسل اليّ والدي خمسين الف دينار وخمسين حملا من القماش ثمن كل حمل الف دينار وبدلة وكرك سمور وبغلة وعبدا وطشتا وابريقا من الذهب ووقع الصلح بيني وبين نسيبى وطابت لي زوجتي والحمد لله على ذلك ثم انّ الخليفة قام يزيل ضرورة فمال الوزير جعفر على علاء الدين وقال له الزم الادب فانك في حضرة امير المؤمنين فقال له اىّ شيْ وقع منّي من قلّة الادب في حضرة امير المؤمنين ومَن هو امير المؤمنين منكم فقال له ان الذي كان يكلّمك وقام يزيل الضرورة هو امير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد وانا الوزير جعفر وهذا مسرور سيّاف نقمته وهذا ابو النواس الحسن بن هانئ فتأمّل بعقلك يا علاء الدين وانظر مسافة كم يوم فى السفر من مصر الى بغداد فقال خمسة واربعون يوما فقال له ان حمولك نُهبت من منذ عشرة ايام فقط فكيف يروح الخبر لابيك ويعزم لك الاحمال وتقطع مسافة خمسة واربعين يوما فى العشرة ايام فقال له ياسيدي ومن ايى اتاني هذا فقال له من عند الخليفة امير المؤمنين بسبب فرط محبته لك فبينما هم في هذا الكلام واذا بالخليفة قد اقبل فقام علاء الدين وقبّل

Digitized by Google

تصرف فيها ولك المكسب وردّلي رأس المال فقال له لا والله لا آخذ شيأ واما مهر زوجتك فاتّفق انت واياها من جهته فقام علاء الدين هو ونسيبه ودخلا البيت بعد ادخال الحمول فقالت زبيدة لابيها يا ابي لمن هذه الاحمال فقال لها هذه الاحمال لعلاء الدين زوجك ارسلها اليه ابوه عوضا عن الاحمال التي اخذها العرب منه وارسل اليه خمسين الف دينار وبقجة وكرك سمور وبغلة وطشتا وابريقا ذهبا واما من جهة مهرك فالرأي لك فيه فقام علاء الدين وفتح الصندوق واعطاها مهرها فقال الولد ابن عم البنت ياعمي خلّ علاء الدين يطلّق لي امرأتي فقال له هذا شيء مابقي يصحّ ابدا والعصمة بيده فراح الولد مغموما مقهورا ورقد في بيته ضعيفا فكان فيها القاضية فمات واما علاء الدين فانه طلع الى السوق بعدان اخذ الاحمال واخذ ما يحتاج اليه من المأكل والمشرب والسمن وعمل نظاما مثل كل ليلة وقال لزبيدة انظري هؤلاء الدراويش الكذّابين قد وعدونا واخلفوا وعدهم فقالت له انت ابن شاه بندر التجّار وكانت يدك قصيرة على نصف فضة فكيف بالمساكين الدراويش فقال لها اغنانا الله تعالى عنهم ولكن مابقيت افتح لهم الباب اذا اتوا الينا فقالت له لاي شيء والخير ما جاءنا الاّ على قدومهم وكل ليلة يحطّون لنا تحت السجادة مائة دينار فلا بدّان تفتح لهم الباب اذا جاؤا فلما ولّى النهار بضيائه واقبل الليل قادوا الشمع وقال لها يا زبيدة قومي اعملي لنا نوبة واذا بالباب يطرق فقالت له قم انظر مَن بالباب فنزل وفتح الباب فرأى الدراويش فقال يامرحبا بالكذّابين اطلعوا فطلعوا معه واجلسهم وجاء لهم بسفرة الطعام فاكلوا وشربوا وتلذّذوا وطربوا وبعد ذلك قالوا له ياسيّدي ان قلوبنا عليك مشغولة

Digitized by Google

من المال وكرك سمور وطشتا وابريقا من الذهب فقال له ابو البنت هذا نسيبي وانا ادلّك على بيته فبينما علاء الدين قاعد في البيت وهو في غمّ شديد واذا بالباب يطرق فقال علاء الدين يا زبيدة الله اعلم ان اباك ارسل اليّ رسولا من طرف القاضي او من طرف الوالي فقالت له انزل وانظر الخبر فنزل وفتح الباب فرأى نسيبه شاه بندر التجار ابا زبيدة ووجد عبدا حبشيا اسمر اللون حلو المنظر راكبا فوق بغلة فنزل العبد وقبّل يديه فقال له اي شيء تريد فقال له انا عبد سيدي علاء الدين ابي الشامات ابن شمس الدين شاه بندر التجار بارض مصر وقد ارسلني اليه ابوه بهذه الامانة ثم اعطاه الكتاب فاخذه علاء الدين وفتحه وقرأه فراى مكتوبا فيه

يَا كِتَابِي إِذَا رَآكَ حَبِيبِي ... قَبِّلِ الْأَرْضَ وَالنِّعَالَ لَدَيْهِ
وَتَمَهَّلْ وَلَا تَكُونُ عَجُولًا ... إِنَّ رُوحِي وَرَاحَتِي فِي يَدَيْهِ

بعد السلام التام والتحية والاكرام من شمس الدين الى ولده ابي الشامات اعلم يا ولدي انه بلغني خبر قتل رجالك ونهب اموالك واحمالك فارسلت اليك غير هذه الخمسين حملا من القماش المصري والبدلة والكرك السمور والطشت والابريق الذهب ولا تخش باسا والمال فداك يا ولدي ولا يحصل لك حزن ابدا وان امّك واهل البيت طيّبون بخير وعافية وهم يسلّمون عليك كثير السلام وبلغني يا ولدي خبر انهم عملوك مستحلّا للبنت زبيدة العودية وعملوا عليك مهرها خمسين الف دينار فهي واصلة اليك صحبة الاحمال مع عبدك سليم فلما فرغ من قراءة الكتاب تسلّم الاحمال ثم التفت الى نسيبه وقال له يا نسيبي خذ الخمسين الف دينار مهر بنتك زبيدة وخذ الاحمال

Digitized by Google

وكل ليلة يحطّ الخليفة تحت السجادة مائة دينار الى ان اقبلت الليلة العاشرة فلم يأتوا وكان السبب في انقطاعهم ان الخليفة ارسل الى رجل عظيم من التجّار وقال له احضر لي خمسين حملا من الاقمشه التي تجيء من مصر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان امير المؤمنين قال لذلك التاجر احضر لي خمسين حملا من القماش الذي يجيء من مصر يكون كل حمل ثمنه الف دينار واكتب على كل حمل قدر ثمنه واحضر لي عبدا حبشيّا فاحضر التاجر جميع ما امره به ثم ان الخليفة اعطى العبد طشتا وابريقا من الذهب وهدية والخمسين حملا وكتب كتابا على لسان شمس الدين شاه بندر التجار بمصر والد علاء الدين وقال له خذ هذه الاحمال وما معها وروح بها الحارة الفلانية التي فيها بيت شاه بندر التجار وقل اين سيدي علاء الدين ابو الشامات فان الناس يدلّونك على الحارة وعلى البيت فاخذ العبد الاحمال وما معها وتوجّه كما امره الخليفة هذا ماكان من امره واما ماكان من امر ابن عم الصبيّة فانه توجّه الى ابيها وقال له تعال نروح لعلاء الدين لنطلّق بنت عمي فنزل وسار هو واياه وتوجّها الى علاء الدين فلما وصلا الى البيت وجدا خمسين بغلا وعليها خمسون حملا من القماش وعبدا راكب بغلة فقالا له لمن هذه الاحمال فقال لسيّدي علاء الدين ابى الشامات فان اباه كان جهّز له متجرا وسفره الى مدينة بغداد فطلع عليه العرب فاخذوا ماله واحماله فبلغ الخبر الى ابيه فارسلني اليه باحمال عوضها وارسل له معي بغلا عليه خمسون الف دينار وبقجة تساوي جملة

Digitized by Google

و لقوم كالدواء ولقوم كالمروحة وكان هؤلاء الدراويش الاربعة الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكي وابونواس الحسن بن هانئ و مسرور سيّاف النقمة و سبب مرورهم على هذا البيت ان الخليفة حصل له ضيق صدر فقال للوزير ياوزير ان مرادنا ان ننزل ونشق فى المدينة لانفسه حاصل عندنا ضيق صدر فلبسوا لبس الدراويش و نزلوا فى المدينة فجازوا على تلك الدار فسمعوا النوبة فاحبّوا ان يعرفوا حقيقة الامر ثم انهم باتوا في حظ و نظام و مناقلة كلام الى ان اصبح الصباح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم اخذوا خاطره وتوجّهوا الى حال سبيلهم فلما رفعت الصبية السجادة رأت مائة دينار تحتها فقالت لزوجها خذ هذه المائة دينار التي وجدتها تحت السجادة فان الدراويش حطّوها قبل ماير وحون وليس لنا علم بذلك فاخذها علاء الدين و ذهب الى السوق واشترى منها اللحم و الارزّ و السمن و جميع ما يحتاج اليه و في ثاني ليلة قاد الشمع وقال لها ان الدراويش لم ياتوا بالعشرة آلاف دينار التي وعدوني بها ولكن هؤلاء فقراء فبينما هما فى الكلام و اذا بالدراويش قد طرقوا الباب فقالت له انزل افتح لهم ففتح لهم وطلعوا وقال لهم هل احضرتم العشرة آلاف التى وعدتموني بها فقالوا له ما تيسر منها شيء و لكن لاتخش بأسا ان شاء الله تعالى في غد نطبخ لك طبخة كيمياء وأمر زوجتك ان تسمعنا نوبة عظيمة تنتعش بها قلوبنا فاننا نحبّ السماع فعملت لهم نوبة على العود ترقص الصخر الجلمود فباتوا في هنأ ومرور ومسامرة و حبور الى ان طلع الصباح واضاء بنوره ولاح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم اخذوا خاطره وانصرفوا من عنده الى حال سبيلهم و لم يزالوا يا تون اليه على هذا الحال مدة تسع ليال

Digitized by Google

ثم قامت وهيّأت الطعام واحضرت السفرة فاكلوا وشربوا وتلذّذوا وطربوا ثم طلب منها ان تعمل نوبة سماع فاخذت العود وعملت نوبة يطرب منها الحجر الجلمود ونادت الاوتار فى الحضرة يا داؤد ودخلت في دارج النوبة فبينمـــا هما في حظّ ومزاح وبسط وانشراح واذا بالباب يطرق فقالت له ثم انظر مَن بالباب فنزل وفتح الباب فوجد اربعة دراويشا واقفين فقال لهم ايّ شيءٍ تطلبون فقالوا له ياسيدي نحن دراويش غرباء الله يار وقوت اروا حنا السماع ورقائق الاشعار ومرادنا ان نرتاح عندك هذه الليلة الى وقت الصبـــاح ثم نتوجّه الى حال سبيلنا واجرك على الله تعالى فانّنا نعشق السماع وما فينا واحد الّا ويحفظ القصائد والاشعار والموشّحات فقال لهم على مشورة ثم طلع واعلمها فقالت له افتح لهم الباب ففتح لهم الباب واطلعهم واجلسهم ورحّب بهم ثم احضر لهم طعاما فلم يأكلوا وقالوا له ياسيدي ان زادنا ذكر الله بقلوبنا وسماع المغاني بآذاننا ولله درّ من قـــــــال

وَمَا الْقَصْدُ اِلَّا اَنْ يَكُوْنَ اجْتِمَاعُنَا * وَمَا الْاَكْلُ الَّا سِيْمَةٌ لِلْبَهَائِمِ

وقد كنا نسمع عندك سماعا لطيفا فلما طلعنا بطل السماع فيا هل ترى التي كانت تعمل النوبة جارية بيضاء اوسوداء اوبنت ناس فقال لهم هذه زوجتي وحكى لهم جميع ماجرى له وقال لهم ان نسيبي عمل عليّ عشرة آلاف دينار مهرها وامهلوني عشرة ايام فقال له درويش منهم لاتحزن ولا تأخذ في خاطرك الّا الطيب فانا شيخ التكية وتحت يدي اربعون درويشا احكم عليهم وسوف اجمع لك العشرة آلاف دينار منهم وتوفى المهر الذي عليك لنسيبك ولكن مرها ان تعمل لنا نوبة لاجل ان نفرح ويحصل لنا انتعاش فان السماع لقوم كالغذاء

Digitized by Google

لاىّ شىءٍ ما تطلّق وتاخذ الف دينـــار والبغلة والبدلة على حكم الشرط الذي شرطناه عليك فقل لهم انا عندي فيها كل شعرة بالف دينار ولا اطلّقها ابدا ولا آخذ بدلة ولا غيرها فاذا قال لك القاضي ادفـــع المهر فقل له انا معسر الآن وحينئذ يترفّق بك القـــاضي والشهود ويمهلونك مدة فبينما هما فى الكلام واذا برسول القاضي يدقّ الباب فخرج اليه فقال له الرسول كلّم الافنـــدي فان نسيبك طالبك فاعطاه خمسة دنانير وقال له يا محضر في اىّ شرع يجوز انّي اتزوّج فى العشـــاء واطلّق فى الصباح فقال له لايجوز عندنا ابدا وان كنت تجهـــل الشرع فانا اعمل وكيلك وساروا الى المحكمة فقال له القاضي لاىّ شىءٍ لم تطلّق المرأة وتأخذ ما وقع عليه الشرط فتقدّم الى القاضي وقبّل يده ووضع فيها خمسين دينـارا وقال له يامولانا القاضي في اىّ مذهب يجوز انّي اتزوّج فى العشاء واطلّق فى الصباح قهرا عنّي فقال القاضي لا يجوز الطلاق بالاجبار في مذهب من مذاهب المسلمين فقال ابو الصبيـــة ان لم تطلق فادفع لي الصداق عشرة آلاف دينار فقال علاء الدين امهلني ثلثـــة ايام فقال القاضي لاتكفي ثلثة ايام فى المهلـة بل يمهلك عشرة ايام واتفقوا على ذلك وشرطوا عليه بعد العشرة ايام اما المهر واما الطلاق وطلع من عندهم على هذا الشرط فاخذ اللحم والارز والسمن وما يحتاج اليه الامر من المأكل وتوجّه الى البيت فدخل على الصبية وحكي لها جميع ما جرى له فقالت له بين الليل والنهـــار عجائب ولله درّ من قـــــــــــــــــــــــــــــــــــــال

كُنْ حَلِيمًـا اِذَا بُلِيتَ بِغَيْظٍ ... وَصَبُورًا اِذَا اَتَتْكَ مُصِيبَـةْ

اِنَّ اللَّيَالِيْ مِنَ الزَّمَانِ حَبَالِيْ ... مُثْقَلَاتٌ يَلِدْنَ كُلَّ عَجِيبَـةْ

Digitized by Google

يا ابا العروق وحطّ يديه في خاصرتيها ووضع عرق الحلاوة في باب الخرق ودفعه فوصل الى باب الشعرية وكان مرورة من باب الفتوح وبعد ذلك دخل سوق الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس فوجد البساط على قدر اللبوان ودور الحق على غطاه حتى التقاه فلمّا اصبح الصباح قال لها يا فرحة ما تمّت اخذها الغراب وطار فقالت له ما معني هذا الكلام فقال لها يا سيّدتي ما بقي لي تعود معك غير هذه الساعة فقالت له من يقول ذلك فقال لها ان اباك كتب عليّ حجة بعشرة آلاف دينار مهرك وان لم اوردها في هذا اليوم حبسوني عليها في بيت القاضي والآن يدي قصيرة من نصف فضة واحد من العشرة آلاف دينار فقالت له يا سيّدي هل العصمة بيدك او بايديهم فقال لها العصمة بيدي ولكن ما معي شيء فقالت له ان الامر سهل ولا تخش شيأ ولكن خذ هذه المائة دينار ولوكان معي غيرها لاعطيتك ما تريد فانّ ابي من محبته لابن اخيه حوّل جميع ما له من عندي الى بيته حتى صيغتي اخذها كلها واذا ارسل اليك رسولا من طرف الشرع في غد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان للصبيّة قالت لعلاء الدين و اذا ارسلوا اليك رسولا من طرف الشرع في غد وقال لك القاضي وابي طلّق فقل لهما في اي مذهب يجوز النّي اتزوّج في العشاء واطلّق في الصباح ثم انك تقبّل يد القاضي وتعطيه احسانا وكذا كل شاهد تقبل يده وتعطيه عشرة دنانير فكلهم يتكلمون معك فاذا قالوا لك

Digitized by Google

فقامت الصبيّة وقدزادت محبتها له ورفعت الستارة فلما رآها علاء الدين انشد هذين البيتين

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ غُصْنَ بَانٍ ... وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنَتْ غِزَالاً
كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي ... فَسَاعَةُ هَجْرِهَا يَجِدُ الْوِصَالاَ

ثم انها خطرت تهزّ ارداقا تميل باعطاف صنعة خفيّ الالطاف ونظر كل واحد منهما صاحبه نظرة اعقبته الف حسرة فلما تمكّن في قلبه منها سهم اللحظين انشد هذين البيتين

رَأَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ فَاذْكَرَتْنِي ... لَيَالِيَ وَصْلِهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ
كِلاَنَا نَاظِرٌ قَمَرًا وَلَكِنْ ... رَأَيْتُ بِعَيْنِهَا وَرَأَتْ بِعَيْنِي

فلما قربت منه ولم يبق بينه وبينها الاّ خطوتين انشد هذين البيتين

نَشَرَتْ ثَلْثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا ... فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعًا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا ... فَأَرَتْنِيَ الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا

فلّما اقبلت عليه قال لها ابعدي عنّي لئلاّ تُعْدِيَنِي فكشفت عن معصمها فانفرق المعصم فرقتين وبياضه كبياض اللُجين فقالت له ابعد عنّي فانك مبتل بالجُذام لئلا تُعْدِيَنِي فقال لها من اخبرك اني مجذوم فقالت له العجوز اخبرتني بذلك فقال لها وانا الآخر اخبرتني العجوز انكِ مصابة بالبرص ثم كشف لها عن ذراعيه فوجدت بدنه كالفضة النقيّة فضمّته الى حضنها وضمّها الى صدره واعتنق الاثنان ببعضهما ثم اخذته وراحت على ظهرها وفكّت لباسها فتحرّك عليه الذي خلفه له الوالد فقال مددك يا شيخ ذكريا

Digitized by Google

ذلك فانا اطلب منك ان تعملي حيلة وتمنعي الصبيّة عنه فقالت له وحياة شبابك ما اخلّيه يقربها ثم انها جاءت لعلا الدين وقالت له يا ولدي انا انصحك لله تعالى فاقبل نصيحتي فاني اخاف عليك من تلك الصبية ودعها تنام وحدها ولا تلمسها ولا تقربها فقال لاي شيء فقالت له ان جسدها ملآن بالجذام واخاف عليك منها ان تعدّي شبابك المليح فقال ليس لي بها حاجة ثم انتقلت الى الصبية وقالت لها مثل ما قالت لعلاء الدين فقالت لها لا حاجة لي به بل ادعه ينام وحده ولما يصبح يروح الى حال سبيله ثم دعت جارية وقالت لها خذي سفرة الطعام واعطيها له يتعشّى فحملت له الجارية سفرة الطعام ووضعتها بين يديه فاكل حتى اكتفى ثم قعد وفتح صوتا حسنا وقرأ سورة يٰسين فصغت له الصبية فوجدت صوته يشبه مزامير آل داوُد فقالت في نفسها الله ينكد على هذه العجوز التي قالت لي عليه انه مبتل بالجذام فمن كانت به هذه الحالة لايكون صوته هكذا وانما هذا الكلام كذب عليه ثم انها وضعت في يديها عودا من صنعة بلاد الهنود واصلحت اوتاره وغنّت عليه بصوت حسن يوقف الطير في كبد السماء وصارت تنشد هذين البيتين

تَعَشَّقْتُ ظَبْيًا نَاعِسَ الطَّرْفِ اَحْوَرَا ... تَغَارُ غُصُوْنُ الْبَانِ مِنْهُ اِذَا مَشَى
يُمَانِعُنِي وَالْغَيْرُ يُحْظَى بِوَصْلِهِ ... وَذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشَا

فلما سمعها انشدت تقول هذا الكلام بعد ان ختم السورة غنّى هو وانشد هذا البيت

سَلَامِيْ عَلَى مَنْ فِي الثِّيَابِ مِنَ الْقَدِّ ... وَمَا فِيْ بَسَاتِيْنِ الْخُدُوْدِ مِنَ الْوَرْدِ

Digitized by Google

اىّ وجه تعطيني ذلك يا عمّي فقال له ان هذا الغلام الذي معي ابن اخي ولم يكن لابيه غيره وانا عندي بنت لم يكن لي غيرها تسمّى زبيدة العودية وهي ذات حسن وجمال فزوّجتها له وهو يحبّها وهي تكرهه فحنث في يمينه بالطلاق الثلث فما صدقت زوجته بذلك حتى افترقت منه فسلق علىّ جميع الناس اني اردّها له فقلت له هذا لايصح الا بالمستحلّ واتفقت معه على ان نجعل المحلّل واحدا غريبا حتى لايعايره احد بهذا الامر وحيث كنت انت غريبا فتعال معنا لنكتب كتابك عليها وتبيت معها تلك الليلة وتصبح تطلّقها ونعطيك ما ذكرته لك فقال علاء الدين في نفسه والله مبيت ليلة مع عروس في بيت على فراش احسن من مبيتي فى الازقّة والدهاليز فسار معهما الى القاضي فلما نظر القاضي الى علاء الدين وقعت محبّته في قلبه وقال لابى البنت اىّ شئ مرادكم فقال مرادنا ان نعمل هذا مستحلّا لبنتنا على هذا الغلام ولكن نكتب عليه حجة بمقدم الصداق عشرة آلاف دينار فان بات عندها ومتى اصبح طلّقها اعطيناه بدلة بالف دينار وبغلة بالف دينار واعطيناه الف دينار وان لم يطلّقها يحط عشرة آلاف دينار فعقدوا العقد على هذا الشرط واخذ ابو البنت حجّة بذلك ثم اخذ علاء الدين معه والبسه البدلة وساروا به الى ان وصلوا داربنته فاوقفه على باب الدار ودخل على بنته وقال لها خذي حجّة صداقك فاني كتبت كتابك على شاب مليح يسمى علاء الدين ابا الشامات فتوصي به غاية الوصية ثم اعطاها الحجة وراح التاجر الى بيته واما ابن عمّ البنت فانه كان له قهرمانة تتردّد على زبيدة العودية بنت عمّه وكان يحسن اليها فقال لها يا امّي ان زبيدة بنت عمّي متى رأت هذا الشاب المليح لم تقبلني بعد

Digitized by Google

حَدَّثَنَا عَنْ بَعْضِ اَشْيَاخِهِ اَبُوْ بِلَالٍ شَيْخُنَا عَنْ شَرِيْكْ
لَا يَشْتَفِي الْعَاشِقُ مِمَّا بِهِ بِالضَّمِّ وَ التَّقْبِيْلِ حَتَّى يَنِيْكْ

فقال له علاء الدين ان هذا شيٌ لا يمكن ابدا و لكن خذ بدلتك وبغلتك و افتح لي الباب حتى اروح ففتح له الباب فطلع علاء الدين والكلاب تنبح وراءه وسار فبينما هو سائر في الظلام اذرأى باب مسجد فدخل في دهليز المسجد و استكنّ فيه واذا بنور مقبل عليه فتامّله فراى فانوسين في يدّي عبدين قدّام اثنين من التجار واحد منهما اختيار حسن الوجه والثاني شاب فسمع الشاب يقول للاختيار بالله يا عمّي ان تردّلي بنت عمّي فقال له اَمَا نهيتُك مرارا عن يدة وانت جاعل الطلاق مصحفك فالتفت الاختيار على يمينه فرأى ذلك الولد كانّه فلقة قمر فقال له السلام عليك فردّ عليه السلام فقال له يا غلام من انت قال له انا علاء الدين بن شمس الدين شاه بندر التجّار بمصر وتمنيّت على والدي المتجر فجهّز لي خمسين حملا من القماش والبضاعة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان علاء الدين قال فجهّز لي والدي خمسين حملا من البضاعة واعطاني عشرة آلاف دينار وسافرتُ الى ان وصلت الى غابة الاسد فطلع عليّ العرب واخذوا مالي واحمالي فدخلتُ هذه المدينة وما ادري اين ابيت فرأيت هذا المحلّ فاستكنّيت فيه فقال له يا ولدي ما تقول في اني اعطيك الف دينار وبدلة بالف دينار وبغلة بالف دينار فقال له علاء الدين على

Digitized by Google

اصابك فقال لهم لدغتني فرخ عقرب فاخذوا القافلة وساروا هذا ماكان من امرهم و اما ماكان من امر علاء الدين فانه استمرّ نائما في شباك الصهريج و اما ماكان من امر التاجر محمود البلخي فانه امر بتحميل الاحمال و سافر الى ان وصل الى غابة الاسد فلقي غلمان علاء الدين كلهم قتلى ففرح بذلك وترجّل الى ان وصل الى الصهريج والحوض وكانت بغلة محمود البلخي عطشانة فمالت لتشرب من الحوض فرأت خيال علاء الدين فجفلت منه فرفع محمود البلخي عينه فرأى علاء الدين نائما وهو عريان بالقميص واللباس فقط فقال له محمود البلخي مَن فعل بك هذه الفعال وخلّاك في اسوء حال فقال له العرب فقال له يا ولدي فداك البغال و الاموال وتسلّ بقول من قال

إِذَا سَلِمَتْ هَامُ الرِّجَالِ مِنَ الرَّدَى فَمَا الْمَالُ إِلَّا مِثْلُ قَصِّ الْأَظَافِرِ

ولكن يا ولدي انزل ولاتخش بأسا فنزل علاء الدين من شبّاك الصهريج واركبه بغلة وسافروا الى ان دخلوا مدينة بغداد في دار محمود البلخي فامر بدخول علاء الدين الحمّام وقال له المال والاحمال فداؤك يا ولدي وان طاوعتني اعطيك قدر مالك واحمالك مرّتين وبعد طلوعه من الحمام ادخله قاعة مزركشة بالذهب لها اربعة لواوين ثم امر باحضار سفرة فيها جميع الاطعمة فاكلوا وشربوا ومال محمود البلخي على علاء الدين لياخذ منه قبلة فلقيها علاء الدين بكفّه وقال له هل انت الى الآن تابع لضلالك معي امّا قلت لك انا لو كنت بعت هذه البضاعة لغيرك بالذهب لكنت ابيعها لك بالفضة فقال له انا ما اعطيك المتجر والبغلة والبدله الّا لاجل هذه القضية فانني في غرامي بك في خبال ولله درّ من قال

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان البدوي لمّا قال لجماعته يا عرب هذه القافلة داخلة من مصر اوخارجة من بغداد فقالوا له هذه داخلة من مصر الى بغداد فقال لهم ردّوا على القتلى لا ني اظن ان صاحب هذه القافلة لم يمت فردّ العرب على القتلى وصاروايزودون القتلى بالطعن والضرب الى ان وصلوا الى علاءالدين وكان قد القي نفسه بين القتلى فلما وصلوا اليه قالوا له انت جعلت نفسك ميتّا فنحن نكمل قتلك وسحب البدوي الحربة واراد ان يغرزها في صدر علاءالدين فقال علاءالدين يا بركتك ياسيدي عبدالقادر يا جيلاني فنظر علاءالدين الى يدحوّلت الحربة عن صدره الى صدر المقدّم كمال الدين العكّام فطعنه البدوي بها وامتنع عن علاءالدين ثم حملوا الاحمال على ظهور البغال ومشوا بها فنظر علاءالدين فرأى الطير قد طارت بارزاقها فقعد على حيله وقام يجري واذا بالبدوي ابو نائب قال لرفقائه انا رايت زوالا يا عرب فطلع واحد منهم فرأى علاءالدين يجري فقال له لاينفعك الهروب ونحن وراءك ولكز فرسه فا سرعت وراءه وكان علاءالدين قد رأى قدّامه حوضا فيه ماء وبجانبه صهريج فطلع علاءالدين الى شباك فى الصهريج وامتدّ وجعل نفسه انه نائم وقال ياجميل الستر سترك الذي لاينكشف واذا بالبدوي وقف تحت الصهريج فى الركابين ومدّ يده ليقبض علاءالدين فقال علاءالدين يا بركتك ياسيدتي نفيسة هذا وقتك واذا بعقرب لدغت البدوي في كفّه فصرخ وقال آه تعالَوا لي يا عرب فاني لُدغت ونزل من فوق ظهر حجره فاتاه رفقاؤه واركبوه ثانيا على حجره وقالوا له ايّ شيء

Digitized by Google

ويعرفوني فقال له المقدم افعل ماتريد فانا نصحتك وانت تعرف خلاصك فامرهم علاء الدين بتنزيل الاحمال عن البغال فانزلوا الاحمال ونصبوا الصيوان واستمرّوا مقيمين الى نصف الليل ثم طلع علاء الدين يزيل ضرورة فراى شيأ يلمع على بُعد فقال للعكّام يا مقدّم ما هذا الشيءُ الذي يلمع فقعد المقدّم على حيله وتأمّل وحقّق النظر فرأى بالذي يلمع اسنّة رماح وحديد سلاح وسيوفا بدوية واذا بهم عُرب ومقدّمهم يسمّى شيخ العرب عجلان ابو نائب ولما قرب العرب منهم وراوا حمولهم قالوا لبعضهم يا ليلة الغنيمة فلما سمعوهم يقولون ذلك قال المقدم كمال الدين العكّام حاس يا اقل العرب فلطشه ابو نائب بحربته في صدره فخرجت تلمع من ظهره فوقع على باب الخيمة قتيلا فقال السقاء حاس يا اخس العرب فضربوه بشيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه ووقع قتيلا كل هذا جرى وعلاء الدين واقف ينظر ثم ان العرب جالوا وصالوا على القافلة فقتلوهم ولم يبقوا احدا من طائفة علاء الدين فحملوا الاحمال على ظهور البغال وراحوا فقال علاء الدين لنفسه ما يقتلك الّا بغلتك وبدلتك هذه فقام وقلع البدلة ورماها على ظهر البغلة الى ان بقي بالقميص واللباس فقط والتفت قدّامه الى باب الخيمة فراى بركة دم سائلة من دماء القتلى فصار يتمرّغ فيها بالقميص واللباس حتى صار كالقتيل الغريق في دمه هذا ماكان من امره واما ما كان من امر شيخ العرب عجلان فانه قال لجماعته يا عرب هذه القافلة داخلة من مصر او خارجة من بغداد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

Digitized by Google

اَيُمْكِنُ اَنْ تَجِيْءَ لَنَا لُحَيْظَـــهْ كَحَلْبِ شُوَيْهَةٍ اَوْشِيِّ بَيْضَـــهْ
وَتَأْكُلَ مَا تَيَسَّرَ مِنْ خُبَيْزٍ وَتَقْبِضَ مَا تُحَصِّلُ مِنْ فُضَيْضَهْ
وَتَحْمِـــلَ مَا تَشَاءُ بِغَيْرِ عُسْرٍ شُبَيْـــرًا اَوْ فُتَيْرًا اَوْ قُبَيْضَـــهْ

ثم ان محمود البلخي همّ بعلاء الدين ان يفترسه فقام علاء الدين وجرّد سيفه و قال له واشيبتاه اما تخشى الله و هو شديد المحال ورحم الله من قـــال

اِحْفَظْ مَشِيْبَكَ مِنْ عَيْبٍ يُدَنِّسُهُ اِنَّ الْبَيَاضَ سَرِيْعُ الْحَمْلِ لِلدَّنَسِ

فلما فرغ علاء الدين من شعره قال لمحمود البلخي ان هذه البضاعة امانة لله لاتباع ولو بعتُ هذه البضاعة لغيرك بالذهب لبعتُها لك بالفضة ولكن والله يا خبيث ما بقيتُ ارافقك ابدا ثم رجع علاء الدين الى المقدّم كمال الدين وقال له ان هذا رجل فاسق فانا ما بقيتُ ارافقه ابدا ولا امشي معه في طريق فقال له يا ولدي اَمَا قلت لك لاتـــرح عنده ولكن يا ولدي ان افترقنا منه نخشى على انفسنا التلف فخلّنا نقلا واحدا فقال له لا يمكن ان ارافقه في الطريق ابدا فحمل علاء الدين حموله وسار هو ومن معه الى ان نزلوا في واد وارادان يحطّوا فيه فقال العكّام لاتحطّوا هنا واستمرّوا رائحين واَسرِعوا في المسير لعلّنا نحصل بغداد قبل ان تقفل ابوابها فانهم لايفتحونها ولا يقفلونها الاّبشمس خوفا على المدينة ان يملكها الرُوافض ويرموا كتب العلم في الدجلة فقال له يا والدي انا ما طلعتُ ولا توجهتُ بهذا المتجر اِلى هذه البلدة لاجل السبب بل لاجل الفرجة على بلاد الناس فقال له يا ولدي نخشى عليك وعلى مالك من العرب فقال له يا رجل هل انت خادم ام مخدوم انا ما ادخل بغداد الاّمع الصباح لاجل ان تنظر اولاد بغداد الى متجري

Digitized by Google

فذهب اليه وودّعه وقال له اعط الالف دينار لولدي علاء الدين و اوصاه عليه وقال له انه مثل ولدك فاجتمع علاء الدين بمحمود البلخي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان علاء الدين اجتمع بمحمود البلخي فقام محمود البلخي واوصى طبّاخ علاء الدين انه لايطبخ شيأ وصار محمود يقدم لعلاء الدين المأكل والمشرب هو وجماعته ثم توجّهوا للسفر وكان للتاجر محمود البلخي اربعة بيوت واحد في مصر وواحد في الشام وواحد في حلب وواحد في بغداد ولم يزالوا مسافرين في البراري والقفار حتى اشرفوا على الشام فارسل محمود البلخي عبده الى علاء الدين فرآه قاعدا يقرأ فتقدّم وقبّل اياديه فقال له ماتطلب فقال له سيدي يسلّم عليك و يطلبك لعزومته في منـــزله فقال له لمّا اشاور ابي المقدم كمال الدين العكّام فشاوره علي الرواح فقال له لاترح ثم سافروا من الشام الى ان دخلوا حلب فعمل محمود البلخي عزومة وارسل يطلب علاء الدين فشاور المقدم فمنعه وترحّلوا من حلب الى ان بقي بينهم وبين بغداد مرحلة فعمل محمود البلخي عزومة وارسل يطلب علاء الدين فشاور المقدم فمنعه فقال علاء الدين لا بدّ لي من الرواح ثم قام وتقلّد بسيف تحت ثيابه وسار الى ان دخل على محمود البلخي فقام لملتقاه وسلّم عليه واحضر سفرة عظيمة فاكلوا و شربوا و غسلوا ايديهم ومال محمود البلخي على علاء الدين لياخذ منه قبلة فلاقاها في كفّه وقال له ما مرادك ان تعمل فقال له اني احضرتك و مرادي اعمل معك حظّا في هذا المجال ونفسّر قول من قـــال

Digitized by Google

الرزق رزق الله و ان كان لي فيه نصيب لم يصبني ضرر ثم ركب علاء الدين مع والده وسار الى سوق الدواب و اذا بعكّام نزل من فوق بغلته وقبّل يد شاه بندر التجّار و قال له والله زمان يا سيدي ما استقضيتنا في تجارات فقال له لكل زمان دولة و رجال ورحم الله تعالى من قال

وَشَيْخٍ فِي جِهَاتِ الْأَرْضِ يَمْشِي ... وَ لِحْيَتُهُ تُعَابِلُ رُكْبَتَيْهِ
فَقُلْتُ لَهُ لِمَاذَا انْتَ مُحْنٍ ... فَقَالَ وَقَدْ لَوَى نَحْوِي يَدَيْهِ
شَبَابِي فِي الثَّرَى قَدْ ضَاعَ مِنِّي ... وَهَا أَنَا مُنْحَنٍ بَحْثًا عَلَيْهِ

فلما فرغ من شعره قال يا مقدّم ما مراده السفر الّا ولدي هذا فقال له العكام الله يحفظه عليك ثم ان شاه بندر التجّار عاهد بين ولده وبين العكام وجعله ولده و اوصاه عليه و قال له خذ هذه المائة دينار لغلمانك ثم ان شاه بندر التجار اشترى ستين بغلا وقنديلا وسترًا لسيدي عبد القادر الجيلاني وقال له يا ولدي انا غائب و هذا ابوك عوضا عني وجميع ما يقوله لك طاوعه فيه ثم توجّه بالبغال و الغلمان و عملوا في تلك الليلة ختمة و مولدًا للشيخ عبد القادر الجيلاني فلما اصبح الصباح اعطى شاه بندر التجار لولده عشرة آلاف دينار و قال له اذا دخلتَ بغداد و لقيتَ حال القماش رايجا بعْه وان لقيت حاله واقفا اصرف من هذه الدنانير ثم حملوا البغال وودّعوا بعضهم وساروا متوجّهين حتى خرجوا من المدينة وكان محمود البلخي تجهّز للسفر الى جهة بغداد واخرج حموله ونصب صواوينه خارج المدينة وقال في نفسه ماتحظى بهذا الولد الّا في الخلاء لانه لا واش ولا رقيب يعكر عليك وكان لابي الولد الف دينار عند محمود البلخي بقيّة معاملة

Digitized by Google

اىّ البلاد فقال لها الى مدينة بغداد فان الانسان يكتسب فيها المثل الذي معه بمثلين فقالت له يا ولدي ان اباك عنده مال كثير وان لم يجهّزلك متجرا من ماله فانا اجهّز لك متجرا من عندي فقال لها خيرالبرّ عاجله وان كان معروفا فهذا وقته فاحضرت العبيد وارسلتهم الى الذين يحزمون القماش وفتحت حاصلا واخرجت له منه قماشا و حزموا له عشرة احمال هذا ما كان من امرامّه و اما ماكان من امر ابيه فانه التفت فلم يجد ابنه علاء الدين في البستان فسأل عنه فقالوا له انه ركب بغلته و راح الى البيت فركب وتوجّه خلفه فلما دخل منزله رأى احمالا محزومة فسأل عنها فاخبرته زوجته بما وقع من اولاد التجّار لولده علاء الدين فقال له يا ولدي خيّب الله الغربة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة المرأ ان يُرزق في بلده و قال الاقدمون دَعِ السفر و لو كان ميلا ثم قال لولده هل صممت على السفر ولا ترجع عنه فقال له ولده لابدّ لي من السفر الى بغداد بمتجر و الّا قلعت اثوابي و لبست ثياب الدراويش وطلعت سايحا في البلاد فقال له ما انا عاوزولا معدم بل عندي مال كثير واراه جميع ما عنده من المال والمتاجر و القماش وقال له انا عندي لكل بلد ما يناسبها من القماش و المتاجر واراه من جملة ذلك اربعين حملا محزومة مكتوبا على كل حمل ثمنه الف دينار ثم قال له يا ولدي خذ الاربعين حملا والعشرة احمال التي من عند امّك وسافر مع سلامة الله تعالى و لكن يا ولدي اخاف عليك من غابة في طريقك تسمّى غابة الاسد ووادهناك يقال له وادي الكلاب تروح فيهما الارواح بغير سماح فقال له لما ذا يا والدي فقال له من بدوي قاطع الطريق يقال له عجلان فقال له

Digitized by Google

التجار واقترضت منه الف دينـــار فاشتريت بها قمـــاشا وسافرت به الى الشام فربحت المثل مثلين ثم اخذتُ متجرا من الشام وسافرت به الى حلب وبعتـــه فكسبت المثل بمثلين ثم اخذت متجرا من حلب وسافرت به الى بغداد وبعته ثم ربحت المثل مثلين ولم ازل اتّجر به حتى صار رأس مالي نحو عشرة آلاف دينار وصار كلواحد من الاولاد يقول لرفيقه مثـــل ذلك الى ان دار الدور وجاء الكلام على علاء الدين ابى الشامات فقالوا له وانت يا سيدي علاء الدين فقال لهم انا تربيّت في طابق تحت الارض وطلعت منه في هذه الجمعة وانا اروح الدكّان وارجع منه الى البيت فقالوا له انت متعوّد على قعود البيت ولاتعرف لذة السفر والسفر مايكون الّا للرجال فقال لهم انا مالي حاجـة بالسفر وليس للراحة قيمةٌ عندي فقال واحد منهم لرفيقه هذا مثل السمك اذا فارق الماء مات ثم قالوا له يا علاء الدين ما فخر اولاد التجار الّا بالسفر لاجل المكسب فحصل لعلاء الدين غيظ بسبب ذلك وطلع من عند الاولاد وهو باكي العين حزين الفؤاد وركب بغلته وتوجّه الى البيت فنظرته امّه في غيظ زائد باكى العين فقالت له ما يبكيك ياولدي فقال لها ان اولاد التجّار جمعيا عايروني وقالوا لي ما فخر اولاد التجّـــار الّا بالسفر لاجل ان يكسبوا الدرا هم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــبـــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان علاء الدين قال لوالدتـه ان اولاد التجّار عايروني وقالوا لي ما فخر اولاد التجّار الّا بالسفر لاجل المكسب فقالت له امّه ياولدي هل مرادك السفر قال نعم فقالت له اتسافر الى

Digitized by Google

و ادخل به القاعة واقعده على السماط فقال له لاىّ شئ يا ابي ما سبب انك تعمل سماطين واحدا للرجال وواحدا للاولاد فقال يا ولدي ان الامرد يستحي ان يأكل عند الرجال فاستحسن ذلك ولده فلما جاء التّجار صار شمس الدين يقابل الرجال و يجلسهم فى القصر وولده علاء الدين يقابل الاولاد ويجلسهم في القاعة ثم وضعوا الطعام فاكلوا وشربوا وتلذّذوا و طربوا وشربوا الشربات واطلقوا البخورات فقعد الاختيارية في مذاكرة العلم والحديث وكان بينهم رجل تاجر يسمّى محمود البلخي وكان مسلما في الظاهر مجوسيا في الباطن وكان يبغى الفساد ويهوى الاولاد فنظر في وجه علاء الدين نظرة اعقبته الف حسرة و علق له الشيطان جوهرة في وجهه فاخذه به الغرام والوجد و الهيام وتعلّق قلبه بمحبته وكان ذلك التاجر الذى اسمه محمود البلخي يأخذ القماش والبضائع من والد علاء الدين ثم ان محمود البلخي قام يتمشّى وانعطف نحو الاولاد فقاموا لملتقاه وكان علاء الدين انحصر برياقة الماء فقام يزيل الضرورة فالتفت التاجر محمود الى الاولاد وقال لهم ان طيبتم خاطر علاء الدين على السفر معي لاعطي كلواحد منكم بدلة تساوي جملة من المال ثم توجّه من عندهم الى مجلس الرجال فبينما الاولاد جالسون واذ بعلاء الدين اقبل عليهم فقاموا لملتقاه واجلسوه بينهم في صدر المقام فقام ولد منهم وقال لرفيقه ياسيدي حسن اخبرني برأس المال الذي عندك تبيع فيه وتشتري من اين جاءك فقال له انا لمّا كبرت وانتشئت وبلغت مبلغ الرجال قلت لابي يا والدي احضر لي متجرا فقال لي يا ولدي ما عندي شئ ولكن رح خذلك مالا من واحد تاجر واتّجر به وتعلّم البيع والشراء والاخذ والعطاء فتوجّهت الى واحد من

Digitized by Google

اسكت قبّح الله ذاتك و صفاتك هذا ولدي فقال له عمرنا ما رأينا لك ولدا فقال له لمّا جئتني بمعكر البيض حملت زوجتي و ولدته و لكن انا من خوفي عليه من العين ربّيته في طابق تحت الارض و كان مرادي انه لا يطلع من الطابق حتى يمسك لحيته بيده فما رضيت امّه و طلب مني ان افتح له دكّانا و احطّ عنده بضائع واعلّمه البيع و الشراء فذهب النقيب الى التجار و اخبرهم بحقيقة الامر فقاموا كلهم بصحبة النقيب و توجّهوا الى شاه بندر التجار و وقفوا بين يديه وقرأوا الفاتحة و هنّوه بذلك الغلام و قالوا له ربنا يبقي الاصل والفرع و لكن الفقير منا لمّا ياتيه ولد اوبنت لابدان يصنع لاخوانه دست عصيدة ويعزم معارفه و اقاربه و انت لم تعمل ذلك فقال لهم لكم عليّ ذلك و يكون اجتماعنا في البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائتين

قالت لها اختها دنيا زاد يا اختي اتمّي لنا حديثك ان كنت يقظانة غير نائمة قالت حبا وكرامة بلغني ايها الملك السعيد ان شاه بندر التجار وعد التجار بالسماط وقال لهم يكون اجتماعنا فى البستان فلما اصبح الصباح ارسل الفرّاش للقاعة و القصر الذين فى البستان و امره بفرشهما وارسل آلة الطبخ من اغنام و سمن و غير ذلك مما يحتاج اليه الحال وعمل سماطين سماطا فى القصر و سماطا فى القاعة و تحزّم التاجر شمس الدين وتحزّم ولده علاء الدين وقال له يا ولدي اذا دخل الرجل الشائب فانا اتلقّاه و اجلسه على السماط الذي في القصر و انت يا ولدى لمّا تنظر الولد الامرد داخلا فخذه

Digitized by Google

من الطابق فقالت له يا ابن عمي انا ما اخرجته ولكن الخدم نسوا ان يقفلوا الطابق وتركوه مفتوحا فبينما انا قاعدة وعندي محضر من اكابر النساء واذابه دخل علينا واخبرته بماقاله ولده فقال له يا ولدي في غد ان شاء الله تعالى آخذك معي الى السوق ولكن يا ولدي تعودالاسواق والدكاكين يحتاج الى الادب والكمال في كل حال فبات علاءالدين وهو فرحان من كلام ابيه فلما اصبح الصباح ادخله الحمام والبسه بدلة تساوي جملة من المال ولما افطروا وشربوا الشربات ركب بغلة واركب ولده بغلة واخذه وراءه وتوجه به الى السوق فنظر اهل السوق شاه بندر التجار مقبلا ووراءه غلام ذكر كانه فلقة قمر في ليلة اربعة عشر فقال واحد منهم لرفيقه انظر هذا الغلام الذي وراء شاه بندر التجار قد كنا نظن به الخير وهو مثل الكراث شائب وقلبه اخضر فقال الشيخ محمد سمسم النقيب المتقدم ذكره للتجار نحن يا تجار ما بقينا نرضى به ان يكون شيخا علينا ابدا وكان من عادة شاه بندر التجار انه لما يأتي من بيته في الصباح ويقعد في دكانه يتقدم نقيب السوق ويقرأ الفاتحة للتجار فيقومون معه ويأتون الى شاه بندر التجار ويقرؤن له الفاتحة ويصبحون عليه ثم ينصرف كلواحد منهم الى دكانه فلما قعد شاه بندر التجار في دكانه ذلك اليوم على عادته لم تات اليه التجار حكم عادتهم فنادى النقيب وقال له لاي شيء لم تجتمع التجار على جري عادتهم فقال له انا ما اعرف انقل الفتن وان التجار اتفقوا على عزلك من المشيخة ولا يقرؤن لك فاتحة فقال له ما سبب ذلك فقال له ماشان هذا الولد الجالس بجانبك وانت اختيار ورئيس التجار فهل هذا الولد مملوكك او يقرب لزوجتك واظن انك تعشقه وتميل الى الغلام فصرخ عليه وقال له

Digitized by Google

شاه بندر التجار بارض مصر وهو سلطان اولاد العرب فدخل علاء الدين على امّه وقال لها يا امّي ما صناعة ابي فقالت له يا ولدي ان اباك تاجر وهو شاه بندر التّجار بارض مصر وسلطان اولاد العرب وعبيده لا يشاورونه فى البيع الّا على البيعة التي يكون اقلّ ثمنها الف دينار واما البيعة التي تكون بتسعمائة دينار فاقلّ فانهم لايشاورونه عليها بل يبيعونها بانفسهم ولا يأتي متجر من بلاد الناس قليلا او كثيرا الّا ويدخل تحت يده ويتصرّف فيه كيف يشاء ولا ينحزم متّجر ويروح الى بلاد النـاس الّا ويكون من تحت يدابيك والله تعالى اعطى اباك يا ولدي ما لاً كثيرا لا يحصى فقال لها يا امي الحمد لله الذي انا ابن سلطان اولاد العرب ووالدي شاه بندر التجار ولايّ شيءٍ يا امي تحطّونني فى الطابق وتتركونني محبوسا فيه فقالت له يا ولدي نحن ما حطّيناك فى الطابق الّا خوفا عليك من اعين النـاس فان العين حقّ واكثر اهل القبور من العين فقال لها يا امّي واين المفرّ من القضاء والحذر لا يمنع القدر والمكتوب ما منه مهروب وان الذي اخذ جدي ما يخلّيني وابي فانه ان عاش اليوم ما يعيش غدا واذا مات ابي وطلعت انا وقلت انا علاء الدين بن التاجر شمس الدين لايصدّقني احد من الناس والاختيـارية يقولون عمرنا ما راينـا لشمس الدين ولدا ولا بنتا فينزل بيت المال ويأخذ مال ابي ورحم الله من قال يموت الفتى ويذهب ماله ويأخذ اندل الرجال نساءه فانت يا امّي كلّمي ابي حتى ياخذني معه الى السوق ويفتح لي دكّانا واقعد فيه ببضائع ويعلّمني البيع والشراء والاخذ والعطاء فقالت له يا ولدي لمّا يحضر ابوك اخبره بذلك فلما رجع التاجر الى بيته وجد ابنـه علاء الدين ابا الشامات قاعدا عنـد امّه فقال لها لايّ شيءٍ اخرجته

Digitized by Google

المغرة و العبد يحملها اليه ثم انه طاهره وعمل له وليمة عظيمة ثم بعد ذلك احضر له فقيها يعلّمه فعلّمه الخط و القرآن والعلوم الى ان صار ماهرا و صاحب معرفة فاتفق ان العبد اوصل اليه السغرة في بعض الايام و نسي الطابق مفتوحا فطلع علاء الدين من الطابق و دخل على امّه وكان عندها محضر من اكابر النساء فبينما النساء يتحدّثن مع امه واذا بهذا الولد دخل عليهن كالمملوك السكران من فرط جماله فحين رآه النسوة غطّين وجوههن وقلن لامّه الله يجازيك يافلانة كيف تدخلين علينا هذا المملوك الاجنبيّ اما تعلمين ان الحياء من الايمان فقالت لهن سمّين الله ان هذا ولدي وثمرة فؤادي و ابن شاه بندر التجار شمس الدين بن الدادة و القلادة و القشغة و اللبابة فقلن لها عمرنا ماراينا لك ولدا فقالت ان اباه خاف عليه من العين فجعل مرباه في طابق تحت الارض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان امّ علاء الدين قالت للنسوان ان اباه خاف عليه من العين فجعل مرباه في طابق تحت الارض فلعلّ الخادم نسي الطابق مفتوحا فطلع منه ولم يكن مرادنا ان يطلع من الطابق حتى يطلع ذَقَنُه فهنّاها النسوة بذلك وطلع الغلام من عند النسوة الى حوش البيت ثم طلع المقعد وجلس فيه فبينما هو جالس واذا بالعبيد قد دخلوا ومعهم بغلة ابيه فقال لهم علاء الدين اين كانت هذه البغلة فقالوا له نحن وصلنا اباك عليها الى الدكان وهو راكب عليها وجئنا بها فقال لهم امّي شيء صنعة ابي فقالوا له ان اباك

Digitized by Google

الحرارات والبهارات وتأكل منه على رأس الملوق و تتعشّى فوقهم وتشرب فوقهم السكر المكرّر فاحضر التاجر جميع ذلك وارسله الى زوجته باللحم والحمام وقال لها اطبخي ذلك طبخا جيّدا وخذي معكر البيض واحفظيه عندك حتى احتاجه واطلبه ففعلت ما امرها به و وضعت له الطعام فتعشّى ثم انه طلب السلطانية فاكل منها فاعجبته فاكل بقيّتها وواقعها فعلقت منه تلك الليلة ففات عليها اول شهر و الثاني و الثالث فقطعت الدم ولم ينزل عليها فعلمت انها حملت ثم وفت ايام حملها ولحقها الطلق وقامت الزعاريت فقاست الداية المشقة في الخلاص ورقته باسمي محمّد وعليّ وكبّرت واذّنت في اذنه ولفّته واعطته لامه فاعطته ثديها وارضعته فشرب وشبع ونام و اقامت الداية عندهم ثلثة ايام حتى عملوا مامونية وحلاوة وفرّقوها في اليوم السابع ثم رشّوا ملحة ودخل التاجر وهنّا زوجته بالسلامة وقال لها اين وديعة الله فقدمت له مولودا بديع الجمال صنع المدبر الموجود وهو ابن سبعة ايام ولكن الذي ينظره يقول عليه انه ابن عام فنظر التاجر في وجهه فرآه بدرا مشرقا وله شامات على الخدّين فقال لها ما سمّيته فقالت له لو كانت بنتا كنت سمّيتها وهذا ولد فلا يسمّيه الا انت وكان اهل ذلك الزمن يسمّون اولادهم بالفأل فبينما هم يتشاورون في الاسم و اذا بواحد يقول لرفيقه يا سيدي علاء الدين فقال لها نسمّيه بعلاء الدين ابي الشامات ووكّل به المراضع و الدايات فشرب اللبن عامين ففطموه فكبر و انتشأ وعلى الارض مشى قلما بلغ من العمر سبع سنين ادخلوه تحت طابق خوفا عليه من العين وقال هذا لايخرج من الطابق حتى تطلع لحيته ووكّل به جارية وعبدا فصارت الجارية تهيّء له

Digitized by Google

فقال له هل يوجد عند ك معكر البيض فقال له كان عندي و جبر ولكن اسأل عند جاري فدار يسأل حتى سأل الكل و هم يضحكون عليه و بعد ذلك رجع الى دكّانه فقعد مغموما وكان فى السوق رجل حشّاش نقيب الدلالين وكان يتعاطى الافيون والبرْش ويستعمـــل الحشيش الاخضر وكان ذلك النقيب يسمى الشيخ محمد سِمْسِم وكان فقير الحال وكان عادته ان يصبح على التـــا جر فى كل يوم فجاءه على عادته و قال له السلام عليكم فردّ عليه السلام وهو مغتاظ فقال له ياسيدي مالك مغتاظا فحكى له جميع ماجرى بينه وبين زوجتـــه وقال له ان لي اربعين سنة و انا متزوّج بها ولم تحبـــل مني امرأتي بولد ولا ببنت وقالوا لي سبب عدم حبلها منك ان بيضك رائق ففتّشت على شيء اعكر به بيضي فلم اجده فقال له يا سيدي انا عندى معكر البيض فمـــا تقول فيمن يجعـــل زوجتك تحبـــل منك بعد هذه الاربعين سنـة التي مضت قال له التاجر ان فعلت ذلك فانا احسن اليك وانعم عليك فقال له هات لي دينارا فقال له خذ هذين الدينارين فاخذ هما له وقال له هات لي هذه السلطانية الصيني فاعطاه السلطانية فاخذها وتوجّه الى بيّاع الحشيش واخذ منـه من المكركر الرومي قدر او قيتين واخذ جانبا من الكبابة الصيني و القِرفـة و القَرَنفل والحبهان و الزنجبيل و الفلفل الابيض و السقنقور الجبلي ودقّ الجميع وغلاها فى الزيت الطيب و اخذ ثلث اواق حصى لُبان ذَكَر و اخذ مقدار قدح من الحبّة السوداء ونقعـه و عمل جميع ذلك معجونا بالعسل النحل الرومي وحطّه فى السلطانية و رجع بها الى التاجر واعطاها له وقال له هذا معكر البيض فينبغي ان تاخذ منه على رأس الملْـــوق بعد ان تأكل اللحم الضـــاني والحمـام البيتي وتكثر له

Digitized by Google

الله ثم نظر الى لحيته فرأى البياض غطّى السواد و تذكّر ان الشيب نذير الموت وكانت زوجته تعرف ميعـــاد مجيئه فتغتسل و تصلح شانها له فدخل عليها فقالت له مساء الخير فقال لهـــا انا ما رأيت الخير وكانت قالت للجارية هاتي سفرة العشاء فاحضرت الطعام وقالت له تعشّ يا سيدي فقال لها ما آكل شيـــأ و رفس السفرة برجلـــه و اعرض عنهـــا بوجهـــه فقالت له ماسبب ذلك و ايّ شيٍ احـــزنك فقال لهـــا انتِ سبب حـــزني و ادرك شهرزاد الصبـــــاح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان شمس الدين قال لزوجته انت سبب حزني فقالت له لاي شيٍ فقال لها اني لما فتحت دكاني في هذا اليوم رأيت كلواحد من التجار معه ولد او ولدان اواكثر وهم قاعدون في الدكاكين مثـــل آبائهم فقلت في نفسي ان الذي اخذ اباك ما يخلّيك وليلة دخلت بك حلّفتني انني ما اتزوّج عليك ولا اتسرّى بجارية حبشية ولا رومية ولا غير ذلك من الجواري ولا ابيت ليلـــة بعيدا عنكِ والحال انك عاقرو النكاح فيك كالنحت في الحجر فقالت اسم الله على ان العاقة منك ما هي مني لان بيضك رائق فقال لها و ما شان الذي بيضه رائق فقالت له هو الذي لا يحبل النسأ ولا يجيٍ باولاد فقال لها واين معكر البيض و انا اشتريه لعلّـــه يعكر بيضي فقالت له فتشّ عليه عند العطّارين فبات التـــاجر و اصبح متندّما حيث عاير زوجته و ندمت هي حيث عايرته فتوجّه التـــاجر الى السوق فوجد رجلا عطّـــارا فقال له السلام عليكم فردّ عليه السلام

Digitized by Google

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك الغيور سافر بابنته و جماعته الى بلده و اخذ الامجد معهم و ارتحلوا الى بلادهم فلما استقرّ في مملكته اجلس الامجد يحكم مكان جدّه واما قمر الزمان فانه اجلس ابنه الاسعد يحكم مكانه في مدينة جدّه ارمانوس و رضي به جده ثم تجهّز قمر الزمان وسافر مع ابيه الملك شهرمان الى ان وصلا الى جزائر خالدان فزيّنت لهما المدينة و استمرّت البشائر تدقّ شهرا كاملا وجلس قمر الزمان يحكم مكان ابيه الى ان اتاهم هادم اللذات و مفرّق الجماعات والله اعلم فقال الملك شهرزاد ان هذه الحكاية عجيبة جدّا قالت ايها الملك ليست هذه الحكايـــــــــــــــة

حكاية علاء الدين

يا عجب من حكاية علاء الدين ابي الشامات قال و ما حكاية علاء الدين ابي الشامات قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان و سالف العصر والاوان رجل تاجر بمصر يقال له شمس الدين وكان من احسن التجـــار و اصدقهم مَقالا و هو صاحب خدم و حشم و عبيد وجوار و مماليك ومال كثير و كان شاه بَندر التجار بمصر و كان معه زوجة يحبّهـــا و تحبّه الّا انه عاش معهـــا اربعين عاما ولم يرزق منها ببنت ولا ولد فقعد يوما من الايام في دكّانه فراى التجار وكل واحد منهم له ولد او ولدان او اكثـــر وهم قاعدون في دكاكين مثل آبائهم و كان ذلك اليوم يوم جمعة فدخل ذلك التاجر الحمّام واغتسل غسل الجمعة ولما طلع اخذ مرآة المزيّن فنظر و جهه فيها و قال اشهد ان لا اله الّا الله و اشهد انّ محمدا رسول

Digitized by Google

فقدّموه بين يدي قمر الزمان والملك الغيور والملكة مرجانة والملك صاحب المدينة فقبّل الارض وقال ان هذا الملك من بلاد العجم وقد فقد ولده من مدة سنين وهو دائر يفتّش عليه في الاقطار فان وجده عندكم فلا باس عليكم وان لم يجده وقع الحرب بينه وبينكم ويخرب مدينتكم فقال له قمر الزمان ما يصل الى هذا ولكن ما يقال له في بلاد العجم فقال الرسول يقال له الملك شهرمان صاحب جزائر خالدان وقد جمع هذه العساكر من الاقطار التي مرّ بها وهو دائر يفتّش على ولده فلما سمع قمر الزمان كلام الرسول صرخ صرخة عظيمة وخرّ مغشيا عليه ثم استمرّ في غشيته ساعة ثم افاق وبكى بكاء شديدا وقال للامجد والاسعد وخواصهما امشوا يا اولادي مع الرسول وسلّموا على جدّكم والدي الملك شهرمان وبشّروه بي فانه حزين على فقدي وهو الى الآن لابس الملابس السود لاجلي ثم حكى للملوك الحاضرين جميع ما جرى له في ايام صباه فتعجّب جميع الملوك من ذلك ثم نزلوا هم وقمر الزمان واتوا الى والده فسلّم قمر الزمان على والده وعانقا بعضهما ووقعا مغشيا عليهما ساعة من شدة الفرح فلما افاقا حكى لابيه جميع ماجرى له ثم سلّم عليه بقية الملوك وردّوا مرجانة الى بلدها بعد ان زوّجوها للاسعد ووصّوها انها لاتنقطع عنهم مراسلتها وسافرت ثم زوّجوا الامجد بستان بنت بهرام وسافروا الجميع الى مدينة الآبنوس ودخل قمر الزمان على صهره واعلمه بجميع ماجرى له وكيف اجتمع باولاده ففرح وهنّاه بالسلامة ثم دخل الملك الغيور ابو الملكة بدور على بنته وسلّم عليها وبلّ شوقه منها وقعدوا في مدينة الآبنوس شهرا كاملا ثم سافر الملك الغيور بابنته الى بلده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

اغلق الملك باب المدينة خوفا من العسكر المحيط بها ففتحا الابواب ثم سارا حتى وصلا الى العسكر الذي وصل فوجداه عسكرا عظيما فدخلا عليه فاذا هو عسكر ملك جزائر الابنوس وفيه والدهما قمر الزمان فلما نظراه قبّلا الارض بين يديه وبكيا فلما رآهما قمر الزمان رمى روحه عليهما وبكي بكاء شديدا واعتذر لهما وضمّهما الى صدره ساعة زمانية ثم حكي لهما بما قاساه بعدهما من الوحشة الشديدة لفراقهما ثم ان الامجد والاسعد ذكرا له عن الملك الغيور انه وصل الى عندهم فركب قمرالزمان في خواصه واخذ ولديه الامجد والاسعد معه وساروا حتى وصلوا الى قرب عسكر الملك الغيور فسبق واحد منهم الى الملك الغيور واخبره ان قمر الزمان وصل فطلع الى ملاقاته فاجتمعوا بعضهم بعضا وتعجّبوا من هذه الامور وكيف اجتمعوا في هذا المكان وصنع اهل المدينة الولائم وانواع الطعامات والحلويات ثم قدّموا الخيول والجمال والضيافات والعليق وما تحتاج اليه العساكر فبينما هم كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سدّ الاقطار وارتجّت الارض من الخيول وصارت الطبول كعواصف الرياح والجيش جميعه بالعدد والازراد وكلهم لابسون السواد وفي وسطهم شيخ كبير وذقنه واصلة الى صدره وعليه ملابس سود فلما نظر اهل المدينة هذه العساكر العظيمة قال صاحب المدينة للملوك الحمد لله الذي اجتمعتم باذن الله تعالى في يوم واحد وطلعتم كلكم معارف فما هذا العسكر الجرّار الذي قد سدّ الاقطار فقال له الملوك لا تخف منه فنحن ثلثة ملوك وكل ملك له عساكر كثيرة فان كانوا اعداء نقاتلهم معك ولو زادوا ثلثة امثالهم فبينما هم كذلك واذا برسول من تلك العساكر قد اقبل طالب المدينة

Digitized by Google

ابنتي بدور فانها فارقتني وما رجعت اليّ ولا سمعت لها ولا لزوجها قمر الزمان خبرا فهل عندكم منهما خبر فلما سمع الامجد ذلك اطرق الى الارض ساعة يتفكّر حتى تحقّق انه جدّه ابوامه ثم رفع رأسه وقبّل الارض بين يديه و اخبره انه ابن بنته بدور فلما سمع الملك انه ابن بنتـــه بدور رمى روحه عليه و صارا يبكيان ثم قال الملك الغيور الحمد لله يا ولدي علي السلامة حيث اجتمعت بك ثم حكى له الامجد ان ابنته بدور في عافية وكذلك ابوه قمر الزمان و اخبره انهما في مدينة يقال لهـــا جزيرة الابنوس وحكى له ان قمر الزمان والده غضب عليه وعلى اخيه وامر بقتلهما وان الخازندار رقّ لهما وتركهما بلاقتل فقال الملك الغيور انا ارجع بك و باخيك الى والدك واصلح بينكما و اقيم عندكم فقبّل الارض بين يديه وفرح به ثم طلع الملك الغيور على الامجد ابن بنته ورجع متبسّما الى الملك و اعلمـــه بقصة الملك الغيور فتعجّب منها غاية العجب ثم ارسل آلات الضيافة من الاغنام والخيول والجمال والعليق وغير ذلك واخرج للمكة مرجانة كذلك واعلموها بما جرى فقالت انا اذهب معكم بعسكري واكون ساعية في الصلح فبينما هم كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سدّ الاقطار و اسودّ منه النهار و سمعوا من تحته صياحا و صراخا وصهيل الخيل ورأوا سيوفا تلمع واسنّة رماح تشرع فلما قربوا من المدينة ورأوا العسكرين دقّوا الطبول فلما رأى الملك ذلك قال ما هذا النهـار الا نهار مبارك الحمد للـــه الذي اصلحنا مع هذين العسكرين وان شاء اللـــه يصلحنا مع هذا العسكر ايضـــا ثم قال يا امجد ويا اسعد اخرجا واكشفـا لنا خبر هذه العساكر فانها جيش ثقيل ما رأيت اثقل منـه فخرج الاثنان الامجد و اخوه الاسعد بعد ان

Digitized by Google

اوصافه فانها كذا وكذا فلما سمع الامجد ذلك علم انه اخوه الاسعد فقال لهـــا يا ملكة الزمان الحمد لله الذي جاءنا بالفرج ان هذا المملـــوك هو اخي ثم حكى لها حكايتـــه وما جرى لهمـــا في بلاد الغربة واخبرها بسبب خروجهمـا من جزائر الابنوس فتعجبت الملكة مرجانة من ذلك وفرحت بلقاء الاسعد وخلعت على اخيـه الامجد ثم بعد ذلك عاد الامجد الى الملك واعلمه بماجرى ففرحوا بذلك وفزل الملك هو والامجد والاسعد طالبين لقاء الملكة فلما دخلوا عليها جلسوا يتحدّثون فبينمـا هم كذلك واذا بغبار ثار حتى سدّ الاقطار وبعد ساعـــة انكشف ذلك الغبار عن عسكر جرّار مثل البحر الزخّار وهم لابسون الدروع والسلاح فقصدوا المدينـــة ثم داروا بها كمـــا يدور الخاتم بالخنصر وشهروا سيوفهم فقال الامجد والاسعد انّا لله وانّا اليه راجعون ما هذا الجيش الكبير انّ هذه اعداء لا محالة وان لم نتفق مع هذه الملكة مرجانة على قتالهم اخذوا منّا المدينة وقتلونا وليس لنا حيلة الّا اننّا نخرج اليهم ونكشف خبرهم فقام الامجد وخرج من باب المدينة وتجاوز جيش الملكة مرجانة فلما وصل الى العسكر وجده عسكر جدّه الملك الغيور ابي امه الملكة بدور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الامجد لما وصل الى العسكر وجده عسكر جدّه الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعـة قصور فلما صار قدّامه قبّل الارض بين يديه وبلّغه الرسالة قال الملك انا اسمي الملك الغيور وقد جئت عابر سبيل لان الزمان قد فجعني في

Digitized by Google

الحديث من بهرام تعجّبــا من ذلك غاية العجب و قالا ان هذا الحديث عجيب و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبــاح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الامجد و الاسعد لما سمعا من بهرام المجوسي الذي اسلم هذه الحكاية تعجّبــا منها غاية العجب و باتا تلك الليلة فلما اصبح الصباح ركب الامجد والاسعد وارادا ان يدخلا على الملك فاستاذنا في الدخول عليه فاذن لهما فلما دخلا عليه اكرمهما وجلسوا يتحدّثون فبينما هم كذلك و اذا باهل المــدينة يصيحون ويتصــارخون و يستغيثون فدخل الحاجب على الملك و اعلمه ان ملكا من الماوك نزل بعساكره على المدينة و هم شاهرون السلاح و ماندري ما قصدهم و مرادهم فاخبر الملك وزيره الامجد واخاه الاسعد بما سمعه من الحاجب فقال الامجد انا اخرج اليــه واكشف خبره فخرج الامجد الى ظاهر المدينة فوجد الملك ومعه عسكر كثير و مماليك راكبة فلما نظروا الى الامجد عرفوا انــه رسول من عند ملك المدينة فاخذوه واحضروه قدّام السلطان فلما صار قدّامه قبّل الارض بين يديه و اذا بالملك امرأة ضاربة لها لثاما فقالت اعلم ان مالي عندكم غرض في هذه المدينة و ما جئتكم الاّ في طلب مملــوك امرد فان وجدتُه عندكم فلاباس عليكم و ان لم اجده وقع بيني و بينكم القتال الشديد فقال الامجد ايّتها الملكة وماصفة هذا المملوك وما خبره وما اسمه فقالت اسمه الاسعد وانا اسمي مرجانة وهذا المملوك كان جاءني صحبة بهرام المجوسي ومارضي ان يبيعه فاخذتُه منه غصبا فعدا عليه واخذه من عندي في الليل سرقة واما من

Digitized by Google

قد ميك وكذا قفي انت يانُعم فوقفا فقالت اخت الخليفة يا امير المؤمنين ان هذه الواقفة هي نُعم المسروقة سرقها الحجاج بن يوسف الثقفي و اوصلها لك وكذب في ما ادعاه في كتابه من انه اشتراها بعشرة آلاف دينار وهذا الواقف هو نعمة بن الربيع سيّدها وانا اسئلك بحرمة آبائك الطاهرين وبحمزة والعقيل والعباس ان تعفو عنهما وتصفح عن جريمتهما وتهبهما لبعضهما لتغنم اجرهما و ثوابهما فانهما في قبضتك و قد اكلا من طعامك و شربا من شرابك و انا الشفيعة فيهما المستوهبة دمهما فعند ذلك قال الخليفة صدقت انا حكمت بذلك وما احكم بشيء و ارجع فيه ثم قال يا نُعم هل هذا مولاك قالت له نعم يا امير المؤمنين فقال لاباس عليكما فقد وهبتكما لبعضكما ثم قال يا نِعمة وكيف عرفت بمكانها ومَن وصف لك هذا المكان فقال يا امير المؤمنين اسمع خبري و انصِتْ الى حديثي فوحقّ ابائك واجدادك الطاهرين لاكتمن عنك شيأ ثم حدّثه بجميع ما كان من امره و ما فعله معه الحكيم العجمي وما فعلته القهرمانة وكيف دخلت به القصر وغلطَ في الابواب فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب ثم قال علّي بالعجمي فاحضروه بين يديه فجعله من جملة خواصه وخلع عليه الخلع واعزله بجائزة مليحة وقال من يكون هذا تدبيره يجب ان نجعله من خواصنا ثم ان الخليفة احسن الى نِعمة ونُعم وانعم عليهما وانعم على القهرمانة وقعدا عنده سبعة ايام في سرور وحظّ وارغد عيش ثم طلب نعمة منه الاذن بالسفر هو وجاريته فاذن لهما بالسفر الى الكوفة فسافرا واجتمع بوالده ووالدته واقاموا في اطيب عيش و ارغده الى ان دار عليهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات فلما سمع الامجد والاسعد هذا

Digitized by Google

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نعمة لم يزل مفارقا لاهله ووطنه حتى تسبب في اجتماع جاريته و خاطر بنفسه و بذل مهجته حتى توصل الى اجتماعه بجاريته وكانت يقال لها نُعم فلما اجتمع بها لم يستقر بهما الجلوس حتى دخل عليهما الملك الذي كان اشتراها من الذي صرتها فعجّل عليهما و امر بقتلهما ولم ينصف من نفسه ولم يمهل عليهما في حكمه فما تقول يا امير المؤمنين في قلة انصاف هذا الملك فقال امير المؤمنين ان هذا لَشيء عجاب فكان ينبغي لذلك الملك العفو عند المقدرة لانه يجب عليه ان يحفظ لهما ثلثة اشياء الاول انهما متحابان والثاني انهما في منزله وتحت قبضته والثالث ان الملك ينبغي له التأنّي فى الحكم بين الناس فكيف بالامر الذي يتعلّق به فهذا الملك قد فعل فعلا لا يشبه فعل الملوك فقالت له اخته يا اخي بحق ملك السموات و الارض ان تأمر نُعما بالغناء وتسمع ما تغنّي به فقال يا نُعم غنّي لي فاطربت بالنغمات و انشدت هذه الابيات

غَدَرَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ غَدَّارَا ... يُصْمِي الْقُلُوبَ وَيُورِثُ الْأَفْكَارَا
وَيُفَرِّقُ الْأَحْبَابَ بَعْدَ تَجَمُّعٍ ... فَتَرَى الدُّمُوعَ عَلَى الْخُدُودِ غِزَارَا
كَانُوا وَكُنْتُ وَكَانَ عَيْشِي نَاعِمًا ... وَالدَّهْرُ يَجْمَعُ شَمْلَنَا مِدْرَارَا
فَلَأَبْكِيَنَّ دَمًا وَدَمْعًا سَاجِمًا ... أَسَفًا عَلَيْكَ لَيَالِيًا وَنَهَارَا

فلما سمع امير المؤمنين هذا الشعر طرب طربا عظيما فقالت له اخته يا اخي مَن حكم على نفسه بشيء لزمه القيام به و العمل بقوله وانت قد حكمت على نفسك بهذا الحكم ثم قالت يا نعمة قف على

Digitized by Google

إِذَا مَا نَدِيمِي عَلَّنِي ثُمَّ عَلَّنِي ثَلَاثَةُ أَقْدَاحٍ لَهُنَّ هَدِيرُ
أَبَيْتُ أُجُرُّ الذَّيْلَ تِيهًا كَأَنَّنِي عَلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ

فطرب امير المؤمنين وملأ قدحا آخر وناوله الى نُعم وامرها ان تغنّي فبعدان شربت القدح جسّت الاوتار وانشدت هذه الاشعار

يَا أَعْرَفَ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَمَا لَهُ مَثِيلٌ بِهَذَا الْأَمْرِ يَفْتَخِرُ
يَا وَاحِدًا فِي الْعُلَا وَالْجُودُ مَنْصِبُهُ يَا سَيِّدًا مَلِكًا فِي الْكُلِّ مُشْتَهَرُ
يَا مَالِكًا لِمُلُوكِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً تُعْطِي الْجَزِيلَ وَلَا مَنٌّ وَلَا ضَجَرُ
أَبْقَاكَ رَبِّي عَلَى رَغْمِ الْعِدَى كَمَدًا وَزَانَ طَالِعَكَ الْإِقْبَالُ وَالظَّفَرُ

فلما سمع الخليفة من نُعم هذه الابيات قال والله طيب والله مليح لله درّك يا نُعم ما افصح لسانك وما اوضح بيانك ولم يزالوا في فرح وسرور الى نصف الليل ثم قالت اخت الخليفة اسمع يا امير المؤمنين انّي رأيت حكاية فى الكتب عن بعض ارباب المراتب قال الخليفة وما تلك الحكاية فقالت له اخته اسمع يا امير المؤمنين انه كان بمدينة الكوفة صبيّ يسمى نعمة بن الربيع وكان له جارية يحبّها وتحبّه وكانت قد تربّت معه في فراش واحد فلما بلغا وتمكّن حبهما من بعضهما رماهما الدهر بنكباته وجار عليهما الزمان بآفاته وحكم عليهما بالفراق وتحيّلت عليها الوشاة حتى خرجت من داره واخذوها سرقة من مكانه ثم ان سارقها باعها لبعض الملوك بعشرة آلاف دينار وكان عند الجارية لمولاها من المحبة مثل ماعنده لها ففارق مولاها اهله ونعمته وداره وسافر في طلبها وتسبّب في اجتماعه بها وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

غَمٌّ وَحُزْنٌ فِي الْفُؤَادِ مُقِيمُ وَجَوًى تَرَدَّدُ فِي حَشَايَ عَظِيمُ
وَنُحُولُ جِسْمٍ قَدْ تَبَدَّى ظَاهِرًا فَالْجِسْمُ مِنِّي بِالْغَرَامِ سَقِيمُ

ثم ملأت القدح وناولته لنعمة فشرب واخذ العود واصلح اوتاره وانشد هذين البيتين

يَا مَنْ وَهَبْتُ لَهُ رُوحِي فَعَذَّبَهَا وَرُمْتُ تَخْلِيصَهَا مِنْهُ فَلَمْ أُطِقِ
دَارِكْ مُحِبًّا بِمَا يُنْجِيهِ مِنْ تَلَفٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ فَهَذَا آخِرُ الرَّمَقِ

ولم يزالوا ينشدون الاشعار ويشربون على نغمات الاوتار وهم في لذّة وحبور وفرح وسرور فبينماهم كذلك واذا بامير المؤمنين قد دخل عليهم فلما نظروه قاموا اليه وقبّلوا الارض بين يديه فنظر الى نُعم والعود معها فقال يا نُعم الحمد لله الذي اذهب عنك الباس والوجع ثم التفت الى نعمة وهو على تلك الحالة وقال يا اختي من هذه الجارية التي في جانب نُعم فقالت له اخته يا امير المؤمنين ان لك جارية من المحاظي انيسة لاتأكل نُعم ولاتشرب الّا بها ثم انشدت قول الشاعر

ضِدَّانِ وَاجْتَمَعَا افْتِرَاقًا فِي الْبَهَا وَالضِّدُّ يَظْهَرُ حُسْنُهُ بِالضِّدِّ

فقال الخليفة والله العظيم انها مليحة مثلها وفي غد اخلي لها مجلسا بجانب مجلسها واخرج لها البسط والقماش وانقل اليها جميع مايصلح لها اكراما لنُعم واستدعت اخت الخليفة بالطعام فقدمته لاخيها فاكل وجلس معهم في تلك الحضرة والمقام ثم ملأ قدحا واومى الى نُعم ان تنشدله شيأ من الشعر فاخذت العود بعد ان شربت قدحين وانشدت هذين البيتين

Digitized by Google

والامر لك فقالت والله ما ينالكما منّا سوء قطّ ثم قالت لجاريتها احضري الطعام والشراب فاحضرت ذلك فجلسوا واكلوا بحسب الكفاية ثم جلسوا يشربون فدارت عليهم الاقداح وزالت عنهم الاتراح فقال نعمة ليت شعري بعد ذلك مايكون فقالت له اخت الخليفة يانعمة هل تحبّ نُعما جاريتك فقال لها يا ستي ان هواها هو الذي جعلني على ما انا فيه من المخاطرة بروحي ثم قالت لنُعم يا نُعم هل تحبّين سيدك نعمة فقالت يا ستي ان هواه هو الذي اذاب جسمي وغيّر حالي فقالت والله انكما متحابّان فلان كان من يفرّق بينكما فقرّا عينا وطيبا نفسا ففرحا بذلك وطلبت نُعم بعود فاحضروه لها فاخذته واصلحته وضربت به نوبة فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

وَلَمَّا اَبَى الْوَاشُونَ اِلَّا فِرَاقَنَا ... وَلَيْسَ لَهُمْ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ ثَارِ
وَهَنُّوا عَلَيْنَا اَسْمَاعِنَا كُلَّ غَارَةٍ ... وَقَلَّتْ حُمَاتِي عِنْدَذَاكَ وَاَنْصَارِي
غَزَوْتُهُمْ مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَاَدْمُعِي ... وَمِنْ نَفْسِي بِالسَّيْفِ وَالسَّيْلِ وَالنَّارِ

ثم ان نُعما اعطت العود لسيدها نعمة وقالت له غنّ لنا شعرا فاخذه واصلحه واطرب بالنغمات ثم انشد هذه الابيات

اَلْبَدْرُ يَحْكِيكَ لَوْلَا اَنَّهُ كَلِفٌ ... وَالشَّمْسُ مِثْلُكَ لَوْلَا الشَّمْسُ تَنْكَسِفُ
اِنِّي عَجِبْتُ وَكَمْ فِي الْحُبِّ مِنْ عَجَبٍ ... فِيهِ الْهُمُومُ وَفِيهِ الْوَجْدُ وَالْكَلَفُ
اَرَى الطَّرِيقَ قَرِيبًا حِينَ اَسْلُكُهُ ... اِلَى الْحَبِيبِ بَعِيدًا حِينَ اَنْصَرِفُ

فلما فرغ من شعره ملأت له قدحا وناولته اياه فاخذه وشربه ثم ملأت قدحا آخر وناولته لاخت الخليفة فشربته واخذت العود واصلحته وشدت اوتاره وانشدت هذين البيتين

Digitized by Google

مستجير بك فاجيريني فقالت له لا باس عليك فمن انت ومن ادخلك الى مجلسي هذا فقال لها نعمة انا ايها الملكة أُعرف بنعمة بن الربيع الكوفي وقد خاطرت بروحي لاجل جاريتي نُعم التي احتال عليها العجّاج واخذها وارسلها الى هنا فقالت له لاباس عليك ثم صاحت على جاريتها وقالت لها امض الى مقصورة نُعم وقد كانت القهرمانة اتت الى مقصورة نُعم وقالت لها هل وصل اليك سيدك فقالت لا والله فقالت القهرمانة لعلّه غلط فدخل مقصورة غير مقصورتك وتاه عن مكانك فقالت الجارية نُعم لا حول ولاقوة الّا بالله العلي العظيم قد فرغ اجلنا جميعا وهلكنا وجلسا متفكّرين فبينما هما كذلك اذ دخلت عليهما جارية اخت الخليفة فسلّمت على نُعم وقالت لها ان مولاتي تدعوك عندها في ضيافتها فقالت سمعا وطاعة فقالت القهرمانة لعل سيّدك عند اخت الخليفة وقد انكشف الغطاء فنهضت نُعم من وقتها وساعتها حتى دخلت على اخت الخليفة فقالت لها هذا مولاك جالس عندي وكأنّه غلط فى المكان وليس عليك ولا عليه خوف ان شاء الله تعالى فلما سمعت نُعم هذا الكلام من اخت الملك اطمأنّت نفسها وتقدمت الى مولاها نعمة فلما نظرها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان نعمة لما نظر الى جاريته نُعم قام اليها وضمّ كلواحد منهما صاحبه الى صدره ثم وقعا على الارض مغشيا عليهما فلما افاقا قالت لهما اخت الخليفة اجلسا حتى نتدبّر فى الخلاص من الامر الذي وقعنا فيه فقالا لها يا مولاتي سمعا وطاعة

Digitized by Google

قد توجّهت اليها العافية وما صدق امير المؤمنين بعافيتها وتريد
اشتراء هذه الجارية فلا تمنعها من الدخول لئلا يبلغها انك منعتها
فتغضب عليك وينعكس مرضها وان غضبت عليك تسببت في قطع
رأسك ثم قالت ادخلي يا جارية ولا تسمعي منه كلامه ولا تعلمي
الملكة ان الحاجب منعك من الدخول فَطَأْطَأَ نعمة رأسه ودخل
القصر واراد ان يمشي الى جهة يساره فغلط ومشى الى جهة يمينه
واراد ان يعدّ خمسة ابواب ويدخل السادس فعدّ ستة ودخل
في السابع فلما دخل في ذلك الباب رأى موضعا مفروشا بالديباج
وحيطانه عليها ستائر الحرير المرقومة بالذهب وفيه مباخر العود
والعنبر والمسك الاذفر ورأى في الصدر سريرا مفروشا بالديباج
فجلس عليه نعمة فرأى ملكا عظيما ولم يعلم بما كتب له
في الغيب فبينما هو جالس متفكر في امره اذ دخلت عليه
اخت امير المؤمنين ومعها جاريتها فلما رأت الغلام جالسا
ظنّته جارية فتقدّمت اليه وقالت له من تكوني يا جارية
وماخبرك ومن دخل بك الى هذا المكان فلم يتكلّم نعمة
ولم يردّ عليها جوابا فقالت يا جارية ان كنتِ من محافظي اخي وقد
غضب عليكِ فانا اسأله لك واستعطفه عليكِ فلم يرد نعمة عليها
جوابا فعند ذلك قالت لجاريتها قفي على باب المجلس ولا تدعي
احدا يدخل ثم تقدّمت اليه ونظرته فبهتت في جماله وقالت ياصبيّة
عرّفيني من تكوني وما اسمك وما سبب دخولك هنا فانا
لم انظرك في قصرنا فلم يرد نعمة جوابا فعند ذلك غضبت اخت الملك
ووضعت يدها على صدر نعمة فلم تجد له نهودا فارادت ان تكشف
ثيابه لتعلم خبره فقال لها نعمة ياستي انا مملوكك فاشتريني وانا

Digitized by Google

قالت له امش و قدّم الشمـــال واخّر اليمين وهزّ اردافك فمشي قدامها كما امرته فلمارأته قد عرف مشي النساء قالت له امكث حتى آتيك ليلة غد ان شاء الله تعالى فآخذك و ادخل بك القصر واذا نظرتِ الحجّـــاب والخدام فقوّ عزمك وطأطِئْ رأسك ولاتتكلّم مع احدوانا أكفيك كلامهم وبالله التوفيق فلما اصبح الصباح اتته القهرمانة في ثاني يوم واخذته وطلعت به القصـــر ودخلت العجوز قدامه ونعمة وراءها في اثرها فاراد الحـــاجب ان يمنعه من الدخول فقالت له يا انحس العـــبيد انها جارية نُعم محظية امير المؤمنين فكيف تمنعها من الدخول ثم قالت ادخلي يا جارية فدخل مع العجـــوز ولم يزالا داخلين الى الباب الذي يتوصـــل منه الى صحن القصر فقالت له العجوز يانعمة شدّ روحـــك وثبّت قلبك و ادخل القصر و خذ على شمالك وعدّ خمسة ابواب وادخل الباب السادس فانه باب المكان المعـــدّلك ولا تخف واذا كلّمك احد فلا تتكلّم معـــه ولا تقف ثم سارت به حتى وصلت الى الابواب فقابلها الحاجب المعدّ لتلك الابواب و قال لها ما هذه الجـــارية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الحاجب قابل العجوز و قال لها ما هذه الجارية فقالت له العجوز ان سيدتنا تريد اشتراءها فقال الخادم ما يدخل احد الاّ باذن امير المؤمنين فارجعي بها فاني لا اخلّيهـــا تدخل لانني اُمرت بهذا فقالت له القهرمانة ايّها الحاجب الكبير اجعل عقلك في رأسك ان نُعما جارية الخليفة الذي قلبه متعلق بها

Digitized by Google

الرحمة ولا نعرف اصلاح هذا الامر الا منك فقالت العجوز لنعمة هل انت مولاها فقال نعم قالت صدقت فانها لاتفترّ عن ذكرك فاخبرها نعمة بما قد جرى له من الاول الى الآخر فقالت العجوز يا غلام لاتعرف اجتماعك بها الا منّي ثم ركبت وعادت من وقتها ودخلت على الجارية فنظرت في وجهها وضحكت وقالت لها يحقّ لك يا بنتي ان تبكي وتمرضي من اجل فراق سيدك نعمة بن الربيع الكوفي فقالت نُعْم قد انكشف لك الغطاء وظهر لك الحق فقالت لها العجوز طيبي نفسا وانشرحي صدرا فوالله لَاَجْمَعَنّ بينكما ولو كان في ذلك ذهاب روحي ثم انها رجعت الى نعمة وقالت له اني رجعت لجاريتك واجتمعت بها فوجدت عندها من الشوق اليك اكثر ما عندك لها وذلك ان امير المؤمنين يريد ان يجتمع بها وهي تمتنع منه فان كان لك جنان ثابت وقوة قلب فانا اجمع بينكما واخاطر بنفسه وادبّر حيلة واعمل مكيدة في دخولك قصر امير المؤمنين حتى تجتمع بالجارية فانها ما تقدر ان تخرج فقال لها نعمة جزاكِ الله خيرا ثم ودّعته واتت الى الجارية وقالت لها ان سيدك قد ذهبت روحه في هواك وهو يريد الاجتماع بك والوصول اليك فما تقولين في ذلك فقالت نُعم وانا كذلك قد ذهبت روحي واريد الاجتماع به فعند ذلك اخذت العجوز بقجة فيها حَلْي ومصاغ وبدلة من ثياب النساء واتت عند نعمة وقالت له ادخل بنا مكانا وحدانا فدخل معها قاعة خلف الدكان ونقشته وزيّنت معاصمه وزوّقت شعره والبسته لباس جارية وزيّنته باحسن ماتتزيّن به الجواري فصار كأنّه من حور الجنان فلما رأته القهرمانة في تلك الصفة قالت تبارك الله احسنُ الخالقين والله انك لاحسن من الجارية ثم

Digitized by Google

منه بدواء فتعاطيت منه مرة واحدة فحصلت لها العافية يا امير المؤمنين فقال امير المؤمنين خذي الف دينار وقومي بابرائها في الادوية ثم خرج وهو فرحان بعافية الجارية وراحت العجوز الى دكان العجمي واعطته الالف دينار واعلمته انها جارية الخليفة وناولته ورقة كانت نُعم قد كتبتها فاخذها العجمي وناولها لنعمة فلما رآها عرف خطّها فوقع مغشيّاً عليه فلما افاق فتحها واذا فيها مكتوب من الجارية المسلوبة من نعمتها المخدوعة في عقلها المفارقة لحبيب قلبها اما بعد فانه قد ورد كتابكم عليّ فشرح الصدر وسرّ الخاطر وكان كقول الشاعر

وَرَدَ الْكِتَابُ فَلَا عَدِمْتُ اَنَامِلًا ... كَتَبَتْ بِهِ حَتَّى تَضَمَّخَ طِيبَا
فَكَأَنَّ مُوسَى قَدْ اُعِيدَ لِاُمِّهِ ... اَوْثَوْبَ يُوسُفَ قَدْ اَتَى يَعْقُوبَا

فلما قرأ نعمة هذا الشعر هملت عيناه بالدموع فقالت له القهرمانة ما الذي يبكيك يا ولدي لا ابكى الله لك عينا فقال العجمي ياستي كيف لايبكي ولدي وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفي وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس بها علة الاهواه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجمي قال للعجوز كيف لايبكي ولَدي وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفي وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس بها علة الاهواه فخذي انت ياستي هذه الالف دينار لكِ ولك عندي اكثر من ذلكِ وانظري لنا بعين

Digitized by Google

ثم دسّ الورقة في داخل العلبة وختمها وكتب على غطاء العلبة بالخط الكوفي انا نعمة بن الربيع الكوفي ثم وضع العلبة قدام العجوز فاخذتها وودّعتهما ورجعت طالبة قصر الخليفة فلما طلعت العجوز بالحوائج الى الجارية وضعت علبة الدواء قدامها ثم قالت لها ياستي اعلمي انه قداتى الى مدينتنا طبيب عجمي ما رأيت احدا ابصر ولا اعرف بامور الامراض منه فذكرت له اسمك بعد ان راى القارورة فعرف مرضك ووصف دواؤك ثم امر ولده فشدّ لك هذا الدواء وليس في دمشق اجمل ولا اظرف من ولده ولا احسن شبابا منه ولا يوجد لاحد دكان مثل دكانه فاخذت نُعم العلبة فرأت مكتوبا على غطائها اسم سيدها واسم ابيه فلما رأته ذلك تغيّر لونها وقالت في نفسها لاشك ان صاحب الدكان قد اتى في خبري ثم قالت للعجوز صفي لي هذا الصبي فقالت اسمه نعمة وعلى حاجبه الايمن اثر وعليه ملابس فاخرة وله حسن كامل فقالت الجارية ناوليني الدواء على بركة الله تعالى وعونه فاخذت الدواء وشربته وهي تضحك وقالت لها انه دواء مبارك ثم فتّشت في العلبة فرأت الورقة ففتحتها وقرأتها فلما فهمت معناها تحقّقت انه سيدها فطابت نفسها وفرحت فلما رأتها العجوز قد ضحكت قالت لها ان هذا اليوم يوم مبارك فقالت نُعم ياقهرمانة اريد شيأ آكله واشربه فقالت العجوز للجواري قدّمن الموائد والطعامات المفتخرة لسيدتكن فقدمن اليها الاطعمة وجلست للاكل واذا بعبد الملك بن مروان قد دخل عليهن ونظر الجارية جالسة وهي تاكل الطعام ففرح ثم قالت القهرمانة يا امير المؤمنين يُهنّيك عافية جاريتك نُعم وذلك انه وصل الى هذه المدينة رجل طبيب ما رأيت اعرف منه بالامراض ودوائها فاتيت لها

Digitized by Google

قارورة فلما نظر العجمي الى ما فى القارورة قال لها ياستي ما اسم هذه الجارية حتى احسب نجمها واعرف اىّ ساعة يوافقها فيها شرب الدواء فقالت يا اخا الفرس اسمها نُعم وادرك شهر زاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايهـا الملك السعيدان العجمي لما سمـــع اسم نُعم جعل يحسب ويكتب على يديه وقال لهـــا ياستي ما اصف لها دواء حتى اعرف من اىّ ارض هي لاجل اختلاف الهواء فعرفيني في اىّ ارض تربّت فيها وكم سنة عمرها فقالت العجوز عمرها اربع عشرة سنة ومرباها بارض الكوفة من العراق فقال وكم شهر لها في هذه الديار فقالت له اقامت في هذه الديار شهورا قليلة فلمـا سمع نعمة كلام العجـــوز وعرف اسم جاريته خفق قلبه وغشي عليه فقال لها الاعجمي يوافقها من الادوية كذا وكذا فقالت له العجوز شدّ ماتريد واعطني ما وصفت على بركة الله تعالى ورمت له عشرة دنانير على الدكان فنظر الحكيم الى نعمة وامره ان يهيّئ لها عقاقير الدواء وصارت العجوز تنظر الى نعمة وتقول اعيذك بالله يا ولدي ان شكلها مثل شكلك ثم قالت العجوز للعجمي يا اخا الفرس هل هذا مملوكك او ولدك فقال لها الحكيم العجمي انه ولدي ثم ان نعمة شدّ الحوائج ووضعها في عُلبَـة واخذ ورقة وكتب فيها هذين البـــــيـــــتين

إِذَا أَنْعَمَتْ نُعْمٌ عَلَيَّ بِنَظْـرَةٍ ... فَلَا أَسْعَدَتْ سُعْدَى وَلَا أَجْمَلَتْ جُمْلُ

وَقَالُوا اسْلُ عَنْهَا تُعْطَ عِشْرِينَ مِثْلَهَا ... وَلَيْسَ لَهَا مِثْلٌ وَلَسْتُ لَهَا أَسْلُو

Digitized by Google

والده ووالدته وسافر مع الحكيم الى حلب فلم يقع على خبر الجارية ثم انهما وصلا الى دمشق واقاما فيها ثلثة ايام ثم ان العجمي اخذ دكانا وملأ رفوفها بالصيني الرفيع والاغطية وزركش الرفوف بالذهب والقطع المثمنة وحطّ قدامه اواني من القناني فيها سائر الادهان وسائر الاشربة ووضع حول القناني اقداحا من البلّور وحطّ التخت والاصطرلاب قدامه ولبس اثواب الحكمة والطب واوقف نعمة بين يديه والبسه قميصا ومِلْوطة من الحرير وفوطة في وسطه بفوطة من الحرير مزركشة بالذهب ثم قال العجمي لنعمة يا نعمة انت من اليوم ولدي فلا تدعني الّا بابيك وانا لا ادعوك الا بالولد فقال نعمة سمعا وطاعة ثم ان اهل دمشق اجتمعوا على دكّان العجمي ينظرون الى حسن نعمة والى حسن الدكان والبضائع التي فيها والعجمي يكلّم نعمة بالفارسية ونعمة يكلّمه كذلك بتلك اللغة لانها كان يعرفها على عادة اولاد الاكابر واشتهر ذلك العجمي عند اهل دمشق وجعلوا يصفون له الاوجاع وهو يعطيهم الادوية ويأتونه بالقوارير المملوءة ببول المرضى فيبصرها ويقول ان مرض صاحب البول الذي في هذه القارورة كذا وكذا فيقول صاحب المرض ان هذا الطبيب صادق ثم صار يقضي حوائج الناس واجتمعت عليه اهل دمشق وشاع خبره في المدينة وفي بيوت الاكابر فبينما هو ذات يوم جالس اذ اقبلت عليه عجوز راكبة على حمار برذعته من الديباج المرصّع بالجواهر فوقفت على دكان العجمي وشدّت لجام الحمار واشارت للعجمي وقالت له امسك يدي فمسك يدها فنزلت من فوق الحمار وقالت له أأنت الطبيب العجمي الواصل من العراق قال نعم قالت اعلم ان لي بنتا وبها مرض واخرجت له

Digitized by Google

لا يعلم ما يقول ولا يعرف من يدخل عليه واقام ضعيفا ثلثة شهور وتغيّرت احواله ويئس منه ابوه ودخلت عليها الاطباء فقالوا ماله دواء الّا الجارية فبينما والده جالس في يوم من الايام اذسمع بطبيب ماهر اعجمي وقد وصفه الناس باتقان الطب والتنجيم وضرب الرمل فدعاه الربيع فلما حضر اجلسه الربيع الى جانبه واكرمه وقال له انظر حال ولدي فقال لنعمة هات يدك فاعطاه يده فجسّ مفاصله ونظر في وجهه وضحك والتفت الى ابيه وقال له ليس بولدك غير مرض في قلبه فقال صدقت ياحكيم فانظر في شان ولدي بمعرفتك واخبرني بجميع احواله ولا تكتم عنّي شيأ من امره فقال الاعجمي انه متعلق بجارية وهذه الجارية في البصرة اوفي دمشق ومادواء ولدك غير اجتماعه بها فقال له الربيع ان جمعت بينهما فلك عندي مايسّرك وتعيش عمرك كله في المال والنعمة فقال له العجمي ان هذا الامر قريب وسهل ثم التفت الى نعمة وقال له لاباس عليك نشدّ قلبك وطب نفسا وقرّعينا ثم قال للربيع اخرج من مالك اربعة آلاف دينار فاخرجها وسلّمها للاعجمي فقال له الاعجمي اريدان ولدك يسافر معي الى دمشق وان شاء الله تعالى لا ارجع الّا بالجارية ثم التفت العجمي الى الشاب وقال له ما اسمك قال نعمة قال يانعمة اجلس انت وكن في امان الله تعالى لقد جمع الله بينك وبين جاريتك فاستوى جالسا ثم قال له شدّ قلبك فنحن نسافر في مثل هذا اليوم فكل واشرب وابسط لتقوى على السفر ثم ان العجمي اخذ في قضاء حوائجه من جميع ما يحتاج اليه من التحف واستكمل من والد نعمة عشرة آلاف دينار واخذ منه الخيل والجمال وغير ذلك مما يحتاج اليه لحمل الاثقال في الطريق ثم ان نعمة ودّع

Digitized by Google

ما اعرف جاريتي الّا منك وبيني وبينك الحجّاج فقال له امض الى من شئت فاتى نعمة الى قصر الحجّاج وكان والده من اكابر اهل الكوفة فلما وصل الى بيت الحجّاج دخل حاجب الحجّاج على الحجّاج واعلمه بالقضيّة فقال له علىّ به فلما وقف بين يديه قال له الحجاج ما بالك فقال له نعمة كان من امري ما هو كذا وكذا فقال هاتوا صاحب الشرطة وتأمره ان يفتّش على العجوز فلما حضر صاحب الشرطة بين يديه وكان يعلم الحجّاج ان صاحب الشرطة يعرف العجوز قال له اريد منك ان تفتّش على جارية نعمة بن الربيع فقال له صاحب الشرطة لا يعلم الغيب الّا الله تعالى فقال له الحجّاج لابدّ ان تركب الخيل وتبصر الجارية فى الطرقات و تنظر فى البلدان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحجّاج قال لصاحب الشرطة لا بدّ ان تركب الخيل وتنظر فى البلدان وتبصر الجارية فى الطرقات وتفتّش على الجارية ثم التفت الى نعمة وقال له ان لم ترجع جاريتك دفعت لك عشر جوار من داري وعشر جوار من دار صاحب الشرطة ثم قال لصاحب الشرطة اخرج في طلب الجارية فخرج صاحب الشرطة ونعمة مغموم وقد يئس من الحيوة وكان قد بلغ من العمر اربع عشرة سنة ولا نبات بعارضيه فجعل يبكي وينتحب وانعزل عن داره ولم يزل يبكي هو وامه الى الصباح فاقبل والده وقال له يا ولدي ان الحجّاج قد احتال على الجارية واخذها ومن هاهنا الى ساعة يأتي الله بالفرج فتزايدت الهموم على نعمة وصار

Digitized by Google

فلم تزح القناع عن وجهها فلم يروجهها وانما رأى معا صمها فوقعت محبّتهـــا في قلبه وقال لاخته لا ادخل عليها الا بعد ثلثة ايام حتى تستأنس بك وقام وخرج من عندها فصارت الجـــارية متفكّرة في امرها ومتحسرة على افتراقها من سيدها نعمة فلما اتى الليل ضعفت الجـارية بالحمّى ولم تاكل ولم تشرب وتغيّر وجهها ومحاسنهـــا فعرّفوا الخليفة بذلك فشقّ عليه امرها ودخل عليها بالاَطباء واهل البصائر فلم يقف لهـــا احد على طب هذا ماكان من امرها واما ماكان من امر سيدها نعمـة فانه اتى الى داره وجلس على فراشـــه ونادى يانُعـــم فلم تجبه فقام مسرعا ونادى فلم يدخل عليه احد وكل جاريـة في البيت اختفت خوفا من سيدها فخرج نعمـــة الى والدته فوجدها جالسة ويدها على خدها فقال لها يا امّي اين نُعم فقالت له يا ولدي مع مَن هي اوثق مني عليها وهي العجوز الصالحة فانها خرجت معها لتزور الفقراء وتعود فقال ومتى كان لهـــا عادة بذلك وفي اي وقت خرجت قالت خرجت بكرة النهار قال وكيف اذنت لها بذلك فقالت له يا ولدي هي التي اشارت عليّ بذلك فقال نعمة لاحول ولاقوّة الّا بالله العليّ العظيم ثم خرج من بيته وهو غائب عن الوجود واتى الى صاحب الشرطة فقال له اَنتحتـــال عليّ وتأخذ جاريتي من داري فلا بدلي ان اشتكـــيك الى امير المؤمنين فقال صاحب الشرطة ومن اخذها فقال عجوز صفتهـــا كذا وكذا وعليها ملبوس من الصوف وبيدها سبحة عدد حبّاتها الوف فقال له صاحب الشرطة اوقفني على العجوز وانا اخلص لك جاريتـــك فقال ومن يعرف العجوز فقال له صاحب الشرطة وما يعلم الغيب الّا الله سبحانه وتعالى وقد علم صاحب الشرطة انها محتالة المحجّاج فقال له نعمة

Digitized by Google

على امير المؤمنين فاذن له فدخل الحاجب عليه واخبره بخبر الجارية فاخلى لهـا مقصورة ثم دخل الخليفة حريمه فرأى زوجته فقال لها ان الحجّاج قد اشترى لي جارية من بنات ملوك الكوفة بعشرة آلاف دينـار وارسل اليّ هذا الكتاب وهي صحبة الكتـاب فقالت له زوجته وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـاح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد المائتين

قالت بلغني ايهـا الملك السعيدان الملك لما اخبر زوجته بقصة الجارية قالت له زوجته زادك الله من فضله ثم دخلت اخت الخليفة عبد الملك على الجـارية فلما رأتهـا قالت والله ما خاب مَن انت في منزله ولوكان ثمنك مائة الف دينار فقالت لها الجـارية نُعم يا صبيحة الوجه هذا قصر مَن من الملوك وايّ مدينة هذه فقالت لها هذه مدينة دمشق وهذا قصر اخي امير المؤمنين عبد الملك بن مروان ثم قالت للجارية كانك ما علمت هذا قالت والله ياستي لا علم لي بهذا قالت والذي باعك وقبض ثمنك ما اعلمك بانّ الخليفة قد اشتراك فلما سمعت الجارية ذلك الكلام سكبت دموعها وبكت وقالت في نفسها لقد تمّت الحيـلة عليّ ثم قالت في نفسها ان تكلّمت فمـا يصدقني احد ولكن اسكت واصبر لعلمي ان فرج الله قريب ثم انها اطرقت رأسها حياء وقد احمرّت خدودها من اثر السفر والشمس فتركتها اخت الخليفة في ذلك اليوم وجاءتها في اليوم الثاني بقماش وقلائد من الجـواهر والبستهـا فدخل عليها امير المؤمنين وجلس الى جانبها فقالت له اخته انظر الى هذه الجارية التي قد كمل الله فيهـا الحسن والجمال فقال الخليفة لنُعم ازيحي القنـاع عن وجهـك

Digitized by Google

الاماكن الطاهرة دعوت لك واتمنّي ان تكوني معي حتى ترى المشائخ الواصلين ويدعون لك بما تختارين فقالت لها الجارية نُعم بالله يا امّي ان تأخذيني معك فقالت لها استاذني حَماتك وانا آخذك معي فقالت الجارية لحَماتها ام نعمة يا ستي اسألي سيدي ان يخلّيني اخرج انا وانت يوما من الايام مع امي العجوز الى الصلوة والدعاء مع الفقراء في الاماكن الشريفة فلما اتى نعمة وجلس تقدمت اليه العجوز وقبّلت يديه فمنعها من ذلك ودعت له وخرجت من الدار فلمّا كان ثاني يوم جاءت العجوز ولم يكن نعمة في الدار فاقبلت على الجارية نُعم وقالت لها قد دعونا لكم البارحة ولكن قومي في هذه الساعة تفرّجي وعودي قبل ان يجي سيدك فقالت الجارية لحماتها سالتك بالله ان تأذني لي في الخروج مع هذه المرأة الصالحة لاتفرّج على اولياء الله في الاماكن الشريفة واعود بسرعة قبل مجيء سيدي فقالت ام نعمة اخشى ان يدري سيدك فقالت العجوز والله لاادعها تجلس على الارض بل تنظر وهي واقفة على اقدامها ولاتبطئ ثم اخذت الجارية بالحيلة واتت بها الى قصر الحجاج وعرّفته بمجيئها بعد ان حطّتها في مقصورة فاتى الحجاج ونظر اليها فرآها اجمل اهل زمانها ولم يرمثلها فلما رأته نُعم سترت وجهها منه فلم يفارقها حتى استدعى بحاجبه واركب معه خمسين فارسا وامره ان يأخذ الجارية على نجيب سابق ويتوجّه بها الى دمشق ويسلّمها الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان وكتب له كتابا وقال له اعطه هذا الكتاب وخذ منه الجواب واسرع اليّ بالرجوع فاسرع الحاجب واخذ الجارية على هجين وخرج وسافر بها وهي باكية العين لفراق سيّدها حتى وصلوا الى دمشق واستأذن

Digitized by Google

لنعمة يا سيدي احلف على هذه العجوز ان تقيم عندنا مدة فان على وجهها اثر العبادة فقال اخلّي لها مجلسا تدخل فيه للعبادة ولا تخلّي احدا يدخل عليها فلعلّ الله سبحانه وتعالى ينفعنا ببركتها ولا يفرّق بيننا ثم باتت العجوز ليلتها تصلّي وتقرأ الى الصباح فلما اصبح الله بالصباح جاءت الى نعمة ونُعم وصبّحت عليهما وقالت لهما استودعتكما الله فقالت لها نُعم الى اين تمضين يا امّي وقد اعرفي سيدي ان اخلّي لك مجلسا تعتكفين فيه للعبادة وتصلّي فقالت العجوز الله يبقيه ويديم نعمته عليكما ولكن اريد منكما ان توصوا البوّاب انه لا يمنعني من الدخول اليكما ولن شاء الله تعالى ادور في الاماكن الطاهرة وادعو لكما عقب الصلوة والعبادة في كل يوم وليلة ثم خرجت من الدار والجارية نُعم تبكي على فراقها ولم تعلم السبب الذي اتت اليها من اجله ثم ان العجوز توجّهت الى الحجاج واتت فقال لها ما وراءك فقالت له انّي نظرت الى الجارية فرأيتها لم تلد النساء احسن منها في زمانها فقال لها الحجاج ان فعلت ما امرتك به سوف يصل اليك منّي خير جزيل فقالت له اريد منك المهلة شهرا كاملا فقال لها امهلتك شهرا ثم ان العجوز جعلت تتردّد الى دار نعمة وجاريته نُعم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز صارت تتردّد الى دار نعمة ونُعم وهما يزيدان في اكرامها ومازالت العجوز تمسي وتصبح عندهما ويرحّب بها كل من في الدار حتى ان العجوز اختلت بالجارية يوما من الايام وقالت لها يا ستي والله ان حضرتك

Digitized by Google

الاّ بالله العلي العظيم ولم تزل في تسبيح وابتهال و قلبها ملآن بالمكر و المحال حتى وصلت الى دار نعمة بن الربيع عند صلوة الظهر فقرعت الباب ففتح لها البوّاب وقال لها ماتر يدين قالت انا فقيرة عابدة و ادركتني صلوة الظهر واريدان اصلّي في هذا المكان المبارك فقال لها البوّاب يا عجوز ان هذه دار نعمة بن الربيع وليست هي بجامع ولا مسجد فقالت انا اعرف انها لاجامع ولامسجد مثل دارنعمة بن الربيع وانا قهرمانة من قصر امير المؤمنين خرجت طالبة للعبادة و السياحة فقال لها البوّاب لا امكّنك من ان تدخلي وكثر بينهما الكلام فتعلّقت به العجوز وقالت له هل يمنع مثلي من دخول دار نعمة بن الربيع وانا اعبر الى دار الامراء و الاكابر فخرج نعمة وسمع كلامهما فضحك وامرها ان تدخل خلفه فدخل نعمة وسارت العجوز خلفه حتى دخل بها على نُعم فسلمت عليها العجوز باحسن سلام ولما نظرت الى نُعم بهتت وتعجّبت من فرط جمالها ثم قالت لها ياستي اعيذك باللّه الذي الّف بينك وبين مولاك في الحسن والجمال ثم التصبت العجوز في المحراب و اقبلت على الركوع و السجود و الدعاء الى ان مضى النهار واقبل الليل بالاعتكار فقالت الجارية يا امّي اريحي قدميك ساعة فقالت العجوز يا ستي من طلب الآخرة اتعب نفسه في الدنيا و من لم يتعب نفسه في الدنيا لم ينل منازل الابرار في الآخرة ثم ان نُعما قدمت الطعام للعجوز وقالت لها كُلْ من طعامي وادعي لي بالتوبة والرحمة فقالت العجوز يا ستي اني صائمة واما انت فصبية يصلح لك الاكل والشرب والطرب واللّه يتوب عليك وقد قال الله تعالى إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ولم تزل الجارية جالسة مع العجوز ساعة تحدّثها ثم قالت نُعم

Digitized by Google

إِذَا كُنْتَ لِي مَوْلَى أَعِيشُ بِفَضْلِهِ وَسَيْفًا بِهِ أَفْنَى رِقَابَ النَّوَائِبِ
فَمَا لِي إِلَى زَيْدٍ وَعَمْرٍو شَفَاعَةٌ سِوَاكَ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي

فطرب نعمة طربا عظيما ثم قال لها بحيوتي يا نُعم غنّي لنا بالدف وآلات الطرب فاطربت بالنغمات وغنّت بهذه الابيات

وَحَيَاةِ مَنْ مَلَكَتْ يَدَاهُ قِيَادِي لَأُخَالِفَنَّ عَلَى الْهَوَى حُسَّادِي
وَلَأُغْضِبَنَّ عَوَاذِلِي وَلَأُطِيعُكُمْ وَلَأَهْجُرَنَّ تَلَذُّذِي وَرُقَادِي
وَلَأَحْفُرَنَّ لِحُبِّكُمْ وَسْطَ الْحَشَى قَبْرًا وَلَمْ يَشْعُرْ بِذَاكَ فُؤَادِي

فقال الغلام لله درّك يا نُعم فبينما هما في اطيب عيش واذا بالحجاج في دار نيابته يقول لابدّ لي ان احتال على اخذ هذه الجارية التي اسمها نُعم وأُرسلها الى امير المؤمنين عبد الملك ابن مروان لانه لم يوجد في قصره مثلها ولا اطيب من غناها فاستدعى بعجوز قهرمانة وقال لهـا امضي الى دار الربيع واجتمعي بالجارية نُعم وتسبّبي في اخذها لانه لم يوجد على وجه الارض مثلهـا فقبلت العجوز من الحجاج ما قاله فلما اصبحت لبست اثوابا بها الصوف وحطّت في رقبتها سبحة حبّاتها الوف واخذت بيدها عكّازا وركوة يمانيـة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـاح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز قبلت ما قاله الحجاج فلما اصبحت لبست اثوابها الصوف وحطت في رقبتها سبحة عدد حبّاتها الوف واخذت بيدها عكّازا وركوة يمـانية وسارت وهي تقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الّا الله والله اكبر ولا حول ولا قوّة

Digitized by Google

سلّمه لمولاها ثم دفع للنخاس ثمن الجارية واعطاه دلالته وتسلّم الجارية وابنتها ومضى بهما الى بيته فلما نظرت ابنة عمه الى الجارية قالت له يا بن العم ما هذه الجارية قال لها اشتريتها رغبة في هذه الصغيرة التي على يديها واعلمي انها اذا كبرت ما يكون في بلاد العرب والعجم مثلها ولا اجمل منها فقالت له ابنة عمه نعم ما رأيت ثم قالت للجارية ما اسمك فقالت لها يا ستي اسمي توفيق قالت وما اسم ابنتك قالت سعد قالت صدقت لقد سعدت وسعد من اشتراك ثم قالت يا بن عمي ما تسميها قال ما تختارينه انت قالت نسميها نُعم قال الربيع نعم ما افتكرت فيه ثم ان الصغيرة نُعم تربّت مع نعمة بن الربيع في مهد واحد الى حين بلغا من العمر عشر سنين وكان كلواحد منهما احسن من صاحبه وصار الغلام يقول لها يا اختي وهي تقول له يا اخي ثم اقبل الربيع على ولده نعمة حين بلغ هذا السن وقال له يا ولدي ليست نُعم اختك بل هي جاريتك وقد اشتريتها على اسمك وانت في المهد فلا تدعها باختك من هذا اليوم قال نعمة لابيه فاذا كان كذلك فانا اتزوّجها ثم انه دخل على والدته واعلمها بذلك فقالت يا ولدي هي جاريتك فدخل نعمة بن الربيع بتلك الجارية واحبّها ومضى عليهما سنون وهما على تلك الحالة ولم يكن بالكوفة جارية احسن من نُعم ولا احلى ولا اظرف منها وقد كبرت وقرأت القرآن والعلوم وعرفت انواع اللعب والآلات وبهرت في المغنى وآلات الملاهي حتى انها فاقت جميع اهل عصرها فبينما هي جالسة ذات يوم من الايام مع زوجها نعمة بن الربيع في مجلس الشراب وقد اخذت العود وغنّت اوتاره وانشرحت واطربت وانشدت هذين البيتين

Digitized by Google

فلما كانت الليلة المابعة والثلثون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السلطان امر الامجد بنهب دار بهرام وشنقه فارسل الوزير جماعة لذلك فتوجّهوا الى بيت بهرام ونهبوه وظلموا بابنته الى الوزير فاكرمها وحدّث الاسعد اخاه بكل ما جرى عليه من العذاب وما عملت معه بنت بهرام من الاحسان فزاد الامجد في اكرامها ثم حكى الامجد للاسعد جميع ماجرى له مع الصبيّة وكيف سلم من الشنق وقد صار وزيرا ثم صار يشكو احدهما للآخر ما وجد من فرقة اخيه ثم ان السلطان احضر المجوسي وامر بضرب عنقه فقال بهرام ايها الملك الاعظم هل صممت على قتلي قال نعم فقال بهرام اصبر عليّ ايها الملك قليلا ثم انه اطرق برأسه الى الارض وبعد ذلك رفع رأسه وتشهّد واسلم على يد السلطان ففرحوا باسلامه ثم حكى له الامجد والاسعد جميع ما جرى لهما فتعجّب وقال لهما يا سيداي تجهّزا للسفر وانا اسافر بكما ففرحا بذلك وباسلامه وبكيا بكاء شديدا فقال لهما بهرام يا سيداي لا تبكيا فمصيركما تجتمعان كما اجتمع نعمة ونُعم فقالا له وماجرى لنعمة ونُعم

حكاية نعمة بن الربيع ونُعم جاريته

فقال بهرام ذكروا والله اعلم انه كان بمدينة الكوفة رجل من وجوه اهلها يقال له الربيع بن حاتم وكان كثير المال معرّفه المحال وكان قد رزق ولدا فسمّاه نعمة الله فبينما هو ذات يوم بدكّة النخّاسين اذ نظر الى جارية تعرض للبيع وعلى يدها وصيفة صغيرة بديعة في الحسن والجمال فاشار الربيع الى النخّاس وقال له بكم هذه الجارية وابنتها فقال بخمسين دينارا فقال الربيع اكتب العقد وخذ المال

Digitized by Google

فرتعت محبّته في قلبها فقالت له ما اسمك قال لهـا اسمي الاسعد فقالت له سعدتَ و سعدتْ ايامك انت ما تستاهل العذاب ولا الضرب وقد علمت انك مظلوم وصارت تؤانسه بالكلام وفكّت قيوده ثم انها سألته عن دين الاسلام فاخبرها انه هو الدين الحق القويم وان سيدنا محمدا صاحب المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة وان النار تضرّ ولا تنفع وصار يخبرها بالاسلام وعن قواعدها فاذعنت اليه ودخل حبّ الايمان في قلبهـا ومزّج الله تعالى محبة الاسعد بفؤادها فنطقت بالشهـادتين وصارت من اهل السعادة وصارت تطعمه وتسقيه وتتحدّث معه وتصلّي هي واياه وتصنع له المساليق بالدجاج حتى اشتدّ وزال ما به من الامراض ورجع الى ماكان عليه من الصحة هذا ما جرى له مع بنت بهرام المجوسيّ ثم ان بنت بهرام خرجت من عند الاسعد و وقفت على الباب واذا بالمنادي ينـادي ويقول كل من كان عنده شاب مليح صفته كذا وكذا واظهره فله جميع ما طلب من الاموال و من كان عنده وانكره فانّه يشنق على باب داره و ينهب ماله ويهدر دمه وكان الاسعد قد اخبر بستانا بنت بهرام بجميع ماجرى له فلما سمعت ذلك عرفت انه هو المطلوب فدخلت عليه و اخبرته بالخبر فخرج وتوجّه الى دار الوزير فلما رأى الوزيرَ قال والله ان هذا الوزير هو اخي الامجد ثم طلع وطلعت الصبية وراءه الى القصر فرأى اخاه الامجدَ فالقى نفسه عليه ثم ان الامجد عرفه فالقى نفسه عليه وتعانقا واحتاطت بهما المماليك و نزلوا من فرق خيولهم وغشي على الاسعد والامجد ساعة فلما افاقا من غشيتهما اخذه الامجد وطلع به الى السلطان واخبره بقصته فامر السلطان بنهب بيت بهرام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

Digitized by Google

الانهار وسافر بالليل والنهار حتى اشرف على مدينة ففرح واسرع في مشيه فلما وصل اليها ادركه المساء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاسعد لما وصل الى المدينة ادركه المساء وقد قفل باب المدينة فكان بالقضاء والقدر هذه المدينة هي التي كان اسيرا فيها واخوه الامجد بها وزير ملكها فلما رآها الاسعد مقفولة رجع الى جهة المقابر وصوب التربة فلما وصل الى المقابر وجد تربة بلا باب فدخلها ونام فيها وحطّ وجهه في عبّه وكان بهرام المجوسي لما وصلت اليه الملكة مرجانة بالمراكب كسرها بمكره وسحره ورجع سالما نحو مدينته وسار من وقته وساعته وهو فرحان فلما جاز على المقابر طلع من المركب بالقضاء والقدر ومشى بين المقابر فرأى التربة التي فيها الاسعد مفتوحة فتعجب وقال لابدان انظر في هذه التربة فلما نظر فيها رأى الاسعد بجانب تربة وهو نائم ورأسه في عبّه فطلّ في وجهه فعرفه فقال له هل انت تعيش الى الان ثم انه اخذه وذهب به الى بيته وكان له في بيته طابق تحت الارض معدّ لعذاب المسلمين وكان له بنت تسمى بستانا فوضع في رجلي الاسعد قيدا ثقيلا وانزله في ذلك الطابق ووكّل بنته بتعذيبه ليلا ونهارا الى ان يموت ثم انه ضربه الضرب الوجيع وقفل عليه الطابق واعطى المفاتيح لبنته ثم ان بنته بستانا فتحت الطابق ونزلت لتضربه فوجدته شابا ظريف الشما ئل حلو المنظر مقوّس الحاجبين كحيل المقلتين

Digitized by Google

المجوسي فلكم عندي الخلع والاموال وان لم تلحقوها قتلتكم من آخركم فحصل للعربية خوف ورجله عظيم ثم سافروا بالمراكب ذلك النهار وتلك الليلة وثاني يوم وثالث يوم وفي اليوم الرابع لاحت لهم مركب بهرام المجوسي ولم ينقض النهار حتى دارت واحاطت المراكب بمركب المجوسي وكان بهرام في ذلك الوقت قد اخرج الاسعد وضربه وصار يعاقبه والاسعد يستغيث ويستجير فلم يجد مغيثا ولا مجيرا من الخلق وقد آلمه الضرب الشديد فبينما هو يعاقبه اذ لاحت منه نظرة فوجد المراكب قد احاطت بمركبه ودارت حولها كما يدور بياض العين بسوادها فتيقن انه هالك لامحالة فتحسر بهرام وقال ويلك يا اسعد هذا كله من تحت رأسك ثم اخذه بيده وامر رجاله ان يرموه في البحر وقال والله لا قتلك قتل موتي ثم احتملوه من يديه ورجليه ورموه في وسط البحر فاذن الله سبحانه وتعالى لما يريد من سلامته وبقية اجله انه غطس ثم طلع وخبط بيديه ورجليه الى ان سهّل الله عليه واتاه الفرج وضربه الموج وقذفه بعيدا من مركب المجوسي ووصل الى البر فطلع وهو لم يصدق بالنجاة ولمّا صار في البر قلع ثيابه وعصرها ونشرها وقعد عريانا يبكي على حاله وما جرى عليه من المصائب والقتل والاسر والغربة ثم انشد هذين البيتين

إِلٰهِي قَلَّ صَبْرِي وَاحْتِيَالِي ... وَضَاقَ الصَّبْرُ وَانْصَرَمَتْ حِبَالِي
إِلَى مَنْ يَشْتَكِي الْمِسْكِينُ إِلَّا ... إِلَى مَوْلَاهُ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي

فلما فرغ من شعره قام ولبس ثيابه ولم يعلم اين يروح ولا اين يجيء فصار يأكل من نبات الارض وفواكه الاشجار ويشرب من ماء

Digitized by Google

على بحرية المركب وقال لهم حلّوا قلوعكم وسافروا بنا فقالوا له سمعا وطاعة ولكن اصبر علينا حتى نملأ قربنا ونحمل ثم طلع البحرية بالقرب من اجل ان يملأوها وداروا حول القلعة فلم يجدوا غير حيطان البستان فتعلقوا بها ونزلوا البستان وتتبعوا اثر الاقدام الموصلة الى الفسقية فلما وصلوا اليها وجدوا الاسعد مستلقيا على قفاه فعرفوه وفرحوا به وحملوه بعد ان ملوا قربهم ونطّوا به من الحائط واتوا به مسرعين الى بهرام وقالوا له ابشر بحصول المراد وشفاء الاكباد فقد طبل طبلك وزمر زمرك فان اسيرك الذي اخذته الملكة مرجانة منك غصبا قد وجدناه واتينا به معنا ثم رموه قدامه فلما نظره بهرام طار قلبه من الفرح واتّسع صدره وانشرح ثم خلع عليهم وامرهم ان يحلوا القلوع بسرعة فحلّوا قلوعهم وسافروا قاصدين جبل النار ولم يزالوا مسافرين الى الصباح هذا ما كان من امرهم واما ماكان من امر الملكة مرجانة فانها بعد نزول الاسعد من عندها مكثت تنتظره ساعة فلم يعد اليها فقامت وفتّشت عليه فما وجدت له اثرا فاوقدت الشموع وامرت الجواري ان يفتشن عليه ثم نزلت هي بنفسها فرأت البستان مفتوحا فعلمت انه دخله قد خلت البستان فوجدت نعله بجانب الفسقية ثم دوّرت في جميع البستان تفتّشه فلم تر له خبرا ولم تزل تفتّش عليه في جوانب البستان الى الصباح ثم سألت عن المركب فقالوا لها قد سافرت في ثلث الليل فعلمت انهم اخذوه معهم فغضبت وصعب عليها ثم امرت بتجهيز عشر مراكب كبار في الوقت وتجهزت للحرب ونزلت في مركب من العشر مراكب وانزل معها المماليك والجواري وعسكرها مهيئين بالعدّة الفاخرة وآلات الحرب وحلّوا القلوع وقالت للرؤساء متى لحقتم مركب

Digitized by Google

غير هذا فقالت الملكة مرجانة لابد من اخذه منك امّا ببيع وامّا بهبة فقال لها لا ابيعه ولا اهبه ثم مسكت بيد الاسعد واخذته و طلعت به القلعة وارسلت تقول له ان لم تقلع في هذه الليلة عن بلدنا اخذتُ جميع مالك وكسرت مركبك فلما وصلت اليه الرسالة اغتمّ غمّا شديدا وقال ان هذه سفرة غير محمودة ثم قام وتجهّز و اخذ جميع ما يريده وانتظر الليل يقبل عليه ليسافر فيه وقال للبحرية خذوا اهبتكم واملؤا قِرَبكم من الماء و اقلعوا بنا في آخر الليل فصار البحرية يقضون اشغالهم وينتظرون الليل فاقبل الليل عليهم هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر الملكة مرجانة فانها اخذت الاسعد ودخلت به الى القلعة وفتحت الشبابيك المطلّة على البحر وامرت الجواري ان يقدمن الطعام فقدم لهما الطعام فاكلا ثم امرتهن ان يقدمن المدام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملكة مرجانة امرت الجواري ان يقدمن المدام فقدمنه فشربت مع الاسعد والقى الله سبحانه وتعالى محبة الاسعد في قلبها وصارت تملأ القدح وتسقيه حتى غاب عقله فقام يريد قضاء حاجة ونزل من القاعة فرأى بابا مفتوحا فدخل فيه وتمشى فانتهى به السير الى بستان عظيم فيه من جميع الفواكه والازهار فجلس تحت شجرة وقضى حاجته وقام الى الفسقية التي في البستان فاستلقى على قفاه ولباسه محلول فضربه الهواء فنام ودخل عليه الليل هذا ما كان من امره واما ما كان من امر بهرام فانه لما دخل عليه الليل صاح

Digitized by Google

الدخول الى هذه المدينة لاجل الراحة و بعد ذلك يفعل الله مايشاء فقال له بهرام نعم ما فعلت وما رأيت والذي تراه افعله فقال له الرئيس اذا ارسلت لنا الملكة تسألنا ماذا يكون جوابنا لها فقال له بهرام انا عندي هذا المسلم الذي معنا فنلبسه لبس المماليك ونخرجه معنا واذا رأته الملكة تظنّ و تقول هذا مملوك فاقول لها اني جلاّب مماليك ابيع واشتري فيهم وقد كان عندي مماليك كثيرة فبعتهم ولم يبق غير هذا المملوك فقال له الرئيس هذا كلام مليح ثم انهم وصلوا الى المدينة وارخوا القلوع ودقّوا المراسي ووقفت المركب واذا بالملكة مرجانة نزلت عندهم ومعها عسكرها ووقفت على المركب ونادت على الرئيس فطلع عندها وقبّل الارض بين يديها فقالت له اي شيءٍ في مركبك هذه ومن معك فقال لها يا ملكة الزمان معي رجل تاجر يبيع المماليك فقالت عليّ به واذا ببهرام طلع ومعه الاسعد ماش وراءه في صفة مملوك فلما وصل اليها بهرام قبّل الارض ووقف بين يديها فقالت له ما شانك فقال لها انا تاجرٌ رقيق فنظرت الى الاسعد وقد ظنّت انه مملوك فقالت له ما اسمك فخنقه البكاء وقال لها اسمي الاسعد فحنّ قلبها عليه وقالت له اتعرف الكتابة قال نعم فناولته دواة وقلما وقرطاسا وقالت له اكتب شيأ حتى اراه فكتب هذين البيتين

مَا حِيلَةُ الْمَرْءِ وَالْاَقْدَارُ جَارِيَةٌ ... عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ اَيُّهَا الرَّائِي
اَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ ... اِيَّاكَ اِيَّاكَ اَنْ تَبْتَلَّ بِالْمَاءِ

فلما رأت الورقة رحمته ثم قالت لبهرام يعني هذا المملوك فقال لها يا ستي لا يمكنني بيعه لانّي بعت جميع مماليكي ولم يبق عندي

Digitized by Google

مركبا للسفر اخذ الاسعدَ وحطّه في صندوق وقفله عليه ونقله الى المركب وكان في تلك الساعة التي حوّل فيها بهرام الصندوق الذي فيه الاسعد كان الامجد بالقضاء والقدر واقفا يتفرّج على البحر فنظر الامجد الى الحوائج وهم ينقلونها الى المركب فخفق فؤاده وامر غلمانه ان يقدّموا له مركوبه ثم ركب في جملة من جماعته وتوجّه الى البحر ووقف على مركب المجوسي وامر من معه ان ينزلوا المركب ويفتّشوها فنزلت الرجال وفتّشوا المركب جميعها فلم يجدوا فيها شيأ فطلعوا واعلموا الامجد بذلك فركب وولّى طالبا بيته فلما وصل الى منزله ودخل القصر انقبض خاطره فنظر بعينه في الدار فرأى سطرين مكتوبين على حائط وهما هذا ان البيتان

أَحْبَابُنَا إِنْ غِبْتُمُ عَنْ نَاظِرِي ... فَعَنِ الْفُؤَادِ وَخَاطِرِي مَا غِبْتُمُ
لَكِنَّكُمْ خَلَّفْتُمُونِي مُدْنِفًا ... وَمَنَعْتُمُ جَفْنِي الرُّقَادَ وَنُمْتُمُ

فلما قرأهما الامجد تذكّر اخاه وبكى هذا ماكان من امره واما ماكان من امر بهرام المجوسي فانه نزل المركب وصاح وزعق على البحرية ان يعجّلوا بحلّ القلوع فحلّوا القلوع وسافروا ولم يزالوا مسافرين اياما وليالي وبعد كل يومين يخرج الاسعد ويطعمه قليلا من الزاد ويسقيه قليلا من الماء الى ان قربوا من جبل النار فخرج عليهم ريح وهاج بهم البحر فتاهت المركب عن الطريق وسلكوا طريقا غير طريقهم وعبروا الى بحر غيره ووصلوا الى مدينة مبنيّة على شاطئ البحر ولها قلعة بشبابيك تطلّ على تلك البحر والحاكمة على تلك المدينة امرأة يقال لها الملكة مرجانة فقال الرئيس لبهرام ياسيدي اننا تهنا عن الطريق ولابدّ لنا من

Digitized by Google

وشقّ في وسط المدينة حتى اتى الى بهادر ووقف قدام الوالي وقال له ياسيدي لاتقتل بهادر فانه بريءٌ والله ما قتلها الّا انا فلما سمع الوالي كلامه اخذه هو وبهادر وطلع بهما الى الملك واعلمه بما سمعه من الامجد فنظر الملك الى الامجد وقال له أأنت قتلت الصبيّة قال نعم فقال له الملك احكِ لي ما سبب قتلك اياها واصدقني قال له ايها الملك انه جرى لي حديث عجيب وامر غريب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم حكى للملك حديثه واخبره بما جرى له ولاخيه من المبتدأ الى المنتهى فتعجّب الملك من ذلك غاية العجب وقال له اعلم اني قد علمتُ انك معذور ولكن يا فتى هل لك ان تكون عندي وزيرا فقال له سمعا وطاعة فخلع عليه الملك وعلى بهادر خلعا سنيّة واعطاه داراحسنة وخدما وحشما وانعم عليه بجميع ما يحتاج اليه ورتّب له الرواتب والجرايات وامرهُ ان يبحث على اخيه الاسعد فجلس الامجد في مرتبة الوزير وحكم وعدل وولّى وعزل واخذ واعطى وارسل المنادي في ازقّة المدينة ينادي على اخيه الاسعد فمكث مدة ايام ينادي في الشوارع والاسواق فما سمع له بخبر ولا وقع له على اثر هذا ماكان من امر الامجد واما ماكان من امر الاسعد فان المجوس لازالوا يعاقبونه بالليل والنهار وفي العشيّ والابكار مدة سنةٍ كاملة حتى قرب عيد المجوس فتجهّز بهرام المجوسي الى السفر وهيّأ له مركبا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بهرام المجوسي لما جهّز

Digitized by Google

حمل الفرد وخرج من القاعة وشقّ بها الاسواق وقصد بها طريق البحر المالح ليرميها فيه فلما صار قريبا من البحر التفت فرأى بالوالي و المقدمين قداحاطوابه ولما عرفوه تعجّبوا و فتحوا الفرد فوجدوا فيه قتيلة فمسكوه وبيّتوه فى الحديد الى الصباح ثم طلعوابه هو والفرد على حاله الى الملك واعلموه بالخبر فلما راى الملك ذلك غضب غضبا شديدا وقال له ويلك انك تفعل هكذا دائما فتقتل القتلى وترميهم فى البحر وتأخذ جميع مالهم وكم فعلت قبل ذلك من قتل فاطرق بهادر رأسه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلثون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان بهادر اطراق برأسه الى الارض قدام الملك فصرخ الملك عليه وقال له ويلك من قتل هذه الصبية فقال له يا سيدي انا قتلتها ولاحول ولاقوة الّا بالله العليّ العظيم فغضب الملك وامر بشنقه فنزل به السيّاف حين امره الملك ونزل الوالي بالمنادي ينادي في ازقّة المدينة بالفرجة على بهادر اميريا خور الملك ودار به فى الازقّة والاسواق هذا ماكان من امر بهادر واما ماكان من امر الامجد فانه لما طلع عليه النهار وارتفعت الشمس ولم يعد اليه بهادر قال لاحول ولا قوة الّا بالله العليّ العظيم يا ترى اي شيء تمّ عليه وماجرى له فبينما هو يتفكّر واذا بالمنادي ينادي بالفرجة على بهادر فانهم يشنقونه في وسط النهار فلما سمع الامجد ذلك بكى وقال انّا لله وانّا اليه راجعون قد اراد هلاك نفسه ظلما من اجلي وانا الذي قتلتها والله لاكان هذا ابدا ثم خرج من القاعة وقفلها

Digitized by Google

غير معوّد بهذا ثم انهما لم يزالا يأكلان و يشربان و بهادر في خدمتهما الى نصف الليل حتى تعب من الخدمة والضرب فنام في وسط القاعة وشخر ونخر فسكرت الصبية وقالت للامجد قم خذ هذا السيف المعلّق واضرب رقبة هذا المملوك وان لم تفعل عملتُ على هلاك روحك فقال الامجد وايّ شيءٍ خطر لك في قتل مملوكي قالت لايكمل الحظّ الاّ بقتله وان لم تقم قمت انا وقتلته فقال الامجد بحق الله عليك لا تفعلي فقالت لابد من هذا واخذت السيف وجرّدته وهمّت بقتله فقال الامجد في نفسه هذا رجل عمل معنا خيرا وسترنا واحسن الينا وجعل نفسه مملوكي كيف نجازيه بالقتل لاكان ذلك ابدا ثم قال للصبيّة ان كان ولابد من قتل مملوكي فانا احقّ بقتله منك ثم اخذ السيف من يدها ورفع يده وضرب الصبيّة في عنقها فاطاح رأسها عن جثّتها فوقعت رأسها على صاحب الدار فاستيقظ وجلس وفتح عينيه فوجد الامجد واقفا والسيف في يده مخضّبا بالدم ثم نظر الى الصبية فوجدها مقتولة فاستخبره عن امرها فاعاد عليه حديثها وقال انها ابت الاّ ان تقتلك وهذا جزاؤها فقام بهادر وقبّل رأس الامجد وقال له ياسيدي ليتك عفوت عنها ومابقي في الامر الاّ اخراجها في هذا الوقت قبل الصباح ثم ان بهادر شدّ وسطه واخذ الصبية ولفّها في عباءة ووضعها في فرد وحملها وقال للامجد انت غريب ولا تعرف احدا فاجلس في مكانك وانتظرني الى وقت الفجر فان عدت اليك لا بدان افعل معك خيرا كثيرا واجتهد في كشف خبر اخيك وان ظلعت الشمس ولم اعد اليك فاعلم انه قد قضي عليّ والسلام عليك وهذه الدار لك ولك ما فيها من الاموال والقماش ثم انه

Digitized by Google

الامجد يده ودخل وقد اكتسى وجهه حمرة وبياضا فاول مادخل قال للصبية ياستي أأنست موضعك وهذه ليلة مباركة فقالت له الصبيه ان هذا عجيب منك حيث بسطت لي الانس فقال الامجد والله ياسيدتي اني كنت اعتقدان مملوكي بهادر اخذلي عقود جواهر كل عقد يساوى عشرة آلاف دينار ثم انني خرجت الساعة وانا متفكر في ذلك فتشت عليها فوجدتها في موضعها ولم ادر ماسبب تأخر المملوك الى هذا الوقت ولابدلي من عقوبته فاستراحت الصبية بكلام الامجد ولعبا وشربا وانشرحا ولم يزالا في حظّ الى قريب المغرب فدخل عليهما بهادر وقد غيّر لبسه وشدّ وسطه وجعل في رجليه زربونا على عادة المماليك ثم سلّم وقبّل الارض وكتّف يديه واطرق برأسه الى الارض كالمعترف بذنبه فنظر اليه الامجد بعين الغضب وقال له يا انحس المماليك ماسبب تأخّرك فقال له ياسيدي اني اشتغلت بغسل اثوابي وماعلمت انك هاهنا لان ميعادي وميعادك العشاء لابالنهار فصرخ عليه الامجد وقال له تكذب يا انحس المماليك والله لابدّ من ضربك ثم قام الامجد وسطح بهادر على الارض واخذ عصا وضربه برفق فقامت الصبيّة وخلّصت العصا من يديه ونزلت على بهادر بضرب وجمع حتى ألمه الضرب وجرت دموعه واستغاث وصاريكزّ على اسنانه والامجد يصيح على الصبية لاتفعلي وهي تقول دعني اشتفي غيظي منه ثم ان الامجد خطف العصا من يدها ودفعها فقام بهادر ومسح دموعه من وجهه ووقف في خدمتهما ساعة ثم مسح القاعة واوقد القناديل وصارت الصبّية كل ماخرج اودخل بهادر تشتمه وتلعنه والامجد يغضب منها ويقول لها بحق الله تعالى عليك ان تتركي مملوكي فانه

Digitized by Google

لما وصل الى باب القاعة ورأى الباب مفتوحا دخل قليلا قليلا وطلّ برأسه فنظر الامجد والصبية وقد امهما طبق الفاكهة والجرّة وفي ذلك الوقت كان الامجد ماسك القدح وعينه الى الباب فلما صارت عينه في عين صاحب الدار اصفرّ لونه وارتعدت فرائصه فلما رآه بهادر قد اصفرّ لونه وتغيّر حاله غمزه باصبعه على فمه يعني اسكت وتعال عندي فحطّ الامجد الكاس من يده وقام اليه فقالت الصبيّة الى اين فحرّك رأسه واشار لها انه يريق الماء ثم خرج الى الدهليز حافيا فلما رآه بها درعلم انه صاحب الدار فاسرع اليه وقبّل يديه وقال له بالله عليك ياسيدي قبل ان تؤذيني ان تسمع مني مقالي ثم حدّثه بحديثه من اوّله الى آخره واخبره بسبب خروجه من ارضه ومملكته وانه مادخل القاعة باختياره ولكن الصبية هي التي كسرت الضبة وفتحت الباب وفعلت هذه الفعال فلما سمع بهادر كلام الامجد وماجرى عليه وعرف انه ابن ملك حنّ عليه ورحمه ثم قال له اسمع يا امجد كلامي واطعني وانا اتكفّل لك بالامان مما تخاف وان خالفتني قتلتك فقال الامجد أمرني بما شئت فانا لا اخالفك ابدا لانّني عتيق مروتك فقال له بهادر ادخل الساعة الى البيت واجلس في المكان الذي كنت فيه واطمئنّ وها انا داخل اليك واسمي بهادر فاذا دخلتُ اليك فاشتمني وانهرني وقل لي ماسبب تأخّرك الى هذا الوقت ولاتقبل لي عذرا بل قم اضربني وان شفعت عليّ اعدمتك حيوتك فادخل وانبسط ومهما طلبته مني في هذه الساعة تجده حاضرا بين يديك في الوقت وبت كما تحب في هذه الليلة وفي غد توجّه الى حال سبيلك اكراما لغربتك فانّي احب الغريب وواجب عليّ اكرامه فقبّل

شهقة و اعطت الامجد قبلة مثل كسر الجوز و قالت له يا سيدي ان كنت مواعد غيري فانا اشدّ ظهري و اخدمها فضحك الامجد من قلب مملوء بالغيظ ثم طلع وجلس و هو ينفخ وقال في نفسه يا قتلة الغرام اذا جاء صاحب المنـــزل وقد جلست الصبية الى جانبه وصارت تلعب و تضحك والامجد مهموم معبّس يحسب في نفســـه الـف حساب ويقول لا بدّان يجيء صاحب هذه القاعة فايّ شيء اقول له ولا بد انه يقتلني بلاشكّ وتروح روحي ثم ان الصبيّة قامت وتشمّرت واخذت خوانا وقد حطت عليه السفرة و اكلت وقالت للامجد كل يا سيدي فتقدم الامجد ليأكل فما طاب له الاكل بل صار ينظر الى ناحيـــة الباب حتى اكلت الصبية وشبعت و قد رفعت الخوان وقدمت طبق الفاكهـة وشرعت تتنقّل ثم قدمت المشروب وفتحت الجرّة وملأت قدحا وناولته للامجد فاخذه منها وقال في نفسه آه آه من صاحب هذه الدار اذا جاء ورآني وقد صارت عينه صوب الدهليز والقدح في يده فبينما هو كذلك واذا بصاحب الدار قد جاء وكان مملوكا من اكابر المدينـة لانه كان اميـر ياخور عند الملك وقد جعل تلك القاعة معدّة لحظّه لينشرح فيها صدره ويختلي فيها بمن يريده وكان في ذلك اليوم قد ارسل الى معشوق يجيء له وقد جهّز له ذلك المكان وكان اسم ذلك المملوك بهادر وكان سخيّ اليد صاحب جود و احسان و صدقات وامتنان فلما وصل الى قريب وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بهادر صاحب القاعة امير ياخور

Digitized by Google

ونحن قاعدون في الزقاق ثم قامت الصبية الى الضبّة بحجر فقال لها الامجد لا تعجلي واصبري حتى يجيء المملوك فلم تسمع كلامه بل ضربت الضبّة بالحجر فقسمتها نصفين فانفتح الباب فقال لها واي شيء خطرلك حتى تفعلي هكذا فقالت له يوه يوه ياسيدي وايش جرى اما هو بيتك وموضعك فقال نعم ولكن لا يحتاج الى كسر الضبّة ثم ان الصبيّة دخلت البيت فبقي الامجد متحيرا في نفسه خوفا من اصحاب المنزل ولم يدر ما ذا يصنع فقالت له الصبية لِمَ لم تدخل يانور عيني وحشاشة قلبي قال لها سمعنا وطاعة ولكن قد ابطأ علي المملوك وما ادري هل فعل شيأ مما قلت له عليه وامرته به ام لا ثم انه دخل معها وهو في غاية مايكون من الخوف من اصحاب المنزل ولما دخل البيت وجد فيه قاعة مليحة باربعة لوانين متقابلة وفيها خزائن وسدلات مفروشات بالفرش الحرير والديباج وفي وسط القاعة فسقيه مثمنة مرصوص عليها اطباق مرصعة بفصوص الجواهر وهي مملوءة فاكهة ومشموما وفي جانبها اوانى الشراب وهناك شمعدان فيه شمعة مركبة والمكان ملآن بنفيس القماش وفيه صناديق وكراسي منصوبة وعلى كل كرسيّ بقجة وفوقها كيس ملآن دارهم وذهب ودنانير والدار تشهد لصاحبها بالسعادة لان ارضها مفروشة بالرخام فلما رأى الامجد ذلك تحيّر في امره وقال في نفسه قد راحت روحي انّا لله وانّا اليه راجعون واما الصبية فانها لما رات ذلك المكان فرحت فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقالت والله يا سيدي ما قصر مملوكك فانه مسح المكان وطبخ الطعام وهيّأ الفاكهة وقد جئتُ انا في احسن الاوقات فلم يلتفت اليها الامجد لاشتغال قلبه بالخوف من اصحاب المكان فقالت يوه يا سيدي يا كبدي مالك واقفا هكذا ثم شهقت

Digitized by Google

لَاعَرْوَانْ اَحْرَقَتْ نَارُ الْهَوَى كَبِدِي ... فَالنَّارُ حَقٌّ عَلَى مَنْ يَعْبُدُ الْوَثَنَا
تَبِيْعُ مِثْلِيَ مَجَّانًا بِلَا ثَمَنٍ ... اِنْ كَانَ لَابُدَّ مِنْ بَيْعٍ فَخُذْ ثَمَنَا

فلما سمع الامجد منها هذا الكلام قال لها اتجيئين عندي او اجيئ عندك فاطرقت برأسها حياء الى الارض و تلت قوله تعالى الرِّجَالُ قَوَّامُوْنَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللّٰهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ففهم الامجد اشارتها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الامجد فهم اشارة المرأة وعرف انها تريد الذهاب معه حيث يذهب فالتزم للصبية المكان و قد استحيى ان يروح بها عند الخياط الذي هو معلّمه فمشى قدّامها ومشت خلفه ولم يزل ما شيا بها من زقاق الى زقاق ومن موضع الى موضع حتى تعبت الصبية فقالت له يا سيدي اين دارك فقال لها قدّام وما بقي عليها الا شيٌ يسير ثم انعطف بها في زقاق مليح ولم يزل ما شيا فيه وهي خلفه حتى وصل الى آخره فوجده غير نافذ فقال لاحول و لاقوة الا بالله العلي العظيم ثم التفت بعينه فرأى في صدر الزقاق بابا كبيرا بمصطبتين ولكنه مغلوق فجلس الامجد على واحدة وجلست الاخرى على واحدة فقالت له يا سيدي ما الذي تنتظره فاطرق برأسه الى الارض مليا ثم رفع رأسه وقال لها انتظر مملوكي لان المفتاح معه وكنت قد قلت له هيٌ لنا الماكول و المشروب وصحبة المدام حتى اخرج من الحمام ثم قال في نفسه ربما يطول عليها المطال فتروح الى حال سبيلها وتخليني في هذا المكان فاروح الى حال سبيلي فلما طال عليها الوقت قالت له يا سيدي ان المملوك قد ابطأ علينا

Digitized by Google

وقدّ و اعتدال بديعة فى الجمـــال مالها فى الحسن مثال فلما رائته رفعت القِناع عن وجهها وغمزته بحواجبها وعيونها وغازلته باللحظات وانشدت هذه الا بـــــــــــيـــــــــــات

رَأَيْتُكَ مُقْبِلًا فَغَضَضْتُ طَرْفِي ... كَأَنَّكَ يَا مُهَفْهَفُ عَيْنُ شَمْسِ
فَإِنَّكَ أَنْتَ أَحْسَنُ مَنْ تَهَدَّى ... وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَحْسَنُ مِنْكَ أَمْسِ
وَلَوْ قُسِمَ الْجَمَالُ لَكَانَ خَمْسٌ ... لِيُوسُفَ وَاحِدٌ أَوْبَعْضُ خَمْسِ

فلما سمع الامجد كلامها ارتاح خاطره لديها و حنّت جوارحه اليها و قد لعبت به ايدى الصبابات فاشار اليهـــا وانشد هذه الا بيـــات

وَرْدُ الْخُدُودِ وَدُونَهُ شَوْكُ الْقَنَا ... فَمَنِ الْمُحَدِّثُ نَفْسَهُ إِنْ يَجْتَنِى
لَاتَمْدُدِ الْأَيْدِي إِلَيْهِ فَطَالَمَا ... شَنُّوا الْحُرُوبَ لَإِنْ مَدَدْنَا الْأَعْيُنَا
قُلْ لِلَّتِي ظَلَمَتْ وَكَانَتْ فِتْنَةً ... وَلَوِ انَّهَا عَدَلَتْ لَكَانَتْ أَفْتَنَـــا
لِيَزَادُ وَجْهُكِ بِالتَّبَرْقُعِ ضَلَّةً ... وَأَرَى السُّفُورَ لِمِثْلِ حُسْنِكِ أَصْوَنَا
كَالشَّمْسِ يَمْتَنِعُ اجْتِلَاؤُكَ وَجْهَهَا ... وَإِنِ اكْتَسَتْ بِرَقِيقِ غَيْمٍ أَمْكَنَا
هَدَيَتِ النَّحِيلَةَ فِي حِمَى مِنْ نَحْلِهَا ... فَسَلُوا حُمَاةَ الْحَيِّ عَمَّا قَصَدْنَا
إِنْ كَانَ قَتْلِي قَصْدُهُمْ فَلْيَرْفَعُوا ... تِلْكَ الضَّغَائِنَ وَلْيُخَلُّوا بَيْنَنَـــا
مَا هُمْ بِأَعْظَمَ فَتْكَةً لَوْ بَارَزُوا ... مِنْ طَرْفِ ذَاتِ الْخَالِ إِذْ بَرَزَتْ لَنَا

فلما سمعت من الامجد هذا الشعر تنهدت بصاعد الزفرات واشارت اليه وانشدت هذه الا بـــــــــــيـــــــــــات

أَنْتَ الَّذِي سَلَكَ الْإِعْرَاضَ لَسْتُ أَنَا ... جُدْ بِالْوِصَالِ إِذَا كَانَ الْوَفَاءُ أَنَى
يَا فَالِقَ الصُّبْحِ مِنْ لَأْلَاءِ غُرَّتِهِ ... وَجَاعِلَ اللَّيْلِ مِنْ أَصْدَافِهِ سَكَنَا
بِصُورَةِ الْوَثَنِ اسْتَعْبَدْتَنِي وَبِهَا ... فَتَنْتَنِي وَقَدِيمًا هِجْتَ لِي فِتَنَا

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الامجد لما مكث ينتظر اخاه الاسعد الى نصف النهار فما عاد اليه فخفق فؤاده واشتدّ به الم الفراق وافاض دمعه المهراق و بكى و نادى وا اُخيّاه وا رفيقاه و احسرتاه ما كان اخوفني من الفراق ثم نزل من فوق الجبل و دمعه سائل على خدّيه و دخل المدينة ولم يزل ماشيا فيها حتى وصل الى السوق و سأل الناس عن اسم المدينة وعن اهلها فقالوا له هذه تسمى مدينة المجوس واهلها يعبدون النار دون الملك الجبّار ثم سأل عن مدينة الآبنوس فقالوا له ان المسافة التي بيننا وبينه من البرّ سنة و من البحر ستة اشهر و ملكها يقال له ارمانوس و قد ظاهر اليوم فيها سلطانا و جعله مكانه وذلك الملك يقال له قمر الزمان و هو صاحب عدل و احسان وجود وامان فلما سمع الامجد بذكر ابيه بكى وانّ واشتكى و صار لا يعلم اين يتوجّه وقد اشترى معه شيأ للاكل ودخل الى موضع يتوارى فيه ثم قعد واراد ان ياكل فتذكر اخاه فبكى وما اكل الّا قدر سدّ الرمق قصبا ثم قام يمشي في المدينة ليعلم خبر اخيه فوجد رجلا مسلما خيّاطا في دكان فجلس عنده وقد حكى للخياط قصّته فقال له الخياط ان كان وقع في يد احد من المجوس فما بقيت تراه الا بعسر ولعلّ الله يجمع بينك وبينه ثم قال له هل لك يا اخي ان تنزل عندي قال نعم ففرح الخياط بذلك واقام عنده اياما وهو يعلّمه ويصبره ويعلّمه الخياطة حتى صار ماهرا فخرج يوما الى شاطئ البحر وغسل اثوابه ودخل الحمام ولبس ثيابا نظيفة ثم خرج من الحمام يتفرج في المدينة فصادف في طريقه امرأة ذات حسن وجمال

Digitized by Google

وَاسْأَتْ اَحْبَابِي بِمَا اَشْمَتْ بِي ... كُلَّ الْعِدَاةِ بِمَا صَنَعْتَ مِنَ الرَّدِي
وَقَدِ اشْتَفَى قَلْبُ الْعَدُوِّ بِمَا رَأَى ... مِنْ غُرْبَتِي وَصَبَابَتِي وَتَوَحُّدِي
لَمْ يَكْفِهِ مَا حَلَّ بِي مِنْ كُرْبَةٍ ... وَفِرَاقِ اَحْبَابٍ وَ طَرْفٍ اَرْمَدِ
حَتَّى بُلِيتُ بِضِيقِ سِجْنٍ لَيْسَ لِي ... فِيهِ اَنِيسٌ غَيْرَ عَضٍّ بِالْيَدِ
وَمَدَامِعٍ تَهْمِي كَفَيْضِ سَحَائِبٍ ... وَغَلِيلِ شَوْقٍ نَارُهُ لَمْ تَخْمُدِ
وَكَآبَةٍ وَهَمَابَةٍ وَتَذَكُّرٍ ... وَتَحَسُّرٍ وَتَنَفُّسٍ وَتَنَهُّدِ
شَوْقٌ اُكَابِدُهُ وَحُزْنٌ مُتْلِفٌ ... وَوَقَعْتُ فِي وَجْدٍ مُقِيمٍ مُقْعِدِ
لَمْ اَلْقَ لِي مِنْ عَاطِفٍ ذِي رَحْمَةٍ ... يَحْنُو عَلَيَّ بِزَوْرَةِ الْمُتَرَدِّدِ
هَلْ مِنْ صَدِيقٍ ذِي وِدَادٍ صَادِقٍ ... يَرْثِي لِاَسْقَامِي وَطُولِ تَسَهُّدِي
اَشْكُو اِلَيْهِ مَا اُكَابِدُهُ اَسًى ... وَالطَّرْفُ مِنِّي سَاهِرٌ لَمْ يَرْقُدِ
وَيَطُولُ لَيْلِي فِي الْعَذَابِ لَاَنَّنِي ... اَصْلَى بِنَارِ الْهَمِّ ذَاتِ تَوَقُّدِ
اَلْبَرْقُ وَالْبَرْغُوثُ قَدْ شَرِبَا دَمِي ... فَرْبَ الطِّلَا مِنْ كَفِّ اَلْمَى اَهْيَدِ
وَالْجِسْمُ بَيْنَ الْقَمْلِ مِنِّي قَدْ حَكَى ... مَالَ الْيَتِيمِ بِكَفِّ قَاضٍ مُلْحِدِ
وَسَكَنْتُ فِي قَبْرٍ ثَلَاثَةِ اَذْرُعٍ ... وَغَدَوْتُ بَيْنَ مُقَيَّدٍ وَ مُقَصَّدِ
فَمُدَامَتِي دَمْعِي وَقَيْدِي مَطْرِبِي ... وَالْفِكْرُ نُقْلِي وَالْهُمُومُ تَمَهُّدِي

فلما فرغ من شعره و نظمه ونثره انّ واشتكى وتذكّر ماكان فيه وما حصل له من فراق اخيه هذا ماكان من امره وا ما ماكان من امر اخيه الامجد فانه مكث ينتظر اخاه الاسعد الى نصف النهار فما عاد اليه فخفق فؤاده واشتدّ به الم الفراق وافاض دمعه المهراق وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

صَبْرًا لِمَا قَدَّرْتَهُ يَا سَيِّدِي صَبْرًا وَلَوْ أُلْقِيتُ فِي نَارِ الْغَضَا
جَارُوا عَلَيَّ بِظُلْمِهِمْ وَقَدِ اعْتَدَوْا فَلَعَلَّ بِالْحَسَنَاتِ أَنْ تَتَعَوَّضَا
حَاشَاكَ تَغْفُلُ سَيِّدِي عَنْ ظَالِمِي فَرَسَيْلَتِي بِكَ أَنْتَ يَا رَبَّ الْقَضَا

وقول الآخر

كُنْ عَنْ أُمُورِكَ مُعْرِضًا وَكِلِ الْأُمُورَ إِلَى الْقَضَا
فَلَرُبَّ أَمْرٍ مُسْخِطٍ لَكَ فِي عَوَاقِبِهِ رِضَى
وَلَرُبَّمَا اتَّسَعَ الْمَضِيقُ وَرُبَّمَا ضَاقَ الْفَضَا
اَللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فَلَا تَكُنْ مُتَعَرِّضَا
وَابْشِرْ بِخَيْرٍ عَاجِلٍ تَنْسَى بِهِ مَا قَدْ مَضَى

فلما فرغ من شعره نزلت عليه الجارية بالضرب حتى غشي عليه ورمت له رغيفا وكوزماء مالح وطلعت من عنده وخلّته وحيدا فريدا حزينا والدماء تسيل من اجنابه وهو مقيّد في الحديد بعيد عن الاحباب فبكى وتذكّر اخاه والعزّ الذي كان فيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الاسعد تذكّر اخاه والعزّ الذي كان فيه فحنّ وبكى وانّ واشتكى وسكب العبرات وانشد هذه الابيات

يَا دَهْرُ مَهْلًا كَمْ تَجُورُ وَتَعْتَدِي وَلَكَمْ بِإِخْوَانِي تَرُوحُ وَتَغْتَدِي
مَا آنَ أَنْ تَرْثِي لِطُولِ تَشَتُّتِي وَتُرِقَّ يَا مَنْ قَلْبُهُ كَالْجَلْمَدِ

Digitized by Google

رأسه رغيفا وكوز ماء مالح وراحت وخلته فاستفاق الاسعد في نصف الليل فوجد روحه مقيدا مضروبا وقد آلمه الضرب فبكى بكاء شديدا وتذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك والسيادة وفرقة ابيه والملك الذي كان فيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاسعد لما رأى نفسه مقيدا مضروبا وقد آلمه الضرب تذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك والسيادة فبكى وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

قِفُوا بِرُسُومِ الدَّارِ وَاسْتَخْبِرُوا عَنَّا ... وَلَا تَحْسِبُونَا فِي الدِّيَارِ كَمَا كُنَّا
لَقَدْ فَرَّقَ الدَّهْرُ الْمُشَتِّتُ شَمْلَنَا ... وَمَا تَشْتَفِي أَكْبَادُ حُسَّادِنَا مِنَّا
تَوَلَّتْ عَذَابِي بِالسِّيَاطِ لَئِيمَةٌ ... وَقَدْ مَلَأَتْ مِنِّي جَوَانِحُهَا ضِغْنَا
عَسَى وَلَعَلَّ اللَّهُ يَجْمَعُ شَمْلَنَا ... وَيَدْفَعُ بِالتَّنْكِيلِ أَعْدَاءَنَا عَنَّا

فلما فرغ الاسعد من شعره مد يده عند راسه فوجد رغيفا وكوز ماء مالح فاكل قليلا ليسد خلته ورمقه وشرب قليلا من الماء ولم يزل سهرانا الى الصباح من كثرة البق والقمل فلما اصبح الصباح نزلت اليه الجارية وغيرت اثوابه وكانت قد غمرت بالدم والتصقت على جلده فطلع جلده مع القميص فصرخ وتاوه وقال يا مولاي ان كان في هذا رضاك فزدني منه يا رب انك لست غافلا عمن ظلمني فخذ حقي منه ثم صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

صَبْرًا لِحُكْمِكَ يَا إِلَهِي فِي الْقَضَا ... أَنَا صَابِرٌ إِنْ كَانَ فِيهِ لَكَ الرِّضَا

لاشتري طعاما و شيأ و اعود به الى اخي من اجل ان نفتات به فقال له الشيخ ياولدي ابشر بكل خير واعلم انني عملت وليمة وعندي صيوف كثيرة و جمعت فيها من اطيب الطعام و احسنه ما تشتهيه النفوس فهل لك ان تسير معي الى مكاني فاعطيك ما تريد ولاآخذ منك شيأ ولا ثمنا واخبرك باحوال هذه المدينة والحمد لله يا ولدي حيث وقعت بك ولم يقع بك احد غيري فقال الاسعد افعل ما انت اهله وعجّل فان اخي ينتظرني وخاطره كله عندي فاخذ الشيخ بيد الاسعد ورجع به الى زقاق ضيق وصار الشيخ يتبسم في وجهه ويقول له صبحان من نجّاك من اهل هذه المدينة ولم يزل ما شيا به حتى دخل دارا واسعة و فيها قاعة واذا بوسطها اربعون شيخا طاعنون في السن جالسون وهم مجتمعون و مصطفون حلقة وفي وسطهم نار موقدة والمشائخ جالسون حولها يعبدونها و يسجدون لها فلما رأى ذلك الاسعد بهت لهم واقشعرّ بدنه ولم يعلم ما خبرهم فنادى الشيخ لهؤلاء الجماعة يا مشائخ النار فما ابركه من نهار ثم نادى قائلا يا غضبان فخرج له عبد اسود طويل القامة و صورته هائلة بوجه اعبس وانف افطس ثم اشار الى العبد فادار كتاف الاسعد فشدّ وثاقه وبعد ذلك قال له الشيخ انزل به الى القاعة التي تحت الارض واتركه هناك وقل للجارية الفلانية تتولّى عقوبته بالليل والنهار فاخذه العبد و انزله تلك القاعة وسلّمه الى الجارية فصارت تتولّى عقوبته وتطعمه رغيفا واحدا باكر النهار ورغيفا واحدا في العشاء وكوز ماء مالح في الغداة ومثله في العشي ثم ان المشائخ قالوا لبعضهم لما ياتي اوان عيد النار نذبحه على الجبل ونتقرّب به الى النار ثم ان الجارية نزلت اليه وضربته ضربا وجيعا حتى سالت الدماء من اجنابه و غمي عليه ثم حطت عند

Digitized by Google

وانا امضي واسير الى هذه المدينة وانظر ما هي ولمن هي واين نحن من ارض الله الواسعة ونعرف الذي قطعناه من البلاد في عرض هذه الجبل ولو اننا مشينا في لحفه ما كنا نصل الى هذه المدينه في سنة كاملة فالحمد لله على السلامة فقال له الاسعد والله يا اخي ما ينزل ويذهب الى هذه المدينة غيري وانا فداك فانك ان تركتني ونزلت انت الساعة وغبتَ عنّي حسبت انا الف حساب وتستغرقني الافكار من اجلك وليس لي قدرة على بعدك عنّي فقال له الاسعد انزل ولا تبطئ فنزل الاسعد من الجبل واخذ معه دنانير وخلى اخاه ينتظره وسار ولم يزل ماشيا في اسفل الجبل حتى دخل المدينة وشقّ في ازقتها فلقيه في طريقه رجل وهو شيخ كبير طاعن في السن وقد نزلت لِحيته على صدره وافترقت فرقتين وبيده عُكّاز وعليه ثياب فاخرة وعلى رأسه عمامة كبيرة حمراء فلما رآه الاسعد تعجّب من لبسه وزيّه وتقدم اليه وسلّم عليه وقال له اين طريق السوق يا سيدي فلما سمع الشيخ كلامه تبسّم في وجهه وقال له يا ولدي كانك غريب فقال له الاسعد نعم انا غريب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ الذي لقي الاسعد تبسّم في وجهه وقال له يا ولدي كانك غريب فقال له الاسعد نعم انا غريب فقال له الشيخ قد آنستَ ديارنا يا ولدي ولو حشت ديار اهلك فما الذي تريد من السوق فقال الاسعد يا عم ان لي اخا تركته في الجبل ونحن مسافرون من بلاد بعيدة ولنا في السفر مدة ثلثة شهور وقد اشرفنا على هذه المدينة فحبّبت اخي الاكبر فوق الجبل وجئت الى ههنا

Digitized by Google

رجعا وسلكا الطريق التي في وسط الجبل وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان الامجد والاسعد اولاد الملك قمر الزمان لمـا عادا من الطريق الصـاغدة فى الجبل الى الطريق المسلوكة في وسطه مشيا فيها طول ذلك النهار الي الليل وقد تعب الاسعد من كثرة السير فقال لاخيـه يا اخي انا مابقيت اقدر على المشي فاني ضعفتُ جدًّا فقال له الامجد يا اخي شدّ روحك لعـلّ الله يفرّج عنّا ثم انهما مشيـا ساعة من الليل وقد اظلم عليهمـا الظلام وتعب الاسعد تعبـا شديدا ما عليه من مزيد وقال يا اخي اني تعبتُ وكلّيتُ من المشي ورمى نفسه على الارض وبكى فحمله اخوه الامجد ومشى به وصار ساعة يحمله ويمشي وساعة يقعدو يستريح الى ان طلع الصباح فطلع هو واياه فوق الجـبل فوجدا عين ماء يجري وعـندها شجرة رمّان ومحراب فماصدقا انهـما يريان ذلك ثم جلسا عند تلك العيـن وشربا من مائها واكلا من رمّان تلك الشجـرة وناما في ذلك الموضع حتـى طلعت الشمس فجلسا واغتسلا في العين واكلا من ذلك الرمان الذي فى الشجرة وناما الى العصر وارادا ان يسيرا فما قدر الاسعد ان يسير وقد ورمت رجلاه فاقاما هناك ثلثة ايام حتى استراحا ثم سارا في الجبل مدة ايام و ليالي وهما سائران فوق الجبل و قد هلكا وتعبا من العطش الى ان لاحت لهما مدينة من بعيد ففرحا وسافرا حتى وصلا اليها فلما قربا منها شكرا لله تعالى فقال الامجد للاسعد يا اخي اجلس هنا

Digitized by Google

يَا قَمَرًا قَدْ غَابَ تَحْتَ الثَّرَى ... بَكَتْ عَلَيْهِ الْأَنْجُمُ الزَّاهِرَهْ
وَيَا قَضِيبًا لَمْ يَمُسَّ بَعْدَهُ ... مَعَاطِفَ لِلْأَعْيُنِ النَّاظِرَهْ
مَنَعْتُ عَيْنِي عَنْكَ مِنْ غَيْرَتِي ... عَلَيْكَ حَتَّى صِرْتُ لِلْآخِرَهْ
وَاَعْرَقْتُ بِالسُّهْدِ فِي دَمْعِهَا ... وَإِنَّنِي مِنْ ذَاكَ بِالسَّاهِرَهْ

ثم ترامى على قبر الاسعد وبكى وانّ واشتكى وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

قَدْ كُنْتُ أَهْوَى أَنْ أُشَاطِرَكَ الرَّدَى ... لَكِنْ أَرَادَ اللّٰهُ غَيْرَ مُرَادِي
سَوَّدْتُ مَا بَيْنَ الْفَضَاءِ وَنَاظِرِي ... وَمَحَوْتُ مِنْ عَيْنِي كُلَّ سَوَادِ
لَا يَنْفَدُ الدَّمْعُ الَّذِي أَبْكِي بِهِ ... إِنَّ الْفُؤَادَ لَهُ مِنَ الْإِمْدَادِ
اِعْزُزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكَ بِمَوْضِعٍ ... مُتَشَابِهِ الْأَوْغَادِ وَالْأَمْجَادِ

ثم زاد الملك في البكاء والانين ولما فرغ من بكائه وشعره هجر الاحباب والخلّان وانقطع في البيت الذي سمّاه بيت الاحزان وصار يبكي فيه على اولاده وقد هجر نساءه واصحابه واصدقاءه هذا ماكان من امره واما ماكان من امر الامجد والاسعد فانهما لم يزالا سائرين في البريّة وهما يأكلان من نبات الارض ويشربان من متحصلات الامطار مدة شهر كامل حتى انتهى بهم المسير الى جبل من الصوّان الاسود لا يعلم اين منتهاه والطريق افترقت عند ذلك الجبل طريقين طريق تشقّه من وسطه وطريق صاعدة الى اعلاه فسلكا الطريق التي في اعلا الجبل واستمرّا سائرين فيها خمسة ايام فلم يريا له منتهى وقد حصل لهما الاعياء من التعب وليسا معتادين على المشي في جبل ولا في غيره ولما يئسا من الوصول الى منتهاه

Digitized by Google

وجدتهما صابرين محتسبين بما نزل بهمـــا و قد قال لي انّ ابانا معذور فاقرئه منا السلام و قل له انت في حلّ من قتلنا ومن دمائنا ولكن نوصيك ان تبلّغه هذين البيتين وهمـــــــــــــا

إنّ النّساءَ شَياطينٌ خُلِقْنَ لَنَا ... نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ كَيْدِ الشَّيَاطِينِ
فَهُنَّ أَصْلُ البَلِيَّاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ ... بَيْنَ البَرِيَّةِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ

فلمـــا سمع الملك من الخازندار هذا الكلام اطرق برأسه الى الارض مليّا وعلم ان كلام ولديه هذا يدلّ على انهما قد قتلا ظلما ثم تفكّر في مكر النساء و دواهيهن واخذ البقجتين وفتحهما وصار يقلّب ثياب اولاده ويبكي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك قمر الزمان لما فتح البقجتين وصار يقلّب ثياب اولاده ويبكي فلما فتح ثياب ولده الاسعد وجد في جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته بدور و فيها جدائل شعرها ففتح الورقة وقرأها و فهم معناها فعلم ان ولده الاسعد مظلوم ثم فتّش رزمة الامجد فوجد في جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته حياة النفوس وفيهـا جدائل شعرها ففتح الورقة و قرأها فعلم انه مظـــلوم فدقّ يدا على يد وقال لاحول ولاقوة الا بالله العـلي العظـــيم قد قتلتُ اولادي ظلمـــا ثم صار يلطم على وجهه ويقول واولداه واطول حزناه وامر ببناء قبرين في بيت واحد وسمّاه بيت الاحزان و قد كتب عليهمـــا اسمي ولديه وترامى على قبر الامجد وبكى وانّ وابكى و انشد هذه الابيـــــــــــــات

Digitized by Google

ان افرط فيكما بقتلكما فلا كان من يقتلكما فبروحي افديكما واترك شعر زاد الضباع فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الخازندار قال للاسعد والاسعد بروحي افديكما ثم نهض من وقته وساعته واعتنقهما وسالهما عن سبب فكّ وثاقهما وقدومهما فاخبراه انهما عطشا وافحل الوثاقين من احدهما ففكّ الآخر بسبب خلوص نيّتهما ثم انهما اقتصّا الاثر حتى وصلا اليه فلما سمع كلامهما شكرهما على فعلهما وخرج معهما الى ظاهر الغابة فلما صاروا في ظاهر الغابة قالا له يا عم افعل ما امرك به ابونا فقال حاشى لله ان اتربكما بضرر ولكن اعلما اني اريد ان انزع ثيابكما والبسكما ثيابي واملأ قنانيتين من دم الاسد ثم اروح الى الملك واقول له اني قتلتهما واما انتما فسيحا في البلاد وارض الله واسعة واعلما ياسيداي ان فراقكما يعزّ عليّ ثم بكى كل من الخازندار والغلامين وقد قلعا ثيابهما والبسهما ثيابه وراح الى الملك وقد اخذ ذلك وربط قماش كل واحد منهما في بقجة معه وملأ القنانيتين من دم الاسد وجعل البقجتين قدّامه على ظهر الجواد ثم ودّعهما وسار متوجّها الى المدينة ولم يزل سائرا حتى دخل على الملك وقبّل الارض بين يديه فرآه الملك متغيّر الوجه وذلك مما جرى له من الاسد فظنّ ان ذلك من قتل اولاده فتنزح وقال له هل قضيت النشل قال نعم يا مولانا ثم ناوله البقجتين اللتين فيهما الثياب والقنانيتين الممتلئتين بالدم فقال له الملك ما ذا رأيت منهما وهل اوصياك بشيء قال

Digitized by Google

عيونه ترمي بالشرر له وجه عبوس و شكل يهـول النفوس فالتفت الخازندار فرأى ذلك الاسد قاصدا اليه فلم يجد له مهربا من يديه ولم يكن معه سيف فقال في نفسه لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ماحصل لي هذا الضيق الّا بذنب الامجد والاسعد وان هذه السفرة مشؤمة من اوّلها ثم ان الامجد والاسعد قدحمي عليهما الحرّ فعطشا عطشا شديدا حتى نزلت السنتهما واستغاثا من العطش فلم يغثهما احد فقالا يا ليتنا كنّا قُتلنا واسترحنا من هذا ولكن ماندري اين جفل الحصان حتى ذهب الخـازندار وراءه وخـلّانا مكتّفين فلو جاءنا وقتلنا كان اريح لنا من مقاساة هذا العذاب فقال الاسعد يا اخي اصبر فسوف يأتينا فرج الله سبحانه وتعالى فان الحصـان ما جفل الّا لاجل لطف الله بنا وما ضرّنا غير هذا العطش ثم هزّ نفسه وتحرّك يمينا وشمالا فانحلّ كتافه فقام وحلّ كتاف اخيه ثم اخذ سيف الامير وقال لاخيه والله لانروح من ها هنـا حتى نكشف خبره ونعـرف ماجرى له وشرعا يقتصّان الاثر فدلّهما على الغابة فقالا لبعضهمـا ان الحصان والخازندار ما تجاوزا هذه الغابة فقال الاسعد لاخيه قف هنا حتى ادخل الغابة وانظرها فقال له الامجد ما اخليك تدخل فيها وحدك وما ندخل الاجميعا فان سلمنا سلمنا سواء وان عطبنا عطبنا سواء فدخل الاثنان فوجدا الاسد قدهجم على الخازندار وهو تحته كانه عصفور ولكنه صار يبتهل الى الله ويشير الى نحو السماء فلما رآه الامجد اخذ السيف وهجم على الاسد وضربه بالسيـف بين عينيه فقتلـه ووقع الاسد مطروحا على الارض فنهض الامير وهو متعجّب من هذا الامر فرأى الامجد والاسعد ولدي سيده واقفين فترامى على اقدامهمـا وقال لهما والله يا سيداي ما يصلح

Digitized by Google

دَنِّنِي إِلَى الدَّهْرِ فَلْيَكْبُرْهُ سَجِيَّتُهُ ... ذَنْبَ الْحُسَامِ إِذَا مَا أَحْجَمَ الْبَطَلُ

ثم صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

يَا طَالِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ إِنَّهَا ... شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْيَارِ

دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا ... أَبْكَتْ غَدًا تَبًّا لَهَا مِنْ دَارِ

غَرَّاتُهَا لَا تَنْقَضِي وَأَسِيرُهَا ... لَا يُفْتَدَى بِجَلَائِلِ الْأَخْطَارِ

كَمْ مُزْدَهٍ بِغُرُورِهَا حَتَّى بَدَا ... مُتَمَرِّدًا مُتَجَاوِزَ الْمِقْدَارِ

قَلَبَتْ لَهُ ظَهْرَ الْمِجَنِّ وَأَوْلَغَتْ ... فِيهِ الْمُدَى وَتَرَتْ لِأَخْذِ الثَّارِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ خُطُوبَهَا تَفْجَأُ وَلَوْ ... طَالَ الْمُدَى وَوَنَتْ سُرَى الْأَقْدَارِ

فَارْبَأْ بِعُمْرِكَ أَنْ يَمُرَّ مُضَيَّعًا ... فِيهَا سُدًى مِنْ غَيْرِ مَا اسْتِظْهَارِ

وَاقْطَعْ عَلَائِقَ حُبِّهَا وَطِلَابَهَا ... تَلْقَى الْهُدَى وَرَفَاهَةَ الْأَسْرَارِ

فلما فرغ الاسعد من شعره اعتنق مع اخيه الامجد حتى صارا كانهما شخص واحد وسلّ الخازندار سيفه واراد ان يضربهما واذا بفرسه جفل في البرموكان يساوي الف دينار وعليه سرج عظيم يساوي جملة من المال فالقى العسف من يده وذهب وراء فرسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخازندار لما ذهب وراء فرسه وقد التهب فؤاده وما زال يجري خلفه ليمسكه حتى دخل في غابة فدخل وراءه في تلك الغابة فشقّ الجواد في وسط الغابة ودقّ الارض برجليه فعلا الغبار وارتفع وثار وامّا الفرس فانه شخر وفخر وصهل وازمهرّ وكان في تلك الغابة اسد عظيم الخطر قبيح المنظر

Digitized by Google

فَهُنَّ اَصْلُ الْبَلِيَّاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّيْنِ

ثم قال الامجد ما نريد منك الّا ان تبلّغه هذين البيتين اللذين سمعتهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الامجد قال للخازندار ما نريد منك الا ان تبلّغه هذين البيتين اللذين سمعتهما واسألك بالله ان تطوّل بالك علينا حتى انشد لاخي هذين البيتين الآخرين ثم بكى بكاء شديدا وجعل يقول

*

فِي الدَّا هِبِيْنَ الْاَوَّلِيْنَ مِنَ الْمُلُوْكِ لَنَا بَصَائِرْ

*

كَمْ قَدْ مَضَى فِيْ ذَا الطَّرِيْقِ مِنَ الْاَكَابِرِ وَالْاَصَاغِرْ

فلما سمع الخازندار من الامجد هذا الكلام بكى بكاء شديدا حتى بلّ لحيته واما الاسعد فانه قد تغرغرت عيناه بالعبرات وانشد هذه الابيات

اَلدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْاَثَرِ فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْاَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ
مَا لِلَّيَالِيْ اَقَالَ اللّٰهُ عَثْرَتَنَا مِنَ اللَّيَالِيْ وَخَانَتْهَا يَدُ الْغِيَرِ
قَدْ اَضْرَمَتْ كَيْدَهَا لِابْنِ الزُّبَيْرِ وَمَا رَعَتْ لِيَادَتُهُ بِالْبَيْتِ وَالْحَجَرِ
وَلَيْتَهَا اِذْ قَدَتْ عُمْرًا بِخَارِجَةٍ قَدَتْ عَلَيًّا بِمَنْ شَاءَتْ مِنَ الْبَشَرِ

ثم خضب خدّه بدموعه المدرار وانشد هذه الاشعار

اِنَّ اللَّيَالِيَ وَالْاَيَّامَ قَدْ طُبِعَتْ عَلَى الْخِدَاعِ وَفِيْهَا الْمَكْرُ وَالْحِيَلُ
سَرَابُ كُلِّ يَبَابٍ عِنْدَهَا شَنَبٌ وَهَوْلُ كُلِّ ظَلَامٍ عِنْدَهَا كُحَلُ

Digitized by Google

يَا مَنْ اِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ اَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ وَلَئِنْ رُدِدْتُ فَاَيُّ بَابٍ اَقْرَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ فَضْلِهِ فِي قَوْلِ كُنْ اُمْنُنْ فَاِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ اَجْمَعُ

فلما سمع الامجد بكاء اخيه بكى وضمّه الى صدره وانشد هذين البيتين

يَا مَنْ اَيَادِيهِ عِنْدِي غَيْرُ وَاحِدَةٍ وَمَنْ مَوَاهِبُهُ تَنْمُو عَنِ الْعَدَدِ
مَا نَابَنِي مِنْ زَمَانِي قَطُّ نَائِبَةٌ اِلَّا وَجَدْتُكَ فِيهَا آخِذًا بِيَدِي

ثم قال الامجد للخازندار سألتك بالواحد القهّار الملك الستّار ان تقتلني قبل اخي الاسعد لعلّ نار قلبي تخمد ولاتدعهما تتوقد فبكي الاسعد وقال ما يقتل قبل الا انا فقال الامجد الرأي ان تعتنقني واعتنقك حتى ينزل السيف علينا فيقتلنا دفعة واحدة فلما اعتنق الاثنان وجهًا لوجهٍ والتزما ببعضهما شدّهما الخازندار وربطهما بالحبال وهو يبكي ثم جرّد سيفه وقال والله يا سيداي انه يعزّ عليّ قتلكما فهل لكما من حاجة فاقضيها اووصية فانفذها اورسالة فابلّغها فقال الامجد مالنا حاجةٌ واما من جهة الوصية فاني اوصيك ان تجعل اخي الاسعد من تحت وانا من فوق لاجل ان تقع عليّ الضربة اولًا فاذا فرغت من قتلنا ووصلت الى الملك وقال لك ما سمعت منهما قبل موتهما فقل له ان ولديك يقرآنك السلام ويقولان لك انك لا تعلم هل هما بريآن اومذنبان وقد قتلتهما وما تحققت ذنبهما وما نظرت في حالهما ثم انشدا هذين البيتين

اِنَّ النِّسَاءَ شَيَاطِينٌ خُلِقْنَ لَنَا اَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ كَيْدِ الشَّيَاطِينِ

Digitized by Google

كتّفهما ووضعهما في صندوقين وحملهما على ظهر بغل وخرج بهما من المدينة ولم يزل سائرا بهما في البرية الى قريب الظهر فانزلهما في مكان قفر موحش ونزل عن فرسه وحطّ الصندوقين عن ظهر البغل وفتحهما واخرج الامجد والاسعد منهما فلما نظر اليهما بكى بكاء شديدا على حسنهما وجمالهما وبعد ذلك جرّد سيفه وقال لهما والله يا سيدي انه يعزّ عليّ ان افعل بكما فعلا قبيحا ولكن انا معذور في هذه الامور لانني عبد مامور وقد امرني والدكما الملك قمر الزمان بضرب رقابكما فقالا له ايّها الامير افعل ماامرك به الملك فنحن صابرون على ما قدّره الله عزّوجلّ علينا وانت في حلّ من دمائنا ثم انهما تعانقا وودّعا بعضهما وقال الاسعد للخازندار بالله عليك يا عم انك لاتجز عني غصة اخي ولا تسقني حسرته بل اقتلني انا قبله ليكون ذلك اهون عليّ وقال الامجد للخازندار مثل ماقال الاسعد واستعطف الخازندار ان يقتله قبل اخيه وقال له ان اخي اصغر مني فلا تذقني لوعته ثم بكى كل منهما بكاء شديدا ما عليه من مزيد وبكى الخازندار لبكائهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخازندار بكى لبكائهما ثم ان الاخوين تعانقا وودّعا بعضهما وقال احدهما للآخر ان هذه كلّه من كيد الخائنتين امّي وامّك وهذا جزاء ماجرى منّي في حق امّك وجزاء ماجرى منك في حق امّي فلا حول ولاقوّة الا بالله العلي العظيم انّا لله وانّا اليه راجعون ثم ان الاسعد اعتنق اخاه وضعف الزفرات وانشد هذه الابيات

Digitized by Google

مشهور في يده والدم يقطر من منا خيره من شدة غيظه فسأله عمّا به فاخبره بجميع ماجرى من ولديه الامجد والاسعد ثم قال له وها انا داخل اليهما لاقتلهما اقبح قتلة واقتل بهما اقبح قتلة فقال له صهره الملك ارمانوس وقد اغتاظ عليهما ايضا وتعم ما تفعل يا ولدي فلا بارك الله فيهما ولا في اولاد تفعل هذه الفعال في حق ابيهما ولكن يا ولدي صاحب المثل يقول من لم ينظر في العواقب مات الدهر له بصاحب ولهما ولداك على كل حال وينبغي ان لا تقتلهما بيدك فتشرب غصتهما وتندم بعد ذلك على قتلهما حيث لا ينفعك الندم ولكن ارسلهما مع احد من المماليك ليقتلهما في البرية وهما غائبان عن عينيك كما قيل في المثل بعدي عن حبيبي اجمل واحسن * عين لا تنظر وقلب لا يحزن * فلما سمع الملك قمر الزمان من صهره الملك ارمانوس هذا الكلام رآه صوابا فاغمد سيفه ورجع وجلس على سرير مملكته ودعى خازندارة وكان شيخا كبيرا عارفا بالامور وتقلّبات الدهور وقال له ادخل الى ولديّ الامجد والاسعد وكتّفهما كتافا جيدا واجعلهما في صندوقين واحملهما على بغل واركب انت واخرج لهما الى وسط البرّية واذبحهما واملأ لي فنانيتين من دمهما وائتني بهما عاجلا فقال له الخازندار سمعا وطاعة ثم نهض من وقته وساعته وتوجّه الى الامجد والاسعد فصادفهما في الطريق وهما خارجان من دهليز القصر وقد لبسا قماشهما وافتخرا بهما واراد التوجه الى والدهما الملك قمر الزمان ليسلّما عليه ويهنّياه بالسلامة عند قدومه من السفر الى الصيد فلما رآهما الخازندار قبض عليهما وقال لهما يا ولداي اعلما انني عبد مامور وان اباكما قد امرني بامر فهل انتما طائعان لامره قالا نعم فعند ذلك تقدّم اليهما الخازندار و

Digitized by Google

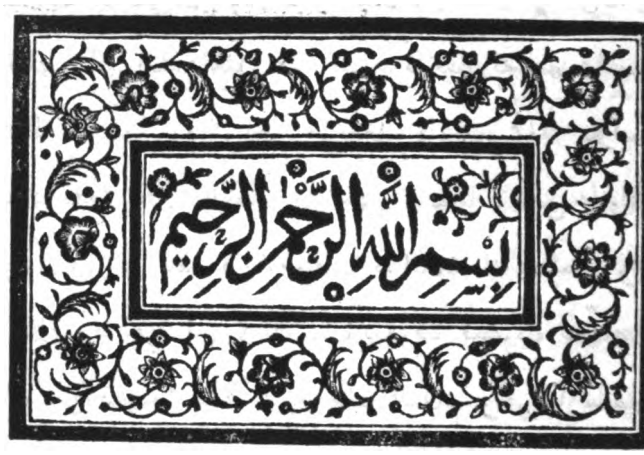

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملكة حياة النفوس اخبرت زوجها الملك قمرالزمان بمثل ما اخبرته به الملكة بدور وقالت له انا الاخرى جرى لي مع ولدك الامجد كذلك ثم انها اخذت فى البكاء والنحيب وقالت له ان لم تخلص لي حقي منـــه اعلمت ابي الملك ارمانوس بذلك ثم ان المرأتين بكتا قدّام زوجهمـا الملك قمرالزمان بكاء شديدا فلما راى الملك بكاء زوجتيه الا ثنتين وسمع كلا منهما اعتقد انه حق فغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد فقام وارادان يهجم على اولاده الا ثنين ليقتلهما فلقيه صهره الملك ارمانوس وقد كان داخلا في تلك الساعة ليسلّم عليه لما علم انه قداتى من الصيد فرآه والسيف

Digitized by Google

Digitized by Google

الربع الثاني

من كتاب

الف ليلة وليلة

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

حكاية العجاج بن يوسف مع
الرجل الصالح ٥٥٦
حكاية الرجل الصالح الحداد
الذي تدخل يده في النار
ولا تحترق ٥٥٨
حكاية الرجل العابد الذي سخر
الله له سحابة في بني اسرائيل ٥٦١
حكاية بعض الصحابة في خلافة
عمر بن الخطاب ٥٦٣
حكاية ابراهيم بن الخواص مع
ابنة الملك ٥٦٩
حكاية نبي من الانبياء .. ٥٧٢
حكاية رجل كان ملاحا بنيل مصر ٥٧٣
حكاية ابن الرجل الصالح في
بني اسرائيل ٥٧٥
حكاية ابي الحسن الدراج مع
ابي جعفر المجذوم ٥٧٩
حكاية حاسب كريم الدين ابن
دانيال الحكيم ٥٨٣
حكاية ملاقاة حاسب كريم الدين
مع ملكة الحيات و قصتهما مع
بلوقيا وعفان قدام حاسب ٥٨٨
حكاية قصة بلوقيا مع جانشاه ٦١٧
حكاية خروج حاسب من عند
ملكة الحيات ووصوله في بيته
ودخوله الحمام و اسره عند الوزير
شمهور و امر ملكة الحيات عند
الوزير و قتله لها وموت الوزير
و صحة السلطان من الجذام
و كون حاسب وزيرا عنده ... ٦٨٧

Digitized by Google

حكاية العتبي في امر العشق
مع الشيخ البدوي ٤٤٩
حكاية قاسم بن عدي في امر
العشق ٤٥٠
حكاية ابي العباس المبرد في
امر العشق ٤٥١
حكاية ابي بكر بن محمد الانباري
في امر العشق مع عبد المنعم
الراهب ٤٥٣
حكاية ابي عيسى بن الرشيد
في امر العشق مع جارية علي
بن هشام اسمها قرة العين ... ٤٥٧
حكاية الامين مع عمه ابراهيم
بن المهـــدي في امر
جاريته ٤٥٥
حكاية الخليفة المتوكل على الله
مع الفتح بن خاقان ٤٥٦
حكاية المرأة الواعظة في حماة
اسمها سيدة المشائخ ... ... ايضا
حكاية ابي سويد مع العجوز ٤٦٤
حكاية الامير عليّ بن محمد
مع الجارية اسمها مونس .. ٤٦٥
حكاية ابي الغيناء مع المرأتين ايضا
حكاية التاجر علي المصري ابن
حسن الجوهري البغدادي ٤٦٦
حكاية الرجل الحاج مع امرأة عجوز ٤٨٧
حكاية الرجل التاجر في بغداد
وقصة ابنه اسمه ابي الحسن
وبيع ابي الحسن جاريته اسمها
تودد مع الخليفة هارون الرشيد
و مناظرتها مع العلماء قدام
الخليفة وغلبتها عليهم ٤٨٩
حكاية ملك الموت مع ملك
من الملوك ٥٣٧
حكاية اسكندر ذي القرنين مع
قوم ضعفاء ٥٤١
حكاية عدل الملك انو شروان
في مملكته ٥٤٣
حكاية المراة الصالحة زوجة
القاضي في بني اسرائيل ... ٥٤٤
حكاية المراة الصالحة في الكعبة
مع بعض السادة ٥٤٧
حكاية مالك بن دينار مع العبد
الاسود الصالح ٥٤٩
حكاية الرجل الصالح في بني
اسرائيل ٥٥٢

Digitized by Google

حكاية ابي الاسود مع جارية حولاء ٣٩١

حكاية الخليفة هارون الرشيد مع الجاريتين مدنية و كوفية ايضا

حكاية الرجل الطحان مع زوجته ٣٩٢

حكاية بعض المغفلين مع الشاطر ٣٩٣

حكاية الخليفة هارون الرشيد مع السيدة زبيدة ٣٩٤

حكاية الخليفة الحاكم بامرالله مع التاجر ٣٩٦

حكاية الملك كسري انوشروان مع الجارية ٣٩٧

حكاية الرجل السقاء مع زوجة الصائغ ٣٩٨

حكاية الملك خسرو وشيربن مع صياد السمك ٤٥٠

حكاية كرم يحيي بن خالد البرمكي مع الرجل الفقير .. ٤٠١

حكاية محمد الامين بن زبيدة مع جعفربن موسى الهادي ٤٠٢

حكاية سعيد بن سالم الباهلي مع الفضل و جعفر ولدَي يحيى بن خالد ٤٠٤

حكاية مكيدة المرأة مع زوجها ٤٠٥

حكاية الامرأة العابدة في بني اسرائيل ٤٠٦

حكاية الخليفة هارون الرشيد والوزيرجعفرمع الشيخ البدوى ٤٠٧

حكاية عمربن الخطاب مع الشاب ٤٠٩

حكاية الما مون بن هارون الرشيد في هدم الاهرام ٤١٢

حكاية اللص مع الرجل التاجر ٤١٤

حكاية الخليفة هارون الرشيد مع ابن القاربي ٤١٦

حكاية الخليفة هارون الرشيد مع ولده الزاهد ٤١٨

حكاية معلم الصبيان و قلة عقله ٤٢٣

حكاية الملك مع المرأة من رعيته ٤٢٧

حكاية عبد الرحمن المغربي الصيني من فرخ الرخ .. ٤٢٨

حكاية هند بنت النعمان مع عدي بن زيد ٤٣٠

حكاية د عبل الخزاعي مع المرأة و مسلم بن الوليد ٤٣٣

حكاية اسحق بن ابراهيم الموصلي المغني مع التاجر ٤٣٥

Digitized by Google

حكاية الرجل الشاطر في الاسكندرية قدام الوالي حسام الدين ٢٩٠

حكاية الولاة الثلثة قدام الملك الناصر ٢٩٢

حكاية اللص مع الصيرفي ... ٢٩٦

حكاية علاء الدين والي قوص مع الرجل الحيال ٢٩٧

حكاية ابراهيم بن المهدي مع التاجر ٢٩٨

حكاية المرأة التي تصدقت على الفقير وقطع الملك يديها ... ٣٠٢

حكاية الرجل العابد في بني اسرائيل ٣٠٣

حكاية ابي حسان الزبادي مع الرجل الخراساني ... ٣٠٥

حكاية الرجل الغني الذي افتقر وبعد الفقر صار غنيا ٣٠٨

حكاية امير المؤمنين المتوكل على الله مع الجارية اسمها محبوبة ٣١٠

حكاية وردان الجزار مع المرأة والدب ٣١٢

حكاية ابنة الملك مع القرد ٣١٦

حكاية الملك الذي له ثلث بنات وابن مع الحكماء الثلثة ٣١٩

حكاية ابن الملك الذي ركب الفرس الأبنوس ٣٢٠

حكاية الفتى انس الوجود مع الورد في الاكمام بنت الوزير ٣٢٥

حكاية ابي نواس مع الغلمان الثلثة ٣٧٦

حكاية الرجل وجاريته مع عبد الله بن معمر ٣٨١

حكاية الرجل العاشق في بني عذرة مع معشوقته ٣٨٢

حكاية بدر الدين وزير اليمن مع اخيه ومعلمه ٣٨٣

حكاية عشق الغلام مع الجارية في المكتب ٣٨٤

حكاية المتلمس مع زوجته .. ٣٨٦

حكاية الخليفة هارون الرشيد مع السيدة زبيدة في البحيرة .. ٣٨٧

حكاية الخليفة هارون الرشيد مع جاريته ٣٨٨

حكاية مصعب بن الزبير مع عزة وزواجه مع عائشة بنت طلحة ٣٩٠

Digitized by Google

حكاية اصلان ابن علاء الدين مع
احمد قماقم العراق ١١١
بقية حكاية علاء الدين ١١٦
حكاية كرم حاتم الطائي .. ١٢٥
حكاية معن بن زائدة ١٢٧
حكاية بلدة لبطيط ١٢٩
حكاية هشام بن عبد الملك مع
صبي العرب ١٣١
حكاية ابراهيم بن المهدي .. ١٣٣
حكاية عبد الله بن ابي قلابة ١٤١
حكاية اسحق المغني الموصلي ١٤٥
حكاية الرجل الحشاش مع حريم
بعض الاكابر ١٥٣
حكاية الخليفة هارون الرشيد
مع الخليفة الثاني ١٥٧
حكاية علي العجمي قدام
هارون الرشيد ١٧٦
حكاية الخليفة هارون الرشيد في
امر الجارية مع الامام ابي يوسف ١٨٠
حكاية خالد بن عبد الله القشيري
مع الفتى والمرأة ١٨٢
حكاية كرم جعفر البرمكي مع بائع
الفول ١٨٦
حكاية هارون الرشيد مع ابي محمد
الكحلان وحكايته قدام الخليفة ١٨٧
حكاية كرم خالد بن يحيى مع منصور ٢٠٤
حكاية كرم خالد بن يحيى مع
الرجل الذي عمل كتابا مزورا
من طرفه ٢٠٧
حكاية الرجل العالم مع الخليفة
المامون ٢١٠
حكاية علي شار بن مجد الدين
التاجر ٢١٢
حكاية علي شار مع الجارية زمرد ٢١٦
حكاية علي بن منصور الحلبي
الدمشقي قدام الخليفة هارون
الرشيد قصة عشق جبير بن
عمير الشيباني و بدور .. ٢٥١
حكاية محمد البصري قدام الخليفة
المامون قصة الجواري الست
وصفاتهن مع بعضهن .. ٢٦٩
حكاية هارون الرشيد مع الجارية
وابي نواس ٢٨٣
حكاية الرجل الذي سرق صحن
الذهب الذي اكل فيه من
بقية الكلب ٢٨٤

Digitized by Google

هذا فهرس المجلد الثاني من كتاب

الف ليلة وليلة

حكاية غضب قمر الزمان على الامجد و الاسعد ٣

حكاية امر قمر الزمان بقتل الاسعد والاسعد لخازندار ٥

حكاية تخليص الامجد والاسعد للخازندار من الاسد ١٠

حكاية فك الخازندار للامجد والاسعد وسيرهما فى الجبل ١٢

حكاية سير الامجد والاسعد فى الجبل ١٣

حكاية اسر الاسعد عند الشيخ المجوسي ١٥

حكاية الامجد مع الخياط .. ١٩

حكاية الامجد مع المرأة .. ٢٠

حكاية الامجد مع المرأة و بهادر ٢٣

حكاية كون الامجد وزيرا عند السلطان ٢٨

حكاية الاسعد مع بهرام المجوسي ٢٩

حكاية الاسعد مع الملكة مرجانة ٣٠

حكاية الاسعد مع بنت بهرام المجوسي ٣٣

حكاية ملاقات الاسعد مع اخيه الامجد ٣٥

حكاية بهرام المجوسي قدام الاسعد و الامجد قصة نعمة بن الربيع ونعم جاريته ٣٦

بقية حكاية الامجد والاسعد .. ٥٩

حكاية علاء الدين ابي الشامات ابن التاجر شمس الدين .. ٦٣

حكاية الجارية ياسمين و تولد اصلان ابن علاء الدين منها .. ١١٠

Digitized by Google

Digitized by Google

الف ليلة وليلة

اعني

كتاب الف ليلة وليلة

يُدعى عموما

اَسمار الليالي للعرب ممّا يتضمّن الفُكاهة ويورث الطرب

قد طبعه كاملًا مكمّلا

وليم حي مكناطن سكرتر الدولة الانجريزية

في الممالك الهندية

في اربع مجلدات

الربع الثاني

في لسانه الاصلي العربي منقولا من نسخة كُتبتْ بالديار المصرية

واوردها في الهند المرحوم ميجر طرنر مكان الذي طبع شاهنامه

قبل هذا الزمان في التاسعة بعد الثلثين من المائة

التاسعة عشر من السنين المسيحية

هنه ١٨٣٩

Digitized by Google

Digitized by Google

Princeton University Library
32101 077795753

Digitized by Google

2263
.1839

V.2

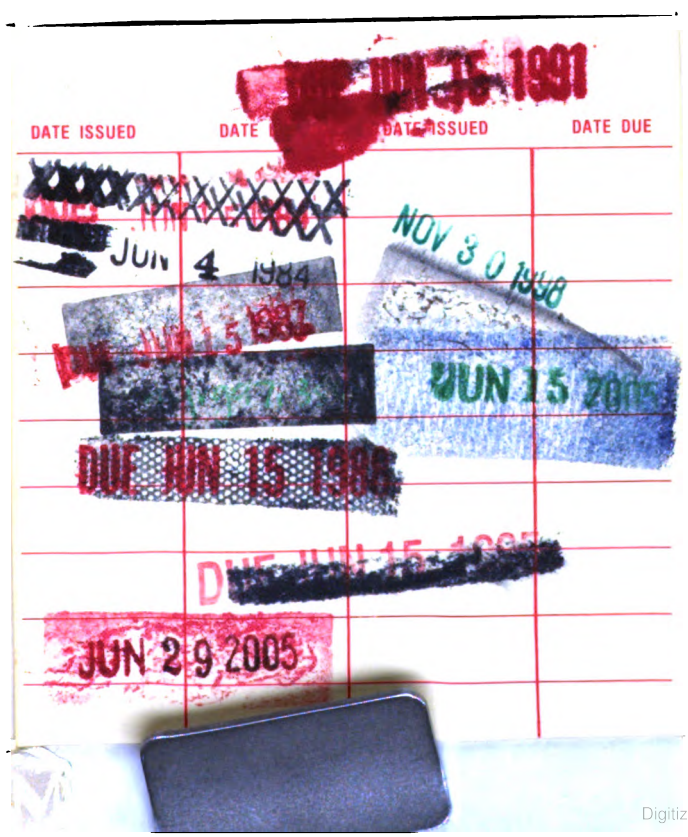

Digitized by Google